

سير أعلام النبلاء

قدم له

الدكتور محمد موسى الشريف

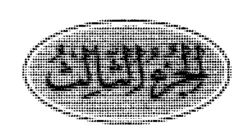
جمع وترتيب

الشريف فهد بن أحمد بن عبد الله المهدلي

ساهم في الطبع

الشيخ محمد عائض غرامة الأسمري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



الطبعة الأولىٰ
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م


الفوائد الغراء
من تهذيب
سير أعلام النبلاء



الصَّلاحُ والصَّالحُون

(١) سِيماءُ الصَّالحين وسَمْتُهم

(أ) صُورٌ علىٰ حُسْنِ السَّمْت :

رَوَىٰ يُونُسُ بنُ أبي إسْحاقَ : عن أبيه ، كان عَمرو بنُ مَيْمون إذا رُئيَ ، ذُكِرَ الله[١] .

رُوريَ عن أبي عُبَيدَة بنِ عبدِ الله بنِ مَسْعود ، قالَ : كانَ الرَّبيعُ بنُ خُثَيم إذا دَخلَ على ابنِ مَسْعود لَمْ يَكُن له إذْنٌ لأحَدٍ حتَّىٰ يَفرَغَ كُلُّ واحدٍ من صاحِبه فقالَ له ابنُ مَسْعود : يا أبا يَزيد ، لَوْ رآكَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأحَبَّك ، وما رَأيتُك إلاَّ ذَكرتُ الْمُخْبِتينَ[٢] ،[٣] .

وقالَ ابنُ الماجِشُون : إنَّ رُؤيَةَ محمَّد بنِ الْمُنْكَدِر لَتَنفَعُني في ديني[٤] .

وقالَ عبدُ الرزَّاق : كُنتُ إذا رَأيتُ ابنَ جُرَيج ، عَلمتُ أنَّه يَخْشى الله[٥] .

وعن ابنِ الْمُبَارَك قالَ : ما رَأيتُ رَجلاً أوْقرَ في مَجلِسه ، ولا أحْسَنَ سَمْتاً وحِلْماً من أبي حَنيفَة[٦] .

وعن شريكٍ قالَ : كان أبو حَنيفَة طَويلَ الصَّمتِ ، كَثيرَ العَقلِ .

---

(١) انظر السير : (عَمرو بن مَيمون) ٤/١٥٨ـ ١٦١ ، وانظر النزهة : ١/٤٦٨ .
(٢) المخبتون : هم المطمئنون ، وقيل : هم المتواضعون الخاشعون لربهم .
(٣) انظر السير : (الرَّبيعُ بن خُثَيم) ٤/٢٥٨ـ ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٤٩٢ .
(٤) انظر السير : (محمد بن المُنْكدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٧ .
(٥) انظر السير : (ابنُ جُرَيْج) ٦/ ٣٢٥ـ ٣٣٦ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٥ .
(٦) انظر السير : (أبو حَنيفَة) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٦٣ .

وقالَ أبو عاصِم النَّبيل : كانَ أبو حَنيفَة يُسمَّى الوَتَد لكَثرَة صَلاتِه[١] .

وقالَ بِشْرُ بنُ الحارِث : إنِّي لأذْكرُ الْمُعَافَى اليومَ ، فأنْتَفِعُ بذكْرِهِ ، وأذْكرُ رُؤيَتَه فأنْتَفِعُ[٢] .

وقالَ أبو زُرْعَة الرَّازي : سَمعتُ أبا جَعْفَر الجَمَّال يَقولُ : أتَيْنا وَكيعاً فخَرج بعد سَاعَة وعليه ثيابٌ مَغْسولَة ، فلمَّا بَصُرْنا به ، فزِعْنا من النُّور الذي رَأيناه يَتلألأُ من وَجْهِه ، فقالَ رَجلٌ بجَنْبي : أهـٰذا مَلكٌ ؟! فتَعجَّبنا من ذلك النُّور[٣] .

وقالَ أحمَدُ بنُ مُنير البَلْخي ، سَمعتُ حَمْدانَ بنَ سَهْل البَلْخيّ الفَقيهَ يَقولُ : ما رَأيتُ أحداً إذا رُئِيَ ذُكرَ اللهُ تَعالَىٰ إلاَّ القَعْنَبيَّ رَحمَه اللهُ ، فإنَّه كانَ إذا مَرَّ بمَجلِس يَقولون : لا إلـٰهَ إلاَّ الله وقيلَ : كانَ يُسَمَّى الرَّاهِبُ لعِبادَتِه وفَضلِه[٤] .

وقالَ عَباسُ العَنْبريُّ عن عليِّ بنِ الْمَديني : لَعلَّه كان يُقَدَّمُ على الحَسَن البَصْري ، كانَ النَّاسُ يَكتُبونَ قيامَه وقُعودَه ولِباسَه ، وكُلَّ شَيء يَقولُ أو يَفعَل أو نَحْو هـٰذا[٥] .

وكانَ يَجتمعُ في مَجلِسِ أحمَدَ زُهاءَ خَمسَةِ آلافٍ أو يَزيدون نَحو خَمسِ مئة يَكتُبون ، والباقُونَ يَتعلَّمون منه حُسْنَ الأدَبِ والسَّمْتِ[٦] .

وقالَ أبو الحَسَن عَليُّ بنُ إبْراهيمَ الرَّازي الخَطيب في تَرجَمةٍ عَملَها لابنِ أبي حاتمٍ : كانَ ـ رَحمَه اللهُ ـ قد كَسَاهُ اللهُ نُوراً وبَهاءً ، يَسرُّ مَنْ نَظرَ إليه سَمعتُه يَقولُ : رَحلَ بي أبي سَنةَ خَمسٍ وخَمسينَ ومِئتَين ، وما احْتَلمتُ بَعدُ ، فلمَّا بَلغْنا ذا الحُلَيْفَة احْتَلمتُ ، فسُرَّ أبي ، حَيثُ أدْركتُ حَجَّةَ الإسْلام[٧] .

وقالَ ابنُ النَّجَّار ، كانَ ابنُ قُدامَة إمامَ الحَنابِلَة بجامِعِ دِمَشْقَ ، علىٰ قانون السَّلف ،

---

(١) انظر السير : (أبو حَنيفَة) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٣/٦٦٣ .
(٢) انظر السير : (المُعَافَىٰ) ٩/ ٨٠ـ٨٦ ، وانظر النزهة : ٣/٨٠٠ .
(٣) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٧/٨١١ .
(٤) انظر السير : (القَعْنَبيّ) ١٠/ ٢٥٧ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٤/٨٧٥ .
(٥) انظر السير : (عليّ بن المَديني) ١١/ ٤١ـ ٦٠ ، وانظر النزهة : ٥/٩٠٧ .
(٦) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٤٧ .
(٧) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن أبي حاتم) ١٣/ ٢٦٣ـ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٧٨ .

عليه النُّورُ والوَقارُ ، يَنتَفعُ الرَّجُلُ برُؤيتِه قبلَ أنْ يَسمعَ كلامَه[1] .

وكانَ فَخرُ الدِّين ابنِ عَساكر لا يَمَلُّ الشَّخْصُ من النَّظرِ إليه لحُسْنِ سَمتِه ، ونُورِ وَجْهِه ، ولُطفِه واقْتِصادِه في مَلْبَسِه ، وكانَ لا يَفْتُرُ من الذِّكرِ ، وكانَ يُسَمِّعُ الحَديثَ تحتَ النَّسْر[2] ،[3] .

(ب) الهَيْبَة :

صُورٌ على الهَيْبَة :

عن الأحْنَفِ قالَ : كَذبتُ مرَّةً واحدَةً ، سَألَني عُمَرُ عن ثوبٍ ، بكَمْ أخَذتَه ؟ ، فأسْقَطتُ ثُلثَي الثَّمَن[4] .

وعن عُمرَ بن جُعْثُم ، قالَ : كانَ خالدُ بنُ مَعْدانَ إذا قَعدَ لَمْ يَقدِرْ أحَدٌ منهم يَذكرُ الدُّنيا عندَه هَيبةً له[5] .

وقال أيُّوبُ السِّخْتيانيُّ : كانَ الرَّجلُ يَجْلسُ إلى الحَسَنِ ثَلاثَ حِجَجٍ ما يَسْألُهُ عن المَسْألَة هَيْبَةً له[6] .

وقالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل : لَزِمْتُ هُشَيماً أربعَ سنين ، أو خَمْساً ، ما سَألتُه عن شَيء ، إلاَّ مَرَّتَين هَيبَةً له ، وكانَ كَثيرَ التَّسْبيحِ بينَ الحَديثِ ، يَقولُ بين ذلك : لا إلَـهَ إلاَّ الله ، يَمدُّ بها صَوتَه[7] .

وقال مُصْعَبُ الزُّبَيريُّ : كان العُمَريُّ أصفَرَ جَسيماً ، لَمْ يَكنْ يَقبَلُ من السُّلطانِ ولا غَيرِه ، ومَنْ وَلِيَ من أقارِبِه ومَعارِفِه لا يُكلِّمُه ووَلِيَ أخُوهُ عُمَرُ الْمَدينَةَ وكرمانَ ،

---

(١) انظر السير : (ابنُ قُدامَة المَقْدسيّ) ٢٢/ ١٦٥ـ ١٧٣ ، وانظر النزهة : ١/١٦٨١ .
(٢) يعني قُبَّة النسر من جامع دمشق الأموي .
(٣) انظر السير : (ابن عَساكر) ٢٢/ ١٨٧ـ ١٩٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨٣ .
(٤) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٠ .
(٥) انظر السير : (خالد بن مَعْدان) ٤/ ٥٣٦ـ ٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٥١ .
(٦) انظر السير : (الحَسَن البَصْري) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٠ .
(٧) انظر السير : (هُشَيم) ٨/ ٢٨٧ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٧٥٩ .

فهَجرَه ، ما أدْرَكتُ بالْمَدينَةِ رَجلاً أهْيَبَ منه وكانَ يَقبلُ صِلةَ ابنِ الْمُبارَك وقَدِمَ الكُوفَةَ لِيُخوِّفَ الرَّشيدَ باللهِ ، فرَجفَ لِمَجيئه الدولة ، حتَّىٰ لَوْ كانَ نَزلَ بهم من العَدوِّ مئةُ ألفٍ ، ما زادَ من هَيبَتِه ، فرُدَّ من الكُوفَة ولَمْ يَصلْ إليه[1] .

قالَ الدُّقِيُّ : ما رَأيتُ شَيْخاً أهْيَبَ من ابنِ الجَلاَّء ، مع أنِّي لَقيتُ ثَلاثَ مئة شيخ ، فسَمعْتُه يقولُ : ما جَلا أبي شَيئاً قطُّ ، ولكنَّه كانَ يَعِظُ ، فيَقَعُ كَلامُه في القُلوبِ ، فسُمِّيَ جَلاَّءَ القُلوب .

قالَ مُحمَّدُ بنُ عليِّ بن الجُلندي : سُئِلَ ابنُ الجَلاَّء عن الْمَحَبَّة فسَمعْتُه يقولُ : مَالي ولِلْمَحَبَّة ؟ أنا أُريدُ أتَعَلَّم التَّوْبَة[2] .

* * *

(١) انظر السير : (العُمَريُّ) ٨/ ٣٧٣ـ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٥ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الجَلاَّء) ١٤/ ٢٥١ـ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٤٨ .

(٢) مِنْ صِفَاتِهم

(أ) مَجْموعَة صِفات تَجدُها في الصالحين :

عن الحرمازيِّ : خَطبَ الحَسنُ بنُ عَليٍّ بالكُوفَةِ ، فقالَ : إنَّ الحِلمَ زينَةٌ والوَقارَ مَرُوءَة ، والعَجَلَةَ سَفَهٌ ، والسَّفَهَ ضَعفٌ ، ومُجالَسَةُ أهْلِ الدَّناءَة شَينٌ ، ومُخالَطَةُ الفُسَّاقِ رِيبَةٌ[١] .

وعن ياسينَ الزيَّات قالَ : جاءَ ابنُ الكوَّاء إلى الرَّبيعِ بنِ خُثَيم ، فقالَ : دُلَّني على مَنْ هو خَيرٌ منكَ ، قالَ : نعَم ، مَنْ كانَ مَنْطِقُه ذِكْراً ، وصَمتُه تفَكُّراً ، ومَسيرُه تدبُّراً فهو خَيرٌ منِّي .

وعن الشَّعْبيِّ ، قالَ : كانَ الرَّبيعُ أوْرَعَ أصْحابِ عبدِ الله .

عن أبي يَعْلى الثَّوري ، قالَ : كانَ في بَني ثَور ثَلاثُون رَجلاً ، ما منهم رَجلٌ دُونَ الرَّبيعِ بنِ خُثَيم[٢] .

وعن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه ، قالَ : العِلمُ خَليلُ الْمُؤمِنِ ، والحِلمُ وَزيرُه ، والعَقلُ دَليلُه ، والعَملُ قَيِّمُه ، والصَّبرُ أميرُ جُنودِه ، والرِّفْقُ أبُوه ، واللِّينُ أخُوه[٣] .

وعن وَهْبٍ : الْمُؤمِنُ يَنظُرُ ليعلَمَ ، ويَتكلَّمُ ليَفهَمَ ويَسكُتُ ليَسْلَمَ ، ويَخلو ليَغنَمَ[٤] .

وعن قَتادَة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[٥] ، قال : كفىٰ بالرَّهْبَة علماً ، اجْتَنبوا نَقضَ الميثاق ، فإنَّ اللهَ قَدَّم فيه وأوْعَد ، وذَكَرَه في آي من القُرآن تَقْدِمَةً ونَصيحَةً

---

(١) انظر السير : (الحسن بن عليّ بن أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣٨٠/ ٥ .
(٢) انظر السير : (الرَّبيع بن خُثَيم) ٤/ ٢٥٨ـ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٤٩٣/ ١٠ .
(٣) انظر السير : (وَهْب بن منبّه) ٤/ ٥٤٤ـ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٥٥٤/ ٣ .
(٤) انظر السير : (وَهْب بن منبّه) ٤/ ٥٤٤ـ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٥٥٤/ ٤ .
(٥) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

وحُجَّةً ، إيَّاكم والتَّكلُّف والتَّنطُّع والغُلو والإعْجاب بالأنْفُس تَواضَعوا لله ، لَعلَّ اللهَ يَرفَعُكم[1] .

وقالَ جَعْفَرُ بنُ محمَّد : الصَّلاةُ قُرْبانُ كلِّ تقيّ ، والحَجُّ جِهادُ كُلِّ ضَعيفٍ ، وزَكاةُ البَدَنِ الصِّيامُ ، والدَّاعي بلا عَمَل كالرَّامي بلا وَتَر واسْتَنزِلوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَة ، وحَصِّنُوا أمْوَالَكم بالزَّكاةِ وما عَالَ مَنِ اقْتَصَد ، والتَّقْديرُ نِصْفُ العَيشِ ، وقِلَّةُ العِيالِ أحَدُ اليَسارَين ، ومَنْ أحْزَنَ وَالدَيْه ، فقد عَقَّهما ، ومَنْ ضَربَ بيَدِه علىٰ فَخِذِه عند مُصيبَة فقد حَبطَ أجْرُه والصَّنيعَةُ لا تَكونُ صَنيعَةً إلاَّ عندَ ذي حَسَبٍ أو دَيْنٍ واللهُ يُنزلُ الصَّبرَ علىٰ قَدرِ الْمُصيبَة ويُنزلُ الرِّزْقَ علىٰ قَدرِ الْمُؤنةِ ومَنْ قَدَّرَ مَعيشَتَه ، رَزَقَه اللهُ ، ومن بَذَّرَ مَعيشَتَه ، حَرَمَه الله[2] .

وقالَ جَعْفَرُ بنُ محمَّد : لا زادَ أفْضَلُ من التَّقْوىٰ ولا شَيءَ أحْسَنُ من الصَّمْتِ ، ولا عَدوَّ أضرُّ من الجَهْلِ ، ولا دَاءَ أدْوأ من الكَذِب[3] .

قالَ إبْراهيمُ بن الأشْعَث : سَمعتُ الفُضَيلَ يقولُ : رَهْبَةُ العَبْد من الله علىٰ قَدْر عِلمِه بالله ، وزَهادَتُه في الدُّنيا علىٰ قَدْر رَغْبَته في الآخِرَة ، مَنْ عَملَ بما عَلمَ اسْتَغْنَىٰ عمَّا لا يَعْلَم ، ومَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ وَفَّقه اللهُ لِمَا لا يَعْلَم ، ومَنْ ساء خُلقُه شَانَ دينَه وحَسَبُه ومَروءَتُه[4] .

وسَمعْتُه يقولُ : أكْذَبُ النَّاسِ العائدُ في ذَنْبه ، وأجْهَلُ النَّاسِ المُدِلُّ بحَسَناتِه ، وأعْلَمُ النَّاسِ أخْوَفُهم مِنه ، لَنْ يَكْمُلَ عبدٌ حتىٰ يُؤثِرَ دينَه علىٰ شَهْوَتِه ، ولَنْ يَهْلِكَ عبدٌ حتىٰ يُؤثِرَ شَهْوَتَه علىٰ دينِه[5] .

وقِيلَ للفُضَيلِ : ما الزُّهْدُ ؟ قالَ : القُنوعُ ، وقِيلَ ما الوَرَعُ ؟ قالَ : اجْتِنابُ

---

(١) انظر السير : (قَتادَة) ٥/ ٢٦٩ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/ ٦٠٢ .
(٢) انظر السير : (جَعْفر بن محمد) ٦/ ٢٥٥ـ ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٦٤٨/ ١ .
(٣) انظر السير : (جَعْفر بن محمد) ٦/ ٢٥٥ـ ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٦٤٨/ ٢ .
(٤) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٤/ ١ .
(٥) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٤/ ٢ .

الْمَحارِمِ ، قيلَ : ما العِبادَةُ ؟ قالَ : أداءُ الفَرائضِ ، قيلَ : ما التَّواضُعُ ؟ قالَ : أنْ تَخْضَعَ للحَقِّ ، وقالَ : أشَدُّ الوَرَعِ في اللِّسانِ[1] .

وعن الشَّافعيِّ ، قالَ : أصْلُ العِلمِ التَّثْبيتُ ، وثَمَرتُه السَّلامَةُ ، وأصْلُ الوَرَعِ القَناعَةُ ، وثَمَرتُه الرَّاحَةُ ، وأصْلُ الصَّبْرِ الحَزْمُ ، وثَمَرتُه الظَّفَرُ ، وأصْلُ العَملِ التَّوْفيقُ ، وثَمَرَتُه النَّجْحُ ، وغَايَةُ كُلِّ أمْرٍ الصِّدْقُ[2] .

وعن الْمَرْوذيِّ ، قالَ : لَمْ أرَ الفَقيرَ في مَجلِسٍ أعزَّ منه في مَجلِسِ أحْمَدَ كانَ مائلاً إليهم ، مُقْصِراً عن أهْلِ الدنيا ، وكانَ فيه حِلمٌ ، ولَمْ يَكنْ بالعَجُولِ ، وكان كَثيرَ التَّواضُعِ تَعلُوهُ السَّكينَةُ والوَقارُ ، وإذا جَلسَ في مَجلِسِه بعدَ العَصرِ للفُتيَا لا يَتكلَّمُ حتَّىٰ يُسألَ ، وإذا خَرجَ إلىٰ مَسجِدِه لَمْ يَتَصدَّر[3] .

وكانَ أبو عبد الله أحمدُ بنُ حَنْبَل شَديدَ الحَياءِ ، كَريمَ الأخْلاقِ ، يُعْجبُه السَّخاءُ[4] .

وكانَ أحْمَدُ بنُ حَنْبَل مِنْ أحْيَى النَّاسِ ، وأكْرَمِهم ، وأحْسَنِهم عِشْرةً وأدَباً ، كَثيرَ الإطْراقِ ، لا يُسمَعُ منه إلاَّ الْمُذاكَرَةُ للحَديث ، وذِكْرُ الصَّالِحينَ في وَقارٍ وسُكونٍ ، ولَفظٍ حَسَنٍ وإذا لَقيَه إنْسانٌ ، بَشَّ به ، وأقْبَلَ عليه وكان يَتواضَعُ للشُّيوخِ شَديداً ، وكانوا يُعَظِّمونَه ، وكانَ يَفعَلُ بيَحْيَىٰ بنِ مَعين ما لَمْ أرَه يَعمَلُ بغَيرِه من التَّواضُعِ والتَّكْريمِ والتَّبْجيلِ كان يَحْيَىٰ أكْبَرُ منه بسَبعِ سِنينَ[5] .

وعن حاتِمٍ الأصَمِّ : مَنْ أصْبَحَ مُسْتَقيماً في أرْبَع فهو بخَير ؛ التَّفَقُّه ، ثم التَّوَكُّل ، ثم الإخْلاص ، ثم الْمَعْرِفَة[6] .

قالَ شَقيقٌ لحاتِم : مُذْ صَحِبْتَني ، أيُّ شَيءٍ تَعَلَّمْتَ مِنِّي ؟ قالَ : سِتَّ كَلماتٍ ؛

---

(١) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٧/ ٤ .
(٢) انظر السير : (الإمامُ الشافعي) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٤٩ .
(٣) انظر السير : (أحمدُ بن حَنْبل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٨/٩٢٩ .
(٤) انظر السير : (أحمدُ بن حَنْبل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٣٠ .
(٥) انظر السير : (أحمدُ بن حَنْبل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٧ .
(٦) انظر السير : (حاتِم الأصَمّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٠ .

رأيتُ النَّاسَ في شَكٍّ من أمْرِ الرِّزْق ، فتوَكَّلتُ على الله قالَ اللهُ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[1] .

ورأيتُ لكُلِّ رجُلٍ صَديقاً يُفْشي إليه سِرَّه ، ويَشْكو إليه ، فصَادَقتُ الخَيرَ ليَكونَ مَعي في الحِسابِ ، ويَجوزَ مَعي الصِّراطَ .

ورَأيتُ كُلَّ أحَدٍ له عَدوٌّ ، فمَنِ اغْتابَني لَيسَ بِعَدُوِّي ، ومَنْ أَخَذَ مِنِّي شَيْئاً لَيْسَ بعَدُوِّي ، بلْ عَدُوِّي مَنْ إذا كُنتُ في طاعَةٍ ، أمَرَني بِمَعْصيَةِ الله وذَلكَ إبْليسُ وجُنودُه ، فاتَّخَذْتُهم عَدوّاً وحَارَبْتُهم .

ورَأيتُ النَّاسَ كُلَّهم لهم طَالبٌ ، وهو مَلَكُ الْمَوْت ، ففَرَّغْتُ له نَفْسي .

ونَظَرتُ في الخَلْقِ ، فأحْبَبْتُ ذا وأبْغَضْتُ ذا ، فالذي أحْبَبْتُه لمْ يُعْطِني ، والذي أبْغَضْتُه لَمْ يأخُذ مِنِّي شَيئاً ، فقُلتُ : مِنْ أينَ أُتِيتُ ؟ فإذا هو مِن الحَسَدِ فطَرَحْتُه وأحْبَبْتُ الكُلَّ ، فكلُّ شَيءٍ لَمْ أرْضَه لِنَفْسي لَمْ أرْضَه لَهم .

ورَأيتُ النَّاسَ كُلَّهم لَهم بيتٌ ومَأوَىٰ ، ورَأيتُ مَأوايَ القَبْرَ ، فكُلُّ شَيءٍ قَدرْتُ عليه من الخَيْرِ قَدَّمْتُه لنَفْسي لأُعَمِّرَ قَبْري .

فقالَ شَقيقٌ : عَليكَ بهـٰذه الخِصالِ[2] .

ومن كَلامِ القاسِمِ : رَأسُ الأعْمالِ الرِّضَا عن الله ، والوَرَعُ عِمادُ الدِّينِ ، والجُوعُ مُخُّ العِبادَة ، والحِصْنُ الحَصينُ الصَّمْتُ[3] .

ومن كَلامِ سَهل بنِ عبدِ الله : لا مُعين إلاَّ الله ، ولا دَليلَ إلاَّ رَسُولُ الله ، ولا زادَ إلاَّ التَّقوَىٰ ، ولا عَملَ إلاَّ الصَّبرُ عليه[4] .

وعنه قالَ : الجاهِلُ ميِّتٌ ، والنَّاسي نائمٌ ، والعَاصي سَكْرانٌ ، والْمُصِرُّ هالِكٌ[5] .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٦ .
(٢) انظر السير : (حاتِم الأصَمّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٦/٩٦٠ .
(٣) انظر السير : (الجُوعيُّ) ١٢/٧٧ـ ٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٤ .
(٤) انظر السير : (سَهْل بن عبد الله) ١٣/ ٣٣٠ـ ٣٣٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٩٣ .
(٥) انظر السير : (سَهْل بن عبد الله) ١٣/ ٣٣٠ـ ٣٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٣ .

وقالَ الحَكيمُ التِّرمِذيُّ : مَنْ جَهِلَ أوْصَافَ العُبوديَّة ، فهو بنُعُوتِ أوْصَافِ الرَّبَّانيَّةِ أجْهَل[١] .

وقال أبو عبد الرحمٰن السُّلَميُّ : سَمعتُ محمَّدَ بنَ الحَسَنِ الخَشَّاب ، سَمعتُ ابنَ الأعْرابيِّ يَقولُ : الْمَعْرفَةُ كلُّها الاعْتِرافُ بالجَهْلِ والتَّصوُّفُ كلُّه تَرْكُ الفُضُولِ والزُّهْدُ كلُّه أخذُ ما لا بُدَّ منه ، والمُعامَلةُ كلُّها اسْتعمالُ الأوْلَىٰ فالأوْلَىٰ ، والرِّضَا كلُّه تَرْكُ الاعْتِراضِ ، والعَافيَةُ كلُّها سُقوطُ التَّكلُّف بلا تَكَلُّف .

وكانَ رَحمَه الله قد صَحِبَ الجُنَيدَ وأبا أحمَدَ القَلانسيَّ .

وعَملَ تاريخاً للبَصْرَةِ لَمْ أرَه ، أمَّا كتابُه في « طَبَقاتِ النُّسَّاك » فنَقَلتُ منه[٢] .

(ب) مَعْرِفَتُهم لِمَ عُوقِبوا :

(وانظر المَزيد في فهرس الذُّنوب)

عن مُحمَّد بنِ سِيرينَ قالَ : قُلتُ لِرَجُلٍ : يا مُفْلِسُ ، فعُوقِبتُ .

قالَ أبو سُليمان الدَّاراني ، وبَلَغَه هـٰذا فقالَ : قَلَّتْ ذُنوبُ القَوْمِ فعَرَفوا من أيْنَ أُتُوا ، وكَثُرَتْ ذُنوبُنا فلَمْ نَدْرِ من أيْنَ نُؤتَىٰ[٣] .

(ج) مَعْرِفَتُهم ضَخامَة التَّكليف المُطالَبين به :

رُويَ عن الْمَرْوذيِّ ، قالَ : قُلتُ لأحمدَ : كيف أصبحتَ ؟ قالَ : كيفَ أصبحَ مَنْ رَبُّه يُطالبُه بأداءِ الفَرائض ، ونبَيُّه يُطالبُه بأداء السُّنَّة والْمَلَكان يَطْلُبانه بتَصحيح العَمَل ، ونَفسُه تُطالِبُه بهَواها ، وإبْليسُ يُطالِبُه بالفَحْشاء ، ومَلكُ الْموتِ يُراقِبُ قَبضَ رُوحِه ، وعِيالُه يُطالبُونَه بالنَّفَقة ؟![٤] .

---

(١) انظر السير : (الحَكيمُ) ١٣/ ٤٣٩ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٠٠ .
(٢) انظر السير : (ابنُ الأعْرابيِّ) ١٥/ ٤٠٧ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٤٢ .
(٣) انظر السير : (محمّد بن سيرين) ٤/ ٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٦٩ .
(٤) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٦/٩٣٠ .

(د) اسْتواءُ أحْوالِ الدُّنْيا في أعْيُنِهِم :

عن أبي عُثمانَ الحِيري قالَ : لا يَكمُلُ الرَّجلُ حتَّىٰ يَسْتَوي قلبُه في الْمَنْعِ والعَطَاءِ ، وفي العِزِّ والذُّلِّ[١] .

(هـ) ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ :

عن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْد ، قالَ : لأنْ أعْلَمَ أنَّ اللهَ تَقبَّلَ مِنِّي مِثْقالَ حَبَّةٍ ، أَحَبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها ، لأنَّه تَعالَىٰ يَقولُ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] ،[٣] .

* * *

(١) انظر السير : (أبو عُثمان الحِيري) ١٤/ ٦٢ـ٦٦ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣١ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٢٧ .
(٣) انظر السير : (فَضَالَة بن عُبَيد) ٣/١١٣ـ١١٧ ، وانظر النزهة : ١/٣٤٧ .

(٣) مِنْ فَوائدِ الصَّلاح

الحِفْظُ في المَالِ والأهْل :

عن ابنِ الْمُنْكَدِر قالَ : إن اللهَ يَحفَظُ العبدَ المؤمن في وَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِهِ ، ويَحفَظُه في دُوَيْرَتِه ، ودُوَيْرَاتٍ حَوْلَه ، فما يَزالُونَ في حِفْظٍ أو في عافِيَة ما كان بين ظَهْرانيهِم[١] .

(٤) صُحْبَةُ الصَّالِحين

صُحْبَتُهم تُورثُ الحِكمَةَ في القَوْل والعَمَل :

رُويَ عن أبي الدَّرْداءِ ، قالَ : لَوْلا ثلاثٌ ما أحْبَبْتُ البَقاءَ ساعةً : ظَمَأ الهَواجِر ، والسُّجودُ في اللَّيلِ ، ومُجالَسَةُ أقْوَامٍ يَنْتَقُونَ جَيِّدَ الكَلامِ كما يُنْتَقىٰ أطايبُ الثَّمر[٢] .

وعن أبي العبَّاسِ بنِ سُرَيج : أنَّه تَكلَّم يَوماً فعَجِبوا! فقالَ : ببَرَكَة مُجالَسَتي لأبي القاسِمِ الجُنَيْد[٣] .

(٥) أمْثِلَةٌ علىٰ حَياةِ الصَّالِحين

(وستجد غيرها لا سيّما في فِهْرس الوَقْت)

جاءَ في تَرجَمَةِ أبي النَّضْر الطُّوسيِّ ، قالَ الحاكمُ : وكانَ إماماً عابِداً ، بارِعَ الأدَبِ ، ما رَأيتُ في مَشايخي أحْسَنَ صَلاةً منه ، وكانَ يَصومُ الدَّهْرَ ويَقومُ ويَتصدَّقُ بما فَضُلَ من قُوتِه وكانَ يَأمُرُ بالْمَعْروفِ ويَنهَىٰ عن الْمُنْكرِ[٤] .

---

(١) انظر السير : (محمَّد بن الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٩/٦٠٧ .

(٢) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٥/٢٧٢ .

(٣) انظر السير : (الجُنَيْد) ١٤/ ٦٦ـ ٧٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣٢ .

(٤) انظر السير : (أبو النَّضْر الطُّوسيّ) ١٥/ ٤٩٠ـ ٤٩٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٢ .

وجاءَ في تَرجَمَةِ التَّيْميِّ ، قالَ أبو موسَىٰ : ولا أعلَمُ أحداً عابَ عليه قَوْلاً ولا فِعْلاً ، ولا عانَدَه أحَدٌ إلاَّ ونَصرَه اللهُ ، وكان نَزِهَ النَّفْسِ عن الْمَطامِع ، لا يَدخُلُ على السَّلاطينِ ، ولا علىٰ مَنِ اتَّصلَ بهم ، قد أخْلَىٰ داراً من مُلْكِه لأهْلِ العِلمِ مع خِفَّةِ ذاتِ يَدِه ، ولَوْ أعْطاهُ الرَّجلُ الدُّنيا بأسْرِها لَمْ يَترَفَّع عندَه ، أمْلَىٰ ثلاثةَ آلافٍ وخَمسَ مئة مَجْلِس ، وكانَ يُمْلي على البَديهَة[1] .

وقالَ الحافِظُ يَحْيىٰ بنُ مُنْدَة : كانَ أبو القاسِم حَسَنَ الاعْتِقادِ جَميلَ الطَّريقَة قَليلَ الكَلامِ ، لَيسَ في وَقتِه مثلُه[2] .

قالَ ابنُ النَّجَّار : شَيخُنا ابنُ سُكَينَة شَيخُ العِراقِ في الحَديثِ والزُّهْدِ وحُسْنِ السَّمْتِ ومُوافَقَة السُّنَّة والسَّلَف عُمِّر حتَّىٰ حَدَّثَ بجَميع مَرْوياتِه ، وقَصدَه الطُّلاَّبُ من البلادِ ، وكانَت أوْقاتُه مَحفوظَة ، لا تَمضي له سَاعةٌ إلاَّ في تِلاوَةٍ أو ذِكرٍ أو تَهَجُّد أو تَسْميع ، وكان إذا قُرِىءَ عليه مَنَعَ من القيامِ له أو لغَيرِه وكانَ كَثيرَ الحَجِّ والْمُجَاوَرَة والطَّهارَة ، لا يَخرُجُ من بَيتِه إلاَّ لحُضُورِ جُمُعَة أو عيدٍ أو جَنازَة ، ولا يَحضُرُ دُورَ أبْناء الدُّنيا في هَناءٍ ولا عَزاءٍ ، يُديمُ الصَّومَ غالباً ، ويَستَعمِلُ السُّنَّةَ في أُمورِه ، ويُحبُّ الصَّالِحينَ ، ويُعَظِّمُ العُلماءَ ، ويَتواضَعُ للنَّاسِ ، وكانَ يُكثِرُ أنْ يَقولَ : أسْألُ اللهَ أنْ يُميتَنا مُسلمينَ ، وكانَ ظاهِرَ الخُشُوعِ ، غَزيرَ الدَّمْعَة ، ويَعتَذِرُ من البُكاءِ ، ويَقولُ : قد كَبرتُ ولا أمْلكُه ، وكانَ اللهُ قد ألْبَسَه رداءً جَميلاً من البَهاء وحُسْنِ الخِلْقَة وقَبُولِ الصُّورة ، ونُورِ الطَّاعَة ، وجَلالَة العِبادَة ، وكانت له في القُلوبِ مَنْزِلَةً عَظيمَةً ، ومَنْ رَآهُ انْتَفعَ برُؤْيَته ، فإذا تَكلَّمَ كانَ عليه البَهاءُ والنُّورُ ، لا يُشْبَعُ من مُجالَستِه لقد طُفتُ شَرْقاً وغَرباً ورَأيتُ الأئمَّةَ والزُّهَّادَ فمَا رَأيتُ أكْمَلَ منه ولا أكْثَرَ عِبادَةً ولا أحْسَنَ سَمْتاً .

قالَ الإمامُ أبو شامَة : وفي سَنَةِ سَبع وستٍّ مئة تُوفِّيَ ابنُ سُكَينَة ، وحَضَرَه أرْبابُ الدَّولَة ، وكانَ يَوْماً مَشْهوداً ، ثم قالَ : وكانَ من الأبْدالِ[3] .

---

(١) انظر السير : (التَّيميّ) ٢٠/ ٨٠ـ٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٢ .

(٢) انظر السير : (التَّيميّ) ٢٠/ ٨٠ـ٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٣٢ .

(٣) انظر السير : (ابنُ سُكَينَة) ٢١/ ٥٠٢ـ٥٠٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٥٦ .

وجاءَ في تَرجَمَةِ العِمادِ الْمَقْدِسيِّ قالَ الضِّياءُ : وكانَ يَجلِسُ في جامِعِ البَلَدِ من الفَجْرِ إلى العِشَاء لا يَخرُجُ إلاَّ لِحاجَة ، يُقرِىءُ القُرآنَ والعِلمَ ، فإذا فَرَغوا اشْتغلَ بالصَّلاةِ ، فسَألتُ الشَّيخَ مُوَفَّقَ الدِّين عنه فقالَ : كانَ من خِيارِ أصْحابِنا وأعْظَمِهم نَفْعاً ، وأشَدِّهُم وَرَعاً ، وأكْثَرهم صَبْراً على التَّعْليمِ وكانَ داعيَةً إلى السُّنَّة ، أقامَ بدِمَشْقَ مُدَّة يُعَلِّمُ الفُقَراءَ ويُقرِئُهم ويُطعِمُهم ، ويَتواضَعُ لهم ، كانَ من أكْثَرِ النَّاسِ تَواضُعاً ، واحْتِقاراً لنَفسِه ، وخَوْفاً من اللهِ ، ما أعْلَمُ أنِّي رَأيتُ أشَدَّ خَوفاً منه ، وكانَ كَثيرَ الدُّعاءِ والسُّؤالِ لله ، يُطيلُ السُّجود والرُّكوعَ ، ولا يَقبَلُ مِمَّن يَعْذُله ، ونُقِلَت له كَراماتٌ[1] .

* * *

(٦) فَضْلُ الصَّالِحين

عن يَحْيَىٰ بنِ مَعين ، وذَكَرَ أحمَدَ بنَ أبي الحَوَاري ، فقالَ : أهلُ الشَّام به يُمْطَرون .

وقالَ ابنُ أبي حاتِم : سَمعتُ أبي يُحْسِنُ الثَّناءَ علىٰ أحمَدَ بنِ أبي الحَوَاريِّ ، ويُطْنِبُ فيه[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (العِماد) ٢٢/ ٤٧ـ ٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٤ .

(٢) انظر السير : (أحْمد بن أبي الحَوَاريّ) ١٢/ ٨٥ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٥ .

(٧) عِنايةُ الصَّالِحين بالقَلْب

١ـ حَياةُ القَلْبِ بذِكرِ المَوْتِ :

رُوي عن سَعيدِ بنِ جُبَير ، قالَ : لَوْ فارَقَ ذِكرُ الْموتِ قَلبي ، لخَشيتُ أنْ يُفسِدَ عليَّ قَلبي(١) .

٢ـ مُعَالجَةُ قَسْوَةِ القَلبِ بزِيارَةِ القَبْر :

عن مُحمَّد صالِح بن التَّمَّار قالَ : كان صَفوانُ بنُ سُليم يأتي البقيعَ في الأيَّامِ فيَمرُّ بي ، فاتَّبعْتُه ذاتَ يوم ، وقُلتُ : لأنْظُرَنَّ ما يَصنَعُ ، فقَنَّعَ رَأسَه ، وجَلسَ إلىٰ قَبرٍ منها ، فلَمْ يَزلْ يَبكي حتَّىٰ رَحمتُه ، وظَنَنتُ أنَّه قَبرُ بَعضِ أهله ، ومَرَّ بي مرَّةً أخرَىٰ ، فاتَّبعْتُه ، فقَعدَ إلىٰ جَنبِ قَبرٍ غَيره ، ففَعلَ مثلَ ذلك .

فذَكرتُ ذلكَ لِمُحمَّدِ بنِ الْمُنْكَدِر ، وقُلتُ : إنَّما ظَنَنتُ أنَّه قَبرُ بَعضِ أهله ، فقالَ مُحمَّدُ : كلُّهم أهلُه وإخْوَتُه هو رَجلٌ يُحرِّكُ قَلبَه بذِكرِ الأمْواتِ كُلَّما عَرضَت له قَسْوَةٌ .

ماتَ صَفْوانُ سَنةَ اثنتَين وثَلاثينَ ومئة ، عاشَ اثْنَتين وسَبعينَ سَنةً(٢) .

٣ـ مُعَالجَةُ قَسْوَةُ القَلبِ بزِيارَةِ الصَّالحين :

رَوَىٰ مُعْتَمِرٌ عن أبيه : ما رَأيتُ أحداً قَطُّ أخْشَعَ من مُحمَّدِ بنِ واسِع ، وقالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ : كُنتُ إذا وَجَدتُ من قَلبي قَسْوَةً ، غَدَوتُ فنَظَرتُ إلىٰ وَجْهِ مُحمَّدِ بنِ واسِع كانَ كأنَّه ثَكْلَىٰ قالَ حَمَّادُ بنُ زَيْد : قالَ رَجلٌ لِمُحمَّدِ بنِ واسع : أَوْصِني قالَ : أُوصِيكَ أنْ تَكونَ مَلِكاً في الدُّنيا والآخِرَة قالَ : كيفَ ؟ قالَ : ازْهَدْ في الدُّنيا(٣) .

وعن ابنِ الْمُبارَك قالَ : إذا نَظَرتُ إلى الفُضَيْل ، جَدَّدَ لي الحُزنَ ، ومَقَتُّ نَفْسي ، ثم بَكَىٰ(٤) .

---

(١) انظر السير : (سَعيد بن جُبَير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٧/٥٠٦ .
(٢) انظر السير : (صَفْوان بن سُليم) ٥/ ٣٦٤ـ ٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦١٠ .
(٣) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٨ .
(٤) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧٨ .

٤ـ **مُعَالجَتُه بتَغْسيلِ المَوْتَىٰ :**

كانَ الْمُزَنِيُّ يُغَسِّلُ الْمَوْتَىٰ تعبُّداً واحْتِساباً وهو القائلُ : تَعانَيتُ غَسلَ الْمَوْتَىٰ لِيَرِقَّ قَلبي ، فصارَ لي عادَة ، وهو الذي غَسَّلَ الشَّافِعيَّ رَحمَهُ الله[١] .

٥ـ **البُعْدُ عن الخِصَال المُقْسِّيَة للقَلب :**

عن الفُضَيْلِ بنِ عِياض : خصلتان تُقسِّيان القلبَ : كثرَةُ الكَلامِ ، وكثرَةُ الأكلِ[٢] .

وقالَ أبو سُلَيْمانَ الدَّارانيُّ : لِكُلِّ شيء عَلَمٌ ، وعَلَمُ الخِذْلانِ تَركُ البُكاءِ ، ولِكُلِّ شيء صَدأٌ ، وصَدأُ القَلبِ الشِّبَع[٣] .

٦ـ **حِراسَةُ القَلْب :**

عن أبي حَفْص النِّيسَابُوريِّ قالَ : حَرَسْتُ قَلبي عِشْرينَ سَنةً ، ثُمَّ حَرَسَني عِشْرينَ سَنةً ثُمَّ وَرَدَتْ عليَّ وعليه حَالةٌ صِرْنا مَحْروسَينِ جَميعاً[٤] .

مِنْ وَسَائِل العِنَايَة بالقَلبِ

(أ) الاسْتِغْفَار :

١ـ **لَوَازِم الاسْتِغْفَار :**

قالَ يوسُفُ بنُ الحُسَين : سَمعتُ ذا النُّونِ الْمِصْريَّ يَقولُ : الاسْتغفارُ جامعٌ لِمَعانٍ ؛ أوَّلُها : النَّدمُ علىٰ ما مَضَىٰ ، والثَّاني : العَزْمُ على التَّرْك ، والثالثُ : أداءُ ما ضَيَّعْتَ من فَرْضِ الله ، والرابعُ : ردُّ الْمَظالِمِ في الأمْوالِ والأعْراضِ والْمُصالَحَةُ عليها ، والخامسُ : إذابَةُ كلِّ لَحمٍ ودَمٍ نَبَتَ على الحَرامِ ، والسَّادِسُ : إذاقَةُ ألَمِ الطَّاعَة كما وَجَدْتَ حَلاوَةَ الْمَعْصِيَة[٥] .

---

(١) انظر السير : (الْمُزَنيّ) ١٢/ ٤٩٢ـ٤٩٧ ، وانظر النزهة : ١٠٢٤/ ٥ .
(٢) انظر السير : (الفُضَيْل بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٩/ ٢ .
(٣) انظر السير : (أبو سُليمانَ الدَّاراني) ١٠/ ١٨٢ـ١٨٦ ، وانظر النزهة : ٨٦٥/ ٣ .
(٤) انظر السير : (أبو حَفْص النِّيسابوريّ) ١٢/ ٥١٠ـ٥١٣ ، وانظر النزهة : ١٠٢٥/ ٥ .
(٥) انظر السير : (ذو النُّون الْمِصْريّ) ١١/ ٥٣٢ـ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٩٦٨/ ٤ .

٢ـ الاسْتِغْفَارُ مَقَدَّمٌ على النَّوافِلِ :

سألَ أحدُهم أبا الفَرَجِ بنَ الجَوْزِي : أيُّهُما أفضلُ : أُسَبِّحُ أو أسْتَغفِرُ ؟ قالَ : الثَّوْبُ الوَسِخُ أحْوَجُ إلى الصَّابُونِ من البُخُورِ[١] .

٣ـ صُوَرٌ على الاسْتِغْفَار :

عن مَرْوانَ الأصْفَر ، سَمعَ الأحْنَفَ يَقولُ : اللَّهُمَّ إنْ تَغْفِرْ لي ، فأنتَ أهلُ ذاكَ وإنْ تُعَذِّبْني ، فأنا أهلُ ذاكَ[٢] .

وقالَ أبو بَكر بنُ أبي الدُّنيا : حَدَّثنا عليُّ بنُ أبي مَرْيم قالَ : قالَ رِياحُ القَيْسيُّ : لي نيِّفٌ وأرْبَعون ذَنباً ، وقد اسْتَغفَرتُ لكُلِّ ذَنبٍ مِئةَ ألفِ مرَّةٍ[٣] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ رابِعَةَ الشَّامِيَّة : عابدةٌ مَشْهُورَةٌ ، أصغرُ من رابِعَةَ العَدَويَّة ، قد تَدخُلُ حِكَاياتُ هـٰذه في حِكَاياتِ هـٰذه ، والثانيةُ هي القائلةُ ما رَوَىٰ أحمدُ بنُ أبي الحَوَاري عن عبَّاس بنِ الوَليدِ أنَّها قالَت : أسْتَغفِرُ اللهَ من قلَّةِ صِدْقِي في قَولي : أسْتَغْفِرُ الله[٤] .

٤ـ شِعْرٌ في الاسْتِغْفَار :

أوْصَىٰ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِيِّ أنْ يُكْتَبَ علىٰ قَبْرِه[٥] :

يَا كَثِيرَ العَفْوِ عَمَّنْ ... كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ
جَاءَكَ المُذْنِبُ يَرْجُو ال ... صَّفْحَ عَنْ جُرْمِ يَدَيْهِ
أنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ ال ... ضَّيْفِ إحْسَانٌ إلَيْهِ

---

(١) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزيّ) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٣٤ .
(٢) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٤/٤٥١ .
(٣) انظر السير : (رِياح) ٨/ ١٧٤ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤١ .
(٤) انظر السير : (رَابِعَة الشَّاميَّة) ٨/ ٢٤٣ـ ٢٤٤ ، وانظر النزهة : ١/٧٤٨ .
(٥) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزيّ) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٣٦.

(ب) تَذْلِيلُ النَّفْسِ ومُجَاهَدَتُها :

١ـ خِلافُ هَوَى النَّفْسِ عَملٌ عَظيم :

عن أبي سُلَيمانَ الدَّاراني قالَ : أفضَلُ الأعْمالِ خِلافُ هَوَى النَّفسِ[١] .

٢ـ صُوَرٌ من مُجَاهَدة النَّفْس :

عن ابنِ الْمُنْكدِرِ قالَ : كابَدتُ نَفسي أرْبَعين سَنةً حتَّى اسْتَقامَت[٢] .

٣ـ مَنْ كان مَشْهُوراً بتَذْليلِ نَفْسِه ومُجَاهَدَتِها :

قالَ السُّلميُّ : كانَ يُوسُفُ بنُ الحُسَين إمَامَ وَقتِه ، لَمْ يَكُنْ في الْمَشَايخِ أحَدٌ علىٰ طَريقَتِه في تَذليلِ النَّفسِ وإسْقاطِ الجَاه[٣] .

٤ـ الإزْراءُ على النَّفْسِ طَريقَةٌ ـ أحْياناً ـ لتَذْليلِها :

قال عُبَيدُ الله بنُ عُمَر بنِ حَفْص : إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب حَمَلَ قِرْبَةً علىٰ عُنُقِه ، فقِيلَ له في ذلك فقالَ : إنَّ نَفسي أعْجَبَتني فأرَدْتُ أنْ أُذِلَّها[٤] .

قالَ عبدُ الله بنُ بَكر بنِ عبدِ الله : سَمعتُ إنْسَاناً يُحدِّثُ عن أبي أنَّه كانَ وَاقِفاً بعَرَفَة ، فرَقَّ فقالَ : لَوْلا أنِّي فيهم لقُلتُ : قد غُفِرَ لهم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : كَذلكَ يَنبغي للعَبدِ أنْ يُزري علىٰ نَفسِه ويَهضِمَها[٥] .

وعن خالِدِ بنِ مَعْدان ، قال : لا يَفقَهُ الرجلُ كلَّ الفِقْه حتىٰ يَرى النَّاسَ في جَنبِ الله أمثالَ الأباعِر ، ثم يَرجعُ إلىٰ نَفسِه فيكونُ لها أحْقَرَ حاقِر[٦] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ عَطاء السَّلِيميِّ ، وقيلَ : كان إذا جاءَ بَرْقٌ وريحٌ ، قالَ : هـٰذا منْ

---

(١) انظر السير : (أبو سُليمان الدَّاراني) ١٠/ ١٨٢ـ١٨٦ ، وانظر النزهة : ٢/٨٦٥ .
(٢) انظر السير : (محمّد بن الْمُنكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٨/٦٠٧ .
(٣) انظر السير : (يوسُف بن الحُسين) ١٤/ ٢١٧ ، وانظر النزهة : ٦/١١٤٧ .
(٤) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٥٠ .
(٥) انظر السير : (بَكر بن عبد الله) ٤/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٠ .
(٦) انظر السير : (خالد بن مَعْدان) ٤/ ٥٣٦ـ ٥٤١ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٢ .

أجْلي يُصيبكم لَوْ مِتُّ اسْتَراحَ النَّاسُ ، ولِعَطاءَ حِكاياتٌ في الخَوْفِ وإزْرائه علىٰ نَفسِه[1] .

وقالَ ابنُ واسعٍ : لو كانَ للذُّنوبِ ريحٌ ما جَلسَ إليَّ أحَدٌ[2] .

وقيلَ له : كيف أصْبَحتَ ؟ قالَ : قَريباً أجَلي ، بَعيداً أمَلي ، سَيِّئاً عَملي[3] .

وعن عُتبة الغُلامِ قالَ : إنَّما أبْكي علىٰ تَقْصيري[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أحمدَ بنِ يَحْيَى الشَّيباني الْمَشهورِ بـ « ثَعْلب » : وكانَ يُزْري علىٰ نفَسِه ، ولا يَعُدُّ نفسَه[5] .

وقيلَ في تَرجَمَةِ اليُونيني : كانَ يقولُ للشَّيخِ الفَقيه تِلْميذِه : فيَّ وفيكَ نَزَلَتْ ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[6] .

تُوفِّيَ سنَةَ سبع عَشْرَة وستِّ مئة ، وهو صائمٌ ، وقد جاوَزَ ثَمانينَ سَنَةً ، رَحِمَه الله تَعالَىٰ[7] .

٥ـ شِعْرٌ في الإزْراءِ على النَّفْس :

أنْشَدَ الإمَامُ الوَاعِظُ ابنُ البَلِّ[8] :

يَتــوبُ عَلــىٰ يَــدَيَّ قَــومٌ عُصَــاةٌ ... أَخَــافَتْهُــم مِــنَ البَــارِي ذُنُــوبُ
وقَلْبِــي مُظْلِــمٌ مِــنْ طُــولِ مَــا قَــدْ ... جَنَــىٰ فَــأَنَــا علــىٰ يَــدِ مَــنْ أَتُــوبُ
كَــأَنِّــي شَمْعَــةٌ مَــا بَيْــنَ قَــوْمٍ ... تُضِــيءُ لَهُــمْ وَيَحْـرِقُهَــا اللَّهِيــبُ
كَــأَنِّــي مِخْيَــطٌ يَكْسُــو أُنَــاســاً ... وَجِسْمِــي مِــنْ مَــلاَبِسِــهِ سَلِيــبُ

(١) انظر السير : (عَطاء السَّلِيميّ) ٦/ ٨٦ـ ٨٨ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٤ .
(٢) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٨ .
(٣) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٨/٦٣٨ .
(٤) انظر السير : (عُتْبة الغُلام) ٧/ ٦٢ـ ٦٣ ، وانظر النزهة : ١٠/٦٧٦ .
(٥) انظر السير : (ثَعْلب) ١٤/ ٥ـ ٧ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢١ .
(٦) سورة التوبة ، الآية : ٣٤ .
(٧) انظر السير : (اليُونيني) ٢٢/ ١٠١ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٦٩ .
(٨) انظر السير : (ابنُ البَلّ) ٢٢/ ٧٥ـ ٧٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٦ .

(ج) ذِكرُ الله سُبْحانَه وتَعالَىٰ :

١ـ فَائدَةُ الذِّكر :

عن أبي جَعْفَر البَاقِر قالَ : الصَّواعِقُ تُصيبُ الْمُؤمِنَ وغَيرَ الْمُومِنِ ، ولا تُصيبُ الذَّاكِرَ[١] .

٢ـ كيف يَتعَوَّدُ الإنْسَانُ الذِّكر :

قال محمَّدُ بنُ أبي عَدي : أقْبلَ عَلينا دَاوُدُ بنُ أبي هِنْد فقالَ : يا فِتْيانُ أُخْبرُكم لَعلَّ بَعضَكم أنْ يَنتَفعَ به كُنتُ وأنا غُلامٌ أخْتلِفُ إلى السُّوقِ فإذا انْقلبتُ إلى البَيتِ ، جَعلتُ علىٰ نَفسي أنْ أذْكُرَ اللهَ إلىٰ مَكانِ كَذا وكَذا ، فإذا بَلغتُ إلىٰ ذلكَ الْمَكانِ ، جَعلتُ علىٰ نَفسي أنْ أذْكُرَ اللهَ كَذا وكَذا حتىٰ آتيَ الْمَنْزِل[٢] .

٣ـ مَتىٰ يُعَدُّ الإنْسَانُ ذاكراً لله :

عن سَعيدِ بنِ جُبَير ، قالَ : إنَّ الخَشْيَةَ أنْ تَخشَى اللهَ حتّىٰ تَحُولَ خَشيتُكَ بَينَك وبَينَ مَعصيَتِك ، فتلكَ الخَشيَةُ ، والذِّكْرُ طَاعَةُ اللهِ ، فمَنْ أطاعَ اللهَ ، فقد ذَكرَه ، ومَنْ لَمْ يُطِعْه فلَيسَ بذَاكِر وإنْ أكْثَرَ التَّسْبيحَ وتِلاوَة القُرآن[٣] .

٤ـ أقْوَالٌ جَميلَةٌ تَحُثُّ على الذِّكر :

رَوىٰ مِسْعَر عن ابنِ عَوْن قال : ذِكرُ الناس دَاءٌ ، وذِكرُ اللهِ دَواءٌ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : إي واللهِ ، فالعَجَبُ مِنَّا ومن جَهْلِنا كيفَ نَدَعُ الدَّواءَ ونَقْتَحمُ الدَّاءَ ؟! قالَ تَعالَىٰ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[٤] ، وقالَ : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٥] ، وقالَ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[٦] ، ولكن

---

(١) انظر السير : (أبو جَعْفَر الباقِر) ٤/٤٠١ـ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٦/٥٢٣ .

(٢) انظر السير : (داوُد بن أبي هِنْد) ٦/٣٧٦ـ٣٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٩ .

(٣) انظر السير : (سَعيدُ بنُ جُبَير) ٤/٣٢١ـ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٨/٥٠٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٥٢ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

(٦) سورة الرعد ، الآية : ٢٨ .

لا يَتهيَّأ ذلك إلاَّ بتوفيقِ الله ومَنْ أدْمَنَ الدُّعاءَ ولازَمَ قَرْعَ البابِ فُتِحَ له .

وقد كانَ ابنُ عَوْن قد أُوتِيَ حِلْماً وعِلْماً ونَفْسُه زَكيَّة تُعينُ على التَّقْوَىٰ فطُوبَىٰ له[1] .

وقالَ عبدُ الله بنُ مُحمَّد الكَرْماني : دَخلتُ علىٰ محمّدِ بنِ النَّضْر ، فقُلتُ : كأنَّكَ تَكرَهُ مُجالَسَةَ النَّاسِ قالَ : أجَلْ ، كَيفَ أسْتَوْحِشُ ، وهو يَقولُ : أنا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني[2] ؟!

وقالَ إبراهيمُ بنُ عَليٍّ الْمُرَيْديُّ : سَمعتُ أبا حَمْزَةَ يَقولُ : مِن الْمُحَالِ أنْ تُحِبَّه ثم لا تَذكُره ، وأنْ تَذْكُرَه ثم لا يُوجِدكَ طَعمَ ذِكرِه ، ويُشْغِلكَ بغَيرِه[3] .

٥ـ تَقْييدُ الذِّكرِ بعَددٍ مُعيَّن :

عن ابنِ حَلْبَس : قيلَ لأبي الدَّرْداءِ ـ وكانَ لا يَفتُرُ من الذِّكْر ـ كَمْ تُسَبِّح في كُلِّ يَومٍ ؟ قالَ : مِئةَ ألفٍ ، إلاَّ أنْ تُخطىء الأصابعُ[4] .

وعن عِكْرِمَةَ : أنَّ أبا هُرَيْرَة رضي الله عنه كانَ يُسَبِّحُ كُلَّ يَومٍ اثْني عَشرَ ألفَ تَسْبيحَة ، يَقولُ : أُسَبِّحُ بقَدرِ دِيَتي .

عن حُمَيدِ بنِ مالِكِ بنِ خُثَيم ، قالَ : كُنتُ جالساً عند أبي هُرَيْرَة في أرْضِه بالعَقيقِ ، فأتاه قَومٌ ، فنزَلوا عندَه قالَ حُمَيد : فقالَ : اذْهَبْ إلىٰ أُمِّي ، فقُلْ : إنَّ ابنَك يُقرِئُكِ السَّلامَ ، ويَقولُ : أطْعِمينا شَيئاً قالَ : فوَضَعَت ثَلاثَةَ أقْراصٍ في الصَّحْفَة ، وشَيئاً من زَيتٍ ومِلْح ووَضَعَتْها علىٰ رَأسي ، فحَمَلتُها إليهم .

فلمَّا وَضَعتُه بين أيديهم ، كبَّر أبو هُرَيْرَة ، وقالَ : الحَمدُ لله الذي أشْبَعَنا من الخُبزِ ، بعدَ أنْ لَمْ يَكُنْ طَعامُنا إلاَّ الأسْوَدَينِ : التَّمرُ والماءُ .

فلَمْ يُصِبِ القَومُ من الطَّعامِ شَيئاً ، فلَمَّا انْصَرَفوا قالَ : يا ابنَ أخي ، أحْسِنْ إلىٰ غَنَمِك ، وامْسَحْ عنها الرُّعَام ، واطْلُبْ مُراحَها ، وصَلِّ في ناحِيَتِها ، فإنَّها من دَوَابِّ

(١) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٦٥٧ .
(٢) انظر السير : (محمّد بن النَّضْر) ٨/ ١٧٥ـ ١٧٦ ، وانظر النزهة : ٧/٧٤١ .
(٣) انظر السير : (أبو حَمْزَة البَغْداديّ) ١٣/ ١٦٥ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٦٧ .
(٤) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٢/٢٧٢ .

الجَنَّة والذي نَفسي بيَدِه ، يُوشِكُ أنْ يَأتيَ على النَّاسِ زَمانٌ تَكونُ الثُّلَّةُ من الغَنَم أحبُّ إلىٰ صاحبِها من دَارِ مَرْوانَ[1] ،[2] .

٦ـ ذِكرُ المَلائكة لله :

عن هارُونَ بنِ رئاب ، قالَ : حَمَلَةُ العَرْش ثَمانيَة ، يَتجاوَبُونَ بصَوتٍ رَخيمٍ حَسَنٍ ، يَقولُ أرْبَعةٌ : سُبْحانَكَ وبحَمْدِكَ علىٰ حِلْمِكَ بعدَ عِلْمِك ويَقولُ الآخَرُونَ : سُبْحانَكَ وبحَمْدِكَ علىٰ عَفْوِكَ بعدَ قُدْرَتك[3] .

٧ـ حَالُ السَّلَفِ مع الذِّكر :

وقيل : كان أبو مُسلم الخولاني يَرفعُ صَوتَه بالتَّكْبير حتىٰ مع الصِّبيان ، ويقولُ : اذْكُرِ اللهَ حتىٰ يَرى الجاهلُ أنكَ مَجْنون[4] .

وقالَ قُرَّة : كان هِجِّيرىٰ[5] . الضَّحَّاك إذا سَكتَ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله[6] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مَعْروف الكَرْخي : وقَصَّ إنسانٌ شاربَ مَعْروف ، فلم يَفْتُر عن الذِّكْرِ ، فقال : كيفَ أقُصُّ ؟ قال : أنتَ تَعْمَلُ وأنا أعْمَلُ[7] .

وقالَ زَكريا بنُ دَلُّوَيْه : كانَ أحمدُ بنُ حَرْب إذا جَلسَ بين يَدَي الحَجَّام لِيُحْفِي شَارِبَه ، يُسَبِّحُ ، فيَقولُ له الحَجَّامُ : اسْكُتْ ساعَة ، فيَقولُ : اعْمَلْ أنتَ عَملَك ، ورُبَّما قَطعَ من شَفَتِه ، وهو لا يَعلَم[8] .

وقالَ أبو القاسِم عبدُ الله بنُ عَليّ ، أخُو نِظام الْمُلك : كانَ أبو الحَسَن الدَّاوُودي

---

(١) الرُّعَام : مخاط رقيق يجري من أنوف الغنم ، وأطبْ مراحها : نَظِّفْه ، والثُّلَّة : جماعة من الغَنم ، قليلة كانت أو كثيرة ، وقيل ، الثُّلَّة : الكثيرُ منها .

(٢) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/ ٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٣١٢ .

(٣) انظر السير : (هارون بن رئاب) ٥/ ٢٦٣ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٠ .

(٤) انظر السير : (أبو مسلم الخَولاني) ٤/ ٧ـ ١٤ ، وانظر النزهة : ٣/٤٣١ .

(٥) الهجير والهجيرىٰ : الدأبُ والعادة والديْدَن.

(٦) انظر السير : (الضَّحَّاك بن مُزاحِم) ٤/ ٥٩٨ـ ٦٠٠ ، وانظر النزهة : ٥/٥٦٦ .

(٧) انظر السير : (مَعْروف الكَرْخيّ) ٩/ ٣٣٩ـ ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٥/٨٢٦ .

(٨) انظر السير : (أحمَد بن حَرْب) ١١/ ٣٢ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٩٠٥ .

لا تَسكُنُ شَفتُه من ذِكْر الله ، فحُكي أنَّ مُزَيِّناً أرادَ قَصَّ شَارِبه ، فقالَ : سَكِّنْ شَفتَيكَ ، قالَ : قُلْ للزَّمانِ حتَّىٰ يَسْكُن[1] .

٨ـ رُؤْيا تَحُثُّ على الذِّكر :

قالَ ابنُ السَّمَّاك : رَأيتُ مِسْعَراً في النَّوم ، فقُلتُ : أيُّ العَمَل وَجَدتَ أنْفَع ؟ قالَ : ذِكْرُ الله ، تُوفِّيَ سَنَةَ خَمسٍ وخَمسينَ ومِئة[2] .

(٨) من أسْباب مَوْت القَلْب

(أ) الذُّنُوب :

١ـ ذُلُّ الذُّنُوب :

رُويَ عن سُلَيْمانَ التَّيميّ قالَ : إنَّ الرجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فيُصبِحُ وعَليه مَذَلَّته .

تُوفِّيَ سُلَيمانُ التَّيميُّ بالبَصْرَة سَنَةَ ثَلاثٍ وأرْبَعين ومئة ، ابنَ سَبْعٍ وتسعينَ سَنةً[3] .

٢ـ صُعُوبَة تَرْك الذُّنُوب لمَنْ لمْ يَعْتَصِم بالله :

عن يَحْيَىٰ بنِ مُعاذ ، قالَ : مِسْكينٌ ابنُ آدَم ، قَلعُ الأحْجَارِ أهْوَنُ عليه من تَركِ الأوْزارِ[4] .

٣ـ مَنْ نَدُرَتْ ذُنوبُه :

عن خارِجَةَ بنِ مُصْعَب قالَ : صَحبتُ ابنَ عَوْن أرْبَعاً وعِشْرينَ سَنَةً ، فمَا أعلَمُ أنَّ المَلائكَةَ كَتبَت عَليه خَطيئةً .

وعن سَلامِ بنِ أبي مُطيع قالَ : كانَ ابنُ عَوْن أمْلَكَهم لِلِسَانِه[5] .

---

(١) انظر السير : (الدَّاووديّ) ١٨/ ٢٢٢ـ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٦ .

(٢) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٠ .

(٣) انظر السير : (سُليمانُ بن طَرْخان) ٦/ ١٩٥ـ٢٠٢ ، وانظر النزهة : ١/٦٤٢ .

(٤) انظر السير : (يَحْيَى بن مُعاذ) ١٣/ ١٥ـ١٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٤٧ .

(٥) انظر السير : (عبد الله بن عَون) ٦/ ٣٦٤ـ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٦ .

٤ـ معرفة الصَّالحين أنَّ سَبب البَلاء الذُّنوب :

عن مُحمَّد بنِ سِيرينَ قالَ : قُلتُ لِرَجُلٍ : يا مُفْلِسُ ، فعُوقِبتُ .

قالَ أبو سُليمان الدَّاراني ، وبَلَغَه هـٰذا فقالَ : قَلَّتْ ذُنوبُ القَوْمِ فعَرَفوا من أيْنَ أُتُوا ، وكَثُرَتْ ذُنوبُنا فلَمْ نَدْرِ من أيْنَ نُؤتَىٰ[1] .

وقالَ الفِرْيابيُّ : سَمعتُ الأوْزاعيَّ وسُفيانَ الثَّوريَّ يَقولان : لَمَّا أُلقِيَ دَانيالُ في الجُبِّ مع السِّباعِ ، قالَ : إلـٰهي! بالعَارِ والخِزْيِ الذي أصَبْنا سَلَّطتَ علينا مَنْ لا يَعرِفُك[2] .

ورُوِيَ عن وَكيعٍ أنَّ رَجُلاً أغْلَظَ له ، فدَخلَ بَيتاً ، فعَفَّرَ وَجْهَه ثم خَرجَ إلى الرجُلِ ، فقالَ : زِدْ وَكيعاً بذَنْبِه ، فلَوْلاه ما سُلِّطتَ عليه[3] .

وقال ابنُ فارس : سَمعتُ القَطَّانَ يَقولُ : أُصِبتُ ببَصري ، وأظنُّ أنِّي عُوقِبتُ بكَثْرَةِ كَلامي أيَّامَ الرِّحْلَةِ[4] .

قال الذهبيُّ : صَدقَ والله ، فقد كانوا مع حُسْنِ القَصْد ، وصِحَّة النِّيَّة ـ غالباً ـ يَخافونَ من الكَلام ، وإظْهارِ المَعرِفَة والفَضيلَة ، واليومَ يُكثرون الكَلامَ مع نَقْصِ العِلمِ ، وسُوءِ القَصْدِ ، ثمَّ إنَّ اللهَ يَفضَحُهم ويَلُوحُ جَهلُهم وهَواهُم واضْطرابُهم فيما عَلِمُوه فنَسألُ اللهَ التَّوفيقَ والإخْلاصَ .

تُوفِّيَ هـٰذا الإمامُ في سنةِ خَمس وأربعينَ وثلاثِ مئة[5] .

(ب) المَعَاصِي :

١ـ أقْسَامُ المَعَاصِي :

من كلامِ مُحمَّدِ بنِ نَصْر قالَ : لَمَّا كانت الْمَعاصي بَعضُها كفْراً وبَعضُها ليس بكفْر ، فرَّق تَعالىٰ بَينها ، فجَعلَها ثَلاثَةَ أنْواع : فنَوعٌ منها كفرٌ ، ونَوعٌ منها فُسُوقٌ ، ونَوعٌ منها

---

(١) انظر السير : (محمّد بن سيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٦٩ .
(٢) انظر السير : (سُفْيان الثَّوريّ) ٧/٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٩٩ .
(٣) انظر السير : (وَكيع) ٩/١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨١١ .
(٤) انظر السير : (القَطَّان) ١٥/٤٦٣ـ ٤٦٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥٠ .
(٥) انظر السير : (القَطَّان) ١٥/٤٦٣ـ ٤٦٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٠ .

عِصْيانٌ لَيسَ بكفرٍ ولا فُسُوقٍ ، وأخْبَرَ أنّه كَرَّهَها كُلَّها إلى المؤمنينَ ، ولَمَّا كانت الطَّاعاتُ كُلُّها داخِلةً في الإيمانِ ، وليس فيها شَيءٌ خارجٌ عنه ، لَمْ يُفرِّق بينها ، فما قالَ : حَبَّبَ إليكم الإيمانَ والفَرائضَ وسَائرَ الطَّاعات ، بل أجْمَلَ ذلك فقالَ : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾[1] فدَخلَ فيه جَميعُ الطَّاعاتِ ، لأنَّه قد حَبَّبَ إليهم الصَّلاةَ والزَّكَاةَ ، وسَائرَ الطَّاعات حُبَّ تَدَيُّن ، ويَكْرَهونَ الْمَعاصي كَراهيَةَ تَدَيُّن ، ومنه قَولُه صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ »[2] .

٢ـ التَّحْذيرُ من المَعَاصِي :

قالَ شُعَيبُ بنُ حَرْب : قالَ عُمَرُ بنُ ذَر : يا أهْلَ مَعاصي الله ، لا تَغْتَرُّوا بطُولِ حِلمِ الله عَنكم ، واحْذَروا أسَفَه ، فإنَّه قالَ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[3]،[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّد بنِ جَرير : ولأبي جَعْفَر في تآليفه عِبارَةٌ وبَلاغَةٌ ، فمِمَّا قالَه في كتابٍ : « الآدَاب النَّفيسَة والأخْلاقِ الحَميدَة » : القَولُ في البَيان عن الحَالِ الذي يَجبُ على العَبدِ مُراعاةُ حَالِه فيما يَصدُرُ من عَملِه لله عن نَفسِه ، قالَ : إنَّه لا حَالَةَ من أحْوالِ المؤمن يَغفُلُ عَدوُّه الْمُوكلُ به عن دُعائه إلىٰ سَبيله ، والقُعودِ له رَصداً بطُرق رَبِّه الْمُستَقيمَة ، صاداً له عنها ، كمَا قالَ لربِّه ـ عزَّ ذِكْرُه ـ إذْ جَعلَه من الْمُنْظَرين : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[5] .

طَمَعاً منه في تَصْديقِ ظنِّه عليه إذ قالَ لرَبِّه : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[6] .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٧ .
(٢) انظر السير : (محمَّد بن نَصْر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٥ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٥٥ .
(٤) انظر السير : (عُمَر بن ذَر) ٦/ ٣٨٥ـ ٣٩٠ ، وانظر النزهة : ٥/٦٦٠ .
(٥) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٦ ، ١٧ .
(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٦٢ .

فحَقٌّ علىٰ كُلِّ ذي حِجىً أنْ يُجهِدَ نَفسَه في تَكذيب ظَنِّه ، وتَخييبه منه أمَلَه وسَعيَه فيما أرْغَمَه ، ولا شَيءَ من فِعْلِ العَبدِ في مَكرُوهِهِ من طاعَتِه ربَّه وعِصْيانِه أمْره ولا شَيءَ أسَرُّ إليه من عِصيانِه رَبَّه ، واتِّباعِه أمْرَه .

فكَلامُ أبي جَعْفَر من هـٰذا النَّمَط ، وهو كَثيرٌ مُفيدٌ[1] .

٣ـ الحَثُّ علىٰ تَرْك المَعَاصِي :

عن الحَسَن البَصْري قال : يا ابنَ آدَم ، والله إنْ قَرأتَ القُرآنَ ثم آمَنتَ به ليَطُولَنَّ في الدُّنيا حُزنُك ، ولَيَشْتَدَنَّ في الدُّنيا خَوفُك ، ولَيَكثُرَنَّ في الدُّنيا بُكاؤُك[2] .

قالَ العِمادُ : حَدَّثني سَعْدٌ الكاتِبُ بمِصْرَ ، قالَ : كانَ الجُوَيْنيُّ صَديقي ، وكان يَشرَبُ الخَمرَ ، فحَدَّثني أنَّه كانَ يَكتبُ مُصْحَفاً ، وبَينَ يَدَيه مِجْمَرَةٌ وقِنِّينَةُ خَمْر ، ولَمْ يَكن بقُربي ما أُنَدِّي به الدَّواةَ فصَبَبْتُ من القِنِّينَةِ في الدَّوَاةِ ، وكَتبتُ وِجْهَةً ونَشَّفْتُها على الْمِجْمَرَةِ ، فصَعَدَت شَرارَةٌ أحْرَقَت الخَطَّ دُون بَقيَّة الوَرَقَة ، فرعبتُ وقُمتُ ، وغَسَلتُ الدَّواةَ والأقْلامَ ، وتُبتُ إلى الله .

ماتَ سَنةَ سِتٍّ وثَمانينَ وخَمسِ مِئة[3] .

٤ـ عاقبَةُ المَعَاصِي :

عن ابنِ جُبير ، عن أبيه ، قالَ : لَمَّا فُتحت قبرس مُرَّ بالسَّبي علىٰ أبي الدَّرْداء فَبَكىٰ ، فقُلتُ له : تَبكي في مثل هـٰذا اليَوم الذي أعَزَّ اللهُ فيه الإسْلامَ وأهلَه ؟ قالَ : يا جُبيرُ ، بَيْنا هـٰذه الأمَّة قَاهِرَةٌ ظاهِرَةٌ إذْ عَصَوا اللهَ ، فلَقُوا ما تَرَىٰ ما أهْوَنَ العِبادَ على اللهِ إذا هم عَصَوْه[4] .

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٥/١١٥٢ .
(٢) انظر السير : (الحَسن البَصْري) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٦/٥٦٠ .
(٣) انظر السير : (الجُوَيْنيُّ) ٢١/ ٢٣٣ـ ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦١٥ .
(٤) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ١/٢٧٣ .

٥ـ المَعَاصِي بَرِيدُ الكفْر :

قالَ الأسْتاذُ أبو حَفْص النِّيسابُورِيُّ : الْمَعاصي بَرِيدُ الكُفْر ، كما أنَّ الحُمَّىٰ بَرِيدُ الْمَوتِ[١] .

٦ـ تَركُ المَعَاصِي شَديد ، وفِعْلُ الطَّاعات هَيِّن :

عن أبي حامد الغَزَّالي قالَ : اعْلَمْ أنَّ الدِّينَ شَطْرانِ : أَحَدُهما تَركُ الْمَناهي ، والآخَرُ فِعلُ الطَّاعات ، وتَركُ الْمَناهي هو الأشَدُّ ، والطَّاعاتُ يَقدِرُ عليها كلُّ أَحَد ، وتَركُ الشَّهَوَاتِ لا يَقدِرُ عليها إلاَّ الصِّدِّيقونَ ، ولذلك قالَ صلى الله عليه وسلم : « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ »[٢] .

٧ـ عاقِبَةُ التَّحَبُّب إلى العِباد بالمَعَاصِي :

قالَ الإمَامُ سَعيدُ بنُ الحَدَّاد : مَنْ طَالَت صُحبَتُه للدُّنيا وللنَّاسِ فقد ثَقُلَ ظَهرُه خابَ السَّالُونَ عن الله الْمُتَنَعِّمُونَ بالدُّنيا ، مَنْ تَحَبَّبَ إلى العِبادِ بالْمَعَاصِي بَغَّضَهُ اللهُ إليهم[٣] .

٨ـ المَعَاصِي تَجلبُ بُغْضَ الله والعِباد :

عن ابنِ أبي لَيْلىٰ ، قالَ : كتبَ أبو الدَّرْداء إلىٰ مَسْلَمَةَ بنِ مَخْلَد : سَلامٌ عَليكَ ، أمَّا بعد : فإنَّ العَبدَ إذا عَمِلَ بمَعْصِيَةِ اللهِ أبْغَضَهُ اللهُ ، فإذا أبْغَضَهُ اللهُ بَغَّضَهُ إلىٰ عِبادِه[٤] .

* * *

---

(١) انظر السير : (أبو حَفْص النِّيسابوريّ) ١٢/ ٥١٠ـ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٢٥ .
(٢) انظر السير : (الغَزَّاليُّ) ١٩/ ٣٢٢ـ٣٤٦ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٤ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الحَدَّاد) ١٤/ ٢٠٥ـ ٢١٤ ، وانظر النزهة : ٢/١١٤٦ .
(٤) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ١/٢٧١ .

(٩) حَاجاتُ الإنْسان الضَّروريَّة
وحَالُ الصَّالحين مَعها

(أ) الطَّعَامُ والشَّراب :

١ـ الجُوعُ غَيرُ المُفرِط وفائدتُه :

قالَ أبو بَكْر الْمَرْوزيُّ : سَمعتُ بِشْرَ بنَ الحَارِثِ يَقولُ : الجُوعُ يُصَفِّي الفُؤادَ ، وَيُمِيتُ الهَوىٰ ، وَيُورِثُ العِلمَ الدَّقيقَ(١) .

٢ـ الجُوعُ المُفْرِط وعاقِبتُه :

قال مكِّيُّ بنُ عمر البيِّع : سمعتُ محمدَ بنَ عيسىٰ يقولُ : صامَ طاهرٌ أربعين يوماً أربعينَ مرّةً ، فآخرُ أربعينَ عَملَها صام علىٰ قِشرِ الدُّخنِ ، فَلِيُبْسِه قَرِعَ رأسُه ، واختلَطَ في عقلِه ، ولم أرَ أكثرَ مجاهدةً منه .

قال الإمامُ الذهبيُّ : فِعْلُ هـٰذه الأربعينات حرامٌ قطعاً ، فعُقباها مَوتٌ من الخَوَر ، أو جُنونٌ واختلاط ، أو جَفافٌ يُوجبُ للمَرء سَماعَ خِطابٍ لا وُجودَ له أبداً في الخارج فيَظنُّ صاحبُه أنَّه خطابٌ إلِّي(٢) ، كلا والله .

وقال ابنُ زيرك : حضرتُ مَجْلساً ذُكرَ فيه الجَصَّاصُ ، فبعضُهم نَسَبَه إلى الزَّنْدَقة ، وبعضُهم نَسَبَه إلى المَعْرفَة .

وقيل : كان تَركَ اللَحْمَ والخُبْزَ ، فحُوقِقَ في ذلك ، فقال : إذا أكلتُها طالَبتني نفسي بتقبيل أمرد مليح .

وكان عليه قملٌ مفرطٌ ، ولا يقتُله ، ويقول : لا يُؤذيني .

---

(١) انظر السير : (بِشْر بن الحَارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٥ .

(٢) أي إلـٰهي ، فقد جاء في اللسان : الإلُّ : اللهُ عزَّ وجلَّ ، والمعنىٰ أنه مما يوسوس له يخيل إليه أنه يسمع كلاماً ويظنُّ أن اللهَ يُخاطبُه به .

تُوفِّيَ سنة ثمان عشرة وأربع مئة ، وقَبْرُه يُزارُ بهَمَذان[1] .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ الأبْهَرِيِّ : وقيلَ إنَّه عَملَ له خَلوةً ، فبَقيَ خَمسينَ يَوماً لا يَأكلُ شَيئاً وقد قُلنا : إنَّ هـٰذا الجُوعَ الْمُفرِط لا يَسوغُ ، فإذا كانَ سَردُ الصِّيامِ والوِصَالِ قد نُهِيَ عنهما ، فما الظَّنُّ وقد قالَ نَبيُّنا صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعِ ؟ » ثم قَلَّ مَنْ عَملَ هـٰذه الخَلَواتِ الْمُبتَدَعَة إلاَّ واضْطَربَ ، وفَسدَ عَقلُه ، وجَفَّ دِماغُه ، ورَأىٰ مَرأىً ، وسَمعَ خِطاباً لا وُجودَ له في الخارج ، فإنْ كانَ مُتَمَكناً من العِلمِ والإيمانِ ، فلَعلَّه يَنجُو بذلك من تَزَلْزُلِ تَوْحيدِه ، وإنْ كانَ جاهِلاً بالسُّنَن وبقَواعِد الإيْمَان تَزَلْزَلَ توحيدُه ، وطَمعَ فيه الشَّيْطانُ ، وادَّعَى الوُصُولَ ، وبَقيَ علىٰ مَزَلَّةِ قَدَم ، ورُبَّمَا تَزَنْدَقَ ، وقالَ : أنا هو ، نَعُوذُ باللهِ من النَّفسِ الأمَّارَة ومن الهَوَىٰ ، ونَسألُ اللهَ أنْ يَحفَظَ عَلينا إيْمانَنَا آمين[2] .

٣ـ الاعْتدالُ في تَناوُل المُباحات :

قالَ مُبارَك عن الحَسَنِ : دَخلَ عُمَرُ رضي الله عنه على ابنِه عاصِم وهو يَأكُلَ لَحْماً ، فقالَ : ما هـٰذا ؟!! قالَ : قَرِمْنا[3] . إليه ، قالَ : أوَكُلَّما قَرِمْتَ إلىٰ شَيءٍ أكلتَه ؟!! ، كَفَىٰ بالْمَرْءِ سَرَفاً أنْ يَأكُلَ كُلَّ ما اشْتَهَىٰ[4] .

٤ـ مَساوِىءُ الشِّبَع :

قالَ شُرَحْبيلُ بنُ مُسْلم ، عَن عَمرِو بنِ الأسْوَد العَنْسيِّ ، أنَّه كانَ يَدَعُ كَثيراً من الشِّبَع مَخافَةَ الأشَر[5] .

قالَ أبو عَوَانَة الإسْفَراييني : حدَّثنا الرَّبيعُ : سَمعتُ الشَّافِعيَّ يقولُ : ما شَبعتُ منذ

---

(١) انظر السير : (الجَصَّاص) ١٧/ ٣٩٠ـ٣٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٤٦ .
(٢) انظر السير : (الأبْهَري) ١٧/ ٥٧٦ـ٥٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٦٥ .
(٣) القَرَم : شدَّة الشَّهْوَة إلى اللَّحْم .
(٤) انظر السير : (عُمر بن الخطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٤٦ .
(٥) انظر السير : (عَمرو بن الأسْوَد) ٤/ ٧٩ـ ٨١ ، وانظر النزهة : ١/٤٤٨ .

سِتَّ عَشرَةَ سَنةً إلاَّ مَرَّةً ، فأدْخَلتُ يَدي فتَقيَّأتُها[1] .

رَوَاها ابنُ أبي حاتمٍ عن الرَّبيعِ ، وزادَ : لأنَّ الشِّبَعَ يُثقِّلُ البَدنَ ، ويُقَسِّي القَلبَ ويُزيلُ الفِطنَةَ ، ويَجلبُ النَّومَ ، ويُضعِفُ عن العِبادَةِ[2] .

٥ـ مَنْ ماتَ بسَبب الطَّعَام :

قالَ محمَّدُ بنُ جَرير الطَّبَريُّ : خَرجَ ابنُ مَعين حاجّاً ، وكانَ أكُولاً فحَدَّثني أبو العَبَّاس أحمَدُ بنُ شاه أنَّه كانَ في رِفْقَتِه ، فلمَّا قَدِموا فَيْدَ أُهْدِيَ إلىٰ يَحْيَىٰ فَالَوْذَج لَمْ يَنضُجْ ، فقُلنا له : يا أبا زَكريا ، لا تَأكُلْه فإنَّا نَخافُ عليك فلَمْ يَعبأ بكَلامِنَا وأكَلَه ، فما اسْتقَرَّ في مَعدَتِه حتَّىٰ شَكا وَجَعَ بَطنِه وانْسَهَلَ ، إلىٰ أنْ وَصَلنا إلى المدينة ولا نُهوضَ له فتَفاوَضْنا في أمْرِه ، ولَمْ يَكنْ لنا سَبيلٌ إلى الْمُقام عَليه لأجْلِ الحَجِّ ، ولَمْ نَدْرِ ما نَعمَلُ في أمْرِه فعَزَمَ بَعضُنا على القِيامِ عليه وتَركِ الحَجِّ وبِتْنا فلَمْ يُصْبحْ حتَّىٰ وَصَّىٰ ومَاتَ ، فغَسَّلناه ودَفنَّاه .

قالَ عبَّاسُ الدُّوري : ماتَ قبلَ أنْ يَحُجَّ عامَئذ ، وصلَّىٰ عليه وَالي المدينة ، وكلَّمَ الحِزاميُّ الواليَ ، فأخْرَجُوا له سَريرَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فحُملَ عليه .

قالَ أحمَدُ بنُ أبي خَيْثَمَة : ماتَ يَحْيَىٰ سَنةَ ثَلاثٍ وثَلاثينَ ، وقد اسْتَوفَىٰ خَمْساً وسَبعينَ سَنةً ، ودَخلَ في السِّتِّ ، ودُفنَ بالبَقيعِ[3] .

٦ـ مَنْ ماتَ بسَبب طَعَامٍ حَارّ :

قالَ أبو الحُسَين أحمَدُ بنُ جَعْفَر بن الْمُنادِي : ماتَ أبو محمَّد ابنُ قُتَيْبَة فُجاءَة ، صاحَ صَيحةً سُمعَت من بُعد ، ثم أُغْميَ عليه ، وكان أكلَ هَريسَةً ، فأصابَ حَرارَةً ، فبَقيَ إلى الظُّهرِ ، ثم اضْطَربَ سَاعَةً ، ثم هَدأ ، فما زَالَ يَتشَهَّدُ إلى السَّحَر ، وماتَ ـ سامَحَه الله ـ وذلك سَنةَ سِتٍّ وسَبعينَ ومِئتَين .

---

(١) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٤٨/ ٦ .

(٢) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٤٨/ ٧ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَى بن مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٩١٢/ ٤ .

والرجُلُ ليسَ بصاحِبِ حَديثٍ ، وإنَّما هو من كِبارِ العُلماء الْمَشْهورين ، عندَه فُنونٌ جَمَّةٌ وعُلومٌ مُهِمَّةٌ[1] .

٧ـ حِرْمانُ النَّفْس من بَعض الطَّعام يُذَلِّلُها :

قِيلَ إنَّ عُتْبَةَ الغُلام نازَعَته نَفسُه لَحْماً فمَاطَلَها سَبعَ سنين[2] .

٨ـ التَّحَرِّي في المَطْعَم :

(وصُورٌ أُخْرىٰ سَتجدُها في فهرس الوَرَع)

قال أحمدُ بنُ شَبُّويه : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق قال : أكلَ مَعْمَرُ بنُ راشِد من عند أهلِه فاكِهَةً ثم سألَ فقيلَ : هَديَّةٌ من فُلانَة النوَّاحَة فقامَ فتَقيَّأ وبَعثَ إليه مَعْن والي اليَمَن بذَهبٍ فرَدَّه وقال لأهْلِه : إنْ علمَ بهٰذا غَيرُنا لمْ يَجتَمعْ رأسي ورأسُك أبداً .

مات مَعْمَرُ بنُ راشِد سَنةَ أربع وخَمسين[3] .

٩ـ تَقَلُّل العُلمَاء من الطَّعام حال الطَّلَب :

قالَ صالِحُ جَزَرَة : سَمعتُ حَجَّاجَ بنَ الشَّاعِرِ يَقولُ : جَمعَتْ لي أُمِّي مئةَ رَغيفٍ ، فجَعلتُها في جِرابٍ ، وانْحَدَرتُ إلىٰ شَبابَة بالْمَدائنِ ، فأقَمتُ ببابِه مئةَ يَومٍ ، أغْمِسُ الرَّغيفَ في دِجْلَة وآكُله ، فلمَّا نَفدَت خَرجتُ[4] .

وقالَ ابنُ عَبد كَوَيْه : أخْبرَتنا عاتِكَةُ بنتُ ابنِ أبي عاصِم ، سَمعتُ أبي يَقولُ : خَرجتُ إلىٰ مَكَّةَ من الكُوفَة ، فأكَلتُ أكْلةً بالكُوفَة ، والثانيةَ بمَكَّة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : إسنادُها صَحيحٌ .

وكان ابنُ أبي عاصِم مُجَوِّداً للقِراءَة ، وكان يَقولُ : أنا أُقَدِّمُ نافِعاً في القِراءَة ، وكان يَقولُ: ما بَقيَ أحَدٌ قَرأ علىٰ رَوْح بنِ عبد المؤمن غَيري ـ يَعني صاحِبَ يَعقُوب ـ[5] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ قُتَيْبَة) ١٣/٢٩٦ـ٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٨ .
(٢) انظر السير : (عُتْبَة الغُلام) ٧/ ٦٢ـ ٦٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٧٦ .
(٣) انظر السير : (مَعْمَر بن راشد) ٧/ ٥ـ ١٨ ، وانظر النزهة : ٦/٦٧١ .
(٤) انظر السير : (حَجَّاج بن يُوسُف) ١٢/ ٣٠١ـ ٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٢ .
(٥) انظر السير : (ابنُ أبي عاصِم) ١٣/ ٤٣٠ـ ٤٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٩٨ .

١٠ـ صُورٌ من التَّقَلُّل من الطَّعَام :

عن نافِعٍ قالَ : إنْ كانَ ابنُ عُمَر ليُفَرِّقُ في الْمَجْلسِ ثَلاثينَ ألفاً ، ثم يأتي عليه شَهرٌ ما يَأكلُ مُزْعَةَ[١] لَحْم[٢] .

وعن حَمْزَةَ بنِ عبد الله بنِ عُمَرَ قال : لَوْ أن طَعاماً كَثيراً كان عند أبي ما شَبعَ منه بعد أن يَجدَ له آكِلاً ، فعادَه ابنُ مُطيع ، فرآه قد نَحلَ جسمُه فكلَّمه ، فقالَ : إنَّه لَيَأتي عليَّ ثمانُ سنينَ ، ما أَشْبَعُ فيها شَبعَةً واحدَةً أو قالَ : إلاَّ شَبعَةً ، فالآنَ تُريدُ أنْ أَشْبَعَ حينَ لَمْ يَبْقَ من عُمري إلاَّ ظِمْءُ حِمار[٣] ،[٤] .

وعن ابنِ سيرينَ ، أنَّ رَجُلاً قالَ لابنِ عُمرَ : أَعْمَلُ لك جَوَارش ؟ قالَ : وما هو ؟ قالَ : شَيءٌ إذا كظَّكَ الطَّعامُ ، فأصَبتَ منه ، سَهَّل ، فقالَ : ما شَبعتُ منذ أربْعَة أشْهُر ، وما ذاكَ أنْ لا أكونَ له واجداً ، ولكنِّي عَهِدتُ قَوماً يَشْبَعونَ مَرَّةً ، ويَجُوعُونَ مَرَّة[٥] ،[٦] .

وقالَ هشامُ بنُ حسَّان : كانَ قُوتُ العَلاءِ بنِ زياد رَغيفاً كلَّ يوم[٧] .

وقالَ مَالكُ بنُ دينار : إنَّه لتَأتي عليَّ السَّنَةُ لا آكُلُ فيها لَحْماً إلاَّ من أُضْحِيَتي يَومَ الأَضْحَىٰ[٨] .

وعن أبي بِشْر قالَ : كان كُرْزُ بنُ وَبَرَةَ الحَارثيُّ من أعْبَدِ النَّاسِ ، وكانَ قد امْتَنعَ من الطَّعامِ ، حتىٰ لَمْ يُوجَد عليه من اللَّحْم ، إلاَّ بقَدرِ ما يُوجَدُ على العُصْفور ، وكان يَطوي أيَّاماً كثيرة ، وكانَ إذا دَخلَ في الصَّلاة لا يَرفَعُ طَرْفَه يَميناً ، ولا شِمالاً وكانَ من

---

(١) الْمُزْعَة ، بضم الميم : القطعة اليسيرة من اللَّحم.
(٢) انظر السير : (عبد الله بن عُمر) ٣/ ٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦٩ .
(٣) أي شيءٌ يسير ، وخصَّ الحِمارَ بذلك ، لأنه أقلُّ الدَّوابِّ صَبراً على الماء .
(٤) انظر السير : (عبد الله بن عُمر) ٣/ ٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٦٩ .
(٥) قوله : « إذا كَظَّكَ الطَّعامُ » ، أي : إذا امتلأتَ منه وأثْقَلك .
(٦) انظر السير : (عبد الله بن عُمر) ٣/ ٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٧٠ .
(٧) انظر السير : (العَلاء بن زياد) ٤/ ٢٠٢ـ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٥/٤٧٧ .
(٨) انظر السير : (مالك بن دينار) ٥/ ٣٦٢ـ٣٦٤ ، وانظر النزهة : ١/٦١٠ .

الْمُحِبِّينَ الْمُخْبِتين لله ، قد وَلِهَ من ذلك فرُبَّما كُلِّمَ فيُجيبُ بعد مُدَّة من شِدَّة تَعلُّق قَلبه بالله ، واشْتِياقِه إليه[١] .

وحَكَىٰ حَرْمَلَةُ بنُ يَحْيَىٰ أنَّ ابنَ عُيَيْنَةَ قالَ له ـ وأراه خُبزَ شَعير ـ هـٰذا طَعامي منذُ سِتِّينَ سَنةً[٢] .

وقالَ محمَّدُ بنُ أبي حاتم : وكانَ أبو عبد الله البُخاري رُبَّما يأتي عليه النَّهارُ فلا يَأكُلُ رُقاقَةً ، إنَّما كانَ يَأكُلُ أحْياناً لَوْزَتين أوْ ثَلاثاً[٣] .

وكانَ إبْراهيمُ الحَربيُّ يَقولُ : فَرْدُ عَقِبي[٤] .صَحيحٌ والآخَرُ مَقطوعٌ ، ولا أُحَدِّثُ نَفسي أنِّي أُصْلِحُها ، ولا شَكَوتُ إلىٰ أهْلِي وأقَارِبي حُمَّىٰ أجدُها ، لا يَغمُّ الرجلُ نَفسَه وعيالَه ، ولي عَشرُ سنينَ أُبْصِرُ بفَرْدِ عَين ، ما أخْبَرتُ به أحَداً ، وأفْنَيتُ من عُمري ثَلاثينَ سَنةً برَغيفَين ، إنْ جاءَتْني بهما أُمِّي أو أُخْتي ، وإلاَّ بَقيتُ جائعاً إلى اللَّيلَة الثانيَة ، وأفْنَيتُ ثَلاثينَ سَنةً برَغيفٍ في اليوم واللَّيلَة ، إنْ جاءَتْني امْرأتي أو بَناتي به وإلاَّ بَقيتُ جائعاً ، والآنَ آكُلُ نِصْفَ رَغيفٍ ، وأرْبَع عَشرَةَ تَمْرةً ، وقامَ إفْطَاري في رَمضانَ هـٰذا بدِرْهَم ودَانِقَيْن ونِصْفٍ[٥] .

١١ـ تَقلُّل الصَّالحين من الطَّعام ليس ـ دائماً ـ بسَبَب الفَقْر :

وعن ابنِ سيرينَ ، أنَّ رَجُلاً قالَ لابنِ عُمرَ : أعْمَلُ لك جَوَارِش ؟ قالَ : وماهو ؟ قالَ : شَيءٌ إذا كظَّكَ الطَّعامُ ، فأصَبتَ منه ، سَهَّل ، فقالَ : ما شَبعتُ منذ أربْعَة أشْهُر ، وما ذاكَ أنْ لا أكونَ له واجداً ، ولكنِّي عَهِدتُ قَوماً يَشْبَعونَ مَرَّةً ، ويَجُوعُونَ مَرَّةً[٦] ، [٧] .

---

(١) انظر السير : (كرْز) ٦/ ٨٤ـ٨٦ ، وانظر النزهة : ٦٣٣/ ٥ .
(٢) انظر السير : (سُفْيان بن عُيَيْنَة) ٨/ ٤٥٤ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٧٨٣/ ٢ .
(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٦/ ٦ .
(٤) العَقِبُ هنا : النَّعْل ، علىٰ سَبيل المجاز.
(٥) انظر السير : (إبْراهيمُ الحَرْبيّ) ١٣/ ٣٥٦ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ١٠٩٥/ ١ .
(٦) قوله : « إذا كَظَّكَ الطَّعامُ » ، أي : إذا امتلأتَ منه وأثْقَلك .
(٧) انظر السير : (عبد الله بن عُمر) ٣/ ٣٠٢ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣٧٠/ ٤ .

١٢ـ الشِّبَع مع الضَّيف جائز :

عن مُعاذِ بنِ خالِد : سَمعتُ أبا حَمْزَة السُّكَّريَّ يَقولُ : ما شَبعتُ منذ ثَلاثينَ سَنَةً ، إلاَّ أنْ يَكونَ لي ضَيفٌ[١] .

١٣ـ الفَرَحُ بالطَّعام الطَّيِّب :

قالَ إسْماعيلُ بنُ حمَّادِ بنِ أبي حَنيفَة : والنُّعمانُ بنُ الْمرزِبان والدُ ثابت هو الذي أهْدَىٰ لعَليٍّ الفالَوْذَجَ في يَوم النَّيْروزِ فقالَ عَليٌّ : نَوْرِزُونا كُلَّ يَومٍ ، وقيلَ كانَ ذلكَ في المهْرَجان ، فقالَ : مَهْرِجُونا كُلَّ يَومٍ[٢] .

١٤ـ شُربُ العَسَل والسَّمَر عليه :

عن اللَّيث : كان ابنُ شِهاب الزُهريّ يخْتِم حديثَه بدعاء جَامع ، يقول : (اللَّهُمَّ أسألك من كلِّ خيرٍ أحَاطَ به علمُك في الدنيا والآخرة ، وأعُوذُ بك من كلِّ شرٍّ أحَاطَ به علمُك في الدنيا والآخرة) وكان من أسخىٰ مَنْ رأيتُ ، كان يُعطي ، فإذا فرغ ما معه يَسْتَلفُ من عَبيده ، يقول : يا فلان أسْلِفني كما تعرف ، وأضْعِفُ لك كما تَعلم ، وكان يُطعِمُ النَّاس الثَّرِيدَ ، ويسقيهم العَسلَ ، وكان يَسْمُرُ على العَسلِ كما يَسْمُرُ أهلُ الشَّرابِ علىٰ شَرابهم ، ويقول : اسقُونا وحدِّثُونا وكان يُكثِر شُربَ العَسل ، وسمعتُه يبكي على العِلْم بلسانه ، ويقول : يذهبُ العِلْمُ وكثيرٌ ممن كان يعملُ به فقلتُ له : لو وضَعتَ من علمك عند مَنْ تَرجو أن يكونَ لك خلفاً قال : واللهِ ما نَشَرَ أحدٌ العلمَ نَشْري ، ولا صَبَرَ عليه صَبْري ، ولقد كنَّا نجلسُ إلى ابن المسَيَّب ، فما يستطيعُ أحدٌ منَّا أن يسألَه عن شيء نزل به إلاَّ أنْ يبتدىء الحديثَ ، أو يأتي رجلٌ يسأله عن شيءٍ قد نزلَ به[٣] .

---

(١) انظر السير : (أبو حَمْزَة السُّكَري) ٧/ ٣٨٥ـ ٣٨٧ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٧ .
(٢) انظر السير : (أبو حَنيفَة) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٦٢ .
(٣) انظر السير : (أخبار الزهري) ٥/ ٣٢٦ـ ٣٥٠ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٦ .

١٥ـ الجُوعُ بسَبب الفَقْر :

عن ابنِ شِهابٍ الحَنَّاط قالَ : بَعثَت أختُ سُفْيانَ بجِرابٍ مَعي إلىٰ سُفْيانَ وهو بمَكة ، فيه كَعكٌ وخشكنان[١] فقَدمتُ ، فسَألتُ عنه ، فقيلَ لي : رُبَّما قَعدَ عند الكَعبَة ممَّا يَلي الحَنَّاطينَ ، فأتَيتُه ، فوَجدتُه مُستَلقياً عليه ، فلَمْ يُسائلْني تلك الْمُساءَلَة ، ولَمْ يُسلِّمْ عليَّ كما كُنتُ أعْرفُه فقُلتُ : إنَّ أُخْتَك بَعثَت معي بجِرابٍ ، فاسْتَوىٰ جالساً ، وقالَ : عَجِّل بها فكلَّمْتُه في ذلك قالَ : يا أبا شِهاب! لا تلُمْني ، فليَ ثَلاثَة أيَّام لَمْ أذُقْ فيها ذوقاً ، فعَذَرتُه[٢] .

وكانَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل يُصلِّي بعبد الرزَّاقِ فسَهَا ، فسَألَ عنه عبدُ الرزَّاق ، فأُخبرَ أنَّه لَمْ يَأكُلْ منذ ثَلاثَةِ أيّامٍ شَيئاً[٣] .

وقالَ ابنُ أبي حاتم سَمعتُ أبي يَقولُ : بَقيتُ في سَنَةِ أربَع عَشرَة ثمانية أشْهُر بالبَصْرَة ، وكانَ في نَفسي أنْ أُقيمَ سَنةً ، فانْقَطَعَتْ نَفَقَتي ، فجَعلتُ أبيعُ ثيابي حتىٰ نَفِذَت ، وبَقيتُ بلا نَفقَة ، ومَضيتُ أطُوفُ مع صَديق لي إلى الْمَشْيَخَة ، وأسْمَعُ إلى الْمَساء ، فانْصَرفَ رَفيقي ، ورَجَعتُ إلىٰ بَيتي ، فجَعَلتُ أشْرَبُ الماءَ من الجُوع ، ثم أصْبَحْتُ ، فغَدا عليَّ رَفيقي ، فجَعلتُ أطُوفُ معه في سَماع الحَديثِ علىٰ جُوعٍ شَديدٍ ، وانْصَرفتُ جائعاً ، فلمَّا كان من الغَد ، غدا عليَّ فقالَ : مُرَّ بنا إلى الْمَشايخ .

قُلتُ : أنا ضَعيفٌ لا يُمكنُني قالَ : ما ضَعفُك ؟ قُلتُ : لا أكْتُمُك أمْري ، قد مَضَىٰ يَومان ما طَعِمتُ فيهما شَيئاً ، فقالَ : قد بَقيَ معي دينارٌ ، فنِصْفُه لك ، ونَجعَلُ النِّصْفَ الآخَر في الكِراء ، فخَرَجنا من البَصْرَة ، وأخَذتُ منه النِّصْفَ دينار[٤] .

وقالَ بَكرُ بنُ محمّد : سَمعتُ ابنَ خِرَاش يقولُ : شَربتُ بَوْلي في هـٰذا الشَّأن ـ يَعني الحَديث ـ خَمسَ مرَّات .

---

(١) دقيق القمح إذا عُجنَ بشيرج ، وبُسطَ ومُلِىءَ بالسُّكر واللَّوز والفُستق وماء الورد ، وجُمعَ وخُبز .

(٢) انظر السير : (سُفْيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٧ .

(٣) انظر السير : (أحمَد بن حَنْبل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٥ .

(٤) انظر السير : (أبو حاتم الرَّازي) ١٣/ ٢٤٧ـ ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٧٥ .

قال أبو نُعَيْم بنُ عَدي : ما رَأيتُ أحداً أحفَظَ من ابنِ خِرَاش .

وقال ابنُ عَدي : قد ذُكرَ بشَيءٍ من التشَيُّع ، وأرجو أنَّه لا يَتعمّدُ الكَذب سَمعتُ ابنَ عُقْدَة يقولُ : كان ابنُ خِرَاش عندنا إذا كَتبَ شَيئاً في التشَيُّع يقولُ : هـٰذا لا يَنْفَق إلاَّ عندي وعندك وسَمعتُ ابنَ عَبْدان يقولُ : حملَ ابنُ خِرَاش إلىٰ بُنْدار عندنا جُزْأين صَنَّفَهما في مَثالب الشَّيخَين ، ، فأجازه بألفَي دِرهَم ، بُني له بها حُجرةٌ ببغداد ليُحدِّث فيها ، فمات حين فُرغَ منها .

وقال أبو زُرْعَة ، محمدُ بنُ يوسُف الحافظُ : خرَّجَ ابنُ خِرَاش مَثالب الشَّيخَين وكان رافِضيَّاً .

وقال ابنُ عَدي : سَمعتُ عَبْدانَ يقولُ : قلتُ لابنِ خِرَاش : حديثُ : « ما تَرَكنَاهُ صَدَقَةٌ » فقالَ : باطِلٌ .

قال الذهبيُّ : هـٰذا مُعَثَّر مَخذول ، كان عِلمُه وَبالاً ، وسَعيُه ضَلالاً ، نَعوذُ بالله من الشَّقاء .

ماتَ سنةَ ثلاثٍ وثمانين ومئتين[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ جَرير الطَّبَري : كان مَولدُه سَنةَ أرْبَع وعِشرينَ ومِئتَين ، ورَحلَ من آمُلَ لَمَّا تَرَعْرَعَ وحَفظَ القُرآنَ ، وسَمحَ له أبُوه في أسْفارِه ، وكانَ طُولَ حَياتِه يَمدُّه بالشَّيءِ بعدَ الشَّيءِ إلى البُلدان ، فيَقْتاتُ به ، ويَقولُ فيما سَمعتُه : أبْطَأتْ عَنِّي نَفَقَةُ وَالدي ، واضْطَرَرتُ إلىٰ أنْ فَتَّقتُ كُمَّيْ قَميصي فبِعْتُهما[2] .

وقالَ الوَخْشيُّ يوماً : رَحلتُ وقاسَيتُ الذُّلَّ والْمَشَاقَّ ، ورَجَعتُ إلىٰ وَخْشَ وما عَرَفَ أحَدٌ قَدْري ، فقُلتُ : أمُوتُ ولا يَنْتَشِرُ ذِكْري ، ولا يَترحَّمُ أحدٌ عليَّ ، فسَهَّلَ اللهُ ، ووَفَّقَ نِظامَ الْمُلكِ حتَّىٰ بَنَىٰ هـٰذه المدرَسَةَ وأجْلَسَني فيها أُحدِّث ، لقد

(١) انظر السير : (ابن خِرَاش) ١٣/٥٠٨ـ٥١٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١١٢ .

(٢) انظر السير : (محمد بن جَرير) ١٤/٢٦٧ـ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٥٢ .

كُنتُ بعَسْقَلانَ أسْمَعُ من ابنِ مُصَحِّح ، وبَقيتُ أياماً بلا أكْل ، فقَعدتُ بقُربِ خبَّاز ، لأشُمَّ رَائحَةَ الخُبزِ وأتَقوَّىٰ بها[1] .

وقالَ السَّمْعانيُّ : قالَ أصْحابُنا ببَغدادَ : كانَ الشَّيخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازي إذا بَقي مُدَّة لا يَأكُلُ شَيئاً صَعدَ إلى النَّصْريَّةَ وله بها صَديقٌ ، فكانَ يَثْردُ له رَغيفاً ويُشربُه بماءِ الباقِلاَّء ، فرُبَّما صَعَدَ إليه وقَد فرغَ ، فيَقولُ أبو إسْحاقَ : ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[2] .

قالَ القاضي ابنُ هانىء : إمامَان ما اتَّفَقَ لهما الحَجُّ ، أبو إسْحاقَ ، وقاضي القُضاة أبو عبد الله الدَامَغاني أمَّا أبو إسْحاقَ فكانَ فَقيراً ، ولَوْ أرادَه لحَملوهُ على الأعْناقِ ، والآخَرُ لَوْ أرادَ لأمْكنَه على السُّنْدُس والإسْتَبْرَق[3] .

وقال محمَّدُ بنُ طاهِر : أقَمتُ بتَنِّيسَ مُدَّة علىٰ أبي محمّدِ بنِ الحَدَّاد ونُظَرائه ، فضاق بي فلمْ يَبقَ معي غَيرُ دِرهم ، وكنتُ أحتاجُ إلىٰ حِبْرٍ وكاغَد ، فتَردَّدْتُ في صَرفه في الحِبْرِ أو الكاغَدِ أوالخُبزِ ، ومضىٰ علىٰ هـٰذا ثلاثَةُ أيّام لمْ أطْعَم فيها فلمَّا كان بُكْرةَ اليوم الرابع ، قلتُ في نفسي : لو كان لي اليوم كاغَد لم يُمكنِّي أنْ أكتبَ من الجُوعِ ، فجَعلتُ الدِّرهَمَ في فَمي وخَرجتُ لأشْتري خُبزاً ، فبَلَعْتُه ، ووَقعَ عليَّ الضَّحِكُ ، فلَقيَني صَديقٌ وأنا أضْحَكُ ، فقال : ما أضْحَكك ؟ قلتُ : خَيرٌ ، فألَحَّ عليَّ ، وأبيتُ أنْ أُخبِرَه ، فحَلفَ بالطَّلاقِ لتَصْدُقَنِّي ، فأخْبرتُه ، فأدْخلَني مَنزِلَه ، وتَكلَّف أطْعِمَةً ، فلمَّا خَرجْنا لصَلاةِ الظُّهْر ، اجْتمعَ به بَعضُ وُكلاءِ عامِل تَنِّيس ابنِ قادُوس ، فسألَه عنِّي فقال : هو هـٰذا ، قال : إنَّ صاحبي منذُ شَهرٍ أمرَ بي أنْ أُوصِلَ إليه كُلَّ يومٍ عشرة دَراهم قيمتُها ربعُ دينار ، وسَهوتُ عنه ، فأخذَ منه ثلاثَ مئة وجاء بها .

ماتَ ابنُ طاهِر عند قُدومِه من الحَجِّ سَنةَ سَبعٍ وخَمسِ مئة[4] .

---

(١) انظر السير : (الوَخْشيُّ) ١٨/ ٣٦٥ـ ٣٦٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٣ .
(٢) سورة النَّازعات ، الآية : ١٢ .
(٣) انظر السير : (أبو إسْحاق الشِّيرازيّ) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣٠ .
(٤) انظر السير : (محمد بن طاهر) ١٩/ ٣٦١ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٨ .

وقالَ ابنُ هُبَيْرَة : جَلستُ مع الزَّبِيْدِيِّ من بُكْرَة إلىٰ قَريب الظُّهْرِ وهو يَلُوكُ شَيئاً فسَألتُه ، فقالَ : نَواةٌ أتعلَّلُ بها ، لَمْ أجِدْ شَيئاً[1] .

وقال ابنُ النجّار : قرأتُ بخطِّ أبي بَكْر عبد الله بن نَصر بن حَمزَة التَّيْميِّ ، سَمعتُ الشيخَ عبدَ القادر يقولُ : بَلغَتْ بي الضَّائقةُ في الغَلاء إلىٰ أن بَقيتُ أيّاماً لا آكلُ طَعاماً ، بلْ أتَّبعُ المَنْبوذاتِ ، فخَرجْتُ يوماً إلى الشطِّ ، فوَجدتُ قد سَبَقني الفُقَراءُ ، فضَعُفْتُ ، وعَجَزتُ عن التَّماسُك فدخَلتُ مَسْجداً ، وقَعدتُ ، وكدتُ أُصافحُ المَوتَ ، ودخلَ شابٌ أعْجَميٌّ ومَعه خُبزٌ وشِواءٌ ، وجلسَ يأكُلُ ، فكنتُ أكادُ كُلَّما رَفعَ لُقمَةً أفْتَحُ فَمي ، فالتَفتَ فرآني ، فقال : باسم الله ، فأبيتُ ، فأقسَمَ عليَّ ، فأكلتُ مُقصِّراً ، وأخذَ يَسْألُني ، ما شُغْلك ؟ ، ومن أين أنتَ ؟ فقلتُ : مُتَفَقِّهٌ من جيْلان ، قالَ : وأنا من جيْلان ، فهلْ تَعرفُ لي شاباً جيلانيّاً اسْمُه عبدُ القادر ، يُعْرَفُ بسِبطِ أبي عبد الله الصومعي الزّاهد ؟ فقلتُ : أنا هو فاضطرَبَ لذلك ، وتغيَّرَ وَجهُه ، وقال : والله يا أخي ، لقد وَصَلتُ إلىٰ بَغْدادَ ومَعي بقيَّةُ نَفقةٍ لي ، فسألتُ عنكَ ، فلمْ يُرْشدني أحدٌ إلىٰ أنْ نَفِدَت نَفَقتي ، وبَقيتُ بعدَها ثلاثةَ أيّام لا أجدُ ثَمنَ قُوتي إلاَّ من مالِك ، فلمَّا كان هـٰذا اليوم الرابع قلتُ : قد تجاوزَتْني ثلاثة أيّام ، وحلّت المَيْتَة ، فأخذْتُ من وَديعَتك ثمنَ هـٰذا الخُبزَ والشِّواء ، فكُلْ طَيِّباً ، فإنَّما هو لك ، وأنا ضَيْفُك الآن ، فقلتُ : وما ذاك ؟ قال : أمُّك وجَّهَت معي ثمانيةَ دَنانير ، والله ما خُنْتُك فيها إلى اليوم ، فسكَّنْتُه ، وطَيَّبتُ نَفسَه ، ودَفعتُ إليه شَيئاً منها[2] .

وكان اليُونينيُّ لايَقومُ لأحد تَعْظيماً لله ولا يَدَّخِرُ شيئاً ، له ثَوبٌ خام ، ويَلبسُ في الشِّتاء فَروَة ، قد يُؤثِرُ بها في البَرْدِ ، وكان رُبَّما جاعَ ويأكُلُ من وَرَق الشَّجَر[3] .

---

(١) انظر السير : (الزَّبِيْدِيّ) ٢٠/٣١٦ـ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٥٤ .
(٢) انظر السير : (الشيخ عبد القادر الجيلاني) ٢٠/ ٤٣٩ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٤ .
(٣) انظر السير : (اليُونيني) ٢٢/١٠١ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٦٩ .

(ب) المَال :

١ـ أهَميّة المَال :

عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه : الدَّراهِمُ خَواتيمُ الله في الأرْضِ ، فمَنْ ذَهَبَ بخاتِم الله قُضِيَت حاجَتُه[1] .

وقيلَ لأبي الزِّنادِ : لِمَ تُحِبُّ الدَّراهِمَ وهي تُدنيكَ من الدُّنيا ؟ فقالَ : إنَّها وإن أَدْنَتني منها ، فقد صَانَتْني عنها[2] .

وقالَ روَّاد بنُ الجَرَّاح : سَمعتُ الثَّوريَّ يَقولُ : كانَ الْمَالُ فيما مَضَىٰ يُكرَه ، فأمَّا اليومُ ، فهو تُرْسُ الْمُؤمِن[3] .

ونَظَرَ إليه رَجلٌ وفي يَده دَنانير ، فقالَ : يا أبا عبد الله! تُمسِكُ هـٰذه الدَّنانيرَ! ؟ قالَ : اسْكُت ، فلَوْلاها لتَمَنْدَلَ بنا الْمُلوكُ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : قد كانَ سُفيانُ الثَّوْريُّ رَأساً في الزُّهْدِ ، والتَّألُّه ، والخَوفِ ، رَأساً في الحِفْظِ ، رَأساً في مَعرِفَة الآثار ، رَأساً في الفِقْه ، لا يَخافُ في الله لَوْمَة لائم ، من أئمَّة الدِّين واغْتُفِرَ له غَيرُ مَسْألَة اجْتَهدَ فيها ، وفيه تَشَيُّع يَسيرٌ ، كان يُثَلِّثُ بعَليٍّ[4] وهو علىٰ مَذْهَبِ بلَدِه أيْضاً في النَّبيذِ ، ويُقالُ : رَجَعَ عن كُلِّ ذلكَ ، وكانَ يُنكِرُ على الْمُلوكِ ، ولا يَرى الخُروجَ أصْلاً ، وكان يُدَلِّسُ في رِوايَتِه ، ورُبَّما دَلَّسَ عن الضُّعَفاء ، وكان سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة مُدَلِّساً ، لكن ما عُرِفَ له تَدليسٌ عن ضَعيفٍ[5] .

٢ـ نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجلِ الصَّالح :

من كَلام سَعيدِ بنِ الْمُسَيِّب : لا خَيرَ فيمَن لا يُريدُ جَمعَ الْمَالِ من حِلِّه ، يُعطِي منه حَقَّه ، ويَكُفُّ به وَجهَه عن النَّاسِ[6] .

---

(١) انظر السير : (وَهْب بن منبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٥٣ .

(٢) انظر السير : (أبو الزِّناد) ٥/ ٤٤٥ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٥/٦٢٠ .

(٣) انظر السير : (سُفْيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٦ .

(٤) أي كان يُقدِّمُ عَليّاً علىٰ عُثمانَ ـ رَضيَ الله عَنهما ـ في التَفضيل .

(٥) انظر السير : (سُفْيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٩٦ .

(٦) انظر السير : (سَعيد بن الْمُسَيِّب) ٤/ ٢١٧ـ ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ١/٤٨٨ .

وقالَ عُثمانُ بنُ حَيَّانَ : سَمعتُ أُمَّ الدَّرْداء تَقولُ : إنَّ أحَدَهم يَقولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْني ، وقد عَلِمَ أنَّ الله لا يُمطِرُ عليه ذَهباً ولا دَراهِمَ ، وإنَّما يَرزُقُ بَعضَهم من بَعض ، فمَنْ أُعْطيَ شَيئاً ، فلْيَقبَلْ ، فإنْ كانَ غَنياً ، فليَضَعْه في ذي الحاجَة ، وإنْ كان فَقيراً ، فليَسْتَعِنْ به(١) .

وكانَ ابنُ الْمُنْكَدِر يَقولُ : نِعْمَ العَونُ علىٰ تَقْوَى الله الغِنَىٰ(٢) .

٣ـ المَالُ يَجبُ أنْ يَكونَ في اليَدِ لا في القَلْب :

قالَ هِشامُ بنُ حَسَّان : سَمعتُ الحَسنَ البَصْريَّ يَحلفُ بالله ، ما أعَزَّ أحَدٌ الدِّرْهَمَ إلاَّ أذلَّه الله(٣) .

قال كُرْزُ بنُ وَبَرة الحارثيّ : لا يَكونُ العَبدُ قارئاً حتىٰ يَزهَدَ في الدِّرهَم(٤) .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : هَكذا كانَ زُهَّادُ السَّلف وعُبَّادُهم ، أصْحابُ خَوفٍ وخُشُوع وتَعَبُّد وقُنُوع ، ولا يَدخُلونَ في الدُّنيا وشَهَوَاتها ، ولا في عِبَاراتٍ أحْدَثَهَا المُتَأخِّرون من الفَنَاء ، والْمَحْوِ ، والاصْطِدام ، والاتِّحاد ، وأشْباه ذلك ، ممَّا لا يَسُوغُه كِبَارُ العلمَاء ، فنَسألُ اللهَ التَّوفيقَ والإخْلاصَ ، ولُزُوم الاتِّباع(٥) .

٤ـ الخَوفُ من الحِسابِ على الأمْوالِ يُزَهِّدُ بعضَ النَّاسِ فيها :

رَوَىٰ لُقْمانُ بنُ عامِر ، أنَّ أبا الدَّرْداء قالَ : أهْلُ الأمْوالِ يَأكُلونَ ونَأكُلُ ، ويَشْرَبُونَ ونَشْربُ ، ويَلبَسونَ ونَلبَسُ ، ويَركَبُونَ ونَركبُ ، ولهم فُضُولُ أمْوالٍ يَنظُرونَ إليها ونَنظُرُ إليها مَعَهم ، وحِسابُهم عليها ونَحْنُ منها بُرَآءُ(٦) .

---

(١) انظر السير : (أمُّ الدَّرْداء) ٤/ ٢٧٧ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٤٩٧ .
(٢) انظر السير : (محمّد بن الْمُنْكَدر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٨ .
(٣) انظر السير : (الحَسَن البَصْري) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦١ .
(٤) انظر السير : (كُرْز) ٦/ ٨٤ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٣ .
(٥) انظر السير : (كُرْز) ٦/ ٨٤ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٣ .
(٦) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٩/٢٧٢ .

٥ـ مَنْ ذَمَّ الْمَالَ :

قال حَزْمُ بنُ أبي حَزْم : سَمعتُ الحَسنَ البَصْريَّ يقولُ : بِئْسَ الرَّفيقان ، الدِّينارُ والدِّرْهَم ، لا يَنفَعانِك حتىٰ يُفارِقاكَ[1] .

٦ـ حَالُ السَّلَف مع الأمْوال :

عن الحَسَنِ البَصْريِّ قالَ : رَأى الأحْنَفُ بنُ قَيْس في يد رَجلٍ دِرْهَماً ، فقالَ : لِمَنْ هـٰذا ؟ قالَ لي قالَ : لَيسَ هو لكَ حتَّىٰ تُخرِجَه في أجْرٍ أو اكْتِسابِ شُكْر وتَمثَّلَ[2] :

أَنْـــتَ لِلْمَـــالِ إِذَا أَمْسَكْتَـــهُ وَإِذَا أَنْفَقْتَـــهُ فَـــالْمَـــالُ لَـــك

وقالَ عَطاءُ بنُ مُسْلم : عاشَ دَاوُدُ الطَّائي عِشرينَ سَنةً بثَلاثِ مئة دِرْهَم[3] .

ويُقالُ : إنَّ سَعيدَ بنَ عبدِ العَزيز زَارَ سُلَيمانَ الخَوَّاصَ لَيلةً في بَيتِه ببَيْرُوتَ ، فرآهُ في الظُّلمَة ، فقالَ : ظُلمَةُ القَبرِ أشَدُّ ، فأعْطاهُ دَراهِمَ ، فرَدَّها ، وقالَ : أكْرَهُ أنْ أُعوِّدَ نَفسي مثلَ دَراهِمك ، فمَنْ لي بمِثْلِها إذا احْتَجتُ ، فبَلغَ ذلك الأوْزاعيَّ فقالَ : دَعُوه فلَوْ كانَ في السَّلفِ لكانَ عَلاَّمَة[4] .

جاءَ في تَرجَمَةِ الإمام أحمَدِ بنِ حَنْبَل ، قالَ حَنْبَل : وجَرَىٰ بينَ أبي عبدِ الله وبينَ أبي كَلامٌ كَثيرٌ قالَ : ياعَمُّ ما بَقيَ من أعْمَارِنا كأنَّك بالأمْرِ قد نَزَل فاللهَ اللهَ ، فإنَّ أوْلادَنا يُريدُونَ أنْ يَأكُلوا بنا ، وإنَّما هي أيَّامٌ قَلائل ، وإنَّما هـٰذه فِتنَةٌ قالَ أبي : فقُلتُ : أرْجُو أنْ يُؤَمِّنَكَ اللهُ مِمَّا تَحذَر فقالَ : كَيفَ وأنتم لا تَترُكونَ طَعامَهم ولا جَوائزَهم ؟ لَوْ تَركتُموها ، لَتَركُوكُم ماذا تَنتَظِرُ ؟ إنَّما هو الْمَوتُ فإمَّا إلىٰ جَنَّةٍ ، وإمَّا إلىٰ نارٍ فطُوبَىٰ لِمَنْ قَدِمَ علىٰ خَير قالَ : فقُلتُ : ألَيسَ قد أُمِرتَ ما جاءَكَ من هـٰذا الْمَالِ من غَيرِ إشْرافِ نَفْس ولا مَسْألَة أنْ تَأخُذَه ؟ قالَ : قد أخَذتُ مرَّةً بغَيرِ إشْرافِ نَفس ، فالثَّانيةُ

---

(١) انظر السير : (الحَسَن البَصْري) ٣/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٦١ .

(٢) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ٩/٤٥٢ .

(٣) انظر السير : (دَاوُد الطَّائي) ٧/ ٤٢٢ـ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٣/٧١٢ .

(٤) انظر السير : (سُلَيمان الخوَّاص) ٨/ ١٧٨ـ١٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٧٤٢ .

والثَّالِثَةُ ؟ أَلَمْ تَسْتَشرِفْ نَفْسَك ؟ قُلتُ : أفَلَمْ يأخذ ابنُ عُمَرَ وابنُ عَبَّاس ؟ فقالَ : ما هـٰذا وذاك! وقالَ : لَوْ أعلَمُ هـٰذا الْمَالَ يُؤخَذُ من وجْهِه ، ولا يَكونُ فيه ظُلمٌ ولا حَيفٌ لَمْ أُبالِ .

قالَ حَنْبَلُ : ولَمَّا طالت عِلَّةُ أبي عبدِ الله ، كانَ الْمُتَوَكلُ يَبعَثُ بابنِ ماسَويْه الْمُتَطَبِّب ، فيَصفُ له الأدْوِيَة ، فلا يَتعالَجُ ويَدخُلُ ابنُ ماسَويْه ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنين ليسَ بأحمَدَ عِلَّة ، إنَّما هو من قِلَّة الطَّعامِ والعِبادَة ، فسَكتَ الْمُتَوَكلُ .

وبلغَ أمَّ الْمُتَوَكلِ خَبرَ أبي عبد الله فقالَت لابنِها : أشْتَهي أنْ أرَىٰ هـٰذا الرجُلَ فوَجَّه الْمُتَوَكلُ إلىٰ أبي عبد الله ، يَسألُه أنْ يَدخُلَ على ابنِه الْمُعْتَزِّ ويَدعُو له ويُسلِّم عليه ، ويَجعلُه في حِجْرِه فامْتَنعَ ثم أجَابَ رَجاءَ أن يُطلَق ، ويَنحَدِر إلىٰ بَغدَادَ فوَجَّه إليه الْمُتَوَكلُ خِلْعَةً وأَتَوْه بدابَّة يَركبُها إلى الْمُعْتَزِّ فامتنع ، وكانت عليه مِيثَرَةُ نُمورٍ فقُدِّمَ إليه بَغلٌ لتاجِرٍ ، فركَبَه ، وجَلسَ الْمُتَوَكلُ مع أُمِّه في مَجلِسٍ من المكان وعلى الْمَجلِسِ سِترٌ رَقيقٌ فدَخلَ أبو عبدِ الله على الْمُعْتَزِّ ، ونَظَرَ إليه الْمُتَوَكلُ وأُمُّه فلَمَّا رَأتْه ، قالَت : يا بُنَيَّ ، اللهَ اللهَ في هـٰذا الرجُلِ فلَيسَ هـٰذا مِمَّن يُريدُ ما عِندَكم ، ولا الْمَصْلَحَةُ أنْ تَحْبِسَه عن مَنزِله ، فائذَنْ له ليَذهَب ، فدَخلَ أبو عبدِ الله على الْمُعْتَزِّ ، فقالَ : السَّلامُ عَليكم ، وجَلسَ ولَمْ يُسَلِّم عليه بالإمْرَة فسَمعتُ أبا عبد الله بعدُ يَقولُ : لَمَّا دَخلتُ عليه ، وجَلستُ ، قالَ مُؤدِّبُه : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، هـٰذا هو الذي أمَرَه أميرُ المؤمنينَ يُؤدِّبُك ويُعَلِّمُك ؟ فقالَ الصَّبيُّ : إنْ عَلَّمَني شَيئاً ، تعلَّمْتُه! قالَ أبو عبدِ الله : فعَجبتُ من ذَكائه وجَوابِه علىٰ صِغَرِه ، وكان صَغيراً .

ودامت علة أبي عبد الله ، وبَلغَ الْمُتَوَكلَ ما هو فيه ، وكلَّمَه يَحيَى ابنُ خاقان أيضاً ، وأخْبَرَه أنَّه رَجلٌ لا يُريدُ الدُّنيا ، فأذِنَ له في الانْصِرافِ فجاءَ عُبَيْدُ الله بنُ يَحيَىٰ وَقتَ العَصْرِ ، فقالَ : إنَّ أميرَ المؤمنينَ قد أذِنَ لك ، وأمَرَ أنْ يُفْرَشَ لك حَرَّاقَة[1] . تَنْحَدِرُ فيها فقالَ أبو عبد الله : اطْلُبوا لي زَوْرَقاً أنْحَدِرُ السَّاعَة فطَلبوا له زَوْرَقاً ، فانْحَدَرَ لِوَقْتِه .

---

(١) السفينة الخفيفة.

قالَ حَنْبَلُ : فمَا عَلمنا بقُدومِه حتَّىٰ قيلَ : إنَّه قد وَافَىٰ ، فاسْتَقبلتُه بناحية القَطيعَة وقد خَرجَ من الزَّوْرَق ، فمَشيتُ معه ، فقالَ لي : تَقدَّم لا يَراكَ النأسُ فيَعْرِفُوني ، فتَقدَّمْتُه قالَ : فلمَّا وَصلَ ألقَىٰ نفسَه علىٰ قَفاه من التَّعبِ والعَياء[1] .

قالَ صالحُ بنُ أحمدَ بنِ حَنْبَل : قَدمَ الْمُتَوَكلُ فنزَلَ الشمَّاسيَّة ، يُريدُ الْمَدائنَ فقالَ لي أبي : أحبُّ أنْ لا تَذهَبَ إليهم تُنَبِّهُ عَليَّ فلمَّا كان بعد يومٍ أنا قاعِدٌ ، وكان يَوماً مَطيراً ، فإذا بيَحْيَىٰ بنِ خاقَانَ قد جاءَ في مَوكِبٍ عَظيمٍ والْمَطَرُ عليه ، فقالَ لي : سُبحانَ الله لَمْ تَصِرْ إلينا حتىٰ تُبلِّغَ أميرَ المؤمنين السَّلامَ عن شَيخِك ، حتىٰ وَجَّهَ بي ، ثم نَزلَ خارجَ الزُّقاق ، فجَهِدتُ به أنْ يَدخُلَ على الدَّابَّة فلَمْ يَفعَلْ ، فجَعلَ يَخوضُ الْمَطرَ ، فلمَّا وَصلَ نزع جُرْمُوقَه ، ودخلَ وأبي في الزَّاوِيَة عليه كِساءٌ ، فسَلَّمَ عليه ، وقبَّلَ جَبهتَه ، وسَألَه عن حالِه ، وقالَ : أميرُ المؤمنينَ يقْرئُك السَّلامَ ، ويقولُ : كيفَ أنتَ في نَفسِك ، وكَيفَ حالُك ؟ وقد أنِسْتُ بقُربِك ، يَسألُك أنْ تَدعُوَ له فقالَ : ما يأتي عليَّ يَومٌ إلاَّ وأنا أدْعُو اللهَ له ثم قالَ : قد وَجَّه معي ألفَ دينار تُفَرِّقُها علىٰ أهْلِ الحاجَة فقال : يا أبا زَكريا ، أنا في بَيتٍ مُنْقَطِع ، وقد أعْفَاني من كلِّ ما أكْرَه ، وهٰذا مِمَّا أكرَه فقالَ : يا أبا عبد الله ، الخُلَفَاءُ لا يَحْتَمِلون هٰذا ، فقالَ : يا أبا زَكريا تَلطَّفْ في ذلك فدَعا له ، ثم قامَ ، فلمَّا وَصَلَ إلى الدَّارِ ، رَجَعَ ، وقالَ : هٰكذا لَوْ وَجَّه إليك بَعضُ إخْوَانِك كُنتَ تَفعَلُ ؟ قالَ : نَعَم فلمَّا صِرْنا إلى الدِّهْليزِ ، قالَ : أمَرَني أميرُ المؤمنينَ أدْفَعُها إليكَ تُفَرِّقُها فقُلتُ : تَكونُ عندَكَ إلىٰ أنْ تَمضي هٰذه الأيَّام[2] .

وقالَ زَكريا بنُ دَلَّوَيْه : بَعثَ طَاهِرُ بنُ عبد الله إلى ابنِ رافِع بخَمسَةِ آلافِ دِرْهَم مع رَسُولٍ ، فدَخلَ عليه بعدَ العَصْرِ ، وهو يَأكُلُ الخُبزَ مع الفِجْلِ فوَضَعَ الكيسَ فقالَ : بَعثَ الأميرُ إليكَ بهٰذا الْمَال فقالَ : خُذْ خُذْ لا أحتاجُ إليه ، فإنَّ الشَّمسَ قد بَلغَت رَأسَ الحِيطَانِ إنَّما تَغرُبُ بعدَ سَاعَة وقد جاوَزْتُ الثَّمانينَ إلىٰ مَتىٰ أعيشُ ؟ فرُدَّ[3] .

---

(١) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٤٣ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٤٤ .
(٣) أي : رجع .

قالَ: فدَخلَ ابنُه ، وقالَ : يا أبتِ ، لَيسَ لنا اللَّيلَةَ خُبزٌ قالَ : فبَعثَ ببعضِ أصْحابِه خَلفَ الرَّسُولِ ليَرُدَّ المالَ إلىٰ طاهِر فَزَعاً من ابنِه أنْ يَذهَبَ خَلفَه ، فيَأخُذَ المالَ[1] .

٧ـ كثْرَةُ المَالِ وتَنَوُّعه تُؤدي إلى تَفرُّق القَلب :

عن بِلالِ بنِ سَعْد ، أنَّ أبا الدَّرْداءِ قالَ : أعُوذُ بالله من تَفرقَةِ القَلبِ قيلَ : وما تَفرِقَةُ القلبِ ؟ قالَ : أنْ يُجعَلَ لي في كُلِّ وَادٍ مالٌ[2] .

(ج) النَّوم :

١ـ الحَثُّ علىٰ قِلَّة النَّوم :

يَقولُ ابن الحَدَّاد : ما لِلعَالِمِ ومُلائَمَةُ الْمَضاجِع[3] .

٢ـ أحْوَالُ السَّلَف مع النَّوم :

عن دَاوُدَ بنِ إبْراهيمَ أنَّ الأسَدَ حَبسَ لَيلة النَّاسَ في طَريقِ الحَجِّ ، فدَقَّ النَّاسُ بَعضُهم بَعضاً ، فلمَّا كان السَّحَرُ ، ذَهبَ عنهم ، فنَزَلوا وناموا ، وقامَ طاوُوسُ يُصلِّي ، فقالَ له رَجلٌ : ألا تَنامُ ، فقالَ : وهَلْ يَنامُ أحَدٌ السَّحَرَ[4] .

ويُروَىٰ أنَّ طاوُوساً جاءَ في السَّحَرِ يَطلُبُ رَجلاً ، فقالُوا : هو نائمٌ ، قالَ : ماكُنتُ أرَىٰ أنَّ أحَداً يَنامُ في السَّحَر .

وعن طاوُوسٍ قالَ: أدْرَكتُ خَمسينَ من أصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم[5] .

وعن أبي الأحْوَص ، قالَ : آلَىٰ مُحمَّدُ بنُ النَّضْرِ علىٰ نَفسِه أنْ لا يَنامَ إلاَّ ما غَلَبَتْهُ عَينُه[6] .

---

(١) انظر السير : (محمد بن رافع) ١٢/ ٢١٤ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ٩٩٥/ ٤ .
(٢) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٤/٢٧٢ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الحَدَّاد) ١٤/ ٢٠٥ـ ٢١٤ ، وانظر النزهة : ٣/١١٤٤ .
(٤) انظر السير : (طاوُوس) ٥/ ٣٨ـ ٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٥٧٨ .
(٥) انظر السير : (طاوُوس) ٥/ ٣٨ـ ٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٧٨ .
(٦) انظر السير : (محمّد بن النَّضْر) ٨/ ١٧٥ـ ١٧٦ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٢ .

وقالَ أبو بَكْر الأنْباري : كان أبو عُبَيد الإمامُ الحافِظُ ـ رَحمَهُ اللهُ ـ يُقَسِّمُ اللَّيلَ أثْلاثاً فيُصلِّي ثُلُثَه ، ويَنامُ ثُلُثَه ، ويُصَنِّفُ الكُتُبَ ثُلُثَه[1] .

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : كان أبي يَقرأُ كُلَّ يومٍ سُبعاً ، وكانَ يَنامُ نَومَةً خَفيفَةً بعد العِشاءِ ، ثم يَقومُ إلى الصَّباحِ يُصلِّي ويَدعُو[2] .

وقالَ حُسَينُ بنُ خاقان : كانَ ابنُ عَطاء يَنامُ في اليَومِ واللَّيلَة ساعَتين ماتَ سَنَةَ تسعٍ وثلاثِ مئة في ذي القعْدَة[3] .

٣ـ صُورٌ رائعَة علىٰ إحْياء اللَّيل جَميعه وصَلاة الفَجْر بوُضُوء العِشَاء :

عن أسَدِ بنِ عَمرو ، أنَّ أبا حَنيفَة ، رَحمَه الله ، صلَّى العِشاءَ والصُّبحَ بوُضوءِ أرْبَعينَ سَنةً[4] .

وعن محمَّدِ بنِ عبدِ الله الُخزاعيِّ قالَ : صلَّىٰ عبدُ الواحِد بنُ زَيد الصُّبحَ بوُضوءِ العَتْمَة أرْبَعينَ سَنةً[5] .

وقالَ ابنُ أبي الدُّنيا : حدَّثني مَنْ سَمعَ عَمرَو بنَ عَوْن يقولُ : مَكثَ هُشَيم بنُ بَشير يُصلِّي الفَجرَ بوُضوءِ العِشاءِ قَبلَ أنْ يَموتَ عِشرينَ سَنةً[6] .

وعن عاصمِ بنِ عليٍّ قال : كنتُ أنا ويزيدُ بنُ هارون عند قَيس ابنِ الرَّبيع ، فأمَّا يزيدُ فكان إذا صَلَّى العَتَمَةَ ، لا يزالُ قائماً حتىٰ يُصَلي الغَدَاةَ بذلك الوُضوء ، نيِّفاً وأربعين سنة[7] .

وقالَ مُوسَىٰ بنُ طَريف : كانت الجارِيَةُ تَفرِشُ لعَليِّ بنِ بَكَّار ، فيَلمَسُه بيَدِه ،

---

(١) انظر السير : (أبو عُبَيد) ١٠/ ٤٩٠ـ ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٧ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٩ .
(٣) انظر السير : (ابنُ عَطاء) ١٤/ ٢٥٥ـ ٢٥٦ ، وانظر النزهة : ٣/١١٤٩ .
(٤) انظر السير : (أبو حَنيفَة) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٦/٦٦٢ .
(٥) انظر السير : (عبد الواحِد بن زَيد) ٧/ ١٧٨ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ٦/٦٩١ .
(٦) انظر السير : (هُشَيم) ٨/ ٢٨٧ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/٧٥٩ .
(٧) انظر السير : (يزيد بن هارون) ٩/ ٣٥٨ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٣/٨٢٩ .

ويَقولُ : واللهِ إنَّكَ لبَارِدٌ ، واللهِ لاعَلَوْتُك اللَّيلَةَ ، وكانَ يُصلِّي الفَجرَ بوُضُوءِ العَتمَة .

ماتَ سَنةَ سَبعٍ ومئتين[1] .

ومرَّ أحمَدُ بنُ حَرْب بصِبيانٍ يَلعَبون ، فقالَ أحدُهم : أمْسِكُوا ، فإنَّ هٰذا أحمَدُ بنُ حَرْب الذي لا يَنامُ اللَّيلَ ، فقَبضَ علىٰ لِحْيَتِهِ ، وقالَ : الصِّبْيانُ يَهابُونَك وأنتَ تَنامُ ؟ فأحْيَى اللَّيلَ بعد ذلك حتَّىٰ ماتَ[2] .

وقالَ محمَّدُ بن يَحْيَىٰ بنِ مَنْدَة : لَمْ يُحدِّثْ ببَلدِنا مُنذُ أرْبَعينَ سَنةً أَوْثَقُ من أحمدَ بنِ مَهْدي ، صَنَّفَ « الْمُسْنَد » ولَمْ يُعرَفْ له فِراشٌ مُنذُ أرْبَعينَ سَنةً ، صاحِبُ عِبادَةٍ رَحِمَه الله[3] .

وعن عبدِ الله بنِ إسْحاقَ بنِ التَّبَّان ، أنَّ عَبْدوسَ أقامَ أرْبَعَ عَشرَةَ سَنةً يُصلِّي الصُّبحَ بوُضوءِ العِشاءِ ، وكانَ علىٰ غايَة من التَّواضُع .

وقد فرَّقَ مئةَ دِينارٍ من غلَّةِ ضَيْعَتِه في القَحْط[4] .

* * *

---

(١) انظر السير : (عليُّ بنُ بكَّار) ٩/ ٥٨٤ـ ٥٨٥ ، وانظر النزهة : ٥/٨٤١ .
(٢) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَرْب) ١١/ ٣٢ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ١/٩٠٦ .
(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ مَهْدي) ١٢/٥٩٧ـ٥٩٨ ، وانظر النزهة : ١/١٠٣٨ .
(٤) انظر السير : (ابن عَبْدوس) ١٣/ ٦٣ـ ٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٥١ .

(١٠) وَصَايا الصَّالِحين

١ـ وَصِيَّةٌ من وَصَايا سَيِّد الخَلْق مُحمَّد صلى الله عليه وسلم :

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ : أَوْصَاني خَليلي صلى الله عليه وسلم بسَبع « أمَرَني بِحُبِّ الْمَسَاكينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُم ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إلَىٰ مَنْ هُوَ دُونِي وَأَنْ لا أَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً ، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإنْ أَدْبَرَتْ ، وَأَنْ أَقُولَ الحَقَّ وَإنْ كانَ مُرَّاً ، وَأَلاَّ أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ، وَأَنْ أكثِرَ مِنْ قَوْلِ : لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، فَإنَّهُنَّ مِنْ كنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ »[١] .

٢ـ مِنْ وَصَايا الصَّالحين :

عن أبي قِلابَةَ وغَيرِه أنَّ فُلاناً مر به أصحابُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقالَ : أَوْصُوني ، فجَعلوا يُوصُونَه ، وكانَ مُعَاذُ بنُ جَبَل في آخِرِ القَوْمِ ، فقالَ : أَوْصِنِي يَرْحَمُك الله قالَ : قد أَوْصُوكَ فلَمْ يَألُوا ، وإنِّي سَأَجْمَعُ لك أمْرَك : اعْلَم أنَّه لا غِنَىٰ بك عن نَّصيبِك من الدُّنيا ، وأنتَ إلىٰ نَصيبِكَ إلى الآخِرَة أفْقَر ، فابْدأ بنَصيبِكَ من الآخِرَةِ ، فإنَّه سَيمُرُّ بك علىٰ نَصيبِك من الدُّنيا فيَنْتَظِمُه ، ثم يَزولُ مَعكَ أيْنما زِلْتَ[٢] .

وقالَ حريزُ بنُ عُثمانَ : حدَّثنا راشِدُ بنُ سَعد ، قالَ : جاءَ رَجلٌ إلىٰ أبي الدَّرْداءِ ، فقال : أَوْصِني قالَ : اذْكُر اللهَ في السَّرَّاءِ يَذْكرْكَ في الضَّرَّاء ، وإذا ذَكرْتَ الْمَوْتَىٰ ، فاجْعَلْ نَفَسَكَ كأحَدِهم ، وإذا أشْرَفَت نَفسُك علىٰ شَيءٍ من الدُّنيا ، فانْظُرْ إلىٰ ما يَصيرُ[٣] .

قالَ إسماعيلُ بنُ عيَّاش : أنبأنا عَقيلُ بن مُدْرك ، يَرفَعُه إلىٰ أبي سَعيد الخُدْريِّ قال : عَليكَ بتَقْوى الله فإنَّه رأسُ كلِّ شيء وعَليكَ بالجِهادِ فإنَّه رَهْبانيَّةُ الإسْلام ،

---

(١) انظر السير : (أبو ذَرْ) ٢/٤٦ـ٧٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٢٠ .

(٢) انظر السير : (مُعاذُ بنُ جَبَل) ١/٤٤٣ـ ٤٦١ ، وانظر النزهة : ٢/١٩٢ .

(٣) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٦/٢٧٢ .

وعَليكَ بذِكْر الله وتِلاوَة القُرآنِ ، فإنَّه رُوحُك في أهْلِ السَّماء وذِكْرُك في أهْلِ الأرْض ، وعَليكَ بالصَّمْتِ إلاَّ في حَقٍّ ، فإنَّك تَغلِبُ الشَّيْطان[١] . »[٢] .

وقيل لهَرِمِ بنِ حَيَّان العَبْدي : أَوْصِ ، قالَ : صَدَّقَتني نَفسِي ، ومَالي ما أُوصي به ، ولكنْ أُوصيكُم بخَواتيمِ سُورَةِ النَّحْل[٣] .

وعن الحَسَنِ ، عن هَرِمٍ ، أنَّه قيلَ له : أوْصِنا فقالَ : أُوصِيكُم بخَواتيمِ سُورَة البَقَرَة[٤] .

وعن عَلقَمَةَ أنه أوصىٰ ، قال : إذا أنا حُضِرتُ فأجْلِسُوا عندي مَنْ يُلَقِّنُني : لا إلَـٰهَ إلاَّ الله ، وأسْرِعُوا بي إلىٰ حُفْرَتي ، ولا تَنْعَوني إلى النَّاس ، فإنِّي أخَافُ أنْ يَكونَ ذلك نَعْياً كنَعْي الجاهليَّة مات سَنَةَ اثنَتينِ وسِتِّينَ[٥] .

وقالَ رَجلٌ لدَاوُدَ الطَّائي : أوْصِني قالَ : اتَّقِ اللهَ ، وبِرَّ وَالِدَيْكَ ، وَيْحكَ! صُم الدُّنيا ، واجْعَل فِطْرَكَ الْمَوْتَ ، واجْتَنِب النَّاسَ غَيرَ تارِكٍ لِجَماعَتِهم[٦] .

ماتَ سَيْفُ الدَّوْلَة بالفَالج ، وقِيلَ : بعُسْرِ البَوْلِ ، سَنَةَ ستٍ وخَمسِين ، وكان قد جَمَعَ من الغُبارِ الذي يَقَعُ عليه وقْتَ المصافات قدرَ الكَفِّ ، وأَوْصَىٰ أن يُوضَعَ علىٰ خَدِّه وكانت دولَتُه نَيِّفاً وعِشْرين سَنَةً[٧] .

مَرِضَ قاضي الْمَرَسْتان أبو بَكر محمَّدُ بنُ عبد الباقي ، فأَوْصَىٰ أنْ يُعمَّقَ قَبرُه زيادَةً على العادَة ، وأنْ يُكتَب علىٰ قَبرِه : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾[٨] وبقِيَ ثلاثة

---

(١) فيه انقطاع بين عقيل بن مدرك وأبي سعيد .

(٢) انظر السير : (أبو سعيد الخُدْريّ) ٣/ ١٦٨ـ ١٧٢ ، وانظر النزهة : ٣٦١/ ٢ .

(٣) انظر السير : (هَرِم بن حيَّان) ٤/ ٤٨ـ ٥٠ ، وانظر النزهة : ٤٤٠/ ٣ .

(٤) انظر السير : (هَرِم بن حيَّان) ٤/ ٤٨ـ ٥٠ ، وانظر النزهة : ٤٤٠/ ٤ .

(٥) انظر السير : (عَلقَمَة) ٤/ ٥٣ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٤٤٤/ ٦ .

(٦) انظر السير : (داوُد الطَّائي) ٧/ ٤٢٢ـ ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٧١٢/ ١ .

(٧) انظر السير : (سيف الدولة) ١٦/ ١٨٧ـ ١٨٩ ، وانظر النزهة : ١٢٨٣/ ١ .

(٨) سورة ص ، الآيتان : ٦٧ ، ٦٨ .

أيَّامٍ لا يَفتُرُ من قِراءَةِ القُرآنِ ، إلىٰ أنْ تُوفِّيَ سَنةَ خَمسٍ وثَلاثينَ وخَمسِ مئة[1] .

وقال أبو سَعد السَّمْعانيُّ : ولَمَّا عَزمتُ على الرِّحْلَة ، دَخلتُ علىٰ شَيخِنا يُوسُفَ بنِ أيُّوبَ مُوَدِّعاً ، فصَوَّبَ عَزْمي ، وقالَ : أُوصيكَ : لا تَدخُلْ على السَّلاطينِ ، وأبْصِرْ ما تأكُلُ لا يَكُونُ حَراماً[2] .

ومن وَصايا الْمُوَفَّق ، قالَ : يَنبَغي أنْ تَكونَ سِيرَتُك سِيرَةَ الصَّدْرِ الأوَّل ، فاقْرأ السِّيرَةَ النَّبَويَّة ، وتَتبَّعْ أفْعالَه ، واقْتَفِ آثارَه ، وتَشبَّه به ما أمْكَنكَ مَنْ لَمْ يَحْتمِلْ أَلَمَ التَّعلُّم لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ العِلمِ ، ومَنْ لَمْ يَكْدَحْ لَمْ يُفْلِحْ إذا خَلَوتَ من التَّعلُّم والتَّفكُّر فحَرِّكْ لِسانَكَ بالذِّكْرِ وخاصَّةً عند النَّوم ، وإذا حَدثَ لك فَرحٌ بالدُّنيا فاذْكُر الْمَوتَ وسُرعَةَ الزَّوالِ وكَثرَةَ الْمُنغِّصات إذا حَزبَكَ أمرٌ فاسْتَرجِعْ ، وإذا اعْتَرتْكَ غَفلَة فاسْتَغفِر واعْلمْ أنَّ للدِّين عَبَقَة وعرقاً ينادي علىٰ صاحِبه ونُوراً وَضيئاً يُشرِفُ عليه ويَدلُّ عليه ، يا مُحْيي القُلوب الْمَيِّتَة بالإيمان خُذْ بأيْدينا من مهْواة الهَلكَة وطَهِّرْنا من دَرَن الدُّنيا بالإخْلاصِ لك . وله مُصنَّفات كَثيرةٌ .

حَضرَتْه الْمَنيَّةُ ببَغْدادَ في سَنةِ تِسْعٍ وعِشْرينَ وسِتٍّ مِئة[3] .

* * *

(١) انظر السير : (قاضي الْمَرَسْتان) ٢٠/ ٢٣ـ ٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٢٣ .
(٢) انظر السير : (يُوسُف بن أيُّوب) ٢٠/ ٦٦ـ ٦٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٣١ .
(٣) انظر السير : (الْمُوَفَّق) ٢٢/ ٣٢٠ـ ٣٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٩٣ .

صِفَاتٌ قَلبيّة عَزيزَةٌ يَتَّصِفُ بها الصَّالحون

الإخْلاص

١ـ اخْتِبارُ الإخْلاص :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أُمِّ كلْثومَ بنتِ عُقْبَة بنِ أبي مُعَيْط : أَسْلَمَت بمَكة ، وبايَعَت ، ولَمْ يَتهيّأ لها هِجْرَة إلىٰ سَنةِ سَبعٍ وكان خُروجُها زَمنَ صُلحِ الحُدَيْبيَة ، فخَرجَ في إثْرِها أخَواها : الوَليدُ وعُمارَة فما زالاَ حتَّىٰ قَدِما المدينَةَ ، فقالا : يا مُحمَّد ، فِ لَنا بشَرْطِنا ، فقالَت : أتَرُدُّني يا رسُولَ الله إلى الكُفَّارِ يَفْتِنوني عن ديني ولا صَبرَ لي ، وحَالُ النِّساءِ في الضَّعْفِ ما قد عَلِمتَ ؟ فأنْزلَ اللهُ تعالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾[١] .

فكانَ يَقولُ : « آللهُ مَا أَخْرَجَكنَّ إلاَّ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ والإسْلامِ! مَا خَرَجْتُنَّ لِزَوْجٍ وَلا مَالٍ ؟ » فإذا قُلنَ ذلكَ ، لَمْ يَرْجِعهُنَّ إلى الكُفَّار[٢] .

٢ـ مَا لا يُرادُ به وَجْهُ الله يَضْمَحِلّ :

عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيم قالَ : كلُّ ما لا يُرادُ به وَجهُ الله يَضْمَحِلُّ[٣] .

٣ـ سُؤالُ الله الإخْلاصَ وتَجنُّب الرِّياء :

وعن عليِّ بنِ الحُسَين قال : فَقْدُ الأحِبَّةِ غُربة وكان يقولُ : اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك أنْ تُحَسِّنَ في لَوَائحِ[٤] العُيونِ عَلانِيَتي وتُقَبِّحَ في خَفيَّاتِ العُيونِ سَريرَتي اللَّهُمَّ كما أسأتُ وأحْسَنتَ إليَّ ، فإذا عُدتُ فعُدْ عليَّ[٥] .

---

(١) سورة الممتحنة ، الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(٢) انظر السير : (أُمُّ كلثوم) ٢/٢٧٦ـ٢٧٧ ، وانظر النزهة : ٦/٢٥٧ .

(٣) انظر السير : (الرَّبيع بن خُثَيم) ٤/٢٥٨ـ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٩٣ .

(٤) لوائح الشيء : ما يبدو منه وتظهر علامته عليه .

(٥) انظر السير : (علي بن الحسين) ٤/٣٨٦ـ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٩ .

٤ـ الحَثُّ على الاهْتِمام بالسَّرائر :

عن الأحْنَفِ بنِ قَيْس قالَ : رَأسُ الأدَبِ آلَةُ الْمَنْطِقِ ، لا خَيرَ في قَولٍ بلا فِعلٍ ، ولا في مَنظَرٍ بلا مَخْبَر ، ولا في مَالٍ بلا جُودٍ ، ولا في صَديقٍ بلا وَفاءٍ ، ولا في فِقْهٍ بلا وَرَعٍ ، ولا في صَدَقةٍ إلا بنيَّة ، ولا في حَياةٍ إلاَّ بصِحَّةٍ وأمْنٍ(١) .

وعن مُنذِر الثَّوريِّ ، قال : كانَ الرَّبيعُ بنُ خُثَيم إذا أتاهُ الرجلُ يَسْألُه قال : اتَّقِ اللهَ فيما عَلِمْتَ ، وما استُؤثِرَ به عليكَ ، فكِلْهُ إلىٰ عَالِمِه ، لأنا عليكم في العَمْد أخْوَفُ منِّي عَليكم في الخَطَأ ، وما خَيِّرُكُم اليومَ بخَيِّرٍ ، ولكنَّه خيرٌ من آخَر شَرٌّ منه ، وما تَتَّبعونَ الخَيرَ حَقَّ اتِّباعِه ، وما تَفرُّونَ من الشَّرِّ حَقَّ فِراره ، ولا كلَّ ما أنزلَ اللهُ علىٰ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أدْرَكتُم ، ولا كلَّ ما تَقْرؤون تَدْرونَ ما هو ، ثم يقولُ : السَّرائرَ السَّرائرَ اللاتي يَخْفَيْنَ من النَّاسِ وهُنَّ للهِ بَوادٍ ، التَمِسوا دَواءَهُنَّ وما دَواؤُهُنَّ إلاَّ أنْ يَتوبَ ثمَّ لا يَعود(٢) .

٥ـ النِّيَّةُ الحَسَنَة :

(أ) رُؤيا في فائدَتِها :

حَكَى القُشَيْريُّ أنَّ عَمرو بنَ اللَّيث رُئي ، فقيلَ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : أشْرَفْتُ يوماً من جَبلٍ علىٰ جُيوشي ، فأعْجَبَتْني كَثرَتُهم ، فتَمَنَّيتُ أنَّني كُنتُ حَضرْتُ مع رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فنَصَرتُه وأعَنْتُه ، فشَكرَ اللهُ لي ، وغَفرَ لي(٣) .

(ب) وُجُوبُ إخْلاص النِّيَّة :

عن مُجاهد ، قال : طَلبنا هـٰذا العلمَ وما لنا فيه نيَّة ، ثم رَزَقَ اللهُ النيَّةَ بعد(٤) .

وقال عَونُ بنُ عمارَة : سَمعتُ هشاماً الدَّسْتُوائيَّ يقولُ : واللهِ ما أسْتطيعُ أنْ أقُولَ

---

(١) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٢ .

(٢) انظر السير : (الرَّبيع بن خُثَيم) ٤/٢٥٨ـ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٩٢ .

(٣) انظر السير : (عَمرو بن اللَّيْث الصَّفَّار) ١٢/٥١٦ـ٥١٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢٨ .

(٤) انظر السير : (مُجاهد بن جَبر) ٤/٤٤٩ـ٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٥/٥٣٠ .

إنِّي ذهبتُ يوماً قَطُّ أطلبُ الحَديثَ أريدُ به وجْهَ الله عزَّ وجلَّ[١] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : والله ولا أنا ، فقد كان السَّلفُ يَطلبونَ العلمَ لله فنبَلُوا وصاروا أئمَّة يُقتَدَىٰ بهم ، وطلَبَه قومٌ منهم أولاً لا لله ، وحصَّلوه ، ثم اسْتَفاقوا ، وحاسَبوا أنفسَهم ، فجَرَّهم العلمُ إلى الإخْلاصِ في أثناء الطَّريق ، كما قال مُجاهدٌ وغَيرُه : طَلَبنا هـٰذا العلمَ وما لنا فيه كَبيرُ نيَّة ثم رَزَقَ اللهُ النيَّةَ بعدُ ، وبعضُهم يقولُ : طَلَبنا هـٰذا العلمَ لغَير الله فأبَىٰ أنْ يكونَ إلاَّ لله فهـٰذا أيضاً حَسنٌ ثم نَشَروه بنيَّةٍ صالحَة[٢] .

وقالَ رَجلٌ لأبي الفَرَج ابنِ الجَوْزي : ما نِمتُ البارحَةَ من شَوْقي إلى الْمَجْلِس ، قالَ : لأنَّك تُريدُ الفُرجَةَ ، وإنَّما يَنبَغي اللَّيلةَ أنْ لا تَنامَ[٣] .

(ج) عَاقِبَةُ سُوء النيَّة :

قالَ إسْحاقُ بنُ الطَّبَّاع : سَمعتُ حَمَّادَ بنَ سَلمةَ يقولُ : مَنْ طَلبَ الحَديثَ لغَيرِ الله تَعالَىٰ مُكِرَ به[٤] .

وقالَ عبدُ الله بنُ الْمُبَارَك : رُبَّ عَمَلٍ صَغيرٍ تُكَثِّرُه النِّيَّةُ ، ورُبَّ عَمَلٍ كَثيرٍ تُصَغِّرُه النِّيَّةُ[٥] .

(د) تَمنِّي صَفاء النيَّة :

عن أبي يَزيدَ البَسْطامي قالَ : لَوْ صَفا لي تَهْليلَةٌ ما باليْتُ بعدَها .

تُوفِّيَ أبو يَزيد بِبَسْطَامَ سَنَةَ إحْدَىٰ وسِتِّينَ ومِئتَين[٦] .

---

(١) انظر السير : (هِشَام الدَّسْتُوائي) ٧/ ١٤٩ـ١٥٦ ، وانظر النزهة : ٦٨٧/ ٥ .
(٢) انظر السير : (هِشَام الدَّسْتُوائي) ٧/ ١٤٩ـ١٥٦ ، وانظر النزهة : ٦٨٧/ ٦ .
(٣) انظر السير : (أبو الفَرَج ابن الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١٦٣٣/ ٦ .
(٤) انظر السير : (حمَّاد بن سَلَمَة) ٧/ ٤٤٤ـ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٧١٥/ ٧ .
(٥) انظر السير : (عبد الله بن المبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٦٩/ ١ .
(٦) انظر السير : (أبو يَزيد البَسْطامي) ١٣/ ٨٦ـ٨٩ ، وانظر النزهة : ١٠٥٥/ ٦ .

التَّقْوَى

١ـ تَعْرِيفُها :

عن بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ ، قالَ : لَمَّا كانت فِتنَةُ ابنِ الأشْعَث قالَ طَلْقُ بنُ حَبيب : اتَّقوها بالتَّقْوَىٰ فقيلَ له : صِفْ لنا التَّقْوَىٰ فقالَ : العملُ بطَاعَة الله ، علىٰ نُور من الله رَجاءَ ثَوابِ الله ، وتَركُ مَعاصي الله علىٰ نور من الله ، مَخافَةَ عَذابِ الله .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أبدَعَ وأوْجَزَ ، فلا تَقْوَىٰ إلاَّ بعَمَل ، ولا عَملَ إلاَّ بتَرَوٍّ من العِلم والاتِّباع ، ولا يَنفَعُ ذلك إلاَّ بالإخْلاصِ لله لا ليُقالَ فُلانٌ تارِكٌ للمَعاصي بنُورِ الفِقْه ، إذ الْمَعَاصي يَفتَقرُ اجتنابُها إلىٰ مَعرِفَتها ، ويكونُ التَّركُ خَوْفاً من الله ، لا ليُمدَحَ بتَركِها ، فمَنْ دَاوَم علىٰ هـٰذه الوَصيَّة فقَد فازَ[1] .

٢ـ مَتَىٰ يُعَدُّ الإنْسَانُ تَقيّاً :

عن مَيْمونِ بنِ مِهْرانَ قالَ : لا يَكونُ الرَّجُلُ تَقيّاً حتَّىٰ يَكونَ لِنَفسه أشَدَّ مُحاسَبَةً من الشَّريكِ لِشَريكِه ، وحتّىٰ يَعلمَ مِنْ أينَ مَلْبَسُه ومَطعَمُه ومَشرَبُه[2] .

التَّوَكل

١ـ تَعْريفٌ للتَّوَكل :

قال محمد بن يحيى الذُّهلي : سألت الخُرَيْبيَّ عن التَّوَكل ، فقالَ : أرَى التَّوَكلَ حُسْنَ الظَّنِّ بالله[3] .

٢ـ لَيسَ النَّاسُ في التَّوَكل سَواء :

سُئلَ ابنُ راهَويه : أيَدْخُلُ الرجلُ المَفازَةَ بغَيرِ زادٍ ؟ قالَ : إنْ كانَ مثلَ عبدِ اللهِ بنِ مُنِيرٍ ، فنعَم .

---

(١) انظر السير : (طَلْق بن حَبيب) ٤/ ٦٠١ـ٦٠٣ ، وانظر النزهة : ٩/٥٦٦ .

(٢) انظر السير : (مَيْمون بن مِهْران) ٥/ ٧١ـ٧٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٨١ .

(٣) انظر السير : (الخُرَيبيّ) ٩/ ٣٤٦ـ٣٥٢ ، وانظر النزهة : ٤/٨٢٧ .

وقيلَ : كانَ ابنُ مُنِيرٍ يُعَدُّ من الأبْدالِ[1] .

٣ـ فَضْلُ التَّوَكل :

عن سعيدِ بنِ جُبَير قال : التَّوَكُّلُ على الله جِماعُ الإيمان وكان يَدعُو : اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ صِدقَ التَّوَكُّلِ عَليكَ وحُسنَ الظَّنِ بك[2] .

٤ـ الدُّعَاء بصِدْق التَّوَكل :

عن سعيدِ بنِ جُبَير قال : التَّوَكُّلُ على الله جِماعُ الإيمان وكان يَدعُو : اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ صِدقَ التَّوَكُّلِ عَليكَ وحُسنَ الظَّنِ بك[3] .

٥ـ صُورٌ على التَّوَكل :

عن يَعقوبَ بنِ عبدِ الرَّحْمَـٰنِ القَارِّي ، عن أبيه : سَمعتُ عَونَ بنَ عبدِ الله يقولُ : ما رَأيتُ أحداً أعْلمَ بتَأويلِ القُرآن من القُرَظيِّ ، وقيلَ : كانَ له أمْلاكٌ بالمدينة ، وحَصَّلَ مالاً مَرَّة ، فقيلَ له : ادَّخِرْ لوَلَدِك ، قالَ : لا ، لَكنْ أدَّخِره لنَفسِي عندَ رَبِّي ، وأدَّخِرُ رَبِّي لِوَلَدِي ، وقيلَ : إنَّه كانَ مُجابَ الدَّعْوَة ، كَبيرَ القَدرِ[4] .

٦ـ قَوَاعد في التَّوَكل :

قيلَ لحاتِمِ الأصَمِّ : علىٰ ما بَنيتَ أمْرَكَ في التَّوَكل ؟ قالَ : علىٰ خِصَالٍ أرْبَعة : عَلمتُ أنَّ رِزْقي لا يَأكُلُه غَيري ، فاطْمَأنَّتْ به نَفسي ، وعَلمتُ أنَّ عَمَلي لا يَعمَلُه غَيري ، فأنا مَشْغولٌ به ، وعَلمتُ أنَّ الْمَوتَ يأتي بَغْتةً ، فأنا أُبادِرُه وعَلمتُ أنِّي لا أخْلو من عَينِ الله ، فأنا مُسْتَحيٍ منه[5] .

---

(١) انظر السير : (عبد الله بن مُنير) ١٢/ ٣١٦ـ ٣١٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٠٥ .
(٢) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٥٠٥ .
(٣) انظر السير : (سعيد بن جبير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٥٠٥ .
(٤) انظر السير : (القُرَظيّ) ٥/ ٦٥ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨١ .
(٥) انظر السير : (حاتِم الأصَمّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٦٠ .

٧ـ الاسْتِخَارَةُ نَوْعٌ من التَّوَكل :

قال أبو عُثْمان سَعيدُ بنُ إسْماعيلَ الحِيري : حدَّثَنا ابنُ خُزَيْمَة قال : كنتُ إذا أَردتُ أن أُصَنِّفَ الشَّيءَ أدخلُ في الصَّلاة مُسْتَخيراً حتىٰ يُفتَح لي ، ثم أَبْتَدىءُ التَّصْنيف ، ثم قال أبو عُثمان : إنَّ اللهَ ليَدفَعُ البلاءَ عن أهلِ المَدينة لمَكان أبي بكر محمّد بنِ إسْحاق ـ يَعْني ابنَ خُزَيْمَة[١] .

الخَوْفُ والخَشْيَةُ والرَّجَاء

١ـ تَعْريفُ الخَشْية :

عن سَعيدِ بنِ جُبَير ، قالَ : إنَّ الخَشْيَةَ أنْ تَخشَى اللهَ حتّىٰ تَحُولَ خَشيتُكَ بَينَك وبَينَ مَعصيَتِك ، فتلكَ الخَشيَةُ ، والذِّكْرُ طَاعَةُ اللهِ ، فمَنْ أطاعَ اللهَ ، فقد ذَكرَه ، ومَنْ لَمْ يُطِعْه فلَيسَ بذَاكِر وإنْ أَكْثَرَ التَّسْبيحَ وتِلاوَة القُرآن[٢] .

٢ـ الجَمْعُ بين الخَوْفِ والرَّجَاء :

قالَ مُعاويَةُ بنُ عبدِ الكَريم الثَّقَفي ، سَمعتُ بَكرَ بنَ عبدِ الله يَقولُ يَومَ الجُمُعَة : لَوْ قيلَ لي : خُذْ بيَدِ خَيرِ أهْلِ المَسجِدِ ، لقُلتُ : دُلُّوني علىٰ أنْصَحِهم لعامَّتِهم ، فإذا قيلَ : هـٰذا ، أخَذتُ بيَدِه ، ولَوْ قيلَ لي : خُذْ بيَدِ شَرِّهم ، لقُلتُ : دُلُّوني علىٰ أغَشِّهم لعامَّتِهم ، ولَوْ أنَّ مُنادياً نادىٰ من السَّماءِ : إنَّه لا يَدخُلُ الجنَّة منكُم إلاَّ رَجلٌ واحِدٌ ، لكانَ يَنبَغي لكُلِّ إنسانٍ أنْ يَلتَمِسَ أنْ يَكونَ هُوَ ، ولَوْ أنَّ مُنادياً نادىٰ : إنَّه لا يَدخُلُ النَّارَ منكُم إلاَّ رَجلٌ واحِدٌ لكانَ يَنبَغي لكُلِّ إنْسانٍ أنْ يَفْرَقَ أنْ يَكونَ ذلك الوَاحِد[٣] .

---

(١) انظر السير : (ابن خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٠ .

(٢) انظر السير : (سَعيدُ بنُ جُبَير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٨/٥٠٥ .

(٣) انظر السير : (بَكر بن عبد الله) ٤/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥١ .

٣ـ شِعْرٌ في الرَّجَاء :

قال ابنُ الفَرَضي[1] :

أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ ... عَلَىٰ وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا ... وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
وَمَنْ ذَا الَّذي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي ... وَمَالَكَ في فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدِي لاَ تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي ... إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

ومن شِعْرِ الدَّاوُوديِّ[2] :

رَبِّ تَقَبَّلْ عَمَلِي ... وَلا تُخَيِّبْ أَمَلِي
أَصْلِحْ أُمُورِي كُلَّهَا ... قَبْلَ حُلُولِ الأَجَلِ

٤ـ الخَوْفُ من الله تَعالَىٰ لا مِنْ غَيرِه :

قالَ سَريُّ بنُ الْمُغَلِّس : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : مَنْ خَافَ اللهَ لَمْ يَضره أَحَدٌ ، ومَنْ خَافَ غَيرَ اللهِ لَمْ يَنفَعْه أَحَدٌ[3] .

٥ـ الخَشْيَةُ تُعينُ على الطَّاعَة :

عن عُبَيدِ الله بنِ أبي جَعْفَر قالَ : كانَ يُقالُ : ما اسْتَعانَ عبدٌ عَلَىٰ دينِه ، بِمِثْلِ الخَشْيَة من الله[4] .

٦ـ لماذا يَقِلُّ الخَوْفُ من الله :

عن ابنِ أَبي حاتِم : قالَ لي عَليُّ بنُ عبدِ الرَّحمَـٰن : قالَ لي أَحمَدُ ابنُ عاصِم

---

(١) انظر السير : (ابنُ الفَرَضيّ) ١٧/ ١٧٧ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ١/١٣٣٤ .
(٢) انظر السير : (الدَّاوُوديّ) ١٨/ ٢٢٢ـ ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٠٦
(٣) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٣ .
(٤) انظر السير : (عُبَيدُ الله بن أبي جَعْفَر) ٦/ ٨ـ ١٠ ، وانظر النزهة : ٢/ ٦٢٥ .

الأنْطَاكيُّ : قِلَّةُ الخَوفِ من قِلَّةِ الْحُزْنِ في القَلبِ ، كمَا أنَّ البَيتَ إذا لَمْ يُسكَنْ خَرِبَ[1] .

٧ـ البُكاءُ من خَشْيَة الله :

قالَ الْمُطَّلِبُ بنُ زِياد : عن عبدِ الله بنِ عِيسَىٰ : كانَ في وَجْهِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ خَطَّانِ أَسْوَدانِ من البُكاءِ[2] .

عن عبدِ الله بن عُبيد بن عُمَير ، عن أبيه : أنه تلا : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[3] فجعل ابن عمر يبكي حتىٰ لَثِقَت لحْيَتُه وجَيبُه من دموعه ، فأراد رجل أن يقول لأبي : أَقْصِرْ ، فقد آذيتَ الشيخ[4] ،[5] .

وعن نافع : كان ابنُ عُمرَ إذا قرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[6] بكَىٰ حتَّىٰ يَغلبه البكاء[7] .

ورَوَىٰ خالدُ بنُ مَعْدان : عن كَعْب الأحْبَارِ ، قالَ : لأنْ أبْكي من خَشيَةٍ أَحَبُّ إليَّ من أنْ أتَصدَّق بوَزْني ذَهَباً .

تُوفِّيَ كَعبٌ بحمْصَ ذاهباً للغَزْوِ في أوَاخِر خِلافَة عُثمانَ رضي الله عنه ، فلقَدْ كانَ من أوْعيَةِ العِلْم[8] .

---

(١) انظر السير : (الأَنْطاكيّ) ١١/ ٤٠٩ـ ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥٥ .
(٢) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٢/٤٩ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٤١ .
(٤) أخرَجه ابنُ سَعد (٤/ ١٦٢) من طريق موسَى بن مَسعود بهـٰذا الإسْناد ، وموسَى بن مسعود : هو أبو حُذَيفَة النَّهْدي ـ سَيءُ الحفظ ، وباقي السند رجاله ثِقات ، وقوله : « حتّىٰ لثقت لحيتُه » أي : ابتلَّت ، يُقالُ : لثقَ الطائرُ ، إذا ابتلَّ ريشُه .
(٥) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٦٧ .
(٦) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .
(٧) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٦٧ .
(٨) انظر السير : (كعْب الأحْبَار) ٣/ ٤٨٩ـ ٤٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/٤١٤ .

وكانَ العَلاءُ بنُ زياد رَبَّانياً تَقيّاً قانِتاً لله ، بَكاءً من خَشْيَةِ اللهِ[1] .

قالَ قَتادَة : كانَ العَلاءُ بنُ زياد قد بَكَىٰ حتَّىٰ غُشيَ بَصَرُه ، وكانَ إذا أرادَ أنْ يَقرأَ أو يَتكلَّمَ ، جَهشَه البُكاءُ ، وكانَ أبُوهُ قد بَكَىٰ حتىٰ عَمِيَ[2] .

وقالَ أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيُّ : حدَّثنا يَحْيَىٰ بنُ الفَضْل الأنيسي ، سَمعتُ بعضَ مَنْ يَذكُرُ عن محمَّدِ بنِ الْمُنْكَدِر ، أنَّه بينا هو ذاتَ ليلَة قائمٌ يُصلِّي إذ استَبْكَىٰ ، فكثُرَ بُكاؤه حتىٰ فزِعَ له أهْلُه ، وسَألوه ، فاسْتعجَمَ عَليهم ، وتَمادَىٰ في البُكاءِ ، فأرْسَلوا إلىٰ أبي حازِم فجاءَ إليه ، فقالَ : ما الذي أبْكاكَ ؟ قال مَرَّتْ بي آيةٌ ، قالَ : ما هيَ ؟ قالَ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾[3] ، فبَكَىٰ أبو حازِم معه ، فاشْتدَّ بُكاؤُهما[4] .

وكانَ مُحمَّدُ بنُ الْمُنْكدِر إذا بَكَىٰ ، مَسحَ وَجهَه ولِحْيتَه من دُموعِه ، ويَقولُ : بَلَغني أنَّ النَّارَ لا تَأكُلُ مَوْضِعاً مَسَّتهُ الدُّمُوعُ[5] .

وقالَ عَطاءٌ الخَفَّاف : ما لَقيتُ سُفيانَ الثَّوْريَّ إلاَّ باكياً ، فقُلتُ : مَا شَأنُك ؟ قالَ : أتَخَوَّفُ أنْ أكُونَ في أُمِّ الكتابِ شَقيّاً[6] .

وقالَ يَحْيَىٰ بنُ أبي بُكَير : قُلتُ للحَسَنِ بنِ صالح : صِفْ لنا غَسْلَ الْمَيِّتِ فمَا قَدِرَ عليه من البُكَاء[7] .

وقالَ أبو زُرْعَة : حدَّثني أبو النَّضْر إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ ، قالَ : كُنتُ أسْمَعُ وَقْعَ دُمُوعِ سَعيدِ بن عبدِ العَزيزِ عَلى الحَصيرِ في الصَّلاةِ[8] .

---

(١) انظر السير : (العَلاء بن زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٧ .
(٢) انظر السير : (العَلاء بن زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٧ .
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٧ .
(٤) انظر السير : (محمد بن الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٧ .
(٥) انظر السير : (محمد بن الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٨ .
(٦) انظر السير : (سُفيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٨ .
(٧) انظر السير : (الحَسَن بن صالح) ٧/ ٣٦١ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٣ .
(٨) انظر السير : (سَعيد بن عبد العَزيز) ٨/ ٣٢ـ ٣٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٢٣ .

وقالَ أبو عبدِ الرَّحْمَـٰنِ الأسَدِي : قُلتُ لسَعيدِ بنِ عبدِ العَزيزِ : ما هـٰذا البُكاءُ الذي يَعرِضُ لكَ في الصَّلاةِ ؟ فقالَ : يا ابنَ أخي ، وما سُؤالُك عن ذلك ؟ قُلتُ : لَعلَّ اللهَ أنْ يَنفَعَني به ، فقالَ : ما قُمتُ إلىٰ صَلاةٍ إلاَّ مُثِّلَت لي جَهَنَّمُ(١) .

وقالَ نُعَيمُ بنُ حمَّاد : كانَ ابنُ الْمُبارَك إذا قرأ كتابَ الرِّقاق ، يَصيرُ كأنَّه ثَورٌ مَنْحورٌ ، أو بَقَرَةٌ مَنْحُورَةٌ ، من البُكاءِ ، لا يَجْتَرىء أحدٌ مِنْ أنْ يَسألَه عن شَيء إلاَّ دَفعَه(٢) .

وقالَ الزَّاهِدُ يُوسُفُ الهَمَذاني : انْطَرَشَ أبو الحُسَين ، فكانَ يَقرأُ علَينا ، وكانَ دَائمَ العِبادَة ، قَرأَ عَلينا حَديثَ الْمَلَكين(٣) . فبَكَىٰ بُكاءً عَظيماً ، وأبْكَىَ الحَاضِرينَ .

ماتَ سَنةَ خَمسٍ وستِّينَ وأرْبَع مئة(٤) .

٨ـ تَرْكُ البُكاء خِذْلان :

وقالَ أبو سُلَيْمانَ الدَّارانيُّ : لِكُلِّ شيء عَلَمٌ ، وعَلَمُ الخِذْلانِ تَركُ البُكاءِ ، ولِكُلِّ شيء صَدأٌ ، وصَدأُ القَلبِ الشِّبَع(٥) .

٩ـ البُكاءُ المطْلُوب :

عن مُعاوِيَةَ بنِ قُرَّة قالَ : بُكاءُ العَمَل أحَبُّ إليَّ من بُكاءِ العَينِ(٦) .

---

(١) انظر السير : (سَعيد بن عبد العَزيز) ٨/ ٣٢ـ٣٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٢٣ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن الْمُبارَك) ٨/٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٧ .

(٣) ينظر في هـٰذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل المخرَج في « الْمُسنَد » (٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وأبي داوُد (٣٢١٢) الطيالسي (٧٥٣) ، وصحَّحه الحاكم (١/ ٣٧/ ٤٠) ، وأقرَّه الذَّهَبيُّ ، وصحَّحه غيرُ واحد من الأئمَّة وهو كما قالوا ، وحديث أنَس في البُخاري (١٣٧٤) ، ومُسلم (٢٨٧٠).

(٤) انظر السير : (ابنُ الْمُهْتَدي بالله) ١٨/ ٢٤١ـ ٢٤٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٠٩ .

(٥) انظر السير : (أبو سُليمانَ الدَّاراني) ١٠/ ١٨٢ـ١٨٦ ، وانظر النزهة : ٣/٨٦٥ .

(٦) انظر السير : (مُعاويَة بن قُرَّة) ٥/١٥٣ـ ١٥٥ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٤ .

١٠ـ العَمَىٰ من كثْرَة البُكاء :

قالَ قَتادَةُ : كان العَلاءُ بنُ زِياد قد بَكَىٰ حتىٰ غُشيَ بَصَرُه ، وكانَ إذا أرادَ أنْ يَقرأ أو يَتكلَّمَ ، جَهشَه البُكاءُ ، وكانَ أبُوهُ قد بَكَىٰ حتىٰ عَمِيَ[١] .

وقالَ يُوسُفُ بنُ مُسْلم : بَكَىٰ عَليّ بنُ بَكَّار ، حَتَّىٰ عَمِيَ ، وكانَ قد أثَّرت الدُّمُوعُ في خدَّيْه[٢] .

وقالَ الحاكمُ : سَمعتُ عُمرَ بنَ عَلَّك يَقولُ : ماتَ البُخاريُّ ، فلَمْ يُخلِّفْ بخُراسانَ مثلَ أبي عيسَى التِّرْمِذيّ ، في العِلمِ والحِفظِ ، والوَرَعِ والزُّهْدِ بَكىٰ حتَّىٰ عَمِيَ ، وبَقِيَ ضَريراً سِنينَ[٣] .

١١ـ الغَشْيُ (الإغْماءُ) من خَشْيَة الله :

قيلَ : إنَّ حَوْشَباً قالَ لِمَالكِ بنِ دِينار : رَأيتُ ، كأنَّ مُنادياً يُنادي الرَّحيلَ ، الرَّحيلَ ، فمَا ارْتَحَلَ إلاَّ مُحمَّدُ بنُ وَاسِع فبَكَىٰ مَالكٌ ، وخرَّ مَغْشياً عليه[٤] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ زَكريّا الغَلابي ، حدَّثنا أبو عُمرَ الجَرْميُّ النَّحْويُّ ، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ الرَّبيع ، قالَ : حَجَّ أميرُ المؤمنين ـ يَعْني هارُونَ الرَّشيدَ ـ فقالَ لي : وَيْحَك ، قَد حَكَّ في نَفَسي شَيءٌ ، فانْظُر لي رَجُلاً أسْألُه فقُلتُ : ها هُنا سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة ، فقالَ : امْضِ بنا إليه ، فأتَيناهُ ، فقَرَعْنا بابَه ، فقالَ : مَنْ ذا ؟ فقُلتُ : أجِبْ أميرَ المؤمنين .

فخَرجَ مُسْرِعاً ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، لَوْ أرْسَلتَ إليَّ أتَيتُك فقالَ : خُذْ لِما جِئتُك له ، فحَدَّثَه ساعَةً ، ثم قالَ له : عَليكَ دَينٌ قالَ : نَعَم فقالَ لي : اقْضِ دَيْنَه ، فلمَّا خَرجْنا قالَ : ما أغْنَىٰ عنِّي صاحبُك شَيئاً ، قُلتُ : ها هُنا عبدُ الرَّزَّاق قالَ : امْضِ بنا إليه ، فأتَيْناهُ ، فقَرَعْتُ البابَ فخَرَجَ ، وحادَثَه ساعَةً ، ثم قالَ : عَليكَ دَينٌ ؟ قالَ :

---

(١) انظر السير : (العَلاء بن زياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٧ .

(٢) انظر السير : (عَليُّ بن بَكار) ٩/ ٥٨٤ـ ٥٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٤١ .

(٣) انظر السير : (التِّرْمِذيُّ) ١٣/ ٢٧٠ـ ٢٧٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٨١ .

(٤) انظر السير : (محمَّد بن واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٩/٦٣٨ .

نَعَم قالَ : يا أبا عبَّاس ، اقْضِ دَيْنَه ، فلمَّا خَرجْنا قالَ : مَا أَغْنَىٰ عَنِّي صاحِبُكَ شَيئاً ، انظُر لي رَجُلاً أسألُه ، قُلتُ : ها هُنا الفُضَيلُ بنُ عِياض ، قالَ : امْضِ بنا إليه ، فأتَيْناه ، فإذَا هو قائمٌ يُصلِّي ، يَتْلو آيةً يُردِّدُها ، فقالَ : اقْرَع البابَ ، فقَرعْتُ ، فقال : مَنْ هَـٰذا ؟ قلتُ أجبْ أميرَ المؤمنين ، قالَ : ما لي ولأميرِ المؤمنينَ ؟ قُلتُ سُبْحانَ الله ، أما عَليكَ طَاعَةٌ ، فنزَلَ ، ففتَحَ البابَ ، ثمَّ ارْتَقىٰ إلى الغُرْفَة ، فأطْفَأَ السِّراجَ ثمَّ الْتَجأ إلىٰ زاويةٍ ، فدَخلنا ، فجَعَلْنا نَجولُ عليه بأيْدينا ، فسَبَقَتْ كفُّ هارُونَ قَبْلي إليه ، فقالَ : يا لَها من كَفٍّ ، ما أَلْيَنَها إنْ نَجَتْ غداً من عَذابِ الله ، فقُلتُ في نَفسي : لَيُكلِّمَنَّه اللَّيلةَ بكَلامٍ نَقيٍّ من قَلبٍ تَقيٍّ ، فقالَ له : خُذ لِما جِئناكَ له ، رَحمَك الله ، فقالَ : إنَّ عُمرَ بنَ عبدِ العَزيزِ لَمَّا وَليَ الخِلافَةَ دَعا سالِمَ بنَ عبدِ الله ، ومحمَّدَ بنَ كعْبٍ ، ورَجاءَ بنَ حَيْوَة ، فقالَ لهم : إنِّي قد ابْتُليتُ بهَـٰذا البَلاء فأشيروا عليَّ ، فعَدَّ الخِلافَةَ بلاءً وعَدَدْتَها أنتَ وأصْحابُكَ نِعْمَة ، فقالَ له سَالم : إنْ أرَدْتَ النَّجاةَ ، فصُم الدُّنيا ، وليَكُنْ إفطارَكَ منها الْمَوْتُ ، وقالَ ابنُ كعْب : إنْ أرَدْتَ النَّجاة من عَذابِ الله ، فلْيَكُنْ كَبيرُ المسلمينَ عندَك أباً ، وأوْسَطُهم أخاً ، وأصْغَرُهم وَلَداً ، فوَقِّرْ أباك ، وأكْرِمْ أخاكَ ، وتَحَنَّنْ علىٰ وَلَدِك .

وقال له رَجاءُ : إنْ أرَدْتَ النَّجاةَ من عَذابِ الله ، فأحِبَّ للمسلمينَ ما تُحبُّ لِنَفْسك ، واكْرَه لهم ما تَكرَهُ لِنَفْسك ، ثم مُتْ إذا شِئتَ ، وإنِّي أقولُ لكَ هَـٰذا وإنِّي أخافُ عليكَ أشدَّ الخَوفِ يوماً تَزِلُّ فيه الأقْدامُ ، فهلْ مَعكَ رَحِمَكَ الله مَنْ يُشيرُ عليكَ بمثلِ هـٰذا ، فبَكَىٰ هارُونُ بُكاءً شَديداً حتّىٰ غُشيَ عليه ، فقُلتُ له : ارْفُقْ بأميرِ المؤمنين ، فقالَ : يا بنَ أُمِّ الرَّبيع ، تَقْتُلُه أنتَ وأصْحابُك ، وأرْفُقُ به أنا ؟!! ، ثمَّ أفاقَ فقالَ له : زِدْني رَحِمَكَ اللهُ قلتُ : بَلَغَني أنَّ عامِلاً لِعُمَرَ بنِ عبدِ العزيز شُكيَ إليه ، فكتبَ إليه : يا أخي أُذكِّرُكَ طُولَ سَهر أهْلِ النَّارِ في النَّارِ مع خُلودِ الأبَد ، وإيَّاكَ أنْ يُنصَرَفَ بك من عند الله ، فيَكونُ آخرَ العَهْدِ وانْقِطاعِ الرَّجاءِ ، فلمَّا قرأ الكتابَ طَوَى البلادَ حتّىٰ قدِمَ عليه ، فقالَ : خَلَعْتَ قَلبي بكتابِك ، لا أعُودُ إلىٰ وِلايَة حتَّىٰ ألْقَى اللهَ ، فبَكَىٰ هارُونُ بُكاءً شَديداً ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ : إنَّ العبَّاسَ عمَّ النَّبي

صلى الله عليه وسلم جاءَ إليه فقالَ : أمِّرْني ، فقال له : « إنَّ الإمَارَةَ حَسْرَةٌ ونَدَامَةٌ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَإنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَكونَ أَمِيراً فَافْعَلْ » فبَكَىٰ هارُونُ ، وقالَ : زِدْني قالَ : يا حَسَنَ الوَجْه أنتَ الذي يَسألُكَ اللهُ عن هـٰذا الخَلقِ يَومَ القِيامَة ، فإنْ اسْتطَعْتَ أنْ تقي هَـٰذا الوَجْهَ من النَّارِ فافعَلْ ، وإيّاك أنْ تُصْبِحَ وتُمْسي وفي قَلبك غِشٌّ لأحَدٍ من رَعيَّتِك ، فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشّاً لَمْ يَرُحْ رَائحَةَ الجَنَّةِ » فبَكَىٰ هارُونُ وقالَ له : عَليكَ دَيْنٌ ؟ قالَ نَعَم : دَينٌ لِرَبِّي ، لم يُحاسِبْني عَليه ، فالوَيلُ لي إنْ ساءَلَني ، والوَيلُ لي إنْ ناقَشَني ، والوَيْلُ لي إنْ لَمْ أُلْهَم حُجَّتي ، قالَ : إنَّما أعْنِي من دَينِ العِبادِ ، قالَ : إنَّ رَبِّي لَمْ يأمُرني بهَـٰذا ، أمَرَني أنْ أُصَدِّقَ وَعْدَه ، وأُطيعَ أمْرَه ، فقالَ عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، فقالَ : هَـٰذه ألْفُ دينار خُذْها ، فأنْفِقْها علىٰ عِيالِك ، وتَقوَّ بها علىٰ عِبادَة رَبِّك ، فقالَ : سُبْحانَ الله أنا أدُلك علىٰ طريقِ النَّجاةِ وأنتَ تُكافِئُني بمِثلِ هَـٰذا!! سَلَّمَك الله ، ووَفَّقَكَ ثم صَمتَ ، فلمْ يُكلِّمْنا ، فخَرَجْنا ، فقالَ هارُونُ : أبا عبَّاس ، إذا دَلَلْتَني ، فدُلَّني علىٰ مثلِ هـٰذا ، هـٰذا سيِّدُ المسلمينَ ، فدَخَلَت عَليه امرأةٌ من نِسائه فقالَت : قد تَرىٰ ما نَحنُ فيه من الضِّيقِ ، فلَوْ قَبِلْتَ هَـٰذا المالَ قالَ : إنَّما مَثَلي ومَثَلُكم كمثلِ قومٍ لهم بَعيرٌ يأكُلونَ من كَسْبه ، فلمَّا كَبِرَ نَحَروهُ ، فأكَلوا لَحْمَه ، فلمَّا سَمعَ هارونُ هـٰذا الكَلامَ قال : نَدخُلُ فعَسَىٰ أنْ يَقبلَ المالَ ، فلمَّا عَلمَ الفُضَيلُ ، خَرجَ فجَلسَ في السَّطْحِ علىٰ بابِ الغُرْفَة ، فجاء هارونُ ، فجلسَ إلىٰ جَنبه يُكلِّمُه فلا يُجيبُه ، فبينا نحنُ كذلك إذ خَرجَت جاريَةٌ سَوْداء ، فقالَت : يا هَـٰذا قَد آذَيتَ الشَّيخَ منذُ اللَّيلَة ، فانْصَرِفْ ، فانْصَرَفْنا[2] .

قال إبراهيمُ بنُ الحارث العُبّادي : حدَّثنا عبدُ الرحمَـٰن بنُ عفَّان ، حدَّثنا أبو بَكْر بن عيّاش قال : صلَّيتُ خَلفَ فُضَيل بنِ عِياض المغربَ وابنُه عليٌّ إلىٰ جانبي

---

(١) سورة الذَّاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٨/٧٧٤ .

فقرأ : ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾[1] فلمَّا قالَ : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾[2] سَقطَ عليٌّ علىٰ وَجهِه مَغْشيّاً عليه[3] .

وقالَ ابنُ الْمُبارَك للفُضَيلِ بنِ عِياض : يا أبا عَليّ ما أَحْسَنَ حَالَ مَنْ انقَطعَ إلى الله ، فسَمعَ ذلكَ عَليٌّ ابنُه ، فسَقطَ مَغْشيّاً عليه[4] .

وعن محمدِ بن ناجية قال : صلَّيتُ خَلفَ الفُضَيل بن عِياض ، فقرأ : ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴾[5] في الصُّبحِ فلمَّا بَلغَ إلىٰ قَولِه : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾[6] غَلبَه البُكاءُ فسَقطَ ابنُه عَليٌّ مَغْشياً عليه[7] .

وعن مُحمَّدِ بن أَبي عُثمانَ قالَ : كانَ عَليُّ بنُ الفُضَيل عند سُفْيانَ ابنِ عُيَيْنَة ، فحَدَّثَ بحَديثٍ فيه ذِكْرُ النَّار ، فشَهِقَ عَليٌّ شَهقَةً ، ووَقعَ ، فالْتَفتَ سُفْيانُ فقالَ : لَوْ عَلمتُ أنَّك ها هُنا ما حدَّثتُ به ، فمَا أَفَاقَ إلاَّ بعدَ ما شَاءَ الله[8] .

وقالَ خالدُ بنُ خِداش : قُرِىء علىٰ عبدِ اللهِ بنِ وَهْب كتابُ أَهْوالِ يَوم القيامَة ـ وهو من تَأليفِه ـ فخَرَّ مَغْشيّاً عليه قالَ : فلَمْ يَتكلَّم بكَلمَة حتّىٰ مَاتَ بعدَ أيّام رَحمَه الله تَعالَىٰ[9] .

وقالَ تَميمُ بنُ عبد الله : سَمعتُ سُويدَ بنَ سَعيد يَقولُ : كُنتُ عندَ سُفيانَ ، فجاءَ الشَّافعيُّ فسَلَّم ، وجَلسَ ، فرَوَى ابنُ عُيَيْنَة حَديثاً رَقيقاً ، فغُشِيَ على الشَّافِعِيِّ ، فقيلَ : يا أَبا مُحمَّد ، ماتَ مُحمَّدُ بنُ إدْريسَ ، فقالَ ابنُ عُيَيْنَة : إنْ كانَ مَاتَ ، فقَد مَاتَ أفضلُ أهلِ زَمانِه[10] .

---

(١) سورة التكاثر ، الآية : ١ .
(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٦ .
(٣) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٠ .
(٤) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨٠ .
(٥) سورة الحاقّة ، الآية : ١ .
(٦) سورة الحاقّة ، الآية : ٣٠ .
(٧) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٧٨٠ .
(٨) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٨١ .
(٩) انظر السير : (عبد الله بن وَهب) ٩/ ٢٢٣ـ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٩ .
(١٠) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيُّ) ١٠/ ٥ـ٩٩ ، وانظر النزهة : ٣/٨٤٦ .

١٢ـ المَوْتُ من خَشْيَة الله :

عن يَعْلىٰ بنِ حَكيم ، قالَ : قال سَعيدُ بنُ جُبَير : ما رَأيتُ أرْعَىٰ لِحُرْمَة هـٰذا البَيتِ ، ولا أحْرَصَ عليه ، من أهْلِ البَصْرَة ، لقد رَأيتُ جارِيةً ذاتَ لَيلَة تعلَّقَت بأسْتارِ الكَعْبَة تَدعُو وتَضْرَعُ وتَبكي حتَّىٰ ماتَت[١] .

وقالَ الخَطيبُ : مَاتَ عَليُّ بنُ الفُضَيل قبلَ أبيه بمُدَّة من آيَةٍ سَمِعَها تُقرَأُ ، فغُشيَ عليه ، وتُوفِّيَ في الحَالِ[٢] .

وقال عليُّ بنُ محمّد المِصْري ، سَمعتُ أبا سَعيد الخَرَّاز ، سَمعتُ إبراهيمَ بنَ بشَّار يقولُ : الآيةُ التي ماتَ فيها عليُّ بنُ الفُضَيل ، في الأنْعام : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾[٣] مع هـٰذا المَوْضع ماتَ وكنتُ فيمَن صلَّىٰ عليه ، رحمَه الله[٤] .

وحَكَى القاضي حُسَينُ عن القَفَّالِ أسْتاذِه أنَّه كانَ في كَثيرٍ من الأوْقَاتِ يَقَعُ عليه البُكاءُ حالَةَ الدَّرْسِ ، ثم يَرفَعُ رَأسَه ويَقولُ : مَا أغْفَلَنا عَمَّا يُرادُ بنا .

ماتَ في سَنةِ سَبع عَشْرَة وأرْبَع مئة ، وله من العُمرِ تِسْعُونَ سَنةً[٥] .

١٣ـ صَغيرٌ عَظيمٌ يَخْشَى الله :

ورَوىٰ ضِمَام بنُ إسْماعيلَ عن أبي قَبيل : أنَّ عُمَرَ بنَ عبدِ العَزيزِ بَكَىٰ وهو غُلامٌ صَغيرٌ فأرْسَلت إليه أُمُّه ، وقالت : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : ذَكرتُ الْمَوْت .

قالَ : وكان يومئذٍ قد جَمعَ القُرآنَ ، فبَكَت أُمُّه حين بَلغَها ذلك[٦] .

---

(١) انظر السير : (سَعيد بن جُبَير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٥٠٦ .
(٢) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٠ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٢٧ .
(٤) انظر السير : (عليُّ بن الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٧٨١ .
(٥) انظر السير : (القفَّال) ١٧/ ٤٠٥ـ ٤٠٨ ، وانظر النزهة : ١/١٣٤٨ .
(٦) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٦ .

١٤ـ شِعْرٌ في الخَشْيَة :

قالَ عَمرُو بنُ مَسْرور ، أنْشَدَنا أبو سَهْل الحَنَفيّ لنَفسه[١] :

أنَـامُ عَلَـىٰ سَهْـوٍ وَتَبْكِـي الحَمَـائِـمُ　　وَلَيْـسَ لَهَـا جُـرْمٌ وَمِنِّـي الجَـرَائِـمُ
كَـذَبْـتُ وَبَيْـتِ اللهِ لَـوْ كُنْـتُ عَـاقِـلاً　　لَمَـا سَبَقَتْنِـي بِـالْبُكَـاءِ الْحَمَـائِـمُ

وقالَ ابنُ الفَرَضي[٢] :

أَسِيـرُ الخَطَـايَـا عِنْـدَ بَـابِـكَ وَاقِـفٌ　　عَلَـىٰ وَجَـلٍ مِمَّـا بِـهِ أَنْـتَ عَـارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا　　وَيَـرْجُـو فيهَـا فَهُـوِ راجٍ وَخَـائِـفُ
وَمَنْ ذَا الَّذي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي　　وَمَالَكَ فِي فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ
فَيَا سَيِّدِي لاَ تُخْزِنِي في صَحِيفَتي　　إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

١٥ـ صُوَرٌ على الخَوْفِ من الله وخَشْيَتِه :

عن ابنِ عُمَرَ قالَ : شَهِدْتُ جَلُولاءَ ، فابْتَعتُ من الْمَغْنَم بأرْبَعينَ ألفاً ، فلمَّا قَدمْتُ علىٰ عُمَرَ قالَ : أرَأيتَ لَوْ عُرِضْتُ على النَّارِ فقيلَ لكَ : افتَدْه ، أكنتَ مُفْتَديَّ به ؟ قُلتُ : واللهِ ما من شَيءٍ يؤذيكَ إلاَّ كُنتُ مُفْتَديكَ منه ، قالَ : كأنِّي شَاهدُ النَّاس حينَ تَبايَعوا فقَالُوا : عَبدُ الله بنُ عُمَرَ صاحِبُ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم وابنُ أَميرِ المؤمنينَ وأَحبُّ النَّاسِ إليه ، وأنتَ كَذلكَ ، فكانَ أنْ يُرْخِصُوا عَليكَ أَحبَّ إليهم مِنْ أنْ يُغْلوا عَليك ، وإنِّي قاسِمٌ مَسْؤولٌ وأنا مُعْطِيكَ أكْثَرَ ما رَبحَ تاجرٌ من قُرَيش : لكَ رِبحُ الدِّرْهَمَ دِرْهَم ، قالَ : ثم دَعَا التُّجَّارَ فابْتَاعُوا منهُ بأرْبَعمائة ألفِ دِرْهَم ، فدَفَع إليَّ ثمانينَ ألفاً وبَعثَ بالبَاقي إلىٰ سَعْد بنِ أبي وَقَّاص ليَقْسِمَه[٣] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أمير المؤمنينَ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ : وأثْنَىٰ عليه ابنُ

---

(١) انظر السير : (الصُّعْلوكيُّ) ١٦/ ٢٣٥ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩١ .
(٢) انظر السير : (ابنُ الفَرَضيّ) ١٧/ ١٧٧ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ١/١٣٣٤ .
(٣) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٢/٥٠ .

عبَّاس ، فقالَ : لَوْ أنَّ لي طَلاعَ الأرضِ ذَهباً[1] فافْتَدَيتُ به من هَولِ الْمَطْلَع ، وقد جَعلتُها شُورَىٰ في عُثمانَ و عليٍّ وطَلحَةَ ، والزُّبَيرِ ، وعبدِ الرَّحْمَـٰن ، وسَعْد ، وأمَرَ صُهَيباً أنْ يُصلِّي بالنَّاسِ ، وأجَّل السِّتَّةَ ثَلاثاً .

وعن عَمرو بن مَيْمون أن عُمرَ قالَ : « الحَمْدُ لله الذي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتي بيَد رَجلٍ يَدَّعي الإسْلامَ » ثم قالَ لابنِ عبَّاس أنتَ وأبُوكَ تُحِبَّانِ أنْ يَكثُرَ العُلوجُ بالمدينَة ، وكانَ العبَّاسُ أكثرَهم رَقيقاً .

ثم قالَ : يا عبدَ الله! انظُرْ ما عَليَّ من الدَّيْن ، فحَسَبوه فوَجَدُوه سِتَّة وثمانين ألفاً أوْ نَحْوَها ، فقالَ : إنْ وَفَّىٰ مَالُ آلِ عُمَرَ فأدِّه من أمْوَالِهم ، وإلاَّ فاسْألْ في بَني عَديّ ، فإنْ لَمْ تَفِ أمْوالُهم فسَلْ في قُرَيش ، اذْهَب إلىٰ أُمِّ المؤمنينَ عائشَةَ فقلْ : يَستَأذِنُ عُمَرُ أن يُدفَنَ مع صَاحبَيْه ، فذهَبَ إليها فقالَت : كُنتُ أريدُه ـ تَعني المكانَ ـ لنَفسِي ، ولأوثرَنَّه اليومَ علىٰ نَفسِي ، قالَ : فأتَىٰ عبدُ الله فقالَ : أذِنَتْ لك ، فحَمدَ الله .

ثم جاءَت أمُّ المؤمنينَ حَفْصَة ، والنِّساءُ يَسْتُرْنَها ، فلمَّا رَأيْناها قُمْنا ، فمَكثَتْ عندَه ساعَةً ، ثم اسْتأذَنَ الرِّجالُ فوَلَجَتْ داخِلَةً ، ثم سَمِعْنا بُكاءَها وقيلَ له : أوْصِ يا أميرَ المؤمنينَ واسْتَخلِفْ ، قالَ : ما أرَىٰ أحَداً أحَقَّ بهَـٰذا الأمْرِ من هَؤلاءِ النَّفَر الذين تُوفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عَنهم راضٍ ، فسَمَّى السِّتَّةَ وقالَ : يَشهَدُ عبدُ الله بنُ عُمرَ مَعَهم ، ولَيسَ له من الأمْرِ شَيءٌ ـ كَهَيئَة التَّعْزيَة له ـ فإنْ أصابَت الإمْرَةُ سَعداً فهُو ذاكَ وإلاَّ فليَسْتَعينَ به أيُّكم ما أمِّرَه ، فإنِّي لم أعْزِلْه من عَجزٍ ولا خيانَة[2] .

وعن عبدِ الله بنِ عبَّاس قالَ : لَمَّا طُعنَ عُمرُ جاءَ كَعبٌ فقالَ : والله لَئنْ دَعَا أميرُ المؤمنين ليُبْقِيَنَّه الله وليَرْفَعَنَّه لهـٰذه الأُمَّة حتَّىٰ يَفعَلَ كَذا وكَذا ، حتَّىٰ ذَكرَ الْمُنافقينَ فيمَنْ ذَكر ، قالَ : قُلتُ : أُبْلغُه ما تَقولُ ؟ قالَ : ما قُلتُ إلاَّ وأنا أُريدُ أنْ تُبلِغَه ، فقُمتُ وتَخطَّيتُ النَّاسَ حتَّىٰ جَلستُ عندَ رَأسِه فقُلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، فرَفعَ رَأسَه فقُلتُ : إنَّ كَعْباً يَحْلفُ بالله لَئنْ دَعَا أميرُ المؤمنينَ ليُبْقِيَنَّه الله وليَرْفَعَنَّه لهـٰذه الأُمَّة قالَ :

---

(١) أي ما يملأ الأرضَ ذهباً حتىٰ يطلع عنها ويسيل .
(٢) انظر السير : (عُمَر بن الخطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٥٤ .

ادْعُوا كَعْباً ، فدَعَوه ، فقالَ : ما تَقولُ ؟ قالَ : أَقُولُ كَذا وكَذا ، فقالَ : لا واللهِ لا أدْعُو اللهَ ولَكنْ شَقِيَ عُمَرُ إنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ له .

وعن ابنِ عبَّاس قالَ : كانَ أبو لُؤْلُؤَةَ مَجُوسيّاً[1] .

وقالَ ابنُ عُمَرَ : كانَ رَأسُ عُمَرَ في حِجْري ، فقالَ : ضَعْ خَدِّي على الأرضِ ، فوَضَعْتُه ، فقالَ : وَيْلٌ لي ووَيلُ أمي إنْ لَمْ يَرْحَمْني رَبِّي[2] .

وعن قَتادَةَ قالَ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاح ، وَدِدْتُ أنِّي كنتُ كَبشاً ، فيذبَحُني أهْلي ، فيَأكُلُونَ لَحْمي ، ويَحْسُونَ مَرَقي[3] .

وعن علقَمَةَ ، قالَ : أُتيَ عبدُ الله بشَرابٍ فقالَ : أعْطِ عَلْقَمَة ، أعْطِ مَسْروقاً فكلُّهم قالَ : إنِّي صائمٌ ، فقالَ : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[4] ، وقالَ إبْراهيمُ : كانَ علقَمَةُ يَقرأُ القُرآنَ في خَمسٍ ، وقالَ علقَمَةُ : أطيلُوا كَرَّ الحَديثِ لا يُدرَسُ[5] .

وعن ابنةٍ للرَّبيعِ بنِ خُثَيْم ، قالَت : كُنتُ أقُولُ : يا أبَتَاهُ ، ألا تَنَامُ ؟ فيَقولُ : كَيفَ يَنامُ مَنْ يَخافُ البَياتَ[6] .

وقالَ القاسِمُ بنُ أبي أيُّوبَ : سَمعتُ سَعيدَ بنَ جُبَير يُرَدِّدُ هٰذه الآيَةَ في الصَّلاةِ بِضْعاً وعِشرينَ مرَّة ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[7] ،[8] .

قالَ مُعاويَةُ بنُ عبدِ الكَريم الثَّقَفي ، سَمعتُ بَكرَ بنَ عبدِ الله يَقولُ يَومَ الجُمُعَة : لَوْ قيلَ لي : خُذْ بيَدِ خَيرِ أهْلِ الْمَسجِدِ ، لقُلتُ : دُلُّوني علىٰ أنْصَحِهم لعامَّتِهم ، فإذا

---

(١) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٢/٥٦ .
(٢) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٥٧ .
(٣) انظر السير : (أبو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاح) ١/٥ـ٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٣ .
(٤) سورة النور ، الآية : ٣٧ .
(٥) انظر السير : (عَلْقَمَة) ٤/٥٣ـ٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٤٤٣ .
(٦) انظر السير : (الرَّبيع بن خُثَيم) ٤/٢٥٨ـ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٩٣ .
(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٨١.
(٨) انظر السير : (سَعيد بن جُبَير) ٤/٣٢١ـ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٤/٥٠٥ .

قيلَ : هـٰذا ، أخذتُ بيدِه ، ولَوْ قيلَ لي : خُذْ بيدِ شَرِّهم ، لقُلتُ : دُلُّوني علىٰ أغشِّهم لعامَّتِهم ، ولَوْ أنَّ مُنادياً نادىٰ من السَّماءِ : إنَّه لا يَدخُلُ الجنَّة منكُم إلاَّ رَجلٌ واحِدٌ ، لكانَ يَنبَغي لكُلِّ إنْسانٍ أنْ يَلتَمِسَ أنْ يَكونَ هُوَ ، ولَوْ أنَّ مُنادياً نادىٰ : إنَّه لا يَدخُلُ النَّارَ منكُم إلاَّ رَجلٌ واحِدٌ لكانَ يَنبَغي لكُلِّ إنْسانٍ أنْ يَفْرَقَ أنْ يَكونَ ذلك الوَاحِد[1] .

وعن الحَسَنِ قالَ : الْمُؤمِنُ مَنْ عَلِمَ أنْ ما قَالَ اللهُ كما قالَ ، والْمُؤمِنُ أحْسَنُ النَّاسِ عَملاً ، وأشدُّ النَّاسِ وَجلاً ، فلَوْ أنْفَقَ جَبلاً من مالِه ما أمِنَ دُونَ أنْ يُعايِنَ ، لا يَزدادُ صَلاحاً وبِراً إلاَّ ازْدَادَ فَرَقاً ، والْمُنافِقُ يَقولُ : سَوادُ النَّاسِ كَثيرٌ ، وسَيُغْفَرُ لي ولا بَأسَ عَليَّ فيُسيءُ العَمَلَ ، ويَتمَنَّىٰ على الله[2] .

وعن قَيسِ بنِ مُسْلم ، قالَ : كانَ الضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِم إذا أمْسَىٰ بَكَىٰ ، فيُقالُ له ، فيَقولُ : لا أدْري ما صَعَدَ اليومَ من عَمَلي[3] .

وعن الحُرِّ بنِ أبي الحُصَين العَنْبَرِيِّ قالَ : مَرَّ طاوُوسُ برَوَّاسٍ قد أخْرَجَ رَأساً فغُشِيَ عليه[4] .

ورَوَىٰ عبدُ الله بنُ بِشْر الرَّقِّي قالَ : كانَ طاوُوسُ إذا رَأىٰ تلكَ الرُّؤوسَ الْمَشْويَّة لَمْ يَتعَشَّ تلكَ اللَّيلَة[5] .

وعن أبي كَبير البَصْري ، قالَت أمُّ محمَّد بن كَعْب القُرَظِيِّ له : يا بُنَيَّ! لَوْلا أنِّي أعرِفُك طَيِّباً صَغيراً وكَبيراً لقُلتُ : إنَّكَ أذْنَبتَ ذَنباً مُوبِقاً لِمَا أرَاكَ تَصنعُ بنَفسِك ، قالَ : يا أُمَّاه! وما يُؤمِّنُني أنْ يَكُونَ اللهُ قد اطَّلعَ عليَّ ، وأنا في بَعضِ ذُنوبي فمَقَتَني ، وقالَ : اذهَبْ لا أغفِرُ لك ، مع أنَّ عَجائبَ القُرآنِ تردُ بي علىٰ أمُورٍ حتَّىٰ إنَّه ليَنْقَضي اللَّيلُ ولَمْ أفْرُغْ من حاجَتي[6] .

---

(١) انظر السير : (بَكر بن عبد الله) ٤/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥١ .
(٢) انظر السير : (الحَسَن البَصْريّ) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٦٣ .
(٣) انظر السير : (الضَّحَّاك بن مُزاحِم) ٤/ ٥٩٨ـ ٦٠٠ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٦ .
(٤) انظر السير : (طاوُوس) ٥/ ٣٨ـ ٤٩ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٨ .
(٥) انظر السير : (طاوُوس) ٥/ ٣٨ـ ٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٧٨ .
(٦) انظر السير : (القُرَظي) ٥/ ٦٥ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٨١ .

عن مُغيرةَ بن حَكيم : قالت فاطمةُ بنتُ عبد الملك بنِ مَرْوان امرأةُ عُمرَ بنِ عبد العزيز : حَدَّثنا مُغيرةُ أنَّه يكونُ في النَّاسِ مَن هو أكثرُ صلاةً وصياماً من عُمرَ بنِ عبد العزيز ، وما رأيتُ أحداً أشَدَّ فَرَقاً من ربِّه منه ، كان إذا صَلَّى العِشاءَ قَعَدَ في مَسْجِدِه ، ثمَّ يَرفعُ يَدَيْه فلَم يَزَلْ يَبكي حتىٰ تَغلِبُه عَينُه ، ثم يَنتَبهُ ، فلا يزالُ يَدعُو رافعاً يديْه يَبكي حتىٰ تَغلِبُه عينُه ، يفعلُ ذلك ليلَهُ أَجْمَع[1] .

وقالَ ابنُ شَوْذَب : كُنتُ إذا رَأيتُ هارُونَ بنَ رِئابٍ كأنَّما أقْلعَ عن البُكاءِ[2] .

وقالَ ابنُ حِبَّان : كانَ يَحْيَىٰ بنُ أبي كَثير من العُبَّاد ، إذا حَضَرَ جَنازَةً ، لَمْ يَتعَشَّ تلكَ اللَّيلَة ، ولا يُكلِّمُه أحَدٌ .

وقالَ أبو حاتم : قد رَأىٰ أنساً يُصلِّي في الحَرَمِ[3] .

وقالَ نُعَيم بنُ مُوزِّع : أتَينا عَطاءَ السَّلِيمي ، فجَعلَ يَقولُ : لَيتَ عَطاء لَمْ تَلِدهُ أمُّه ، وكَرَّرَ ذلكَ حتَّى اصْفَرَّت الشَّمسُ[4] .

وقالَ صالحُ الْمُريُّ : قُلتُ له : يا شَيخُ قد خَدعَكَ إبْليسُ ، فلَوْ شَرِبْتَ ما تَقْوىٰ به علىٰ صَلاتِكَ ووُضُوئك ؟ فأعْطَاني ثَلاثَةَ دَراهِمَ ، وقالَ : تَعاهَدْني كُلَّ يَومٍ بشَرْبَةِ سَويق ، فشَربَ يَومَين وتَركَ ، وقالَ : يا صالحُ إذا ذُكرَتْ جهَنَّمُ ، ما يَسَعُني طَعامٌ ولا شَرابٌ[5] .

عن عُبيد الله العَيْشي قال : كان هِشامُ الدَّسْتُوائي إذا فُقِدَ السِّراجُ من بَيتِه ، يَتمَلمَلُ علىٰ فِراشِه ، فكانَت امْرأتُه تَأتيهِ بالسِّراجِ ، فقالَت له في ذلك ، فقالَ : إنِّي إذا فَقدتُ السِّراجَ ، ذَكرتُ ظُلمَةَ القَبرِ[6] .

---

(١) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ ١٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٩١ .
(٢) انظر السير : (هارون بن رئاب) ٥/ ٢٦٣ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٠ .
(٣) انظر السير : (يَحْيَى بن أبي كَثير) ٦/ ٢٧ـ ٣١ ، وانظر النزهة : ٣/٦٢٧ .
(٤) انظر السير : (عَطاء السَّلِيمي) ٦/ ٨٦ـ ٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٦٣٤ .
(٥) انظر السير : (عَطاء السَّلِيمي) ٦/ ٨٦ـ ٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٤ .
(٦) انظر السير : (هِشام الدَّسْتُوائي) ٧/ ١٤٩ـ ١٥٦ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٧ .

وعن عبدِ الله بنِ خُبَيق ، قالَ يُوسُفُ بنُ أسْباطٍ : كانَ سُفيانُ إذا أخَذَ في ذِكْرِ الآخِرَةِ يَبُولُ الدَّمَ[1] .

وقالَ ابنُ مَهْدي : كُنتُ أرْمُقُ سُفْيانَ في اللَّيلَةِ بعدَ اللَّيلَةِ ، يَنْهَضُ مَرْعوباً يُنادِي : النَّار النَّار ، شَغَلني ذِكرُ النَّارِ عن النَّومِ والشَّهَوَاتِ[2] .

وقالَ ابنُ أبي الدُّنيا : حدَّثني عبدُ الصَّمَد بنُ يَزيد ، عن فُضَيلِ ابنِ عِياض قالَ : بَكَىٰ عَليٌّ ابني ، فقُلتُ : يا بُنَيَّ ما يُبكِيكَ ؟ قالَ : أخافُ ألاَّ تَجمَعَنا القيامَةُ[3] .

وعن عبدِ الصَّمَد بنِ يَزيد ، سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : أشْرَفتُ لَيلَةً علىٰ عَليٍّ ، وهو في صَحْن الدَّار ، وهو يَقولُ : النَّار ، ومَتَى الخَلاصُ من النَّارِ ؟ وقالَ لي : يا أبَتِ سَلِ الذي وَهَبَني لكَ في الدُّنيا أنْ يَهَبَني لكَ في الآخِرَة ، ثم قالَ : لَمْ يَزَلْ مُنْكَسِرَ القَلبِ حَزيناً ، ثُمَّ بَكَى الفُضَيلُ ، ثُمَّ قالَ : كانَ يُسَاعِدُني على الحُزْنِ والبُكَاءِ ، يا ثَمَرَةَ قَلبي ، شَكرَ اللهُ لكَ ما قَدْ عَلِمَه فيكَ[4] .

وقالَ أبو سُلَيمان الدَّاراني: كانَ عَليُّ بنُ الفُضَيل لا يَستطيعُ أنْ يَقْرأَ ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾[5] ولا تُقْرأُ عليه[6] .

ويقولُ صالح عن الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلَ : وكنتُ أسْمَعُه كَثيراً يقولُ : اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم[7] .

وقالَ المروذي : كان أبو عبد الله ، أحمدُ بنُ حَنْبَلَ ، إذا ذُكِرَ الْمَوْتُ خَنقَتهُ العَبرَةُ ، وكانَ يَقولُ : الخَوفُ يَمْنَعُني أكْلَ الطَّعامِ والشَّرابِ ، وإذا ذَكرتُ الْمَوْتَ هانَ

---

(١) انظر السير : (سُفْيانَ الثَّوري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦٩٦/ ٤ .
(٢) انظر السير : (سُفْيانَ الثَّوري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧٠٠/ ٢ .
(٣) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل بن عِياض) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ٤ .
(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل بن عِياض) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ١ .
(٥) سورة القارعة (١) .
(٦) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل بن عِياض) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ٣ .
(٧) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٩٢٧/ ٥ .

عليَّ كلُّ أمْرِ الدُّنيا ، إنَّما هو طَعامٌ دُونَ طَعامٍ ، ولِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ ، وإنَّها أيَّامٌ قَلائلُ ، ما أعْدِلُ بالفَقْرِ شَيئاً ، ولَوْ وَجَدتُ السَّبيلَ لَخَرَجتُ حتَّىٰ لا يَكون لي ذِكرٌ[1] .

وقالَ الحاكِمُ : سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ حَمْدونَ يَقولُ : رَأيتُ أبا بَكْرٍ الصِّبْغيَّ غَيرَ مرَّة عَقيبَ الآذانِ يَدعُو ويَبْكي ، ورُبَّما كانَ يَضربُ برأسِه الحائطَ حتَّىٰ خَشيتُ يَوماً أنْ يُدْمِيَ رَأسَه ، وما رَأيتُ في جَماعَةِ مَشايخِنا أحْسَنَ صَلاةً منه ، وكانَ لا يَدَعُ أحَداً يَغْتابُ في مَجلِسِه[2] .

الصِّدْق

١ـ تَعْريفُ الصِّدْق :

عن النَّهْرَجُوريِّ قالَ : الصِّدقُ مُوافَقَةُ الحَقِّ في السِّرِّ والعَلانيَة ، وحَقيقَةُ الصِّدقِ القَولُ بالحَقِّ في مَواطِنِ الهَلكَةِ[3] .

٢ـ الصِّدقُ مَنْجَاة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ كعْبِ بنِ مالِك : ابنُ أبي كعْب ، الأنْصاريُّ ، الخَزْرَجيُّ ، العَقَبيُّ الأُحُديُّ .

شاعِرُ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم وصاحِبُه ، وأحَدُ الثَّلاثَة الذين خُلِّفوا ، فتَابَ اللهُ عليهم .

قالَ ابنُ أبي حاتِم : كانَ كعْبٌ من أهْلِ الصُّفَّة ، وذَهَبَ بَصَرُهُ في خِلافَةِ مُعاوِيَة[4] .

قالَ عبدُ الرحْمَـٰن بنُ كعْب ، عن أبيه : أنَّه قالَ : يا رَسولَ الله ، قد أنْزَلَ اللهُ في

---

(١) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٦/٩٢٩ .
(٢) انظر السير : (الصِّبْغي) ١٥/ ٤٨٣ـ ٤٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥١ .
(٣) انظر السير : (النَّهْرَجُوريّ) ١٥/ ٢٣٢ـ ٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٢٤ .
(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩٩ .

الشُّعَراءِ ما أنْزَلَ قالَ : « إنَّ الْمُجَاهِدَ ، مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ ولِسَانِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكأَنَّمَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحَ النَّبْلِ »[1] .

قالَ ابنُ سِيرينَ ، أمَّا كعْبٌ ، فكانَ يَذْكُرُ الحَربَ ، يَقولُ : فَعلنا ونفعلُ ويتهدَّدُهم ، وأمَّا حَسَّانُ ، فكانَ يَذكرُ عُيوبَهم ، وأَيَّامَهم وأمَّا ابنُ رَوَاحَة ، فكانَ يُعَيِّرُهم بالكُفْر[2] .

وقد أسْلَمت دَوْسٌ فَرَقاً من بيتٍ قالَه كعْبٌ[3] :

نخيـرهـا ولـو نطقـت لقـالـت ... قـواطعهـن دوسـاً أو ثقيفـا

ماتَ كعْبٌ سَنةَ أرْبَعين[4] .

عن عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ كَعْبٍ ، عن أبيه : سَمعتُ كعْباً يقولُ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوةٍ ، حتىٰ كانت تَبُوك إلاَّ بَدْراً ، وما أُحِبُّ أنِّي شَهِدتُها ، وفاتَتْنِي بَيْعَتي ليلةَ العَقَبَة[5] وقَلَّما أرَادَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم غَزْوةً إلاَّ وَرَّىٰ عنها بغيرِها ، فأرَادَ في غَزْوَةِ تَبُوك أنْ يَتَأهَبَ النَّاسُ أُهبةً وكنتُ أَيْسَرَ ما كنتُ ، وأنا في ذلك أَصْغُو[6] إلى الظِّلالِ وطَيِّبِ الثِّمَارِ ، فلَمْ أَزَلْ كذلك حتىٰ خَرَجَ فقُلْتُ : أَنْطَلِقُ غَداً ، فأَشْتَري جَهَازِي ، ثم أَلْحَقُ بهِم فانْطَلَقْتُ إلى السُّوقِ ، فعَسُرَ

---

(١) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٢٩٩/ ٥ .

(٢) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣٠٠/ ١ .

(٣) قوله : « نُخَيِّرُها » ، الضَميرُ يعودُ إلى السُّيوفِ في البيتِ الذي قَبلَه ، وهو :

قضينـا مـن تهـامـة كـل ريـب ... وخيبـر ثـم أجمعنـا السيـوفـا

أي نعطيها الخيرة ، ولو نطقت ، لاختارت أن نحارب دَوْساً أو ثَقيفاً ، وهما من قصيدة أوردها ابنُ هشام في « السِّيرَة » (٢/ ٤٧٩ ، ٤٨٠) قالها كعْبُ حينَ فَرغَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وأَجْمَعَ الْمَسيرَ إلى الطَّائف .

(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣٠٠/ ٢ .

(٥) في البخاري ومسلم : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

(٦) أصغو : أميل .

عليَّ ، فرَجَعتُ ، فقُلتُ : أرْجِعُ غَداً فلَمْ أَزَلْ حتى الْتَبَسَ بي الذنْبُ ، وتَخَلَّيْتُ ، فجعَلتُ أمشِي في أَسْواقِ المدِينَةِ ، فيُحْزِنُني أنِّي لا أَرَىٰ إلاَّ مَغْمُوصاً[1] عليه في النِّفاقِ ، أو ضَعِيفاً وكان جَميعُ مَنْ تَخَلَّفَ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بِضْعَةً وثَمانِينَ رَجُلاً[2] .

ولمَّا بَلَغَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم تَبُوك ذَكَرَني ، وقال : « ما فَعَلَ كعْبٌ ؟ » فقال رجُلٌ من قَوْمِي : خَلَّفَهُ يا نَبيَّ اللهِ بُرداهُ ، والنَّظَرُ في عِطْفَيْه ، فقال مُعاذٌ : بِئْسَ ما قُلتَ : واللهِ ما نَعْلمُ إلاَّ خَيْراً .

إلىٰ أنْ قال : فلَمَّا رَآني صلى الله عليه وسلم تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَب وقال صلى الله عليه وسلم : « ألَمْ تَكن ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلتُ : بلَىٰ قال : « فمَا خَلَّفَكَ ؟ » قُلتُ : واللهِ لَوْ بَينَ يَدَي أَحَدٍ غَيرِك جَلَسْتُ لخَرَجْتُ من سُخْطِهِ عليَّ بعدُ ، لقد أُوتيتُ جَدَلاً ، ولكنْ قد عَلِمتُ يا نَبيَّ الله أنِّي أُخْبرُكَ اليومَ بقَولٍ تَجِدُ عليَّ فيه وهُوَ حَقٌّ فإنِّي أَرْجُو فيه عُقْبَى الله .

إلىٰ أنْ قالَ : والله ما كُنتُ قَطُّ أَيْسَرَ ولا أَخَفَّ حاذاً[3] منِّي حين تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فقَالَ صلى الله عليه وسلم : « أمَّا هـٰذا فَقَدْ صَدَقَكم ، قُمْ حتىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » فقُمتُ .

إلىٰ أن قال : ونَهىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ عن كلامنا أيُّها الثلاثةُ[4] .

فجعلتُ أخرجُ إلى السوق ، فلا يُكلِّمني أحدٌ ، وتَنكَّرَ لنا الناسُ ، حتىٰ ما هُم بالذين نعرفُ ، وتَنكَّرَت لنا الحيطانُ والأرضُ ، وكنتُ أطوفُ وآتي المسْجدَ ، فأدخلُ

---

(١) أي مطعوناً عليه في دينه ، متهماً بالنفاق ، وقيل : معناه مستحقراً ، فتقول غمصتُ فلاناً إذا استحقرته .

(٢) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣/٣٠٠ .

(٣) الحاذ : الحال .

(٤) أيُّها الثلاثةُ : مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص ، أي : مختصين بذلك دون بقية الناس .

وآتي النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسَلِّمُ عليه ، فأقولُ هل حرَّكَ شَفَتَيه بالسلامِ!! ؟[١] .

واسْتَكانَ صاحِبايَ[٢] ، فجعَلا يَبكيانِ اللَّيلَ والنَّهارَ لا يُطْلِعانِ رُؤوسَهما! فبَيْنا أنا أطُوفُ بالسُّوقِ إذا بنَصْرانيٍّ جاءَ بطَعامٍ ، يَقولُ : مَنْ يَدلُّ علىٰ كعْب ؟ فدَلُّوهُ عَليَّ! ، فأتَاني بصَحيفَةٍ من مَلِكِ غَسَّانَ ، فإذا فيها : أمَّا بَعدُ فإنَّه بَلغَني أنَّ صاحِبَك قد جَفَاكَ ، وأقْصَاكَ ، ولَسْتَ بدَارِ مَضْيَعَة ولا هَوَانٍ ، فالْحَقْ بنا نُواسِكْ فسَجَّرتُ لها التَّنُّورَ وأحْرَقتُها .

إلىٰ أنْ قالَ : إذ سَمعتُ نداءً من ذِرْوَة سَلْعٍ[٣] : أبْشِرْ يا كعْبُ بنُ مالِك فخَرَرْتُ ساجِداً ، ثم جاءَ رَجلٌ علىٰ فَرَس يُبَشِّرُني ، فكانَ الصَّوتُ أسْرَعَ من فَرسِه ، فأعْطَيتُه ثَوْبَيَّ بِشارَةً ، ولَبِستُ غيرَهُما .

ونَزَلَتْ تَوبَتُنا على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ثُلثَ اللَّيلِ ، فقالَت أمُّ سَلمَة : يا نَبيَّ الله ، ألا نُبَشِّرُ كعْباً ؟ قالَ : « إذاً يَحْطِمُكمُ النَّاسُ وَيَمْنَعُونكمُ النَّوْمَ » قالَ : فانْطَلقتُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو جالِسٌ في المسجِدِ ، وحولَه المسلمونَ ، وهو يَسْتَنيرُ كاسْتِنارَةِ القَمَرِ ، فقالَ : « أَبْشِرْ يَا كعْبُ بِخَيْرِ يَوْمٍ أَتَىٰ عَلَيْكَ » ، ثُمَّ تَلا عَلَيْهِمْ : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية[٤] .

وفينا نَزَلت أيْضاً : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٥] .

فقُلتُ : يانَبيَّ الله إنَّ مِنْ تَوْبَتي ألاَّ أُحَدِّثَ إلاَّ صِدْقاً ، وأنْ أنْخَلِعَ من مَالي كُلِّه صَدقَةً ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « أَمسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » الحديث[٦] .

---

(١) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٤/٣٠٠ .

(٢) وهما : مِرارَةُ بنُ الرَّبيع العمريّ ، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقفيّ .

(٣) سلع : جبل بالمدينة.

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١١٧ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ١١٩ .

(٦) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠١ .

وفي لَفظٍ ، فقَامَ إليَّ طَلحَةُ يُهَرْوِلُ ، حتَّىٰ صافَحَني وهَنَّأني ، فكانَ لا يَنْسَاها لِطَلْحَة[1] .

وقالَ الأَصْمَعيُّ : أتَىٰ رَجلٌ الحَجَّاجَ فقالَ : إنَّ رِبْعِيَّ بنَ حِرَاش زَعَمُوا لا يَكذِبُ ، وقدْ قدمَ وَلَدَاهُ عاصِيَيْن قالَ : فبَعثَ إليه الحَجَّاجُ فقالَ : ما فَعلَ ابْناكَ ؟ قالَ : هُما في البَيتِ واللهُ الْمُسْتَعانُ فقالَ له الحَجَّاجُ بنُ يُوسُف : هُما لكَ وأَعْجَبَهُ صِدْقُه[2] .

٣ـ مِنْ صِفَاتِ الصَّادِق :

عن يُوسُفَ بنِ أَسْباط قالَ : للصَّادِقِ ثلاثُ خِصالٍ : الحَلاوَةُ ، والْمَلاحَةُ ، والْمَهَابَة .

وعنه : خُلقَت القُلوبُ مَساكِنَ للذِّكْرِ ، فصارَت مَساكِنَ للشَّهَواتِ لا يَمحُو الشَّهَوَاتِ إلاَّ خَوفٌ مُزْعِجْ ، أو شَوقٌ مُقْلِقْ ، الزُّهدُ في الرِّئاسَة أشَدُّ منه في الدُّنيا[3] .

٤ـ الصِّدْقُ زِينَة :

قالَ عبدُ الصَّمَد بنُ يَزيد مَرْدَوَيْه : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : لَمْ يَتزَيَّن النَّاسُ بشَيءٍ أَفْضَلَ من الصِّدْقِ ، وطَلَبِ الحَلالِ فقالَ ابنُه عَليٌّ : يا أبَتِ إنَّ الحَلالَ عَزيزٌ قالَ : يا بُنَيَّ ، وإنَّ قَليلَه عندَ اللهِ كَثيرٌ[4] .

٥ـ التَّخَلُّصُ الحَسَنُ صِدْقٌ :

قالَ أبو القاسِم بنُ عَسَاكر : قَرأتُ في كتابِ أبي الحُسَين الرَّازي ـ يَعْني والِدَ تَمَّام ـ قالَ : سَمعتُ جَماعَةً قالوا : لَمَّا اتَّصلَ الخَبرُ بأبي أحمَد الوَاثِق ، أنَّ أحمَدَ بنَ طُولُونَ قد خَلعَه بدِمَشْقَ ، أمَرَ بلَعنِ أحمَدَ بنِ طُولُونَ على الْمَنابِرِ ، فلَمَّا بلغَ أحمَدَ ، أمَرَ بلَعْنِ

---

(١) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠٢ .

(٢) انظر السير : (رِبْعِيُّ بن حِرَاش) ٤/ ٣٥٩ـ ٣٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥١٠ .

(٣) انظر السير : (يُوسُف بن أَسْباط) ٩/ ١٦٩ـ ١٧١ ، وانظر النزهة : ٥/٨١٤ .

(٤) انظر السير : (الفُضَيل بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٤/٧٧٣ .

الْمُوَفَّق على الْمَنابِرِ بِمِصْرَ والشَّام ، كانَ أبو زُرْعَة محمَّدُ بنُ عُثْمانَ القَاضي مِمَّنْ خَلَعَ الْمُوَفَّقَ ـ يَعني من وِلايَةِ العَهْد ـ ولَعنَه ، ووَقَفَ عند الْمِنْبَرِ بدِمَشْقَ ، ولَعنَه ، وقالَ : نَحنُ أهلُ الشَّام ، نَحنُ أَهْلُ صِفِّينَ ، وقد كانَ فينا مَنْ حَضَرَ الجَملَ ، ونَحنُ القائمُونَ بمَنْ عانَدَ أَهْلَ الشَّام ، وأنا أُشْهِدُكُم أنِّي قد خَلعتُ أبا أحمَقَ ـ يَعني أبا أحمَدَ ـ كمَا يُخلَعُ الخَاتم من الإصْبَع ، فالْعَنوه لَعنَه الله[1] .

قالَ الرَّازيُّ : وحدَّثني إبراهيمُ بنُ مُحمَّد بنِ صالِح ، قالَ : لَمَّا رَجَعَ أحمَدُ بنُ الْمُوَفَّق من مَوقِعَةِ الطَّوَاحينَ إلىٰ دِمَشْقَ ، من مُحارَبَة خُمَارَوَيه ابنِ أحمَدَ بنِ طُولُونَ ـ يَعني بَعدَ مَوتِ أبيه أحمَدَ ، وذلكَ في سَنةِ إحْدَىٰ وسَبعينَ ـ قالَ لأبي عبدِ الله الوَاسِطيّ : انْظُر ما انْتَهىٰ إليكَ مِمَّنْ كانَ يَبغَضُنا فليُحْمَل فحُملَ يَزيدُ بنُ عبدِ الصَّمَد ، وأبو زُرْعَة الدِّمَشقيّ ، والقاضي أبو زُرْعَة بنُ عُثْمانَ ، حتَّىٰ صارُوا بهم مُقَيَّدينَ إلىٰ أنْطَاكيَة ، فبَينا أحمَدُ بنُ أبي الْمُوَفَّق ـ وهو الْمُعْتَضِدُ ـ يَسيرُ يَوماً ، إذ بَصُرَ بمَحامِلِ هَؤلاء ، فقالَ لِلوَاسِطيِّ : مَنْ هَؤلاءِ ؟ قالَ : أَهْلُ دِمَشْقَ قالَ : وفي الأحْياءِ هُم ؟! إذا نَزَلتُ فاذْكُرني بهم .

قالَ ابنُ صالِح : فحدَّثنا أبو زُرْعَة الدِّمَشْقيّ ، قالَ : فلمَّا نزَلَ ، أُحْضِرْنا بعدَ أنْ فُكَّت القُيودُ ، وأُوقِفْنا مَذْعُورينَ ، فقالَ : أيُّكُم القائلُ : قد نَزَعتُ أبا أحْمَقَ ؟ قالَ : فرَبَت ألسنتُنا حتىٰ خُيِّلَ إلَينا أنَّنا مَقتولُونَ ، فأمَّا أنا : فأُبْلِستُ[2] وأمَّا ابنُ عبدِ الصَّمَد : فخَرِسَ ، وكانَ تَمْتاماً ، وكانَ أبو زُرْعَة القاضي أَحْدَثَنا سِنّاً ، فقالَ : أَصْلَحَ اللهُ الأميرَ فالْتَفتَ إليه الوَاسِطيُّ ، فقالَ : أَمْسِكْ حتَّىٰ يَتكلَّمَ أكْبَرُ مِنْكَ ثم عَطَفَ علينا ، وقالَ : مَاذا عِنْدَكم ؟ فقُلنا : أصْلَحَكَ اللهُ! هَـٰذا رَجلٌ مُتكَلِّمٌ يتكلَّمُ عَنَّا ، قالَ : تَكلَّم فقالَ : واللهِ ما فينا هَاشِميٌّ ، ولا قُرَشيٌّ صَحيحٌ ، ولا عَربيٌّ فَصيحٌ ، ولَكنَّا قَومٌ مُلِكْنا حتَّىٰ قُهِرْنا ورَوَىٰ أَحَاديثَ كَثيرَة عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في السَّمْعِ والطَّاعَة ، في

---

(١) انظر السير : (أبو زُرْعَة الدِّمَشْقيّ) ١٣/ ٣١١ـ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٩ .

(٢) الإبْلاس : الانكسار والحُزن ، والمبلِس : اليائس المنقطع رجاؤه ، ولذلك قيل الذي يسكت عن انقطاع حُجَّتِه ولا يكون عنده جَواب : قد أُبْلس .

الْمَنْشَطِ والْمَكْرَهِ ، وأحَاديثَ في العَفْوِ والإحْسَانِ ، وكانَ هُو الذي تَكلَّمَ بالكَلِمَة التي نُطالَبُ بخِزْيِها ، ثُمَّ قالَ : أصْلَحَ اللهُ الأميرَ ، وأُشْهِدُكَ أنَّ نِسْوَاني طَوَالِق ، وعَبيدي أحْرارٌ ، ومالي حَرامٌ إنْ كانَ في هَؤلاءِ القَومِ أحَدٌ قالَ هـٰذه الكَلِمَة ، ووَراءَنا عِيالٌ وحُرَمٌ ، وقد تَسامَعَ النَّاسُ بهَلاكِنا ، وقد قَدَرْتَ ، وإنَّما العَفوُ بعدَ الْمَقْدِرَةِ فقالَ للوَاسِطيِّ : يا أبا عبدِ الله! أطْلِقهُم ، لا كَثَّر اللهُ في النَّاسِ مثلَهم فأطْلَقنا ، فاشْتَغلتُ أنا ويَزيدُ بنُ عبد الصَّمَد عندَ عُثمانَ بنِ خُرَّزَاذ في نُزَهِ أنْطاكيَة وطِيبِها وحَمَّاماتِها ، وسَبقَ أبو زُرْعَة القاضي إلىٰ حِمْصَ .

ماتَ أبو زرعة النَّصْريُّ سَنةَ إحْدَىٰ وثَمانينَ ومِئتَين[1] .

وقالَ الحافِظُ عبدُ الغَني : لَمَّا تَلقَّىٰ أبو الطَّاهِر الذُّهْليُّ الْمُعِزَّ أبا تَميم بالإسْكَندريَّة سألَه الْمُعِزُّ ، فقالَ : يا قاضي ، كَمْ رَأيتَ من خَليفَة ؟ قالَ : واحدٌ : قالَ : مَنْ هُوَ ؟ قالَ : أنْتَ ، والبَاقُونَ مُلوك ، فأعْجَبَه ذلك ، ثم قالَ له : أحَجَجْتَ ؟ قالَ : نَعَم ، قالَ : وسَلَّمْتَ على الشَّيْخَينِ ؟ قالَ : شَغَلني عَنهما النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كمَا شَغلَني أميرُ المؤمنينَ عَنْ وَليِّ عَهدِه ، فازْدَادَ به الْمُعِزُّ إعْجاباً ، وتَخلَّصَ من وَليِّ العَهْدِ إذْ لَمْ يُسلِّمْ عليه بحضْرَةِ الْمُعِزِّ فأجازَه يومَئذ بعَشْرَة آلافِ دِرْهَم .

ولَمْ يَزلْ أمْرُه مُستقيماً إلىٰ أنْ لَحِقَتْهُ علَّة عَطَّلت شِقَّه في سَنةِ سِتٍّ وسِتِّينَ وثَلاثِ مئة ، فقلَّدَ العَزيزُ صاحِبُ مِصْرَ القَضاءَ حينئذ عَليَّ بنَ النُّعْمان .

ماتَ سَنةَ سَبعٍ وسِتِّينَ وثَلاثِ مِئة[2] .

وقامَ إلى ابنِ الجَوْزيِّ رَجلٌ بَغيضٌ ، فقالَ : ياسَيِّدي : نُريدُ كَلِمَةً نَنْقُلها عَنكَ ، أيُّهما أفْضَلُ أبو بَكر أو عَليّ ؟ فقالَ : اجْلِسْ ، فجَلسَ ، ثم قامَ ، فأعادَ مَقالَه ، فأقْعَدَه ، ثم قامَ ، فقالَ : اقْعُد ، فأنْتَ أفْضَلُ[3] . مِنْ كُلِّ أحَدٍ[4] .

---

(١) انظر السير : (أبو زُرْعَة الدِّمَشْقيّ) ١٣/ ٣١١ـ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٩ .

(٢) انظر السير : (الذُّهْليُّ) ١٦/ ٢٠٤ـ ٢١٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٨٨ .

(٣) يعني من الفُضول . .

(٤) انظر السير : (أبو الفَرَج بن الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦٣٤ . =

وقالَ القاضي ابنُ وَاصِل : سُئلَ ابنُ الجَوْزيّ والخَليفَةُ يَسمَعُ : « مَنْ أفْضَلُ النَّاسِ بعدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم » ؟ قالَ : « أفْضَلُهم بعدَه مَنْ كانَت بِنتُه تَحتَه » وهـٰذا جَوابٌ جيِّدٌ يَصْدُقُ علىٰ أبي بَكر وعلىٰ عَليٍّ[1] .

٦ـ المَعَارِيضُ صِدْقٌ :

قالَ مُغيرَةُ : كانَ إبْراهيمُ النَّخَعيُّ إذا طَلَبَه إنْسانٌ لا يُحِبُّ لِقاءَه خَرجَت الجَارِيَة ، فقَالَت : اطْلُبُوهُ في الْمَسْجِد[2] .

وعن إبْراهيمَ ، قالَ : أتىٰ رَجلٌ ، فقالَ : إنِّي ذَكرتُ رَجُلاً بشَيء فبَلغَه عَنِّي ، فكَيفَ أعْتَذرُ إليه ؟ قالَ : تَقولُ : والله إنَّ اللهَ لَيعلَمُ ما قُلتُ مِنْ ذلكَ مِنْ شَيء[3] .

وعنْ إسْحاقَ بنِ هانىء قالَ : كُنَّا عندَ أحمَدَ بنِ حَنْبَل في مَنزِله ، ومَعه الْمَروذيُّ ، ومُهنّىٰ ، فدَقَّ داقٌّ البابَ ، وقالَ : آلْمَروذيُّ هَا هُنا ؟ فكأنَّ الْمَرُّوذيَّ كرِهَ أنْ يُعلَمَ مَوْضِعُه ، فوَضَعَ مُهنَّىٰ أصْبُعَه في راحَتِه ، وقالَ : لَيسَ الْمَرُّوذيُّ هَا هُنا ، وما يَصنَعُ الْمَرُّوذيُّ هَا هُنا ؟ فضَحِكَ أحْمَدُ ، ولَمْ يُنْكِرْ[4] .

المُحَاسَبَة

١ـ صُوَرٌ علىٰ مُحاسَبة النَّفْس :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الأحْنَفِ بنِ قَيْس : عاشَت بنو تَميم بحِلْمِ الأحْنَفِ بنِ قَيس أرْبَعينَ سَنةً ، وقيلَ للأحْنَفِ : إنَّك كَبيرٌ والصَّومُ يُضْعِفُك قالَ : إنِّي أُعِدُّه لسَفرٍ طَويلٍ وقيلَ : كانَت عَامَّةُ صَلاةِ الأحْنَفِ باللَّيلِ ، وكانَ يَضعُ أصْبُعَه على الْمِصْباحِ ، ثم يقولُ : حَسٍّ[5] ويَقولُ : ما حَملَكَ يا أحْنَفُ علىٰ أنْ صَنعتَ كَذا يومَ كَذا[6] .

---

(١) انظر السير : (النَّاصِر لدين الله) ٢٢/ ١٩٢ـ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٦٨٥ .
(٢) انظر السير : (إبْراهيمُ النَّخَعيُّ) ٤/ ٥٢٠ـ٥٢٩ ، وانظر النزهة : ٦/٥٤٩ .
(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ النَّخَعيُّ) ٤/ ٥٢٠ـ٥٢٩ ، وانظر النزهة : ٦/٥٤٩ .
(٤) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٤٧ .
(٥) كلمة تُقالُ عند الألم .
(٦) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥١ .

٢ـ مُحاسَبَة الله دَقيقَة :

عن يَحْيَىٰ بنِ مُعَاذ ، قالَ : الدُّنيا لا تَعدِلُ عندَ الله جَناحَ بَعُوضَة ، وهو يَسألُكَ عن جَناحِ بَعُوضَة[1] .

المُراقَبَة

عن حاتِمِ الأصَمِّ قالَ : تَعاهَدْ نفسَك في ثَلاثٍ : إذا عَملتَ ، فاذْكُرْ نَظَرَ اللهِ إليكَ ، وإذا تَكلَّمتَ فاذْكُرْ سَمعَ الله مِنكَ ، وإذا سَكتَّ فاذْكُرْ عِلمَ اللهِ فيكَ[2] .

حُسْنُ الخُلُق

١ـ حُسْنُ الخُلُق مَطْلوب :

قالَ عبدُ الغَني : وسَمعتُ الوَزيرَ أبا الفَرج يَعقُوبَ بنَ يُوسُف يَقولُ : قالَ لي الأسْتاذُ كافُور : اجْتَمِعْ بالقاضي أبي الطَّاهر الذُّهْليِّ فسلِّمْ عليه وقُلْ له : إنَّه بَلغَني أنَّكَ تَنبَسِطُ مع جُلَسَائك وهٰذا الانْبسَاطُ يُقلُّ هَيْبَةَ الحُكْم ، فأعْلَمتُه بذلك ، فقالَ : قُلْ للأسْتاذِ : لَسْتُ ذا مَالٍ أفيضُ به علىٰ جُلَسائي ، فلا أقَلَّ من خُلُقي ، فأخْبَرتُ الأسْتَاذَ ، فقالَ : لا تُعاوِدْهُ[3] .

٢ـ صُوَرٌ علىٰ حُسْنِ الخُلُق :

قالَ يَحْيَىٰ بنُ مَنْدَه : كانَ عَمِّي عبدُ الرَّحْمَـٰن بنُ مَنْدَه سَيفاً علىٰ أهْلِ البدَع ، وهو أكبَرُ من أن يُثنيَ عليه مثلي ، كانَ ـ واللهِ ـ آمراً بالْمَعْرُوفِ ، ناهياً عن الْمُنْكر ، كَثيرَ الذِّكْر ، قاهِراً لنَفسِه ، عَظيمَ الحِلْمِ ، كَثيرَ العِلمِ ، قَرأتُ عليه قَولَ شُعْبَة : مَنْ كَتبتُ عنه حَديثاً فأنا له عَبدٌ فقالَ عَمِّي : مَنْ كَتبَ عَنِّي حَديثاً فأنا له عَبدٌ[4] .

---

(١) انظر السير : (يَحْيَى بن مُعاذ) ١٣/ ١٥ـ ١٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٤٧ .
(٢) انظر السير : (حاتِمْ الأصَمّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٠ .
(٣) انظر السير : (الذُّهْلِيُّ) ١٦/ ٢٠٤ـ ٢١٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٨٨ .
(٤) انظر السير : (ابنُ مَنْدَه) ١٨/ ٣٤٩ـ ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٤١٩ .

وقال خَطيبُ الْمَوْصِلِ أبو الْمُفَضَّل : حدَّثني أبي قالَ : تَوجَّهتُ من الْمَوْصِلِ سَنَةَ تِسْعِ وخَمْسينَ وأرْبع مئة إلىٰ أبي إسْحاقَ الشِّيرازي فلمَّا حَضرتُ عندَه رَحَّبَ بي ، وقالَ : مِنْ أين أنْتَ ؟ فقُلتُ : من الْمَوْصِلِ قالَ : مَرْحباً أنتَ بَلدِيِّ ، قُلتُ : يا سَيدنا! أنتَ مِنْ فَيْرُوزَاباد قالَ : أمَا جَمعَتنا سَفينَةُ نُوحٍ ؟ فشاهَدتُ من حُسْنِ أخْلاقِهِ ولَطافَتِه وزُهدِه ما حَبَّبَ إليَّ لُزومَه فصَحبتُه إلىٰ أنْ ماتَ .

تُوفِّيَ سنة ستٍّ وسَبعين وأربع مئة ببغداد ، وأُحضِرَ إلىٰ دارِ أمير المؤمنينَ الْمُقْتَدي بالله فصلَّىٰ عليه[1] .

* * *

---

(١) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازي) ١٨/ ٤٥٢ـ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣١ .

مِنْ أَخْلاقِ المُؤْمنين

الاحْتِمَال

١ـ فَضْلُ الاحْتِمَال :

قالَ هِشامُ بنُ عُرْوَة بنِ الزُّبَيْر : قالَ أبي : رُبَّ كَلمَةٍ ذُلٌّ احْتَمَلتُها أوْرَثَتني عِزّاً طَويلاً[١] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الشَّجريِّ : وكان فَصيحاً حُلوَ الكَلام ، وَقُوراً ذا سَمتٍ ، لا يَكادُ يَتكلَّم في مَجلسِه بكلمةٍ إلاَّ وتَتَضمَّنُ أدَبَ نَفسٍ أو أدَبَ دَرسٍ ، ولقد اخْتَصمَ إليه عَلويّان فقال أحدُهما : قال لي : كَذا وكَذا قال : يا بُنيَّ احْتمِلْ ، فإنَّ الاحْتمالَ قَبرُ المَعايب .

تُوفِّي سَنةَ اثنتين وأربَعين وخَمس مئة ، ودُفِنَ بدارِه[٢] .

٢ـ صُوَرٌ على الاحْتِمَال :

جاءَ في تَرجَمَةِ الْمُوَفَّقِ ابنِ قُدامَة الْمَقْدِسيِّ ، قالَ الضِّياءُ : وبقي الْمُوَفَّقُ يَجلِسُ زَماناً بعدَ الجُمُعَة للمُناظَرَة ، ويَجتَمعُ إليه الفُقَهاءُ ، وكانَ يُشغَلُ[٣] إلى ارْتِفاعِ النَّهارِ ، ومن بعدِ الظُّهْرِ إلى الْمَغْرِبِ ، ولا يَضجَرُ ، ويُسَمِّعُونَ عليه ، وكان يُقرِىءُ في النَّحْوِ ، وكانَ لا يَكادُ يَراهُ أحَدٌ إلاَّ أحبَّه إلىٰ أنْ قالَ الضِّياءُ : وما عَلمتُ أنَّه أوْجَعَ قَلبَ طَالِبٍ ، وكانت له جارِيَةٌ تُؤذيه بخُلُقِها فما يَقولُ لها شَيئاً ، وأوْلادُه يَتضارَبون وهو لا يتكلَّمُ ، وسَمعتُ[٤] البَهاءَ يَقولُ : ما رَأيتُ أكثرَ احْتِمالاً منه[٥] .

---

(١) انظر السير : (عُرْوَة بنُ الزُّبَيْر) ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٨ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الشَّجريّ) ٢٠/ ١٩٤ـ ١٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٠ .

(٣) الإشغال : التدريس وهو غير (الاشتغال) بمعنى الطلب وهـٰذه اصطلاحات معروفة عند المتأخرين .

(٤) السماع للضياء ، هو الذي بعده من الحكايات .

(٥) انظر السير : (ابنُ قُدامَة) ٢٢/ ١٦٥ـ ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨١ .

الإحْسَان

صُوَرٌ من الإحْسَان :

عن عُمَرَ بنِ محمَّد بن زَيْد ، عن أبيه : أنَّ ابنَ عُمَرَ كاتَبَ غُلاماً له بأرْبَعينَ ألفاً ، فخَرجَ إلى الكُوفَة ، فكانَ يَعمَلُ علىٰ حُمُرٍ له ، حتَّىٰ أدَّىٰ خَمسَةَ عَشرَ ألفاً ، فجاءَه إنْسانٌ ، فقالَ : أمَجنونٌ أنتَ ؟ أنتَ هَا هُنا تُعذِّبُ نَفسَكَ وابنُ عُمَرَ يَشتَري الرَّقيقَ يَميناً وشِمالاً ، ثم يُعْتِقُهم ، ارْجِعْ إليه ، فقُلْ : عَجزتُ فجاءَ إليه بصَحيفَة ، فقالَ : يا أبا عبدِ الرَّحمَـٰنِ! قد عَجزْتُ وهـٰذه صَحيفَتِي ، فامْحُها فقالَ : لا ، ولكنْ امْحُها أنتَ إنْ شِئْتَ فمَحاها ، ففاضَتْ عَينا عبدِ الله ، وقالَ : اذْهَبْ فأنتَ حُرٌّ قالَ : أصْلَحَكَ اللهُ ، أحْسِنْ إلى ابنَيَّ قالَ : هُما حُرَّان قالَ : أصْلَحكَ اللهُ ، أحْسِنْ إلىٰ أُمَّيْ وَلَدَيَّ قالَ : قالَ : هُما حُرَّتان[1] .

وعن نافعٍ ، قالَ : مَرِضَ ابنُ عُمرَ ، فاشتَهَىٰ عِنباً أولَ ما جاءَ ، فأرْسَلت امرأتُه بدِرْهَم ، فاشْتَرَتْ به عُنقوداً ، فاتَّبَعَ الرَّسولَ سائلٌ ، فلمَّا دَخلَ قالَ : السَّائل السَّائل ، فقالَ ابنُ عُمَرَ : أعْطُوه إيَّاه فأعطَوْه ثم بَعثَت بدِرْهم آخرَ قالَ : فاتَّبَعَه السَّائلُ فلمَّا دَخلَ ، قالَ : السَّائل السَّائل فقالَ ابنُ عُمَرَ : أعْطُوه إيَّاه فأعطَوْه ، وأرْسَلت صَفيَّةُ إلى السَّائلِ تَقولُ : واللهِ لَئنْ عُدتَ لا تُصيبُ منِّي خَيراً ، ثم أرْسَلتْ بدِرْهَم آخرَ ، فاشْتَرَت به[2] .

وعن مُنْذِرٍ الثَّوْريّ ، أنَّ الرَّبيعَ بنَ خُثَيم أخَذَ يُطعِمُ مُصاباً خَبيصاً ، فقيلَ له : ما يُدريه ما أكلَ ، قالَ : لكنَّ اللهَ يَدري[3] .

وعن نافع ـ مَوْلَى ابنِ عُمَرَ ـ قالَ : دَخلتُ مع مَوْلايَ عَلَىٰ عبدِ اللهِ ابنِ جَعْفَر ، فأعْطاهُ فيَّ اثنَيْ عَشَرَ ألفاً ، فأبَىٰ وأعتَقَني ، أعْتَقَه اللهُ[4] .

---

(١) انظر السير : (عبد الله بن عُمَر) ٣/٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٦٨ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن عُمَر) ٣/٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٦٩ .

(٣) انظر السير : (الرَّبيعُ بنُ خُثَيم) ٤/٢٥٨ـ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٤٩٣ .

(٤) انظر السير : (نافع) ٥/٩٥ـ١٠١ ، وانظر النزهة : ٨/٥٨٤ .

وقيلَ لابنِ الْمُنْكَدِر : أيُّ الدُّنيا أحَبُّ إليكَ ؟ قالَ : الإفْضَالُ على الإخْوَان[1] .

ونقلَ أبو بَكْرِ الخَطيبُ حكايةً مُقتَضاها أنَّ رجُلاً صلَّى الجُمعَةَ فرأىٰ رجُلاً مُتنسِّكاً لمْ يُصلِّ ، فكلَّمَه ، فقال : اسْتُرْ عليَّ ، لدَعْلَج عليَّ خَمسَةُ آلافٍ ، فلمَّا رأيتُه أحْدَثتُ ، فبلغَ ذلك دَعْلَجاً ، فطَلبَه إلىٰ مَنزِله ، وحلَّله من المال ، ووَصلَه بمثلِها لكَوْنه رَوَّعه[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ سَيْفِ الدَّوْلَة : وقِيلَ : إنَّه في عيد نفَّذَ إلى النَّاسِ ضَحايا لا تُعدُّ كثرةً ، فبَعَثَ إلى اثنَي عَشرَ ألفَ إنْسانٍ ، فكانَ أكثرُ ما يَبعَثُ إلى الكَثيرِ منهم مِئةَ رَأسٍ[3] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ عبدِ الغَني الْمَقْدِسيِّ ، قالَ الضِّياءُ : ولَمَّا وَصلَ إلىٰ مِصْرَ كُنَّا بها ، فكانَ إذا خَرجَ للجُمُعَة لا نَقدِرُ نَمشي مَعَه من كَثرَة الخَلق ، يَتبرَّكون به ويَجتَمعُونَ حَولَه ، وكُنَّا أحْداثاً نَكتُبُ الحَديثَ حَولَه ، فضَحِكْنا من شَيء وطالَ الضَّحِكُ ، فتَبسَّمَ ولَمْ يَحْرَد[4] عَلينا وكانَ سَخيّاً جَواداً لا يدَّخِرُ ديناراً ولا دِرْهماً مَهْما حَصَّلَ أخرجَه لقد سَمعتُ عنه أنَّه كانَ يَخرُجُ في اللَّيلِ بِقِفَافِ الدَّقيقِ إلىٰ بُيُوتٍ مُتَنكِّراً في الظُّلمَة فيُعطيهم ولا يُعرَف ، وكان يُفتَحُ عليه بالثِّيابِ فيُعطِي النَّاسَ وثَوبُه مُرَقَّع[5] .

قال الضِّياءُ : سَمعتُ أبا مُحمَّد عبدَ الرَّحمَـٰن بنَ مُحمَّد بنِ عبدِ الجَبَّار ، سَمعتُ الحافظَ عبد الغَني المَقدِسيّ يقولُ : سَألتُ اللهَ أنْ يَرْزُقَني مِثلَ حالِ الإمامِ أحْمَد فقد رَزَقَني صَلاتَه ، قال : ثمَّ ابْتُلِيَ بعدَ ذلكَ وأُوذِي .

سَمعتُ الإمامَ عبدَ اللهِ بنَ أبي الحَسَنِ الجُبَّائيَّ بأصْبَهانَ يَقُولُ : أبو نُعَيم قد أخَذَ على ابنِ مَنْدَة أشْياءَ في كتابِ « الصَّحابَة » فكان الحافظُ أبو مُوسَىٰ يَشْتَهي أنْ يأخُذَ علىٰ

---

(١) انظر السير : (محمَّد بن الْمُنْكَدِر) ٥/٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٨ .

(٢) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/ ٣٠ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٦٦ .

(٣) انظر السير : (سَيفُ الدولة) ١٦/ ١٨٧ـ ١٨٩ ، وانظر النزهة : ٧/١٢٨٢ .

(٤) الحرد : الغضب .

(٥) انظر السير : (عبدُ الغنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٤٧ .

أبي نُعَيمٍ في كتابِه الذي في الصَّحابَة فما كان يَجْسر ، فلمَّا قَدِمَ الحافِظُ عبدُ الغَنيّ أشَارَ إليه بذلك ، قال : فأخَذَ علىٰ أبي نُعَيمٍ نَحْواً من مِئَتَيْنِ وتِسْعينَ مَوْضِعاً ، فلمَّا سَمِعَ بذلكَ الصَّدرُ الخُجَنْديُّ طَلَبَ عبدَ الغَنيّ وأرادَ هَلاكَه ، فاخْتَفىٰ .

وسَمعتُ مَحمُودَ بنَ سَلامَة يقولُ : ما أخْرجْنا الحافظَ من أصْبَهانَ إلاَّ في إزارٍ وذلكَ أنَّ بَيْتَ الخُجَنْديِّ أشاعِرَةٌ ، كانوا يَتَعَصَّبونَ لأبي نُعَيم ، وكانوا رُؤَساءَ البَلَد .

وسَمعتُ الحافظَ يقولُ : كُنَّا بالمَوْصِل نَسْمَعُ « الضُعَفَاء » للعُقَيْليِّ ، فأخَذَنِي أهلُ المَوْصِل وحَبَسُونِي ، وأرادُوا قَتْلِي من أجْلِ ذِكْرِ شيءٍ فيه[1] ، فجاءَنِي رجلٌ طويلٌ ومعه سَيْفٌ ، فقُلتُ : يَقْتُلُنِي وأسْتَرِيحُ ، قال : فلَمْ يَصْنَعْ شيئاً ، ثمَّ أطْلَقُونِي ، وكان يَسْمَعُ معه ابنُ البَرْنيِّ الواعِظُ فقَلَعَ الكُرَّاسَ الذي فيه ذلكَ الشيء فأرْسلوا ، وفَتَّشُوا الكتابَ ، فلَمْ يَجِدُوا شَيئاً ، فهـٰذا سَبَبُ خَلاصِه .

وقال : كان الحافظُ يَقْرأُ الحَديثَ بدِمَشْقَ ، ويَجتَمِعُ عليه الخَلْقُ ، فوَقَعَ الحَسَدُ ، فشَرعوا عَمِلُوا لهم وَقْتاً لِقراءَةِ الحَديثِ ، وجَمَعوا النَّاسَ ، فكان هـٰذا يَنامُ وهـٰذا بِلا قَلْبٍ[2] ، فمَا اشْتَفُوا ، فأمَرُوا النَّاصِحَ ابنَ الحَنْبَليِّ بأنْ يَعِظَ تحتَ النسرِ يومَ الجُمُعَةِ وقتَ جُلوسِ الحافظِ ، فأوَّلُ ذلكَ أنَّ النَّاصِحَ والحافظَ أرادَا أنْ يَخْتلِفا في الوَقتِ ، فاتَّفَقَا أنَّ النَّاصِحَ يَجْلسُ بعدَ الصَّلاةِ ، وأنْ يَجْلسَ الحافظُ العَصْرَ ، فدَسُّوا إلى النَّاصِحِ رَجُلاً ناقِصَ العَقلِ من بَنِي عَساكِر فقال للنَّاصِحِ في المَجْلسِ ما مَعْناه : إنَّكَ تقولُ الكذِبَ على المِنْبَرِ ، فضُرِبَ وهَرَبَ ، فتَمَّتْ مَكيدَتُهم ، ومَشَوْا إلى الوالِي وقالوا : هَؤلاءِ الحَنابِلَةُ قَصْدُهُم الفِتْنَة ، واعْتِقادُهُم يُخالِفُ اعْتِقادَنا ، ونَحْوَ هـٰذا ، فبَعَثَ الأسْرَىٰ[3] فرَفَعوا ما في جامعِ دِمَشْق من مِنْبَرٍ وخِزانَةٍ ، ودَرابزينَ ، وقالُوا : نُريدُ أنْ لا تُجْعلَ في الجَامعِ إلاَّ صَلاةُ الشَّافِعيَّة وكَسَروا مِنْبَرَ الحافظِ ، ثمَّ إنَّ الحافظَ ضاقَ

---

(١) يعني من أجل ذكر الإمام أبي حنيفة .

(٢) يعني أنهم كانوا يجمعون الناس من غير اختيارهم ، فكان بعضهم ينام ، وكان البعض يحضر وقلبه غير حاضر .

(٣) هـٰكذا في السِّيَر وفي الذَّيلِ لابنِ رَجَبَ ، والظَّاهرُ أنه اسم لجمَاعة من أعوَان الوَالي من الشُّرطة أو الجَيش .

صَدْرُه ومَضَىٰ إلىٰ بَعْلَبَك ، فأقامَ بها مُدَّة ، فقال له أهلُها : إنْ اشْتَهَيْتَ جِئْنا معَكَ إلىٰ دِمَشْقَ نُؤذِي مَنْ آذاكَ ، فقال : لا ، وتَوجَّه إلىٰ مِصْر فبَقِيَ بنابُلِسَ مُدَّة يَقْرأُ الحَديث ، وكُنتُ أنا بِمصْرَ ، فجاءَ شابٌّ من دِمَشْقَ بِفَتاوٍ إلىٰ صاحِبِ مِصْرَ الملكِ العَزيزِ ومعَه كُتُبٌ أنَّ الحَنابِلَةَ يَقُولُونَ كَذا وكَذا مِمَّا يُشَنِّعون به عليهم ، فقالَ ـ وكان يَتَصَيَّدُ ـ : إذا رَجَعْنا أخْرَجْنا من بِلادِنا مَنْ يَقولُ بهذه المَقالَة ، فاتَّفَقَ أنَّه عَدا به الفَرَسُ ، فشَبَّ به فسَقَطَ فخُسِفَ صَدْرُه ، وبَقِيَ الحافظُ بمِصْرَ ، وهم يَنالُونَ منه ، حتىٰ عَزَمَ المَلِكُ الكاملُ علىٰ إخْراجه ، واعْتُقِلَ في دارٍ أُسْبُوعاً ، فسَمعتُ أبا مُوسَىٰ يَقولُ : سَمعتُ أبي يَقولُ : ما وَجدتُ راحةً في مِصْرَ مِثلَ تلك اللَّيالي قالَ : وكانت امْرأةٌ في دارٍ إلىٰ جانبِ تِلكَ الدَّارِ ، فسَمِعْتُها تَبكي وتَقولُ : « بالسِّرِّ الذي أوْدَعْتَه قَلبَ مُوسَىٰ حتَّىٰ قَوِيَ علىٰ حَمْلِ كلامِك » قالَ : فدَعَوْتُ به فخَلُصْتُ تلكَ اللَّيلَة[1] .

الأدَب

١ـ عَلاقَة الأدَب بالعِلم :

(أ) العِلمُ بغير أدَبٍ ضَارٌّ :

قالَ أبُو النَّضْر الفَقيهُ : سَمعتُ البُوشَنْجِيَّ يَقولُ : مَنْ أرادَ العِلمَ والفِقْهَ بغَير أدَبٍ ، فقَد اقْتَحمَ أنْ يَكذِبَ على اللهِ ورَسُولِه .

تُوفِّيَ سَنةَ إحْدَىٰ وتِسْعينَ ومِئتَين ، وصَلَّىٰ عليه ابنُ خُزَيْمَة[2] .

(ب) الأدَبُ طَريقٌ للعِلم :

عن يُوسُفَ بنِ الحُسَين قالَ : بالأدَبِ تَتَفهَّم العِلمَ ، وبالعِلمِ يَصِحُّ لكَ العَمَلُ ، وبالعَمَلِ تَنالُ الحِكْمَة ، وبالحِكْمَة تفهَمُ الزُّهْدَ ، وبالزُّهْدِ تَترُكُ الدُّنيا ، وتَرغَبُ في الآخِرَة ، وبذلك تَنالُ رِضَا اللهِ تَعالَىٰ .

---

(١) انظر السير : (الحافظ عبد الغنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٤٧ .

(٢) انظر السير : (البوشَنْجي) ١٣/ ٥٨١ـ ٥٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١١٨ .

ماتَ سَنةَ أرْبع وثَلاثين وثَلاثِ مئة[1] .

(ج) العِلمُ لا يَكفي لتَربيَة النَّفْس إنْ لمْ يكنْ مَقْروناً بالأدَب :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ الغَزَّالي : ذَكرَ هـٰذا وأضْعافَه عبدُ الغافِرِ في « السِّياقِ » ، إلىٰ أنْ قالَ : ولقد زُرْتُه مِراراً ، وما كُنتُ أحْدُسُ في نَفسي مع ما عَهدتُ عليه من الزَّعارَّة[2] والنَّظَر إلى النَّاسِ بعَين الاسْتِخفَافِ كِبْراً وخُيَلاء ، واعْتزازاً بما رُزِقَ من البَسْطَة والنُّطْقِ والذِّهْن ، أنَّه صارَ على الضِّدِّ ، وتَصفَّىٰ عن تلكَ الكُدُورَاتِ ، وكنتُ أظنُّه مُتلفِّعاً بجلبَابِ التَّكلُّف مُتَنَمِّساً بما صارَ إليه فتَحقَّقتُ بعد السَّبرِ والتَّنْقيرِ أنَّ الأمرَ علىٰ خِلافِ الْمَظْنونِ ، وأنَّ الرَّجُلَ أفاقَ بعدَ الجُنونِ .

قالَ أبو بَكر بنُ العَرَبي : شَيخُنا أبو حامِدْ بَلعَ الفَلاسِفَة ، وأرادَ أنْ يَتقيَّأهُم فمَا اسْتَطاعَ .

ومن «مُعْجَم أبىٰ عَليٍّ الصَّدَفيّ» ، تَأليف القاضي عِياض له ، قالَ : والشَّيخُ أبو حامد ذُو الأنْبَاءِ الشَّنيعَة ، والتَّصانيف العَظيمَة ، غَلا في طَريقَة التَّصوُّفِ وتَجرَّدَ لنَصْرِ مَذهَبهم ، وصارَ دَاعيَةً في ذلك ، وألَّفَ فيه تواليفَه الْمَشْهورَة ، وأخَذَ عَليه فيها مَواضِعَ ، وساءَتْ به ظُنونُ أُمَّة ، واللهُ أعْلَمُ بسِرِّه ، ونفَذَ أمْرُ السُّلطان عندَنا بالْمَغْرِبِ وفَتوَى الفُقَهاء بإحْراقِها والبُعد عنها ، فامْتُثِلَ ذلك .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ما زَالَ العُلمَاءُ يَختَلفونَ ، ويَتكلَّمُ العالمُ في العالِمِ باجْتِهادِه وكلٌّ منهم مَعْذُورٌ مَأجُورٌ ، ومَنْ عانَدَ أو خَرَقَ الإجْمَاعَ ، فهو مأزُورٌ ، وإلى الله تُرجَعُ الأمُورُ[3] .

(د) تَعْليمُ الفِتْيان الأدَبَ مع المُعَلِّم :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ العلاَّمَة أبي زَكَرِيّا ، يَحْيَى بن زِيادِ ابنِ عبدِ اللهِ الفَرَّاء : وكانَ الْمَأمونُ قد وَكَّلَ بالفَرَّاء ولَدَيه يُلَقِّنُهما النَّحْوَ ، فأرادَ القِيامَ ، فابْتَدرا إلىٰ

---

(١) انظر السير : (يوسُف بن الحُسَين) ١٤/٢٤٨ـ٢٥١ ، وانظر النزهة : ١/١١٤٨ .

(٢) شراسة وسوء خُلق .

(٣) انظر السير : (الغَزَّالي) ١٩/٣٢٢ـ٣٤٦ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٢ .

نَعْلِه فقدَّمَ كلٌّ واحد فردَة فبَلغَ ذلكَ الْمَأمونَ ، فقالَ : لَنْ يَكبُرَ الرجلُ عن تَواضُعِه لسُلطانِه وأبيه ومُعلِّمِه(١) .

٢ـ سُوءُ الأدَبِ مع الأئمَّة مَرْفوض :

قال العُقيليُّ : سَمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الله بنِ الْمُبَارَك الصَّنْعانيَّ يقولُ : كان زَيْدُ بنُ الْمُبَارَك ، قد لَزِمَ عبدَ الرَّزَّاق ، فأكثرَ عنه ، ثم خَرَق كُتبَه ، ولَزِمَ محمَّدَ بنَ ثَوْر ، فقيلَ له في ذلك ، فقالَ : كُنَّا عند عبدِ الرَّزَّاق ، فحدَّثَنا بحَديثِ مَعْمَر ، عن الزُّهري ، عن مالكِ بنِ أَوْس بنِ الحدثان الحَديثَ الطَّويلَ ، فلمَّا قَرأَ قَولَ عُمَرَ لعَليٍّ والعَبَّاس : فجئتَ أنتَ تَطلبُ ميراثَك من ابنِ أخيكَ ، وجاءَ هـٰذا يَطلبُ ميراثَ امْرأتِه ، قالَ عبدُ الرَّزَّاق : انْظُر إلى الأنْوَك ، يَقولُ : تَطلبُ أنتَ ميراثَكَ من ابنِ أخِيكَ ، ويَطلبُ هـٰذا ميراثَ زَوجَتِه من أبيها ، لا يَقولُ : (رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم) قالَ زَيْدُ بنُ الْمُبَارَك : فلَمْ أعُدْ إليه ولا أرْوِي عنه(٢) .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه عَظيمَةٌ ، وما فَهِمَ قَولَ أميرِ المؤمنين عُمَرَ رضي الله عنه ، فإنَّك يا هـٰذا لَوْ سَكَتَّ لكانَ أوْلَىٰ بك ، فإنَّ عُمَرَ رضي الله عنه إنَّما كانَ في مَقام تَبْيين العُمُومَة والبُنُوَّة ، وإلاَّ فعُمَرُ رضي الله عنه أعْلَمُ بحَقِّ المصطَفَىٰ صلى الله عليه وسلم وبتَوْقيرِه وتَعْظِيمِه من كُلِّ مُتحَذلِق مَتنَطِّع ، بَلْ الصَّوابُ أنْ نقولَ عَنْكَ : انْظُروا إلىٰ هـٰذا الأنْوَك الفاعِل ـ عَفَا الله عنه ـ كَيفَ يَقولُ عن عُمَرَ هـٰذا ، ولا يَقُولُ : أميرُ المؤمنين الفَارُوق ؟! وبكُلِّ حالٍ فنَستَغفِرُ اللهَ لنَا ولعَبدِ الرَّزَّاق ، فإنَّه مَأمُونٌ علىٰ حَديثِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، صادِقٌ(٣) .

وقالَ الحافظُ ابنُ عَساكر : كانَ العَبْدَرِيُّ أحْفَظَ شَيخٍ لَقيتُه ، وكانَ فَقيهاً داوُوديّاً ، ذُكرَ أنَّه دَخلَ دِمَشْقَ في حياة أبي القاسم بنِ أبي العَلاءِ وسَمعتُه وقد ذُكرَ مَالِكٌ ، فقالَ : جِلْفٌ جَافٌّ ، ضَربَ هشامَ بنَ عَمَّار بالدِّرَّة ، وقَرأتُ عليه « الأمْوالَ » لأبي عُبَيْد ،

---

(١) انظر السير : (الفَرَّاء) ١٠/١١٨ـ١٢١ ، وانظر النزهة : ٨٥٧/٤ .

(٢) انظر السير : (عبد الرَّزَّاق بن هَمَّام) ٩/٥٦٣ـ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٨٤٠/١ .

(٣) انظر السير : (عبد الرَّزَّاق بن هَمَّام) ٩/٥٦٣ـ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٨٤٠/٢ .

فقالَ ، وقد مرَّ قولٌ لأبي عُبَيد : ما كانَ إلاَّ حِماراً مُغَفَّلاً ، لا يَعرفُ الفِقْهَ ، وقيلَ لي عنه : إنَّه قالَ في إبْراهيمَ النَّخَعي : أعْورُ سُوء ، فاجْتَمَعْنا يَوماً عندَ ابنِ السَّمَرْقَنْديِّ في قِراءَةِ كتابِ « الكامِلِ » ، فجاءَ فيه : وقالَ السَّعْديُّ كذا ، فقالَ : يَكذبُ ابنُ عَديّ ، فقالَ إبْراهيمُ الجَوْزَجانيُّ ، فقُلتُ له : فهُو السَّعْديُّ ، فإلىٰ كَمْ نَحتَملُ منكَ سُوءَ الأدَبِ ، تَقولُ في إبْراهيمَ كَذا وكَذا ، وتَقولُ في مَالِكٍ جافّ ، وتَقولُ في أبي عُبَيْد ؟! فغَضبَ وأخذَتهُ الرِّعْدَةُ ، وقالَ : كانَ ابنُ الخاضِبَةِ والبردانيُّ وغيرُهما يَخافُوني ، فآلَ الأمرُ إلىٰ أنْ تَقولَ فيَّ هـٰذا ؟! فقالَ له ابنُ السَّمَرْقَنْديِّ : هـٰذا بذاك ، فقلتُ : إنَّما نَحترمُك ما احْتَرمْتَ الأئمَّة ، فقالَ : والله لقد عَلمتُ من عِلمِ الحَديثِ ما لَمْ يعلَمْهُ غَيري مِمَّن تقدَّم ، وإنِّي لأعْلمُ من صَحيحِ البُخاري ومُسْلم ما لَمْ يَعْلَماه ، فقُلتُ مُسْتهْزئاً : فعِلمُكَ إلْهَامٌ إذاً ، وهاجَرْتُه .

سألتُه يَوماً عن أحاديثِ الصِّفاتِ ، فقالَ : اخْتَلفَ النَّاسُ فيها فمِنهُم مَنْ تأوَّلها ومنهم مَنْ أمْسَكَ ، ومنهم مَنْ اعتَقدَ ظاهِرَها ، ومَذْهَبي أحَدُ هـٰذه الْمَذاهِب الثلاثة ، وكان يُفتي علىٰ مَذهَبِ دَاوُدَ ، فبَلغَني أنَّه سُئلَ عن وُجوبِ الغُسلِ علىٰ مَنْ جامَعَ ولَمْ يُنزلْ فقالَ : لا غُسْلَ عليه ، الآنَ فَعلتُ ذا بأُمِّ أبي بكر إلىٰ أنْ قالَ : وكانَ بَشِعَ الصُّورَة زَرِيَّ اللِّباسِ .

ماتَ سَنةَ أرْبَع وعشْرينَ وخَمْسمائة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ما ثَبتَ عنه ما قِيلَ من التَّشْبيه ، وإنْ صَحَّ ، فبُعداً له وسُحْقاً[1] .

٣ـ قِلَّةُ الأدَبِ مع الصَّالحين تَسْتَوْجِبُ العُقوبَة :

عن أبي وَائل أنَّ ابنَ مَسْعود رَأىٰ رَجلاً قد أسْبَلَ ، فقالَ : ارْفَع إزارَك ، فقالَ : وأنتَ يا ابنَ مَسْعُود فارْفَعْ إزارَكَ ، قالَ : إنَّ بِسَاقي حُمُوشَةً وأنا أَؤُمُّ النَّاسَ فبَلَغَ ذلك عُمَرَ ، فجَعلَ يَضرِبُ الرَّجُلَ ، ويَقولُ : أتَرُدُّ على ابنِ مَسْعُود ؟!![2] .

---

(١) انظر السير : (العَبْدَريّ) ١٩/ ٥٧٩ـ٥٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥١٩ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن مَسْعود) ١/ ٤٦١ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٩٦ .

٤ـ عاقِبَةُ التَّأَدُّب مع العُلماء حَسَنةٌ :

ويُروَىٰ أن أبا إسْحَاقَ الحَرْبي لَمَّا دَخلَ علىٰ إسْماعيلَ القاضي ، بادَرَ أبو عُمَر محمدُ بنُ يُوسُف القاضي إلىٰ نَعْلِه ، فأَخَذَها ، فمَسَحَها من الغُبَارِ ، فدَعا له ، وقالَ : أعزَّكَ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَة ، فلمَّا تُوفِّي أبو عُمَر ، رُؤيَ في النَّومِ ، فقيلَ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : أعزَّني في الدُّنيا والآخِرَة بدَعْوَةِ الرَّجُل الصَّالح[1] .

٥ـ مِنْ الأدَب إعْطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه :

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحَوَاري : جاءَ رَجلٌ من بَني هاشِم إلىٰ عبدِ اللهِ ابنِ الْمُبَارَك ليَسمَعَ منه ، فأبَىٰ أنْ يُحدِّثَه ، فقالَ الشَّريفُ لغُلامِه : قُمْ فإنَّ أبا عبدِ الرَّحْمَـٰنِ لا يَرَىٰ أنْ يُحَدِّثَنا ، فلمَّا قامَ ليَرْكبَ ، جاءَ ابنُ الْمُبَارَك ليُمسِكَ بركابه ، فقالَ : يا أبا عبدِ الرَّحْمَـٰنِ تفعَلُ هـٰذا ولا تَرَىٰ أنْ تُحدِّثَني! فقالَ : « أُذِلُّ لَكَ بَدَنِي ، ولا أُذِلُّ لَكَ الحَديثَ »[2] .

٦ـ تَعْظيمُ شَعائر الله من الأدَب :

عن مُغيرَة ، عن أبيه أنَّ الحَجَّاجَ أرادَ أنْ يَضَعَ رِجلَه على الْمَقَامِ ، فزَجَره ابنُ الحَنفيَّةِ ونَهَاه[3] .

٧ـ المُبالَغَة في أمر ظَنَّه صاحبُه من واجبات الأدَب :

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ الخَبُوشانيِّ : وأتاهُ القاضي الفاضِلُ لزيارَة الشَّافعيِّ ، فرآه يُلقي الدَّرْسَ ، فجَلسَ وجَنبُه إلى القَبرِ ، فصَاحَ : قُمْ قُمْ ، ظَهرُكَ إلى الإمامِ ؟! فقال : إنْ كنتُ مُستَدبرهُ بقَالَبي ، فأنا مُستَقبِلُهُ بقَلْبي فصَاحَ فيه ، وقالَ : ما تُعُبِّدْنا بهـٰذا ، فخَرجَ وهو لا يَعْقِلُ .

---

(١) انظر السير : (إبراهيمُ الحَرْبيّ) ١٣/ ٣٥٦ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٤ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٩ .

(٣) انظر السير : (ابنُ الحَنَفيَّة) ٤/ ١١٠ـ ١٢٩ ، وانظر النزهة : ١/٤٦١ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ماتَ الخَبُوشانيُّ سَنةَ سَبعٍ وثَمانينَ وخَمسٍ مِئة[1] .

٨ـ قَوْلٌ بَليغٌ في الحَثِّ على الأدَب :

قالَ أبو طالِبِ بنُ عبدِ السَّميعِ : كانَ من أَلْفاظِ أميرِ الْمؤمنينَ ، الْمُسْتَظْهِرِ بالله : أدَبُ السَّائلِ أنْفَعُ من الوَسَائِلِ[2] .

٩ـ أدَبُ الخُلفَاء والأُمَراء مع العُلَماء :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الدَّاعي : بَرعَ في الرَّأي على الإمام أبي الحَسنِ الكَرْخي ، وأخَذَ علمَ الكَلامِ عن حُسَينِ بنِ عليٍّ البَصْري ، وأفْتَىٰ ودَرَّسَ ، ووَلِيَ نقابة الطالبيِّين في دَولَة بني بُويه ، فعَدلَ وحُمدَ ، وكان مُعِزُّ الدَّولَة يُبالغ في تعظيمِه ، وتَقبيلِ يدِه ، لعِبادَته وهَيبَتِه ، وكان فيه تَشَيُّعٌ بلا غُلُو[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أميرِ الْمؤمنينَ ، الْمُسْتَنْصِرِ باللهِ ، صاحبِ الأنْدَلُسِ : وكانَ يَتأدَّبُ مع العُلَماء والعُبَّاد ، التَمَسَ من زَاهِدِ الأنْدَلُس أبي بَكر يَحيَىٰ بنِ مُجاهِد الفَزاري أنْ يَأتيَ إليه ، فامْتَنعَ ، فمَرَّ في مَوْكبه بيَحْيَىٰ وسَلَّمَ عليه ، فرَدَّ عليه ودَعَا له ، وأقْبَلَ علىٰ تِلاوَتِه ، ومَرَّ بحَلقَةِ شَيخ القُرَّاء أبي الحَسَن الأنْطَاكي ، فجَلسَ ومَنعَهم من القِيامِ ، فمَا تَحرَّكَ أحَدٌ .

ماتَ بقَصْر قُرْطُبَةَ سَنةَ سِتٍّ وستِّينَ وثَلاثِ مئة .

وبُويعَ ابنُه هِشامُ وله تِسْعُ سنينَ أو أكثر ، ولُقِّبَ بالْمُؤيِّد بالله ، فكانَ ذلك سَبباً لتَلاشي دَولَة الْمَرْوانيَّة ، ولكنْ سَدَّدَ أمرَ الْمَمْلَكَة الحاجِبُ الْمُلقَّب بالْمَنْصور أبي عامِر مُحمّد بن عبد الله بن أبي عامِر القَحْطاني ، وإليه كان العقدُ والحلُّ ، فساسَ أتمَّ سياسَة[4] .

---

(١) انظر السير : (الخَبُوشانيّ) ٢١/ ٢٠٤ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٦١٣ .

(٢) انظر السير : (الْمُسْتَظْهِرُ بالله) ١٩/ ٣٩٦ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٨٩ .

(٣) انظر السير : (ابن الدَّاعي) ١٦/ ١١٤ـ١١٦ ، وانظر النزهة : ١/١٢٧١ .

(٤) انظر السير : (الْمُسْتَنْصِر) ١٦/ ٢٣٠ـ ٢٣١ ، وانظر النزهة : ٧/١٢٩٠ .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الْمَنيعيِّ ، وقيلَ : مَرَّ السُّلطانُ ببابِ مَسْجدِه ، فنَزَلَ مُراعاةً ، وسَلَّم عليه ومَناقِبُه جَمَّة .

مات سَنةَ ثَلاثٍ وستِّينَ وأرْبَع مئة[١] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمَلِكِ الأشْرَفِ أبي الفَتْحِ مُوسَىٰ شاه أرْمَن ، ابنِ العادِلِ : كان يُبالِغُ في تعظيمِ الشَّيخِ الفَقيهِ[٢] ، تَوضَّأَ الفَقيهُ يَوماً فوَثَبَ الأشْرَفُ ، وحَلَّ من تَخْفيفَتِه ورَماها علىٰ يَدَي الشَّيخِ ليُنَشِّفَ بها ، رَأىٰ ذلك شَيخَنا أبو الحُسَين ، وحَكاه لي .

ماتَ سَنةَ خَمسٍ وثَلاثينَ وسِتِّ مئة، وكانَ آخِر كَلامِه « لا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ » فيما قِيلَ[٣] .

١٠ـ الأدَبُ عند العُلَماء :

قالَ جَعْفَرُ بنُ أحمَدْ بنِ نَصْر الحافِظُ : ما رَأيتُ من الْمُحَدِّثينَ أهْيَبَ من مُحمَّدِ بنِ رافِعٍ ، كانَ يَسْتَندُ إلى الشَّجرَة الصَّنوبَر في دارِه ، فيَجلسُ العُلماءُ بين يَدَيه علىٰ مَراتِبهم ، وأوْلادُ الطَّاهِريَّة ومَعَهم الخَدَمُ ، كأنَّ علىٰ رُؤسِهم الطَّيْرَ فيَأخُذُ الكِتابَ ويَقرأُ بنَفسِه ولا يَنطِقُ أحَدٌ ، ولا يَتَبَسَّم إجْلالاً له ، وإذا تَبسَّمَ وَاحدٌ أوْ رَاطَنَ صاحبَه ، قالَ : وصَلَّى اللهُ علىٰ مُحمَّد ويَأخُذُ الكِتابَ ، فَلا يَقدِرُ أحَدٌ يُراجِعَه أو يُشيرَ بيَده ، ولقد تَبسَّمَ خادِمٌ من خَدَم الطَّاهِريَّة يَوماً ، فقَطعَ ابنُ رافِع مَجلِسَه ، فانتَهى الخَبرُ بذَلك إلىٰ طَاهِر بنِ عبدِ الله ، فأمَرَ بقَتلِ الخَادِمِ ، حتَّى احْتَلْنا لخَلاصِه[٤] .

١١ـ أمثِلَةٌ علىٰ أدَبِ الصَّالحين :

عن جابِر ، قالَ عُمَرُ : أبو بَكر سَيِّدُنا أعْتَقَ بِلالاً سَيِّدَنا[٥] .

---

(١) انظر السير : (الْمَنيعيّ) ١٨/ ٢٦٢ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١١ .

(٢) يعني : اليونيني .

(٣) انظر السير : (الأشْرَف) ٢٢/ ١٢٢ـ ١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٧٤ .

(٤) انظر السير : (محمّد بن رافع) ١٢/ ٢١٤ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٥ .

(٥) انظر السير : (بِلال بن رَباح) ١/ ٣٤٧ـ ٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٥ .

وعن يَحْيَىٰ بنِ سَعْد قالَ : ذَكرَ عُمَرُ فَضلَ أبي بَكر رضي الله عنه ، فجَعلَ يَصِفُ مَناقِبَه ، ثم قالَ : وهـٰذا سَيِّدنا بِلالٌ حَسَنَةٌ من حَسَناتِه[١] .

وعن مُعاذٍ قال : ما بَزَقْتُ علىٰ يَميني منذ أسلمت[٢] .

وعن أبي رَزين ، قال : قيل للعبَّاس : أنت أكبر أو النبيُّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو أكبرُ وأنا وُلدتُ قبلَه[٣] .

وورد أن عمر عمد إلىٰ ميزاب للعباس علىٰ ممر الناس ، فقلعه ، فقال له : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه في مكانه ، فأقسم عمر : لتصعدن علىٰ ظهري ولتضعنه موضعه .

وقد عاشَ ابنُ عبَّاس ثمانياً وثَمانينَ سَنةً ، وماتَ سَنةَ اثْنَتينِ وثَلاثينَ ، فصلَّىٰ عليه عُثْمانُ رضي الله عنه ودُفِنَ بالبَقيعِ[٤] .

وعن أبي رُهم : أنَّ أبا أيُّوبَ الأنْصَارِيّ حَدَّثَه : أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَزَلَ في بَيتِنا الأسْفَل وكُنتُ في الغُرفَةِ ، فأُهْرِيقَ ماءٌ في الغُرفَةِ ، فقُمتُ أنا وأُمُّ أيُّوبَ بقَطِيفَةٍ لنا نَتَتَبَّعُ الماءَ ، ونزَلتُ فقلتُ : يا رسولَ اللهِ لا يَنبَغِي أن نَكونَ فَوْقَكَ ، انتَقِلْ إلى الغُرفَة فأَمَرَ بمَتَاعِهِ فنُقِلَ ـ ومَتَاعُهُ قليل ـ قلتُ : يا رسولَ الله ، كنتُ تُرسِلُ بالطَّعامِ ، فأنظُرُ فإذا رأيتُ أثَرَ أصابِعِكَ ، وضَعتُ فيه يَدِي[٥] .

وعن أبي سلمة ، أن ابن عباس قام إلىٰ زيد بن ثابت ، فأخذ له بركابه ، فقال : تَنَحَّ يا ابنَ عَمِّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هـٰكذا نَفعَلُ بعلمائنا وكبَرائنا[٦] .

---

(١) انظر السير : (بلال بن رَباح) ١/ ٣٤٧ـ ٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٧٦ .
(٢) انظر السير : (مُعاذ بن جبَل) ١/ ٤٤٣ـ ٤٦١ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٢ .
(٣) انظر السير : (العَبَّاس) ٢/ ٧٨ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٢٢١ .
(٤) انظر السير : (العَبَّاس) ٢/ ٧٨ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/٢٢٣ .
(٥) انظر السير : (أبو أيوب الأنصاري) ٢/ ٤٠٢ـ ٤١٣ ، وانظر النزهة : ١/٢٨٣ .
(٦) انظر السير : (زَيْد بن ثابت) ٢/ ٤٢٦ـ ٤٤١ ، وانظر النزهة : ٤/٢٨٧ .

ومن غير وَجه ، عن عُمَرَ رضي الله عنه : أنه لم يلق أسامةَ بن زيد قط إلا قال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله! توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت عليَّ أمير[1] .

وعن عمران بن حصين قال : ما مَسَسْتُ ذَكَري بيمني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وعن مغيرة قال : خرج عدي بن حاتم ، وجَريرُ البَجَلي وحَنْظَلة الكاتب من الكوفة ، فنزلوا قَرْقِيسياءَ ، وقالوا : لا نُقيمُ ببَلَدٍ يُشْتَمُ فيه عُثمانُ .

ماتَ عَديٌّ سَنةَ سَبعٍ وستِّين[3] .

عن عبدِ الرحْمَـٰنِ بنِ رَزين قال : أَتينَا سَلَمَةَ بنَ الأكوَع بالرَّبَذَة ، فأَخْرَجَ إلينا يَداً ضَخمَةً كأنَّها خُفُّ البَعِير ، فقال : بايَعتُ بِيَدِي هـٰذه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقال : فأخَذْنا يَدَه فَقَبَّلْناها[4] .

وعن ابن أبي الهذيل : قال : دعا عُمَرُ زَيْدَ بنَ صُوحان ، فضَفَّنَه على الرَّحْلِ[5] كما تُضَفِّنونَ أُمَراءكم ، ثم التَفتَ إلى الناس ، فقال : اصْنَعوا هـٰذا بزَيدٍ وأَصْحابِ زَيْد[6] .

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم : كان أبو وائل عثمانياً وكان زِرُّ ابنُ حُبَيش عَلوياً ، وما رَأيتُ واحداً منهما قَطُّ تكلَّم في صاحِبه حتَّىٰ ماتَا وكان زِرٌّ أكبَرَ من أبي وائل ، فكانا إذا جَلسَا جَميعاً ، لَمْ يُحدِّثْ أبو وائل مع زِرٍّ - يعني يتأدَّبُ معه لسِنِّه[7] .

---

(١) انظر السير : (أُسامَة بن زَيْد) ٢/ ٤٩٦ـ٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٧ .
(٢) انظر السير : (عِمْرانَ بنَ حُصَين) ٢/ ٥٠٨ـ٥١٢ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩٨ .
(٣) انظر السير : (عَديُّ بن حاتِم) ٣/ ١٦٢ـ١٦٥ ، وانظر النزهة : ٤/٣٥٨ .
(٤) انظر السير : (سلمة بن الأكوع) ٣/ ٣٢٦ـ٣٣١ ، وانظر النزهة : ٤/٣٨٨ .
(٥) أي : حَمَله عليه .
(٦) انظر السير : (زَيْد بن صُوحان) ٣/ ٥٢٥ـ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٣/٤١٩ .
(٧) انظر السير : (زِرُّ بنُ حُبَيْش) ٤/ ١٦٦ـ١٧٠ ، وانظر النزهة : ٥/٤٧٠ .

وعن أبي العالية ، رُفَيعِ بنِ مِهرانَ الْمُقْرِئِ ، قالَ : ما مَسَسْتُ ذكري بيميني منذ ستين أو سبعين سنة[1] .

ومن كَلامِ سَعيدِ بنِ الْمُسَيِّب : لا تَقولوا مُصَيْحِف ، ولا مُسَيْجِد ، ما كان لله فهو عَظيمٌ حَسنٌ جَميل[2] .

وقيل : كان عليُّ بنُ الحُسَين إذا سارَ في الْمَدينَةِ على بَغْلتِه ، لَمْ يَقُلْ لأحَدٍ : الطَّريق ويقولُ : هو مُشتَرَكٌ لَيسَ لي أنْ أُنَحِّيَ عنه أحَداً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وكانَ له جَلالَةٌ عَجيبَةٌ ، وحُقَّ له والله ذلك ، فقد كانَ أهْلاً للإمَامَة العُظْمَىٰ لشَرفِه وسُؤْدُدِه وعِلمِه وتَألُّهِهِ وكمَالِ عَقلِه[3] .

وقال الوَاقديُّ : حدَّثنا مُوسَىٰ بنُ نَجيح بن يَحْيَىٰ ـ هو ابنُ زَيْد بن ثابت ـ أنَّ عُمرَ بنَ عبد العَزيزِ كتبَ أنْ يُعطَىٰ خارجَةُ بنُ زَيد ما قُطعَ عنه من الدِّيوَانِ ، فمَشَىٰ خارجَةُ إلىٰ أبي بَكر بنِ حَزْم ، فقالَ : إنِّي أكْرَه أنْ يَلزَمَ أميرَ المؤمنينَ من هـٰذا مَقالَة ، ولي نُظَراءُ ، فإنْ عَمَّهم أميرُ المؤمنينَ بهـٰذا ، فَعلت ، وإنْ هو خَصَّني به ، فإنِّي أكْرَهُ ذلكَ لَه ، فكَتبَ عُمَرُ : لا يَسَعُ الْمَالُ لذلك ، ولَوْ وَسِعَه لَفعَلتُ[4] .

وعن مُجَاهِدِ بنِ جَبْر قَالَ : رُبَّما أخَذَ ابنُ عُمر لي بالرِّكَابِ[5] .

وقالَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنَة : إنَّ الحَسَنَ البَصْريَّ لَمَّا ماتَ مُسلمُ بنُ يَسار قالَ : وَامُعَلِّماه[6] .

وقالَ ابنُ جُرَيْج عن عَطَاءَ : إنَّ الرَّجلَ لَيُحدِّثُني بالحَديثِ ، فأُنْصِتُ له كأنِّي لَمْ أسْمَعْهُ وقد سَمعتُه قَبلَ أنْ يُولَد[7] .

---

(١) انظر السير : (أبو العالية) ٤/٢٠٧ـ٢١٣ ، وانظر النزهة : ٦/٤٧٩ .
(٢) انظر السير : (سَعيد بن الْمُسَيِّب) ٤/٢١٧ـ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٨٧ .
(٣) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/٣٨٦ـ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٠ .
(٤) انظر السير : (خارجَة بن زَيْد) ٤/٤٣٧ـ٤٤١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٩ .
(٥) انظر السير : (مُجاهِد بن جَبْر) ٤/٤٤٩ـ٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٥٣٠ .
(٦) انظر السير : (مُسْلِم بن يَسار) ٤/٥١٠ـ٥١٤ ، وانظر النزهة : ٤/٥٤٨ .
(٧) انظر السير : (عَطاء بن أبي رَباح) ٥/٧٨ـ٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٣ .

وعن أيُّوبَ قالَ : قيلَ لعُمرَ بنِ عبدِ العَزيز : يا أميرَ المؤمنين! لَوْ أَتيتَ المَدينَةَ ، فإنْ قَضَى اللهُ مَوْتاً في مَوْضِعِ القَبْرِ الرَّابِعِ مع رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قالَ : واللهِ لأنْ يُعذِّبَني اللهُ بغَيرِ النَّارِ أَحَبُّ إليَّ منْ أنْ يَعلمَ مِنْ قَلبي أنِّي أراني لذلك أهْلاً(١) .

وعن عاصِمِ بنِ أبي النَّجُودِ ، قالَ : ما قَدمْتُ علىٰ أبي وَائل من سَفرٍ إلاَّ قبَّلَ كَفِّي .

قالَ عبدُ الله بنُ أحمَد بن حَنْبَل : سَألتُ أبي عن عاصِمِ بنِ بَهْدَلَة ، فقالَ : رَجلٌ صالِحٌ خَيِّرٌ ثِقةٌ ، قلتُ : أيُّ القِراءَاتِ أحبُّ إليكَ ؟ قالَ : قِراءَةُ أهْلِ الْمَدينَة ، فإنْ لَمْ يَكُنْ ، فقِراءَةُ عاصِم(٢) .

وعنْ قَتادَةَ ، قالَ : لقد كان يُستَحَبُّ أنْ لا تُقرأ الأحاديثُ التي عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ علىٰ طَهارَة(٣) .

وقالَ العبَّاسُ بنُ الوَليد : فمَا رَأيتُ أبي يَتعجَّبُ من شَيءٍ في الدُّنيا تَعجُّبَه من الأوْزَاعي فكانَ يَقولُ : سُبحانَك تَفعَلُ ما تَشاءُ!! كانَ الأوْزَاعِيُّ يَتيماً فَقيراً في حِجْرِ أُمِّه ، تَنقُلُه من بَلدٍ إلىٰ بَلدٍ ، وقد جَرَىٰ حُكْمُك فيه أنْ بَلَّغْتَه حَيثُ رأيتَه ، يا بُنيَّ! عَجَزَت الْمُلوكُ أنْ تُؤدِّبَ أنفُسَها وأوْلادَها أدَبَ الأوْزاعِيّ في نَفسِه ، ما سَمعتُ منه كَلمةً قَطُّ فاضِلَةً إلاَّ احْتاجَ مُستَمِعُها إلىٰ إثْباتِها عنه ، ولا رَأيتُه ضاحِكاً قَطُّ حتَّىٰ يُقَهْقِه ، ولقد كانَ إذا أخَذَ في ذِكْرِ الْمَعادِ أقولُ في نَفسِي : أتُرَىٰ في الْمَجلِسِ قَلبٌ لَمْ يَبْكِ؟(٤) .

وقالَ أبو زُرْعَة : كنتُ عند أحمدَ بنِ حَنبَل ، فذُكِرَ إبْراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، وكان مُتَكِّئاً من عِلَّة ، فجَلسَ ، وقالَ : لا يَنبَغي أن يُذكَرَ الصَّالِحونَ فيُتَّكأ وقالَ أحمدُ : كان مُرجئاً شَديداً على الجَهْميَّة(٥) .

---

(١) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ ١٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٩٢ .
(٢) انظر السير : (عاصِم بن أبي النَّجود) ٥/ ٢٥٦ـ ٢٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٩ .
(٣) انظر السير : (قَتادَة) ٥/ ٢٦٩ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٢ .
(٤) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨١ .
(٥) انظر السير : (إبْراهيم بن طَهْمان) ٧/ ٣٧٨ـ ٣٨٥ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٦ .

وعن يَحْيَىٰ بنِ يَمان ، قالَ : كان سُفْيانُ إذا قَعدَ مع إبْراهيمَ بنِ أدْهَم ، تَحرَّزَ من الكَلام[1] .

وقال أبو مُصْعَب : كان الإمامُ مَالكُ لا يُحدِّثُ إلاَّ وهو علىٰ طَهارَة إجْلالاً للحَديثِ[2] .

وقالَ أبو مُصْعَب : كانوا يَزْدَحِمُونَ علىٰ باب مَالك حتَّىٰ يَقْتَتِلوا من الزِّحام وكُنَّا إذا كُنَّا عِندَه لا يَلتَفِتُ ذَا إلىٰ ذَا ، قائلونَ برُؤوسِهم هكَذا وكانت السَّلاطِينُ تَهابُه وكانَ يَقولُ : لا ، ونَعَم ولا يُقالُ له : من أين قُلتَ ذَا ؟[3] .

وقالَ ابنُ وَهْب : ما نَقَلْنا من أدَبِ مَالك أكْثَرُ مِمَّا تَعلَّمنا من عِلمِه[4] .

عن يَحْيَىٰ بنِ يَحْيَى اللَّيْثيِّ قالَ : كنَّا عندَ مَالك ، فاسْتُؤذِنَ لعَبدِ الله ابنِ الْمُبارَك بالدُّخولِ ، فأُذنَ له ، فرَأينا مَالكاً تَزَحْزَحَ له في مَجلِسه ، ثم أقْعَدَه بلِصْقِه ، وما رَأيت مالِكاً تَزَحْزَحَ لأحَد في مَجلِسِه غَيره ، فكانَ القارِىءُ يَقرأُ علىٰ مَالك ، فرُبَّما مرَّ بشَيءٍ فيَسألُه مَالك : ما مَذهَبُكم في هـٰذا ؟ أوْ ما عِندَكُم في هـٰذا ؟ فرَأيتُ ابنَ الْمُبارَك يُجاوِبُه ، ثم قامَ ، فخَرَجَ ، فأُعْجِبَ مَالِكُ بأدَبِه ، ثم قالَ لنا مَالِكُ : هَـٰذا ابنُ الْمُبارَك فَقيهُ خُراسان[5] .

وسُئِلَ ابنُ الْمُبارَك بحُضُورِ سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة عن مَسألَةٍ ، فقالَ : إنَّا نُهينا أنْ نَتكلَّمَ عند أكابِرِنا[6] .

وقالَ إبراهيمُ بنُ الأشْعَث : رَأيتُ سُفْيانَ بنَ عُيَيْنَة يُقَبِّلُ يَدَ الفُضَيْلِ ابنِ عِياض مرَّتَين[7] .

---

(١) انظر السير : (إبْراهيم بن أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٨ ٠ ٧/ ٤ .
(٢) انظر السير : (مَالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧٣٣/ ٤ .
(٣) انظر السير : (مَالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧٣٦/ ٥ .
(٤) انظر السير : (مَالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧٣٧/ ١ .
(٥) انظر السير : (عبد الله بن الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٧٢/ ٢ .
(٦) انظر السير : (عبد الله بن الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٧٢/ ٣ .
(٧) انظر السير : (الفُضَيل بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٨/ ٥ .

وقالَ عَطاءُ الخَفَّاف : كُنتُ عند الأوْزاعِيِّ ، فأرادَ أنْ يَكتُبَ إلىٰ أبي إسْحاقَ الفَزاري ، فقالَ لكاتِبه ، ابْدأ به ، فإنَّه واللهِ خَيرٌ منِّي[1] .

وقالَ سَلْمُ بنُ جُنادَة : جَالَستُ وَكيعاً سَبعَ سِنين ، فمَا رَأيتُه بَزَقَ ، ولا مَسَّ حَصاةً ، ولا جَلسَ مَجْلِساً ، وما رَأيتُه إلاَّ مُستَقبلَ القِبلَةَ ، وما رَأيتُه يَحلِفُ باللهِ[2] .

وقالَ مُوسَىٰ بنُ داود : كُنتُ عند ابنِ عُيَيْنَة ، فجاءَ حُسَينُ الجُعْفيُّ فقامَ سُفْيانُ ، فقَبَّلَ يَدَه[3] .

وعن يَحْيَى بن يَحْيى بن كثير ، قال : أخذتُ بِركابِ اللَّيثِ ، فأرادَ غُلامُه أنْ يَمنَعَني ، فقالَ اللَّيْثُ : دَعْهُ ثم قالَ لي : خَدمَكَ العِلمُ قالَ : فلَمْ تَزَلْ بي الأيَّامُ حتَّىٰ رَأيتُ ذلك[4] .

وقال الْمَرُّوذي : رأيتُ أبا عبدِ الله ، أحمَدَ بنَ حَنْبَل ، إذا كانَ في البَيتِ عامَّةُ جُلوسِه مُتَرَبِّعاً خاشِعاً ، فإذا كانَ بَرّاً ، لَمْ يَتبَيَّن منه شِدَّةُ خُشوع ، وكُنتُ أدْخُلُ ، والجُزءُ في يَدِه يَقرأ[5] .

وقالَ محمَّدُ بنُ حَمْدونَ بنِ رُسْتُم : سَمعتُ مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاج ، وجاءَ إلى البُخاريِّ فقالَ : دَعْني أُقَبِّلُ رِجْلَيْكَ يا أُسْتاذَ الأُسْتاذِين ، وسَيِّدَ الْمُحَدِّثين ، وطَبيبَ الحَديثِ في عِلله .

وقالَ أبو عَليّ صالِحُ بنُ محمَّد جَزَرَة : كانَ مُحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ البُخاريُّ يَجلِسُ ببَغْدادَ ، وكُنتُ أسْتَمْلِي له ، ويَجتَمِعُ في مَجلِسِه أكْثَرُ من عِشْرينَ ألفاً[6] .

ويُروَىٰ أن أبا إسْحَاقَ الحَرْبي لَمَّا دَخلَ علىٰ إسْماعيلَ القاضي ، بادَرَ أبو عُمَر

---

(١) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الفَزاري) ٨/ ٥٣٩ـ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٥/٧٩٠ .
(٢) انظر السير : (وَكيع بن الجراح) ٩/ ١٤٠ـ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١١ .
(٣) انظر السير : (الحُسَين بن عليّ الجُعفي) ٩/ ٣٩٧ـ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٣ .
(٤) انظر السير : (يَحْيَى بن يَحْيى بن كثير) ١٠/ ٥١٩ـ٥٢٦ ، وانظر النزهة : ٤/٨٩٠ .
(٥) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٤ .
(٦) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٥ .

محمدُ بنُ يُوسُف القاضي إلىٰ نَعْلِه ، فأخَذَها ، فمَسَحَها من الغُبَارِ ، فدَعا له ، وقالَ : أعَزَّكَ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَة ، فلمَّا تُوفِّي أبو عُمَر ، رُؤيَ في النَّومِ ، فقيلَ ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : أعزَّني في الدُّنيا والآخِرَة بدَعْوَةِ الرَّجُل الصَّالِح[1] .

وقالَ أبو زَكريّا العَنْبَري : شَهِدتُ جنازَةَ الحُسَينِ القَبَّاني ، فصلَّىٰ بنا عليه أبو عبدِ الله البُوشَنْجي ، فلمَّا أرادُوا الانْصراف ، قُدِّمَت دابَّةُ أبي عبد الله ، وأخَذَ أبو عَمرٍو الخَفَّاف بلِجَامِه ، وأخَذَ إمامُ الأئمَّةِ برِكابِه ، وأبو بَكْر الجَارُوديُّ ، وإبْراهيمُ بنُ أبي طالِبٍ يُسَوِّيانِ عليه ثيابَه ، فلَمْ يَمْنَعْ واحداً منهم ، ومَضَىٰ[2] .

وعن جَعْفَرٍ الطَّسْتي : أنَّه سَمعَ أبا مُسْلم الكَجِّي يَقولُ ، وذُكِرَ عندَه صَالِحُ بنُ محمَّد جَزَرَة فقالَ : ما أهْوَنَه عَليكم ، ألا تقولُون : سَيِّدُ المُسلمينَ !![3] .

وقالَ عبدُ القادِرِ الحافِظُ : وكان أبو طاهر السِّلَفيُّ لا تَبدو منه جَفْوَةٌ لأحَد ، ويَجلِسُ للحَديثِ فلا يَشْرَبُ ماءً ، ولا يَبْزُق ، ولا يَتورَّك ، ولا تَبدُو له قَدَمٌ وقد جازَ المئة[4] .

وحَكَى الشَّيخ عبدُ الصَّمَد قالَ : والله مُذْ خَدَمْتُ الشَّيخَ عبدَ الله اليُونيني مَا رَأيتُه اسْتَندَ ولا سَعَلَ ولا بَصَقَ[5] .

الإنْفَاقُ في سَبيلِ الله

١ـ الحَثُّ على الإنْفاقِ في سَبيلِ الله :

عن أبي عبدِ الرَّحْمَـٰن الحُبُلي ، سَمعتُ عبدَ الله بنَ عَمْرو يَقولُ : لأنْ أكُونَ عاشِرَ عَشْرةِ مَسَاكينَ يَومَ القِيامَة ، أحَبُّ إليَّ منْ أنْ أكُونَ عَاشِرَ عَشْرةٍ أغْنِياء ، فإنَّ الأكْثَرينَ هم الأقَلُّونَ يَومَ القِيامَة ، إلاَّ مَنْ قالَ هَكذَا وهَكذَا ، يَقولُ : يَتصَدَّقُ يَميناً وشِمالاً[6] .

---

(١) انظر السير : (إبْراهيمُ الحَرْبيّ) ١٣/ ٣٥٦ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٤ .
(٢) انظر السير : (البُوشَنْجي) ١٣/ ٥٨١ـ ٥٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١١٧ .
(٣) انظر السير : (صالِح بن محمَّد) ١٤/ ٢٣ـ ٣٣ ، وانظر النزهة : ١/١١٢٤ .
(٤) انظر السير : (السِّلَفيُّ) ٢١/ ٥ـ ٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٩٢ .
(٥) انظر السير : (اليُونيني) ٢٢/ ١٠١ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ١/١٦٦٩ .
(٦) انظر السير : (عبد الله بن عَمْرو بن العَاص) ٣/ ٧٩ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٣٤٠ .

ومن محاسن الإمام ابن نُجَيْد أنَّ شَيخَه الزَّاهد أبا عثمان الحِيريَّ طلبَ في مجلسه مالاً لبعض الثُّغور ، فتأخَّرَ ، فتألَّمَ وبَكَىٰ علىٰ رُؤوس النَّاس فجاءَهُ ابنُ نُجَيْد بألْفي درهم ، فدَعا له ، ثمَّ إنَّه نوَّهَ به ، وقال : قد رَجَوتُ لأبي عمرو بما فعل ، فإنَّه نابَ عن الجماعة ، وحمل كذا وكذا ، فقام ابنُ نُجَيْد ، وقال : لكن إنَّما حملتُ من مال أمي وهي كارهة ، فينبغي أن تردَّه لترضىٰ ، فأمر أبو عثمان بالكيس فَرُدَّ إليه ، فلمَّا جَنَّ الليلُ جاءَ بالكيسِ ، والتَمَسَ من الشيخ سترَ ذلك ، فبَكَىٰ ، وكان بعد ذلك يَقولُ : أنا أخشىٰ من هِمَّة أبي عَمرو[1] .

٢ـ الإنْفَاقُ من مَالٍ حَرامٍ لا يُقْبَل :

عن القاسِمِ بنِ مُخَيْمِرَة ، قالَ : مَنْ أصَابَ مَالاً مِنْ مَأثَم ، فوَصَلَ به ، أو تَصدَّقَ به ، أو أنْفَقَه في سَبيلِ الله جَمَعَ ذلك كلَّه في نارِ جَهنَّم[2] .

٣ـ صُوَرٌ من الإنْفَاق :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ خَليفَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أبي بَكر الصِّدِّيق رضي الله عنه : وجاءَ أنَّه اتَّجَرَ إلىٰ بُصْرَىٰ غيرَ مرَّة ، وأنَّه أنْفَقَ أمْوالَه على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وفي سَبيلِ اللهِ[3] .

قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ مَا نَفَعَنِي مَالُ أبي بَكر » .

وقالَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْر : أسْلَمَ أبو بَكر يَومَ أسْلَمَ وله أرْبَعونَ ألْفَ دينارٍ .

وقالَ عَمْرو بنُ العَاصِ : يا رَسُولَ اللهِ أيُّ الرِّجالِ أحبُّ إليكَ ؟ قالَ صلى الله عليه وسلم : « أبو بَكر »[4] .

وعن عبدِ الرحمـٰن بن سمرة قال : جاء عُثمانُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بألفِ

---

(١) انظر السير : (ابنُ نُجَيد) ١٦/١٤٦ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٧٥ .
(٢) انظر السير : (القاسم بن مُخَيْمِرَة) ٥/٢٠١ـ٢٠٤ ، وانظر النزهة : ٧/٥٩٥ .
(٣) انظر السير : (أبو بَكر الصِّدِّيق) ، وانظر النزهة : ٢/٢٣ .
(٤) انظر السير : (أبو بَكر الصِّدِّيق) ، وانظر النزهة : ٣/٢٣ .

دينارٍ في ثَوْبِه حينَ جهَّزَ جَيشَ العُسْرَة فصَبَّها في حِجرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فجَعَلَ يُقلِّبُها بيدِه ويقولُ : « مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَومَ » ، رَواهُ أحمدُ في مُسْنَده ، وفي مُسْنَدِ أبي يَعْلىٰ من حَديثِ عبد الرحمَـٰنِ بنِ عَوْفٍ ، أنَّه جهَّزَ جَيْشَ العُسْرَة بسَبْعِمائة أوقية من ذَهَب[1] .

وعن بِشْرِ بنِ بَشير الأسْلَميِّ ، عن أبيه قالَ : لَمَّا قَدمَ الْمُهاجِرونَ الْمَدينَةَ اسْتَنْكَروا الماءَ ، وكانت لِرَجُلٍ من بَني غِفَار عَينٌ يُقالُ لها « رومَة » ، وكان يَبيعُ منها القِرْبَةَ بمُدٍّ ، فقالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « تَبيعُهَا بِعَيْنٍ في الْجَنَّةِ ؟ » فقالَ : لَيسَ لي يا رَسولَ الله عَينٌ غَيرُها ، لا أسْتَطيعُ ذلك ، فبلَغَ عُثمانُ ، فاشْتَراها بخَمسَة وثَلاثينَ ألْفَ دِرْهَم ، ثم أتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ : أتَجْعَلُ لي مثلَ الذي جَعَلْتَ له عَيناً في الْجَنَّةِ إنْ اشْتَرَيْتُها ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ » ، قالَ : قد اشْتَرَيْتُها وجَعَلْتُها للمُسلِمينَ[2] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : اشْتَرَىٰ عُثْمانُ من رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الْجَنَّةَ مرَّتَينِ : يَومَ رومَة ، ويَومَ جَيشِ العُسْرَة[3] .

وقالَ أنَسُ : كانَ أبو طَلْحَة أكثَرَ أنْصَاريٍّ بالْمَدينَة مالاً من نَخْلٍ ، فقالَ : يا رَسُولَ الله ، إنَّ أحَبَّ أمْوَالي إليَّ بَيْرُحَاءَ ، وإنَّها صَدقَةٌ لله ، أرجُو برَّها وذُخْرَها ، فضَعْها يا رَسُولَ الله حَيثُ أرَاكَ الله ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَإنِّي أرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبينَ »[4] .

عن عُرْوَةَ ، عن عَائشَةَ ، أنَّها تَصدَّقَت بسَبعينَ ألْفاً ، وأنَّها لَتَرْقَعُ جانبَ دِرْعِها ، رَضيَ اللهُ عنها .

عن أم ذَرَّةٍ ، قالَت : بَعثَ ابنُ الزُّبَيرِ إلىٰ عائشَةَ بمَالٍ في غِرارَتَين ، يَكونُ مئة

---

(١) انظر السير : (عُثْمان بن عَفَّان) ، وانظر النزهة : ١/٧٨ .
(٢) انظر السير : (عُثْمان بن عَفَّان) ، وانظر النزهة : ٣/٧٨ .
(٣) انظر السير : (عُثْمان بن عَفَّان) ، وانظر النزهة : ١/٧٩ .
(٤) انظر السير : (أبو طَلحَة الأنصاريّ) ٢/٢٧ـ٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٢١٤ .

أَلْفٍ ، فدَعَت بطَبَقٍ ، فجَعلَت تَقسِمُ في النَّاسِ ، فلَمَّا أمْسَتْ ، قالَت : هاتِ يا جارِيَةُ فُطُوري فقالَت أمُّ ذَرَّةٍ : يا أُمَّ المؤمنينَ ، أمَا اسْتَطَعْتِ أنْ تَشْتَري لنا لَحْماً بدِرْهَم ؟ قالَت : لا تُعَنِّفيني ، لَوْ أذْكَرتيني لفَعلتُ[1] .

عن نافِعٍ قالَ : إنْ كانَ ابنُ عُمَر ليُفَرِّقُ في الْمَجْلسِ ثَلاثينَ ألفاً ، ثم يأتي عليه شَهرٌ ما يَأكلُ مُزْعَةَ[2] لَحْم[3] .

وعن نافِعٍ قالَ : ما مَاتَ ابنُ عُمَرَ حتَّىٰ أعْتَقَ ألفَ إنْسانٍ ، أو زاد[4] .

وعن نافِعٍ قالَ : بَعثَ مُعاويةُ إلى ابنِ عُمَرَ بمئة ألفٍ ، فما حالَ عليه الحَولُ وعندَه منها شَيءٌ[5] .

وعن منذر الثَّوْرِيِّ ، أنَّ الرَّبيعَ بنَ خُثَيم كانَ إذا أخَذَ عَطاءَه فرَّقَه وتَركَ قَدرَ ما يَكفيه[6] .

حدَّثنا سُفيانُ أنَّ عامِرَ بنَ عبدِ الله اشْتَرَىٰ نفسَه من الله سِتَّ مَرَّات ، يَعني يَتصَدَّقُ كُلَّ مَرَّة بدِيَتِه[7] .

وبَلَغَنا أنَّ حَمَّادَ بنَ أبي سُليمان كان ذا دُنيا مُتَّسِعَة ، وأنَّه كان يُفَطِّرُ في رَمَضانَ خَمسَ مئة إنْسَانٍ ، وأنَّه كان يُعْطيهم بعدَ العِيدِ لكلِّ واحِدٍ مئةَ دِرْهَم[8] .

جاءَ في تَرجَمَةِ أبي جَعْفَر القَارىء ، وقيلَ : كان يَتصَدَّقُ حتَّىٰ بإزارِه ، وكانَ من العُبَّاد[9] .

---

(١) انظر السير : (عائشَةُ أمُّ المؤمنين) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٤٤ .
(٢) الْمُزعَة ، بضَم الميم : القطعة اليَسيرة من اللَّحم .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦٩ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/٣٦٩ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٦٩ .
(٦) انظر السير : (الرَّبيع بن خُثَيم) ٤/ ٢٥٨ـ ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٩/٤٩٣ .
(٧) انظر السير : (عامِر بن عبد الله) ٥/ ٢١٩ـ ٢٢٠ ، وانظر النزهة : ١/٥٩٦ .
(٨) انظر السير : (حَمَّاد بن أبي سُليمان) ٥/ ٢٣١ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٨ .
(٩) انظر السير : (أبو جَعْفَر القارىء) ٥/ ٢٨٧ـ ٢٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٤ .

وعن هَيَّاج بن بَسْطام قالَ : كان جَعْفَرُ بنُ مُحمّد يُطعِمُ حتىٰ لا يَبقَىٰ لِعيالِه شيء[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي حَفْص النِّسابُوريِّ : بَلغَني أنه أنْفَذَ في يَومٍ واحدٍ بضعَةَ عَشرَ ألْفَ دينارٍ يَفْتَكُّ بها أسْرَىٰ ، فلمَّا أمْسَىٰ لَمْ يَكُنْ له عَشاءٌ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحافِظِ عبدِ الغَنيِّ : رأيتُ يوماً قد أُهْدِيَ إلَىٰ بيتِ الحافِظ مِشْمِشٌ فكانوا يُفرِّقونَ ، فقالَ من حينِه : فرِّقُوا ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3] .

وقد فُتِحَ له بكَثير من الذَّهَبِ وغَيرِه فمَا يَترُكُ شَيئاً حتَّىٰ قالَ لي ابنُه أبو الفَتْح : وَالِدي يُعطِي النَّاسَ الكَثيرَ ونَحنُ لا يَبعَثُ إلَيْنا شَيئاً ، وكُنَّا ببَغْدَادَ[4] .

الإيثَار

صُوَرٌ من الإيثَار :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ الرحمَـٰن بنِ عَوْف رضي الله عنه : ولَمَّا هاجرَ إلى المدينة فَقيراً لا شيء له ، آخَىٰ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بينَه وبينَ سَعدِ بنِ الرَّبيعِ أحدِ النُّقَباء ، فعَرضَ عليه أنْ يُشاطِرَه نِعْمَتَه ، وأنْ يُطلِّقَ له أحْسَنَ زَوْجَتَيه ، فقالَ له : بَارَكَ اللهُ لكَ في أهْلِك ومَالِك ، ولَكنْ دُلَّني على السُّوق فذَهبَ فبَاعَ واشْتَرَىٰ ، ورَبحَ ، ثم لمْ يَنْشَبْ أنْ صارَ مَعه دَراهِمَ ، فتَزوَّجَ امرأةً علىٰ زِنَةِ نَوَاةٍ من ذَهَب ، فقالَ له النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » ثم آلَ أمرُه في التِّجارَةِ إلىٰ ما آلَ[5] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ سَعْدِ بنِ الرَّبيعِ : ابن عَمرِو الأنْصَاريُّ الخَزْرَجِيُّ

---

(١) انظر السير : (جَعْفَر بن محمَّد) ٦/ ٢٥٥ـ ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٦٤٧/ ٤ .

(٢) انظر السير : (أبو حَفْص النِّسابوريّ) ١٢/ ٥١٠ـ ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٢٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢ .

(٤) انظر السير : (عبد الغنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٤٧ .

(٥) انظر السير : (عبد الرحمَـٰن بن عَوْف) ١/ ٦٨ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ١٣٢/ ٢ .

الحارثي البدري النَّقيبُ الشَّهيدُ الذي آخى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ عَوْف ، فعزم علىٰ أن يعطي عبدَ الرحمـٰن شَطْرَ مالِه ، ويُطَلِّقَ إحْدَىٰ زَوْجَتيه ، لِيَتَزوَّجَ بها ، فامْتَنعَ عبدُ الرحمَـٰن من ذلك ودَعَا له وكانَ أحدَ النُّقَباءِ لَيلَةَ العَقَبَة[1] .

وعن علقَمةَ بنِ مَرْثَد في ذِكْر الثَّمانيَة من التَّابعين ، قالَ : وأمَّا الحَسَنُ فمَا رَأينا أحداً أطْوَلَ حُزْناً منه ، ما كُنَّا نَراهُ إلاَّ حَديثَ عَهْد بمُصيبَة ، ثم قالَ : نَضحَكُ ولا نَدري لَعلَّ اللهَ قد اطَّلعَ علىٰ بَعضِ أعْمالِنَا وقالَ : لا أقْبلُ منكُم شيئاً ، وَيْحَكَ يا ابنَ آدَمَ ، هَلْ بمُحاربَةِ الله ـ يَعْني قُوَّة ـ واللهِ لقَد رَأيتُ أقْواماً كانَت الدُّنيا أهْوَن علىٰ أحَدِهم من التُّرابِ تَحتَ قَدمَيه ، ولقد رَأيتُ أقْواماً يُمْسِي أحدُهم ولا يَجِدُ عندَه إلاَّ قُوتاً فيَقولُ : لا أجْعَلُ هـٰذا كلَّه في بَطْني فيَتَصدَّقُ ببَعضِه ولعَلَّه أجْوَعُ إليه مِمَّنْ يَتصَدَّقُ به عليه[2] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ إبْراهيمَ بنِ يَزيد التَّيْميّ ، قالَ ابنُ سَعْد : أخْبَرنا عليُّ بنُ محمَّد قالَ : طَلبَ الحَجَّاجُ إبْراهيمَ النَّخَعي ، فجاءَ الرَّسُولُ فقالَ : أريدُ إبْراهيمَ ، فقالَ إبْراهيمُ التَّيْميّ : أنا إبْراهيمُ ، ولَمْ يَسْتحِلَّ أنْ يدله على النَّخَعيِّ ، فأمَرَ بحَبسِه في الدِّيماسِ ، ولَمْ يَكنْ لهم ظِلٌّ من الشَّمسِ ، ولا كِنٌّ من البَرْدِ ، وكانَ كلُّ اثنَين في سِلْسِلَة فتَغيَّرَ إبْراهيمُ ، فعادَته أمُّه ، فلَمْ تَعرفْهُ ، حتَّىٰ كلَّمَها ، فمَاتَ ، فرَأى الحَجَّاجُ في نَومِه قائلاً يَقولُ : مَاتَ في البَلدِ اللَّيلَة رَجلٌ من أهْلِ الجَنَّة ، فسأَلَ ، فقالوا : مَاتَ في السِّجْنِ إبْراهيمُ التَّيْميّ ، فقالَ : حُلْمٌ نَزغَةٌ من نَزَغَات الشَّيطانِ ، وأمَرَ به فأُلقِيَ على الكُنَاسَة[3] .

قالَ يُوسُفُ بنُ البُهْلول الأزرق : حدَّثنا يَعقُوبُ بنُ شَيبَة ، قالَ : أظلَّ العيدُ رَجلاً ، وعنده مئةُ دينار لا يَملكُ سِوَاها ، فكَتبَ إليه صَديقٌ يَستَرْعي منه نَفقَة فأنْفَذَ إليه

---

(١) انظر السير : (سَعْد بن الرَّبيع) ١/ ٣١٨ـ ٣٢٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٩ .
(٢) انظر السير : (الحَسَن البَصْري) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٢ .
(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ بن يَزيد) ٥/ ٦٠ـ ٦٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٨٠ .

بالمئة دينار ، فلَمْ يَنْشَبْ أنْ وَرَدَ عليه رُقْعَةٌ من بَعضِ إخْوَانِه يَذكُرُ أنَّه أيْضاً في هٰذا العيدِ في إضاقَة ، فوَجَّهَ إليه بالصُّرَّةِ بعَيْنِها قالَ : فبَقِيَ الأول لا شَيء عندَه ، فاتَّفَقَ أنَّه كتبَ إلى الثالث وهو صَديقُه يَذكُرُ حالَه ، فبَعثَ إليه الصُّرَّةَ بِخَتْمِها قال فعرَفَها ، ورَكِبَ إليه ، وقالَ : خَبِّرْني ما شَأنُ هٰذه الصُّرَّة ؟ فأخْبَرَه الخَبرَ ، فرَكبا معاً إلى الذي أرْسَلَها ، وشَرحُوا القِصَّةَ ، ثم فَتحوها واقْتَسَمُوها .

قالَ ابنُ البُهْلول : الثَّلاثَة ، يَعْقوبُ بنُ شَيْبَة ، وأبو حَسَّان الزِّيادي ، وآخَرُ نَسيتُه إسْنادُها صَحيح .

وقيلَ : عاشَ الزِّياديُّ تِسْعاً وثَمانينَ سَنةً ، ماتَ في سَنةِ اثْنَتينِ وأرْبَعينَ ومئتين[1] .

وقالَ ابنُ البادِيَة الحافظُ كان بَقِيُّ بنُ مَخْلَد من عُقَلاء النَّاسِ وأفاضِلِهم ، وكانَ أسْلمُ بنُ عبدِ العَزيز يُقدِّمُه علىٰ جَميع مَنْ لَقيَه بالْمَشرِق ، ويَصفُ زُهْدَه ، ويقولُ : رُبَّما كُنتُ أَمْشي مَعَه في أزِقَّة قُرْطُبَة ، فإذا نَظَرَ في مَوْضِع خالٍ إلىٰ ضَعيفٍ مُحْتاجٍ أعْطاهُ أحَدَ ثَوبَيه[2] .

وقال أبو البَركَات إسْماعيلُ بنُ أبي سَعْد الصُّوفيُّ : كانَ الشَّيخُ أبو بَكْر ابنُ زَهْراء الصُّوفيُّ برباطِنا ، قد أعدَّ لنَفسه قَبراً إلىٰ جانبِ قَبرِ بِشْر الحافي ، وكان يَمضي إليه كلَّ أُسبوع مرةً ، ويَنامُ فيه ، ويَتلُو فيه القُرآنَ كُلَّه ، فلمَّا ماتَ أبو بَكْر الخَطيبُ ، كانَ قد أوْصَىٰ أنْ يُدفَن إلىٰ جَنبِ قَبرِ بِشْر ، فجاءَ أصْحابُ الحَديثِ إلى ابنِ زَهْراءَ ، وسَألوهُ أنْ يَدفِنُوا الخَطيبَ في قَبرِه ، وأن يُؤثِرَه به ، فامْتَنعَ ، وقالَ : مَوْضعٌ قد أعْدَدتُه لِنَفْسي يُؤخَذُ منِّي! فجَاؤُوا إلىٰ وَالِدي ، وذَكروا له ذلك فأحْضرَ ابنَ زَهْراء وهو أبو بَكر أحمَدُ بنُ عَليّ الطُّرَيْثِيثِيُّ فقالَ : أنا لا أقولُ لكَ أعْطِهم القَبرَ ، ولكن أقُولُ لكَ : لَوْ أنَّ بِشْراً الحَافِي في الأحْياءِ وأنتَ إلىٰ جانبه ، فجاءَ أبو بَكر الخَطيبُ ليَقْعُدَ دُونَك ، أكانَ

---

(١) انظر السير : (أبو حَسَّان الزِّياديّ) ١١/٤٩٦-٤٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٢ .

(٢) انظر السير : (بَقيُّ بنُ مَخْلَد) ١٣/ ٢٨٥-٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٦ .

يَحسُنُ بكَ أنْ تقعُدَ أعْلَىٰ منه ؟ قالَ : لا ، بل كُنتُ أُجْلِسُه مَكاني قالَ : فهَكَذا يَنبَغي أنْ تكُونَ السَّاعَة قالَ : فطَابَ قَلبُه ، وأَذِنَ[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الحافِظِ عبدِ الغَنيِّ ، قالَ الضِّياءُ : وسمعتُ أحمَدَ ابنَ عبدِ اللهِ العراقي ، حدَّثني مَنصُورُ الغَضاريُّ قالَ : شَاهَدتُ الحَافِظَ في الغَلاءِ بِمِصْرَ وهو ثَلاثُ لَيالٍ يُؤثِرُ بعَشَائه ويَطْوِي[2] .

التَّعَفُّف

صُوَرٌ على التَّعَفُّف :

قالَ ابنُ يُونُس : شَهدَ ثَوْبانُ النَّبَويُّ ، مَوْلَىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فَتحَ مِصْرَ ، واخْتَطَّ بها .

وقالَ عاصِم الأحْوَلُ : عن أبي العالية ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : « مَنْ تَكفَّلَ لِي أَنْ لا يَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً وَأَتَكفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ » فقالَ ثَوبانُ : أنا فكانَ لا يَسألُ أحداً شَيئاً[3] .

وعن الزُّهْريِّ ، عن سَعيد وعُرْوَة ، أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أعْطَىٰ حَكيماً يَومَ حُنين فاسْتَقلَّه ، فزادَه ، فقالَ : يا رَسُولَ الله! أيُّ عَطيَّتُكَ خيرٌ ؟ قالَ صلى الله عليه وسلم : « الأُوْلَىٰ » وقالَ : « يَا حَكيمُ إنَّ هَـٰذا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ وَحُسْنِ أُكلَةٍ ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِاسْتِشْرَافِ نَفْسٍ وَسُوءِ أُكلَةٍ ، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كالَّذِي يَأْكلُ وَلا يَشْبَعُ » قَال : ومِنْكَ يا رَسُولَ الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « وَمِنِّي » قالَ : فوالذي بعَثكَ بالحَقِّ لا أرْزَأُ أحداً بَعدَكَ شَيئاً قالَ : فلَمْ يَقْبَلْ دِيواناً ولا عَطاءً حتَّىٰ مَاتَ فكانَ عُمَرُ يَقولُ : اللَّهُمَّ إنِّي أُشْهِدُكَ علىٰ حَكيم أنِّي أدْعُوهُ لِحَقِّه وهو يَأبَىٰ فمَاتَ حينَ ماتَ ، وإنَّه لَمِنْ أكثَر قُرَيشٍ مالاً[4] .

---

(١) انظر السير : (الخَطيب) ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٤١٤ .
(٢) انظر السير : (عبد الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٤٧ .
(٣) انظر السير : (ثَوْبان النَّبَويّ) ٣/ ١٥ـ ١٨ ، وانظر النزهة : ٤/٣٢١ .
(٤) انظر السير : (حَكيم بن حِزام) ٣/ ٤٤ـ ٥١ ، وانظر النزهة : ٢/٣٣٠ .

وقال ابنُ عُيَيْنَة : دَخلَ هِشامُ بنُ عبدِ الْمَلِك الكَعْبَةَ فإذا هو بسَالِمِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، فقالَ : سَلْني حاجَةً ، قالَ : إنِّي أَسْتَحي من الله أَنْ أسأَلَ في بيته غَيرَه ، فلمَّا خَرجا قالَ : الآن فَسَلْني حَاجةً فقالَ له سَالمُ : من حَوَائج الدُّنيا أَمْ مِنْ حَوَائجِ الآخِرَة ؟ فقالَ : مِنْ حَوَائجِ الدُّنيا قالَ : واللهِ ما سَألتُ الدُّنيا مَنْ يَملِكُها ، فكَيفَ أَسْأَلُها مَنْ لا يَملِكُها ؟!![1] .

التَّوَاضُع

١ـ فَضْلُه :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يُوسُفَ بنِ أسْباط : وعن يوسُفَ قال : يُجْزِىءُ قَليلُ الوَرَعِ والتَّوَاضُع من كَثير الاجْتِهادِ في العَمَل وَثَّقَهُ ابنُ مَعين[2] .

وعن الإمَام الشَّافِعيِّ قالَ : التَّوَاضُع من أخْلاقِ الكِرام ، والتَّكبُّر من شِيَم اللِّئام ، والتَّوَاضُعُ يُورِثُ الْمَحبَّة ، والقَناعَة تُورِثُ الرَّاحَةَ ، وقالَ : أرْفَعُ النَّاسِ قَدْراً مَنْ لا يَرَىٰ قَدْرَه ، وأكثَرُهم فَضْلاً مَنْ لا يَرَىٰ فَضلَه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعَقِّباً : لا نُلامُ واللهِ علىٰ حُبِّ هـٰذا الإمَامِ ، لأنَّه من رجال الكَمَال في زَمانِه رَحمَه اللهُ ، وإنْ كُنَّا نُحبُّ غَيرَه أكْثَر[3] .

٢ـ غَايَتُه :

سُئِلَ يُوسُفُ بنُ أسْباط ما غايةُ التَّوَاضُع ؟ قالَ : أنْ لا تَلْقَىٰ أحداً إلاَّ رَأيتَ له الفَضلَ عَليكَ[4] .

---

(١) انظر السير : (سالِم بن عبد الله) ٤/ ٤٥٧ـ٤٧٦ ، وانظر النزهة : ١/٥٣٣ .
(٢) انظر السير : (يُوسُف بن أَسْباط) ٩/ ١٦٩ـ١٧١ ، وانظر النزهة : ٧/٨١٤ .
(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيّ) ١٠/ ٥ـ٩٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٥ .
(٤) انظر السير : (يُوسُف بن أَسْباط) ٩/ ١٦٩ـ١٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٨١٤ .

٣ـ صُوَرٌ على التَّواضُع :

قالَ عبدُ الله بنُ أبي الهُذَيل : رَأيتُ عَمَّاراً اشْتَرَىٰ قَتّاً[١] بدِرْهَم ، وحَمله علىٰ ظَهرِه وهو أميرُ الكُوفَة[٢] .

عن ابنِ سيرينَ : أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ كَتَبَ في عَهْدِ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمانِ على الْمَدائنِ : اسْمَعوا له وأطيعوا ، وأعْطُوه ما سَألَكم فخَرَجَ من عندِ عُمَرَ علىٰ حِمارٍ مُوكَف[٣] ، تحتَه زادُه فلمَّا قَدِمَ اسْتَقبَلَه الدَّهَاقينَ[٤] وبيَدِه رَغيفٌ ، وعَرْقٌ من لَحْم .

وَلِيَ حُذَيْفَةُ إمْرَةَ الْمَدائنِ لِعُمَرَ ، فبَقِيَ عليها إلىٰ بَعْدِ مَقْتَلِ عُثْمانَ ، وتُوفِّيَ بعد عُثْمانَ بأرْبَعينَ لَيلَة[٥] .

عن أبي رَافِع ، قالَ : كان مَرْوَانُ رُبَّما اسْتَخلَفَ أبا هُرَيْرَةَ على الْمَدينَةِ ، فيَركَبُ حِماراً ببَرْذَعَةٍ ، وفي رَأسِه خُلْبَةٌ من لِيفٍ ، فيَسيرُ ، فيَلقَى الرَّجلَ ، فيَقولُ : الطَّريقَ! قَدْ جاءَ الأمير[٦] .

وقالَ أبو كَعب صاحِبُ الحَرير ، حدَّثنا أبو الأصْفَر ، أنَّ الأحْنَفَ بنَ قَيْس اسْتُعمِلَ علىٰ خُراسانَ ، فأجْنَبَ في ليلة بارِدَة ، فلَمْ يُوقِظْ غِلْمانَه وكسَرَ ثلجاً واغْتَسلَ[٧] .

وقالَ ابنُ جابِر : أقبلَ يَزيدُ بنُ عبد الْمَلِك إلىٰ مَجلِسِ مَكْحُول ، فهَمَمْنا أنْ نُوَسِّعَ له ، فقالَ : دَعُوهُ يَتعلَّمُ التَّوَاضُع[٨] .

---

(١) القَتُّ : الفِصفِصَة ، وهي الرطبة من عَلَف الدَّوابِّ .
(٢) انظر السير : (عَمَّار بن ياسِر) ١/ ٤٠٦ـ٤٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٨٥ .
(٣) مُوكَف : أي قد وُضِع عليه الإكاف ، وهو بمنزلة السَّرج للحصان .
(٤) الدَّهَاقين : رُؤساء القُرىٰ أو التجار .
(٥) انظر السير : (حُذَيْفَة بنُ اليَمان) ٢/ ٣٦١ـ٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٢٧٥ .
(٦) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣١٣ .
(٧) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٥١ .
(٨) انظر السير : (يَزيدُ بنُ عبد الْمَلِك) ٥/ ١٥٠ـ ١٥٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٩٣ .

وقال عبدُ الله بن زَيْد : كنا نَجلِسُ إلىٰ مَكْحُول ومَعَنا سَعيدُ بنُ عبدِ العَزيز ، فكانَ يَسْقي الْمَاءَ في مَجْلِسِ مَكْحُول[1] .

وكانَ الإمامُ أحمَدُ بنُ حَنْبَل رُبَّما خَرجَ إلى البَقَّالِ ، فيَشتَري الجُرْزَةَ الحَطَب والشَّيءَ ، فيَحمِلُه بيَدِه .

وكان يَتَنوَّرُ في البَيْتِ فقالَ لي في يَومٍ شِتويٍّ : أريدُ أدْخُلَ الحَمَّامَ بعدَ الْمَغرِب ، فقُلْ لصَاحِبِ الحَمَّامِ ثم بَعثَ إليَّ : إنِّي قد أضْرَبتُ عن الدُّخُولِ وتَنوَّرَ في البَيتِ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الرِّفاعيِّ : وقيلَ : أُحْضِرَ بينَ يَدَيه طَبَقُ تَمْر ، فبَقيَ يُنَقِّي لنَفسِه الحَشَفَ يأكلُه ، ويقولُ : أنا أحَقُّ بالدُّونِ ، فإنِّي مثلُه دُونٌ[3] .

التَّوْقِيرُ والاحْتِرام

١ـ رُؤْيا فيها حَثٌّ علىٰ تَوقِير العُلَمَاء :

قالَ الوَزيرُ أبو الفَضْل محمَّدُ بنُ عُبَيدِ الله البَلعَمِيّ : سَمعتُ الأميرَ إسْماعيلَ بنَ أحمَدَ يَقولُ : كُنتُ بسَمَرْقَندَ ، فجَلستُ يوماً للمَظالِم ، وجَلسَ أخي إسْحاقُ إلىٰ جَنبي ، إذْ دَخلَ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ نَصْر ، فقُمتُ له إجْلالاً للعِلمِ ، فلمَّا خَرجَ عَاتَبَني أخي وقالَ : أنتَ وَالِي خُراسانَ تَقومُ لرَجلٍ من الرَّعيَّة ؟ هـٰذا ذَهَابُ السِّياسَة ، قالَ : فبتُّ تلكَ الليلةَ وأنا مُتَقسِّمُ القَلبِ ، فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ ، كأنِّي وَاقفٌ مع أخي إسْحاقَ ، إذْ أقبلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فأخَذَ بعَضُدي فقالَ لي : ثَبَتَ مُلْكُكَ ومُلكُ بَنيكَ بإجْلالِكَ محمَّدَ بنَ نَصْر ، ثم التَفتَ إلىٰ إسْحاقَ ، فقالَ : ذَهبَ مُلكُ إسْحاقَ ومُلكُ بَنيه باسْتِخْفافِه بمحمَّدِ بنِ نَصْر .

---

(١) انظر السير : (سَعيد بن عبد العَزيز) ٨/ ٣٢ـ٣٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٣ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٧ .

(٣) انظر السير : (الرِّفاعيُّ) ٢١/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٦٠١ .

ومات بعدَ أيَّام قَلائل من مَوْتِ صالحِ بنِ محمَّد جَزَرَة ، وذلك سَنةَ أرْبَعٍ وتِسْعين ومِئتين[1] .

٢ـ صُوَرٌ من التَّوقِير :

عن ثابتٍ البُنَانيِّ أنَّ أبا بَرْزَةَ الأَسْلَميَّ كان يَلبَسُ الصُّوفَ ، فقيلَ له : إنَّ أخَاكَ عائذَ بنَ عَمرو يَلبَسُ الخزَّ ، قالَ : وَيْحَكَ ومَنْ مثل عائذ ؟ فانْصَرفَ الرَّجُلُ ، فأخبَرَ عائذاً ، فقالَ : ومَنْ مثلُ أبي بَرْزَة! ؟

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰكذا كان العُلماءُ يُوَقِّرونَ أقْرانَهم[2] .

وقالَ أبو الْمِنْهالِ : سَأَلْتُ البَراءَ عن الصَّرْفِ ، فقالَ : سَلْ زَيْدَ بنَ أَرْقَم ، فإنَّه خَيرٌ منِّي وأعْلَم[3] .

قالَ محمَّدُ بنُ سِيرينَ : جَلستُ إلىٰ عبدِ الرحمَـٰن بن أبي لَيلىٰ ، وأصْحابُه يُعَظِّمونَه كأنَّه أمير[4] .

عن مُجَاهِدٍ قالَ : قالَ ابنُ عبَّاس لسَعيدِ بنِ جُبَيْر : حَدِّثْ قالَ : أُحَدِّثُ وأنتَ هَا هُنا ؟ قالَ : أوَلَيسَ من نِعْمَة الله عَليكَ أنْ تُحَدِّثَ وأنا شَاهِدٌ ، فإنْ أصَبْتَ فذَاكَ ، وإنْ أخْطأتَ ، علَّمْتُك[5] .

ورَوَى اللَّيثُ عن عُبيدِ الله بن عُمَر ، قال : هو[6] صاحبُ مُعْضِلاتِنا ، وعالِمُنا ، وأفْضَلُنا[7] .

وعن عبدِ الرحْمَـٰن بنِ زَيْدِ بنِ أسْلَم ، قالَ : كانَ يَحْيَىٰ بنُ سَعيد يُجالِسُ رَبيعَةَ بنَ

---

(١) انظر السير : (محمَّد بن نَصْر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١١٢٦/ ٥ .
(٢) انظر السير : (أبو بَرْزَة الأسْلَميّ) ٣/ ٤٠ـ ٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/٣٢٨ .
(٣) انظر السير : (زَيْد بن أرْقَم) ٣/ ١٦٥ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٣٥٩ .
(٤) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن أبي لَيلىٰ) ٤/ ٢٦٢ـ ٢٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٩٤ .
(٥) انظر السير : (سَعيد بن جُبَيْر) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٩/٥٠٦ .
(٦) الكلامُ عائدٌ علىٰ رَبيعَة بن أبي عبد الرحمـٰن بن فرُّوخ ، مُفْتي الْمَدينَة ، من مَوالي آل الْمُنْكَدِر .
(٧) انظر السير : (ربيعَة) ٦/ ٨٩ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/٦٣٥ .

فَرُّوخ ، فإذا غابَ رَبيعَة ، حدَّثهم يَحْيَىٰ أحْسَنَ الحَديثِ ، وكانَ كَثيرَ الحَديث ، فإذا حَضَرَ رَبيعَة كَفَّ يَحْيَىٰ إجْلالاً لرَبيعَة ، ولَيسَ رَبيعَةُ أسَنَّ منه ، وهو فيما هو فيه ، وكان كلٌّ واحدٍ منهما مُبَجِّلاً لصاحِبه[1] .

وقالَ أبو إسْحاقَ الجَوْزَجَانيُّ : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين يَقولُ : الذي يُحدِّثُ ببَلَدٍ به مَنْ هو أَوْلَىٰ بالتَّحْديث منه أحْمَقٌ ، وإذا رَأيتُني أُحَدِّثُ ببَلَدٍ فيها مثلُ أبي مُسْهر فيَنبَغي لِلحْيَتي أنْ تُحْلَق[2] .

قال أبو حاتم الرَّازيُّ : ما رَأيتُ أحداً أعْظَمَ قَدْراً من أبي مُسْهر ، كنتُ أراهُ إذا خَرَجَ من الْمَسْجِدِ ، اصْطَفَّ النَّاسُ يُسلِّمونَ عليه ، ويُقبِّلونَ يَدَه[3] .

وقالَ القاسِمُ بنُ محمَّد الصَّائغ : سَمعتُ الْمَرُّوذيَّ ، يَقولُ : دَخلتُ علىٰ ذي النُّونِ السِّجنَ ، ونحنُ بالعَسْكر ، فقالَ : أيُّ شَيءٍ حالُ سَيِّدِنا ؟ يَعني : أحمَدَ بنَ حَنْبَل[4] .

وعن ابنِ الْمَديني ، قالَ : أمَرني سَيِّدي أحمَدُ بنُ حَنْبَل أن لا أُحدِّثَ إلاَّ من كتَاب[5] .

قال القاضي الخليلُ بنُ أحمد السِّجْزيُّ : سَمعتُ أحمدَ بنَ محمَّدِ ابنِ الليَّث قاضي بلدنا يقولُ : جاء سَهلُ بنُ عبد الله التُّسْتَريُّ إلىٰ أبي داوُد السِّجسْتاني ، فقيلَ : يا أبا داوُد : هـٰذا سَهلُ بنُ عبد الله جاءَك زائراً فرَحَّبَ به ، وأجلسَه ، فقال سَهلٌ : يا أبا داوُد! لي إليك حاجَة قال : وما هي ؟ قال : حتَّىٰ تَقولَ : قد قَضيتُها مع الإمْكان قال : نَعَم قال : أخْرِجْ إلي لسَانَك الذي تُحدِّثُ به أحاديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ أُقَبِّلَه فأخْرَجَ إليه لِسانَه فقَبَّلَه .

قال ابنُ دَاسَة : سَمعتُ أبا داود يقول : ذكرت في « السُّنن » الصحيحَ وما يُقارِبُه ، فإن كان فيه وهن شديد بَيَّنتُه .

---

(١) انظر السير : (ربيعَة) ٦/ ٨٩ـ٩٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٥ .
(٢) انظر السير : (أبو مُسْهِر) ١٠/ ٢٢٨ـ٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨٧١ .
(٣) انظر السير : (أبو مُسْهر) ١٠/ ٢٢٨ـ٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٢ .
(٤) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٩/٩٢٥ .
(٥) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١٠/٩٢٥ .

وقال الإمامُ الذهبيُّ : فقد وَفَّىٰ ـ رَحمَه الله ـ بذلك بحَسْبِ اجتهادِه ، وبيَّن ما ضَعفُه شَديدٌ ، ووَهْنُه غيرُ مُحْتَمل وكاسرَ[1] عما ضَعفُه خَفيفٌ مُحْتَمل ، فلا يَلزَمُ من سُكوتِه ـ والحالةُ هٰذه ـ عن الحَديث أنْ يَكونَ حَسناً عندَه ، ولا سيَّما إذا حَكمنا علىٰ حدِّ الحُسْن باصْطِلاحِنا المولدِ الحادِث ، الذي هو في عُرفِ السَّلَف يَعودُ إلىٰ قِسمٍ من أقْسامِ الصَّحيح ، والذي يَجبُ العَملُ به عند جُمهور العُلمَاء ، أو الذي يَرغَبُ عنه أبو عبد الله البُخاري ، ويُمشِّيه مُسْلمٌ ، وبالعَكس ، فهو داخلٌ في أداني مَراتب الصِّحَّة ، فإنَّه لو انْحَطَّ عن ذلك لخَرجَ عن الاحْتجاجِ ، ولبَقيَ مُتَجاذَباً بين الضَّعْف والحُسْن ، فكتابُ أبي داوُد أعلىٰ ما فيه من الثابت ما أَخْرَجَه الشَّيْخان ، وذلك نَحْواً من شَطر الكتاب ، ثم يَليهِ ما أخرَجَه أحدُ الشَّيْخَين ، ورَغِبَ عنه الآخَر ، ثم يَليه ما رَغِبا عنه ، وكان إسْنادُه جيداً ، سالماً من عِلَّة وشُذوذ ، ثم يَليه ما كان إسنادُه صالحاً ، وقَبلَه العُلماء لِمَجيئِه من وَجهين لَيِّنَيْن فصاعداً ، يَعضُدُ كلُّ إسْنادٍ منهُما الآخَر ، ثم يَليه ما ضَعُفَ إسنادُه لنَقْص حِفْظِ رَاويه ، فمثلُ هٰذا يُمشِّيه أبو داوُد ، ويَسكُتُ عنه غالباً ، ثم يَليه ما كان بَيِّنَ الضَّعفِ من جِهَة رَاويه ، فهٰذا لا يَسْكُتُ عنه ، بل يُوهِّنُه غالباً ، وقد يَسكُتُ عنه بحَسْبِ شُهْرته ونَكارَته ، واللهُ أعْلم .

قال الحافظُ زَكريّا السَّاجي : كتابُ الله أَصْلُ الإسْلام ، وكتابُ أبي داوُدَ عَهْدُ الإسْلام .

قال الذهبي : كان أبو داوُد مع إمامَتِه في الحديث وفُنونِه من كبار الفُقَهاء فكتابُه يَدلُّ علىٰ ذلك ، وهو من نُجَباء أصحابِ الإمامِ أحمَدَ ، لازَمَ مَجلِسَه مُدَّة ، وسأَلَه عن دِقاق المَسائل في الفُروع والأُصُول .

وكان علىٰ مَذهَبِ السَّلف في اتِّباعِ السُّنَّة والتَّسْليم لها ، وتَرْكِ الخَوْض في مَضائق الكَلام[2] .

---

(١) كسر من طرفه : غضَّ .

(٢) انظر السير : (أبو دَاوُد) ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٧٠ .

الحَسَاسيَة والشَّفافيَة

صُوَرٌ على الحَسَاسيَة والشَّفَافيَة :

قالَ زُبَيْدُ بنُ الحارِث : سَمعتُ كلمَةً فنَفعَني اللهُ بها ثَلاثينَ سَنةً[1] .

وقِيلَ : إنَّ المَازِريَّ مَرِضَ مَرْضةً ، فلَمْ يَجدْ مَنْ يُعالِجُه إلاَّ يَهُوديّ ، فلمَّا عُوفِي علىٰ يَدِه ، قال : لَوْلا التِزَامِي بحِفْظ صِناعَتِي لأعْدَمْتُك المسلمينَ فأثَّرَ هـٰذا عند المَازِريِّ ، فأقْبَلَ علىٰ تعَلُمِ الطِّبِّ حتّىٰ فَاقَ فيه ، وكان مِمَّنْ يُفْتِي فيه كمَا يُفْتِي في الفِقْهِ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الحُطَيئة : وقد كانَ حَصلَ قَحْطٌ بمِصْرَ ، فبَذَلَ له غَيرُ وَاحِدٍ عَطاءً ، فأبَىٰ وقَنعَ فخَطبَ الفَضلُ بنُ يَحْيَى الطَّويلُ إليه بِنتَه ، فزوَّجَه ، ثم طَلبَ منه أُمَّها لِتُؤْنِسَهَا ، ففَعلَ ، فمَا أجْمَلَ تَلطُّف هـٰذا الْمَرءِ في بِرِّ أبي العباسِ ابنِ الحُطَيئة[3] .

الحِلْمُ

١ـ صُوَرٌ على الحِلْم :

عن الشَّعْبيِّ ، قالَ : أغلظَ رَجلٌ لِمُعاوِيَةَ بنِ أبي سُفْيانَ فقالَ : أنْهاكَ عن السلطان ، فإنَّ غَضبَه غَضبُ الصَّبيِّ ، وأخْذَهُ أخْذُ الأسَدِ[4] .

وقالَ الأصْمَعيُّ : حدَّثنا ابنُ عَوْن قالَ : كانَ الرَّجُلُ يَقولُ لِمُعاوِيَةَ : واللهِ لَتَسْتَقيمَنَّ بنا يا مُعاوِيَةُ ، أوْ لَنُقوِّمَنَّك ، فيَقولُ : بمَاذَا ؟ فيَقُولونَ : بالخُشُبِ فيَقُولُ : إذاً أسْتَقيمُ[5] .

---

(١) انظر السير : (زُبَيْد بن الحارث) ٥/ ٢٩٦ـ٢٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٥ .

(٢) انظر السير : (المَازريّ) ٢٠/ ١٠٤ـ١٠٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٥١ .

(٣) انظر السير : (ابن الحُطَيئة) ٢٠/ ٣٤٤ـ٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٥٩ .

(٤) انظر السير : (مُعاويَة بن أبي سُفْيان) ٣/ ١١٩ـ ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٣٥٥ .

(٥) انظر السير : (مُعاويَة بن أبي سُفْيان) ٣/ ١١٩ـ ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣٥٥ .

وقيلَ : إنَّ رَجُلاً خَاصَمَ الأحْنَفَ قالَ : لَئِنْ قُلتَ وَاحِدَةً ، لَتَسْمَعَنَّ عَشْراً ، فقالَ : لَكنَّكَ إنْ قُلتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدةً[1] .

وقالَ أبو بَكْر بنُ عَيَّاش : كانَ عاصِمُ بنُ أبي النَّجُودِ نَحْوياً فَصيحاً إذا تكلَّمَ ، مَشْهورُ الكَلام ، وكانَ هو والأعْمَشُ وأبو حُصَين والأسديُّ لا يُبْصِرون جاءَ رَجلٌ يوماً يَقُودُ عاصِماً فوَقَعَ وَقعَةً شَديدةً فما نَهَرَه ولا قالَ له شَيئاً[2] .

وعن يَحْيىٰ بنِ أكثَم : كانَ الْمَأمُونُ يَحلُمُ حتَّىٰ يُغيظَنا ، قيلَ : مَرَّ مَلاَّحٌ ، فقالَ : أتَظنُّونَ أنَّ هـٰذا يَنبُلُ عندي وقد قَتلَ أخاهُ الأمينَ ؟! فسَمِعَها الْمَأمُونُ ، فتَبسَّم ، وقالَ : ما الحيلَةُ حتىٰ أنبُلَ في عَينِ هـٰذا السَّيِّدِ الجَليل[3] .

٢ـ مَنْ لا يَسْتَطيعُ أنْ يكونَ حَليماً فَلْيَتَحالَم :

عن الأحْنَفِ بنِ قَيْس أنَّه قالَ : لَستُ بِحَليمٍ ، ولَكِنِّي أتحالَم[4] .

الرَّحْمَة

١ـ رَحْمَةُ الله وَسِعَتْ كلَّ شَيء :

قالَ ابنُ عُيَيْنَة : تَبعَ ابنُ الْمُنْكَدِر جِنازَةَ سَفيه ، فعُوتِبَ ، فقالَ : والله إنِّي لأسْتَحي من الله أنْ أرَىٰ رَحمَتَه عَجزَت عن أحَدٍ[5] .

٢ـ اللهُ أَرْحَمُ من الوَالِدَيْن :

عن محمَّدِ بنِ إسْماعيلَ البُخاريِّ ، قالَ : سَمعتُ بَعضَ أصْحابِنا يَقولُ : عادَ حَمَّادُ بنُ سَلمَةَ سُفْيانَ الثَّوريَّ ، فقالَ سُفْيانُ : يا أبَا سَلمَةَ! أتَرَى اللهَ يَغفِرُ لِمثلِي ؟ فقالَ

---

(١) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٢ .
(٢) انظر السير : (عاصِم بن أبي النَّجود) ٥/ ٢٥٦ـ ٢٦١ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩٩ .
(٣) انظر السير : (الْمَأمُونُ) ١٠/ ٢٧٢ـ ٢٩٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٧٦ .
(٤) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٥١ .
(٥) انظر السير : (محمّد بن الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٩ .

حَمَّادُ : والله لَوْ خُيِّرتُ بين مُحاسَبةِ الله إيّاي ، وبينَ مُحاسَبَةِ أبَوَيَّ ، لاخْتَرتُ مُحاسَبَةَ اللهِ ، وذلكَ لأنَّ اللهَ أرحَمَ بي من أبَوَيَّ[1] .

٣ـ أعْمَالٌ يَرْتَجي بها أصْحابُها رَحْمَةَ الله :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمَنيعِيِّ : قيلَ : إنَّ امرأةً أتَتْهُ بثَوبٍ ليُنفِقَ ثمنَه في بِناءِ الجَامِعِ ، يُساوي نِصفَ دينار ، فاشْتَراه منها بألفِ دينار ، وسَلَّمَت الْمَالَ إلى الخازِنِ لإنْفاقِه وخَبَّأَ الثَّوبَ كَفَناً له[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ ابنِ العَادِلِ ، صَاحِبِ مِصْرَ : ولَمَّا مَرِضَ قالَ : لي في قَضيَّةِ دِمْياطَ ما أرْجُو به الرَّحْمَةَ[3] .

تُوفِّيَ سَنةَ أرْبَعٍ وعِشْرينَ وستِّ مئة وكانَ له دِمَشْقُ والكَرْكُ وغَيرُ ذلكَ وحَلفوا بعدَه لابنِه النَّاصِرِ داوُدَ[4] .

٤ـ رُؤْيا يَعْظُمُ بها الرَّجَاء في رَحْمَة الله :

عن إسْحاقَ الحَربيِّ ، قالَ : حدَّثني أبو حَسَّانَ الزِّياديُّ ، أنَّه رَأىٰ رَبَّ العِزَّة في الْمَنام : فقالَ : رَأيتُ نُوراً عَظيماً لا أُحْسِنُ أَصِفُه ، ورَأيتُ فيه رَجلاً خُيِّلَ إليَّ أنَّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وكأنَّه يَشْفَعُ إلىٰ رَبِّه في رَجُلٍ من أُمَّتِه ، وسَمعتُ قائلاً يَقولُ : أَلَمْ يَكفِكَ أنِّي أُنْزِلُ عَليكَ في سُورَةِ الرَّعْدِ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾[5] ثم انتَبهتُ .

قالَ الخَطيبُ : كانَ أبو حَسَّان أحدَ العُلَماء الأفاضِل الثِّقاتِ ، وَلِيَ قَضاءَ الشَّرقيَّة ، وكان كَريماً مِفْضالاً[6] .

---

(١) انظر السير : (حمّاد بن سَلمَة) ٧/ ٤٤٤ـ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٩/٧١٥ .
(٢) انظر السير : (الْمَنِيعيّ) ١٨/ ٢٦٢ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤١١ .
(٣) أبلى المُعظَّم بلاءً حسناً وجاهد الصليبيين جهاداً عظيماً في نوبة دمياط التي كانت من أشد الحملات خطراً على الأمة ، فنسأل الله سبحانه أن يتجاوز عنه بعض ما أخطأ ، وهو مُحقٌّ في مقالته هـٰذه .
(٤) انظر السير : (المُعظَّم) ٢٢/ ١٢٠ـ ١٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٧٢ .
(٥) سورة الرعد ، الآية : ٦
(٦) انظر السير : (أبو حَسَّان الزِّياديّ) ١١/ ٤٩٦ـ٤٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٢ .

٥ـ الرَّحْمَةُ بالأطْفَال :

قال أبو مَعْمَر الْمُقْعَد : نَظَرَتْ رَابِعَةُ إلىٰ رِياح القَيْسي يَضُمُّ صَبيّاً من أهْلِه ويُقبِّلُه فقالَت : أتُحِبُّه ؟ قالَ : نَعَم قالَت : ما كُنتُ أحْسَبُ أنَّ في قَلبكَ مَوْضِعاً فارِغاً لِمَحَبَّة غَيره ، تَبارَكَ اسْمُه فغُشِيَ عليه ، ثم أفاقَ ، وقالَ : رَحمَةٌ منه تَعالَىٰ ألْقَاهَا في قُلوبِ العِبادِ للأطْفَالِ[1] .

٦ـ الرِّفْقُ بالحَيَوان :

قالَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ زَيْد بنُ أسْلم عن أبيه ، عن جَدِّه ، قالَ عُمَرُ : لقد خَطَرَ علىٰ قَلبي شَهْوَةُ السَّمَك الطَّرِيِّ ، قالَ : ورَحَّل « يَرْفَأُ »[2] راحلَتَه وسارَ أرْبَعاً مُقْبلاً ومُدْبراً ، واشْتَرَىٰ مِكْتَلاً فجاءَه به ، وعَمَدَ إلى الرَّاحِلَة فغسلَها ، فأتَىٰ عُمرَ فقالَ : انْطَلِقْ حتّىٰ أنظُرَ إلى الرَّاحِلَة ، فنَظَرَ وقالَ : نَسيتَ أنْ تَغْسِلَ هـٰذا العَرقَ الذي تحتَ أُذُنِها ، عذَّبتَ بَهيمة في شَهْوَة عُمَرَ ، لا واللهِ لا يَذوقُ عُمرُ مِكْتَلَكَ[3] .

٧ـ مَنْ كانَ صَائماً فأفْطَرَ رَجاءَ الرَّحْمَة :

قال عُبَيدُ بنُ محمد الوَرَّاق : مَرَّ معروفٌ الكَرخِي وهو صائمٌ بسقَّاءٍ يقولُ : رَحِمَ الله مَن شَرِب ، فشَرِبَ رَجاءَ الرَّحمَةِ[4] .

الرِّقَّة

صُوَرٌ على الرِّقَّة :

قالَ يَحْيَى بن سَعيد الأنْصاريُّ : قالَ أبو حُمَيْد السَّاعديّ ـ وكانَ بَدْريّاً ـ لَمَّا قُتلَ عُثمانُ : اللَّهُمَّ إنَّ لك عليَّ أنْ لا أضْحَكَ حتّىٰ ألْقاكَ .

---

(١) انظر السير : (رِياح القَيْسي) ٨/ ١٧٤ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٤١ .
(٢) هو غُلامٌ لِعُمَر .
(٣) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤/ ٤٨ .
(٤) انظر السير : (معروف الكرخي) ٩/ ٣٣٩ـ ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٢/ ٨٢٧ .

قالَ قَتادَة : وَلِيَ عُثمانُ ثِنْتَي عشرة سَنَةً ، غيرَ اثْنَي عشرَ يَوْماً .

وقالَ أبو معشر السّندي : قُتلَ لثَماني عَشرَة خَلَت من ذي الحِجَّة يَومَ الجُمُعَة ، زادَ غيرُه ، فقالَ : بعدَ العَصْر ، ودُفنَ بالبَقيعِ بين العِشاءَين ، وهو ابنُ اثنَتينِ وثَمانينَ سَنَةً ، وهو الصَّحيح .

وعن عبد الله بن فروخ قال : شهدتُه ودُفِنَ في ثِيابه بدِمائه ، ولَمْ يُغَسَّل رواهُ عبدُ الله بنُ أحمَد في « زيادات الْمُسْنَد » ، وقيلَ : صلَّىٰ عليه مَرْوانُ ولَمْ يُغَسَّل[1] .

وقالَ إسْحاقُ بنُ محمَّد ، سَمعتُ مَالِكاً يَقولُ : كُنَّا نَدخُلُ علىٰ أيُّوبَ السِّخْتياني ، فإذا ذَكرنا له حَديثَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بَكَىٰ حتَّىٰ نَرحَمُه[2] .

وقالَ يَحْيَى القَطَّان : كانَ شُعْبَة من أرَقِّ النَّاسِ ، يُعطي السَّائلَ ما أمْكنَه[3] .

وقالَ يَحْيَىٰ بنُ أبي بُكَير : قُلتُ للحَسَنِ بنِ صالح : صِفْ لنا غَسْلَ الْمَيِّتِ فمَا قَدِرَ عليه من البُكَاء[4] .

وقالَ نُعَيمُ بنُ حمَّاد : كانَ ابنُ الْمُبارَك إذا قرأ كتابَ الرِّقاق ، يَصيرُ كأنَّه ثَورٌ مَنْحورٌ ، أو بَقَرَةٌ مَنْحُورَةٌ ، من البُكاءِ ، لا يَجْتَرِىءَ أحدٌ مِنْ أنْ يَسألَه عن شَيء إلاَّ دَفعَه[5] .

وقال إبراهيمُ بنُ الأشْعَث : ما رَأيتُ أحَداً كان اللهُ في صَدرِه أعظَمَ من الفُضَيل ، كان إذا ذَكَرَ اللهَ ، أو ذُكِرَ عندَه ، أو سَمعَ القُرآنَ ، ظَهرَ به من الخَوفِ والحُزْن ، وفاضَت عَيناهُ ، وبَكىٰ حتىٰ يَرحمُه من يَحضُرُه ، وكان دائمَ الحُزْن ، شَديدَ الفِكْرَة ، ما رَأيتُ رجلاً يريدُ اللهَ بعِلمِهِ وعَمِله ، وأخْذِهِ وعَطائِه ، ومَنْعِه وبَذْلِه ، وبُغْضه وحُبِّه ، وخِصَالِه كلِّها ، غَيرَه كنَّا إذا خَرجْنا معه في جِنازَة لا يَزالُ يَعظُ ، ويُذَكِّرُ ويَبكي كأنَّه

---

(١) انظر السير : (عُثمان بن عَفَّان) ، وانظر النزهة : ٥/٧٩ .
(٢) انظر السير : (أيُّوب السِّخْتياني) ٦/ ١٥ـ٢٦ ، وانظر النزهة : ١/٦٢٦ .
(٣) انظر السير : (شُعْبَة) ٧/ ٢٠٢ـ٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٣ .
(٤) انظر السير : (الحَسَن بن صالح) ٧/ ٣٦١ـ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٣ .
(٥) انظر السير : (عبد الله بن الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٧ .

مُودِّعٌ أصْحابَه ، ذاهبٌ إلى الآخِرَة ، حتىٰ يَبلُغَ المَقابِرَ ، فيَجلِسُ مَكانَه بينَ المَوْتَىٰ من الحُزنِ والبُكاء حتىٰ يقومَ وكأنَّه رَجعَ من الآخِرَة يُخبِرُ عنها[1] .

الزُّهْد

١ـ مِنْ تَعْريفَات الزُّهْد :

من كَلامِ ابنِ عُيَيْنَة قالَ : الزُّهْدُ : الصَّبرُ ، وارْتِقابُ الْمَوْت[2] .

قالَ الْمُسَيِّبُ : سَألتُ يُوسُفَ بنَ أسْباط عن الزُّهْدِ ، فقال : أنْ تَزْهَدَ في الحَلالِ ، فأمَّا الحَرامُ ، فإنِ ارْتَكبتَه ، عَذَّبَك[3] .

٢ـ أقْسَامُ الزُّهْد :

عن إبْراهيمَ بنِ أدْهَم قالَ : الزُّهْدُ فَرْضٌ ، وهو الزُّهْدُ في الحَرام ، وزُهْدُ سَلامَة ، وهو الزُّهْدُ في الشُّبُهات ، وزُهْدُ فَضْل ، وهو : الزُّهْدُ في الحَلال[4] .

٣ـ الزُّهْدُ يُجَمِّلُ الزُّهَّاد :

قالَ أبو بَكر ، محمَّدُ بنُ القاسِمِ بنِ مَطَر ، سَمعتُ الرَّبيعَ : قالَ لي الشَّافِعيُّ : عَليكَ بالزُّهْدِ فإنَّ الزُّهْدَ على الزَّاهِدِ أحْسَنُ من الْحُليِّ على الْمَرأةِ النَّاهِد[5] .

٤ـ فَضْلُ الزُّهْد :

رَوَىٰ مُعْتَمِرٌ عن أبيه : ما رَأيتُ أحداً قَطُّ أخْشَعَ من مُحمَّدِ بنِ واسع ، وقالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ : كُنتُ إذا وَجَدتُ من قَلبي قَسْوَةً ، غَدَوتُ فنَظَرتُ إلىٰ وَجْهِ مُحمَّدِ بنِ واسع كانَ كأنَّه ثَكْلَىٰ قالَ حَمَّادُ بنُ زَيْد : قالَ رَجلٌ لِمُحمَّدِ بنِ واسع :

---

(١) انظر السير : (الفُضَيل بن عياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٣ .
(٢) انظر السير : (سُفْيان بن عُيَيْنَة) ٨/ ٤٥٤ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٦/٧٨٣ .
(٣) انظر السير : (يُوسُف بنَ أسْباط) ٩/ ١٦٩ـ ١٧١ ، وانظر النزهة : ٣/٨١٤ .
(٤) انظر السير : (إبْراهيم بن أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٨ .
(٥) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨/٨٤٨ .

أَوْصِني قالَ : أُوصِيكَ أنْ تَكونَ مَلِكاً في الدُّنيا والآخِرَة قالَ : كيفَ ؟ قالَ : ازْهَدْ في الدُّنيا[1] .

وعن الفُضَيْلِ : حَرامٌ عَلىٰ قُلوبِكُم أنْ تُصِيبَ حَلاوَةَ الإيمَانِ حتَّىٰ تَزْهَدُوا في الدُّنيا[2] .

٥ـ الزُّهْدُ لا يُنَافي المَلابسَ الحَسَنَة والطَّعَامَ الحَسَن :

قالَ أبو بَكر البَرْقانيُّ : قُلتُ يَوماً لابنِ سَمْعونَ : تَدعُوا النَّاسَ إلى الزُّهْدِ وتَلبَسُ أَحْسَنَ الثِّيابِ ، وتَأكُلُ أطْيَبَ الطَّعامِ ، كَيفَ هَـٰذا ؟ فقَالَ : كُلُّ مَا يُصْلِحُكَ لله فافعَلهُ إذا صَلُحَ حَالُك مع الله تَعالَىٰ[3] .

ورُوِيَ عن أقْضَى القُضاة الماوَرْديِّ قال : صَلَّيتُ خلفَ أبي الحَسَن القَزْويني ، فرَأيتُ عليه قَميصاً نَقيّاً مُطَرَّزاً ، فقلتُ في نَفسِي : أين الطرزُ من الزُّهد ؟ فلمَّا سلَّم قال : سُبحانَ الله! الطرزُ لا ينقُصُ حُكمَ الزُّهد[4] .

وذكر محمدُ بنُ حُسَين القَزَّاز قال : كان ببغْدادَ زاهدٌ خَشِنُ العَيش ، وكان يَبلُغُه أنَّ ابنَ القَزْوينيِّ يأكلُ الطَّيِّبَ ، ويَلبَسُ الرَّقيقَ ، فقال : سُبحانَ الله! رجلٌ مُجْمَعٌ علىٰ زُهْدِه ، وهـٰذا حالُه! أشْتَهي أن أراهُ فجاء إلى الحربيَّة ، فرآه ، فقال الشيخُ : سبحانَ الله! رجلٌ يُومَأُ إليه في الزُّهدِ يُعارِضُ اللهَ في أفْعالِه ، وما هُنا مُحَرَّمٌ ولا مُنْكَر فشَهِقَ ذلك الرجلُ ، وبَكَىٰ[5] .

وعن جَعْفَر الهَمداني ، أخْبَرنا السِّلَفيُّ : سَمعتُ جَعْفَراً السَّرَّاجَ يقول : رأيتُ علىٰ أبي الحسَن القَزْوينيِّ ثَوباً رَقيقاً ، فخطر لي : كيفَ مثْلُه في الزُّهدِ يَلْبَسُ هـٰذا ؟! فنظرَ

---

(١) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٨ .
(٢) انظر السير : (الفُضَيل بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧٧ .
(٣) انظر السير : (ابن سَمْعُون) ١٦/ ٥٠٥ـ ٥١١ ، وانظر النزهة : ١/١٣١٠ .
(٤) انظر السير : (القَزْويني) ١٧/ ٦٠٩ـ ٦١٣ ، وانظر النزهة : ١/١٣٦٨ .
(٥) انظر السير : (القَزْويني) ١٧/ ٦٠٩ـ ٦١٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٦٨ .

في الحال إليَّ ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾[1] ،[2] .

٦ـ الزُّهْدُ فَضيلَةٌ ولَيسَ وَسيلَةً للتَّنْفِير :

كان أيُّوبُ السِّخْتِيانيُّ يَقولُ : لِيَتَّقِ اللهَ رجلٌ فإنْ زَهَدَ ، فلا يَجْعَلَنَّ زُهْدَه عَذاباً على النَّاس ، فلأنْ يُخْفيَ الرجلُ زُهْدَه خَيرٌ مِنْ أنْ يُعْلِنَه[3] .

٧ـ إخْفَاءُ الزُّهْد :

كان أيُّوبُ السِّخْتِيانيُّ يَقولُ : لِيَتَّقِ اللهَ رجلٌ فإنْ زَهَدَ ، فلا يَجْعَلَنَّ زُهْدَه عَذاباً على النَّاس ، فلأنْ يُخْفيَ الرجُلُ زُهْدَه خَيرٌ مِنْ أنْ يُعْلِنَه[4] .

وكان أيُّوبُ مِمَّن يُخفي زُهْدَه دَخلْنا عليه ، فإذا هو علىٰ فِراشٍ مُخَمَّسٍ أحمر ، فرَفَعتُه ، أو رَفَعَه بَعضُ أصْحابِنا ، فإذا خَصَفَةٌ مَحْشوَةٌ بليفٍ[5] .

٨ـ مِنَ النَّاسِ مَنْ بَلَغَ به الزُّهْدُ مَبْلَغاً عَجيباً :

عَديٌّ بنُ مُسافِر :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : الشَّيخُ الإمَامُ الصَّالِحُ القُدوَةُ ، زَاهِدُ وَقتِه ، أبو محمَّد عَديُّ بنُ صَخْر الشَّاميُّ ، وقيلَ : عَديُّ بنُ مُسَافِر ـ وهٰذا أشْهَرُ ـ ابنِ إسْماعيلَ الشَّاميُّ ، ثم الهَكَّاريُّ .

قالَ الحَافِظُ عبدُ القادِر : ساحَ سِنينَ كَثيرَة ، وصَحِبَ الْمَشايخَ وجاهَدَ أنْواعاً من الْمُجاهَدات ، ثم إنَّه سَكنَ بَعضَ جِبالِ الْمُوصِلِ في مَوْضِعٍ لَيسَ به أَنيسٌ ، ثم آنَسَ اللهُ تِلكَ الْمَواضِعَ به ، وعَمَرَها ببَركاتِه ، حتَّىٰ صارَ لا يَخافُ أحدٌ بها بعدَ قَطعِ السُّبُل ، وارْتَدَّ جَماعَةٌ من مُفْسِدي الأكْرادِ ببَركاتِه ، وعُمِّرَ حتَّى انتَفعَ به خَلقٌ ، وانْتَشرَ ذِكرُه ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢ .

(٢) انظر السير : (القَزْويني) ١٧/ ٦٠٩ـ ٦١٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٦٨ .

(٣) انظر السير : (أيُّوب السِّخْتِيانيّ) ٦/ ١٥ـ ٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

(٤) انظر السير : (أيُّوب السِّخْتِيانيّ) ٦/ ١٥ـ ٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

(٥) انظر السير : (أيُّوب السِّخْتِيانيّ) ٦/ ١٥ـ ٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

وكانَ مُعَلِّماً للخَير ، ناصِحاً مُتشرِّعاً ، شَديداً في الله ، لا تَأخُذُه في اللهِ لَومَةُ لائم ، عاشَ قَريباً من ثَمانينَ سَنَةً ما بَلَغنا أنَّه باعَ شَيئاً ولا اشْتَرىٰ ، ولا تَلبَّسَ بشَيءٍ من أمْرِ الدُّنيا كانت له غُلَيْلَةٌ يَزرَعُها بالقَدُوم في الجَبلِ ، ويَحصُدُها ، ويتَقوَّتُ ، وكانَ يَزرَعُ القُطْنَ ، ويَكْتَسي منه ، ولا يَأكُلُ من مَالِ أحَدٍ شَيئاً ، وكانَ له أوْقَاتٌ لا يُرَىٰ فيها مُحافَظةً علىٰ أوْرادِه ، وقد طُفتُ مَعه أيّاماً سَوادَ الْمُوصِلِ ، فكانَ يُصلِّي مَعنا العِشاءَ ، ثم لا نَراهُ إلى الصُّبحِ ورَأيتُه إذا أقبلَ إلىٰ قَريَةٍ يَتلقَّاهُ أهلُها من قبل أنْ يَسْمَعوا كَلامَه تائبين رِجالُهم ونِساؤُهم إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ منهم ، ولقد أتَينا مَعه علىٰ دَيرِ رُهْبان ، فتَلقَّانا منهم رَاهِبَان ، فكَشَفا رَأسَيْهِمَا ، وقَبَّلا رِجْلَيْه ، وقَالا : ادْعُ لنا فمَا نَحنُ إلاَّ في بَركاتِك ، وأخْرَجا طَبَقاً فيه خُبزٌ وعَسَلٌ ، فأكلَ الجَماعَةُ ، وسَمعتُ شَخصاً يَقولُ له : يا شَيخُ ، لا بَأسَ بمُداراةِ الفاسِق فقالَ : لا يأخي ، دِينٌ مَكْتُومٌ دِينٌ مَيْشُومٌ ، وكانَ يُواصِلُ الأيَّامَ الكَثيرَة علىٰ ما اشْتُهرَ عنه ، حتَّىٰ إنَّ بَعضَ النَّاسِ كانَ يَعتَقدُ أنَّه لا يَأكُلُ شَيئاً قَطُّ ، فلمَّا بَلغَه ذلكَ أخَذَ شَيئاً ، وأكَلَه بحُضْرَة النَّاسِ ، واشْتُهرَ عنه من الرِّياضَاتِ والسِّيَرِ والكَرَامَاتِ والانْتِفاعِ به ما لَوْ كانَ في الزَّمَانِ القَديمِ لَكانَ أُحْدُوثَة ، ورَأيتُه قد جاءَ إلى الْمُوصِلِ في السَّنَة التي ماتَ فيها ، فنزَلَ في مَشْهَد خارِجَ الْمُوصِلِ ، فخَرجَ إليه السُّلطَانُ وأصْحَابُ الولاياتِ والْمَشايخُ والعَوامُّ حتَّىٰ آذَوْه مِمَّا يُقَبِّلونَ يَدَه ، فأُجلِسَ في مَوْضِع بَينَه وبَينَ النَّاسِ شُبَّاكٌ بحَيثُ لا يَصلُ إليه أحَدٌ إلاَّ رُؤيَةً ، فكَانُوا يُسَلِّمونَ عليه ، ويَنصَرِفُونَ ، ثم رَجَعَ إلىٰ زَاوِيَتِه .

وقالَ ابنُ خَلِّكانَ : أصْلُهُ من بلادِ بَعْلَبَك ، وتَوجَّه إلىٰ جَبلِ الهَكَّاريَّة ، وانْقَطعَ ، وبَنىٰ له زَاويَةً ، ومَالَ إليه أهلُ البلادِ مَيْلاً لَمْ يُسمَع بمثلِه ، وسَارَ ذِكرُه في الآفَاقِ ، وتَبعَه خَلقٌ جاوَزَ اعْتقادُهم فيه الحَدَّ ، حتَّىٰ جَعلوه قِبْلَتَهم التي يُصَلُّون إليها وذَخيرَتهم في الآخِرَة ، عاشَ تِسعينَ سَنَةً .

تُوفِّيَ سَنَةَ سَبعٍ وخَمْسينَ وخَمسِ مئة[1] .

---

(١) انظر السير : (عديّ) ٢٠/ ٣٤٢ـ ٣٤٤ ، وانظر النزهة : ١٥٥٧/ عَديّ .

٩ـ مِنْ زُهَّاد التَّابعين :

عن عَلقمَةَ بنِ مَرْثَد ، قالَ : انتَهى الزُّهْدُ إلىٰ ثَمانيَة : عَامر بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ قَيس ، وأُوَيْسٍ القَرْنيِّ ، وهَرِمِ بنِ حَيَّان ، والرَّبيعِ بنِ خُثَيم ، ومَسْرُوقِ بنِ الأَجْدَع ، والأَسْوَدِ بنِ يَزيد ، وأبي مُسْلِم الخَوْلاني ، والحَسَنِ ابنِ أبي الحَسَن[١] .

١٠ـ مِنْ زُهَّاد القَرْن الثَّالِث :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الجُوعِيِّ : كان زاهدَ الوَقْت هـٰذا الجُوعِيُّ بدِمَشْقَ ، والسَّرِيُّ السَّقَطِيُّ ببَغْدادَ ، وأحمَدُ بنُ حَرْب بنيسَابُورَ ، وذُو النُّونِ بمِصْرَ ، ومُحمَّدُ بنُ أسْلَم بطُوسَ وأين مثل هـٰؤلاء السَّادَة ؟ ما يَملأُ عَيني إلاَّ التُّرابُ ، أوْ مَنْ تَحتَ التُّراب[٢] .

١١ـ الزُّهْدُ في الخِلافَة :

جاءَ في تَرجَمَةِ أميرِ المؤمنينَ عُمرَ بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه : قالَ القاسِمُ ابنُ مُحمَّد : قال عُمرُ : « ليَعْلمَ مَنْ وَليَ هـٰذا الأمْرَ مِنْ بَعْدي أنْ سَيريدُه عنه القَريبُ والبَعيدُ ، إنِّي لأُقاتِلُ النَّاسَ عَنْ نَفسِي قِتالاً ، ولَوْ عَلِمتُ أنْ أحَداً أقْوَىٰ عليه مِنِّي لَكنْتُ أنْ أُقدَّمَ فَتُضْرَبُ عُنُقي أحبُّ إليَّ من أنْ أَلِيَه »[٣] .

وقالَ حُميدُ بنُ عبدِ الرَّحْمَـٰنِ بنِ عَوْف : أخْبَرَني المِسْوَرُ أنَّ النَّفَرَ الذين ولاَّهُم عُمَرُ اجْتَمَعوا فتَشاوَروا ، فقالَ عبدُ الرَّحْمَـٰن بنُ عَوْف : لَسْتُ بالذي أُنافِسُكم هـٰذا الأمْرَ ، ولكنْ إنْ شِئتُم اخْتَرتُ لكم منكم ، فجعلوا ذلك إلىٰ عبد الرحمـٰن ، قال : لا يَخْلو به رجلٌ ذو رأْي فيعدل بعثمانَ أحَداً ، وذكرَ الحَديثَ إلىٰ أن قالَ : فتشهَّدَ وقالَ : أمَّا بعدُ يا عَليُّ فإنِّي قد نَظَرْتُ في النَّاسِ فلَمْ أرَهُم يَعْدِلونَ بعُثْمانَ فلا تَجْعَلَنَّ علىٰ نَفسِكَ

---

(١) انظر السير : (أُوَيْس القَرْنيّ) ٤/١٩ـ٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/٤٣٥ .

(٢) انظر السير : (الجُوعِيُّ) ١٢/٧٧ـ٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٩٨٤ .

(٣) انظر السير : (عُمرَ بنِ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٥/٤٦ .

سَبيلاً ، ثم أخَذَ بيدِ عُثْمانَ فقالَ : نُبايُعكَ علىٰ سُنَّةِ الله وسُنَّةِ رَسُولِه وسُنَّةِ الخَليفَتَين بعدَه ، فبايَعَه عبدُ الرَّحْمـٰن بنُ عَوْف وبايَعَه المُهاجِرونَ والأنْصارُ[1] .

١٢ـ صُوَرٌ على الزُّهْد :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أمير المؤمنينَ عُمرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه : وقال عِكْرِمَةُ بنُ خالد وغيرُه : إنَّ حَفْصَةَ ، وعبدَ الله ، وغَيرَهما كلَّموا عُمَرَ فقالوا : لَوْ أكلتَ طَعاماً طَيِّباً كانَ أقْوَىٰ لك على الحَقِّ ، قالَ : أكلُّكم علىٰ هـٰذا الرَّأي ؟ قالوا : نَعَم ، قالَ : قد عَلِمتُ نُصحَكم ، ولكنِّي تَركتُ صاحِبيَّ علىٰ جَادَّةٍ فإنْ تَركتُ جادَّتَهما لَمْ أُدْرِكْهُما في الْمَنْزِلِ[2] .

وقالَ ابنُ أبي مُلَيْكَة : كلَّمَ عُتْبَةُ بنُ فَرْقَد عُمَرَ في طَعامِه ، فقال : وَيْحَكَ آكُلُ طَيِّباتي في حَياتي الدُّنيا وأسْتَمْتِعُ بها[3] .

قالَ مُبارَك عن الحَسَنِ : دَخَلَ عُمَرُ رضي الله عنه على ابنِه عاصِم وهو يَأكُل لَحْماً ، فقالَ : ما هـٰذا ؟!! قالَ : قَرِمْنا[4] إليه ، قالَ : أوَكُلَّما قَرِمْتَ إلىٰ شَيء أكلتَه ؟!! ، كَفَىٰ بالْمَرْءِ سَرَفاً أنْ يَأكُلَ كُلَّ ما اشْتَهَىٰ[5] .

قالَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ زَيْد بنُ أسْلم عن أبيه ، عن جَدِّه ، قالَ عُمَرُ : لقد خَطَرَ علىٰ قَلبي شَهْوَةُ السَّمَك الطَّرِيِّ ، قالَ : ورَحَّل « يَرْفأُ »[6] راحلَتَه وسارَ أرْبَعاً مُقْبلاً ومُدْبِراً ، واشْتَرَىٰ مِكْتَلاً فجاءَه به ، وعَمَدَ إلى الرَّاحِلَة فغَسلَها ، فأتَىٰ عُمرَ فقالَ : انْطَلِقْ حتّىٰ أنظُرَ إلى الرَّاحِلَة ، فنَظَرَ وقالَ : نَسيتَ أنْ تَغْسِلَ هـٰذا العَرَقَ الذي تحتَ أُذُنِها ، عذَّبتَ بَهيمة في شَهْوَة عُمَرَ ، لا والله لا يَذوقُ عُمرُ مِكْتَلَكَ[7] .

---

(١) انظر السير : (عُثمان بن عفَّان) ، وانظر النزهة : ٨١ .
(٢) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٥/٤٧ .
(٣) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٢/٤٨ .
(٤) القَرَم : شدَّة الشَّهْوَة إلى اللَّحْم .
(٥) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٣/٤٨ .
(٦) هو غُلامٌ لِعُمَر .
(٧) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤/٤٨ .

وقالَ قَتادَةُ : كانَ عُمَرُ يَلْبَسُ ، وهو خَليفَة ، جُبَّة من صُوف مَرْقُوعاً بَعضُها بأَدَم ، ويَطوفُ في الأَسْواقِ علىٰ عاتِقِه الدِّرَّة يُؤدِّبُ النَّاسَ بها ، ويَمُرُّ بالنَّكْثِ[1] والنَّوَىٰ فيَلقطُه ويُلقيه في مَنازِلِ النَّاسِ لِيَنْتَفِعُوا به[2] .

قالَ أنَسُ : رَأيتُ بين كَتِفَي عُمَرَ أرْبَع رقاعٍ في قَميصِه[3] .

وقال أبو عُثْمانَ النَّهْدي : رَأيتُ علىٰ عُمَرَ إزاراً مَرْقُوعاً بأَدَمٍ[4] .

وقالَ عبدُ الله بنُ عامِرِ بنِ رَبيعَة : حَجَجْتُ مع عُمَرَ ، فما ضَرَبَ فُسْطاطاً[5] ولا خباءً ، كان يُلْقِي الكِساء والنَّطعَ على الشَّجَرَة ويَسْتَظِلُّ تحتَه[6] .

عن أبي الغادِيَة الشَّاميِّ ، قالَ : قَدِمَ عُمَرُ الجابيَةَ[7] علىٰ جَمَلٍ أوْرَق تَلوحُ صَلعَتُه للشَّمسِ ، ليسَ عليه قَلَنْسُوَة ولا عَمامَة ، قد طبق رجليه بين شُعْبَتي الرَّحْل بلا رِكاب ، ووطاؤه كساء أنبجاني من صوف ، وهو فِراشُه إذا نزَلَ ، وحَقيبَة مَحْشُوَّة ليفاً ، وهي إذا نزَلَ وسادُه ، وعليه قَميصٌ من كَرابيسَ[8] قد دسمَ وتَخرَّق جيبُه ، فقالَ : ادْعُوا لي رأسَ القَريَة ، فدعَوْه له ، فقالَ : اغْسِلوا قَميصي وخَيِّطوه ، وأعيروني قَميصاً ، فأُتيَ بقَميصِ كِتَّان ، فقالَ : ما هٰذا ؟ قيلَ كِتَّانٌ ، قالَ : وما الكِتَّانُ ؟ فأَخْبَروه فنَزَعَ قَميصَه فغَسَلوه ورَقَعوه ولَبسَه ، فقالَ له رأسُ القَريَة : أنتَ مَلِكُ العَرَب ، وهٰذه بلادٌ لا تَصْلُحُ فيها الإبلُ ، فأُتيَ ببرذون[9] فطَرَح عليه قَطيفَة بلا سرج ولا رَحْل ، فلمَّا سار هُنَيْهَةً قال : احْبِسوا ، ما كُنتُ أظُنُّ النَّاسَ يَرْكَبونَ الشَّيْطانَ ، هاتوا جَمَلي[10] .

---

(١) النكث : الغزل المنقوض .
(٢) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٨/٥ .
(٣) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٨/٦ .
(٤) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٨/٧ .
(٥) الفُسْطاط : الخَيْمَة .
(٦) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٨/٨ .
(٧) الجابية : قرية حوران .
(٨) أي قطن .
(٩) البرذون : بين البَغلة والحِمار .
(١٠) انظر السير : (عُمَر بن الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٩/١ .

وعن خباب قال : هاجَرْنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ونَحنُ نبتَغي وَجهَ الله ، فوَقعَ أجْرُنا على الله ، فمِنَّا مَنْ مَضَىٰ لسَبيلِه لَمْ يَأكلْ من أجْرِه شَيئاً ، منهم : مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر قُتلَ يَومَ أُحُد ولَمْ يَترُكْ إلاَّ نَمِرَةً[1] ، كُنَّا إذا غَطَّيْنا رَأسَه بَدَتْ رِجْلاهُ ، وإذا غَطَّيْنا رِجْلَيه بَدا رَأسُه ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « غَطُّوا رَأسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَىٰ رِجْلَيْه مِنَ الإذْخر »[2] ، ومِنَّا مَنْ أينَعَت له ثَمرَتُه فهو يَهْدِبُها[3] . ،[4] .

عن سَعدِ بنِ إبْراهيمَ ، سَمعَ أباه يَقولُ : أُتيَ عبدُ الرحمَـٰنِ بنُ عَوْف بطَعَام ، فجَعلَ يَبكي ، فقالَ : قُتِلَ حَمْزَةُ ، فلَمْ يوجد ما يُكفَّنُ فيه إلاَّ ثَوباً وَاحداً ، وقُتلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَير ، فلَمْ يُوجَد ما يُكفَّنُ فيه إلاَّ ثَوباً وَاحداً ، ولقد خَشيتُ أنْ يَكونَ عُجِّلَت لنا طَيباتُنا في حَياتِنا الدُّنيا ، وجَعلَ يَبكي[5] .

وعن أَنَس قالَ : دَخلَ سَعدٌ وابنُ مَسْعُود عَلَىٰ سَلْمانَ عندَ الْموتِ ، فبَكَىٰ فقيلَ له : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : عَهدٌ عَهِدَه إلينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لَمْ نَحْفَظْه قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنْ الدُّنْيَا كزَادِ الرَّاكبِ » وأمَّا أنتَ يا سَعدُ فاتَّقِ اللهَ في حُكمِكَ إذا حَكمتَ ، وفي قَسَمِكَ إذا قَسَمْتَ ، وعندَ هَمِّكَ إذا هَمَمتَ .

قالَ ثابتُ : فبَلغَني أنَّه ما تَركَ إلاَّ بضعَةً وعِشرينَ دِرْهَماً نُفَيْقَة كانت عندَه[6] .

وعن عِمْرانَ بنِ مُسْلِم ، قالَ : كانَ سُوَيْدُ بنُ غَفلَة إذا قيلَ له : أُعْطِيَ فُلانٌ ووُلِّيَ فُلانٌ قالَ : حَسْبي كِسْرَتي ومِلْحِي .

وعن عَليِّ بنِ الْمَديني قالَ : دَخلتُ مَنزِلَ أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، فما شَبَّهتُه إلاَّ بما وُصِفَ من بَيت سُوَيْدِ بنِ غَفلَة ، من زُهْدِه وتَواضُعِه ، رَحمَهُ الله[7] .

---

(١) النمرة : بُردة من صوف تلبسها الأعراب .
(٢) الإذخر : نبتٌ معروف ، طيّب الرائحة يَبيَضُّ إذا يَبس .
(٣) يَهْدبُها : يجْتَنيها .
(٤) انظر السير : (مُصْعَب بن عُمَيْر) ١/ ١٤٥ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ١٤٠/ ٥ .
(٥) انظر السير : (مُصْعَب بن عُمَيْر) ١/ ١٤٥ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ١٤١/ ١ .
(٦) انظر السير : (سَلْمان الفَارسيّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٥/ ١ .
(٧) انظر السير : (سُوَيْد بن غَفلَة) ٤/ ٦٩ـ ٧٣ ، وانظر النزهة : ٤٤٦/ ٦ .

وعن الحَسَن البَصْريّ قالَ : رَأيتُ عُثمانَ نائماً في الْمَسجِدِ ، حتَّىٰ جاءَه الْمُؤذِّنُ فقامَ فرَأيتُ أثرَ الحَصَىٰ علىٰ جَنبه[1] .

قالَ مَيمونُ بنُ مِهْران : أقَمتُ عندَ عُمرَ بنِ عبدِ العَزيز ستَّةَ أشْهُر ، ما رَأيتُه غيَّر رِداءَه ، كانَ يَغسِلُ من الجُمُعَةِ إلى الجُمُعَةِ ، ويُبيِّنُ بشَيء من زَعْفَران[2] .

وعن مَسْلَمَةَ بنِ عبدِ المَلِك قالَ : دَخلتُ علىٰ عُمرَ وقَميصُه وَسخٌ ، فقُلتُ لامْرأتِه ـ وهي أختُ مَسْلَمَة : اغْسِلوهُ قالت : نَفعَلُ ، ثم عُدتُ فإذا القَميصُ علىٰ حالِه ، فقُلتُ لها ، فقالت : واللهِ ما لَه قَميصٌ غَيرُه[3] .

وعن القاسِمِ بنِ مُخَيْمِرَة ، قالَ : لَمْ يَجتمعْ علىٰ مَائدتي لَونانِ من طَعامٍ قَطُّ ، ومَا أغْلَقتُ بابي قَطُّ وليَ خَلفَه هَمٌّ[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الخَليلِ بنِ أحمَد الفَرَاهِيدي : وثَّقَه ابنُ حِبَّان وقيلَ : كانَ مُتَقشِّفاً مُتعبِّداً قالَ النضر : أقامَ الخَليلُ في خُصٍّ[5] له بالبَصْرَةِ ، لا يَقدِرُ علىٰ فَلْسَين ، وتَلامذتُه يَكسِبُونَ بعِلمِه الأمْوالَ ، وكانَ كثيراً ما يُنشِدُ :

إذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْـراً يَكُـونُ كَصَـالِـحِ الأعْمَـالِ

وكان ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مُفرِطَ الذَّكاء ، وُلِدَ سَنةَ مئة ، وماتَ سَنةَ بِضعٍ وسِتِّينَ ومئة .

وكانَ هو ويُونُسُ إمَامَي أهْل البَصْرَة في العَربيَّة ، وماتَ ولمْ يُتِمَّ كتابَ « العَيْن » ولا هَذَّبه ، ولكن العُلماءَ يَغرِفونَ من بَحرِه .

قيلَ : كان يَعرفُ عِلمَ الإيقاع والنَّغَم ، ففَتحَ له ذلكَ عِلمَ العَروض وقيلَ : مَرَّ

---

(١) انظر السير : (الحَسَن البَصْريّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٠ .
(٢) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩٠ .
(٣) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٠ .
(٤) انظر السير : (القاسمُ بنُ مُخَيْمِرَة) ٥/ ٢٠١ـ٢٠٤ ، وانظر النزهة : ٦/٥٩٥ .
(٥) الخُصُّ : بيتٌ من شَجَر أو قَصَب .

بالصَّفَّارين[1] فأخَذه من وَقْع مِطْرَقَةٍ علىٰ طَسْتٍ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي داوُدَ الحَفَريِّ : حُكيَ أنه أبْطَأ يوماً في الخُروجِ إلى الجَماعَة ، ثم خَرجَ ، فقالَ : أعْتَذرُ إليكُم ، فإنَّه لمْ يَكُنْ لي ثَوبٌ غيرُ هـٰذا ، صَلَّيتُ فيه ، ثم أعْطَيتُه بَناتي حتَّىٰ صَلَّينَ فيه ثم أخَذتُه ، وخَرجتُ إليكُم[3] .

وتَزوَّجَ بامْرأة ، فأصْدَقَها ثَلاثَةَ دَنانير ، وكانَ قُوتُه كلَّ لَيلةٍ قُرصَين ، وبفلسٍ فجْل أو هندَبا .

قال أبو حَمْدون الطيبُ الْمُقْرئُ : دَفنَّا أبا دَاوُدَ الحَفريَّ ، رَحمَه اللهُ وتَركْنَا بابَه مَفْتوحاً ، ما كانَ في البَيتِ شَيءٌ .

ماتَ سَنةَ ثَلاثٍ ومئتين .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ماتَ وقد شَاخَ ، أحْسَبُه من أبْناء السَّبْعين[4] .

وقالَ ابنُ أبي حاتم : حدَّثنا صالحُ بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل قالَ : رُبَّما رَأيتُ أبي يَأخُذُ الكِسَرَ ، يَنفُضُ الغُبارَ عَنها ، ويُصيِّرُها في قَصْعَة ، ويَصُبُّ عَليها ماءً ثم يَأكُلُها بالْمِلْح وما رَأيتُه اشْتَرىٰ رُمَّاناً ولا سَفرْجَلاً ولا شَيئاً من الفاكِهَة ، إلاَّ أنْ تَكونَ بَطِّيخَةً فيأكُلها بخُبزٍ ، وعِنَباً وتَمْراً[5] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ أسْلَم ، قالَ محمَّدُ بنُ القاسِم : ودَخلتُ علىٰ محمَّدِ بنِ أسْلَم قَبلَ مَوْته بأرْبَعةِ أيَّام بنيسابُورَ ، فقالَ : يا أبا عبد الله ، تَعالَ أُبشِّرُك بما صَنعَ اللهُ بأخيكَ من الخَيرِ ، قد نَزلَ بي الْمَوتُ ، وقد مَنَّ اللهُ عليَّ أنَّه ما لي دِرهَم يُحاسِبُني اللهُ عليه ، ثم قالَ : أغْلِقِ البابَ ولا تَأذَنْ لأحَدٍ حتَّىٰ أمُوتَ وتَدفنون كُتبي واعْلمْ أنِّي أخرُجُ من الدُّنيا ولَيسَ أدَعُ ميراثاً غَيرَ كِسائي ولِبدي وإنائي الذي أتَوضَّأ فيه وكُتبي هـٰذه ، فلا

---

(1) الصَّفَّارون : جَمع صفَّار : وهو صانع الصُّفر والصُّفر النُّحاسُ الجيد أو ضرب منه .
(2) انظر السير : (الخَليل بن أحمَد الفَراهيدي) ٧/ ٤٢٩ـ ٤٣١ ، وانظر النزهة : ٧١٢/ ١٠ .
(3) انظر السير : (الحَفَريّ) ٩/ ٤١٥ـ ٤١٧ ، وانظر النزهة : ٨٣٤/ ١ .
(4) انظر السير : (الحَفَريّ) ٩/ ٤١٥ـ ٤١٧ ، وانظر النزهة : ٨٣٤/ ٤ .
(5) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٩٢٦/ ٥ .

تُكلِّفوا النَّاسَ مُؤنَة ، وكان معَه صُرَّة فيها نحو ثَلاثينَ دِرْهَماً ، فقالَ : هـٰذا لابني أَهْدَاهُ قَريبٌ له ، ولا أَعْلمُ شَيئاً أَحَلَّ لي منه ، لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قالَ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لأبيكَ » وقالَ صلى الله عليه وسلم : « أَطْيَبُ مَا أَكلَ الرَّجُلُ مِنْ كسْبِهِ ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كسْبِهِ » فكَفِّنُوني منها فإنْ أَصَبتُم لي بعَشْرَة ما يَسْترُ عَوْرَتي فلا تَشْتَروا بخَمسَة عَشَر وابْسُطُوا علىٰ جِنازَتي لِبَدي ، وغَطُّوا عليها كِسَائي وأَعْطُوا إنائي مِسْكيناً[١] .

ولا أعلَمُ مُنذُ صَحبتُه وَصَل أَحداً بأقَلَّ من مِئة دِرْهَم إلاَّ أن لا يمُكِنَه ذلك وكانَ يَقولُ لي : اشْتَرِ لي شَعيراً أَسْوَدَ ، فإنَّه يَصيرُ إلى الكَنيفِ ، ولا تَشْتَرِ لي إلاَّ ما يَكفيني يَوماً بيَومٍ ، واشْتَريتُ له مرَّة شَعيراً أبيضَ ، ونقَّيتُه ، وطَحَنتُه فرآهُ ، فتَغيَّرَ لَونُه ، وقالَ : إنْ كُنتَ تَنَوَّقْتَ فيه ، فأَطْعِمهُ نَفسَك ، لَعلَّ لكَ عندَ الله أعْمالاً تَحْتَملُ أنْ تُطعِمَ نفسَك النَّقيَّ ، وأمَّا أنا ، فقَد سِرْتُ في الأرضِ ، ودُرْتُ فيها ، فبالله ما رَأيتُ نَفساً تُصلِّي أشَرَّ عندي من نَفسِي فبِمَ أَحْتجُّ عندَ الله إنْ أَطْعَمتُها النَّقيَّ ؟ خُذْ هـٰذا الطَّعامَ ، واشْتَرِ لي كُلَّ يَومٍ بقِطعَة شَعير رَديئاً ، واشْتَرِ لي رَحَىٰ فجِئْني به حتَّىٰ أَطْحَنَ بيَدي وآكُلَه ، لَعلِّي أَبْلغُ ما كان فيه عليٌّ وفاطِمَة رَضيَ اللهُ عَنهُما[٢] .

وقالَ السُّلميُّ : سَمعتُ أبا سَهْل الصُّعْلوكِيَّ يقول : ما عَقدتُ علىٰ شَيءٍ قَطُّ ، وما كانَ لي قَفلٌ ولا مِفْتاحٌ ولا صَرَرتُ علىٰ فِضَّة ولا ذَهَب قَطُّ[٣] .

وقالَ ابنُ باكَويه : سَمعتُ ابنَ خَفيف يَقولُ : ما وَجَبَتْ عَليَّ زَكاةُ الفِطْرِ أَرْبَعينَ سَنةً[٤] .

وقالَ الحافِظُ أبو القاسِمِ بنُ عَساكر : قَدِمَ الفَقيهُ نَصْر دِمَشْقَ سَنةَ ثَمانينَ وأَرْبَع مئة ، فأقامَ بها يُدَرِّسُ الْمَذهَبَ إلىٰ أنْ ماتَ ، ويَروي الحَديثَ ، وكانَ فَقيهاً ، إمَاماً ، زَاهِداً ، عَامِلاً ، لَمْ يَقبلْ صِلةً من أَحَدٍ بدِمَشْقَ ، بلْ كانَ يَقتاتُ من غَلَّةٍ تُحمَلُ إليه من

---

(١) انظر السير : (محمد بن أَسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٢ .
(٢) انظر السير : (محمد بن أَسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٣ .
(٣) انظر السير : (الصُّعْلوكِيّ) ١٦/ ٢٣٥ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٩١ .
(٤) انظر السير : (ابنُ خَفيف) ١٦/ ٣٤٢ـ٣٤٧ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٩٨ .

أرْضِ نابُلسَ ، فَيَخْبِزُ له كلَّ يوم قُرصَة في جانبِ الكَانُون حَكَىٰ لنا نَاصِرٌ النَّجّار ـ وكانَ يَخدُمُه ـ من زُهْدِه وتَقلُّلِه وتَركِه الشَّهَوَاتِ أشْياءَ عَجيبَة[1] .

وكانَ الرِّفاعِيُّ لا يَجمَعُ بينَ لبسِ قَميصَينِ ، ولا يَأكُلُ إلاَّ بعدَ يَومَين أو ثَلاثةٍ أكْلةً ، وإذا غَسلَ ثَوبَه ، يَنزِلُ في الشَّطِّ كمَا هو قائمٌ يَفرُكُه ، ثم يَقفُ في الشَّمسِ حتَّىٰ يَنشَف ، وإذا وَرَدَ ضَيفٌ ، يَدُورُ علىٰ بُيُوتِ أصْحابِه يَجمَعُ الطَّعامَ في مِئْزَر[2] .

١٣ـ ضَابطٌ للزُّهْد :

قالَ أبو هِشام : حدَّثنا وَكيعٌ : سَمعتُ سُفيانَ الثَّوريَّ يَقولُ : لَيسَ الزُّهْدُ بأكلِ الغَليظِ ، ولبس الخَشن ، ولكنَّه قِصَرُ الأمَل ، وارْتِقابُ الْمَوتِ[3] .

وعن شَقيقٍ قالَ : كُنتُ شاعراً ، فرَزَقني اللهُ التَّوْبَة ، وخَرجتُ من ثَلاثِ مئة ألفِ دِرْهَم ، ولَبستُ الصُّوفَ عشرينَ سَنةً ، ولا أدْري أنِّي مُراءٍ حتَّىٰ لَقيتُ عبدَ العَزيز بنِ أبي رَوَّاد ، فقالَ : لَيسَ الشَّأنُ في أكلِ الشَّعيرِ ولُبسِ الصُّوفِ ، الشَّأنُ أنْ تَعرفَ اللهَ بقَلبك ، ولا تُشْرِكْ به شَيئاً ، وأنْ تَرضَىٰ عن الله ، وأنْ تَكونَ بما في يَدِ اللهِ أوْثَقَ مِنك بما في أيْدي النَّاسِ[4] .

١٤ـ كراهَةُ بَعضِ السَّلف لغَير الأثَر جَعلتْهم يُغلون في ذَمِّ بَعض كتبِ الزُّهْد :

قالَ سَعيدُ بنُ عَمرو البَرْذَعي : شَهدتُ أبا زُرْعَةَ الرَّازي ، وسُئِلَ عن الْمُحاسِبيِّ وكُتُبه ، فقالَ : إيَّاكَ وهَـٰذه الكُتُب ، هَـٰذه كُتُب بِدَعٍ وضَلالاتٍ ، عَليكَ بالأثَرِ تَجدْ غُنْيَةً ، هَلْ بَلَغَكم أنَّ مَالكاً والثَّوريَّ والأوْزاعيَّ صَنَّفُوا في الخَطَراتِ والوَسَاوِسِ ؟ وما أسْرعَ النَّاسَ إلى البِدَعِ .

ماتَ الْمُحاسِبيُّ سَنةَ ثَلاثٍ وأرْبَعين ومئتين[5] .

---

(١) انظر السير : (الفَقيهُ نَصْر) ١٩/ ١٣٦ـ ١٤٣ ، وانظر النزهة : ١/١٤٧١ .

(٢) انظر السير : (الرِّفاعِيّ) ٢١/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٧/١٦٠١ .

(٣) انظر السير : (سُفْيان الثَّوريّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٩٦ .

(٤) انظر السير : (شَقيق) ٩/ ٣١٣ـ ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٨٢٣/ ٤ .

(٥) انظر السير : (الْمُحاسِبيُّ) ١٢/ ١١٠ـ ١١٢ ، وانظر النزهة : ٦/٩٨٨ .

سَلامَة الصَّدْر للمُسْلِمين

قالَ زَيدُ بنُ أسْلَم : دُخِلَ علىٰ أبي دُجانَةَ الأنصاري وهو مَريضٌ ، وكانَ وَجهُه يَتهَلَّلُ فقيلَ له : ما لِوَجهِكَ يَتهلَّلُ ؟ فقالَ : ما من عَملٍ شَيء أوْثَق عندي من اثْنَتين : كُنتُ لا أتكلَّمُ فيما لا يَعنيني ، والأخرَىٰ فكان قَلبي للمُسلمينَ سَليماً[1] .

وقيلَ : إنَّ أبا إسْحاقَ الشِّيرازيَّ نَزَعَ عِمامَتَه ـ وكانَت بعِشرينَ دِيناراً ـ وتَوضَّأ في دِجْلَة ، فجاءَ لِصٌّ فأخَذَها ، وتَركَ عِمامَةً رَديئةً بدَلَها ، فطَلعَ الشَّيخُ فلَبِسَها ، وما شَعرَ حتَّىٰ سَألُوه وهو يُدَرِّسُ ، فقالَ : لَعلَّ الذي أخَذَها مُحتاجٌ[2] .

شُكرُ النِّعَم

١ـ تَعْريفُ الشُّكر :

قالَ أبو سَهْل الصُّعْلوكيُّ : سَمعتُ أبا محمَّد الْمُرْتَعِش يَقولُ : قالَ الجُنَيْدُ : كُنتُ بينَ يَدَي السَّريِّ ألْعَبُ وأنا ابنُ سَبعِ سِنينَ ، فتكلَّموا في الشُّكرِ ، فقالَ : يا غُلامُ ما الشُّكرُ ؟ قُلتُ : أنْ لا يُعْصَى اللهَ بنِعَمِه ، فقالَ : أخْشَىٰ أنْ يَكونَ حظَّكَ من اللهِ لسانُك قالَ الجُنَيْدُ : فلا أزالُ أبْكي علىٰ قَولِه[3] .

٢ـ التَّحَدُّثُ بنِعَم الله من شُكرِ النِّعَم :

عن أبي هُرَيْرَةَ : أنَّه صلَّىٰ بالنَّاسِ يَوماً ، فلمَّا سَلَّمَ ، رَفعَ صَوتَه ، فقالَ : الحَمدُ لله الذي جَعلَ الدين قِوَاماً ، وجَعلَ أبا هُرَيْرَةَ إماماً ، بعدَ أنْ كانَ أجيراً لابنَةِ غَزْوَانَ علىٰ شِبَعِ بَطْنِه ، وحَمُولَةِ رِجْلِه[4] .

وعن مُضَاربِ بنِ حَزْن ، قالَ : بَينا أنا أسيرُ تَحتَ اللَّيلِ ، إذا رَجلٌ يُكبِّرُ ، فألْحَقه

---

(١) انظر السير : (أبو دُجانَة الأنصاري) ١/ ٢٤٣ـ ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/ ١٥٤ .
(٢) انظر السير : (أبو إسْحاق الشِّيرازيّ) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٣٠ .
(٣) انظر السير : (الجُنَيْدُ) ١٤/ ٦٦ـ ٧٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٣٣ .
(٤) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/ ٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/ ٣١٢ .

بَعيري فقُلتُ : مَنْ هـٰذا ؟ قالَ أبو هُرَيْرَة قُلتُ : وما التَّكبيرُ ؟ قالَ : شُكرٌ قُلتُ : علىٰ مَه ؟ قالَ : كُنتُ أجيراً لبَسْرَة بنتِ غَزْوَان بعُقْبَةِ رِجْلي[1] ، وطَعامِ بَطنِي ، وكانوا إذا رَكِبُوا ، سُقتُ بهم ، وإذا نزَلوا خَدمتُهم ، فزَوَّجَنيها اللهُ! فهي امْرأتي[2] .

٣ـ اخْشَوْشِنوا فإنَّ النِّعَمَ لا تَدوم :

قالَ يَحْيَىٰ بنُ بُكيْر : قَدِمَ جَماعَةٌ من الْمِصْريِّينَ الْمَدينَةَ ، فأتوا بابَ سالِمِ بنِ عبدِ الله ، فسَمِعوا رُغاءَ بَعير فبَينا هم كذلك خَرجَ عَليهم رَجلٌ شَديد الأدَمَة ، مُتَّزِرٌ بكِساءِ صُوفٍ إلىٰ ثندُوتِه ، فقالوا له : مَوْلاكَ داخل ؟ قالَ : مَنْ تُريدُونَ ؟ قالوا : سَالِمٌ قالَ : فلمَّا كلَّمَهم ، جاءَ شيءٌ غيَّرَ المنظَر ، قالَ : مَنْ أرَدتُم ؟ قالوا : سَالِمٌ قالَ : ها أنا ذَا فما جاءَ بكُم ؟

قالوا : أرَدْنا أنْ نُسَائلَكَ قالَ : سَلوا عمَّا شِئتُم وجَلسَ ويَدُه مُلَطَّخَةٌ بالدَّمِ والقَيْح الذي أصَابَه من البَعيرِ ، فسَألوه[3] .

وعن مَيْمُونَ بنِ مِهْران قالَ : دَخلتُ على ابنِ عُمَرَ ، فقَوَّمتُ كلَّ شَيء في بيتِه ، فمَا وَجدتُه يَسْوىٰ مئة دِرْهَم ، ثم دَخلتُ مَرَّة أخرىٰ ، فما وَجدتُ ما يَسْوىٰ ثَمنَ طَيْلُسان ، ودَخلتُ علىٰ سالِم من بَعدِه ، فوَجدتُه علىٰ مثل حالِ أبيه[4] .

وعن أبي سَعْد قالَ : كانَ سالِمُ غَليظاً كأنَّه حَمَّال ، وقيلَ : كانَ علىٰ سَمتِ أبيه في عَدَمِ الرَّفاهيَة[5] .

٤ـ صُوَرٌ من شُكر النِّعَم :

قالَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله : لأنْ أُعافَىٰ فأشْكُر أحَبُّ إليَّ من أنْ أُبْتَلَىٰ فأصْبِر[6] .

---

(١) أي : نوبة ركوبه .
(٢) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣١٢ .
(٣) انظر السير : (سَالمُ بنُ عبد الله) ٤/٤٥٧ـ ٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٣١ .
(٤) انظر السير : (سَالمُ بنُ عبد الله) ٤/٤٥٧ـ ٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٣١ .
(٥) انظر السير : (سَالمُ بنُ عبد الله) ٤/٤٥٧ـ ٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٣٣ .
(٦) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله) ٤/١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٨/٤٧٦ .

وعن محمَّدِ بنِ مَنْصُور ، أنَّه سُئِلَ : إذا أكَلتُ وشَبعتُ فمَا شُكرُ تلك النِّعمَة ؟ قالَ : أنْ تُصلِّي حتَّىٰ لا يَبقَىٰ في جَوْفِك منه شَيءٌ[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ : بَلغَنا أنَّ الْمُزَنيَّ كانَ إذا فَرغَ من تَبييضِ مَسألَة ، وأوْدَعَها مُختصَرَه ، صلَّىٰ لله رَكعَتَين[2] .

الصَّبْر

١ـ الصَّبْرُ مُفيدٌ :

من أقوال أمير المؤمنين الْمُسْتَظْهِر باللهِ العَبَّاسيِّ : « الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائدِ يُنْتِجُ الفَوَائدَ »[3] .

٢ـ الصَّبْرُ على الأذَىٰ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ البُخاريِّ : قال له عبدُ الْمَجيدِ ابنُ إبْراهيمَ : كَيْفَ لا تَدْعو اللهَ علىٰ هؤلاءِ الذين يَظْلِمونَكَ ويَتَناوَلُونك ويَبْهَتُونَكَ ! ! ؟ ، فقال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « اصْبِرُوا حتّىٰ تَلْقَوْني على الحَوْضِ »[4] .

٣ـ الصَّبْرُ على المُتَعلِّمين :

جاءَ في تَرجَمَةِ أبي عبدِ الله القَعْنَبيِّ ، قالَ أبو حاتم : ثِقَةٌ حُجَّةٌ لمْ أرَ أخْشَعَ منه ، سَألنَاه أنْ يَقرأ عَلينا « الْمُوَطَّأ » فقالَ : تَعالوا بالغَدَاة ، فقُلنا : لنا مَجلِسٌ عندَ حَجَّاجِ بنِ مِنْهَال ، قالَ : فإذا فَرَغتم منه قُلنا : نَأتي حينئذ مُسْلمَ بنَ إبْراهيمَ قالَ : فإذا فَرَغتم قُلنا : نَأتي أبا حُذَيْفَةَ النَّهْديَّ قالَ : فبَعدَ العَصْرِ قُلنا : نَأتي عَارِماً أبا النُّعْمَان ، قالَ : فبَعدَ الْمَغربِ فكانَ يَأتينا باللَّيلِ ، فيَخرُجُ عَلينا ، وعَليه كبْلٌ[5] ما تَحتَه شَيءٌ في

---

(١) انظر السير : (محمّد بن مَنصور) ١٢/ ٢١٢ـ ٢١٤ ، وانظر النزهة : ٩٩٤ / ٤ .

(٢) انظر السير : (الْمُزَنيُّ) ١٢/ ٤٩٢ـ ٤٩٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢٤ .

(٣) انظر السير : (الْمُسْتَظْهِرُ بالله) ١٩/ ٣٩٦ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٨٩ .

(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٩ .

(٥) الكَبْلُ : الفَرو الكبير .

الصَّيفِ ، فكانَ يَقرأ عَلينا في الحَرِّ الشَّديدِ حينئذ .

قالَ عَمرُو بنُ عَليّ بن الفَلاَّس : كانَ القَعْنَبيُّ مُجابَ الدَّعْوَة[1] .

٤ـ الصَّبْرُ علىٰ قَسْوَة الإخْوان :

قال محمَّد بنُ الفَيْضِ : قَدِمَ ابنُ أكْثَمَ دِمَشْقَ مع المأمون ، فبَعَثَ إلىٰ أحمدَ بنِ أبي الحَوَاريّ ، فجاءَ إليه وجالَسَه ، فخَلَعَ يَحْيىٰ عليه طويلةً وملبوساً ، وأعْطاهُ خَمْسَةَ آلافِ درهم ، وقال : فَرِّقْها يا أبا الحَسَن حيثُ تَرَىٰ ، فدَخَلَ بها المَسْجِدَ وصلّىٰ صَلَواتٍ بالخِلعَة ، فقالَ قاسمُ الجُوعيُّ : أَخَذَ دَراهمَ اللُّصُوص ، ولَبِسَ ثيابَهم ، ثمَّ أتى الجَامِعَ ومَرَّ به وهو في التَّحِيَّاتِ ، فلمَّا حَذاه لَطَمَ القَلَنْسُوة ، فَسَلَّمَ أحمَدُ ، وأعْطى القَلَنْسُوةَ ابنَه إبراهيمَ ، فذَهَبَ بها ، فقال له مَنْ رَآهُ : ما رَأيتَ ما فَعَل بك هـٰذا ؟ فقالَ : رَحِمَه الله[2] .

٥ـ صُوَرٌ على الصَّبْر :

قالَ ثابتٌ : جاءَ رَجلٌ إلىٰ صِلَةَ بنِ أَشْيَم بنَعْي أخيه ، فقالَ له : إدْنُ فكُلْ فقَد نُعِيَ إليَّ أخي مُنذُ حين ، قالَ تَعالَىٰ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3] ،[4] .

عن هِشَام بنِ عُرْوَةَ ، أنَّ أبَاهُ خَرَجَ إلى الوَليدِ بنِ عبد المَلِك ، حتىٰ إذا كان بوادِي القُرىٰ ، وَجَدَ في رِجْلِهِ شيئاً فظَهَرتْ به قُرحَةٌ ، ثمَّ تَرَقَّىٰ به الوَجَعُ ، وقَدِمَ على الوَليدِ وهو في مَحمِلٍ ، فقال : يا أبا عبدَ الله اقْطَعْها ، قال : دُونَك فدَعا له الطَّبيبَ ، وقال : اشْرَبْ المُرقِد فلَمْ يَفْعَلْ ، فقَطَعَها من نِصْفِ السَّاقِ ، فما زَادَ أن يقولَ : حَسٍّ ، حَسٍّ ، فقال الوَليدُ : ما رأيتُ شَيْخاً قَطُّ أصْبرَ من هـٰذا ، وأُصِيبَ عُرْوَةُ بابنِه مُحمَّد في ذلكَ السَّفَرِ ، رَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ في إصْطَبْلٍ لَمْ يُسْمَعْ منه في ذلكَ كَلِمَةٌ فلمَّا كان

---

(١) انظر السير : (القَعْنَبيُّ) ١٠/٢٥٧ـ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/٨٧٥ .

(٢) انظر السير : (الجُوعيّ) ١٢/٧٧ـ٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٤ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٠

(٤) انظر السير : (صِلَةُ بن أَشْيَم) ٣/٤٩٧ـ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/٤١٦ .

بِوَادِي القُرَىٰ قال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾[1] اللَّهُمَّ كان لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ ، فأَخَذْتَ واحِداً وأبْقَيْتَ لِي سِتَّةً ، وكان لِي أطْرَافٌ أرْبَعَةٌ ، فأَخَذْتَ طَرفاً ، وأبْقَيْتَ ثلاثةً ، ولَئِنْ ابْتَلَيْتَ ، لقَد عافَيْتَ ، ولَئِنْ أخَذْتَ لقَد أبْقَيْتَ[2] .

٦ـ ضَابطٌ في الصَّبْر :

عن السَّفَّاح قال : إذا عَظُمَت القُدْرَة ، قَلَّت الشَّهْوَة قَلَّ تبرُّعٌ إلاَّ ومَعَه حَقٌّ مُضَاعٌ ، الصَّبرُ حَسنٌ إلاَّ علىٰ ما أوْتغَ[3] الدِّين وأوْهَنَ السُّلطانَ[4] .

الصَّمْت

١ـ الصَّمْتُ يُتَعَلَّم :

قالَ مُوَرِّقٌ : تَعلَّمتُ الصَّمتَ في عَشرِ سِنين ، وما قُلتُ شَيئاً قَطُّ إذا غَضبتُ أنْدَمُ عليه إذا زَالَ غَضبي[5] .

٢ـ فَضْلُ الصَّمْت :

عن أبي بَكْر بن عيَّاش قالَ : أدْنَىٰ نَفعُ السُّكوتِ السَّلامَةُ ، وكَفَىٰ به عافيَةً ، وأدْنَىٰ ضَرَرُ الْمَنْطِقِ الشُّهْرَة ، وكَفَىٰ بها بَليَّة[6] .

٣ـ الصَّمْتُ حَسَنٌ إلاَّ في الخَيْر :

عن يَعْلَىٰ بنِ عُبَيد قالَ : دَخلنا على ابنِ سُوقَة ، فقالَ : يا ابنَ أخي! أُحدِّثُكم بحَديث لَعلَّه يَنفَعُكم ، فقد نَفَعَني قالَ لنا عَطاءُ بنُ أبي رَبَاح : إنَّ مَنْ قَبلَكم كانوا يَعُدُّونَ فُضولَ الكَلامِ ما عَدا كتاب الله ، أو أمْرٍ بمَعْروفٍ ، أو نَهْي عن مُنكَر ، أو أنْ

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٦٢

(٢) انظر السير : (عُروَة) ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٢٧ .

(٣) أوْتَغ : أفسَد وأهْلَك .

(٤) انظر السير : (السَّفَّاح) ٦/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٢ .

(٥) انظر السير : (مُوَرِّق) ٤/ ٣٥٣ـ ٣٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٥٠٩ .

(٦) انظر السير : (أبو بكر بن عيَّاش) ٨/ ٤٩٥ـ ٥٠٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨٧ .

تَنطِقَ في مَعيشَتِك التي لا بُدَّ لك منها ، أَتُنْكِرُون أنَّ عَليكم حافِظينَ كِراماً كاتِبينَ ، عَن اليَمينِ وعن الشِّمَالِ قَعيد ، ما يَلفِظُ من قَولٍ إلاَّ لَدَيه رَقيبٌ عَتيدٌ ، أما يَسْتَحي أَحَدُكُم لَوْ نُشِرَت صَحيفَتُه التي أَمْلَىٰ صَدرَ نَهارِهِ ، ولَيسَ فيها شَيءٌ من أَمْرِ آخِرَتِه[1] .

وقالَ يَزيدُ بنُ عبد الصَّمَد ، سَمعتُ أبا مُسْهِر ، سَمعتُ سَعيدَ بنَ عبد العَزيز يَقولُ : لا خَيرَ في الحَياةِ إلاَّ لأَحَدِ رَجُلَين : صَموتٍ وَاعٍ ، وناطِق عارِف[2] .

٤ـ الصَّمْتُ يُقَلِّلُ من الأَخْطَاء :

قالَ السَّمْعانِيُّ : سَمعتُ أبا بَكْر محمَّدَ بنَ القاسِمِ الشَّهْرُزُوريَّ بالْمَوْصِلِ يَقُولُ : كان شَيخُنا أبو إسْحاقَ الشِّيرازِيُّ إذا أخْطأ أحَدٌ بينَ يَديه قالَ : أيُّ سَكْتَة فَاتَتك[3] .

٥ـ ضَابطٌ لكراهِيَة السَّلَف لفُضُول الكلام :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ شَيخِ الإسْلام الْمُعَافَىٰ بن عِمْران : قالَ مرَّةً رَجُلٌ : ما أَشَدَّ البَردَ اليَومَ ، فالْتَفتَ إليه الْمُعَافَىٰ ، وقالَ : اسْتَدْفَأْتَ الآنَ ؟!! ، لَوْ سَكتَّ ، لَكانَ خَيراً لك[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعَقِّباً : قَولُ مثل هـٰذا جائزٌ ، لكنَّهم كانوا يَكرَهُونَ فُضولَ الكَلام ، واخْتلفَ العُلمَاءُ في الكَلامِ الْمُباحِ ، هَلْ يَكتُبُه الْمَلَكان ، أم لا يَكتُبان إلاَّ الْمُسْتَحبَّ الذي فيه أجْرٌ ، والْمَذْمُومَ الذي فيه تَبعَة ، ؟ والصَّحيحُ كِتابَةُ الجَميع لِعُمُوم النَّصِّ في قَولِه تَعالَىٰ : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[5] ، ثم لَيسَ إلى الْمَلَكَينِ اطِّلاعٌ على النِّيَّاتِ والإخْلاصِ ، بل يَكتُبانِ النُّطْقَ ، وأمَّا السَّرائرُ البَاعِثَةُ للنُّطقِ ، فالله يَتولاَّها[6] .

---

(١) انظر السير : (عَطاء بن أبي رَباح) ٥/ ٧٨ـ ٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٣ .
(٢) انظر السير : (سعيد بن عبد العزيز) ٨/ ٣٢ـ ٣٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٤ .
(٣) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازيُّ) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٣٠ .
(٤) انظر السير : (الْمُعَافَىٰ) ٩/ ٨٠ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٦/٨٠٠ .
(٥) سورة ق ، الآية : ١٨ .
(٦) انظر السير : (الْمُعَافَىٰ) ٩/ ٨٠ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٠ .

العِفَّة

١ـ الحَثُّ عَلىٰ عِفَّة اللِّسَان :

قالَ أبو جَعْفَر الباقِر : سِلاحُ اللِّئام قُبْحُ الكَلام[1] .

قالَ يَعقوبُ الفَسَويُّ حينَما بَلغَه قَولُ يَحْيَىٰ : مَنْ فَضَّلَ عبدَ الرحمَـٰن عَلىٰ وَكيعٍ فعَليه اللَّعْنَة ، فقالَ يَعْقوبُ : كان غيرُ هـٰذا أشْبَه بكَلامِ أهلِ العِلمِ ، ومَنْ حاسَبَ نَفسَه ، لَمْ يَقُلْ مثلَ هَـٰذا ، وَكيعٌ خَيِّرٌ فاضِلٌ حافِظٌ[2] .

٢ـ مَنْ كانَ مُبْتعِداً عن الفَواحِش في الجاهليّة :

عن عُرْوَةَ ، عن عائشَةَ أنَّها كانت تَدْعو علىٰ مَنْ زَعَمَ أنَّ أبا بَكر قالَ هـٰذه الأبْيات ، وقالَتْ : واللهِ ما قالَ أبو بَكر شِعْراً في جاهليّةٍ ولا في إسْلام ، وقد تَرَكَ هو وعُثْمانُ شُرْبَ الخَمْرِ في الجَاهليّة[3] .

٣ـ صُوَرٌ مِنْ عِفَّة اللِّسَان :

جاءَ في تَرجَمَةِ شَقيقِ بنِ سَلمَة ، قالَ عاصِمُ بنُ أبي النَّجُودِ : ما سَمعتُ أبا وَائل سَبَّ إنْسَاناً قَطُّ ولا بَهيمَةً[4] .

وعن إبْراهيمَ ، قالَ : قالَ فُلانٌ : ما أرَى الرَّبيعَ بنَ خُثَيْم تَكلَّم بكَلام منذُ عِشرينَ سَنةً إلاَّ بكَلمَةٍ تَصعَدُ ، وعن بَعضِهم قالَ : صَحِبتُ الرَّبيعَ عِشرينَ عَاماً ما سَمعتُ منه كَلمَةً تُعابُ[5] .

وعن عَمرو بنِ مالِك ، سَمعَ أبا الجَوْزاء يَقولُ : ما لَعنتُ شَيئاً قَطُّ ، ولا أكَلتُ شَيئاً مَلعُوناً قَطُّ ، ولا آذَيتُ أحَداً قَطُّ .

---

(١) انظر السير : (أبو جَعْفَر الباقِر) ٤/ ٤٠١ـ ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٧/٥٢٣ .

(٢) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨١٠ .

(٣) انظر السير : (أبو بَكر الصدِّيق) ، وانظر النزهة : ١/٢٦ .

(٤) انظر السير : (شَقيقُ بنُ سَلَمَة) ٤/ ١٦١ـ ١٦٦ ، وانظر النزهة : ٢/٤٦٩ .

(٥) انظر السير : (الرَّبيع بن خُثَيْم) ٤/ ٢٥٨ـ ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ١/٤٩٣ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : انْظُرْ إلىٰ هَـٰذا السَّيِّدِ ، واقْتَدِ به[1] .

وعن الْمُثَنَّىٰ بنِ الصبَّاح قالَ : لَبِثَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه أرْبَعينَ سَنَةً لَمْ يَسُبَّ شَيئاً فيه الرُّوحُ ، ولَبِثَ عِشرينَ سَنَةً لَمْ يَجْعَلْ بَينَ العِشَاءِ والصُّبحِ وُضُوءاً ، قالَ : وقالَ وَهْبٌ : لقد قَرأتُ ثَلاثين كِتاباً نَزَلت علىٰ ثَلاثينَ نَبيّاً[2] .

قالَ أبو بَكر بنُ عيَّاش : ما سَمعتُ أبا إسْحاقَ السَّبيعي يَعيبُ أحَداً قطُّ ، وإذا ذَكَرَ رَجُلاً من الصَّحابَة ، فكأنَّه أفضَلُهم عندَه .

تُوفِّيَ أبو إسْحاقَ في سَنَةِ سَبع وعِشْرينَ ومئة يومَ دُخولِ الضَّحَّاك ابنِ قَيْس غَالباً عَلى الكُوفَة عاشَ ثلاثاً وتِسْعينَ سَنةً[3] .

قالَ الفَلاَّسُ : ما سَمعتُ وَكيعاً ذَاكِراً أحَداً بسُوءٍ قَطُّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : مع إمامَتِه ، كَلامُه نزْرٌ جداً في الرِّجالِ[4] .

٤ـ صُوَرٌ مِنْ عِفَّة الفَرْج :

عن إسْماعيلَ القاضي ، قالَ : دَخلتُ على الْمُعْتَضِدِ بالله وعلىٰ رَأسه أحْداثُ رُومٍ مِلاحٌ ، فنَظَرتُ إليهم ، فَرآني الْمُعْتَضِدُ أتأمَّلُهم ، فلمَّا أردتُ الانْصرافَ أشارَ إليَّ ، ثم قالَ : أيُّها القاضِي! والله ما حَللتُ سَراويلي علىٰ حَرامٍ قطُّ[5] .

وقالَ الْمُوَفَّقُ عبدُ اللَّطيف : كانَ العَزيزُ شاباً ، حَسَنَ الصُّورَة ، ظَريفَ الشَّمائلِ ، قَوياً ، ذا بَطْش ، وأَيْد ، وخِفَّة حَرَكة ، حَيياً ، كَريماً ، عَفيفاً عن الأمْوالِ والفُروجِ ، بلَغَ من كَرمه أنَّه لمْ يَبْقَ له خِزانة ، ولا خَاص ، ولا فرس وبُيوتُ أُمَرائِه تَفيضُ بالخَيْراتِ ، وكانَ شُجاعاً مِقْداماً ، بلغَ من عِفَّتِه أنَّه كانَ له غُلامٌ تُرْكيٌّ بألفِ دينارٍ يُقالُ له : أبو شامَة ، فوَقَفَ ، فرَاعَه حُسْنُه ، فأمْرَه أنْ يَنْزِعَ ثيابَه ، وجَلسَ منه مَجْلِسَ

---

(١) انظر السير : (أبو الجَوْزاء) ٤/ ٣٧١ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٢ .

(٢) انظر السير : (وَهْب بن مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٣ .

(٣) انظر السير : (أبو إسْحاقَ السَّبيعي) ٥/ ٣٩٢ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٦١٦ .

(٤) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨١١ .

(٥) انظر السير : (الْمُعْتَضِدُ بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠٣ .

الخَنا ، فأدْرَكه تَوْفيقٌ ، فأسْرَعَ إلىٰ سَريَّة له ، فقَضَىٰ وَطَرَه[1] .

قالَ سِبطُ الجَوْزيّ : كانَ الأشْرَفُ يَحضُرُ مَجالِسي بحرَّانَ ، وبخِلاطَ ، ودِمَشْقَ وكان مَلكاً عَفيفاً ، قالَ لي : ما مَدَدتُ عَينيَّ إلىٰ حَريمِ أحَد ولا ذَكَر ولا أنثىٰ جاءَتني عَجوزٌ من عندِ بنتِ صاحِبِ خِلاط شَاه أرْمَن بأنَّ الحاجِبَ عَليّاً أخَذَ لها ضَيْعَةً فكَتَبتُ بإطْلاقِها ، فقالَت العَجوزُ : تُريدُ أنْ تَحضُرَ بينَ يَدك ، فقُلتُ : باسْمِ الله ، فجاءَت بها فلَمْ أرَ أحْسَنَ من قَوامِها ولا أحْسَنَ من شَكْلِها ، فقُمتُ لها ، وقُلتُ : أنْتِ في هٰذا البَلَدِ وأنا لا أدْري ؟ فسَفرَت عن وَجْهٍ أضاءَت منه الغُرفَة ، وقُلتُ : لا ، اسْتَتِري فقالَت : ماتَ أبي واسْتَولَىٰ على المَدينَة بكتمر ، ثم أخَذَ الحاجِبُ قَرْيَتي وبَقيتُ أعيشُ من عَمَلِ النَّقْش وفي دارٍ بالكِراء فبَكَيتُ لها ، وأمَرْتُ لها بدارٍ وقِماشٍ ، فقالَت العَجوزُ : يا خَوَنْد ألا تَحْظَى الليلةَ بك ؟ فوَقَعَ في قَلْبي تَغيُّرُ الزَّمانِ وأنَّ خِلاطَ يَملِكُها غَيري ، وتَحْتاجُ بنتي أنْ تَقْعُدَ هٰذه القَعْدَة ، فقُلتُ : مَعاذَ الله ، ما هٰذا من شِيمَتي فقامَت الشَّابَّةُ باكيَةً تقولُ : صَانَ اللهُ عَواقِبَك[2] .

القَناعَة

١ـ أقْوالٌ تَحُثُّ على القَناعَة :

قال عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله : مَنْ تَجاوَزَ الكَفَافَ لَمْ يُغْنِه الإكْثَارُ[3] .

وقالَ أيضاً : مَنْ ارْتَحَلَه الحِرْصُ ، أضْنَاهُ الطَّلبُ[4] .

نقل أبو عبد الرحمٰن السُّلميّ في « مِحَن الصُّوفيّة » أن بُناناً الحَمَّال قام إلىٰ وزير خُمارويه ـ صاحب مصر ـ وكان نَصْرانيّاً فأنزله عن مَركوبه وقال : لا تركب الخيلَ وعيِّر ، كما هو مَأخوذ عليكم في الذِّمَّة ، فأمر خُمارويه بأن يُؤخَذ ويُوضع بين يدي

---

(١) انظر السير : (العَزيز) ٢١/ ٢٩١ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦٢٥ .
(٢) انظر السير : (الأشْرَف) ٢٢/ ١٢٢ـ ١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٧٣ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله) ١٤/ ٤٢ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٨ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله) ١٤/ ٤٢ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٥/١١٢٨ .

سَبُع ، فطُرِحَ ، فبقي ليلةً ، ثم جاؤوا والسَّبُعُ يلحَسُه وهو مُستَقبِل القِبْلَة ، فأطلَقَه خُمارويه واعْتذَرَ إليه[1] .

وقالَ أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي : مَنْ قَنعَ ، طَابَ عَيْشُه ومَنْ طَمعَ طال طيشُه[2] .

٢ـ صُوَرٌ على القَناعَة :

عن أبي وَائلٍ قالَ : ذَهبتُ أنا وصاحبٍ لي إلىٰ سَلْمانَ ، فقالَ : لَوْلا أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهانا عن التَّكلُّفِ ، لتَكلَّفْتُ لكم ، فجاءَنا بخُبزٍ ومِلْحٍ فقُلتُ لصاحِبي : لَوْ كانَ في مِلْحِنا صَعْتَرٌ فبَعَثَ سَلْمانُ بمِطْهَرَته ، فرَهَنَها ، فجاء بصَعْتَر ، فلمَّا أكَلْنا قالَ صاحبي : الحَمْدُ لله الذي قَنَّعَنا بما رَزَقَنا ، فقالَ سَلْمانُ : لَوْ قَنَعْتَ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتي مَرْهونَةً[3] .

وقال الحَسَن بنُ صالِح : رُبَّما أصْبحتُ وما مَعي دِرْهَم وكأنَّ الدُّنيا قد حِيزَتْ لي[4] .

وذكرَ إبْراهيمُ بنُ السَّري الزَّجَّاجَ : أنَّه كان يُجرىٰ علىٰ أبي جَعْفرٍ التِّرْمِذيِّ في الشَّهرِ أرْبَعةُ دَراهم ، يَتقوَّتُ بها قالَ : وكانَ لا يَسألُ أحَداً شَيئاً[5] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ الطَّلاَّية ، قالَ السَّمْعَانيُّ : شَيخٌ كَبيرٌ أفْنَىٰ عُمرَه في العِبادَة والقِيام والصِّيام لَعلَّه ما صَرفَ سَاعةً من عُمرِه إلاَّ في عِبادَة وانْحَنَىٰ حتَّىٰ لا يَتبيَّنُ قِيامُه من رُكُوعِه إلاَّ بيَسير ، وكانَ حافِظاً للقُرآنِ ، لا يَقبَلُ من أحَدٍ شَيئاً وله كِفايَةٌ يَتقنَّعُ بها[6] .

---

(١) انظر السير : (بُنَانُ الحَمَّال) ١٤/ ٤٨٨ـ ٤٩٠ ، وانظر النزهة : ١/١١٦٩ .
(٢) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٣٤ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٤ .
(٤) انظر السير : (الحَسَن بن صالح) ٧/ ٣٦١ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٥/٧٠٣ .
(٥) انظر السير : (أبو جَعْفَر التِّرْمذيّ) ١٣/ ٥٤٥ـ ٥٤٧ ، وانظر النزهة : ٢/١١١٥ .
(٦) انظر السير : (ابنُ الطَّلاَّيَة) ٢٠/ ٢٦٠ـ ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٩ .

الكَرَم

١ـ أكرَمُ النَّاس :

رَوى العُتبيُّ عن رَجلٍ قالَ : خَطبَ خَالدُ بنُ عبد الله القَسريُّ بواسِطَ فقالَ : إنَّ أكْرَمَ النَّاسِ مَنْ أعْطَىٰ مَنْ لا يَرجُوه ، وأعْظمَ النَّاسِ عَفْواً مَنْ عَفَا عن قُدرَة ، وأوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ عن قَطيعَة[١] .

٢ـ الكريمُ حَبيبٌ إلى الله :

وعن بِشْرِ بنِ الحارثِ ، قالَ : شَاطِرٌ سَخِيٌّ أحبُّ إلى اللهِ من صُوفِيٍّ بَخيل[٢] .

٣ـ صُوَرٌ على الكرَم :

حَكَى الْمَدائنيُّ أنَّ يَزيدَ بنَ الْمُهَلَّب كانَ يَصلُ نَديماً له كُلَّ يَومٍ بمئة دينار فلمَّا عَزمَ على السَّفرِ أعْطاهُ ثَلاثَةَ آلافِ دِينار[٣] .

وقيلَ : إنَّه حَجَّ فلمَّا حَلقَ رَأسَه الحَلاَّقُ أعْطاهُ ألفَ دِرْهَم فدُهِشَ بها وقالَ : أَمْضِىٰ أُبَشِّرُ أُمِّي قالَ : أعْطُوهُ ألفاً أُخرَىٰ فقالَ : امْرأتي طالِقٌ إنْ حَلقتُ لأحدٍ بَعدَك قالَ : أعْطُوهُ أَلْفينِ آخَرَين[٤] .

عن ابن نوحٍ قالَ : سَمعتُ خالدَ بنَ عبدِ اللهِ القَسْريَّ يَقولُ على الْمِنْبَر : إنِّي لأُطْعِمُ كلَّ يَومٍ سِتَّةً وثَلاثينَ ألفاً من الأعْرابِ تَمْراً وسَوِيقاً[٥] .

وقال محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ الحَسن بنِ شَقيق ، سَمعتُ أبي قال : كان ابنُ الْمُبارَك إذا كان وَقتُ الحَجِّ ، اجتمعَ إليه إخْوانُه من أهْلِ مَرْو ، فيقولون : نَصحبُك ، فيقولُ : هاتوا نَفَقاتِكم ، فيأخُذُ نَفقاتِهم ، فيَجعلُها في صُندوقٍ ، ويُقفِلُ عليها ، ثم يَكتري له ،

---

(١) انظر السير : (القَسْريّ) ٥/ ٤٢٥ـ ٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٥/٦١٨ .

(٢) انظر السير : (بِشْر بن الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٩/٨٨٥ .

(٣) انظر السير : (يَزيدُ بنُ الْمُهَلَّب) ٤/ ٥٠٣ـ ٥٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٥٤٤ .

(٤) انظر السير : (يَزيدُ بنُ الْمُهَلَّب) ٤/ ٥٠٣ـ ٥٠٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٤٥ .

(٥) انظر السير : (القَسْريّ) ٥/ ٤٢٥ـ ٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/٦١٩ .

ويُخرجُهم من مَرْوَ إلىٰ بَغدادَ ، فلا يَزالُ يُنفِقُ عليهم ويُطعِمُهم أطْيَبَ الطَّعامِ ، وأطْيَبَ الحَلوَىٰ ، ثم يُخرجُهم من بَغدادَ بأحْسنِ زِيٍّ وأكْملِ مُروءَة ، حتىٰ يَصلوا إلىٰ مَدينةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم ، فيقولُ لكُلِّ واحدٍ : ما أمَرَكَ عيالُك أنْ تَشتري لهم من المَدينَةِ من طُرَفِها ؟ فيقولُ : كذا وكذا فيَشتري لهم ، ثم يُخرجُهم إلىٰ مكة ، فإذا قَضوا حَجَّهم ، قال لكلِّ واحدٍ منهم : ما أمَرَكَ عيالُك أنْ تشتري لهم من مَتاع مكة ؟ فيقولُ : كذا وكذا ، فيَشتري لهم ، ثم يُخرجُهم من مكةَ ، فلا يَزالُ يُنفقُ عليهم إلىٰ أنْ يَصيرُوا إلىٰ مَرْوَ ، فيُجَصِّصُ بُيوتَهم وأبْوابَهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيَّام ، عَملَ لهم وَليمَةً وكَساهم ، فإذا أكَلوا وسُرُّوا ، دَعا بالصُّندوقِ ، ففَتحَه ودَفعَ إلىٰ كُلِّ رجلٍ منهم صُرَّتَه ، عليها اسْمُه .

وقال محمَّدُ بنُ المُثَنَّىٰ : سَمعتُ عبدَ الرَّحمَـٰن بنَ مَهْدي يقولُ : ما رأتْ عَينايَ مثلَ أرْبَعة : ما رأيتُ أحْفَظَ للحَديثِ من الثَّوْريِّ ، ولا أشدَّ تَقشُّفاً من شُعبَة ، ولا أعْقَلَ من مالِك ، ولا أنْصَحَ للأمَّة من ابنِ المُبارَك[1] .

٤ـ شِعْرٌ في الكرَم :

جاءَ في تَرجَمَةِ خالدِ بنِ الخَليفَة يَزيد بنِ مُعاوِيَة ، قال أبو زُرْعَة الدِّمَشْقيُّ : هو وأخَواه من صالحي القَوْم .

وقالَ الإمامُ الذَّهَبيُّ : أجازَ شاعِراً بمئة ألف لقَوْله فيه[2] :

سَألْتُ النَّدَىٰ وَالجُودَ حُرَّانِ أنتُمَا ... فقَالا جميعاً إنَّنَا لَعَبيد
فقُلتُ فمَنْ مَوْلاَكُمَا فتطَاوَلاَ ... عَلَيَّ وقَالا خَالِدُ بنُ يَزيد

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ القَسْريِّ ، وقيلَ أنْشَدَه أعْرابيٌّ :

أَخَالِدُ بَيْنَ الحَمْدِ وَالأَجْرِ حَاجَتي ... فَأيُّهُمَا يَأتي فَأَنْتَ عِمَادُ
أَخَالِدُ إنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ ... سِوَىٰ أنَّني عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٦٦/ ٤ .
(٢) انظر السير : (خالد ابنُ الخَليفَة يَزيد) ٤/ ٣٨٢ـ ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٥١٥/ ٢

فقالَ : سَلْ ، قالَ : مئة ألفٍ ، قالَ : أسْرَفْتَ يا أعْرابيُّ ، قالَ : فأحُطُّ للأمير ؟ قالَ : نعَم قالَ : قد حَطَطْتُك تِسْعينَ ألْفاً ، فتعَجَّبَ منه ، فقالَ : سَألتُكَ علىٰ قَدرِكَ ، وحَطَطْتُكَ علىٰ قَدْري ، وما أسْتأهِلُه في نفسي ، قالَ : لا واللهِ لا تَغْلبُني ، يا غُلام أعْطِه مئةَ ألفٍ[1] .

٥ـ مَنْ هُو الكريم ؟

عن أبي حَفْص النِّيسَابوريِّ ، قالَ : ما اسْتحَقَّ اسْمَ السَّخاءِ من ذَكَرَ العَطَاءَ ولا لَمَحَهُ بِقَلبِه[2] .

٦ـ الكرَمُ الحَقيقيُّ :

عن أبي حَفْص النِّيسَابوريِّ ، قالَ : الكرَمُ طَرْحُ الدُّنيا لِمَنْ يَحْتاجُ إليها والإقْبَالُ عَلى اللهِ بحَاجَتِك إليه[3] .

٧ـ صُوَرٌ من الكرمِ والجُود :

عن ابنِ سِيرينَ : كانَ سَعْدُ بنُ عُبادَة يَرجعُ كل لَيلَةٍ الىٰ أهلِه بثَمانينَ من أهْلِ الصُّفَّة يُعَشِّيهم[4] .

وكان سَعْدُ بنُ عُبادَة وعدَّة آباءٍ له قبلَه يُنادَىٰ علىٰ أُطُمِهِم : مَنْ أحَبَّ الشَّحْمَ واللَّحْمَ فليَأتِ أُطُمَ دُلَيْم بنِ حارِثَة[5] .

عن عَطاءٍ : أنَّ مُعاويَةَ بَعثَ الىٰ عائشَةَ بقلادَة بمِئةِ ألفٍ فقسَّمَتْها بين أُمَّهاتِ المؤمنين[6] .

---

(١) انظر السير : (القَشْريّ) ٥/ ٤٢٥ـ ٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٦١٩ .

(٢) انظر السير : (أبو حَفْص النِّيسَابوريُّ) ١٢/ ٥١٠ـ ٥١٣ ، وانظر النزهة : ١٠/١٠٢٥ .

(٣) انظر السير : (أبو حَفْص النِّيسَابوريُّ) ١٢/ ٥١٠ـ ٥١٣ ، وانظر النزهة : ١١/١٠٢٥ .

(٤) انظر السير : (سَعْد بنُ عُبادَة) ١/ ٢٧٠ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/١٦٢ .

(٥) انظر السير : (سَعْد بنُ عُبادَة) ١/ ٢٧٠ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٢ .

(٦) انظر السير : (عائشَة أمِّ المؤمنين) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ١/٢٤٤ .

عن القاسمِ بنِ محمّد : سَمعتُ ابنَ الزُّبَيرِ يَقولُ : ما رَأيتُ امْرأةً أجْوَدَ من عائشَةَ وأسْماءَ ، وَجُودُهُما مُخْتلِفٌ : أمَّا عائشَةُ فكانَت تَجمَعُ الشَّيءَ إلى الشَّيءِ حتَّىٰ إذا اجْتمَعَ عندَها وَضعَتهُ مَواضِعَه وأمَّا أسْماءُ فكانَت لا تدَّخرُ شَيئاً لغَدٍ[١] .

وقالَ الوَاقِديُّ : حدَّثنا دَاوُدُ بنُ قَيس ، ومَالكٌ ، وطائفَةٌ قالوا : بَعثَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيدَة في سَريَّة فيها الْمُهاجِرونَ والأنْصارِ وهم ثَلاثُ مئة إلىٰ ساحِلِ البَحْرِ إلىٰ حَيٍّ من جُهَيْنَة فأصَابَهم جُوعٌ شَديدٌ فأمَرَ أبوعُبَيدَة بالزَّادِ فجُمعَ حتَّىٰ كانوا يَقتَسمُونَ التَّمرَةَ فقالَ قَيسُ بنُ سَعد : مَنْ يَشتري منِّي تَمْراً بجُزُرٍ يُوَفِّيني الجُزُرَ ها هُنا وأُوَفِّيه التَّمْرَ بالْمَدينَة فجَعلَ عُمَرُ يَقولُ : يا عَجباً لهـٰذا الغُلام يَدينُ في مال غَيرِه فوَجدَ رَجلاً من جُهَيْنَة فساوَمَه فقالَ : ما أعْرِفُكَ! قال : أنا قَيْسُ بنُ سَعْد بن عُبَادَة بنِ دُلَيم فقالَ : ما أعْرَفَني بنَسَبِك أمَا إنَّ بَيْني وبَينَ سَعْدٍ خِلَّةً سَيِّدُ أهْلِ يَثْرِب فابْتاعَ منه خَمسَ جَزائرَ كُلَّ جَزُورٍ بوَسَقٍ من تَمْر وأشْهَدَ له نَفَراً فقالَ عُمَرُ : لا أشْهَدُ هـٰذا يَدينُ ولا مَالَ له إنَّما الْمَالُ لأبيه فقالَ الجُهَنيُّ : والله ما سَعدٌ ليَخُنِّي[٢] بابنِه في شقَّةٍ من تَمْر وأرَىٰ وَجْهاً حَسناً فنَحَرها لهم في ثَلاثةِ مَواطِن فلمَّا كانَ في اليَومِ الرَّابعِ نَهاهُ أميرُه ، وقالَ : تُريدُ أنْ تَخربَ ذِمَّتَكَ ولا مَالَ لك .

قالَ[٣] : فحدَّثني محمّدُ بنُ يَحْيَى بن سَهْل ، عن أبيه عن رافِعِ بنِ خَدِيج قال : بلغَ سَعْداً ما أصابَ القَوْمَ من الْمَجاعَة ، فقالَ : إنْ يَكُ قَيْسٌ كما أعْرِفُ فسَوفَ يَنْحَرُ للقوم ، فلمَّا قَدِمَ ، قَصَّ علىٰ أبيه ، وكيف مَنَعوه آخِرَ شَيءٍ من النَّحْر ، فكَتَبَ له أرْبَعَ حَوائطَ[٤] أدْنَىٰ حائط منها يَجدُّ[٥] خَمسينَ وَسَقاً ، فقيلَ : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بلغَه ، قالَ : « أمَا إنَّه في بَيْتِ جُودٍ » .

---

(١) انظر السير : (أسْماء بنتُ أبي بكر) ٢/ ٢٨٧ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٢٦٢/٣ .

(٢) قوله (ليَخُنِّي) أي : يُسلمه ويخفر ذمته ، من أخْنىٰ عليه الدهر ، وقوله (في شقة من تَمْر) أي : قطعة تُشقُّ منه .

(٣) أي الوَاقديُّ .

(٤) الحَوائط : جمع حائط ، وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار .

(٥) يجدُّ : من الجداد ، وهو قطع الثمر ، والمعنىٰ : أقل بستان منها يعطي من الثمار خمسين وَسقاً .

وقالَ أبو عاصِم : حدَّثنا جُوَيْرِيَة ، قالَ : كانَ قَيْسٌ يَسْتَدينُ ويُطْعِمُ ، فقالَ أبو بَكر وعُمَرُ : إنْ تَركْنا هـٰذا الفتَىٰ ، أهْلَكَ مالَ أبيه ، فمَشَيا في النَّاسِ ، فقامَ سَعْدٌ عندَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وقالَ : مَنْ يَعْذُرُني من ابنِ أبي قُحافَة وابنِ الخَطَّاب ، يُبَخِّلانِ عليَّ ابني[1] .

وقيلَ : وَقفَتْ علىٰ قَيْسِ بنِ سَعْد عَجوزٌ فقالَت : أشْكُو إليكَ قِلَّةَ الجُرذانِ فقالَ : ما أحْسَنَ هـٰذه الكِنايَة ، امْلَؤوا بَيْتَها خُبزاً ولَحْماً وسَمْناً وتَمْراً[2] .

وعن هِشامِ بنِ عُروَة عن أبيه قالَ : باعَ قَيْسُ بنُ سَعْد مالاً من مُعاويَةَ بتِسعينَ ألفاً فأمَرَ مَنْ نادَىٰ في الْمَدينَة مَنْ أرادَ القَرْضَ فليَأتِ فأقْرَضَ أرْبَعينَ ألفاً وأجازَ بالبَاقِي ، وكَتبَ علىٰ مَنْ أقْرضَه فمَرِضَ مَرضاً قَلَّ عُوَّادُه ، فقالَ لزَوجَتِه قُرَيْبَة أُخْتِ الصِّدِّيق : لِمَ قَلَّ عُوَّادي ؟ قالَت : للدَّيْنِ ، فأرسَلَ إلىٰ كُلِّ رجُلٍ بصَكِّهِ وقالَ اللَّهُمَّ ارْزُقني مالاً وفِعالاً فإنَّه لا تَصلحُ الفِعَالُ إلاَّ بالْمَالِ[3] .

قالَ ابنُ سِيرينَ : تَزَوَّجَ الحَسَنُ امْرأةً فأرسَلَ إليها مئةَ جارِيَة مع كُلِّ جارِيَة ألفُ دِرْهَم[4] .

وكانَ الحَسَنُ يُعْطِي الرَّجُلَ الواحدَ مئة ألفٍ[5] .

قيلَ : إنَّ أعْرابياً قَصدَ مَرْوانَ فقالَ : ما عِندَنا شَيءٌ ، فعَليكَ بعبدِ اللهِ بنِ جَعْفَر ، فأتَى الأعْرابيُّ عبدَ الله فأنْشَأ يَقولُ :

أبُـو جَعْفَـر مِـنْ أهْـلِ بَيـتِ نُبُـوَّةٍ ... صَـلاتُهُـم لِلْمُسْلمِيـنَ طَهُـورُ
أبـا جَعْفَـر ضَـنَّ الأميـرُ بمَـالِـه ... وأنْـتَ عَلـى مَـا فـي يَـدَيْـكَ أَميـرُ
أبا جَعْفَر يا ابنَ الشَّهيدِ الذي لَه ... جَنَـاحَـانِ فـي أَعْلَـى الجِنَـانِ يَطِيـرُ
أبـا جَعْفَـر مَـا مِثْلُـكَ اليَـومَ أَرْتَجِي ... فَـلا تَتْـرُكَنِّـي بـالفَـلاةِ أَدُورُ

---

(١) انظر السير : (قَيْسُ بنُ سَعْد) ٣/ ١٠٢ـ ١١٢ ، وانظر النزهة : ٣٤٣/ ٤ .
(٢) انظر السير : (قَيْسُ بنُ سَعْد) ٣/ ١٠٢ـ ١١٢ ، وانظر النزهة : ٣٤٤/ ١ .
(٣) انظر السير : (قَيْسُ بنُ سَعْد) ٣/ ١٠٢ـ ١١٢ ، وانظر النزهة : ٣٤٤/ ٢ .
(٤) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بن أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣٧٩/ ٤ .
(٥) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بن أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣٧٩/ ٥ .

فقالَ : يا أعْرابيُّ سارَ الثِّقَلُ فعَليكَ بالرَّاحِلَة بما عَليها وإيَّاك أنْ تُخْدَعَ عن السَّيفِ فإنِّي أخَذتُه بألفِ دينار[1] .

ويُروَىٰ أنَّ شاعِراً جاءَ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَر فأنْشدَه :

رَأيـتُ أبـا جَعْفَـرٍ فـي الْمَنَـامْ	كَسَـانـي مـن الخَـزِّ دُرَّاعَـةْ
شَكَـوْتُ إلَـى صَـاحِبـي أمْـرَهَـا	فَقَـالَ سَتُـوتَـى بِهَـا السَّـاعَـةْ
سَيَكْسُـوكَهَـا الْمَـاجِـدُ الْجَعْفَـرِيْ	وَمَـنْ كَفُّـهُ الـدَّهْـرِ نَفَّـاعَـةْ
وَمَـنْ قَـالَ لِلْجُـودِ لا تَعْـدُنِـي	فَقَـالَ لَـهُ السَّمْـعُ والطَّـاعَـةْ

فقالَ عبدُ الله لغُلامِه : أعْطِه جُبَّتي الخزَّ ثم قالَ له : وَيْحَكَ كيفَ لَمْ تَرَ جُبَّتي الوَشْيَ ؟ اشْتَريتُها بثَلاثِ مئَة دِينَار مَنْسُوجَةً بالذَّهَبِ فقالَ : أنامُ فلَعلِّي أرَاهَا فضَحِكَ عبدُ الله وقالَ ادْفَعُوها له[2] .

عن الأصْمَعيِّ أنَّ امْرأةً أتَت بدَجاجَة مَسْموطَة فقالت لابنِ جَعْفَر : بأبي أنتَ هٰذه الدَّجاجَة كانت مثل بِنْتي فآلَيتُ أنْ لا أدْفِنَها إلاَّ في أكْرَم مَوْضِع أقْدِرُ عليه ولا واللهِ ما في الأرضِ أكْرَم من بَطنِك قالَ : خُذها منها واحْمِلُوا إليها ، فذَكَر أنْواعاً من العَطاء ، حتَّىٰ قالَت : بأبي أنتَ ، إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفينَ[3] .

ذَكرَ الزُّبَيرُ بنُ بكَّار أنَّ عُبَيدَ الله بنَ أبي مُلَيْكَة عن أبيه عن جَدِّه قالَ : دَخلَ ابنُ أبي عَمَّار وهو يَومئذ فَقيهُ أهلِ الحِجازِ علىٰ نَخَّاس فعَرضَ عليه جارِيَةً فعَلقَ بها وأخَذَه أمْرٌ عَظيمٌ ولَمْ يَكنْ مَعه مِقْدارُ ثَمنِها فمَشَىٰ إليه عَطاءُ وطَاوُوسُ ومُجاهِدُ يَعْذُلونَه وبَلغَ خَبرُه عبدَ الله فاشْتَراها بأرْبَعينَ ألْفاً وزَيَّنَها وحَلاَّها ثم طَلبَ ابنَ أبي عَمَّار فقَالَ : ما فَعلَ حُبُّكَ فُلانَة ؟ قالَ : هي التي هامَ قَلبي بذِكْرِها والنَّفْسُ مَشْغُولَةٌ بها فقالَ : يا جاريَة أخْرِجيها فأخْرَجَتْها تَرفُلُ في الحُلِيِّ والحُلَل ، فقالَ : شَأنُك بها بارَكَ اللهُ لكَ فيها فقالَ : تَفَضَّلتَ بشَيءٍ ما يَتفضَّلُ به إلاَّ الله فلمَّا وَلَّىٰ بها قالَ : يا غُلامُ احْملْ مَعه

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٤٠٨/ ٤ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٤٠٨/ ٥ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٤٠٩/ ٢ .

مئةَ ألفِ دِرهَم فقالَ : لَئنْ واللهِ وُعِدْنا نَعيمَ الآخِرَة فقد عَجَّلتَ نَعيمَ الدُّنيا[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ القَسْريِّ ، وقيلَ أنْشَدَه أعْرابيٌّ :

أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالأَجْرِ حَاجَتي فَأَيُّهُمَا يَأْتي فَأَنْتَ عِمَادُ
أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَنَّني عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ

فقالَ : سَلْ ، قالَ : مئة ألفٍ ، قالَ : أَسْرَفْتَ يا أعْرابيُّ ، قالَ : فأحُطُّ للأمير ؟ قالَ : نَعَم قالَ : قد حَطَطْتُك تِسْعينَ ألْفاً ، فتعَجَّبَ منه ، فقالَ : سَألتُكَ علىٰ قَدرِكَ ، وحَطَطْتُك علىٰ قَدْري ، وما أسْتأهِلُه في نفسي ، قالَ : لا والله لا تَغْلبُني ، يا غُلام أعْطِه مئةَ ألفٍ[2] .

عن يَحْيَى الوحاظي : ما رأيتُ رجلاً كان أكبرَ نَفساً من إسْماعيلَ ابنِ عيَّاش ، كنَّا إذا أتَيناه إلىٰ مَزرَعةٍ لا يَرضَىٰ لنا إلاَّ بالخَروفِ والخَبيصِ ، سَمعتُه يقولُ : وَرِثْتُ من أبي أربعةَ آلافِ دينار ، فأنفَقتُها في طلبِ العلم[3] .

المُدَاراة

١ـ رِضا النَّاسِ غايَةٌ لا تُدْرَكُ :

قالَ يُونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَىٰ : قَالَ الشَّافِعيُّ لِيَ : رِضَا النَّاسِ غايَةٌ لا تُدرَكُ ولَيسَ إلى السَّلامَةِ منهم سَبيلٌ فعَليكَ بمَا يَنفعُك فالْزَمهُ[4] .

٢ـ التَّغافُل نَوعٌ من المُداراةِ أحْياناً :

عنِ الشَّافعيِّ قالَ : اللَّبيبُ العَاقِلُ هو الفَطِنُ الْمُتَغافِل[5] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٩ .
(٢) انظر السير : (القَسْريّ) ٥/ ٤٢٥ـ ٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٦١٩ .
(٣) انظر السير : (إسْماعيل بن عيَّاش) ٨/ ٣١٢ـ ٣٢٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٦٠ .
(٤) انظر السير : (الإمام الشافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٣ .
(٥) انظر السير : (الإمام الشافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٥٣ .

٣ـ صُوَرٌ من المُدَاراة :

عن بِلالِ بن يَحْيَىٰ قالَ : بَلغَني أنَّ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمان كانَ يَقولُ : ما أدْرَكَ هٰذا الأمْرَ أحَدٌ من الصَّحابَة إلاَّ قد اشْتَرىٰ بَعضَ دينِه ببَعضٍ قالُوا : وأنتَ ؟ قالَ : وأنا والله إنِّي لأدخُلُ علىٰ أحَدِهم ـ ولَيسَ أحَدٌ إلاَّ فيه مَحاسِنٌ ومَساوىءٌ ـ فأذكُرُ مَحاسِنَه وأُعرِضُ عمَّا سِوَىٰ ذلك ، ورُبَّما دَعاني أحَدُهم إلى الغَدَاء ، فأقُولُ : إنِّي صائمٌ ولَستُ بصَائمٍ[1] .

وعنِ الأحْنَفِ بنِ قَيْس ، قالَ : ما نازَعَني أحدٌ إلاَّ أخَذتُ أمْري بأمُورٍ ، إن كانَ فَوْقي عَرفتُ له ، وإنْ كانَ دُوني رَفعتُ قَدْريَ عنه ، وإنْ كانَ مِثلي تَفضَّلتُ عَليه[2] .

عن ابنِ الحَنفيَّة قالَ : لَيسَ بحَكيمٍ مَنْ لَمْ يُعاشِرْ بمَعرُوفٍ مَنْ لا يَجدُ من مُعاشَرتِه بُدّاً حتَّىٰ يَجعلَ اللهُ من أمرِه فَرَجاً أو قال مَخْرَجاً[3] .

قالَ هِشامُ بنُ عُرْوَة بنِ الزُّبَيْر : قالَ أبي : رُبَّ كَلمَةِ ذُلٍّ احْتَملتُها أوْرَثَتني عِزّاً طَويلاً[4] .

عن مَالِك قالَ : كانَ في نافِع حِدَّةٌ ثم حَكَىٰ مَالِكٌ أنَّه كانَ يُلاطِفُه ويُداريه[5] .

وعن إسْماعيلَ بن أبي أُوَيْس ، عن أبيه : كُنَّا نَختَلفُ إلىٰ نافِع وكانَ سَيِّءَ الخُلُق ، فقُلتُ : ما أصْنعُ بهٰذا العَبدِ! فتَركتُه ولَزِمَه غَيْري فانتُفعَ به[6] .

قالَ أبو الوَليدِ البَاجي : عبدُ الغَني بنُ سَعيد حافِظٌ مُتقِنٌ ، قُلتُ لأبي ذَر الهَرَوي : أخَذتَ عن عبدِ الغني ؟ فقالَ : لا إنْ شاءَ الله علىٰ مَعنَى التَّأكيدِ ، وذلكَ أنَّه كانَ لعَبدِ الغَني اتِّصالٌ ببَني عُبَيْد ، يَعني أصْحَابَ مِصْرَ .

---

(١) انظر السير : (حُذَيْفَة بنُ اليَمان) ٢/ ٣٦١ـ ٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٢٧٦ .
(٢) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٩/٤٥١ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الحَنَفيّة) ٤/ ١١٠ـ ١٢٩ ، وانظر النزهة : ٥/٤٥٨ .
(٤) انظر السير : (عُرْوَة بنُ الزُّبَيْر) ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٨ .
(٥) انظر السير : (نافع) ٥/ ٩٥ـ ١٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٥ .
(٦) انظر السير : (نافع) ٥/ ٩٥ـ ١٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٥ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : اتِّصالُه بالدَّولَةِ العُبَيْديَّةِ كانَ مُداراةً لهم وإلاَّ فلَوْ جَمَحَ عليهم لاسْتأصَلَه الحاكِمُ خَليفَةُ مِصْرَ ، الذي قيلَ إنَّه ادَّعَى الإلَهيَّة .

وأظنُّه وَليَ وَظيفةً لهم ، وقد كانَ من أئمَّة الأثَر نَشأ في سُنَّةٍ واتِّبَاعٍ قَبلَ وُجودِ الرَّفْضِ واسْتمرَّ هو على التَّمَسُّك بالحَديثِ ولكنَّه دَارَى القَومَ ودَاهَنَهم فلذلك لَمْ يُحِبَّ الحافِظُ أبو ذَر الأخْذَ عَنه[١] .

المَرُوءَة

صُوَرٌ على المَرُوءَة :

قالَ ابنُ الْمُبارَك : قيلَ للأحْنَفِ بنِ قَيْس : بِمَ سَوَّدُوكَ ؟ قالَ : لَوْ عَابَ النَّاسُ الْمَاءَ لَمْ أَشْرَبْهُ[٢] .

وقالَ الأحْنَفُ : مَنْ أسْرعَ إلى النَّاسِ بما يَكرَهون قالوا فيه ما لا يَعلَمون ، وعنه سُئلَ : ما الْمَروءَة ؟ قالَ : كِتْمانُ السِّرِّ والبُعْدُ من الشَّرِّ وعَنه : الكامِلُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطاتُه[٣] .

وقيلَ: كانَ الأحْنَفُ إذا أتَاهُ رَجلٌ وَسَّعَ له فإنْ لَمْ يَكنْ له سِعَة أرَاه كأنَّه يُوَسِّعُ له[٤] .

وعن الأحْنَفِ بنِ قَيْس قالَ : جَنِّبُوا مَجَالِسَنا ذِكرَ النِّساءِ والطَّعامِ إنِّي أبْغَضُ الرَّجلَ يَكونُ وَصَّافاً لفَرْجِه وبَطْنِه[٥] .

عن جَميلِ بنِ مُرَّة قالَ : كان مُوَرِقٌ رَحمَه اللهُ يَجيئُنا فيَقولُ : أمْسِكُوا لنَا هَـٰذه الصُّرَّة فإنْ احْتَجتُم فأنْفِقُوها فيَكونُ آخِرَ عَهدِه بها[٦] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الغَني بنُ سَعيد) ١٧/ ٢٦٨ـ ٢٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٤٠ .
(٢) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥١ .
(٣) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٦/٤٥٢ .
(٤) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٥٢ .
(٥) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٣ .
(٦) انظر السير : (مُوَرِّق) ٤/ ٣٥٣ـ ٣٥٥ ، وانظر النزهة : ١/٥١٠ .

وعن عبدِ العَزيز بنِ عُمرَ : قالَ لي رَجاءُ بنُ حَيْوَة : ما أكْمَلَ مَروءَةَ أبيكَ! سَمرتُ عندَه ، فَعَشِيَ السِّراجُ ، وإلىٰ جانبه وَصيفٌ نامَ ، قُلتُ : ألا أُنبِّهُه ؟ قالَ : لا ، دَعْهُ ، قُلتُ : أنا أقُومُ ، قالَ : لا لَيسَ من مَروءَةِ الرَّجُل اسْتخدامُه ضَيفَه ، فقامَ إلىٰ بَطَّة[1] الزَّيْتِ وأصْلَحَ السِّراجَ ، ثم رَجعَ ، وقالَ : قُمتُ وأنا عُمرُ بنُ عبدِ العَزيز ، ورَجَعتُ وأنا عُمرُ بنُ عبدِ العَزيز[2] .

وقالُ أيوبُ بنُ الْمُتَوَكل : كانَ الخَليلُ بنُ أحمَدَ الفَراهيدي إذا أفادَ إنْساناً شَيئاً لم يُرِهِ بأنَّه أفَادَه ، وإنْ اسْتَفادَ من أحَدٍ شَيْئاً أراهُ بأنَّه اسْتَفادَ منه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : صارَ طَوائفُ في زَمانِنا بالعَكْسِ[3] .

وقال محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ الحَسن بنِ شَقيق ، سَمعتُ أبي قال : كان ابنُ الْمُبارَك إذا كان وَقتُ الحَجِّ ، اجتمعَ إليه إخْوانُه من أهْلِ مَرْو ، فيقولون : نَصحبُك ، فيقولُ : هاتوا نَفَقاتِكم ، فيأخُذُ نَفقاتِهم ، فيَجعلُها في صُندوقٍ ، ويُقفِلُ عليها ، ثم يَكتري له ، ويُخرجُهم من مَرْوَ إلىٰ بَغدادَ ، فلا يَزالُ يُنفِقُ عليهم ويُطعِمُهم أطْيَبَ الطَّعامِ ، وأطْيَبَ الحَلوَىٰ ، ثم يُخرجُهم من بَغدادَ بأحْسنِ زِيٍّ وأكْملِ مُروءَة ، حتىٰ يَصلوا إلىٰ مَدينةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم ، فيقولُ لكُلِّ واحدٍ : ما أمَرَكَ عيالُك أنْ تَشتري لهم من المَدينَةِ من طُرَفِها ؟ فيقولُ : كذا وكذا فيَشتري لهم ، ثم يُخرجُهم إلىٰ مكة ، فإذا قَضوا حَجَّهم ، قال لكلِّ واحدٍ منهم : ما أمَرَكَ عيالُك أنْ تَشتري لهم من مَتاع مكة ؟ فيقولُ : كذا وكذا ، فيَشتري لهم ، ثم يُخْرجُهم من مكةَ ، فلا يَزالُ يُنفقُ عليهم إلىٰ أنْ يَصيرُوا إلىٰ مَرْوَ ، فيُجَصِّصُ بُيوتَهم وأبْوابَهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيَّام ، عَملَ لهم وَليمَةً وكَساهم ، فإذا أكَلوا وسُرُّوا ، دَعا بالصُّندوقِ ، ففَتحَه ودَفعَ إلىٰ كُلِّ رجلٍ منهم صُرَّتَه ، عليها اسْمُه .

وقال محمَّدُ بنُ المُثَنَّىٰ : سَمعتُ عبدَ الرَّحمَـٰن بنَ مَهْدي يقولُ : ما رأتْ عَيناي

---

(١) البطة : الدبة بلغة أهل مكَّة ، لأنها تُعمل علىٰ شكل البطة من الحيوان ، وهي إناء كالقارورة .

(٢) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥٩٠/٨ .

(٣) انظر السير : (الخَليلُ) ٧/ ٤٢٩ـ ٤٣١ ، وانظر النزهة : ٧١٣/٤ .

مثلَ أرْبَعة : ما رأيتُ أحْفَظَ للحَديثِ من الثَّوْريِّ ، ولا أشدَّ تَقشُّفاً من شُعبَة ، ولا أعْقَلَ من مالِك ، ولا أنْصَحَ للأمَّة من ابنِ المُبارَك[1] .

وقال الربيع : كان الشافعي مارًّا بالحَذَّائينَ فسَقطَ سَوطُه فوَثبَ غُلامٌ ومَسَحَه بكُمِّه وناوَلَه فأعْطَاهُ سَبعَةَ دَنانير[2] .

وعن الشَّافِعيِّ ، قالَ : لَوْ أعْلمُ أنَّ الْماءَ البَارِدَ يُنْقِصُ مَرُوءَتي ما شَرِبْتُه[3] .

قال أحْمَدُ بنُ مَهْدي : جاءَتني امرأةٌ ببَغْدادَ ليلةً ، فذَكرَت أنَّها من بَناتِ النَّاس وأنَّها امتُحنَت بمِحْنَة ، وأسْألُكَ بالله أنْ تَسْتُرَني فقَد أكْرِهْتُ علىٰ نَفسِي وأنا حُبْلَىٰ ، وقُلتُ : إنَّكَ زَوْجي فلا تَفْضَحْني فنكَّبتُ عنها ومَضَيت فلَمْ أشْعُر حتَّىٰ جاءَ إمَامُ الْمَحِلَّة والجيران يُهَنِّئوني بالوَلَدِ الْمَيْمُونِ فأظْهَرتُ التَّهْليلَ ووَزَنتُ في اليَومِ الثاني للإمام دينارَين ، وقُلتُ : أعْطِها نَفقَة فقَد فارَقْتُها وكنتُ أُعْطيها في كُلِّ شَهرٍ دينارَين حتَّىٰ أتَىٰ علىٰ ذَلكَ سَنتانِ فمَاتَ الطِّفلُ وجاءَني النَّاسُ يُعَزُّونَني فكُنتُ أُظهِرُ لهم التَّسْليمَ والرِّضَا فجاءَتني بعدَ أيَّام بالدَّنانيرِ فرَدَّتها ودَعَتْ لي ، فقُلتُ : هـٰذا الذَّهَبُ كان صِلَةً للوَلَدِ وقد ورِثْتيه وهو لك[4] .

وكان محمَّدُ بنُ جَرير رُبَّما أهْدَىٰ إليه بَعضُ أصْدِقائِه الشَّيءَ فيَقبَلُه ويُكافِئُه أضْعافاً لِعِظَمِ مَرُوءَتِه[5] .

قالَ يَحْيَىٰ بنُ مَنْدَة : سَمعتُ أبي يَقولُ : أفْطَرنا في رَمَضانَ ليلةً شَديدةَ الحَرِّ فكُنَّا نأكلُ ونَشربُ وكانَ أخي عبدُ الرحمَـٰن يَأكُلُ ولا يَشرَبُ فخَرَجتُ وقُلتُ : إنَّ من عادَةِ أخي أنَّه يَأكُلُ لَيلَةً ولا يَشرَبُ ، ويَشرَبُ لَيلَةً أُخرَىٰ ولا يَأكُلُ قالَ : فمَا شَربَ تِلكَ اللَّيلَةَ واللَّيلَةَ الآتيَة كانَ يَشرَبُ ولا يَأكُلُ ألبتَّة فلمَّا كانَ في اللَّيلَة الثالثَة قالَ :

---

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٦٦/ ٤ .
(٢) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٤٨/ ٩ .
(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥٣/ ٧ .
(٤) انظر السير : (أحْمَدُ بنُ مَهْدي) ١٢/ ٥٩٧ـ ٥٩٨ ، وانظر النزهة : ١٠٣٨/ ٣ .
(٥) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ١١٥٠/ ٣ .

يا أخي لا تَلعَبْ بعدَ هـٰذا فإنِّي ما اشْتَهيتُ أنْ أُكذِّبَكَ[1] .

وكان الإمامُ الطُّرْطُوشِيُّ يأتي إلى الفُقَهاء وهم نِيامٌ ، فيَضَعُ في أفْواهِهم الدَّنانيرَ فيَهُبُّونَ فيَرَوْنَها في أفْواهِهِم[2] .

المُوَاسَاة

عن أبي هُرَيْرَةَ قالَ : كُنَّا نُسَمِّي جَعْفَراً أبا الْمَساكين كانَ يَذهَبُ بنا إلىٰ بَيتِه فإذا لَمْ يَجِدْ لنا شَيئا أخْرَجَ إلَينا عُكَّة[3] أثَرُها عَسَل ، فنَشُقُّها ونَلعَقُها[4] .

وقيلَ : كانت لأبي بَرْزَةَ جَفْنَةٌ من ثَريد غُدْوَةً وجَفْنَةٌ عَشيَّة للأرَامِلِ واليَتامَىٰ والْمَساكينِ[5] .

عن عِراكِ بنِ مالِك أنَّ حَكيمَ بنَ حِزام قال : كان مُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم أَحَبَّ النَّاسِ إليَّ في الجاهِلِيَّةِ فلمَّا نُبِّيءَ وهاجَرَ شَهِدَ حَكيمُ المَوْسِمَ كافِراً ، فوَجَدَ حُلَّةً لذي يَزَن تُباعُ ، فاشْتَراها بخَمسينَ ديناراً لِيُهْدِيَها إلىٰ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فقَدِمَ بها عليه المَدينَةَ ، فأرادَه علىٰ قَبْضِها هَديّةً ، فأبَىٰ ، قال عبدُ الله حَسِبْتُه قال : « إنَّا لا نَقْبَلُ من المُشْرِكينَ شَيئاً، ولَكِنْ إنْ شِئْتَ بالثَّمَنِ » ، قال : فأعطَيتُه حينَ أبَىٰ عليَّ الهَديَّة[6] .

وفي رِوايَةِ ابنِ صالِح زِيادَةٌ : « فلَبِسَها ، فرَأَيْتُها عليه على المِنْبَرِ ، فلَمْ أَرَ شَيئاً أَحْسَنَ منه يَؤمئذٍ فيها ، ثمَّ أعْطاها أُسامَةَ فرآها حَكيمُ علىٰ أُسامَة ، فقال : يا أُسامَة!! أتَلْبَسُ حُلَّةَ ذي يَزَن ؟ قال : نَعَم والله لأنا خَيْرٌ منه ، ولأَبِي خَيْرٌ من أبيه فانْطَلَقْتُ إلىٰ مَكّةَ فأعْجَبْتُهُم بقَولِه[7] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ مَنْدَه) ١٨/ ٣٤٩ـ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٤١٩ .
(٢) انظر السير : (الطُّرْطُوشيُّ) ١٩/ ٤٩٠ـ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٠٠ .
(٣) العُكَّة : ظرف السَّمن .
(٤) انظر السير : (جَعْفَر بن أبي طالب) ١/ ٢٠٦ـ٢١٧ ، وانظر النزهة : ٤/ ١٥١ .
(٥) انظر السير : (أبو بَرْزَة الأسْلَميّ) ٣/ ٤٠ـ٤٣ ، وانظر النزهة : ٤/ ٣٢٨ .
(٦) انظر السير : (حَكيم بن حِزام) ٣/ ٤٤ـ٥١ ، وانظر النزهة : ٦/٣٢٩ .
(٧) انظر السير : (حَكيم بن حِزام) ٣/ ٤٤ـ٥١ ، وانظر النزهة : ١/٣٣٠ .

وقالَ ابنُ عُيَيْنَة : كانَ سَعيدُ بنُ العَاصِ إذا قَصَدَه سَائلٌ ولَيسَ عندَه شَيءٌ قالَ : اكْتُب عليَّ سجلاً بمَسْألَتِك إلى الْمَيْسَرَة[١] .

وذَكرَ عبدُ الأعْلَىٰ بنُ حَمَّاد : أنَّ سَعيدَ بنَ العَاصِ اسْتَسْقَىٰ من بَيتٍ فسَقَوهُ واتَّفقَ أنَّ صَاحِبَ الْمَنزلِ أرادَ بَيعَه لدَينٍ عليه فأدَّىٰ عَنه أرْبَعَةَ آلافِ دِينارٍ[٢] .

وعن عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ : أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أتاهم بَعدَما أخْبَرَهم بقَتلِ جَعْفَرٍ بعدَ ثالثة ، فقالَ : « لا تَبْكوا أَخِي بَعْدَ الْيَوْمَ » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ائْتُونِي بِبَنِي أَخِي » ، فجِيءَ بنا كأنَّنا أفْرَاخٌ ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « ادْعُوا لِيَ الْحَلاَّقَ » ، فأمَرَه فحَلقَ رُؤوسَنا ، ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا مُحَمَّدٌ ، فَشبْهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِب ، وَأَمَّا عَبدُ اللهِ فَشبْهُ خَلْقِي وَخُلُقِي » ، ثم أخَذَ بيَدي ، فأشَالَها ، ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَراً فِي أَهْلِهِ ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَتِهِ » قالَ : فجاءَت أُمُّنا ، فذَكرَت يُتْمَنا ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ »[٣] .

عن أبي حَمْزَةَ الثُّماليِّ أنَّ عليَّ بنَ الحُسَين كانَ يَحملُ الخُبزَ باللَّيلِ علىٰ ظَهرِه يتَّبعُ به الْمَساكينَ في الظُّلمَة ويَقولُ : إنَّ الصَّدَقَة في سَوادِ اللَّيلِ تُطفِىءُ غَضبَ الرَّبِّ[٤] .

وعن محمَّدِ بنِ إسْحاقَ : كانَ ناسٌ من أهْلِ الْمَدينَة يَعيشُونَ لا يَدرُونَ من أيْنَ كانَ مَعاشُهُم فلمَّا مَاتَ عَليُّ بنُ الحُسَينِ فقَدوا ذلكَ الذي كانوا يُؤتَوْنَ باللَّيلِ[٥] .

وعن عَمرو بنِ ثابت : لَمَّا مَاتَ عَليُّ بنُ الحُسَين وَجَدوا بظَهرِه أثَراً مِمَّا كانَ يَنقُلُ الجُرْبَ باللَّيلِ إلىٰ مَنازِلِ الأرَامِلِ[٦] .

---

(١) انظر السير : (سَعيدُ بنُ العَاص) ٣/ ٤٤٤ـ ٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٤٠٦/ ٤ .
(٢) انظر السير : (سَعيدُ بنُ العَاص) ٣/ ٤٤٤ـ ٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٤٠٦/ ٥ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٤٠٧/ ٤ .
(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٥١٨/ ٦ .
(٥) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٥١٨/ ٧ .
(٦) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٥١٨/ ٨ .

وقالَ شَيْبَةُ بنُ نعامَة : لَمَّا مَاتَ عَليُّ بنُ الحُسَين وَجَدوه يَعولُ مئةَ أَهْلِ بَيتٍ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لِهَـٰذا كان يُبَخَّلُ فإنَّه يُنفِقُ سِرّاً ويَظُنُّ أَهْلُهُ أنَّه يَجمَعُ الدَّراهِمَ[1] .

عن عَمرو بنِ دِينار قالَ : دَخلَ عَليُّ بنُ الحُسَين عَلىٰ مُحمَّدِ بنِ أُسامَة بنِ زَيْد في مَرَضِه فجَعلَ مُحمَّدٌ يَبكي فقالَ : ما شَأنُك ؟ قالَ : عَليَّ دَينٌ قالَ : وكَمْ هو ؟ قالَ : بِضْعَةَ عَشرَ ألفِ دِينارٍ قالَ : فهِيَ عليَّ[2] .

عن بَكرِ بنِ عبدِ الله قالَ : إنِّي لأرْجُو أنْ أعيشَ عَيشَ الأغْنياءِ وأمُوتَ مَوْتَ الفُقَراء فكانَ رَحمَهُ اللهُ كذَلك يَلبَسُ كِسْوَتَه ، ثم يَجيءُ إلى الْمَساكين فيَجلِسُ مَعهم يُحدِّثُهم ويَقولُ : لَعلَّهم يَفرَحون بذلك[3] .

وكان لزَيْدِ بنِ أسْلَم حَلقَةٌ لِلعِلمِ في مَسجِدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قالَ أبو الأعْرَج : لقد رَأيتُنا في مَجلِسِ زَيدِ بنِ أسْلَم أرْبَعينَ فَقيهاً أدْنَىٰ خَصلةٍ فينا التَّوَاسي بما في أيْدينا وما رَأيتُ في مَجلِسِه مُمَارِيَيْنِ ولا مُتَنَازِعَيْن في حَديثٍ لا يَنفَعُنا[4] .

وقالَ عبَّاسُ الدُّوري : كانَ أبو حَمْزَة السُّكري من الثِّقاتِ ، وكانَ إذا مَرِضَ عندَه مَنْ قد رَحَلَ إليه ، يَنظُرُ إلىٰ ما يَحتاجُ إليه من الكِفايَة فيَأمُرُ بالقِيامِ به ، ولَمْ يَكنْ يَبيعُ السُّكرَ ، وإنَّما سُمِّيَ السُّكريَّ لِحَلاوَةِ كَلامِه[5] .

وعن محمَّدِ بنِ عَليِّ بنِ الحَسَنِ بنِ شَقيق قالَ : أرادَ جارٌ لأبي حَمْزَة السُّكريّ أنْ يَبيعَ دَارَه فقيلَ له : بكَمْ ؟ قالَ : بألْفَينِ ثَمن الدَّار وبألْفَين جِوار أبي حَمْزَة ، فبَلَغَ ذلك أبا حَمْزَة فوَجَّه إليه بأرْبَعة آلافٍ وقالَ : لا تَبِعْ دارَك[6] .

---

(١) انظر السيرْ : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ١/٥١٩ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٩ .
(٣) انظر السير : (بَكر بن عبد الله) ٤/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٥٥٠/ ٤ .
(٤) انظر السير : (زَيْد بن أَسْلَم) ٥/ ٣١٦ـ ٣١٧ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٥ .
(٥) انظر السير : (أبو حَمْزَة السُّريّ) ٧/ ٣٨٥ـ ٣٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٧٠٦ .
(٦) انظر السير : (أبو حَمْزَة السُّريّ) ٧/ ٣٨٥ـ ٣٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٧٠٦ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ القاضي أبي يُوسُف : وكانَ أبُوه فَقيراً له حانُوتٌ ضَعيفٌ ، فكانَ أبو حَنيفَة يَتعَاهَدُ أبا يُوسُفَ بالدَّراهِمَ مئةً بعدَ مئة[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في ترجَمَةِ بَقيٍّ بنِ مَخْلَد : قد مَشَىٰ مع ضَعيف في مَظْلمَة إلىٰ إشْبيلِيَة ، ومَشَىٰ مع آخَر إلىٰ إلْبِيْرَة ، ومع امْرأةٍ ضَعيفة إلىٰ جَيَّان[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ القَاضي الخَيَّاط : عُرف بالخيَّاط لأنَّه كانَ يَخيطُ على الأَيْتَامِ والْمَساكينِ حِسْبَةً[3] .

وقالَ الحاكِمُ : سَمعتُ أبي يَقولُ : كانَ القاضي محَمُد بنُ عَليّ الْمَروزي طُولَ أيَّامِه يَسكُنُ دارَ ابنَ حَمْدونَ بحِذاءِ دَارِنا ، وكُنتُ أعْرفُه يَخيطُ باللَّيلِ وإذا تفرَّغَ بالنَّهارِ للأَيْتَامِ والضُّعَفاءِ ، ويَعُدُّها صَدَقَة[4] .

وقال أحمدُ بنُ الحُسَين الوَاعِظُ : أَوْدَعَ أبو عبد الله بنُ أبي مُوسَى الهاشِميُّ عَشرةَ آلافِ دينارٍ ليتيم ، فضاقَت يَدُه فأنْفَقَها وكَبُرَ الصَّبيُّ ، وأُذنَ له في قَبضِ مالِه ، قال ابنُ أبي موسىٰ : فضاقَت عليَّ الأرضُ ، وتَحيَّرتُ ، فبَكرتُ علىٰ بَغْلَتي ، وقَصدتُ الكَرْخَ فانتَهتْ بي البَغْلةُ إلىٰ دَرْبِ السلولي ووَقفَتْ بي علىٰ بابِ مَسجدِ دَعْلَج ، فدَخلتُ فصَلَّيتُ خلفَه الفَجرَ ، فلمَّا انْفتَلَ رَحَّبَ بي ، وقُمنا فدَخلنا دَارَه ، فقُدِّمَت لنا هَريسَةٌ ، فأكَلتُ وقَصَّرتُ ، فقالَ : أراكَ مُنقَبضاً ، فأخْبَرتُه ، فقالَ : كُلْ فإنَّ حاجَتَك تُقْضَىٰ ، فلمَّا فَرَغْنا ، اسْتَدعَىٰ بالذَّهَبِ والميزانِ ، فوَزَنَ لي عَشرةَ آلافِ دينارٍ وقُمتُ أطيرُ فَرحاً ، ثم سَلَّمتُ المالَ إلى الصَّبيِّ بحَضرةِ قاضي القُضاة ، وعَظُمَ الثَّناءُ عليَّ ، فلمَّا عُدتُ إلىٰ مَنزِلي اسْتدعاني أميرٌ من أولادِ الخَليفَة فقال : قد رَغبتُ في مُعامَلَتِك وتَضْمِينك أمْلاكي ، فضَمنْتُها فرَبحتُ في سَنَتي رِبحاً عَظيماً وكَسبتُ في ثلاث سنين ثلاثينَ ألفَ دينار ، وحَملتُ لدَعْلَج المالَ ، فقالَ : سُبحانَ الله ، والله ما نَويتُ

(١) انظر السير : (القاضي أبو يُوسُف) ٨/ ٥٣٥ـ ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٨ .

(٢) انظر السير : (بَقيُّ بنُ مَخْلَد) ١٣/ ٢٨٥ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٨٧ .

(٣) انظر السير : (القاضي الخَيَّاط) ١٤/ ٥٦٤ـ ٥٦٥ ، وانظر النزهة : ٥/١١٧٣ .

(٤) انظر السير : (القاضي الخَيَّاط) ١٤/ ٥٦٤ـ ٥٦٥ ، وانظر النزهة : ١/١١٧٤ .

أخْذَها ، حَلَّ بها الصِّبْيانَ ، فقلتُ : أيُّها الشَّيخُ ، أيش أَصْلُ هـٰذا المال حتىٰ تَهبَ لي عشرةَ آلافِ دينار ؟ فقال : نَشأتُ ، وحَفظتُ القُرآنَ ، وطَلبتُ الحَديثَ ، وكُنتُ أتَبزَّزُ ، فوافاني تاجرٌ من البَحْرِ فقال : أنْتَ دَعْلَج ؟ قلتُ : نَعَم قال : قد رَغبتُ في تَسليمِ مالي إليك مُضارَبةً ، فسلَّمَ إليَّ برنامجات بألفِ درهم ، وقال لي : ابْسُطْ يَدكَ فيه ولا تَعلمْ مَكاناً يُنفَقُ فيه المَتاعُ إلاَّ حَملْتَه ، ولمْ يَزلْ يَتردَّدُ إليَّ سَنةً بعدَ سَنةٍ يَحملُ إليَّ مثلَ هـٰذا والبضاعَةُ تَنمَىٰ ثم قال : أنا كثيرُ الأسْفارِ في البَحرِ ، فإنْ هَلكتُ فهـٰذا المالُ لكَ علىٰ أنْ تَصدَّقَ منه ، وتَبني المَساجدَ ، فأنا أفعلُ مثل هـٰذا ، وقد ثمَّرَ اللهُ تعالى المالَ في يَدي ، فاكْتُم عليَّ ما عِشتُ .

قال الحاكمُ : كان السُّلطانُ لا يَتعرَّضُ لتَركَةٍ ، ثم لمْ يَصْبرْ عن أموالِ دَعْلَج ، وقيلَ : لمْ يكنْ في الدُّنيا أيْسَرُ منه من التُّجَّار ، وتَركوا أوْقافَه ، رَحمَه الله .

ماتَ سنةَ إحْدَىٰ وخَمسينَ وثلاثِ ومئة[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ أبي ذُهل ، قالَ الحاكمُ : صَحبتهُ حَضَراً وسَفَراً فما رأيتُ أحسنَ وُضوءاً ولا صَلاةً منه ولا رَأيتُ في مَشايِخنا أحْسَنَ تَضرُّعاً وابْتِهالاً منه قيلَ لي : إنَّ عُشرَ غَلَّته تَبلغُ ألفَ حِمْل وحدَّثني أبو أحمَدَ الكاتبُ أنَّ النُّسخَةَ بأسَامي مَنْ يَمونُهم تَزيدُ علىٰ خَمسَةِ آلافِ بَيتٍ وقد عُرِضَت عليه وِلاياتٌ جَليلَةٌ فأبَىٰ .

قالَ الخَطيبُ : كانَ ثقةً نَبيلاً من ذَوي الأقْدارِ العاليَة ، سَمعتُ البرقانيَّ يَقولُ : كانَ مَلكُ هَرَاةَ من تَحتِ أمْرِهِ لقَدْرِه وأبُوَّته .

اسْتُشهِدَ ابنُ أبي ذُهل سَنةَ ثَمانٍ وسَبعينَ وثَلاثِ مئة[2] .

وقيلَ : كانَ الرِّفاعيُّ شَافِعياً يَعرفُ الفِقْهَ ، وقيلَ : كانَ يَجمَعُ الحَطبَ ويَجيءُ به إلىٰ بُيُوتِ الأرَامِلِ ويَمْلأ لهم بالجَرَّة[3] .

---

(١) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/ ٣٠ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٦٦ .
(٢) انظر السير : (ابنُ أبي ذُهل) ١٦/ ٣٨٠ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٩ .
(٣) انظر السير : (الرِّفاعِيُّ) ٢١/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٠١ .

الوَفَاء

١ـ كلمَةٌ في الوَفَاء :

عن الأحْنَفِ بنِ قَيْس قالَ : رَأسُ الأدَبِ آلَةُ الْمَنْطِقِ ، لا خَيرَ في قَولٍ بلا فِعلٍ ، ولا في مَنظَرٍ بلا مَخْبَر ، ولا في مَالٍ بلا جُودٍ ، ولا في صَديقٍ بلا وَفاءٍ ، ولا في فِقْهٍ بلا وَرَعٍ ، ولا في صَدَقةٍ إلا بنيَّة ، ولا في حَياةٍ إلاَّ بصِحَّةٍ وأمْنٍ[١] .

٢ـ صُورَةٌ على الوَفَاء :

قالَ السَّمْعانيُّ : كانَ عَطاءُ بنُ أبي سَعْد مِمَّنْ يُضرَبُ به الْمَثَلُ في إرادَةِ شَيخِ الإسْلام[٢] والجدِّ في خِدمَتِه ، وله حِكاياتٌ ومَقاماتٌ في خرُوجِ شَيخِه إلىٰ بَلْخ في الْمِحْنَة وجَرَىٰ بينَه وبينَ الوَزيرِ نِظامِ الْمُلكِ مُحاوَرَةٌ ومُرادَدَةٌ واحْتمَلَ له النِّظامُ[٣] .

قالَ : وسَمعتُ أنَّ عَطاءَ قُدِّمَ للخَشَبَة ليُصلَب فنَجَّاهُ اللهُ لحُسنِ نِيَّته فلمَّا أُطلِقَ عادَ إلى التَّظلُّمِ ، وما فتَرَ ، وخَرجَ مع النِّظام مَاشياً إلى الرُّوم ، فمَا رَكبَ ، وكانَ يَخوضُ الأنْهارَ مع الخَيْلِ ويَقولُ : شَيْخي في الْمِحْنَة ، فلا أسْتَريحُ ، قالَ لي ابنُه مُحمَّدٌ عَنه قالَ : كنتُ أعْدو في مَوْكبِ النِّظام ، فوَقَعَ نَعْلي فمَا الْتَفتُّ ورَميتُ الأُخْرَىٰ فأمْسَكَ النِّظامُ الدَّابَّةَ وقالَ : أينَ نَعْلاكَ ؟ فقُلتُ وَقعَ أحَدُهما فخَشيتُ أنْ تَسبقَني إنْ وَقفتُ قالَ : فلِمَ رَميتَ الأُخْرَى ؟ فقُلتُ : لأنَّ شَيخي أخْبرَنا أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَىٰ أنْ يَمْشيَ الرجُلُ في نَعْلٍ واحدٍ ، فمَا أردتُ أنْ أُخالِفَ السُّنَّة فأعْجَبَه وقالَ : أكْتبُ إنْ شَاءَ اللهُ حتَّىٰ يَرجِعَ شَيخُك إلىٰ هَرَاةَ ، وقالَ لي ارْكبْ بَعضَ الجَنائبِ ، فأبَيتُ ، وعَرضَ عليَّ مالاً ، فأبَيتُ[٤] .

---

(١) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٢ .

(٢) يعني : أبا إسماعيل الأنصاري .

(٣) انظر السير : (عَطاءُ بنُ أبي سَعْد) ٢٠/ ٥٤ـ ٥٦ ، وانظر النزهة : ١/١٥٣٠ .

(٤) انظر السير : (عَطاءُ بنُ أبي سَعْد) ٢٠/ ٥٤ـ ٥٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٠ .

٣ـ وَفَاءُ واحِدٍ من الكفَّار :

قال اليسعُ بنُ حَزْم : حدَّثني عنه أبو القاسم هِلالٌ أحَدُ وُجُوه العَرب قالَ : كان بَيني وبَينَ الْمُرابِطينَ أمر أَلْجَأني إلى الوُفودِ على ابنِ رُذْمير[١] ، فرحَّب بي ، وأمَرَ لي براتبٍ كَبير فحَضرتُ معه حَرْباً طُعِنَ عنه حِصانُه ، فوقَفتُ عليه ذابّاً عن حَوْزَتِه فلمَّا انْصَرفنا إلىٰ رشْقَة أمرَ الصَّوَّاغينَ بعَملِ كأسٍ من ذَهَبٍ رَصَّعَه بالدُّرِّ ، وكتبَ عليه : « لا يَشْربُ منْه إلاَّ مَنْ وَقَفَ علىٰ سُلْطانِه » فحضَرتُ يوماً فأخْرَجَ الكأسَ ، وملأه شَراباً ، وناوَلَني بحضْرَة ألفِ فارِس ، ورَأيتُ أعْناقَهم قد اسْوَدَّت من صَدأ الدُّروعِ قال : فناديْتُ ، وقُلْتُ : غَيري أحَقُّ به ، فقالَ : لا يَشْرَبُ هـٰذا إلاَّ مَنْ عَملَ عَمَلَكَ وكان هِلالٌ هـٰذا من قَريَة هِلالِ بنِ عامِر ، تابَ بعدُ وغَزا مَعَنا ، فكانَ إذا حَضرَ في الصَّفِّ جَبَلاً راسياً يَمْنَعُ تَهائمَ الجُيوشِ أنْ تَميدَ ، وقَلْباً في البَسَالَة قَاسياً ، يَقولُ في مُقارَعَةِ الأبْطَالِ : هَلْ مِنْ مَزيد ؟ أبْصَرتُه ـ رَحمَهُ اللهُ ـ أُمَّةً وَحْدَه ، يَتحامَاهُ الفَوارِسُ[٢] .

فحدَّثني هِلالٌ عن ابنِ رُذْمير وإنْصَافِه قالَ : كنتُ معه بظاهر رُوْطَة وقد وجَّه إليه عِمادُ الدولة وَزيرَه أبا محمَّد عبدِ الله بن هَمُشْك الأميرَ رَسولاً ، فطَلَبَ فارسٌ من ابنِ رُذْمير أنْ يُمكَّنَ من مُبارَزَة ابنِ هَمُشْك ، فقالَ : لا ، هو عِنْدنا ضَيفٌ ، فسَمعَ بذلك ابنُ هَمُشْك ، وأمْضَى ابنُ رُذْمير حاجَتَه ، وصَرفَه فقالَ : لا بد لي من مُبارَزَة هـٰذا فأمَرَ الملكُ ذاكَ الفارِسَ بالمُبارَزَة وقالَ : هـٰذا أشْجَعُ الرُّومِ في زَمانِه ، فانْصَرفَ عبدُ الله يُريدُ رُوْطَة وخَرجَ وَراءَه الرُّوميُّ شاكّاً في سِلاحِه ، وما مع ابنِ هَمُشْك دِرْعٌ ولا بَيْضَةٌ فأخَذَ رُمْحَه وطارِقَتَه من غُلامِه ، وقَصَدَ الرُّوميَّ ، فحَملَ كلٌّ منهما على الآخَرِ حَمَلاتٍ ، ثم ضَربَه ابنُ هَمُشْك في الطَّارِقَة فأعانَه اللهُ فانْقَطَعَ حِزامُ الفارِسِ ، فوَقعَ بسَرْجِه إلى الأرض ، فطَعنَه ابنُ هَمُشْك فقَتَلَه والمَلِكُ يُشاهِدُه علىٰ بُعْد ، فهَمَّت الرُّومُ بالحَمْلَة على ابنِ هَمُشْك فمَنعَهم المَلكُ ، ونَزَلَ غُلامُ ابنِ هَمُشْك ، فجرَّدَ الفارِسَ ،

---

(١) هو ابنُ رُذمير اللعين ، صاحب مملكة أرَغونة من شرق الأندلس ، كان قسِّيساً مُجرّباً داهية مُترَهِّباً ، قوي علىٰ بلاد ابن هود وطواها .

(٢) انظر السير : (عماد الدولة بن هود) ٢٠/ ٣٧ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٢٤ .

وسَلَبَه ، وأخَذَ فَرسَه ، وذَهبَ لم يَلتفِتْ إلىٰ ناحِيَتِنا فما أدْري مِمَّ أعْجَبُ ، من إنْصافِ المَلِك ، أو من ابنِ هَمُشْك كيفَ مَضَىٰ ولمْ يُعَرِّجْ إلينا ؟! .

وأقام ابنُ رُذْمير محاصراً سَرَقُسْطَة زماناً ، وأخذ كثيراً من حُصُونِها فلمَّا رَأَىٰ أبو عبدُ الله محمدُ بنُ غَلْبُون القائدُ ما حَلَّ بتلك البلادِ من الرُّوم ، ثارَ بدورقة وقَلعَة أيُّوب وملينَة ، وجَمعَ وحَشدَ ، وكافَحَ ابنَ رُذْميرَ واسْتولَىٰ أبو بكر بنُ تيفلوت علىٰ سَرَقُسْطَة ، وأقامَ بقَصرها في لذَّاته ، وأمَّا ابنُ غَلْبُون ، فأحْسَنَ السِّيرَة ، وعَدلَ ، وجاهَدَ ورُزِقَ الجُنْدَ ، رأيتُه رَجلاً طُوالاً جداً ، واجتمعتُ به ، أقامَ مُثاغراً لابن رُذْمير شجىً في حَلْقه ، الْتقَىٰ مرَّة في ألفِ فارسٍ لابنِ رُذْمير ، والآخَرُ في ألفٍ ، فاشْتدَّ بينهما القِتالُ ، وطالَ ، ثم حَملَ ابنُ غَلْبُون على ابنِ رُذْمير ، فصَرعَه عن حِصانِه ، فدَفَعَ عنه أصْحابُه فسَلِمَ ، ثم انْهَزَموا ، ونَجا اللَّعينُ في نَحْو المئتَين فقط ، وأمَّا ابنُ تيفلوت فإنَّه راسَلَ ابنَ غَلْبُونَ ، وخَدعَه ، حتىٰ حَسَّنَ له زيارة أمير المسلمين عليِّ ابنِ يوسُف ، فاسْتَخلَفَ علىٰ بلادِه وَلدَه أبا المُطرف ، وكان من الأبْطالِ المَوْصُوفين أيضاً ، فقَدمَ محمدُ مَرَّاكش ، فأُمْسِكَ ، وأُلْزِمَ بأنْ يُخاطِبَ بَنيهِ في إخْلاء بلادِه للمُرابطين ، فأخْلَوها طاعَةً لأبيهم ، وتَرحَّلوا إلىٰ غَربِ الأنْدَلُس ، ففَرِحَ بذلك ابنُ رُذْمير وحَصرَ سَرَقُسْطَة ، وصَنعَ عليها بُرْجَين عَظيمَين من خَشَب ، وإنَّ أهلَها لَمَّا يَئِسُوا من الغِياثِ ، خَرجوا وأحْرَقوا البُرْجَين ، واقْتَتلوا أشَدَّ قِتالٍ ، وكَتبوا إلى ابنِ تاشِفين يَسْتَصْرِخُون به ، وماتَ ابنُ تيفلوت ، وذلكَ في سنة إحْدَىٰ عَشرَة وخَمس مئة ، فأنْجدَهم بأخِيه تَميمِ ابنِ يوسُف ، فقَدمَ في جَيشٍ كَبير ، وعَنَّى ابنُ رُذْمير جُيوشَه ، ففَرِحَ أهْلُ سَرَقُسْطَة بتَميم ، فكانَ عليهم لا لَهُم .

جاء مُواجِهَ المدينة ، ثم نَكَّبَ عنها ، وكان طائفَةٌ من خَيلِها ورَجلِها قد تلَقَّوه ، فحَملَ عليهم حَمْلةً قَتلَ منهم جَماعَةً كَثيرة ، ثم نكَبَ عن لقاءِ العَدوِّ ، وانْصَرفَ إلىٰ جهاتِ المورالة ، واشْتدَّ البَلاءُ على البَلدِ ثم سَلَّموهُ بالأمَان ، علىٰ أنَّ مَنْ شَاءَ أقَامَ به(١) .

---

(١) انظر السير : (عِمادُ الدولَة بن هُود) ٢٠/ ٣٧ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ١٥٢٥/١ .

وكان ابنُ رُذمير مَعروفاً بالوفاء ، حدَّثني مَنْ أثقُ به أنَّ رجلاً كانت له بنتٌ من أجْمل النساء ففقدَها ، فأُخْبِرَ أنَّ كَبيراً من رؤوس الرُّوم خَرجَ بها إلىٰ سَرَقُسْطَة ، فتَبعَه أبَواها وأقاربُها ، فشَكَوه إلى ابنِ رُذْمير ، فأحضرَه ، وقال : عليَّ بالنار ، كيف تَفعَلُ هٰذا بمَنْ هو في جِواري ؟ فقالَ الرُّوميُّ : لا تَعْجَل عليَّ ، فإنَّها فَرَّت إلىٰ ديننا ، فجيء بها ، فأنكَرَت أبَوَيْها ، وارتَدَّت ولمّا دخلَ سَرَقُسْطَة ، أقرَّهم على الصلاة في جامِعِها سبعةَ أعوام ، وبعد ذلك يعمل ما يَرىٰ ، وحاصَر قُتُنّدَة[1] بعد سَرَقُسْطَة سَنتَين ، فلمّا كان في آخر سنة أربع عشرة ، قصَدَه عبد الله ابنُ حيونة في جَيشٍ فيهم قاضي المَريّة ، أبو عبد الله بنُ الفراء ، وأبو علي ابنُ سُكَّرة ، فبرزَ لهمُ اللَّعينُ ، فقَتلَ خَلْقاً ، وأُسرَ آخرون ، واستُشْهدَ المَذْكوران ، فبنىٰ عليهم ابنُ رُذْمير قُبوراً ، ثم سُلِّمَ البلدُ إليه ، وأخذَ في تلك المدة دورقة ، وقلعة أيُّوب ، وطَرَسُونة ، وأكثر من مئتي مسَوَّر ، ولم يَبْقَ أكثرُ من ثلاثة مدائن لم يأخذها ، وبقي من أعمال بَني هود لارِدَة وإفراغة ، وطُرْطُوشَة ، وغير ذلك معاملة عشرة أيام لم يَظْفَر اللَّعينُ بها ، فقام بلارِدة الهُمامُ البَطَلُ أبو محمد ، وقام بإفراغة الزاهدُ المُجاهدُ محمد مَردنيش الجُذامي جَدُّ الأمير محمد بن سَعْد[2] .

٤ـ صُوَرٌ مِنْ الوَفَاء :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي جَنْدَل بن سُهَيل بنِ عَمْرو العَامِريِّ القُرَشِيِّ : كانَ من خِيارِ الصَّحابَة ، وقد أسْلمَ وحَبَسَه أبوهُ وقَيَّدَه ، فلمَّا كانَ يَومَ صُلحِ الحُدَيْبيَة ، هَربَ يَحْجلُ في قُيودِه ، وأبُوهُ حاضِرٌ بينَ يَدَي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، لكِتابِ الصُّلحِ فقالَ : هٰذا أوَّلُ مَنْ أُقاضيكَ عليه يا مُحمَّدُ فقالَ : هَبهُ لي فأبَىٰ فرَدَّه وهو يَصيحُ ويَقولُ : يا مُسلِمُونَ! أُرَدُّ إلى الكُفْر ؟ ثم إنَّه هَربَ وله قِصَّةٌ مَشْهورَةٌ مَذكُورَةٌ في الصَّحيحِ ، ثم خَلُصَ وهاجَرَ ، وجاهَدَ ، ثم انْتقَلَ إلىٰ جِهَادِ الشَّامِ ، فتُوفِّيَ

---

(١) وهي ثَغر سَرَقُسْطَة من قُرىٰ مرسية .

(٢) انظر السير : (عِمادُ الدولَة بن هُود) ٢٠/٣٧ـ٤١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٢٦ .

شَهيداً في طاعُونِ عَمَواس بالأُردُن سَنةَ ثَمانيَ عَشرَة[1] .

وقال الْمِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَة : أثنى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم علىٰ أبي العَاصِ بنِ الرَّبيع في مُصَاهَرتِه خيراً ، وقالَ : « حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي ، وَوَعَدَنِي ، فَوَفَّىٰ لِي » وكانَ قد وَعدَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، أنْ يَرْجعَ إلىٰ مَكة ، بعدَ وَقعَة بَدْر ، فيَبعَث إليه بزَيْنَبَ ابنَتِه ، فوَفَّىٰ بوَعدِه ، وفارَقَها مع شِدَّة حُبِّه لها ، وكانَ من تُجَّارِ قُرَيش وأُمَنَائِهم ، وما عَلمتُ له رِوَايَة .

وَلَمَّا هاجَرَ ، رَدَّ عليه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، زَوجتَه زَيْنَبَ بعدَ سِتَّةِ أعْوَام على النِّكَاحِ الأوَّل ، وقد كانَت زَوجتُه لَمَّا أُسِرَ نَوبَة بَدْر ، بَعثَتْ قلادَتَها لِتفُكَّه بها ، فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لِهَـٰذِهِ أَسِيرَهَا » فبادَرَ الصَّحابَةُ إلىٰ ذلك[2] .

وعن عائشَةَ : دَخَلت امرأَةٌ سَوْداءُ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأقْبلَ عَليها قالَت : فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ، أقْبَلتَ علىٰ هَـٰذه السَّوْداء هَـٰذا الإقْبَالَ فقالَ : « إنَّهَا كانَتْ تَدْخُلُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ ، وَإنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنْ الإيمَانِ »[3] .

وقالَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَان : ما مَنَعَني أنْ أشْهَدَ بَدْراً إلاَّ أنِّي خَرجتُ أنا وأبي ، فأخَذَنا كُفَّارُ قُرَيش ، فقالوا : إنَّكم تُريدُونَ مُحمَّداً! فقُلنا : ما نُريدُ إلاَّ الْمَدِينَة ، فأخَذوا العَهدَ عَلينا : لنَصْرِفَنَّ إلى المدينة ولا نُقاتِلُ معه فأخْبَرْنا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ صلى الله عليه وسلم : « نَفِي بِعَهْدِهِم ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِم »[4] .

وعن حَبيبِ بنِ أبي ثابت : أنَّ أبا أيُّوبَ الأنْصَاريَّ قَدِمَ على ابنِ عبَّاس البَصْرَةَ ، ففَرَّغَ له بَيتَه ، وقالَ : لأصْنَعَنَّ بكَ كمَا صَنعْتَ برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، كَمْ عَليكَ ؟ قالَ : عِشْرُونَ ألْفاً فأعْطَاهُ أرْبَعينَ ألْفاً ، وعِشْرينَ مَمْلوكاً ، ومَتاعَ البَيتِ .

---

(١) انظر السير : (أبو جَنْدَل) ١/ ١٩٢ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٦ .
(٢) انظر السير : (أبو العَاص بن الرَّبيع) ١/ ٣٣٠ـ ٣٣٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٢ .
(٣) انظر السير : (عائشة أمُّ المؤمنين) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٣٩ .
(٤) انظر السير : (حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَان) ٢/ ٢٦١ـ ٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٢٧٥ .

ماتَ أبو أيُّوب سَنَةَ اثنَتينِ وخَمْسينَ[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمَهْريِّ : وقد جالَ ابنُ عَمَّار في الأنْدَلُسِ أولاً ، ومَدَحَ الْمُلوكَ الكِبارَ والسُّوقَةَ بحيث إنَّه مَدَحَ فلاَّحاً أعْطَاهُ مِخْلاةَ شَعيرٍ لِحِمَارِه ، ثم آلَ بابنِ عَمَّار الحَالُ إلى الإمْرَة ، فمَلأ للفَلاَّحِ مِخْلاتَه درَاهِم ، وقالَ : لَوْ مَلأها بُراً لَمَلأناها تِبْراً .

وقد سَجنَه الْمُعْتَمدُ مدَّة ، وتَوسَّلَ إليه بقَصَائدَ[2] تُلَيِّنُ الصَّخْرَ ، فقَتلَه في سَنةِ تِسْعٍ وسَبعينَ وأرْبَع مئة[3] .

* * *

---

(١) انظر السير : (أبو أيُّوب الأنْصاري) ٢/ ٤٠٢ـ٤١٣ ، وانظر النزهة : ٣/٢٨٣ .

(٢) انظر هـٰذه القَصائدَ في (الذَّخيرَة) ، ٢/ ١/ ٤١٩ ، وما بعدها .

(٣) انظر السير : (الْمَهْري) ١٨/ ٥٨٢ـ٥٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٤٤ .

من صِفَاتِ المُؤمنين
الإنْصَاف

١ـ البَشَرُ مَجْبولونَ علىٰ عَدَم الإنْصَافِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ الله :

قالَ داودُ بنُ يَزيد ، سَمعتُ الشَّعْبيَّ يَقولُ : واللهِ لَوْ أَصَبتُ تِسعاً وتِسعينَ مَرَّة ، وأخْطأتُ مَرَّة لأعدُّوا عليَّ تلكَ الوَاحِدَة[1] .

٢ـ قال الذهبيُّ : صِرْنا في وَقْتٍ لا يَقدِرُ الشَّخصُ على النُّطْقِ بالإنْصافِ نَسألُ اللهَ السَّلامَة

قالَ ابنُ عبد الحَكَم : سَمعتُ الشَّافِعيَّ يَقولُ : قالَ لي مُحمَّدٌ : أيُّهما أعْلَمُ صاحِبُنا أمْ صاحِبُكم ؟ يَعْني أبا حَنيفَة ومالِكاً ، قُلتُ : على الإنْصاف ؟ قالَ نَعَم قُلتُ : أنشُدُكَ اللهَ ، مَنْ أعْلَمُ بالقُرآنِ ؟ قالَ : صاحِبُكم قُلتُ : مَنْ أعْلمُ بالسُّنَّة ؟ قالَ : صاحِبُكم قُلتُ : فمَنْ أعْلمُ بأقاويلِ الصَّحابَة والْمُتقدِّمينَ ؟ قالَ : صاحِبُكم قُلتُ : فلَمْ يَبقَ إلاَّ القِياسُ ، والقياسُ لا يَكونُ إلاَّ علىٰ هـٰذه الأشْياءَ ، فمَنْ لَمْ يَعرفْ الأُصُولَ ، علىٰ أيِّ شَيءٍ يَقيسُ ؟[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وعلى الإنْصافِ ، لو قالَ قائلٌ : بل هما سواءٌ في عِلمِ الكتاب ، والأوَّلُ ، أعْلمُ بالقِيَاسِ ، والثاني : أعْلمُ بالسُّنَّة ، وعندَه عِلمٌ جَمٌّ من أقْوَال كَثيرٍ من الصَّحابَة ، كما أنَّ الأوَّلَ أعْلمُ بأقَاويلِ عَليٍّ ، وابنِ مَسْعود وطائفةٍ مِمَّن كان بالكُوفَة من أصْحابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فرَضِيَ الله عن الإمَامَين ، فقد صِرْنا في وَقتٍ لا يَقدِرُ الشَّخصُ على النُّطقِ بالإنْصَافِ نَسألُ اللهَ السَّلامَة .

كان خاتَمُ مالِك ، الذي ماتَ وهو في يَدِه ، فصُّه أسْودُ حجَريّ ، ونَقْشُه :

---

(١) انظر السير : (الشَّعْبي) ٤/ ٢٩٤ـ٣١٩ ، وانظر النزهة : ١/٥٠٤ .

(٢) انظر السير : (مالِكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧/٧٣٦ .

حَسْبيَ اللهُ ونِعْمَ الْوَكيلُ وكانَ يَلبَسُه في يَسارِه ، ورُبَّما لَبِسَه في يَمينِه[1] .

٣ـ تَصْريحُ الذهبيِّ أنَّ بعضَ المُحدِّثين يَتنَطَّع في الحُكم على الأشْخَاص :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عليِّ بنِ الجَعْد : قد كانَ طَائفَةٌ من الْمُحدِّثينَ يَتنطَّعونَ فيمَنْ له هَفوَةٌ صَغيرَةٌ تُخالِفُ السُّنَّة ، وإلاَّ فعليٌّ إمامٌ كبيرٌ حُجَّةٌ ، يُقالُ : مَكثَ سِتِّينَ سَنةً يَصومُ يَوماً ، ويُفطِرُ يَوماً ، وبحَسْبِكَ أنَّ ابنَ عَدي يَقولُ في « كامِلِه » لَمْ أرَ في رِواياتِه حَديثاً مُنْكَراً إذا حدَّث عنه ثِقَة .

تُوفِّيَ عَليُّ بنُ الجَعْد سَنةَ ثَلاث ومئتين ، وقد اسْتَكمَلَ سِتّاً وتِسْعينَ سَنةً[2] .

٤ـ وُجُوب التَّخلُّص ممَّا في كتب التَّاريخ وغَيرِها من القَدْح في العُلَماء بالهَوَىٰ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ الشَّافِعيّ : كلامُ الأقْرانِ إذا تَبرهَنَ لنا أنَّه بهَوَىٰ وعَصبيَّة ، لا يُلتفَتُ إليه ، بل يُطوَىٰ ولا يُروَىٰ ، كما تَقرَّر الكَفُّ عن الكثير مِمَّا شَجرَ بين الصَّحابَة وقِتالِهم رَضيَ اللهُ عنهم أجْمَعين ، وما زالَ يَمرُّ بنا ذلك في الدَّواوين والكُتبِ والأجْزاء ، ولكنَّ أكثرَ ذلكَ مُنقَطعٌ وضَعيفٌ ، وبَعضُه كَذِبٌ ، وهـٰذا فيما بأيْدينا وبينَ عُلمائِنا فيَنبَغي طيُّه وإخفاؤُه ، بلْ إعْدامُه لتَصْفُو القُلوبُ وتَتوفَّر علىٰ حُبِّ الصَّحابَة ، والتَّرضِّي عنهم ، وكِتْمانُ ذلك مُتعيِّنٌ عن العامَّة وآحادِ العُلماءِ ، وقد يُرَخَّصُ في مُطالَعَة ذلك خلوَةً للعَالِمِ الْمُنصِفِ العَريِّ من الهَوَىٰ ، بشَرطِ أنْ يَستَغفِرَ لَهُم ، كمَا علَّمَنا اللهُ تَعالَىٰ حَيثُ يَقولُ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[3] ، [4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وأما أئمتنا اليوم وحكامُنا ، فإذا أعدَموا ما وُجِدَ مِنْ

---

(١) انظر السير : (مالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٨/٧٣٦ .
(٢) انظر السير : (عَليّ بن الجَعْد) ١٠/ ٤٥٩ـ ٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٤ .
(٣) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .
(٤) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٩/٨٥٣ .

قَدْحٍ بهَوَىٰ ، فقد يُقالُ : أَحْسَنوا ووُفِّقُوا وطاعتُهم في ذلك مُفترضَة لما قد رأوه من حَسمِ مادَّة الباطِلِ والشَّرِّ .

ويكل حال فالجُهَّالُ والضُلاَّلُ قد تكلَّموا في خِيارِ الصَّحابَة ، وفي الحَديثِ الثابتِ : « لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذَىً يَسْمَعُهُ مِنْ اللهِ ، إِنَّهُمْ لَيَدَّعُونَ لَهُ وَلَداً ، وَإِنَّهُ لَيَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِم »[1] .

٥ـ حَالُ الأقْران :

قالَ إبراهيمُ بنُ الْمُنْذِر الحزاميُّ : كان ابنُ الزِّناد سَببَ جَلدِ رَبيعَة الرأي ، ثم وَلِيَ بعدَ ذلكَ الْمَدينةَ فلان التيمي ، فأرسلَ إلىٰ أبي الزِّناد ، فطَيَّنَ عليه بَيتاً ، فشَفَّعَ فيه رَبيعَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : تَؤُولُ الشَّحْناءُ بَينَ القُرَناءِ إلىٰ أعْظَمَ من هـٰذا[2] .

ولمَّا رَأى رَبيعةُ أنَّ أبا الزِّنادِ يَهْلِكُ بسَبَبه ما وَسِعَهُ السُّكُوتُ ، فأخْرَجُوا أبا الزِّناد ، وقد عايَنَ المَوْتَ وذَبُلَ ، ومالَتْ عُنُقُه ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ[3] .

وعن الإمامِ البُوَيْطيِّ أنَّه قالَ : بَرىء النَّاسُ من دَمِي إلاَّ ثَلاثَة : حَرْمَلة ، والْمُزَنيّ ، وآخَر[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : استَفِقْ ، وَيْحَك ، وسَلْ رَبَّكَ العافيَةَ ، فكَلامُ الأقْرانِ بَعضُهم في بعضٍ أمرٌ عَجيبٌ ، وقعَ فيه سادَةٌ ، فرَحِمَ اللهُ الجَميعَ .

وقد ماتَ الإمامُ البُوَيْطيُّ في قَيدِه مَسْجوناً بالعِراقِ سَنةَ إحْدَىٰ وثَلاثينَ ومِئتَين[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي عَمْرو الدَّاني : قد كانَ بينَ أبي عَمرو ، وبينَ أبي مُحمَّدِ بنِ حَزْم وَحْشَة ومُنافَرَة شَديدَة ، أفْضَت بهما إلى التَّهاجي ، وهـٰذا مَذمومٌ

---

(١) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٥ .
(٢) انظر السير : (أبو الزِّناد) ٥/ ٤٤٥ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٠ .
(٣) انظر السير : (أبو الزِّناد) ٥/ ٤٤٥ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/٦٢١ .
(٤) انظر السير : (البُوَيْطيُّ) ١٢/ ٥٨ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٢ .
(٥) انظر السير : (البُوَيْطيُّ) ١٢/ ٥٨ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٢ .

من الأقْرانِ ، مَوْفورُ الوُجود نَسألُ اللهَ الصَّفحَ ، وأبو عَمرو أقْوَمُ قِيلاً ، وأتْبَعُ للسُّنَّة ولكنَّ أبا مُحمَّد أوْسَع دائرةً في العُلوم بَلغَت تَواليفُ أبي عَمْرو مئة وعشرين كتاباً[١] .

٦ـ كلامُ الأقْرانِ في بَعضِهم لا يُسْمَع :

رَوَى اللَّيثُ بنُ سَعد ، عن رَبيعَةَ بنِ أبي عبدِ الرحمَـٰن قالَ : أمَّا أبو الزِّنادِ ، فلَيسَ بثِقةٍ ولا رَضِيّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : انعقَد الإجْماعُ علىٰ أنَّ أبا الزِّناد ثقةٌ رَضِيٌّ[٢] .

وقالَ مَالكٌ حينمَا ذَكرَ ابنَ إسْحاق بن يَسار الإخْباريَّ : دَجَّالٌ من الدَّجاجِلَة[٣] .

قالَ الخَطيبُ : ذَكرَ بَعضُهم : أنَّ مَالِكاً عابَه جَماعَةٌ من أهْلِ العِلمِ في زَمانِه بإطْلاقِ لِسانِهِ في قَومٍ مَعْروفينَ بالصَّلاحِ والدِّيانَة والثِّقَة والأمَانَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كلاَّ ما عابَهم إلاَّ وهُم عندَه بخِلافِ ذلك وهو مُثابٌ علىٰ ذلك وإنْ أخْطَأ اجتهادُه رَحمَةُ اللهِ عليه[٤] .

وعن عبدِ الله بنِ نافِع قالَ : كانَ ابنُ أبي ذِئب وابنُ الماجِشُون وابنُ حازِم وابنُ إسْحاقَ يَتكلَّمون في مَالك . وكانَ أشَدَّهم فيه كلاماً محمَّدُ بنُ إسْحاقَ كانَ يَقولُ : ائْتُوني ببَعضِ كُتبِه حتَّىٰ أُبيِّنَ عُيوبَه ، أنا بَيْطَارُ كُتُبِه[٥] .

وذكر البُخاريُّ هنا فَصلاً حَسَناً عن رجالِه ، وإبْراهيمِ بنِ سَعد ، وصالحِ بنِ كيسَان فقد أكْثَرَ عن ابنِ إسْحاق قال البخاريُّ : ولَوْ صحَّ عن مالك تَناوُلُه من ابنِ إسْحاق فلَرُبَّما تكلَّمَ الإنْسانُ فيَرمِي صاحبَه بشيءٍ واحد ولا يَتَّهِمُه في الأمُورِ كلِّها قال : وقال إبراهيمُ بنُ المُنْذِر عن محمدِ بنِ فُلَيْح : نَهاني مالكٌ عن شَيخَينِ من قُريش وقد أكْثَرَ عنهما في « المُوَطَّأ » وهما ممَّن يُحْتَجُّ بهما ، ولمْ ينجُ كثيرٌ من النَّاسِ من كلامِ بَعضِ

(١) انظر السير : (أبو عَمْرو الدَّاني) ١٨/ ٧٧ـ ٨٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٨٦ .
(٢) انظر السير : (أبو الزِّناد) ٥/ ٤٤٥ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٢/٦٢١ .
(٣) انظر السير : (ابنُ إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ١/٦٧٤ .
(٤) انظر السير : (ابنُ إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦٧٤ .
(٥) انظر السير : (ابنُ إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦٧٤ .

النَّاسِ فيهم نَحْو ما يُذكَر عن إبراهيمَ من كلامِه في الشَّعْبيِّ وكلام الشَّعْبيِّ في عِكْرِمَة وفيمَن كان قبلَهم وتناوُل بعضِهم في العِرْض والنَّفْس ولمْ يَلتَفِتْ أهلُ العلم في هٰذا النَّحْو إلاَّ ببَيان وحُجَّة ولمْ تَسْقُط عَدالَتُهم إلاَّ ببُرْهانٍ ثابتٍ وحُجَّة ، والكَلامُ في هٰذا كَثير[1] .

قالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَل : بَلغَ ابنُ أبي ذِئب أنَّ مالكاً لَمْ يَأخُذْ بحَديث « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ » فقالَ : يُستَتابُ ، فإنْ تابَ ، وإلاَّ ضُرِبَت عُنقُه ثم قالَ أحمَدُ : هو أوْرَعُ وأقْوَلُ بالحَقِّ من مَالِك[2] .

ثم قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَوْ كانَ وَرِعاً كمَا يَنبَغي ، لَمَا قالَ هٰذا الكَلامَ القَبيحَ في حَقِّ إمَامٍ عَظيمٍ فمَالِكٌ إنَّما لَمْ يَعمَلْ بظَاهِرِ الحَديثِ ، لأنَّه رَآهُ مَنْسُوخاً[3] .

وقيلَ : عَملَ به وحَملَ قَولَهَ : « حَتَّىٰ يَتفرَّقَا » على التَّلفُّظ بالإيجابِ والقَبولِ ، فمَالِكٌ في هٰذا الحَديثِ ، وفي كُلِّ حَديثٍ له أجْرٌ ولا بُدَّ ، فإنْ أصابَ ، ازْدادَ أجْراً آخرَ ، وإنَّما يَرَى السَّيفَ علىٰ مَنْ أخْطأ في اجْتِهادِه الحَرُوريَّةُ[4] وبكل حالٍ فكَلامُ الأقْرانِ بَعضُهم في بَعضٍ لا يُعَوَّلُ علىٰ كثيرٍ منه ، فلا نَقُصَت جَلالَةُ مالِك بقَولِ ابنِ أبي ذئب فيه ، ولا ضَعَّفَ العُلمَاءُ ابنَ أبي ذئب بمَقالَته هٰذه ، بلْ هما عالِما الْمَدينَة في زَمانِهما ـ رَضِيَ الله عنهما ـ ولَمْ يُسْنِدْها الإمَامُ أحمَدُ فلعَلَّها لَمْ تَصح[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ زكَريّا بنِ عَديّ : وقد نالَ منه أبو نُعَيم الكُوفيُّ بِلا حُجَّة ، وقالَ : مالَه وللحَديثِ ؟ هو بالتَّوْراةِ أعْلَمُ .

قالَ ابنُ سَعْد : هو من مَوَالي تَيم الله ، وكانَ رَجلاً صالِحاً ثِقةً ، قالَ : وتُوفِّيَ في سَنةِ إحْدَىٰ عَشرَةَ ومِئتَين[6] .

---

(١) انظر السير : (ابن إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٦٧٤/ ٥ .
(٢) انظر السير : (ابنُ أبي ذِئب) ٧/ ١٣٩ـ ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٨٦/ ٣ .
(٣) انظر السير : (ابنُ أبي ذِئب) ٧/ ١٣٩ـ ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٨٦/ ٤ .
(٤) الحَرُوريَّة : هم الخَوَارج ، ونسبتُهم إلىٰ : حَروراء ، وهو مَوضع بظاهر الكُوفَة ، وبه كان أوَّلُ اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عَليّاً رضي الله عنه وخَرجوا عليه .
(٥) انظر السير : (ابنُ أبي ذِئب) ٧/ ١٣٩ـ ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٨٦/ ٥ .
(٦) انظر السير : (زَكَريّا بن عَدي) ١٠/ ٤٤٢ـ ٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٨٢/ ٤ .

وعن الإمامِ البُوَيْطيِّ أنّه قالَ : بَرِىء النَّاسُ من دَمِي إلاَّ ثَلاثَة : حَرْمَلة ، والْمُزَنيّ ، وآخَر[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : اسْتَفِقْ ، وَيْحَك ، وسَلْ رَبَّكَ العافيَةَ ، فكَلامُ الأقْرانِ بَعضُهم في بعضٍ أمرٌ عَجيبٌ ، وقعَ فيه سادَةٌ ، فرَحِمَ اللهُ الجَميعَ .

وقد ماتَ الإمامُ البُوَيْطيُّ في قَيدِه مَسْجوناً بالعِراقِ سَنةَ إحْدَىٰ وثَلاثينَ ومِئتَين[2] .

٧ـ ضَابطٌ في كلام الأقْران :

قالَ مَكْحولٌ : ما زِلتُ مُضطلِعاً علىٰ مَنْ ناوَأني حتَّىٰ عاوَنَهم عليَّ رَجاءُ بنُ حَيْوَة ، وذلكَ أنَّه كانَ سَيِّدَ أهْلِ الشَّامِ في أنْفُسِهم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كانَ ما بَينَهما فاسِداً ، وما زَالَ الأقْرانُ يَنالُ بَعضُهم من بَعضٍ ، ومَكْحُولٌ ورَجَاءٌ إمَامَانِ ، فَلا يُلتَفتُ إلىٰ قَولِ أحدٍ منهما في الآخَر[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ إسْحاقَ : وقد أمْسَكَ عن الاحْتجاجِ برِوَاياتِ ابنِ إسْحاق غيرُ واحدٍ من العُلماء لأشياءَ ، منها : تَشيُّعُه ، ونُسِبَ إلى القَدَر ، ويُدَلِّسُ في حَديثِه ، فأمَّا الصِّدْقُ فليس بمَدفُوع عنه[4] .

وذكر البُخاريُّ هنا فَصلاً حَسَناً عن رجالِه ، وإبْراهيمِ بنِ سَعد ، وصالحِ بنِ كيسَان فقد أكْثَرَ عن ابنِ إسْحاق قال البخاريُّ : ولَوْ صحَّ عن مالك تَناوُلُه من ابنِ إسْحاق فلَرُبَّما تكلَّمَ الإنْسانُ فيَرمِي صاحبَه بشيءٍ واحد ولا يَتَّهِمُه في الأمُورِ كلِّها قال : وقال إبراهيمُ بنُ الْمُنْذِر عن محمدِ بنِ فُلَيْح : نَهاني مالكُ عن شَيخَينِ من قُريش وقد أكثرَ عنهما في « المُوَطَّأ » وهما ممَّن يُحْتَجُّ بهما ، ولمْ ينجُ كثيرٌ من النَّاسِ من كلام بَعضِ النَّاسِ فيهم نَحْو ما يُذكَر عن إبراهيمَ من كلامِه في الشَّعْبيِّ وكلامِ الشَّعْبيِّ في عِكْرمَة

(١) انظر السير : (البُوَيْطيُّ) ١٢/٥٨ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٢ .
(٢) انظر السير : (البُوَيْطيُّ) ١٢/٥٨ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٢ .
(٣) انظر السير : (رَجاءُ بنُ حَيْوَة) ٤/٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٨ .
(٤) انظر السير : (ابن إسْحاق) ٧/٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٧٤ .

وفيمَن كان قبلَهم وتناوُل بعضِهِم في العِرْض والنَّفْس ولمْ يَلتَفِتْ أهلُ العلم في هٰذا النَّحْو إلاَّ ببَيان وحُجَّة ولمْ تَسْقُط عَدالَتُهم إلاَّ ببُرْهانٍ ثابتٍ وحُجَّة ، والكَلامُ في هٰذا كَثير[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَسنا نَدَّعي في أئمَّةِ الجَرْحِ والتَّعْديلِ العِصْمَةَ من الغَلَط النادر ، ولا من الكَلامِ بنَفَس حادٍّ فيمَنْ بينَهم وبينَه شَحْناءَ وإحنَة[2] وقد عُلمَ أنَّ كثيراً من كَلامِ الأقْرانِ بَعضُهم في بعض مُهْدَرٌ لا عِبرَةَ به ، ولا سيَّما إذا وَثَّقَ الرجُلَ جَماعَةٌ يَلوحُ علىٰ قَولِهم الإنْصافُ ، وهٰذان الرَّجُلان كُلٌّ منهما قد نَالَ من صاحِبه لكن أثَّرَ كَلامُ مالِكٍ في مُحمَّد بَعضَ اللِّين ، ولَمْ يُؤثِّرْ كَلامُ مُحمَّد فيه ولا ذَرَّة ، وارْتَفَعَ مَالِكٌ ، وصارَ كالنَّجمِ ، والآخَرُ فلَه ارْتفاعٌ بحَسبه ، ولا سيَّما في السِّيَر ، وأمَّا في أحاديثِ الأحْكامِ فيَنْحَطُّ حَديثُه فيها عن رُتبَة الصِّحَّة إلىٰ رُتبَة الحَسَنِ إلاَّ فيما شَذَّ فيه فإنَّه يُعَدُّ مُنكَراً ، هٰذا الذي عندي في حالِه ، واللهُ أعلَم[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ الشَّافِعيّ : كلامُ الأقْرانِ إذا تَبرهَنَ لنا أنَّه بهَوَىٰ وعَصبيَّة ، لا يُلتفَتُ إليه ، بل يُطوَىٰ ولا يُروَىٰ ، كما تَقرَّر الكَفُّ عن الكثير مِمَّا شَجرَ بين الصَّحابَة وقِتالِهم رَضيَ اللهُ عنهم أجْمَعين ، وما زالَ يَمرُّ بنا ذلك في الدَّواوين والكُتبِ والأجْزاء ، ولكنَّ أكثرُ ذلكَ مُنقَطعٌ وضَعيفٌ ، وبَعضُه كَذبٌ ، وهٰذا فيما بأيْدينا وبينَ عُلمائِنا فيَنبَغي طيُّه وإخفاؤُه ، بلْ إعْدامُه لتَصْفُو القُلوبُ وتَتوفَّر علىٰ حُبِّ الصَّحابَة ، والتَّرضِّي عنهم ، وكِتْمانُ ذلك مُتعيِّنٌ عن العامَّة وآحادِ العُلماءِ ، وقد يُرَخَّصُ في مُطالَعَة ذلك خلوَةً للعَالِم الْمُنصِفِ العَريِّ من الهَوَىٰ ، بشَرطِ أنْ يَستَغفِرَ لَهُم ، كمَا علَّمَنا اللهُ تَعالَىٰ حَيثُ يَقولُ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[4]، [5] .

---

(١) انظر السير : (ابن إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٦٧٤/ ٥ .

(٢) الإحنة : الحقد في الصدر .

(٣) انظر السير : (ابن إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٦٧٥/ ١ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .

(٥) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥٣/ ٩ .

قالَ أبُو بَكْرِ المَرْوذيّ : ذَكَرَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل هِشَامَ بنَ عَمّارٍ ، فقال : طَيّاشٌ خَفيف(1) .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أمَّا قَولُ الإمام أحمَد عن هِشَام بنِ عَمّار إنَّه طيّاش ، فلأنَّهُ بَلَغَهُ عَنهُ أنَّه قالَ في خُطْبَتِه : « الحَمْدُ للهِ الذي تَجلّىٰ لِخَلْقِه بِخَلْقِه » ، فهَـٰذِهِ الكَلِمَة لا يَنْبَغي إطْلاقُها ، وإنْ كانَ لها مَعْنَىٰ صَحيح ، لكنْ يَحْتَجُّ بها الحُلُوليُّ والاتِّحاديُّ وما بَلَغَنا أنَّه سُبْحانه وتَعالَىٰ تَجَلَّىٰ لشَيءٍ إلاَّ بجَبَلِ الطُّورِ ، فصَيَّرَهُ دكَّاً ، وفي تَجَلِّيهِ لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم اخْتلافٌ أنْكَرَتهُ عائِشَةُ وأثْبَتَهُ ابنُ عَبَّاس(2) .

وبكل حالٍ كلامُ الأقْرانِ بَعضِهم في بَعْض يُحْتمَلُ ، وطَيُّه أوْلَىٰ من بَثِّه إلاَّ أنْ يَتَّفِقَ الْمُعاصِرونَ علىٰ جَرْح شَيخٍ ، فيُعْتمَدُ قَوْلُهم ، والله أعْلم(3) .

وقال أبو نُعيم في « تاريخ أصبهان » : ابنُ مَنْدَة حافِظٌ منْ أولادِ الْمُحدِّثين ، اخْتلطَ في آخِرِ عُمره ، وتَخبَّطَ في أمَاليهِ ، ونَسبَ إلىٰ جَماعَةٍ أقْوَالاً في الْمُعتَقَدات لَمْ يُعرَفوا بها ، نَسألُ اللهَ السَّتْرَ والصِّيانَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لا نَعبأ بقَولِك في خَصْمِك للعَدَاوَة السَّائرَة ، كمَا لا نَسمَعُ أيضاً قَولَه فيك ، فلقَد رَأيتُ لابنِ مَنْدَة حَطّاً مُقذّعاً علىٰ أبي نُعَيم وتَبْديعاً ، وما لا أحبُّ ذِكْرَه ، وكلٌّ منهما فَصَدوقٌ في نَفسِه ، غَيرُ مُتَّهم في نَقلِه بحَمدِ الله(4) .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي نُعَيم : قد كانَ أبو عبدِ اللهِ بنُ مَنْدَه يُقذعُ في الْمَقالِ في أبي نُعَيم لِمَكانِ الاعْتِقادِ الْمُتَنازَع فيه بين الحَنابِلَة وأصْحَابِ أبي الحَسَن ، ونالَ أبو نُعَيم أيضاً من أبي عبدِ الله في « تاريخِه » وقد عُرفَ وَهَنُ كَلامِ الأقْرانِ الْمُتَنافِسينَ بَعضهم في بَعضٍ نَسألُ اللهَ السَّماحَ .

---

(1) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١/ ٤٢٠ـ ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٧ .
(2) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١/ ٤٢٠ـ ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٩٥٧ .
(3) انظر السير : (هشام بن عمار) ١١/ ٤٢٠ـ ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٨ .
(4) انظر السير : (ابنُ مَندَه) ١٧/ ٢٨ـ ٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٢١ .

ماتَ أبو نُعَيم الحافِظُ ، سَنةَ ثَلاثينَ وأَرْبَع مئة وله أربعٌ وتِسْعونَ سَنةً[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ سُلَيمانِ بنِ إبْراهيم : قالَ يَحْيَىٰ بنُ مَنْده : في سَماعِهِ كَلامٌ ، سَمعتُ مِنْ ثِقاتٍ أنَّ له أخاً يُسمَّىٰ إسْمَاعيلَ أكْبرُ منه ، فحَكَّ اسمَه ، وأثبتَ اسمَ نفسِه ، وهو شَيخ شَرِهٌ لا يَتورَّعُ ، لَحّانٌ وَقّاح[2] .

تُوفِّيَ سَنةَ سِتٍّ وثَمانينَ ، وله تِسْعُونَ عَاماً غَيرَ أشْهُر[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وينبغي التوقف في كلام يَحْيَىٰ ، فبَينَ آلِ مَنْدَه وأصْحَابِ أبي نُعَيم عَداواتٌ وإحَنٌ[4] .

٨ـ تَعْليلٌ لذَمِّ الأقْرانِ بَعضهم بَعضاً :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمام الشَّافِعيِّ : وصَنَّفَ الكِبارُ في مَناقِبِ هـٰذا الإمَام قَديماً وحَديثاً ، ونالَ بَعضُ النَّاسِ منه غَضّاً ، فما زادَه ذلكَ إلاَّ رِفْعَةً وجَلالَةً ، ولاحَ للمُنْصِفينَ أنَّ كَلامَ أقْرانِه فيه بهَوىً ، وقَلَّ مَنْ بَرَّزَ في الإمَامَة ، ورَدَّ علىٰ من خالَفَه إلاَّ وَعُودي ، نَعوذُ بالله من الهَوَىٰ ، وهـٰذه الأوْرَاقُ تَضيقُ عن مَناقِبِ هـٰذا السَّيِّد .

قالَ الْمُزَنيُّ : ما رَأَيتُ أحْسَنَ وَجْهاً من الشَّافِعيِّ رَحمَهُ اللهُ وكانَ رُبَّما قَبضَ علىٰ لِحْيَتِه فلا يَفْضُلُ عن قَبضَتِه[5] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وقد كُنتُ وَقفتُ علىٰ بَعضِ كَلامِ الْمَغارِبَة في الإمَامِ الشَّافِعيِّ رَحِمَه الله ، فكانَت فائدَتي من ذلك تَضْعيفُ حالِ مَنْ تَعرَّضَ إلى الإمام ، وللهِ الحَمدُ .

ولا رَيبَ أنَّ الإمامَ لَمَّا سَكنَ مِصْرَ ، وخَالَفَ أقْرانَه من الْمالِكيَّة ، ووَهَّىٰ بَعضَ فُروعِهم بدَلائلِ السُّنَّة وخالَفَ شَيخَه في مَسائل ، تألَّموا منه ، ونالوا منه ، وجَرَت بينَهم وحْشَة ، غفرَ الله للكُلِّ ، قد اعْترَفَ الإمامُ سُحْنُونُ ، وقالَ : لَمْ يَكنْ في الشَّافِعيِّ

---

(١) انظر السير : (أبو نُعَيم) ١٧/ ٤٥٣ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٤٩ .
(٢) في اللسان : وَقُحَ الرجُلُ : إذا صار قليلَ الحَياء ، فهو وَقحٌ ووَقَّاح .
(٣) انظر السير : (سُلَيمانُ بنُ إبْراهيم) ١٩/ ٢١ـ ٢٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٥٣ .
(٤) انظر السير : (سُلَيمانُ بنُ إبْراهيم) ١٩/ ٢١ـ ٢٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٥٣ .
(٥) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٣/ ٨٤٥ .

بدعةٌ ، فصَدقَ والله ، فرَحِمَ اللهُ الشَّافِعيَّ ، وأينَ مثلُ الشَّافِعيِّ والله! في صِدقِه ، وشَرَفِه ، ونُبلِه ، وسِعَةِ عِلمِه ، وفَرطِ ذَكائه ، ونَصرِه للحَقِّ ، وكَثرَةِ مَناقِبِه ، رَحمَه اللهُ تعالىٰ[1] .

٩ـ قَواعِدٌ في الإنْصَاف :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ السَّفَّاح : وكان إذا عَلمَ بينَ اثْنين تَعادِياً لَمْ يَقبَلْ شَهادَةَ ذَا علىٰ ذَا ، ويَقولُ : العَدَاوَةُ تُزيلُ العَدَالَةَ[2] .

وعن عبدِ اللهِ بنِ الْمُبارَك قالَ : إذا غَلبَتْ مَحاسِنُ الرجُلِ علىٰ مَساوئه لَمْ تُذْكَر الْمَساوىء ، وإذا غَلبَت الْمَساوىء على الْمَحاسِن لَمْ تُذْكَر الْمَحاسِن[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي بَكر السِّجِسْتانيّ : لَيسَ من شَرط الثِّقَةِ أنْ لا يُخْطِىءَ ولا يَغْلَطَ ولا يَسْهوَ ، والرجلُ فمِنْ كِبَارِ عُلماء الإسْلام ، ومن أَوْثَق الحُفَّاظ ، رحمَه الله تَعالىٰ[4] .

وقالَ أبو الحَسَن الصَّفَّار : سَمعتُ أبا سَهْل الصُّعْلُوكيَّ ، وسُئلَ عن تَفسيرِ أبي بَكر القَفَّال فقالَ : قدَّسَه من وَجْه ، ودَنَّسَه من وجه أي : دَنَّسَه نَصرُه للاعْتِزالِ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الكَمالُ عَزيزٌ ، وإنَّما يُمدَحُ العالِمُ بكَثرَةِ ما لَه من الفَضائل ، فلا تُدفَن الْمَحاسِنُ لوَرْطَة ، ولَعلَّه رَجعَ عنها وقد يُغفَر له باسْتفْراغِه الوُسْعَ في طَلبِ الحَقِّ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله[5] .

١٠ـ ضَوابطٌ جَميلَةٌ في إعْذارِ مَنْ تَلبَّسَ ببِدْعَةٍ أو خَطأ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرْجَمَة قَتَادَةَ بن دِعامَة قُدوة المُفَسِّرين : هُوَ حُجَّةٌ بالإجْماعِ إذا بَيَّنَ السَّماعَ ، فإنَّه مُدَلِّسٌ مَعْروفٌ بذَلكَ ، وكان يَرَى القَدَرَ ، نَسْألُ اللهَ العَفْوَ ، ومع

---

(١) انـر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٣/٨٥٥ .
(٢) انظر السير : (السَّفَّاح) ٦/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٢ .
(٣) انظر السير : (عبد الله بن الْمُبارَك) ٣٧٨ ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٥/٧٦٨ .
(٤) انظر السير : (أبو بَكر السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٥ .
(٥) انظر السير : (القَفَّال الشَّاشِي) ١٦/ ٢٨٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٥ .

هٰذا فما تَوَقَّفَ أحدٌ في صِدْقِهِ ، وعَدالَتِهِ ، وحِفْظِهِ ، ولَعَلَّ اللهَ يَعْذُرُ أمْثالَه مِمَّن تَلَبَّسَ ببِدْعَة يُريدُ بها تَعْظيمَ البَاري وتَنْزيهَه ، وبَذَلَ وُسْعَه ، والله حَكَمٌ عَدْلٌ لَطيفٌ بعِبادِه ، ولا يُسْألُ عَمَّا يَفْعَلُ ، ثُمَّ إنَّ الكَبيرَ من أئِمَّةِ العِلْم إذا كَثُرَ صَوابُه ، وعُلِمَ تَحَرِّيهِ للحَقِّ ، واتَّسَعَ عِلمُه ، وظَهَرَ ذَكاؤُهُ ، وعُرِفَ صَلاحُه ووَرَعُه واتِّباعُه ، يُغْفَرُ لَه زَلَلُه ، ولا نُضَلِّلُهُ ونَطْرَحُه ، ونَنْسَىٰ مَحاسِنَه ، نَعَم ولا نَقْتَدي به في بِدْعَتِه وخَطَئِه ونَرْجُو له التَّوبَةَ من ذلك[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عَليِّ بن الفُضَيلِ بن عِياض : إذا كانَ كُبَراءُ السَّابقين الأوَّلينَ قد تَكلَّم فيهم الرَّوافِضُ والخَوارِجُ ، ومثل الفُضَيل يُتكلَّم فيه ، فمَنِ الذي يَسلَمُ من ألْسِنَة النَّاسِ ، لكن إذا ثَبَتَت إمَامَةُ الرجُلِ وفَضلُه ، لَمْ يَضرُّه ما قيلَ فيه ، وإنَّما الكَلامُ في العُلماءِ مُفتقِرٌ إلىٰ وَزنٍ بالعَدلِ والوَرَع[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ وَكيع : وكلُّ أحَدٍ يُؤخَذُ من قَولِه ويُترَك ، فلا قُدوَةَ في خَطأ العَالِم ، نَعَم ، ولا يُوبَّخ بما فَعلَه باجْتهاد ، نَسألُ اللهَ له المُسامَحَة .

قال يَحْيَىٰ بنُ مَعين : وَكيعٌ في زَمانِه كالأوْزاعيِّ في زَمانِه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كان أحمَدُ يُعظِّمُ وَكيعاً ويُفَخِّمُه[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي بَكر السِّجِسْتانيّ : لَيسَ من شَرط الثِّقَةِ أنْ لا يُخْطِىءَ ولا يَغْلَطَ ولا يَسْهوَ ، والرجلُ فمِنْ كِبَارِ عُلماء الإسْلام ، ومن أَوْثَق الحُفَّاظ ، رحمَه الله تَعالىٰ[4] .

قال الحافظُ أبو عبد الله بنُ مَندَه في مسألة الإيمان : صَرَّحَ محمدُ ابنُ نَصْر في كتاب « الإيمان » بأنَّ الإيمانَ مَخلوق ، وأنَّ الإقْرارَ ، والشَّهادَةَ ، وقِراءةَ القُرآن بلَفْظه مَخْلوق ثم قال : وهَجَرَه علىٰ ذلك عُلماءُ وَقْته وخالَفَه أئمَّةُ خُراسانَ والعِراق[5] .

---

(١) انظر السير : (قَتادَة) ٥/ ٢٦٩ـ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠١ .

(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٢ .

(٣) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ١٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٩ .

(٤) انظر السير : (أبو بَكر السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٥ .

(٥) انظر السير : (محمد بن نَصر) ١٤/ ٣٣ـ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١١٢٧ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الخَوْضُ في ذلك لا يجوزُ ، وكذلك لا يجوزُ أنْ يُقالَ : الإيمانُ ، والإقْرارُ ، والقِراءةُ ، والتَّلفُّظُ بالقُرآن غَيرُ مَخْلوق ، فإنَّ اللهَ خَلقَ العِبادَ وأعْمالَهم ، والإيمانُ : فقَولٌ وعَمل ، والقِراءَةُ والتَّلفُّظُ : من كَسْب القارىء ، والمَقْروءُ المَلْفوظُ : هو كَلامُ الله ووَحْيُه وتَنزيلُه ، وهو غَيرُ مَخْلوق ، وكذلك كَلمَةُ الإيمان ، وهو قَوْلُ « لا إلـٰهَ إلاَّ الله ، محمَّدٌ رَسُولُ الله » داخلةٌ في القُرآن ، وما كان من القُرآن فليس بمَخْلوق ، والتكلُّمُ بها من فِعْلِنا ، وأفْعالُنا مَخْلوقَة ، ولو أنَّا كُلما أخطأ إمامٌ في اجْتهادِه في آحادِ المَسائل خطأً مَغْفوراً له ، قُمْنا عليه ، وبَدَّعْناه ، وهَجَرْناه ، لما سَلِمَ مَعنا لا ابنُ نَصْر ، ولا ابنُ مَنْدَة ، ولا مَنْ هو أكْبرُ منهما ، واللهُ هو هادي الخَلق إلى الحَقِّ ، وهو أرْحَمُ الراحمين ، فنَعوذُ بالله من الهَوىٰ والفَظاظَة[1] .

وقالَ أبو الحَسَن الصَّفَّار : سَمعتُ أبا سَهْل الصُّعْلُوكيَّ ، وسُئِلَ عن تَفسيرِ أبي بَكر القَفَّال فقالَ : قدَّسَه من وَجْه ، ودَنَّسَه من وجه أي : دَنَّسَه نَصرُه للاعْتِزالِ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الكَمالُ عَزيزٌ ، وإنَّما يُمدَحُ العالِمُ بكَثْرَةِ مالَه من الفَضائل ، فلا تُدفَن الْمَحاسِنُ لوَرْطَة ، ولَعلَّه رَجعَ عنها وقد يُغفَر له باسْتفْراغِه الوُسْعَ في طَلَبِ الحَقِّ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ عبدِ البَرِّ : كان إماماً دَيِّناً ثِقةً ، مُتْقِناً ، علاَّمة ، مُتبَحِّراً ، صاحِبَ سُنَّة واتِّباع ، وكانَ أوّلاً ظاهِرياً فيما قيلَ ، ثم تَحوَّلَ مَالِكيّاً مع مَيلٍ بَيِّنٍ إلىٰ فِقهِ الشَّافِعيِّ في مَسائل ، ولا يُنكَرُ له ذلك ، فإنَّه مِمَّن بَلغَ رُتبَةَ الأئمَّة الْمُجتَهدين ، ومَنْ نَظرَ في مُصنَّفاتِه ، بانَ له مَنزلتُه من سعة العِلم ، وقُوَّة الفَهم ، وسَيلان الذِّهْن ، وكلُّ أحَد يُؤخَذ من قَوله ويُترَك إلاَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنْ إذا أخْطأ إمامٌ في اجْتِهادِه ، لا يَنبَغي لنا أنْ نَنْسىٰ مَحاسِنَه ، ونُغَطِّي مَعارِفَه بل نستغفِرُ له ، ونَعتَذِرُ عنه .

وقالَ أبو عليٍّ الغَسَّانيُّ : ألفَ أبو عُمَر في « الْمُوَطَّأ » كُتباً مفيدَة ، منها : كتاب

---

(١) انظر السير : (محمد بن نَصر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٧ .

(٢) انظر السير : (القَفَّال الشَّاشِي) ١٦/ ٢٨٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٥ .

« التَّمْهيد لِما في الْمُوَطَّأ من الْمَعاني والأَسَانيد » ، فرتَّبَه علىٰ أسماء شُيوخِ مالِك علىٰ حُروفِ المُعجَم ، وهو كتابٌ لم يَتقدَّمه أحدٌ إلىٰ مثله ، وهو سَبعون جُزءاً .

قالَ الإمامُ الذَّهَبيُّ : هي أَجْزاءٌ ضَخمَة جداً .

قالَ ابنُ حَزْم لا أَعْلمُ في الكلام علىٰ فِقه الحَديث مثلَه ، فكَيفَ أحْسنَ منه ؟!!

ثم صنعَ كتاب « الاستذكار لِمَذهب عُلماء الأمْصَار فيما تَضمنَّه الْمُوَطَّأ من مَعاني الرأي والآثار » شَرح فيه « الْمُوَطَّأ » علىٰ وجهه ، وجَمعَ كتاباً جَليلاً مُفيداً ، وهو « الاسْتيعاب في أسْماء الصَّحابَة » ، وله كتابُ « جامع بيَان العِلم وفَضلِه ، وما يَنْبَغي في روايتِه وحملِه » ، وغير ذلك من تَواليفِه .

وكان مُوفَّقاً في التأليف ، مُعاناً عليه ، ونفع الله بتَواليفِه ، وكان مع تقدُّمه في عِلم الأثَر وبصره بالفِقْه ومَعاني الحَديثِ له بَسْطَة كبيرة في عِلْم النَّسَب والخَبَر .

ماتَ أبو عُمَر سَنةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ وأَرْبَع مئة ، واسْتكمَلَ خَمْساً وتِسْعينَ سَنةً وخَمْسَة أيّام ، رحمَه اللهُ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وكان في أصُول الدِّيانَة علىٰ مَذهَب السَّلف ، لمْ يَدخُلْ في عِلمِ الكَلامِ ، بلْ قَفا آثارَ مَشايخِه رحمَهم الله[1] .

١١ـ ضَابطٌ في الجَرْحِ والتَّعْديل :

قالَ عبدُ الخالِقِ بنُ مَنصور : سَمعتُ ابنَ الرُّوميِّ ، يَقولُ : ما رَأيتُ أَحَداً قَطُّ يَقولُ الحَقَّ في الْمَشايخ غير يَحْيَىٰ بنِ مَعين وغَيرُه كان يَتحامَلُ بالقَولِ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا القَولُ من عبدِ الله بنِ الرُّوميِّ غَيرُ مَقبول ، وإنَّما قالَه باجْتهاده ، ونَحنُ لا نَدَّعي العِصمَة في أئمَّة الجَرْح والتَّعْديلِ ، لكن هم أكثر النَّاسِ صَواباً ، وأَنْدَرُهم خَطأ ، وأَشَدُّهم إنْصافاً ، وأَبْعَدُهم عن التَّحامُل ، وإذا اتَّفَقوا علىٰ تَعديلٍ أو جَرْح ، فتَمسَّك به ، واعْضُضْ عليه بناجِذَيك ، ولا تَتجاوَزْه ، فتَندَم ومَنْ

---

(١) انظر السير : (ابنُ عبدِ البَرِّ) ١٨/ ١٥٣ـ ١٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٩٢ .

شَذَّ منهم ، فلا عِبرَةَ به فخَلِّ عَنكَ العَناءَ ، وأعْطِ القَوْسَ باريها ، فوالله لَوْلا الحُفَّاظُ الأكابِرُ ، لخَطبَت الزَّنادِقَةُ على الْمَنابِر ، ولَئنْ خَطَبَ من أهْلِ البِدَع فإنَّما هو بسَيفِ الإسْلامِ وبلِسَانِ الشَّريعَة وبجَاه السُّنَّة وبإظْهارِ مُتابَعَة ما جاءَ به الرسُولُ صلى الله عليه وسلم فَنَعوذُ بالله من الخُذْلانِ[1] .

١٢ـ مَعْرفَة مَراتِب الرِّجال :

(أ) مَعَالِمُ في تَقْويم الرِّجَال :

عن الزُّهْريِّ ، حدَّثني عُرْوَةُ أنَّ الْمِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَة أخْبرَه أنَّه وَفِدَ علىٰ مُعاويَةَ بنِ أبي سُفْيانَ فقَضىٰ حاجَتَه ، ثم خَلا به ، فقالَ : يا مِسْوَرُ! ما فَعلَ طَعنُك على الأئمَّة ؟ قالَ : دَعْنا من هٰذا وأحْسِنْ قالَ : لا والله لتُكلِّمَنِّي بذاتِ نَفسك بالذي تَعيبُ عليَّ قالَ مِسْوَرٌ : فلَمْ أترُك شَيئاً أعيبُه عليه إلاَّ بَيَّنتُ له فقالَ : لا أبْرأُ من الذَّنبِ ، فهل تَعُدُّ لنا يا مِسْوَرُ ما نَلي من الإصْلاح في أمْر العامَّة ، فإنَّ الحَسَنَةَ بعَشر أمثالها ، أمْ تَعُدُّ الذُّنوبَ ، وتَترُكُ الإحْسانَ ؟ قالَ : ما تُذكَرُ إلاَّ الذُّنوب قالَ مُعاويَةُ : فإنَّا نَعترفُ لله بكلِّ ذَنبٍ أذنبناه ، فهَلْ لك يا مِسْوَرُ ذُنوبٌ في خاصَّتِك تَخْشَىٰ أنْ تَهلكَكَ إنْ لَمْ تُغفَر ؟ قالَ : نَعَم قالَ : فما يَجعلُك الله برَجاء الْمَغفِرَة أحَقَّ منِّي ، فو الله ما ألي من الإصْلاحِ أكثرُ مِمَّا تَلي ، ولكنْ والله لا أُخَيَّرُ بينَ أمْرَين بينَ الله وبينَ غيرِه ، إلاَّ اختَرتُ اللهَ علىٰ ما سِواه ، وإنِّي لَعَلىٰ دينٍ يُقبَلُ فيه العَملُ ويُجزَىٰ فيه بالحَسَناتِ ، ويُجزَىٰ فيه بالذُّنوبِ إلاَّ أنْ يَعْفو اللهُ عنها ، قالَ : فخَصَمَني قالَ عُرْوَةُ : فلَمْ أسْمَعْ الْمِسْوَرَ ذَكرَ مُعاويَةَ إلاَّ صلَّىٰ عليه[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ومُعاويَةُ من خِيارِ الْمُلوكِ الذين غَلبَ عَدلُهم علىٰ ظُلمِهم ، وما هو ببَريءٍ من الهَنَّات ، واللهُ يَعْفو عنه[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحَلاَّجِ : فإذا جازَ علىٰ سيِّد البَشَر أنْ لا يَعْلَمَ ببعضِ

---

(١) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/٧١ـ٩٦ ، وانظر النزهة : ٩١٠/٢ .

(٢) انظر السير : (مُعاوية بن أبي سُفيان) ٣/١١٩ـ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣٥٤/٣ .

(٣) انظر السير : (مُعاوية بن أبي سُفيان) ٣/١١٩ـ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣٥٦/٦ .

المُنافقين ، وهم معه في المدينة سَنوات ، فالأوْلَىٰ أنْ يَخْفَىٰ حالُ جَماعة من الْمُنافِقينَ الفارغين علىٰ دين الإسْلامِ بعدَه عليه السلام على العُلماء من أمَّتِه ، فما يَنْبَغي لك يا فَقيهُ أنْ تُبادرَ إلىٰ تَكْفيرِ المُسْلمِ إلاَّ ببُرْهانٍ قَطعي ، كما لا يَسُوغُ لك أنْ تَعْتقدَ العِرْفانَ والوِلايَة فيمن قد تَبرهَنَ زَغَلُه ، وانْهَتَكَ باطِنُه وزَنْدَقَتُه ، فلا هٰذا ولا هٰذا ، بل العَدْلُ أنَّ مَنْ رآه المسلمون صالحاً مُحْسِناً ، فهو كذلك ، لأنَّهم شُهَداءُ الله في أرضِه ، إذْ الأُمَّة لا تَجْتَمعُ علىٰ ضَلالَة ، وأنَّ مَنْ رآه المسلمون فاجراً أو مُنافِقاً أو مُبْطِلاً ، فهو كذلك ، وأنَّ مَنْ كان طائفَةٌ من الأُمَّة تُضَلِّلُه ، وطائفَةٌ من الأُمَّة تُثْني عليه وتُبَجِّلُه ، وطائفَةٌ ثالثةٌ تَقِفُ فيه وتَتَورَّع من الحَطِّ عليه ، فهو ممَّن يَنْبَغي أن يُعْرَضَ عنه ، وأنْ يُفَوَّضَ أمرُه إلى الله ، وأن يُستغفَر له في الجُملَة ، لأنَّ إسْلامَه أَصْليٌّ بيَقين ، وضَلالَه مَشْكوكٌ فيه ، فبهٰذا تستَريحُ ويَصْفو قلبُك من الغِلِّ للمؤمنين .

ثم اعْلم أنَّ أهْلَ القبلَة كلَّهم ، مؤمنُهم وفاسِقُهم وسُنيُّهم ومُبتدِعُهم ـ سِوى الصحابَة ـ لم يُجْمعوا علىٰ مسلم بأنَّه سعيدٌ ناجح ، ولم يُجْمِعوا علىٰ مسلم بأنَّه شَقيٌّ هالك ، فهٰذا الصدِّيقُ فردُ الأمَّة ، قد عَلمتَ تفرُّقَهم فيه ، وكذلك عُمَر ، وكذلك عُثْمان ، وكذلك عليّ ، وكذلك ابنُ الزُّبَير ، وكذلك الحَجَّاج ، وكذلك المَأمون ، وكذلك بِشْر المريسي ، وكذلك أحمدُ بنُ حَنبَل ، والشَّافعي ، والبُخاري ، والنَّسَائي ، وهَلمَّ جرّاً من الأعْيان في الخَير والشَّر إلىٰ يومك هٰذا ، فما من إمام كامل في الخَير إلاَّ وثَمَّ أُناسٌ من جَهَلة المسلمين ومُبْتدعيهم يَذمُّونَه ويَحُطُّون عليه ، وما من رأسٍ في البدعَة والتجهُّم والرَّفْض إلاَّ وله أُناسٌ يَنْتَصرون له ، ويَذبُّون عنه ، ويَدينون بقَوله بهَوىً وجَهل ، وإنَّما العِبرَةُ بقَول جُمهور الأُمَة الخالين من الهَوىٰ والجَهْل المُتصِفين بالوَرَع والعلم ، فتدبَّر ـ يا عبد الله ـ نِحْلَة الحَلاَّج الذي هو رأسٌ من رؤوس القَرامطَة ودُعاة الزَّندَقَة ، وأنْصِفْ وتورَّع واتَّقِ ذلك ، وحاسب نفسَك ، فإنْ تبرهَن لك أنَّ شَمائلَ هٰذا المَرْء شَمائلَ عَدوٍّ للإسلام ، مُحبٌّ للرئاسَة حَريصٍ على الظُّهور بباطل وبحقٍّ ، فتَبرأ من نِحْلَته ، وإنْ تَبرهَن لك ، والعياذُ بالله ، أنَّه كان ـ والحالةُ هٰذه ـ مُحِقّاً هادياً مَهديّاً ، فجَدِّدْ إسْلامَك واستَغِث بربِّك أن يُوفِّقك للحقِّ وأن يُثبِّتَ قلبَك علىٰ دينِه ، فإنَّما الهُدَىٰ نورٌ يَقذفُه اللهُ في قلبِ عبده المسلم ، ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله ، وإنْ

شَكَكْتَ ولم تعرف حقيقَته ، وتَبرّأتَ ممَّا رُمِيَ به ، أَرَحْتَ نفسَك ، ولمْ يَسْأَلكَ اللهُ عنه أَصْلاً .

وقال أبو عُمرَ بن حَيوَة : لمَّا خَرجَ الحَلاَّجُ ليُقْتَل ، مَضيتُ وزَاحمتُ حتىٰ رأيتُه ، فقال لأَصْحابه : لا يَهُولنَّكم ، فإنِّي عائدٌ إليكم بعدَ ثَلاثين يَوماً .

فهٰذه حكايةٌ صَحيحة تُوضِّحُ لك أنَّ الحَلاَّجَ مُمَخْرَقٌ كذَّاب ، حتىٰ عند قَتلِه .

وقال الصُّوليُّ : قيلَ إنَّه كان في أوَّل أمرِه يَدعُو إلى الرِّضىٰ من آلِ محمّد ، وكان يُري الجاهلَ أشْياء من شَعبَذَته ، فإذا وَثِقَ منه دَعاهُ إلىٰ أنَّه إلـه[1] .

(ب) إنْزالُ الرِّجالِ مَنازِلَهم :

جاءَ في تَرجَمَةِ الأحْنَفِ بنِ قَيْس ، قيل : كان زياد مُعظِّماً للأحْنَفِ ابنِ قَيْس فلمَّا وَليَ بعدَه ابنُه عُبَيدُ الله تَغيَّرَ أمرُ الأحْنَفِ ، وقدَّم عليه مَنْ هو دُونَه ، ثم وَفِدَ علىٰ مُعاويَة في الأشْرافِ فقالَ لِعُبَيدِ الله : أدْخِلهم عليَّ علىٰ قَدرِ مَراتِبهم فأخَّرَ الأحْنَفَ ، فلمَّا رَآهُ مُعاويَةُ أكْرَمَه لِمَكانِ سِيادَتِه وقالَ : إليَّ يا أبا بَحْر ، وأجلَسَه مَعه وأعْرَضَ عنهم ، فأخذوا في شُكر عُبَيدِ الله بنِ زِياد ، وسَكتَ الأحْنَفُ فقالَ له : لم لا تَتكلَّم ؟ قالَ : إنْ تَكلَّمتُ خالَفتُهم قالَ : اشْهَدُوا أنِّي قَد عَزلتُ عُبَيدَ الله فلمَّا خَرجوا كانَ فيهم مَنْ يَرومُ الإمارَة ثم أتَوا مُعاويَةَ بعدَ ثلاثة ، وذَكرَ كلُّ واحد شَخصاً وتَنازَعوا ، فقالَ مُعاويَةُ : ما تَقولُ يا أبا بَحْر ؟ قالَ : إنْ وَلَّيتَ أحداً من أهْلِ بَيتك لَمْ تَجدْ مثلَ عُبَيدِ الله فقالَ : قد أعَدتُه ، قالَ : فخَلا مُعاويَةُ بعُبَيدِ الله وقالَ : كيفَ ضَيَّعتَ مثلَ هـٰذا الرجُلِ الذي عَزلَك وأعادَك وهو ساكتٌ! ؟ فلمَّا رَجعَ عُبَيدُ الله جَعلَ الأحْنَفَ صاحِبَ سِرِّه[2] .

عن يَحْيَىٰ بنِ مَعين : سَمعتُ قَبيصَةَ بنَ عُقبة يَقولُ : شَهدتُ عند شَريك ، فامْتَحنَني في شَهادَتي ، فذَكرتُ ذلكَ لسُفْيانَ ، فأنْكَرَ علىٰ شَريك ، وقالَ : لَمْ يَكنْ له أنْ يَمْتَحنَه .

---

(١) انظر السير : (الحَلاَّج) ١٤/٣١٣ـ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ١/١١٥٨ .

(٢) انظر السير : (الأحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٣ .

قالَ أحمَدُ بنُ سَلمَةَ النِّيسابوريُّ : سَمعتُ هَنَّاداً يَقولُ غَيرَ مَرَّة إذا ذَكرَ قَبيصَةَ : الرَّجلُ الصَّالِحُ وتَدْمَعُ عَيناه ، وكان هَنَّادٌ كَثيرَ البُكاء[1] .

(ج) المَوازينُ التي يُوزَنُ بها الرِّجَال :

عن سَعدٍ قال : كُنا مع رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم سِتَّة نفر ، فقال المشركون : اطْرُدْ هَؤلاء عَنكَ فَلا يَجْتَرؤُونَ عَلينا ، وكُنتُ أنا وابنُ مَسْعود وبلالٌ ورَجلٌ من هُذَيْل وآخَران ، فأنْزَلَ اللهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ . . . الآيَتين[2] ،[3] .

عن عُرْوَةَ بن رُويم ، عن القاسِمِ أبي عبدِ الرحمَـٰن حدَّثه قالَ : زارَنا سَلمانُ الفارسيُّ فصلَّى الإمامُ الظُهرَ ، ثم خَرجَ وخَرجَ النَّاسُ ، يَتلقَّوْنَه كما يُتلَقَّى الخَليفَةُ ، فلَقيناهُ وقد صلَّىٰ بأَصْحابِه العَصرَ ، وهو يَمشي فوَقَفْنا نُسلِّمُ عليه ، فلَمْ يَبقَ فينا شَريفٌ إلاَّ عَرضَ عَليه أنْ يَنزِلَ به ، فقالَ : جَعلتُ علىٰ نَفسي مرَّتي هـٰذه أنْ أنزلَ علىٰ بَشيرِ بنِ سَعْد فلمَّا قَدمَ ، سَألَ عن أبي الدَّرْداء ، فقالوا : هو مُرابطٌ ، فقالَ : أينَ مُرابَطُكم ؟ قالوا : بيرُوت ، فتوجَّه قِبَلَه ، قالَ : فقالَ سَلمانُ : يا أهلَ بَيرُوتَ : ألا أُحدِّثُكم حَديثاً يُذهِبُ الله به عَنكم عَرضَ الرِّباط سَمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقولُ : « رِبَاطُ يَوْم وَلَيْلَةٍ كصِيَام شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطَاً أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَجَرَىٰ لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[4] .

عن عائذِ بنِ عَمرو أنَّ أبا سُفْيانَ مَرَّ علىٰ سَلمانَ وبِلال وصُهَيب في نَفَر فقالوا : ما أخَذَت سُيوفُ الله من عُنُق عَدو الله مأخَذَها فقالَ أبو بَكر : تَقولون هـٰذا لشَيخ قُرَيش وسَيِّدِها! ثم أتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخْبرَه ، فقالَ : « يَا أَبَا بَكرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ » فأتاهُم أبو بَكر فقالَ : يا إخْوَتاهُ

---

(١) انظر السير : (قَبيصَة بن عُقبَة) ١٠/ ١٣٠ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٨ .
(٢) سورة الأنعام ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .
(٣) انظر السير : (بلال بن رَباح) ١/ ٣٤٧ـ ٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٧٥ .
(٤) انظر السير : (سَلمانُ الفارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٨ .

أغْضَبتُكم ؟ قالُوا : لا يا أبا بَكر ، يَغفِرُ اللهُ لك[1] .

وعن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه : أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أخَّرَ الإفاضَةَ من عَرَفَة من أجل أُسامَةَ بنِ زَيْد يَنتَظِرُه ، فجاءَ غُلامٌ أسْوَدُ أفْطَسُ فقالَ أهلُ اليَمَن : إنَّما جَلَسْنا لهـٰذا! فلذَلك ارْتَدُّوا يَعني أيَّامَ الرِّدَّة[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ الرَّحمَـٰن بنِ أبزى الخُزاعي : هو مَوْلىٰ نافِعِ بنِ عبدِ الحارِث ، كان نافعُ مَوْلاه اسْتنابَه علىٰ مكة حين تلقَّىٰ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ إلىٰ عُسفان ، فقال له : مَنْ اسْتخلَفْتَ علىٰ أهْلِ الوَادي ؟ يَعني مَكة ، قال : ابنُ أبْزَىٰ ، قال : ومَن ابنُ أبْزَى ؟ قال : إنَّه عالمٌ بالفَرائِض قارِىءٌ لكتاب الله قال أما إنَّ نَبيَّكم صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ هـٰذا القُرآنَ يَرْفَعُ اللهُ به أقْوَاماً ، ويَضَعُ به آخَرين »

ويُروَىٰ عن عُمرَ بنِ الخَطَّاب أنَّه قالَ : ابنُ أبزَىٰ ممَّن رَفعه اللهُ بالقُرآن .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : عاش إلىٰ سنة نيف وسبعين فيما يظهر لي[3] .

عن عبدِ الملك بنِ عُمَيْر ، قال : قَدِمَ عَلينا الأحْنفُ بنُ قَيس الكُوفَة مع مُصْعَب ، فمَا رَأيتُ صِفةً تُذَمُّ إلاَّ رَأيتُها فيه كان ضَئيلاً ، صَعْل الرأسِ ، مُتراكِبَ الأسْنان ، مائلَ الذَّقْن ، ناتِىءَ الوَجْنَة ، باخِق العَين ، خَفيفَ العَارِضَين ، أحْنَفَ الرِّجْلَين فكان إذا تكلَّمَ جَلا عن نفسِه[4] .

وعن أبي العَالِيَة ، قالَ : كانَ ابنُ عبَّاس يَرفعُني على السَّريرِ وقُرَيشُ أسْفَلَ من السَّريرِ ، فتَغامَزَت بي قُرَيشُ ، فقالَ ابنُ عبَّاس : هكَذا العِلمُ يزيدُ الشَّريفَ شَرفاً ، ويُجلِسُ الْمَمْلوكَ على الأسِرَّة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا كان سَريرُ دَارِ الإمْرَة لَمَّا كانَ ابنُ عبَّاس مُتوَلِّيها لعَليٍّ رَضيَ الله عنهما .

---

(١) انظر السير : (سَلمانُ الفارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٢ .
(٢) انظر السير : (أسامة بن زَيْد) ٢/ ٤٩٦ـ ٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩٦ .
(٣) انظر السير : (عبد الرحمَـٰن بن أبزى الخُزاعي) ٣/ ٢٠١ـ ٢٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦٥ .
(٤) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٤/٤٥٣ .

قالَ أبو بَكر بنُ أبي داود : ولَيسَ أحدٌ بعدَ الصَّحابَة أعْلمَ بالقُرآن من أبي العالِيَة وبعدَه سَعيدُ بنُ جُبَير[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ قُتَيْبَة بن مُسْلم : لَمْ يَنلْ قُتَيْبَةُ أعلَى الرُّتَب بالنَّسَب ، بلْ بكَمالِ الحَزْم والعَزْم والإقْدَام ، والسَّعْد وكَثرَةِ الفُتُوحات ، ووُفُور الهَيْبَة ، ومن أحْفَادِه الأميرُ سَعيدُ بنُ مُسْلم بنِ قُتَيْبَة الذي وَلِيَ أرْمِينِيَةَ ، والْمَوْصِل ، والسِّنْدَ ، وسِجِسْتَانَ ، وكانَ فارساً جَواداً ، وله أخْبارٌ ومَناقِبُ ، ماتَ زَمنَ الْمَأمون سَنَة سَبعَ عَشْرة ومئتَين[2] .

وعن عُثمانَ بنِ عَطاء قالَ : كانَ عَطاءُ بنُ أبي رَباح أسْودَ شَديدَ السَّواد ، لَيسَ في رَأسِه شَعرٌ إلاَّ شَعرات ، فَصيحٌ إذا تكلَّم ، فمَا قالَ بالحِجازِ قُبلَ منه[3] .

(د) أمْثلَةٌ علىٰ تَفاوُت مَراتِب الرِّجَال :

عن ابنِ عَبّاسٍ قالَ : جلسنا مع عُمرَ ، فقالَ : هل سَمعتَ عن رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم شَيئاً أمر به الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ إذا سَها في صَلاتِه ، كَيفَ يَصنَعُ ؟ فقُلتُ : لا والله ، أوَسَمعتَ أنتَ يا أميرَ المؤمنينَ من رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم في ذلكَ شَيئاً ؟ فقالَ : لا والله فبَيْنا نَحنُ في ذلكَ أتَىٰ عبدُ الرَّحمَـٰنِ بنُ عَوْف فقالَ : فيمَ أنتُما ؟ فقالَ عُمرُ : سألتُه ، فأخبرَه فقالَ له عبدُ الرَّحمَـٰن : لكنِّي سَمعتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَأمرُ في ذلك فقالَ له عُمَرُ : فأنتَ عندَنا عَدْلٌ ، فما سَمعتَ ؟ قالَ : سَمعتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقولُ : « إذَا سَهَىٰ أحَدُكمْ في صَلاتِهِ حَتَّىٰ لا يَدْري أَزَادَ أَمْ نَقَصَ ، فَإنْ كانَ شَك في الْوَاحِدَةَ وَالثِّنْتَيْنِ ، فَلْيَجْعَلْهَا وَاحِدَةً ، وَإذَا شَكَّ في الثَّلاثِ والأرْبَع ، فَلْيَجْعَلْهَا ثَلاثاً حَتَّىٰ يَكونَ الْوَهْمُ في الزِّيَادَةِ ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَينِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ ، ثُمَّ يُسَلِّم »[4] .

---

(١) انظر السير : (أبو العالِيَة) ٤/٢٠٧ـ٢١٣ ، وانظر النزهة : ٨/٤٧٨ .
(٢) انظر السير : (قُتَيْبَة بن مُسْلم) ٤/ ٤١٠ـ ٤١١ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٤ .
(٣) انظر السير : (عَطاءُ بنُ أبي رَباح) ٥/٧٨ـ٨٨ ، وانظر النزهة : ٨/٥٨٢ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الرحْمَـٰنِ بنُ عَوْف) ١/٦٨ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٩ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : فأصحابُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وإنْ كانوا عُدولاً فبَعضُهم أعْدَلُ من بَعض وأثْبَتُ ، فهُنا عُمَرُ قَنعَ بخَبرِ عبدِ الرَّحمَـٰنِ بن عَوْف ، وفي قصة الاسْتئذان يقول[1] : ائتِ بمَنْ يَشهَدُ مَعك ، وعليُّ بنُ أبي طالب يَقولُ : كانَ إذا حَدَّثني رَجلٌ عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، اسْتَحْلفْتُه ، وحدَّثني أبو بَكر ، وصَدقَ أبو بَكر فلَمْ يَحْتَجْ عَليٌّ أنْ يَستَحْلفَ الصِّدِّيقَ ، والله أعلَم[2] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ قالَ : كانَ بَينَ خَالِد وعبدِ الرَّحمَـٰنِ بن عَوْف شيءٌ ، فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « دَعُوا لِي أَصْحَابِي أَوْ أصيحَابِي ، فَإنَّ أَحَدَكمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً لَمْ يُدْرِكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ »[3] .

وعن ابنِ الْمُنْكَدِر أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : « يَا بَنِي سَلَمَةَ! مَنْ سَيِّدُكم ؟ » قَالُوا : الْجدُّ بنُ قَيْس ، وَإنَّا لَنُبَخِّلُه قال : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنْ الْبُخْلِ ؟ بَلْ سَيِّدُكم الْجَدُّ الأَبْيَضُ عَمْرُو بنُ الْجَمُوحِ »[4] .

وكان البَراءُ بنُ مَعْرور لَيلَةَ العَقبَة هو أجَلُّ السَّبْعينَ ، وهو أوَّلُهم مُبايَعةً لرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم[5] .

وكان سَعْدُ بنُ عُبادَة رضي الله عنه يَكتُبُ في الجاهليَّة ، ويُحسِنُ العَوْمَ والرَّمْيَ ، وكانَ من أحْسنِ ذلك ، سُمِّيَ الكامل[6] .

عن أبي وَائل قالَ : كُنتُ مع حُذَيْفَة ، فجاءَ ابنُ مَسْعود ، فقالَ حُذَيْفَةُ : إنَّ أشْبَهَ النَّاسِ هَدياً ودَلاً وقَضاءً وخُطبَةً برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من حين يَخرجُ من بَيتِه ، إلىٰ أنْ يَرجِعَ ، لا أدري ما يَصنَعُ في أهْلِه . لَعَبدُ اللهِ بنُ مَسْعود ، ولقد عَلمَ

---

(١) أي يقول عُمرُ لأبي مُوسَى الأشْعَريّ رضي الله عنهما .
(٢) انظر السير : (عبدُ الرحْمَـٰن بنُ عَوْف) ١/ ٦٨ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الرحْمَـٰن بنُ عَوْف) ١/ ٦٨ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٣١ .
(٤) انظر السير : (عَمْرو بنُ الجَموح) ١/ ٢٥٢ـ ٢٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٨ .
(٥) انظر السير : (البَراءُ بنُ مَعْرور) ١/ ٢٦٧ـ ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ١/١٦١ .
(٦) انظر السير : (سَعْدُ بنُ عُبادَة) ١/ ٢٧٠ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٢ .

الْمُتَهجِّدونَ من أصْحابِ مُحمَّد صلى الله عليه وسلم ، أنَّ عبدَ الله من أقْرَبِهم عندَ الله وَسيلَةً يَومَ القِيامَة[1] .

وقالَ أبو جَناب : سَمعتُ عُمَيرَ بنَ سَعيد يَقولُ : صلَّىٰ عَليٌّ علىٰ سَهْلِ بنِ حُنَيْف ، فكبَّرَ خَمْساً فقالوا : ما هَـٰذا ؟ فقالَ : لأهْلِ بَدْرٍ فَضْلٌ علىٰ غيرِهِم ، فأرَدتُ أنْ أُعْلِمَكم فَضلَه[2] .

وعن أبي البخْتَري ، قالَ : أتَينا عليّاً ، فسَألْنَاه عن أصْحابِ مُحمَّد صلى الله عليه وسلم قالَ عن أيِّهم تَسألُوني ؟ قُلنا : عن ابنِ مَسْعود قالَ : عَلِمَ القُرآنَ والسنة ، ثم انتُهَىٰ ، وكَفَىٰ به عِلماً قُلنا أبو مُوسَى ؟ قالَ صُبغَ في العِلمِ صِبْغَةً ، ثم خَرجَ منه قُلنا : حُذَيفَة ؟ قالَ : أعْلَمُ أصْحابِ مُحمَّد بالْمُنافِقينَ قالوا : سَلْمانُ ؟ قالَ : أدْرَكَ العلمَ الأوَّلَ ، والعِلمَ الآخِر ، بَحْرٌ لا يُدرَكُ قَعْرُه ، وهو منَّا أهلَ البيتِ قالوا : أبو ذَرّ ؟ قالَ : وَعَىٰ عِلماً عَجزَ عنه فسُئلَ عن نَفسِه قالَ : كُنتُ إذا سَألتُ أُعطيتُ ، وإذا سَكتُّ ابتُديتُ[3] .

وقالَ قَتادَة ، عن أنَسٍ ، قالَ : افتَخرَ الحيَّان من الأنْصارِ ، فقالَت الأوْسُ : مِنَّا غَسيلُ الْمَلائِكَة : حَنْظَلَةُ بنُ الرَّاهِب ، ومِنَّا مَنْ اهْتَزَّ له العَرشُ : سَعدٌ ، ومِنَّا مَنْ حَمَته الدَّبَر[4] : عاصِمُ بنُ أبي الأقْلَح ، ومِنَّا مَنْ أُجيزَتْ شَهادَتُه بشَهادَتَين : خُزَيْمَةُ بنُ ثابِت[5] .

ورَوَىٰ قَيسُ بنُ أبي حازِم ، أنَّ عَديَّ بنَ حاتِم جاءَ إلىٰ عُمَرَ ، فقالَ : أمَا تَعرِفُني ؟ قالَ : أعرِفُك ، أقَمتَ[6] إذْ كَفَروا ، ووَفَّيتَ إذْ غَدَروا ، وأقْبَلتَ إذْ أدْبَروا[7] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ مَسْعود) ١/ ٤٧١ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٧/١٩٣ .
(٢) انظر السير : (سَهْلُ بنُ حُنَيْف) ٢/ ٣٢٥ـ٣٢٩ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٨ .
(٣) انظر السير : (أبو مُوسَى الأشْعَريّ) ٢/ ٣٨٠ـ ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨٠ .
(٤) الدَّبَر : النَّحل والزنابير .
(٥) انظر السير : (خُزَيْمَة بنُ ثَابتْ) ٢/ ٤٨٥ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٤ .
(٦) أقمتَ : أي ثَبتَّ على الإسلام ولم ترتد ، فقد قدم علىٰ أبي بكر الصديق في وقت الردَّة بصَدَقة قومه .
(٧) انظر السير : (عَديُّ بنُ حَاتِم) ٣/ ١٦٢ـ ١٦٥ ، وانظر النزهة : ١/٣٥٨ .

وعن ابنِ سِيرينَ ، قالَ : أدْرَكتُ القَومَ وهم يُقدِّمونَ خَمسَةً مَنْ بدأ بالحارثِ الأعْوَرِ ثَنَّىٰ بعَبيدَة ، ومَنْ بدأ بعَبيدَة ثَنَّىٰ بالحارثِ ثم عَلْقَمَة الثالث ، لا شَكَّ فيه ، ثم مَسْروقُ ، ثم شُرَيح ، وإنَّ قَوماً أخَسُّهم شُرَيح لقَومٌ لهم شأنٌ .

وعنْ محمَّد قالَ : كانَ أصْحابُ عبدِ الله بنِ مَسْعود خَمسَةً كلُّهم فيه عَيبٌ : عَبيدَةُ أعْوَر ، ومَسْروقُ أحْدَب ، وعَلْقَمَةُ أعْرَج ، وشُرَيحٌ كَوْسَجٌ[1] ، والحَارِثُ أعْوَر[2] .

وقالَ رَوحُ بنُ عُبادَة : حدَّثنا حَجَّاجُ الأسْوَدُ ، قالَ : تمنَّىٰ رَجلٌ فقالَ : لَيتني بزُهْدِ الحَسَنِ البَصْريِّ ، ووَرَعِ ابنِ سِيرينَ ، وعِبادَةِ عامِرِ بنِ عبدِ قَيْس ، وفِقْهِ سَعيدِ بنِ الْمُسيِّبِ ، وذَكَرَ مُطَرِّف بنَ الشِّخِّير بشيء ، قال : فنَظروا في ذلك فوَجَدوه كلَّه كاملاً في الحَسَن[3] .

وعن أبي إسْحاقَ الفَزاري : سَمعتُ الأوْزاعيَّ يَقولُ : إذا ماتَ ابنُ عَوْن والثَّوريُّ اسْتَوى النَّاسُ[4] .

وقالَ أحمدُ بنُ حَنْبَل : الثِّقَةُ كشُعْبَة ومِسْعَر[5] .

وقالَ أبو وَهْب محمَّدُ بنُ مُزاحِم : سَمعتُ ابنَ الْمُبارَك يَقولُ : رَأيتُ أعْبَدَ النَّاس عبدَ العَزيزِ بنِ أبي رَوَّاد ، وأوْرَعَ النَّاسِ الفُضَيلَ بنَ عِيَاض ، وأعْلَمَ النَّاسِ سُفْيانَ الثَّوْريَّ ، وأفْقَهَ النَّاسِ أبا حَنيفَة ، ما رَأيتُ في الفِقْهِ مثلَه[6] .

وسُئلَ أبو داود : أيُّما أحْفَظُ وَكيعٌ أو عبدُ الرحْمَـٰن بنُ مَهْدي ؟ قالَ : وَكيعٌ أحْفَظُ وعبدُ الرحْمَـٰن أتْقَنُ ، وقد الْتَقَيا بعدَ العِشاءِ في الْمَسجِد الحَرامِ ، فتَواقَفا حتَّىٰ سَمعا أذانَ الصُّبحِ[7] .

---

(١) الكَوْسَج : الذي لا شَعرَ علىٰ عارضَيه ، ويُقال : النَّقي الخدين من الشعر .
(٢) انظر السير : (علْقَمَة) ٤/ ٥٣ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٤٣ .
(٣) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦١ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْن) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٧ .
(٥) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ ١٧٣ ، وانظر النزهة : ١/٦٨٩ .
(٦) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٣ .
(٧) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٠ .

وعن الْمَأمُونِ قالَ : النَّاسُ ثَلاثَةٌ : رَجلٌ منهم مثلُ الغِذَاءِ لا بُدَّ منه ، ومنهم كالدَّواء يُحتاجُ إليه في حالِ الْمَرَض ، ومنهم كالدَّاءِ مَكرُوهٌ علىٰ كلِّ حال .

وعنه قالَ : لا نُزْهةَ ألذُّ من النَّظرِ في عُقُولِ الرِّجالِ[1] .

قالَ عبدُ الله بنُ أبي زياد القَطَواني : سَمعتُ أبا عُبَيد يَقولُ : انتَهى العِلمُ إلىٰ أرْبَعة : أبو بَكر بنُ أبي شَيبَة أَسْرَدُهم له ، وأحمَدُ بنُ حَنْبَل أفْقَهُهُم فيه ، وعليُّ بنُ الْمَديني أعْلَمُهُم به ، ويَحْيَىٰ بنُ مَعين أكْتَبُهُم له[2] .

وقالَ أبو زُرْعَة : أَمْلَىٰ عليَّ أحمَدُ بنُ عاصِم الحَكيمُ الأنْطاكيُّ : النَّاسُ ثلاثُ طَبَقاتٍ : مَطْبوعٌ غالبٌ وهم المؤمنون ، فإذا غَفلوا ذَكروا ، ومَطْبوعٌ مَغلوبٌ فإذا بُصِّروا أبْصَروا ورَجَعوا بقُوَّة العَقل ، ومَطْبوعٌ مَغلوبٌ غيرُ ذي طِباع ولا سَبيلَ إلىٰ رَدِّ هٰذا بالْمَواعِظِ[3] .

(هـ) رُؤْيا تَدُلُّ علىٰ تَفاوُت مَراتِب الصَّالِحين في الجَنَّة :

قالَ أبو صالح كاتِبُ اللَّيثُ : حدَّثني يَحْيَىٰ بنُ أيُّوبَ أنَّ رَجُلَين تآخَيا فتَعاهَدا : إنْ ماتَ أحَدُهما قبلَ الآخَر أنْ يُخبِرَه ما وَجدَ ، فماتَ أحَدُهما ، فرآه الآخَرُ في النَّومِ ، فسَألَه عن الحَسَنِ البَصْريِّ ؟ قالَ : ذاكَ مَلِكٌ في الجَنَّة لا يُعْصَىٰ ، قالَ : فابنُ سِيرينَ ؟ قالَ : ذاكَ فيما شاءَ اشْتَهَىٰ ، شَتَّان ما بَينهما ، قالَ : فبأيِّ شَيءٍ أدْرَكَ الحَسَنُ ؟ قالَ : بشِدَّة الخَوفِ والحُزْن[4] .

وكانَ الحَكمُ بنُ حَجْل صَديقاً لابنِ سِيرينَ ، فحَزن على ابنِ سِيرينَ حتَّىٰ كان يُعادُ ، ثم قالَ : رَأيتُه في الْمَنامِ في حالِ كَذا وكَذا ، فسَألتُه لَمَّا سَرَّني : ما فَعلَ الحَسَنُ ؟ قال : رُفِعَ فَوْقي سَبعينَ دَرَجَةً ، قُلتُ : بمَ ؟ فقد كُنَّا نَرَىٰ أنَّك فَوقَه ! قالَ : بطُولِ الحُزْن .

---

(١) انظر السير : (الْمَأمون) ١٠/ ٢٧٢ـ ٢٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٧٧ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الْمَدينيّ) ١١/ ٤١ـ ٦٠ ، وانظر النزهة : ١/٩٠٨ .
(٣) انظر السير : (الأنْطاكيُّ) ١١/ ٤٠٩ـ ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥٥ .
(٤) انظر السير : (محمّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/ ٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٧١ .

وقد كانَ الأوْزاعيُّ أشارَ عليه يَحْيَىٰ بنُ أبي كَثير ، أنْ يرتَحلَ إلى البَصْرَة لِلُقِيِّ محمَّدِ بنِ سِيرينَ ، فأتىٰ فوَجدَه في مَرضِ الْمَوتِ ، فعادَه ولَمْ يَسمَعْ منه ، رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ ، وبَلَغَني أنَّ اسمَ أُمِّه صَفيَّةُ ، مَوْلاةٌ لأبي بَكر الصِّدِّيق[1] .

١٣ـ دِفَاعُ السَّلَف بعضِهم عن بعض :

قالَ كعْبُ بنُ مَالِك : ولمَّا بَلَغَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم تَبُوك ذَكَرَني ، وقال : « ما فَعَلَ كعْبٌ ؟ » فقال رجُلٌ من قَوْمِي : خَلَّفَهُ يا نَبيَّ اللهِ بُرداه ، والنَّظَرُ في عِطْفَيْه ، فقال مُعاذٌ : بِئْسَ ما قُلتَ : واللهِ ما نَعْلَمُ إلاَّ خَيْراً .

إلىٰ أنْ قال : فلَمَّا رَآني صلى الله عليه وسلم تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَب وقال صلى الله عليه وسلم : « ألَمْ تَكن ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلتُ : بلَىٰ قال : « فمَا خَلَّفَكَ ؟ » قُلتُ : واللهِ لَوْ بَينَ يَدَي أَحَدٍ غيرَك جَلَسْتُ لخَرَجْتُ من سُخْطِهِ عليَّ بعدُ ، لقد أُوتيتُ جَدَلاً ، ولكنْ قد عَلِمتُ يا نَبيَّ الله أنّي أُخْبِرُكَ اليومَ بقَولٍ تَجِدُ عليَّ فيه وهُوَ حَقٌّ فإنِّي أَرْجُو فيه عُقْبَى الله .

إلىٰ أنْ قالَ : واللهِ ما كُنتُ قَطُّ أَيْسَرَ ولا أَخَفَّ حاذاً[2] منِّي حين تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فقَالَ صلى الله عليه وسلم : « أمَّا هـٰذا فَقَدْ صَدَقَكم ، قُمْ حتىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » فقُمتُ .

إلىٰ أن قال : ونَهىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ عن كلامنا أيُّها الثلاثةُ[3] .

فجعلتُ أخرجُ إلى السوق ، فلا يُكلِّمني أحدٌ ، وتَنكَّرَ لنا الناسُ ، حتىٰ ما هُم بالذين نعرفُ ، وتَنكَّرَت لنا الحيطانُ والأرضُ ، وكنتُ أطوفُ وآتي المسْجدَ ، فأدخلُ وآتي النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسَلِّمُ عليه ، فأقولُ هل حَرَّكَ شَفتَيه بالسلامِ!! ؟[4] .

---

(١) انظر السير : (محمّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٧١ .
(٢) الحاذ : الحال .
(٣) أيُّها الثلاثةُ : مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص ، أي : مختصين بذلك دون بقية الناس .
(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣ـ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٤/٣٠٠ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ خالدِ بنِ مِهْران ، الْمَعروفِ بالحَذَّاء : وَثقَّه أحمَدُ بنُ حَنْبَل ، ويَحْيىٰ بنُ مَعين وجَماعةٌ وحَديثُه في الصِّحاح .

وقالَ عبَّادُ بنُ عبَّاد : أرادَ شُعبةُ أنْ يَضعَ من خالد الحذَّاء فأتَيتُه أنا وحمَّادُ بنُ زَيْد ، فقُلتُ له : ما لَكَ : أجُنِنْتَ ؟ أنتَ أعلمُ! قال : وتَهدَّدناه فأمْسَك[1] .

ورَوىَ حيَّانُ بنُ مُوسَى الْمَروَزيُّ ، قالَ : سُئلَ ابنُ الْمُبارَك : مَالِكٌ أفْقَهُ ، أو أبو حَنيفَة ؟ قالَ : أبو حَنيفَة وقالَ الخُرَيْبيُّ : ما يَقعُ في أبي حَنيفَة إلاَّ حاسِدٌ أو جاهِلٌ .

وقـالَ يَحْيَـىٰ بـنُ سَعيـد القَطَّـان : لا نَكْـذبُ اللهَ ، مـا سَمعنـا أحْسَـنَ مـن رَأيِ أبي حَنيفَة ، وقد أخَذْنا بأكثَر أقْوالِه .

وقالَ الشَّافِعيُّ : النَّاسُ في الفِقْهِ عِيالٌ علىٰ أبي حَنيفَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الإمَامَةُ في الفِقْهِ ودَقائقِه مُسلَّمةٌ إلىٰ هـٰذا الإمَامِ ، وهَـٰذا أمْرٌ لا شَكَّ فيه .

وليـسَ يصـحُّ فـي الأذهـانِ شـيء ... إذا احتـاجَ النهـارُ إلـىٰ دليـلِ

وسِيرَتُه تَحتَملُ أنْ تُفْرَدَ في مُجلَّدَين ، رَضيَ اللهُ عنه ورَحمَه[2] .

قالَ أبو زُرعَة الدِّمَشقيُّ : ابنُ إسْحاقَ بنُ يَسار رجلٌ قد اجتمعَ الكُبَراء من أهلِ العِلمِ على الأخْذِ عنه ، منهم سُفيانُ ، وشُعبَة ، وابنُ عُيَيْنَة ، والحَمَّادان ، وابنُ الْمُبارَك ، وإبْراهيمُ بنُ سَعد ، ورَوىَ عنه من القُدَماء يَزيدُ بنُ أبي حَبيب وقد اخْتبَرَه أهلُ الحَديث فرَأوا صِدْقاً وخَيراً مع مَدحِ ابنِ شِهابٍ له وقد ذَاكرتُ دُحَيماً قولَ مَالك فرَأىٰ أنَّ ذلك لَيسَ للحَديثِ إنَّما هو لأنَّه اتُّهِمَ بالقَدَر[3] .

وقالَ ابنُ عَدي : ولوْ لَمْ يكن لابنِ اسْحاقَ من الفَضلِ إلاَّ أنَّه صَرفَ الْمُلوكَ عن

---

(١) انظر السير : (خَالدُ بنُ مِهْران) ٦/ ١٩٥ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٤٠ .

(٢) انظر السير : (أبو حَنيفَة) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٨/٦٦٣ .

(٣) انظر السير : (ابنُ إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٦٧٥ .

الاشتغالِ بكُتبٍ لا يَحصُلُ منها شَيءٌ إلى الاشتغالِ بمَغَازي رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ومَبعَثِه ومُبتَدأ الخَلقِ ، لكانَت هـٰذه فَضيلَةٌ سَبقَ بها ، ثم مِن بَعده صَنَّفَها قَومٌ آخَرون فلَمْ يَبلُغوا مَبلغَ ابنِ إسْحاقَ منها ، وقد فتَّشتُ أحاديثَه كَثيراً فلَمْ أجد من أحاديثِه ما يَتهيَّأ أنْ يُقطَعَ عليه بالضَّعفِ ورُبَّما أخْطأ ، أو يَهِمُ في الشَيء بعد الشَيء كما يُخطيءُ غَيرُه ولمْ يَتخلَّف في الرِّوايَة عنه الثِّقاتُ والأئمَّةُ وهو لا بَأسَ به .

ماتَ ابنُ إسْحاقَ سَنةَ خَمسينَ ومئة[1] .

وقالَ حَنْبَلُ بنُ إسْحاقَ : سَمعتُ ابنَ مَعين يَقولُ : رَأيتُ عندَ مَرْوانَ بنِ مُعاويَة لَوْحاً فيه أسْماءُ شُيوخٍ : فُلانٌ رَافِضِيٌّ ، وفُلانٌ كَذَا ، ووَكيعٌ رَافِضِيٌّ ، فقُلتُ لِمَرْوانَ : وَكيعٌ خَيرٌ مِنْكَ ، قالَ : منِّي ؟ قُلتُ : نَعَم فسَكتَ ، ولَوْ قالَ لي شَيئاً ، لَوَثَبَ أصْحابُ الحَديثِ عَليه قالَ : فبَلَغَ ذلكَ وَكيعاً ، فقالَ : يَحْيىٰ صاحِبُنا ، وكانَ بعدَ ذلكَ يَعرفُ لي ، ويُرَحِّبُ[2] .

وقال الذهبيُّ في مِحْنةِ وَكِيعٍ : مِحْنَةُ وَكِيعٍ ـ وهي غَريبَةٌ ـ تَورَّطَ فيها ولَمْ يُرِدْ إلاَّ خَيْراً ، ولكنْ فاتَتْه سَكْتةٌ ، وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « كفَىٰ بالمَرْءِ إثْماً أنْ يُحَدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ ، فلْيَتَّقِ عبدٌ رَبَّه ، ولا يَخافَنَّ إلاَّ ذَنْبَه » .

قال عليُّ بنُ خَشْرَم : حَدَّثنا وَكيعٌ عن إسْماعيلَ عن أبي خالد ، عن عبدِ الله البَهِيّ ، أنَّ أبا بَكْرٍ الصِّديق جاءَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد وَفاتِه ، فأكَبَّ عليه ، فقَبَّلَه ، وقال : بأبي وأُمِّي ، ما أطْيَبَ حَياتَكَ ومَيْتَتَكَ ! ثمَّ قال البَهِيُّ : وكان تُرِكَ يَوماً وليلةً حتىٰ رَبَا بَطْنُهُ ، وانْثَنَتْ خِنصَراهُ ـ قال ابنُ خَشْرم : فلمَّا حدَّثَ وَكيعٌ بهـٰذا بمَكةَ ، اجْتَمعَتْ قُرَيْشٌ ، وأرادُوا صَلْبَ وَكيعٍ ، ونَصَبوا خَشَبَةً لِصَلْبه ، فجاء سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة ، فقال لهم : اللهَ اللهَ ! ! ، هـٰذا فَقيهُ أهْلِ العِراقِ ، وابنُ فقيهِه ، وهـٰذا حَديثٌ مَعروفٌ قال سُفيانُ : ولَمْ أكُنْ سَمعْتُه إلاَّ أنِّي أرَدْتُ تَخْليصَ وَكيعٍ .

قال عليُّ بنُ خَشْرم : سَمعْتُ الحديثَ من وَكيعٍ ، بعدما أرادُوا صَلْبَهُ فتَعَجَّبتُ من

---

(١) انظر السير : (ابنُ إسْحاق) ٧/ ٣٣ـ ٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦٧٥ .

(٢) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٨١٠/ ٤ .

جَسَارَتِهِ ، وأُخْبِرتُ أنَّ وَكيعاً احْتجَّ ، فقال : إنَّ عِدَّةً من أصْحاب رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم منهم عُمَرُ رضي الله عنه قالوا : لَمْ يَمُتْ رسُولُ الله فأرادَ اللهُ أنْ يُرِيَهُم آيةَ المَوْتِ .

فهٰذه زَلَّةُ عَالِمٍ ، فما لوَكيعٍ ولرِوايَةِ هٰذا الخَبَرِ المُنْكَرِ المُنْقَطِعِ الإسْناد!! ، كادَتْ نفْسُه أنْ تَذهَبَ غَلطاً ، والقائمُونَ عليه مَعْذورُونَ ، بَلْ مَأجُورُونَ ، فإنَّهم تَخيَّلُوا مِنْ إشاعَةِ هٰذا الخَبَرِ المَرْدودِ ، غَضَّاً ما لمَنْصِبِ النُّبُوَّة ، وهو في بادِىءِ الرَّأْيِ يُوهِمُ ذلك ، ولكِنْ إذا تأمَّلْتَهُ ، فلا بَأسَ إنْ شاءَ اللهُ بذلك ، فإنَّ الحَيَّ قد يَرْبُو جَوْفُهُ ، وتَسْتَرْخِي مَفاصِلُه ، وذلك تَفَرُّعٌ من الأمْراضِ ، و« أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنْبياء » ، وإنَّما المَحْذورُ أنْ تُجَوِّزَ عليه تغيُّرَ سائِرِ مَوْتَى الآدَميِّينَ ورائِحَتَهم ، وأَكْلَ الأرضِ لأجْسامِهِم ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم فمُفارِقٌ لسائِرِ أُمَّتِه في ذلك ، فلا يَبْلَىٰ ، ولا تَأكُلُ الأرضُ جَسَدَه ، ولا يَتَغَيَّرُ رِيحُه ، بَلْ هو الآن ، وما زالَ أطْيَبَ رِيْحاً من المِسْكِ ، وهو حيٌّ في لَحْدِه حَياةَ مِثْلِهِ في البَرْزَخِ ، التي هي أكْمَلُ من حَياةِ سائِرِ النَّبيِّينَ ، وحَياتُهم بلا رَيْبٍ أتَمُّ وأشْرَفُ من حَياةِ الشُّهَداءِ الذين هم بِنَصِّ الكِتَابِ ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[1] ، وهؤلاءِ حَياتُهُم الآنَ التي في عالَم البَرْزَخِ حَقٌّ ، ولكِنْ لَيْسَت هي حَياةَ الدُّنْيا من كُلِّ وَجْهٍ ، ولا حَياةَ أهْلِ الجَنَّةِ من كُلِّ وَجْهٍ ، ولهُم شِبْهٌ بحَياةِ أهْلِ الكَهْفِ ، ومن ذلك : اجْتِماعُ آدمَ ومُوسَىٰ ، لمَّا احْتجَّ عليه مُوسَىٰ ، وحاجَّهُ آدمُ بالعِلْمِ السَّابِق كان اجْتِماعُهُما حَقّاً ، وهُما في عالَمِ البَرْزَخِ ، وكذلك نَبيُّنا صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَ أنَّه رَأىٰ في السَّماواتِ آدَمَ ومُوسَىٰ وإبْراهيمَ وإدْريسَ وعِيسَىٰ ، وسَلَّمَ عليهِم ، وطَالَتْ مُحاوَراتُه مع مُوسَىٰ ، هٰذا كُلُّه حَقٌّ والذي منهم لَمْ يَذُقِ المَوتَ بَعْدُ هو عيسَىٰ عليه السلام ، فقد تَبَرْهَنَ لك أنَّ نَبيَّنا صلى الله عليه وسلم ما زالَ طَيِّباً مُطَيَّباً ، وأنَّ الأرضَ مُحَرَّمٌ عليها أكْلُ أجْسادِ الأنْبياءِ ، وهٰذا شيء سَبيلُهُ التَّوقيفُ ، وما عَنَّفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّحابَةَ رضي اللهُ عنهُم لمَّا قالوا له بِلا عِلْمٍ : وكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنا عليك وقد أَرَمْتَ ؟ ـ يَعْنِي بَلِيتَ ـ فقال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

« إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرْضِ أنْ تأكلَ أجْسادَ الأنْبياءِ » .

وهـٰذا بَحثٌ مُعتَرِضٌ في الاعْتِذارِ عن إمامٍ من أئِمَّةِ المسلمين ، وقد قَامَ في الدَّفْعِ عنْهُ مثْلُ إمامِ الحِجازِ سُفْيانَ بن عُيَيْنَة ، ولولا أنَّ هـٰذه الواقِعَةُ في عِدَّةِ كُتُبٍ ، وفي مثْلِ « تاريخِ الحافِظِ بنِ عَساكِر » ، وفي « كاملِ الحافِظِ ابنِ عَدِيّ » لأعْرَضْتُ عنها جُملَةً ، ففيها عِبْرَةٌ .

قال عليُّ بنُ عثَّام : مَرِضَ وَكيعٌ ، فدَخَلْنا عليه ، فقال : إنَّ سُفْيانَ أتَانِي ، فبَشَّرَنِي بجوارِهِ ، فأنا مُبادِرٌ إليه .

ماتَ وَكيعٌ سَنةَ سَبعٍ وتِسْعينَ ومِئَة يومَ عاشُوراءَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : عاشَ وَكيعٌ ثمَانياً وسِتِّينَ سَنةً سِوىٰ شَهرٍ أو شَهْرَينِ[1] .

وقالَ عَليُّ بنُ أحمَد بنِ النَّضْر الأزدي ، سَمعتُ أحمَدَ بنَ حَنْبَل ، وسُئِلَ عن الشَّافِعيِّ ، فقالَ : لقد مَنَّ اللهُ عَلينا به ، لقد كُنَّا تَعلَّمنا كَلامَ القَومِ ، وكَتَبْنَا كُتُبَهم ، حتَّىٰ قدِمَ عَلينا ، فلمَّا سَمعنا كَلامَه ، عَلِمنا أنَّه أعْلم من غَيرِه ، وقد جالَسْناه الأيَّامَ واللَّيالي ، فمَا رَأينا منه إلاَّ كُلَّ خَيرٍ ، فقيلَ له : يا أبا عبدِ الله ، كانَ يَحْيَىٰ وأبو عُبَيد لا يَرْضَيانه ـ يُشيرُ إلى التَّشيُّع وأنَّهما نَسَباه إلىٰ ذلك ـ فقالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل : ما نَدري ما يَقولان ، واللهِ مَا رَأينا منه إلاَّ خَيراً[2] .

وقالَ سَلمَةُ بنُ شَبيب : قُلتُ لأحمَدَ بنِ حَنْبَل : طَلبتُ عَفَّانَ بنَ مُسلم في مَنزِله ، قالوا : خَرجَ ، فخَرجتُ أسألُ عنه ، فقيلَ : تَوجَّهَ هـٰكذا ، فجَعلتُ أمضي أسْألُ عنه ، حتَّى انتَهيتُ إلىٰ مَقبَرَةٍ ، وإذا هو جالِسٌ يَقرأُ علىٰ قَبرِ بنتِ أخي ذِي الرِّياسَتين ، فبَزَقتُ عليه ، وقُلتُ : سَوْءَةً لكَ قالَ : يا هَـٰذا ، الخُبزَ الخُبزَ! قلتُ : لا أشْبَعَ اللهُ بَطنَكَ قالَ : فقالَ لي أحمَدُ : لا تَذكُرَنَّ هَـٰذا فإنَّه قد قامَ في الْمِحْنَة مَقاماً مَحْموداً عليه ، ونَحوَ هـٰذا من الكَلامِ .

ماتَ عَفَّانُ في سَنةِ عِشرينَ ومئتَين أو قَبلَها .

---

(١) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ١٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٢١٨ .

(٢) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٥٠ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : عاشَ خمساً وثَمانينَ سَنةً رَحمَهُ الله[1] .

وقالَ الحُسَينُ بنُ إسْماعيلَ الفَارِسيُّ ، سَألتُ عَبدُوسَ بنَ هانىء عن حالِ عليٍّ بنِ الجَعْد ، فقالَ : ما أعلَمُ أنِّي لَقيتُ أحفَظَ منه ، فقالَ : كانَ يُتهَم بالجَهْمِ .

قالَ : قد قيلَ هٰذا ، ولَمْ يَكنْ كما قالوا ، إلاَّ أنَّ ابنَه الحَسَنَ بنَ عَليٍّ كانَ علىٰ قَضاء بَغدادَ ، وكانَ يَقولُ بقَولِ جَهْم ، قالَ : كانَ عندَ عَليٍّ بنِ الجَعْد عن شُعبَة نَحو من ألفٍ ومئتَي حَديثٍ ، وكانَ قد لَقِيَ الْمَشايخَ فزَهَدتُ فيه بسَببِ هٰذا القَولِ ، ثم نَدِمتُ بعد[2] .

وقالَ محمَّدُ بنُ حمَّادَ الْمُقرىءُ : سَألتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين عن عَليٍّ بنِ الجَعْد ، فقالَ : ثِقَةٌ صَدُوقٌ ، ثِقَةٌ صَدُوقٌ قُلتُ : فهٰذا الذي كانَ منه ؟ فقالَ : أيْش كانَ منه ؟ ثِقَةٌ صَدُوقٌ[3] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ سَعيدِ بنِ كَثيرِ بنِ عُفَيْر ، قالَ ابنُ عَدي : هو عند النَّاسِ ثِقَةٌ ، ثم سَاقَ قَولَ أبي إسْحاقَ السَّعْدي الجَوْزَجانيِّ في سَعيدِ بنِ عُفَيْر : فيه غَيرُ لَونٍ من البِدَع ، وكانَ مُخَلِّطاً غَيرَ ثِقَةٍ ، فهٰذا من مُجازَفات السَّعْدي[4] .

قالَ ابنُ عَدي : هٰذا الذي قالَه السَّعْديُّ لا مَعنَىٰ له ، ولَمْ أسْمَعْ أحداً ، ولا بَلَغَني عن أحَدٍ كلامٌ في سَعيدِ بنِ عُفَيْر ، وقد حدَّثَ عَنهُ الأئمَّةُ ، إلاَّ أنْ يَكونَ السَّعْديُّ أرادَ به سَعيدَ بنَ عُفَيْر آخَر وقالَ يَحْيَىٰ بنُ مَعين : رَأيتُ بِمِصْرَ ثَلاثَ عَجائبَ : النيلُ ، والأهرامُ ، وسَعيدُ بنُ عُفَيْر .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : حَسْبُكَ أنَّ يَحْيَىٰ إمامَ الْمُحَدِّثينَ انْبَهَرَ لابنِ عُفَير وقالَ أبو سَعيد بنُ يُونُس : كانَ سَعيدُ من أعْلَمِ النَّاسِ بالأنْسَابِ ، والأخْبَارِ الماضيَة ، وأيَّامِ العَرَبِ والتَّواريخ ، كانَ في ذلك كُلِّه شَيئاً عَجيباً ، وكانَ مع ذلك أديباً فَصيحاً ، حَسَنَ

---

(١) انظر السير : (عَفَّان) ١٠/ ٢٤٢ـ ٢٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٤ .

(٢) انظر السير : (عليُّ بنُ الجَعْد) ١٠/ ٤٥٩ـ ٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٨٣ .

(٣) انظر السير : (عليُّ بنُ الجَعْد) ١٠/ ٤٥٩ـ ٤٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٨٨٤ .

(٤) انظر السير : (سَعيدِ بنِ كَثيرِ بنِ عُفَيْر) ١٠/ ٥٨٣ـ ٥٨٦ ، وانظر النزهة : ١/٨٩٧ .

البَيانِ ، حاضِرَ الحُجَّة ، لا تُمَلُّ مُجالَسَتُه ، ولا يُنزَفُ علمُه[1] .

وذكرَ النَّسائيُّ أحمَدَ بنَ صالِح يَوماً ، فرَمَاهُ ، وأسَاءَ الثَّناءَ عَليه[2] .

قالَ ابنُ يُونُس : لَمْ يَكنْ عندَنا ـ بحَمدِ الله ـ كما قالَ النَّسائيُّ ولَمْ يكن له آفَةٌ غيرُ الكِبْر[3] .

وقالَ عبدُ الكَريم بنُ النَّسائيِّ عن أبيه : أحمَدُ بنُ صالِح لَيسَ بثِقَةٍ ولا مَأمُونٍ ، تَرَكَه محمَّدُ بنُ يَحْيَىٰ ، ورَمَاهُ يَحْيَىٰ بنُ مَعين بالكَذِب[4] .

قال ابنُ عَدي : أحمَدُ بنُ صالِح من حُفَّاظِ الحَديثِ ، وخاصّةً لحَديثِ الحِجازِ ، ومن الْمَشْهُورينَ بمَعرفَتِه ، وحَدَّثَ عنه البُخاريُّ مع شِدَّة اسْتِقصَائه ، ومحمَّدُ بنُ يَحْيىٰ ، واعْتِمادُهُما عليه في كَثير من حَديثِ الحِجازِ وحدَّثَ عنه مَنْ حدَّث من الثِّقات ، واعتَمَدوه حِفْظاً وإتْقاناً وكلامُ ابنُ مَعين فيه تَحامُل وأمَّا سُوءُ ثَناء النَّسَائيِّ عليه ، فسَمعتُ محمَّدَ بنَ هَارُونَ بنِ حَسَّان البَرْقي يَقولُ : هـٰذا الخُراسَانيُّ يَتكلَّمُ في أحمَدَ بنِ صالِح وحَضَرتُ مَجلِسَ أحمَدَ بنِ صالِح ، وطردَه من مَجلِسِه ، فحَمَلَه ذلكَ علىٰ أنْ تَكلَّمَ فيه قالَ : وهـٰذا أحمَدُ بنُ حَنْبَل قد أثْنَىٰ عليه ، فالقَولُ ما قالَه أحمَدُ لا ما قالَه غَيرُه ، ولَوْلا أنِّي شَرطتُ في كتابي هـٰذا أنْ أذكُرَ فيه كُلَّ من تَكلَّمَ فيه مُتكلِّم لكُنتُ أُجِلُّ أحمدَ بنَ صالِح أن أذكُرَه[5] .

وعن حمَّادَ الحَرَّانيِّ أنَّه سَمعَ السِّلَفيَّ يُنكِرُ على الحاكم في قولِه : لا تَجوزُ الرِّوايَة عن ابنِ قُتَيبَة ويَقولُ : ابنُ قُتَيبَة من الثِّقاتِ ، وأهلِ السُّنَّة ثم قالَ : لكنَّ الحاكمَ قصدَه لأجلِ الْمَذْهَب .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : عَهْدي بالحاكم يَميلُ إلى الكَرَّاميَّة ، ثم ما رَأيتُ لأبي

---

(١) انظر السير : (سَعيدِ بن كَثير بن عُفَيْر) ١٠/ ٥٨٣ـ٥٨٦ ، وانظر النزهة : ٢/٨٩٧ .

(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٩٨٩ .

(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ١٧٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٠ .

(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٠ .

(٥) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٠ .

محمَّد بنِ قُتَيبَة في كتاب « مُشْكَل الحَديث » ما يُخالِفُ طَريقَة الْمُثْبِتَةِ والحَنابِلَة ، ومنْ أنَّ أخْبَارَ الصِّفات تُمَرُّ ولا تُتَأوَّل ، فالله أعلَم[1] .

قالَ السُّلَميُّ : سَألتُ الدَّارَقُطنيَّ عن أبي حامِد ابنِ الشَّرْقي فقالَ : ثِقةٌ مَأمونٌ إمَامٌ قُلتُ : لِمَ تكلَّمَ فيه ابنُ عُقدَة ؟ فقالَ : سُبحانَ الله تَرَىٰ يُؤثِّرُ فيه مثلُ كلامِه ، ولَوْ كانَ بَدَلَ ابنِ عُقْدَة يَحْيَىٰ بنُ مَعين فقُلتُ : وأبو عَليّ ؟ قالَ : ومَنْ أبو عليّ حتَّىٰ يُسمَع كلامُه فيه .

وقالَ الخَليليُّ : هو إمَامُ وَقتِه بِلا مُدافَعَة .

ماتَ سَنَةَ خَمسٍ وعِشرينَ وثَلاثِ مِئة[2] .

قال أبو شامَة : كان الرِّفْقُ بابن شَنَبُوذ أوْلَىٰ ، وكان اعتقالُه وإغْلاظُ القَولِ له كافياً وليسَ كان بمُصيب فيما ذَهبَ إليه ، لكن أخْطاؤُه في واقِعَةٍ لا تُسقِطُ حَقَّه من حُرمَة أهلِ القُرآنِ والعِلْم .

مات ابنُ شَنَبوذ سَنَةَ ثمان وعشرين وثلاث مئة ، وهو في عَشْر الثمانين أو جاوَزَه[3] .

قالَ الحاكمُ : قُلتُ لأبي عَليٍّ الحافِظ : إنَّ بَعضَ النَّاسِ يَقولُ في أبي العبَّاسِ بنِ عُقْدَة ، قالَ : في ماذا ؟ قُلتُ : في تَفَرُّدِه بهَـٰذه الْمُقْحَمَات عن هَؤلاء الْمَجْهُولين فقالَ : لا تَشتَغلْ بمثل هَـٰذا ، أبو العَبَّاس إمَامٌ حافِظٌ مَحلُّه مَحلُّ مَنْ يُسألُ عن التَّابعينَ وأتْباعِهم .

قالَ أبو أحمَد بنُ عَدي : هو صاحِبُ مَعرِفَة وحِفظ وتقدُّم في الصَّنعَة ، رَأيتُ مَشايخَ بَغدادَ يُسيئون الثَّناءَ عليه ، ثم إنَّ ابنَ عَدي قَوَّىٰ أمْرَه ، ومَشَّاه .

ماتَ ابنُ عُقْدَة ، سَنَةَ اثنَتَين وثَلاثينَ وثَلاثِ مئة[4] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ قُتَيْبَة) ١٣/٢٩٦ـ٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٨ .
(٢) انظر السير : (ابنُ الشَّرْقيّ) ١٥/ ٣٧ـ٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/١١٧٩ .
(٣) انظر السير : (ابنُ شَنَبوذ) ١٥/ ٢٦٤ـ٢٦٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٢٥ .
(٤) انظر السير : (ابنُ عُقْدَة) ١٥/ ٣٤٠ـ٣٥٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢٣٦ .

١٤ـ أمْثلَةٌ على الإنْصَاف :

عن عاصِمِ بنِ كُلَيْبٍ ، عن أبيهِ : قال : انْتَهَيْنا إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه ، فذَكَرَ عائِشَةَ ، فقال : خَليلَةُ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هٰذا حَديثٌ حَسَن ومُصْعب فصالحٌ لا بَأسَ به وهٰذا يقُولُه أميرُ المُؤمِنينَ في حَقِّ عائِشَةَ مع ما وَقَعَ بَينَهُما ، فرَضِيَ الله عنهُما ولا رَيْبَ أنَّ عائِشَةَ نَدِمَتْ نَدامَةً كُليَّة علىٰ مَسيرِها إلى البَصْرَةِ وحُضُورِها يومَ الجَمَلِ ، وما ظَنَّتْ أنَّ الأمرَ يَبلُغُ ما بَلَغَ[١] .

وقالَ زَكريّا بنُ أبي زائدَة : سَمعتُ عامِراً يَقولُ : تَزَوَّجَ عَليٌّ أسماءَ بنتَ عُمَيْس ، فتَفاخَر ابْناهَا : محمَّدُ بنُ أبي بَكر ، ومحمَّدُ بنُ جَعْفَر ، فقالَ كُلٌّ منهما : أنا أكْرَمُ مِنكَ ، وأبي خَيرٌ من أبيكَ .

قالَ : فقالَ لها عَليٌّ : اقْضِ بَينَهما قالَت : ما رَأيتُ شاباً من العَرَب خَيراً من جَعْفَر ، ولا رَأيتُ كَهْلاً خَيراً من أبي بَكر .

فقالَ عَليٌّ : ما تَركتِ لنَا شَيئاً ، ولَوْ قُلتِ غَيرَ الذي قُلتِ لَمَقَتُّك .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إنَّ ثَلاثَةً أنتَ أخَسُّهم خِيارٌ[٢] .

وعن عبدِ الرحمٰن بنِ شَمَاسَة قالَ : دَخلتُ علىٰ عائشَةَ ، فقالَت : مِمَّن أنتَ ؟ قُلتُ : من أهْلِ مِصْرَ قالت : كيفَ وَجدتُم ابنَ حُدَيْج في غَزاتِكم هٰذه ؟ قُلتُ : خَيرُ أمير ، ما يَقفُ لرَجُلٍ منَّا فَرَسٌ ولا بَعيرٌ إلاَّ أبْدلَ مَكَانَه بَعيراً ، ولا غُلامٌ إلاَّ أبْدلَ مَكانَه غُلاماً ، قالَت : إنَّه لا يَمنَعُني قَتلَه أخي أحَدِّثَكم ما سَمعتُ من رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إنِّي سَمعتُه يَقولُ : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْه »[٣] .

---

(١) انظر السير : (عائشة أمُّ المؤمنين) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٢ .
(٢) انظر السير : (أسْماءُ بنتُ عُمَيْس) ٢/ ٢٨٢ـ ٢٨٧ ، وانظر النزهة : ٣/٢٦٠ .
(٣) انظر السير : (مُعاويَةُ بنُ حُدَيج) ٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٧ .

وقالَ حُصَينُ بنُ الْمُنذِر : صَلَّى الوَليدُ بنُ عُقْبَة بالنَّاسِ الفَجْرَ أرْبَعاً وهو سَكْرانٌ ثم الْتَفتَ ، وقالَ : أزيدُكم ؟ فبَلغَ عُثْمانَ ، فطَلبَه ، وحَدَّه .

وهٰذا مِمَّا نَقَموا علىٰ عُثمانَ أنْ عَزلَ سَعدَ بنَ أبي وَقَّاص عن الكُوفَة ووَلَّىٰ هٰذا[1] .

وكان الوَليدُ بنُ عُقبَة مع فِسْقِه ـ واللهُ يُسامِحه ـ شُجاعاً قائماً بأمْرِ الجِهاد وله أخْبَارٌ طَويلَةٌ في « تاريخ دِمَشْقَ » ، ولَمْ يَذكُر وَفاتَه[2] .

وعن الحَكَم ، أنَّ الأسْودَ بنَ يَزيد بنِ قَيْس كانَ يَصومُ الدَّهْرَ ـ هٰذا صَحيحٌ عنه ـ وكأنَّه لَمْ يَبلُغْه النَّهيُ عن ذلك ، أو تَأوَّل .

كانت وَفاةُ الأسْوَد سَنَةَ خَمسٍ وسَبعينَ ، واللهُ يَرحمُه[3] .

ورَوَىٰ يَحيَىٰ بنُ أبي بُكَير الكِرْمانيُّ ، عن أبيه ، قالَ : كان شَهْرُ بنُ حَوْشَب علىٰ بَيتِ الْمَالِ ، فأخَذَ خَريطَة فيها دَرَاهم فقيلَ فيه :

لقَدَ بَاعَ شَهْـرٌ دِينَـهُ بخَـريطَـةٍ   فَمَنْ يأْمنُ القُرَّاءَ بعدكَ يا شَهْرُ
أخَذْتَ بِها شيئاً طفيفاً فَبِعْتَـهُ   مِنْ ابنِ جَرِيرٍ إنَّ هَـٰذَا هُوَ ٱلْغَدْرُ

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إسْنَادُها مُنقَطِع ، ولَعلَّها وَقعَت ، وتابَ منها ، أو أخذَها مُتأوِّلاً أنَّ له في بَيتِ مَالِ الْمُسلمينَ حَقاً ، نَسألُ اللهَ الصَّفْح[4] .

وقالَ يَعقوبُ بنُ شَيْبَة : شَهْرُ بنُ حَوْشَب ثِقةٌ ، طَعنَ فيه بعضُهم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الرَّجُلُ غَيرُ مَدفُوعٍ عن صِدقٍ وعِلمٍ ، والاحْتجاجُ به مُتَرَجِّح[5] .

---

(١) انظر السير : (الوَليدُ بنُ عُقبَة) ٣/ ٤١٢ـ٤١٦ ، وانظر النزهة : ١/٤٠٤ .
(٢) انظر السير : (الوَليدُ بنُ عُقبَة) ٣/ ٤١٢ـ٤١٦ ، وانظر النزهة : ٢/٤٠٤ .
(٣) انظر السير : (الأسْوَدُ بنُ يَزيد) ٤/ ٥٠ـ٥٣ ، وانظر النزهة : ١/٤٤٢ .
(٤) انظر السير : (شَهْر بن حَوْشَب) ٤/ ٣٧٢ـ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٣ .
(٥) انظر السير : (شَهْر بن حَوْشَب) ٤/ ٣٧٢ـ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥١٣ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وشُهِرَ أبو جَعْفَر بالباقر ، من : بَقَرَ العِلمَ ، أي شَقَّه فعَرفَ أصْلَه وخَفِيَّه ولقد كانَ أبو جَعْفَر إماماً ، مُجتهداً تالياً لكتابِ الله ، كَبيرَ الشَّأنِ ولكن لا يَبلُغُ في القُرآنِ دَرجَةَ ابنِ كَثير ونَحْوِه ، ولا في الفِقْهِ دَرجَة أبي الزِّنادِ ، ورَبيعَة ، ولا في الحِفْظِ ومَعْرفَة السُّنَن دَرجَة قَتادَة وابنِ شِهاب ، فلا نُحابيه ، ولا نَحيفُ عليه ، ونُحبُّه في الله لِمَا تَجمَّع فيه من صِفاتِ الكَمال[1] .

وقالَ عليُّ بنُ أبي حَمَلَة : قَدمَ عَلينا مُسلمُ بنُ يَسار دِمَشْقَ ، فقُلنا له : يا أبا عبدِ الله ، لَوْ عَلمَ اللهُ أنَّ بالعِراقِ مَنْ هو أفْضلُ منكَ ، لجاءَنا به ، فقالَ : كَيفَ لَوْ رَأيتُم عبدَ الله بنَ زَيْد أبا قِلابَةَ الجَرْميَّ قالَ : فما ذَهبَت الأيَّامُ واللَّيالي حتىٰ قَدِمَ علينا أبو قِلابَة[2] .

قالَ ابنُ عَوْن : لَمَّا وَقعت الفتنةُ زمنَ ابن الأشعَث ، خَفَّ مسلمُ بنُ يَسار فيها ، وأبْطَأ الحَسَنُ ، فارْتَفعَ الحَسَنُ ، واتَّضَعَ مُسْلم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إنَّما يُعْتَبَرُ ذلك في الآخِرَة ، فقد يَرتَفِعانِ معاً[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرْجَمَة قَتادَةَ بن دِعامَة قُدوة المُفَسِّرين : هُوَ حُجَّةٌ بالإجْماعِ إذا بَيَّنَ السَّماعَ ، فإنَّه مُدَلِّسٌ مَعْروفٌ بذَلكَ ، وكانَ يَرَى القَدَرَ ، نَسْألُ اللهَ العَفْوَ ، ومع هٰذا فما تَوَقَّفَ أحَدٌ في صِدْقِهِ ، وعَدالَتِهِ ، وحِفْظِهِ ، ولَعَلَّ اللهَ يَعْذُرُ أمْثالَه مِمَّن تَلَبَّسَ ببِدْعَة يُريدُ بها تَعْظيمَ البَاري وتَنْزيهَه ، وبَذَلَ وُسْعَه ، والله حَكَمٌ عَدْلٌ لَطيفٌ بعِبادِه ، ولا يُسْألُ عَمَّا يَفْعَلُ ، ثُمَّ إنَّ الكَبيرَ من أئِمَّةِ العِلْم إذا كَثُرَ صَوابُه ، وعُلِمَ تَحَرِّيهِ للحَقِّ ، واتَّسَعَ عِلمُه ، وظَهَرَ ذَكاؤُهُ ، وعُرِفَ صَلاحُه ووَرَعُه واتِّباعُه ، يُغْفَرُ لَه زَلَلُه ، ولا نُضَلِّلُهُ ونَطْرَحُه ، ونَنْسَىٰ مَحاسِنَه ، نَعَم ولا نَقْتَدي به في بِدْعَتِه وخَطَئِه ونَرْجُو له التَّوبَةَ من ذلك[4] .

---

(١) انظر السير : (أبو جَعْفَر الباقر) ٤/ ٤٠١ـ ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢١ .
(٢) انظر السير : (أبو قِلابَة) ٤/ ٤٦٨ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٥٣٣ .
(٣) انظر السير : (مُسْلمُ بنُ يَسار) ٤/ ٥١٠ـ ٥١٤ ، وانظر النزهة : ٧/٥٤٧ .
(٤) انظر السير : (قَتادَة) ٥/ ٢٦٩ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠١ .

وقالَ أبو شِهاب ، عبدُ الله بنُ نافِع القُرَشي : قالَ لي شُعبَة : عَليكَ بحَجَّاجِ بنِ أرْطَاة ، ومحمَّدِ بنِ إسْحاقَ فإنَّهما حافِظان ، واكْتُم عليَّ عند البَصْريِّين في خالِد الحَذَّاء ، وهِشام ـ يَعني ابنَ حَسَّان[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا الاجْتهادُ من شُعبَة مَردودٌ ، لا يُلتَفَتُ إليه بلْ خالدٌ وهِشامٌ مُحتَجٌّ بهما في « الصَّحيحَين » ، وهما أوْثَقُ بكَثير من حَجَّاج ، وابنِ إسْحاقَ ، بلْ ضَعفُ هَـٰذين ظاهرٌ ولَمْ يُتْرَكا[2] .

قالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَل : بَلغَ ابنُ أبي ذِئب أنَّ مالكاً لَمْ يَأخُذْ بحَديث « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ » فقالَ : يُستَتابُ ، فإنْ تابَ ، وإلاَّ ضُربَت عُنقُه ثم قالَ أحمَدُ : هو أوْرَعُ وأقْوَلُ بالحَقِّ من مَالِك[3] .

ثم قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَوْ كانَ وَرِعاً كمَا يَنبَغي ، لَمَا قالَ هَـٰذا الكَلامَ القَبيحَ في حَقِّ إمَامٍ عَظيمٍ فمَالِكُ إنَّما لَمْ يَعمَلْ بظَاهِرِ الحَديثِ ، لأنَّه رَآهُ مَنْسُوخاً[4] .

وقيلَ : عَملَ به وحَملَ قَولَهَ : « حَتَّىٰ يَتَفَرَّقَا » على التَّلفُّظِ بالإيجابِ والقَبولِ ، فمَالِكُ في هـٰذا الحَديثِ ، وفي كُلِّ حَديثٍ له أجْرٌ ولا بُدَّ ، فإنْ أصابَ ، ازْدادَ أجْراً آخرَ ، وإنَّما يَرَى السَّيفَ علىٰ مَنْ أخْطأ في اجْتِهادِه الحَرُوريَّةُ[5] وبكل حالٍ فكَلامُ الأقْرانِ بَعضُهم في بَعضٍ لا يُعَوَّلُ علىٰ كثيرٍ منه ، فلا نَقُصَت جَلالَةُ مالِك بقَولِ ابنِ أبي ذئب فيه ، ولا ضَعَّفَ العُلَمَاءُ ابنَ أبي ذئب بمَقالَتِه هـٰذه ، بلْ هما عالِما الْمَدينَة في زَمانِهما ـ رَضِيَ الله عنهما ـ ولَمْ يُسْنِدْها الإمَامُ أحمَدُ فلَعلَّها لَمْ تَصح[6] .

قالَ ضَمرَة : سَمعتُ مَالكاً يَقولُ : إنَّما كانَت العِراقُ تَجيشُ عَلينا بالدَّراهِم

---

(١) انظر السير : (خالد بنُ مِهْران) ٦/ ١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٦٤٠/ ٣ .

(٢) انظر السير : (خالد بنُ مِهْران) ٦/ ١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٦٤٠/ ٤ .

(٣) انظر السير : (ابنُ أبي ذِئب) ٧/ ١٣٩ـ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٨٦/ ٣ .

(٤) انظر السير : (ابنُ أبي ذِئب) ٧/ ١٣٩ـ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٨٦/ ٤ .

(٥) الحَرُوريَّة : هم الخَوَارج ، ونسبَتُهم إلىٰ : حَروراء ، وهو مَوضع بظاهر الكُوفَة ، وبه كان أوَّلُ اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عَلياً رضي الله عنه وخَرجوا عليه .

(٦) انظر السير : (ابنُ أبي ذِئب) ٧/ ١٣٩ـ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٨٦/ ٥ .

والثِّياب ، ثم صارَت تَجيشُ عَلينا بسُفْيانَ الثَّوْريِّ ، وكانَ سُفْيانُ يَقولُ : مَالِكُ لَيسَ له حِفظٌ[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا يَقولُه سُفْيانُ لقُوَّةِ حافِظَتِه بكَثْرَة حَديثِه ورِحْلتِه إلى الآفاقِ ، وأمَّا مالكٌ ، فلَه إتْقانٌ وفِقهٌ ، لا يُدرَك شَأوُه فيه ، وله حِفظٌ تامٌّ ، فرَضِيَ اللهُ عَنهما[2] .

قالَ ابنُ سَعد : ماتَ زَفرُ بنُ الهُذَيل سَنةَ ثَمانٍ وخَمسينَ ومئة ، ولَمْ يَكنْ في الحَديثِ بشَيء .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : قد حَكمَ له إمَامُ الصَّنْعَة[3] بأنَّه ثِقَةٌ مَأمُونٌ[4] .

قالَ ابنُ عبد الحَكَم : سَمعتُ الشَّافِعيَّ يَقولُ : قالَ لي مُحمَّدٌ : أيُّهما أعْلمُ صاحِبُنا أمْ صاحِبُكم ؟ يَعْني أبا حَنيفَة ومالِكاً ، قُلتُ : على الإنْصاف ؟ قالَ نَعَم قُلتُ : أنشُدُكَ اللهَ ، مَنْ أعْلَمُ بالقُرآنِ ؟ قالَ : صاحِبُكم قُلتُ : مَنْ أعْلمُ بالسُّنَّة ؟ قالَ : صاحِبُكم قُلتُ : فمَنْ أعْلمُ بأقاويلِ الصَّحابَة والْمُتقدِّمينَ ؟ قالَ : صاحِبُكم قُلتُ : فلَمْ يَبقَ إلاَّ القِياسُ ، والقياسُ لا يَكونُ إلاَّ علىٰ هـٰذه الأشْياءَ ، فمَنْ لَمْ يَعرفْ الأُصُولَ ، علىٰ أيِّ شَيءٍ يَقيسُ ؟[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وعلى الإنْصافِ ، لو قالَ قائلٌ : بل هما سواءٌ في عِلمِ الكتاب ، والأوَّلُ ، أعْلمُ بالقِيَاسِ ، والثاني : أعْلمُ بالسُّنَّة ، وعندَه عِلمٌ جَمٌّ من أقْوَال كَثيرٍ من الصَّحابَة ، كما أنَّ الأوَّلَ أعْلمُ بأقَاويلِ عَليٍّ ، وابنِ مَسْعود وطائفةٍ مِمَّن كان بالكُوفَة من أصْحابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فرَضِيَ الله عن الإمَامَين ، فقد صِرْنا في وَقتٍ لا يَقدِرُ الشَّخصُ على النُّطقِ بالإنْصَافِ نَسألُ اللهَ السَّلامَة .

---

(١) انظر السير : (سُفْيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦٩٩/ ٤ .
(٢) انظر السير : (سُفْيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦٩٩/ ٥ .
(٣) هو يَحْيَىٰ بنُ مَعين .
(٤) انظر السير : (زُفَرُ بنُ الهُذَيْل) ٨/ ٣٨ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٧٢٥/ ٢ .
(٥) انظر السير : (مالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧٣٦/ ٧ .

كان خاتَمُ مالِك ، الذي ماتَ وهو في يَدِه ، فصُّه أَسْودُ حجَريّ ، ونَقْشُه : حَسْبيَ اللهُ ونِعْمَ الْوَكيلُ وكانَ يَلبَسُه في يَسارِه ، ورُبَّما لَبِسَه في يَمينِه[١] .

رَوَىٰ أبو عُمَر الضَّرير ، عن أبي عَوانة قال : دخلتُ علىٰ هَمَّام بنِ يَحيىٰ وهو مريضٌ ، أعُودُه ، فقال لي : يا أبا عوانة أُدْعُ الله أنْ لا يُميتَني حتىٰ يَبلغَ ولدي الصغار فقلتُ : إنَّ الأجَلَ قد فُرِغَ منه ، فقال لي : أنتَ بعدُ في ضلالك[٢] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : بئسَ المقالُ هٰذا ، بل كُلُّ شيء بقدرٍ سابق ، ولكنْ وإنْ كان الأجَلُ قد فُرِغَ منه ، فإنَّ الدعاءَ بطولِ البقاءِ قد صَحَّ ، دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لخادِمِه أَنَس بطولِ العُمر ، والله يَمحُو ما يشاءُ ويُثبتُ فقد يكونُ طولُ العُمرِ في عِلمِ الله مَشْروطاً بدعاء مُجاب ، كما أنَّ طَيَرانَ العُمر قد يكونُ بأسبابٍ جعلها من جَوْرٍ وعَسف ، و« لا يَرُدُّ القَدَرَ إلاَّ الدُّعاء » والكتاب الأول فلا يَتَغيَّر[٣] .

وقالَ أبو سَعيد بنُ الأعْرابي : أمَّا رابِعَةُ العَدَويَّة فقد حَملَ النَّاسُ عنها حِكمَةً كَثيرةً ، وحَكَىٰ عَنها سُفْيانُ وشُعْبَة وغَيرُهما ما يَدلُّ علىٰ بُطلان ما قيلَ عنها ، وقد تَمثَّلته بهٰذا :

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ في الفؤادِ محدِّثي وأبحْتُ جسمي مَنْ أرادَ جُلوسي

فنَسَبَها بَعضُهم إلى الحُلولِ بنِصِّ البَيتِ ، وإلى الإباحَة بتَمامِه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : فهٰذا غُلوٌّ وجَهلٌ ، ولَعلَّ مَنْ نَسَبَها إلىٰ ذلك مُباحيٌّ حُلوليٌّ ليَحتَجَّ بها علىٰ كُفرِه كاحْتِجاجِهم بخَبرِ : « كنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به »[٤] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عَليِّ بنِ الفُضَيْلِ بنِ عِياضٍ : ماتَ الفُضَيْلُ سَنَةَ سِتٍّ وثَمانينَ ومئة ، وله نيِّفٌ وثمانونَ سَنةً ، وهو حُجَّةٌ كَبيرُ القَدْرِ ، ولا عِبْرَةَ بما نقلَه

---

(١) انظر السير : (مالِكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٨/٧٣٦ .

(٢) انظر السير : (أبو عوانة) ٨/ ٢١٧ـ ٢٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤٥ .

(٣) انظر السير : (أبو عوانة) ٨/ ٢١٧ـ ٢٢٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٤٥ .

(٤) انظر السير : (رابِعَة العَدَويَّة) ٨/ ٢٤١ـ ٢٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٧٤٧ .

أحمَدُ بنُ أبي خَيْثَمَة ، سَمعتُ قُطبَةَ بنَ العَلاء يَقولُ : تَركتُ حَديثَ فُضَيْلِ بنِ عِياض لأنه رَوَىٰ أحاديث أزْرَىٰ علىٰ عُثمانَ بنِ عَفَّان[١] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : فلا نَسمَعُ قَولَ قُطبَة ، لَيتَه اشتَغلَ بحالِه ، فقد قالَ البُخاريُّ : فيه نَظَر ، وقالَ النَّسَائيُّ وغَيرُه : ضَعيفٌ وأيضاً فالرجلُ صاحِبُ سُنَّة واتِّباع .

قالَ أحمَدُ بنُ أبي خَيْثَمَة : حدَّثنا عبدُ الصَّمَد بنُ يَزيد الصَّائغ ، قالَ : ذُكرَ عند الفُضَيل ـ وأنا أسْمعُ ـ الصَّحابَةَ ، فقالَ : اتَّبعوا فقد كُفيتم : أبو بَكر وعُمَر وعُثْمان وعَليٌّ ، رَضيَ اللهُ عَنهم[٢] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إذا كانَ كُبَراءُ السَّابقين الأوَّلينَ قد تَكلَّم فيهم الرَّوافِضُ والخَوارجُ ، ومثل الفُضَيل يُتكلَّم فيه ، فمَنْ الذي يَسلَمُ من ألْسِنَة النَّاسِ ، لكن إذا ثَبتَت إمَامَةُ الرجُلِ وفَضلُه ، لَمْ يَضرُّه ما قيلَ فيه ، وإنَّما الكَلامُ في العُلماءِ مُفتقِرٌ إلىٰ وَزنٍ بالعَدلِ والوَرَع[٣] .

وأمَّا قَولُ ابنُ مَهْدي : لَمْ يَكنْ بالحافِظ ، فمَعناه : لَمْ يَكنْ في عِلمِ الحَديث كَهـؤلاء الحُفَّاظ البُحُور ، كشُعبَة ، ومَالِك وسُفْيان ، وحمَّاد ، وابن الْمُبارَك ، ونُظرائِهم ، لكنَّه ثَبتٌ قيِّمٌ بما نَقلَ ، ما أُخذَ عَليه في حَديث فيما عَلمتُ وهل يُرادُ من العِلمِ إلاَّ ما انتهىٰ إليه الفُضَيلُ رَحمَةُ الله عَليه[٤] .

وعن جَريرِ بنِ عبدِ الحَميد : وُلدتُ سَنةَ ماتَ الحَسَن سَنةَ عَشر ، وكانَ من مَشايخ الإسْلام ، وقالَ زُنَيْج : سَمعتُ جَريراً يَقولُ : رأيتُ ابنَ أبي نَجيح ولَمْ أكتُبْ عنه شَيئاً ، ورَأيتُ جابراً الجُعْفيَّ ، فلَمْ أكتُبْ عنه شَيئاً ، ورَأيتُ ابنَ جُرَيْج ، ولَمْ أكتُبْ عنه فقالَ له رَجلٌ : ضَيَّعتَ يا أبا عبدِ الله ، قالَ : لا ، أمَّا جابِر ، فكانَ يُؤمِنُ بالرَّجْعَة ،

---

(١) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٨/٧٨١ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨٢ .
(٣) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٢ .
(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٢ .

وأمَّا ابنُ أبي نَجيح ، فكانَ يرى القَدَر ، وأمَّا ابنُ جُرَيج ، فإنَّه أوْصَىٰ بَنيه بسِتِّينَ امْرأة ، وقالَ : لا تَزَوَّجوا بهِنَّ ، فإنَّهنَّ أُمَّهاتُكم ـ كانَ يَرَى الْمُتعَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أمَّا امْتِناعُه من الجُعْفيِّ ، فمَعذورٌ ، لأنَّه كانَ مُبتَدعاً ، ولَمْ يَكنْ بالثِّقَةِ وأمَّا الآخَران ففرَّطَ فيهما ، وهما من أئمَّةِ العِلمِ ، وإنْ غلطا في اجْتِهادِهما[1] .

قالَ حمَّادُ بنُ سَلَمَة : ما كُنَّا نُشَبِّهُ شَمائلَ إسْماعيلَ بنِ عُلَيَّة إلاَّ بشَمائلِ يُونُسَ حتَّىٰ دَخلَ فيما دَخلَ فيه[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يُريدُ وِلايَتَه الصَّدقَة ، وكانَ مَوْصوفاً بالدّينِ والوَرَع والتَّألُّه ، مَنْظوراً إليه في الفَضلِ والعِلمِ ، وبَدَت منه هَفَواتٌ خَفيفَةٌ ، لَمْ تُغيِّر رُتبَتَه إنْ شاءَ الله[3] .

ودخل ابنُ عُلَيَّة على الأمين محمَّدِ بنِ هارُونَ ، فشَتَمَه محمَّدٌ ، فقالَ : أخطأتُ ، وكانَ حدَّثَ بهَـٰذا الحَديثِ : « تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ كأنَّهُمَا غَمَامَتَانِ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا » فقيلَ لابنِ عُلَيَّة : أَلَهُمَا لِسَانٌ ؟ قالَ : نَعَم : فقالوا : إنَّه يَقولُ : القُرآنُ مَخْلوقٌ ، وإنَّما غَلطَ[4] .

وقالَ الإمامُ أحمَدُ : بَلغَني أنَّه أُدخِلَ على الأمينِ ، فلمَّا رَآهُ ، زَحفَ وجَعلَ يَقولُ : يا ابنَ الفاعِلَة تَتكلَّم في القُرآن ؟ وجَعلَ إسْماعيلُ يَقولُ : جَعلَني اللهُ فِداكَ ، زَلَّةٌ من عَالِم ، ثم قالَ أحمَدُ : إنْ يَغفِرِ اللهُ له ـ يَعني الأمينَ ـ فبها ثم قالَ أحمدُ : وإسْماعيلُ ثَبتٌ[5] .

قالَ الفَضلُ بنُ زياد : قُلتُ : يا أبا عبدِ الله ، إنَّ عبَد الوَهَّاب قال : لا يُحبُّ قَلبي

---

(١) انظر السير : (جَرير بن عبد الحَميد) ٩/ ٩ـ ١٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٩٥ .
(٢) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٦/٨٠٣ .
(٣) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٣ .
(٤) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٤ .
(٥) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٠٤ .

إسْماعيلَ أبداً ، لقد رَأيتهُ في الْمَنام كأنَّه وَجهُه أسْوَد فقالَ أحمَدُ : عافَى اللهُ عبدَ الوَهَّاب ، ثم قالَ : لَزِمْتُ إسْماعيلَ عَشرَ سِنينَ إلىٰ أنْ أُعيبَ ، ثم جَعلَ يُحرِّكُ رأسَه كأنَّه يَتلهَّفُ ثم قالَ : وكانَ لا يُنصِفُ في التَّحدُّث[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ: تُوفِّيَ إسماعيلُ سَنةَ ثَلاثٍ وتِسعينَ ومئة عن ثَلاثَةٍ وثَمانينَ سَنةً .

وعن شُعبَةَ قالَ : ابنُ عُلَيَّة رَيْحانَةُ الفُقَهاء[2] .

وقالَ سَهلُ بنُ شاذويه ، سَمعتُ عليَّ بنَ خَشْرم يَقولُ : قُلتُ لوَكيع : رَأيتُ إسْماعيلَ بنَ عُلَيَّة يَشرَبُ النَّبيذَ حتىٰ يُحمَل على الحِمارِ ، يَحتاجُ مَنْ يردُّه إلىٰ مَنزِله! فقالَ وَكيعُ : إذا رَأيتَ البَصْريَّ يَشرَب ، فاتَّهِمهُ . قُلتُ : وكَيفَ ؟ قالَ : إنَّ الكُوفيَّ يَشربُه تَدَيُّناً ، والبَصْريَّ يَترُكُه تَدَيُّناً[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وهٰذه حكايَة غَريبَة ، ما عَلمنا أحداً غَمز إسْماعيلَ بشُربِ الْمُسكِرِ قَطُّ ، وقد انْحَرفَ بَعضُ الحُفَّاظ عَنه بِلا حُجَّة ، حتَّىٰ إنْ مَنْصُورَ بنَ سَلمَةَ الخُزاعيَّ تَحدَّثَ مرَّةً ، فسَبَقَه لِسانُه ، فقالَ : حَدَّثنا إسْماعيلُ ابنُ عُلَيَّة ، ثم قالَ : لا ، ولا كَرامَة ، بلْ أرَدتُ زُهَيراً وقالَ : لَيسَ مَنْ قارَفَ الذَّنبَ كمَنْ لَمْ يُقارِفْه ، أنا واللهِ اسْتَتَبْتُه[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يُشيرُ إلىٰ تلكَ الهَفْوَة الصَّغيرَة ، وهَـٰذا من الجَرْح الْمَرْدود ، وقد اتَّفقَ عُلماءُ الأمَّة على الاحْتجاجِ بإسْماعيلَ بنِ إبْراهيمَ العَدلِ الْمَأمونِ ، وقد قالَ عبدُ الصَّمَد ابنُ يَزيد مَرْدَوَيه : سَمعتُ إسْماعيلَ ابنَ عُلَيَّة يَقولُ : القُرآنُ كَلامُ اللهِ غَيرُ مَخْلوقٍ[5] .

---

(١) ذكره الإمامُ الذهَبيُّ في « الْمِيزَانِ » وتَعقَّبه بقوله : إمامة إسماعيلَ وَثيقة لا نزاع فيها ، وقد بدت منه هفوة وتاب ، فكان ماذا ؟ إني أخافُ اللهَ لا يكون ذكرنا له من الغيبة ، وأما القرآن ، فقد قال عبد الصمد بن يزيد بن مردويه : سمعتُ ابنَ عُلَيَّة يقول : القُرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخلوق .

(٢) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٤/ ٣ .

(٣) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٤/ ٤ .

(٤) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٤/ ٥ .

(٥) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٥/ ١ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ فُضَيل بنِ غَزْوانَ : حدَّث عنه عَددٌ كثيرٌ ، وجَمٌّ غَفيرٌ علىٰ تَشيُّع كانَ فيه ، إلاَّ أنَّه كانَ من عُلماءِ الحَديث ، والكَمَالُ عَزيزٌ .

وقال أحمدُ بنُ حَنْبَل : هو حَسَنُ الحَديثِ شِيعيٌّ[1] .

وقالَ أبو داوُد السِّجِسْتانيُّ : كان شِيعِيّاً مُتحرِّقاً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : تَحرُّقُه علىٰ مَنْ حارَبَ أوْ نازَعَ الأمْرَ عَلياً رضي الله عنه ، وهو مُعَظِّمٌ للشَّيْخَيْنِ رَضيَ الله عَنهُما .

ماتَ في سَنةَ خَمسٍ وتِسْعينَ ومئة[2] .

وقالَ عَليُّ بنُ الْمَديني : قالَ لي هِشامُ بنُ يُوسُف : كانَ عبدُ الرَّزَّاق بنُ هَمَّام أعْلَمَنا وأحْفَظَنا[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هٰكذا كان النُّظَراءُ يَعترفون لأقْرانِهم بالحِفظِ .

وفي الْمُسنَد قالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل : ما كانَ في قَريَة عبدِ الرَّزَّاق بِئرٌ فكُنَّا نَذهبُ نُبكِّر علىٰ ميلَين نتَوَضأ ، ونَحملُ مَعنا الماءَ[4] .

وللعُقيلي في كتاب « الضُّعَفاء » ، في تَرجمَة عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ هَمَّام : حدَّثنا محمَّدُ بنُ أحمَدَ بنِ حمَّاد ، سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ عُثمانَ الثَّقَفيَّ ، قالَ : لَمَّا قَدمَ العَبَّاسُ بنُ عبد العَظيم من عند عبدِ الرَّزَّاق من صَنعاءَ ، قالَ لنا ـ ونَحنُ جَماعَة ـ ألَستُ قد تَجَشَّمتُ الخُروجَ إلىٰ عبد الرَّزَّاق ، فدَخلتُ إليه ، وأقَمتُ عندَه حتَّىٰ سَمعتُ منه ما أرَدْتُ ؟ والله الذي لا إلَـهَ إلاَّ هو ، إنَّ عبدَ الرَّزَّاق كذَّابٌ ، والوَاقِديُّ أصْدَقُ منه[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : بلْ والله ما بَرَّ عَبَّاسٌ في يَمينِه ، ولَبئس ما قالَ ، يَعمدُ

---

(١) انظر السير : (محمّد بن فُضَيل) ٩/ ١٧٣ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ٩/٨١٤ .
(٢) انظر السير : (محمّد بن فُضَيل) ٩/ ١٧٣ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ١/٨١٥ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الرزَّاق بنُ همَّام) ٩/ ٥٦٣ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣٨ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الرزَّاق بنُ همَّام) ٩/ ٥٦٣ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٥/٨٣٨ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الرزَّاق بنُ همَّام) ٩/ ٥٦٣ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣٩ .

إلىٰ شَيخ الإسْلام ، ومُحدِّث الوَقت ، ومَنْ احْتَجَّ به كلُّ أرْباب الصِّحاحِ ـ وإنْ كانَ له أوْهامٌ مَغمورَةٌ ، وغَيرُه أبرَعُ في الحَديث منه ـ فيَرميه بالكَذبِ ، ويُقدِّمُ عليه الوَاقِديَّ الذي أجْمَعت الحُفَّاظُ علىٰ تَركه ، فهو في مَقالَتِه هـٰذه خارِقٌ للإجْمَاعِ بيَقين[1] .

وقالَ عَليُّ بنُ أحمَد بنِ النَّضْر الأزدي ، سَمعتُ أحمَدَ بنَ حَنْبَل ، وسُئلَ عن الشَّافِعيِّ ، فقالَ : لقد مَنَّ اللهُ عَلينا به ، لقد كُنَّا تعلَّمنا كَلامَ القَومِ ، وكَتبْنَا كُتُبَهم ، حتَّىٰ قدِمَ عَلينا ، فلمَّا سَمعنا كَلامَه ، عَلِمنا أنَّه أعْلم من غَيرِه ، وقد جالَسْناه الأيَّامَ واللَّيالي ، فمَا رَأينا منه إلاَّ كُلَّ خَيرٍ ، فقيلَ له : يا أبا عبدِ الله ، كانَ يَحْيَىٰ وأبو عُبَيد لا يَرْضَيانه ـ يُشيرُ إلى التَّشيُّع وأنَّهما نَسَباه إلىٰ ذلك ـ فقالَ : أحمَدُ بنُ حَنْبَل : ما نَدري ما يَقولان ، واللهِ مَا رَأينا منه إلاَّ خَيراً[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : مَنْ زَعمَ أنَّ الشَّافِعيَّ يَتشيَّعُ فهو مُفترٍ ، لا يَدري ما يَقولُ[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : لو كانَ الشافعي شِيعيّاً ـ وحاشاه من ذلك ـ لَمَا قالَ : الخُلَفاءُ الرَّاشِدونَ خَمسَةٌ ، بدأ بالصِّدِّيقِ ، وخَتَمَ بِعُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ[4] . ،[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ زَكَريّا بنِ عَديّ : وقد نالَ منه أبو نُعَيم الكُوفيُّ بِلا حُجَّة ، وقالَ : ما لَه وللحَديثِ ؟ هو بالتَّوْراةِ أعْلَمُ .

قالَ ابنُ سَعْد : هو من مَوَالي تَيم الله ، وكانَ رَجلاً صالِحاً ثِقةً ، قالَ : وتُوفِّيَ في سَنَةِ إحْدَىٰ عَشرَةَ ومِئتَين[6] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الرزَّاق بنُ همَّام) ٩/ ٥٦٣ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٨٣٩/ ٥ .

(٢) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥٠/ ٦ .

(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥٠/ ٧ .

(٤) وللخبر تتمة في غاية النفاسة عند البَيْهَقيِّ ، وهي : ثم قالَ أحمد بنُ حَنْبَل لِمَنْ حَوْلَه : اعْلموا رَحمكم اللهُ تعالىٰ أنَّ الرجُلَ من أهل العِلمِ إذا مَنَحه اللهُ شَيئاً من العلم ، وحُرِمَهُ قُرَناؤه وأشْكالُه ، حسدُوه فرَمَوْه بما ليسَ فيه ، وبئسَت الخِصالُ في أهْلِ العِلمِ .

(٥) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥١/ ١ .

(٦) انظر السير : (زَكَريّا بنُ عَدي) ١٠/ ٤٤٢ـ ٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٨٢/ ٤ .

وقالَ مُسلمُ في عليِّ بنِ الجَعْد : هو ثِقةٌ لكنَّه جَهْميٌّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ولهـٰذا مَنعَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل وَلدَيه من السَّماعِ منه[1] .

وقد كانَ طَائفَةٌ من الْمُحدِّثينَ يَتنطَّعونَ فيمَنْ له هَفوَةٌ صَغيرَةٌ تُخالِفُ السُّنَّة ، وإلاَّ فعليٌّ إمامٌ كبيرٌ حُجَّةٌ ، يُقالُ : مَكثَ سِتِّينَ سَنةً يَصومُ يَوماً ، ويُفطِرُ يَوماً ، وبحَسْبِكَ أنَّ ابنَ عَدي يَقولُ في « كامِلِه » لَمْ أرَ في رِواياتِه حَديثاً مُنْكَراً إذا حدَّث عنه ثِقَة .

تُوفِّيَ عَليُّ بنُ الجَعْد سَنةَ ثَلاث ومئتين ، وقد اسْتَكمَلَ سِتّاً وتِسْعينَ سَنةً[2] .

وقالَ أحمَدُ بنُ سَلمَة : سَمعتُ إسْحاقَ بنَ رَاهَوَيه يَقولُ : الحَقُّ يُحبُّه اللهُ عَزَّ وجَلَّ ، أبو عُبَيد القاسِمُ بنُ سَلام أفْقَهُ منِّي وأعْلمُ منِّي[3] .

وانصَرفَ القاسِمُ بنُ سَلام يوماً من الصَّلاة ، فمَرَّ بدارِ إسْحاقَ الْمَوْصليِّ ، فقالوا له : يا أبا عُبَيد ، صاحبُ هـٰذه الدَّار يَقولُ : إنَّ في كتابِك « غَريب الْمُصنَّف » ألفَ حَرفٍ خَطأ .

فقالَ : كتابٌ فيه أكثرُ من مِئة ألفٍ يَقعُ فيه ألفٌ لَيسَ بكَثير ؟ ولَعلَّ إسْحاقَ عندَه رِوايَة ، وعندَنا رِوايَة ، فلَمْ يَعلَمْ ، فخَطَّأنا ، والرِّوَايَتَانِ صَوَابٌ ، ولَعلَّه أخْطَأ في حُروفٍ ، وأخْطَأنا في حُروفٍ ، فيَبقَى الخَطأُ يَسيراً[4] .

قالَ أبو زُرْعَة الرَّازي : كانَ أحمَدُ بنُ حَنبَل لا يَرَى الكِتابَةَ عن أبي نَصْر التَّمَّار ، ولا ابنِ مَعين ، ولا مِمَّنْ امْتُحِنَ فأجابَ[5] .

وقالَ أبو الحَسَن الْمَيْمونيُّ : صَحَّ عندي أنَّه ـ يَعني أحمَدَ بنَ حَنْبَل ـ لم يَحضُر أبا نَصْر التَّمَّار حينَ ماتَ ، فحَسِبتُ أنَّ ذلكَ لَمَّا كانَ أجابَ في الْمِحْنَة[6] .

---

(١) انظر السير : (عَليُّ بنُ الجَعْد) ١٠/ ٤٥٩ـ٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٨٨٤/ ٢ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الجَعْد) ١٠/ ٤٥٩ـ٤٦٨ ، وانظر النزهة : ٨٨٤/ ٣ .
(٣) انظر السير : (أبو عُبَيد) ١٠/ ٤٩٠ـ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٨٨٧/ ٥ .
(٤) انظر السير : (أبو عُبَيد) ١٠/ ٤٩٠ـ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٨٨٨/ ١ .
(٥) انظر السير : (أبو نَصْر التَّمَّار) ١٠/ ٥٧١ـ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٨٩٤/ ٣ .
(٦) انظر السير : (أبو نَصْر التَّمَّار) ١٠/ ٥٧١ـ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٨٩٤/ ٤ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أجابَ تُقيَةً وخَوفاً من النَّكال ، وهو ثِقَةٌ بحاله ولله الحَمدُ[1] .

وقد شَدَّدَ الإمامُ الذَّهَبيُّ ـ رحمه اللهُ ـ النَّكير على العقيلي لإيراده عليَّ بنَ الْمَديني في كتابه « الضُّعَفاء » ، فقالَ في « ميزانه » (٣/ ١٤٠ـ ١٤١) : وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها ، وهـٰذا أبو عبد الله البُخاريّ ـ وناهيك به ـ قد شَحنَ صَحيحه بحديث عليِّ بن الْمَديني ، ولو تركتَ حَديثَ عليٍّ ، وصاحبَه محمَّد ، وشَيخِه عبد الرَّزَّاق ، وعُثمانَ بنِ أبي شَيْبَة لغَلَقنا الباب ، وانقَطعَ الخطابُ ، ولَماتَت الآثار ، واسْتولَت الزَّنادقَةُ ، ولخَرجَ الدجَّال أفما لك عَقلٌ يا عقيلي ؟!! أتَدري فيمَنْ تتكلَّمُ ؟!! وإنَّما تَبعناك في ذكر هـٰذا النَّمَط لنَذُبَّ عنهم ، ولنُزيِّفَ ما قيلَ فيهم كأنَّك لا تَدري أنَّ كُلَّ واحد من هـٰؤلاء أوثقُ منك بطَبَقات ، بلْ أوثَقُ من ثقاتٍ كثيرين لمْ تُوردهم في كتابك ، فهـٰذا مما لا يرتاب فيه مُحدِّثٌ وأنا أشتَهي أن تُعرِّفَني مَنْ هو الثِّقَةُ الثَّبْتُ الذي ما غَلطَ ولا انْفرَدَ بما لا يُتابَعُ عليه بل الثِّقَةُ الحافِظُ إذا انفْرَدَ بأحاديث ، كان أرفَع له ، وأكمَل لرُتبَته وأدَلُّ على اعْتنائه بعلمِ الأثَر ، وضَبطِه دون أقْرانِه لأشياءَ ما عَرفوها ، اللَّهُمَّ إلاَّ أن يتَبيَّنَ غَلطُه ووَهْمُه في الشيء ، فيُعرَف ذلك ، فانظُر أوَّل شيء إلىٰ أصْحابِ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم الكبار والصِّغار ، ما فيهم أحدٌ إلاَّ وقد انفْرَدَ بسُنَّة ، فيُقالُ له : هـٰذا الحديثُ لا يُتابَعُ عليه!! وكذلك التَّابِعونَ ، كلُّ واحد عندَه ما لَيسَ عندَ الآخَر من العِلمِ ، وما الغَرَض هـٰذا ، فإن هـٰذا مُقرَّر علىٰ ما يَنْبَغي في عِلمِ الحَديث[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يَحْيَى ابنِ مَعين : ومن نادِر ما شَذَّ به ابنُ مَعين ، رَحمَه الله ، كلامُه في أحمَدَ بنِ صالِح حافِظِ مِصْرَ ، فإنَّه تَكلَّم فيه باجْتهادِه ، وشَاهَدَ منه ما يُلَيِّنُه باعْتبارِ عَدالَتِه لا باعْتبارِ إتْقانِه ، فإنَّه مُتقنٌ ثَبتٌ ، ولكنْ عليه مأخَذٌ في تيه وبَأوٍ كان يَتعاطاه ، والله لا يُحبُّ كلَّ مُختالٍ فَخور ، ولعلَّه اطَّلعَ منه علىٰ حال في أيَّام

(١) انظر السير : (أبو نَصْر التَّمَّار) ١٠/ ٥٧١ـ ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٨٩٤/ ٥ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الْمَديني) ١١/ ٤١١ـ ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ٩٠٦/ هامش (٢) .

شَبيبةِ ابنِ صالِح ، فتابَ منه أو من بَعضِه ، ثم شَاخَ ، ولَزِمَ الخَيرَ ، فلَقيَه البُخاريُّ والكِبارُ ، واحْتَجُّوا به وأمَّا كَلامُ النَّسائيِّ فيه ، فكَلامٌ مَوْتورٌ لأنَّه آذَى النَّسائيَّ ، وطرَدَه من مَجلِسه ، فقالَ فيه : لَيسَ بثِقَةٍ[1] .

قالَ سَعيدُ بنُ عَمْرو البَرْذَعيُّ : سَمعتُ الحَافِظَ أبا زُرْعَةَ الرَّازي يقولُ : كان أحمَدُ بنُ حَنْبَل لا يَرَى الكِتابَةَ عن أبي نَصْر التَّمَّار ، ولا عَنْ يَحْيَى ابنِ مَعين ، ولا عن أيِّ أحدٍ مِمَّنْ امْتُحِنَ فأجابَ[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هٰذا أمرٌ ضَيقٌ ، ولاحَرجَ علىٰ مَنْ أجابَ في الْمِحْنَة ، بل وعلىٰ مَنْ أُكرِهَ علىٰ صَريحِ الكُفْرِ عَملاً بالآيَةِ وهٰذا هو الحَقُّ وكان يَحْيَىٰ رَحمَهُ اللهُ من أئمَّة السُّنَّة ، فخافَ من سَطوَةِ الدَّولَة ، وأجابَ تُقيَة[3] .

وقالَ الحَسَنُ بنُ سُفْيان : سَمعتُ هُدبَةَ بنَ خالد ، يقولُ : صلَّيتُ علىٰ شُعْبَة فقيلَ له : رَأيته ؟ فغَضبَ ، وقالَ : رَأيتُ مَنْ هوَ خَيرٌ منه حَمَّادَ ابنَ سَلَمَة ، وكانَ سُنِّياً ، وكانَ شُعبَةُ رأيُه رأيُ الإرْجاء[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كلاَّ لَمْ يَكُنْ شُعبَةُ مُرْجِئاً ولَعلَّه شَيءٌ يَسيرٌ لا يَضرُّه[5] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ كلاَّب : وقال بعضُ مَنْ لا يَعلم : إنَّه ابتَدَعَ ما ابتَدَعَه ليَدُسَّ دينَ النَّصارَىٰ في مِلَّتنا ، وإنَّه أرْضَىٰ أُختَه بذلك ، وهٰذا باطِلٌ ، والرجلُ أقرَبُ المُتكلِّمين إلى السُّنَّة ، بل هو في مُناظِريهم[6] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ محمّد الوَرَّاق : كنتُ في مجلسِ أحمدَ بنِ حَنْبَل ، فقال : من أين أقْبَلتُم ؟ قُلنا : من مَجلسِ أبي كريب ، فقال : اكْتُبوا عنه ، فإنَّه شَيخٌ صالحٌ ، فقُلنا :

---

(١) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ١/٩١١ .
(٢) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/٩١١ .
(٣) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ١/٩١٢ .
(٤) انظر السير : (هُدبَةُ بنُ خالد) ١١/ ٩٧ـ ١٠٠ ، وانظر النزهة : ٣/٩١٤ .
(٥) انظر السير : (هُدبَةُ بنُ خالد) ١١/ ٩٧ـ ١٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩١٤ .
(٦) انظر السير : (ابنُ كلاَّب) ١١/ ١٧٤ـ ١٧٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩٢٢ .

إنَّه يَطعنُ عليك قال : فأيُّ شيء حيلتي ، شَيخٌ صالحٌ قد بُلِيَ بي[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الرَّوَاجنيِّ : الشَّيخُ العالِم الصَدوقُ ، مُحدِّثُ الشِّيعَة ، أبو سَعيد عَبَّادُ بنُ يَعقُوب الأسدي الرَّوَاجنيُّ الكُوفيُّ المُبتَدِع .

وقال الحاكمُ : كان ابن خُزَيْمَة يقولُ : حَدَّثنا الثِّقَةُ في رِوايَتِه المُتَّهَمُ في دِينه ، عبَّادُ بنُ يَعقُوب .

وقال ابنُ عدي : فيه غُلوٌّ في التَّشَيُّع[2] .

وقالَ أحمَدُ السُّلميُّ في « مِحَن الصُّوفيَّة » : أحمَدُ بنُ أبي الحَواريّ شَهدَ عَليه قَومٌ أنَّه يُفَضِّلُ الأوْلياءَ على الأنْبياءِ وبَذلوا الخُطوطَ عليه ، فهَربَ من دِمَشْقَ إلىٰ مَكةَ وجاوَرَ حتَّىٰ كَتَبَ إليه السُّلطانُ ، يَسألُه أنْ يَرجِعَ فرَجَعَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إنْ صَحَّت الحِكايَةُ فهـٰذا من كَذبِهم علىٰ أحمَدَ ، وهو كانَ أعلَم بالله من أنْ يَقولَ ذلكَ تُوفِّيَ أحمدُ سَنَةَ سِتٍّ وأرْبَعينَ ومِئتَين[3] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الزُّبَيْرِ بنِ بَكار ، وقالَ أحمَدُ بنُ عَليٍّ السُّليْمانيُّ الحافِظُ : مُنْكَرُ الحَديثِ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كذَا قالَ ولا يَدري ما يَنطِقُ به .

تُوفِّيَ الزُّبَيْرُ سَنَةَ سِتٍّ وخَمسينَ ومئتين بمَكةَ ، وقد بَلغَ أرْبَعاً وثَمانينَ سَنَةً[4] .

وقال عبدُ الرَّحمَـٰن بنُ أبي حاتِمٍ في « الجَرْحِ والتَّعْدِيلِ » قَدِمَ مُحمَّدُ ابنُ إسْماعيل الرَّيَّ سَنَةَ خَمْسينَ ومِئَتَيْنِ ، وسَمِعَ منه أَبي وأبو زُرْعَةَ وتَركا حَديثَهُ عندَما كَتَبَ إليهِما مُحمَّدُ بنُ يَحْيَىٰ أنَّه أظْهَرَ عندَهُم بنِيسابُورَ أنَّ لَفظَهُ بالقُرآنِ مَخْلُوقٌ[5] .

---

(١) انظر السير : (أحمد بن حنبل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٤٧ .

(٢) انظر السير : (الرَّواجنيّ) ١١/ ٥٣٦ـ ٥٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٩ .

(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ أبي الحَواريِّ) ١٢/ ٨٥ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٨ .

(٤) انظر السير : (الزُّبَيْر بن بَكار) ١٢/ ٣١١ـ ٣١٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٠٤ .

(٥) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٥/١٠١٩ .

قال الإمام الذهبيُّ : إنْ تَرَكا حَديثَه ، أوْ لَمْ يَتْرُكاهُ ، البُخاريُّ ثِقَةٌ مَأمُونٌ مُحتَجٌّ به في العَالَمِ[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ داوُدَ بنِ عَليّ : للعُلماءِ قَولانِ في الاعْتِدادِ بخِلافِ داوُد وأتباْعِه : فمَنْ اعْتدَّ بخِلافِهم ، قالَ : ما اعْتدادُنا بخِلافِهم لأنَّ مُفْرَداتِهم حُجَّة ، بل لتُحْكَىٰ في الجُملَة ، وبَعضُها سائغٌ ، وبَعضُها قَويٌّ وبَعضُها ساقطٌ ، ثم ما تَفرَّدوا به هو شَيءٌ من قَبيلِ مُخالَفَة الإجْماعِ الظنِّي ، وتَندُرُ مُخالَفتُهم لإجْماعٍ قَطْعيٍّ ومَنْ أهْدَرَهم ، ولَمْ يَعْتَد بهم ، لمْ يَعدَّهم في مَسائِلِهم المُفْردَة خارجين بها من الدِّين ، ولا كَفَّرهم بها ، بلْ يقولُ : هـٰؤلاء في حَيِّزِ العَوامِّ ، أو هم كالشِّيعَة في الفُروع ، ولا نَلتَفتُ إلىٰ أقْوالِهم ، ولا نَنْصبُ معهم الخِلافَ ، ولا يُعتَنىٰ بتَحْصيلِ كُتبِهم ، ولانَدلُّ مُسْتفْتياً من العامَّة عليهم وإذا تَظاهَروا بمَسْألَة مَعْلومَة البُطْلان ، كمَسْحِ الرِّجْلَين ، أدَّبْناهم ، وعَزَّرْناهم ، وألْزَمْناهم بالغُسْلِ جَزْماً .

قال الأستاذُ أبو إسْحاقَ الإسْفَرَاييني : قال الجُمهورُ : إنَّهم - يَعني نُفاةَ القِياسِ - لا يَبْلغونَ رُتْبَةَ الاجْتهادِ ، ولا يَجوزُ تَقليدُهم القَضاءَ .

وقال إمامُ الحَرمَين أبو المَعالي : الذي ذَهبَ إليه التَّحْقيقُ : أنَّ مُنْكري القياسِ لا يُعدُّون مِنْ عُلماءِ الأُمَّة ، ولا مِنْ حَملَة الشَّريعَة ، لأنَّهم مُعانِدون ، مُباهِتُون فيما ثَبتَ اسْتفاضَةً وتَواتُراً ، لأنَّ مُعْظمَ الشَّريعةِ صادِرٌ عن الاجْتهادِ ، ولا تَفي النُّصوصُ بعُشْرِ مِعْشارِها ، وهـٰؤلاء مُلتَحِقونَ بالعَوامِّ .

قال الإمامُ الذهبيُّ : هـٰذا القَولُ من أبي المَعالي أدَّاهُ إليه اجْتهادُه ، وهم فأدَّاهم اجْتهادُهم إلىٰ نَفي القَولِ بالقياسِ ، فكَيف يُرَدُّ الاجْتهادُ بمِثْلِه ، ونَدْري بالضَّرورَة أنَّ داوُد كانَ يُقْرِىءُ مَذهَبَه ، ويُناظِرُ عليه ، ويُفْتي به في مثل بَغْدادَ ، وكثرةُ الأئمَّة بها وبغَيرِها ، فلَمْ نَرَهُم قامُوا عليه ، ولا أنْكرُوا فَتاويه ولا تَدريسَه ، ولا سَعَوا في مَنعِه من بَثِّه ، وبالحَضْرةِ مثلُ إسْماعيلَ القاضي ، شَيخِ المالكيَّة ، وعُثمانِ بنِ بَشَّار

---

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٦/١٠١٩ .

الأنْمـاطيِّ ، شَيـخِ الشَّـافعيَّة ، والمَـرْوذيِّ شَيـخِ الحَنْبَليَّـة ، وابنَـيْ الإمـامِ أحمَـدَ ، وأبي العبَّاس أحمَدَ بنِ محمّد البِرْتي ، شَيخِ الحَنفيَّة ، وأحمَدَ ابنِ أَبي عِمْرانَ القاضي ، ومثلُ عالِمِ بَغْدادَ إبْراهيمَ الحَرْبيِّ بلْ سَكتُوا له ، حتىٰ لقد قالَ قاسمُ بنُ أَصْبَغ : ذاكَرتُ الطَّبريَّ ـ يَعني ابنَ جَرير ـ وابنَ سُرَيْج ، فقُلتُ لهما : كتابُ ابنِ قُتَيْبَة في الفِقْه أينَ هو عندَكُما ؟ قالا : ليسَ بشيءٍ ولا كتابِ أبي عُبَيد ، فإذا أَرَدتَ الفِقْهَ فكُتبِ الشَّافعيِّ ، وداوُدَ ونُظَرائِهما .

ثم كانَ بعدَه ابنُه أبو بَكْر ، وابنُ المُغَلِّس ، وعدَّة من تلامِذَة داوُد وعلىٰ أَكْتافِهِم مثلُ : ابنِ سُرَيْج ، شَيخِ الشَّافعيَّة ، وأبي بَكْر الخَلاَّل ، شَيخِ الحَنْبَليَّة ، وأبي الحَسَن الكَرْخي شَيخِ الحَنفيَّة ، وكان أبو جَعْفَر الطَّحاويُّ بمِصْرَ بل كانوا يتَجالَسُون ويَتناظَرون ، ويَبرُزُ كلٌّ منهم بحُجَجِه ، ولا يَسْعَون بالداوُديَّة إلى السُّلطانِ بلْ أبلغُ من ذلك ، يَنصِبُون معهم الخِلافَ ، في تَصانيفِهم قَديماً وحَديثاً ، وبكلِّ الحالِ ، فلَهم أَشْياءُ أحْسَنوا فيها ، ولهم مَسائلُ مُسْتَهْجنَة ، يُشْغَبُ عليهم بها ، وإلىٰ ذلك يُشيرُ الإمامُ أبو عَمرو ابنُ الصَّلاح ، حيثُ يقولُ : الذي اختارَه الأستاذُ أبو مَنْصور ، وذَكرَ أنَّه الصَّحيحُ من المَذْهَب ، أنَّه يُعْتَبَرُ خِلافُ داوُد ثمَّ قالَ ابنُ الصَّلاح : وهـٰذا الذي اسْتقرَّ عليه الأمرُ آخراً ، كما هو الأغْلَبُ الأعْرَفُ من صَفْوِ الأئمَّة المتأخرين ، الذين أَوْرَدوا مَذهَبَ داوُد في مُصنَّفاتِهم المَشْهورَة ، كالشَّيخِ أبي حامد الإسْفَراييني ، والماوَرْديِّ ، والقاضي أبي الطَّيِّب فلَوْلا اعْتدادُهم به لما ذَكروا مَذهَبَه في مُصنَّفاتِهم المَشْهورَة .

قالَ : وأَرَىٰ يُعْتَبَر قولُه إلاَّ فيما خالَفَ فيه القياسَ الجَليَّ ، وما أَجْمَعَ عليه القياسيُّون من أنواعِه ، أو بَناهُ علىٰ أُصُولِه التي قامَ الدَّليلُ القاطعُ علىٰ بُطْلانِها ، فاتِّفاقُ مَنْ سِواهُ إجْماعٌ مُنعَقدٌ ، كقَولِه في التَّغوُّطِ في الماءِ الرَّاكِد[1] وتلكَ المَسائل الشَّنيعَة ،

---

(١) وهو قول ابن حَزْم ، ونَصُّ كلامه في « المُحلَّىٰ » (١/ ١٣٥) : (إلاَّ أن البائل في الماء الراكد الذي لا يجري حرامٌ عليه الوضوء بذلك الماء والاغتسالُ به لغرض أو لغيره ، وحكمه التيمم إن لم يجد غيره فلو أحدَثَ في الماء أو بال خارجاً منه ثم جرى البولُ فيه فهو طاهرٌ يَجوزُ الوضوء منه والغسل له ولغيره إلاَّ أن يغير ذلك البول أو الحدث شيئاً من أوصاف الماء ، فلا يُجزىء حينئذ استعماله أصلاً لا له ولا لغيره) .

وقولِه : لا رِبَا إلاَّ في السِّتَّة المَنْصُوصِ عليها ، فخِلافُه في هٰذا أو نَحوِه غيرُ مُعْتدٍّ به ، لأنَّه مبنيٌّ علىٰ ما يُقطَعُ ببُطْلانِه .

قال الإمامُ الذهبيُّ : لا ريبَ أنَّ كُلَّ مَسألَةٍ انفرَدَ بها ، وقُطعَ ببُطْلانِ قَولِه فيها ، فإنَّها هَدرٌ ، وإنَّما نَحكيها للتَّعجُّبِ ، وكُلَّ مَسألَةٍ له عَضدَها نَصٌّ ، وسَبقَه إليها صاحبٌ أو تابعٌ ، فهي من مَسائلِ الخِلافِ ، فلا تُهْدَر .

وفي الجُملَةِ ، فداوُد بنُ عليّ بَصيرٌ بالفِقْه ، عالمٌ بالقُرآنِ ، حافِظٌ للأثرِ ، رأسٌ في مَعرِفَةِ الخِلافِ ، من أوْعيَةِ العِلمِ ، له ذَكاءٌ خارِقٌ ، وفيه دينٌ مَتينٌ وكذلكَ في فُقَهاءِ الظَّاهِريَّة جَماعَةٌ لهم عِلمٌ باهِرٌ ، وذَكاءٌ قَويٌّ ، فالكَمالُ عَزيزٌ ، واللهُ المُوَفِّق .

ونحن : فنحكي قولَ ابنِ عبَّاس في المتعة ، وفي الصَّرْف[1] ، وفي إنْكارِ العَوْل ، وقَولِ طائِفَةٍ من الصَّحابَة في تَرك الغُسْلِ من الإيْلاجِ[2] ، وأشْباهَ ذلك ، ولا نُجَوِّزُ لأحَد تَقليدَهم في ذلك .

مات داوُدُ في شَهرِ رَمضانَ سَنةَ سَبعينَ ومِئَتَين[3] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ أبي بَكر ، عبدِ اللهِ بنِ أبي داوُدَ السِّجِسْتانيّ ، قالَ عَليُّ بنُ الحُسَينِ بنِ الجُنَيد : سَمعتُ أبا دَاوُدَ يَقولُ : ابني عبدُ الله كذَّاب قالَ ابنُ صاعِد : كفانا ما قالَ فيه أبوه .

قال الحافظُ ابنُ عَدي : كانَ في الابْتداءِ يُنسَبُ إلىٰ شَيءٍ من النَّصْبِ[4] ، فنَفاهُ ابنُ الفُرات من بَغدادَ إلىٰ وَاسِط ، فرَدَّه ابنُ عيسىٰ ، فحدَّث ، وأظْهَرَ فَضائلَ عَليٍّ ثم تَحَنْبَلَ ، فصَارَ شَيخاً فيهم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كان شَهْماً ، قَويَّ النَّفسِ ، وقَعَ بينَه وبينَ ابنِ جَرير ، وبينَ ابنِ صاعِد[5] .

---

(١) انظر شَرح صحيح مسلم رقم (٥٩٦) (١٠٢) ، وشَرح السُّنَّة : ٨/ ٦٠ـ ٦١
(٢) انظر شَرح السُّنَّة : (٢/ ٥ـ ٧)
(٣) انظر السير : (داوُد بن عَليّ) ١٣/ ٩٧ـ ١٠٨ ، وانظر النزهة : ١٠٥٨/١ـ ١٠٦٠ .
(٤) النَّصْب : أي بغضة عليٍّ رضي الله عنه، من نَصَبَ فُلانٌ لفُلانٍ نَصْباً، إذا قَصدَ له ، وعاداه ، وتجرَّد له .
(٥) انظر السير : (أبو بَكر بنُ أبي داوُد السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ١٠٧٣/٢ .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ أيضاً : ولعلَّ قَولَ أبيه فيه ـ إنْ صَحَّ ـ أرادَ الكَذبَ في لَهجَتِه ، لا في الحَديثِ ، فإنَّه حُجَّة فيما يَنقُله ، أو كان يَكذِبُ ويُورِّي في كلامِه ، ومَنْ زَعَمَ أنَّه لا يَكذِبُ أبداً ، فهو أرْعَن ، نَسألُ اللهَ السَّلامَةَ من عَثْرَةِ الشَّبابِ ، ثم إنَّه شاخَ وارْعَوَىٰ ، ولَزِمَ الصِّدقَ والتُّقَىٰ[1] .

وقال أبو أحمَد بنُ عَدي : سَمعتُ عَليَّ بنَ عبدِ الله الدَّاهريَّ يقولُ : سَألتُ ابنَ أبي داود عن حَديثِ الطَّيْر[2] ، فقال : إن صح حديث الطير فنبوَّةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم باطلٌ ، لأنَّه حَكَىٰ عن حاجبِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم خِيانةً ـ يَعْنِىٰ أنَساً ـ وحَاجِبُ النبيِّ لا يَكونُ خائناً .

قال الإمامُ الذهبيُّ : هـٰذه عبارةٌ رديئةٌ ، وكلامٌ نحْسٌ ، بل نُبوَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم حَقٌّ قَطْعيٌّ ، إنْ صَحَّ خَبَرُ الطَّيْرِ ، وإنْ لَمْ يَصِحَّ ، وما وَجْهُ الارْتِباطِ ؟! هـٰذا أنَسٌ قد خَدمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قَبلَ أنْ يَحْتلِمَ ، وقَبلَ جَرَيان القَلَم ، فيَجُوزُ أنْ تَكونَ قِصَّةُ الطَّائر في تِلكَ المُدَّة فَرَضنا أنَّه كان مُحْتَلِماً ، ما هو بمَعْصُوم من الخِيانَة ، بلْ فَعَلَ هـٰذه الجِنايَةَ الخَفيفَة مُتأوِّلاً ، ثمَّ إنَّه حَبَسَ عَليّاً من الدُّخولِ كما قِيلَ ، فكان ماذَا ؟ والدَّعْوَةُ النَّبويَّة قد نَفَذَت واسْتُجيبَت ، فلَوْ حَبَسَه ، أو رَدَّه مَرَّات ، ما بَقِيَ يُتَصوَّرُ أنْ يَدخُلَ ويَأكلَ مع المُصطفَىٰ سِواهُ ، اللَّهُمَّ إلاَّ أنْ يَكونَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قَصدَ بقَولِه : « إيتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إلَيْكَ ، يَأْكلُ مَعِي » عَدداً من الخِيَارِ ،

---

(١) انظر السير : (أبو بَكر بنُ أبي داوُد السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٧٣ .

(٢) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال ، عن يحْيى بن سعيد ، عن أنس قال : كنتُ أخدمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم له فرخ مشوي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ ائتني بأحبِّ خلقكَ إليك يأكلُ معي هـٰذا الطير ، فقلتُ اجْعَلْه رجلاً من أهلي الأنصار ، فجاء عليٌّ ، فقلتُ إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم علىٰ حاجة ، ثم جاء فقلتُ ذلك ، فقال : اللَّهُمَّ ائتني كذلك ، فقلتُ ذلك ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « افتح ، فدخل فقال صلى الله عليه وسلم : ما حبسكَ يا عليُّ ؟ فقال : إنَّه هـٰذه آخر ثلاث كرَّات يردُّني أنس ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما حَملَكَ علىٰ ما صَنعتَ ؟ قلتُ : أحْبَبْتُ أن يكونَ رجلاً من قومي ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الرجلَ محبٌّ قومَه » ، وانظر أجوبة الحافظ ابن حجر علىٰ أحاديث وقعت في المصباح ٣/ ٣١٣ ، ٣١٤ و(الفوائد المجموعة) ص ٣٨٢ ، وسيذكر الإمام الذهَبيُّ رأيَه بعد إيراده الخبر .

يَصدُقُ علىٰ مَجمُوعِهِم أَنَّهُم أَحبُّ النَّاسِ إلى الله ، كمَا يَصِحُّ قَوْلُنا : أَحبُّ الخَلْقِ إلى الله الصَّالحُونَ ، فيُقالُ : فمَنْ أَحبُّهُم إلى الله ؟ فنَقُولُ : الصِّدِّيقُونَ والأنْبياءُ فيُقالُ : فمَنْ أَحبُّهُم إلى الله ؟ فنَقُولُ : مُحمَّدٌ وإبْراهِيمُ ومُوسَىٰ ، والخَطْبُ في ذلك يَسيرٌ وأبو لُبابَة ـ مع جَلالتهِ ـ بدَتْ منه خِيانَةٌ ، حَيثُ أشارَ لبَني قُرَيْظَة إلىٰ حَلْقِه ، وتابَ اللهُ عَليه وحاطِبٌ بدَت منه خِيانَةٌ ، فكاتَبَ قُرَيشاً بأمْرٍ تَخَفَّىٰ به نَبيُّ الله صلى الله عليه وسلم من غَزْوِهِم ، وغَفرَ اللهُ لحاطِب مع عِظَمِ فِعْلِهِ رضي الله عنه وحَديثُ الطَّيرِ ـ علىٰ ضَعْفِه ـ فلَه طُرقٌ جَمَّة ، وقد أَفْرَدتُها في جُزء ، ولَمْ يَثْبُتْ ، ولا أنا بالمُعْتَقِدِ بُطْلانَه ، وقد أخطأ ابنُ أبي داوُد في عِبارَته وقولِه ، وله علىٰ خَطئِهِ أجرٌ واحدٌ[1] .

ولَيسَ من شَرط الثِّقَةِ أنْ لا يُخْطِىءَ ولا يَغْلَطَ ولا يَسْهوَ ، والرجلُ فمِنْ كِبَارِ عُلماء الإسْلام ، ومن أَوْثَق الحُفَّاظ ، رحمَه الله تَعالىٰ[2] .

وقالَ مَسْعودٌ السِّجْزِيُّ : سَمعتُ أبا عبدِ اللهِ الحاكِمَ يَقولُ : أَجْمَعَت الأمَّةُ علىٰ أن القُتَبيَّ كذَّاب .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه مُجازَفَةٌ وقلَّةُ وَرَع ، فما عَلمتُ أحداً اتَّهمَه بالكَذِب قبلَ هـٰذه القَولَة ، بل قالَ الخَطيبُ : إنَّه ثِقَةٌ[3] .

وعن حمَّادٍ الحَرَّانيِّ أنَّه سَمعَ السِّلَفيَّ يُنكِرُ على الحاكم في قولِه : لا تَجوزُ الرِّوايَة عن ابنِ قُتَيبَة ويَقولُ : ابنُ قُتَيبَة من الثِّقاتِ ، وأهلِ السُّنَّة ثم قالَ : لكنَّ الحاكمَ قصدَه لأجلِ الْمَذْهَب .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : عَهْدي بالحاكم يَميلُ إلى الكَرَّاميَّة ، ثم ما رَأيتُ لأبي محمَّد ابنِ قُتَيبَة في كتاب « مُشْكِل الحَديث » ما يُخالِفُ طَريقَة الْمُثْبِتَةِ والحَنابِلَة ، ومنْ أنَّ أخْبَارَ الصِّفات تُمَرُّ ولا تُتأَوَّل ، فالله أعلَم[4] .

قال الحافظُ أبو عبد الله بنُ مَندَة في مسألة الإيمان : صَرَّحَ محمدُ ابنُ نَصْر في كتاب

---

(١) انظر السير : (أبو بَكر بنُ أَبي داوُد السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٧٣ .
(٢) انظر السير : (أبو بَكر بنُ أَبي داوُد السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٥ .
(٣) انظر السير : (ابنُ قُتَيْبَة) ١٣/ ٢٩٦ـ ٣٠٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٨٨ .
(٤) انظر السير : (ابنُ قُتَيْبَة) ١٣/ ٢٩٦ـ ٣٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٨ .

« الإيمان » بأنَّ الإيمانَ مَخْلوق ، وأنَّ الإقْرارَ ، والشَّهادَةَ ، وقِراءةَ القُرآن بلَفْظه مَخْلوق ثم قال : وهَجَرَه علىٰ ذلك عُلماءُ وَقْته وخالَفَه أئمَّةُ خُراسانَ والعِراق[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الخَوْضُ في ذلك لا يجوزُ ، وكذلك لا يجوزُ أنْ يُقالَ : الإيمانُ ، والإقْرارُ ، والقِراءةُ ، والتَّلفُّظُ بالقُرآن غيرُ مَخْلوق ، فإنَّ اللهَ خَلقَ العِبادَ وأعْمالَهم ، والإيمانُ : فقَولٌ وعَمل ، والقِراءَةُ والتَّلفُّظُ : من كَسْب القارىء ، والمَقْروءُ المَلْفوظُ : هو كَلامُ الله ووَحْيُه وتَنزيلُه ، وهو غَيرُ مَخْلوق ، وكذلك كَلمَةُ الإيمان ، وهو قَوْلُ : « لا إلـهَ إلاَّ الله ، محمَّدٌ رَسُولُ الله » داخلةٌ في القُرآن ، وما كان من القُرآن فليس بمَخْلوق ، والتكلُّمُ بها من فِعْلِنا ، وأفعالُنا مَخْلوقَة ، ولو أنَّا كُلما أخطأ إمامٌ في اجْتهادِه في آحادِ المَسائل خطأً مَغْفوراً له ، قُمْنا عليه ، وبَدَّعْناه ، وهَجَرْناه ، لما سَلِمَ مَعنا لا ابنُ نَصْر ، ولا ابنُ مَنْدَة ، ولا مَنْ هو أكْبرُ منهما ، واللهُ هو هادي الخَلقِ إلى الحَقِّ ، وهو أرْحَمُ الراحمين ، فنَعوذُ بالله من الهَوىٰ والفَظاظَة[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مُحمَّدِ بنِ جَرير : وكان ابنُ جَرير من رجال الكمال ، وشُنِّعَ عليه بيَسير تشيُّع ، وما رَأينا إلاَّ الخَيرَ ، وبعَضُهم يَنقُلُ عنه أنَّه كانَ يُجيزُ مَسحَ الرِّجْلَينِ في الوُضوء ولَمْ نَرَ ذلك في كُتبه[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ خُزَيْمَةَ : وكِتابُ ابنِ خُزَيْمَة في « التَّوحيدِ » مُجَلَّدٌ كَبيرٌ ، وقد تأوَّلَ في ذَلكَ حَديثَ الصُّورَةِ[4] ،[5] .

---

(١) انظر السير : (محمد بن نَصر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٧ .

(٢) انظر السير : (محمد بن نَصر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٧ .

(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٥٢ .

(٤) حديثُ الصورة ، أخرجه البخاري في « صحيحه » (١١/ ٢) أول الاستئذان ، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة : باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير وأحمد : (٢/ ٣١٥) ، وابن خُزيمة في « التوحيد » (٣٩ ـ ٤٠) من طريق معمر عن همّام بن مُنبه ، عن أبي هُريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ علىٰ صُورَتِه ، طُولُهُ ستُّونَ ذِراعاً ، فلَمَّا خَلقَه ، قالَ : اذهَبْ ، فَسَلِّمْ علىٰ أُولَئِكَ ـ نَفَرٌ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوسٌ ـ فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ ، فإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فقَالَ : السَّلامُ عَليكُم فقَالُوا : السَّلامُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللهِ فزَادَهُ : « ورَحْمَةُ اللهِ » فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلىٰ صُورَةِ آدَمَ ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حتّى الآن » وراجعْ ما كَتبَه الحافظُ ابنُ حَجر عن عَوْدِ الضَمير في (صورته) في « الفتح » : (٥/ ١٣٣) ، (٦/ ٢٦٠) ، (١١/ ٢ـ ٣).

(٥) انظر السير : (ابن خُزيمة) ١٤/ ٣٦٥ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ١/٢٦١١ .

فلْيُعذَرْ من تَأوَّلِ بَعضِ الصِّفاتِ ، وأمَّا السَّلَفُ فما خَاضُوا في التَّأويلِ ، بَلْ آمَنُوا وكَفُّوا ، وفوَّضُوا عِلْمَ ذَلكَ إلى اللهِ ورسُولِه ، ولَوْ أنَّ كُلَّ مَنْ أخْطَأَ في اجْتِهَادِه ـ مع صِحَّةِ إيْمانِه وتَوَخِّيه لاتِّباع الحَقِّ ـ أهْدَرْناهُ وبَدَّعْناهُ ، لَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ من الأئِمَّة مَعَنا رَحِمَ اللهُ الجَميعَ بِمَنِّهِ وكَرَمِه[1] .

قالَ عبدُ الصَّمَد بنُ محمَّد بنِ محمَّد بنِ حِبَّان ، سَمعتُ أبي يقولُ : أنْكَروا علىٰ أبي حاتم بنِ حِبَّان قولَه : النُّبوَّةُ : « العِلمُ والعَمَلُ » ، فحَكَموا عليه بالزَّنْدَقَة ، وهُجرَ ، وكُتبَ فيه إلى الخَليفَة ، فكَتبَ بقَتلِه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه حكايَةٌ غَريبةٌ ، وابنُ حِبَّان فمن كبار الأئمَّة ، ولَسنا نَدَّعي فيه العِصمَةَ من الخطأ ، لكن هـٰذه الكَلمَة التي أطلَقَها ، قد يُطلِقُها المسلمُ ، ويُطلقُها الزِّنْديقُ الفَيلَسوفُ ، فإطْلاقُ المسلم لها لا يَنبَغي ، لكن يُعتَذرُ عنه ، فنَقولُ : لَمْ يَردْ حَصرُ الْمُبتَدأ في الخَبَر ونَظيرُ ذلك قولُه صلى الله عليه وسلم : « الحَجُّ عَرَفَة » ومَعلومٌ أنَّ الحاجَّ لا يَصيرُ بمُجرَّد الوُقوفِ بعَرفَة حاجّاً ، بل بَقيَ عليه فُروضٌ ووَاجباتٌ وإنَّما ذَكرَ مُهِمَّ الحَجِّ وكذا هـٰذا ذَكرَ مُهِمَّ النُّبوَّة ، إذ من أكمَلِ صِفاتِ النَّبيِّ كمَالُ العِلم والعَمَل فلا يَكونُ أحدٌ نَبياً إلاَّ بوُجودِهما ، ولَيسَ كلُّ مَنْ بَرزَ فيهما نَبياً ، لأنَّ النُّبوَّةَ مَوْهِبَةٌ من الحَقِّ تَعالَىٰ ، لا حيلَةَ للعَبدِ في اكْتِسابِها ، بل بها يَتولَّدُ العِلمُ اللَّدُنِّيُّ والعَمَلُ الصَّالح .

وأمَّا الفَيلَسوفُ فيقولُ : النُّبوَّة مُكتسَبَة يُنتِجُها العِلمُ والعَملُ فهـٰذا كُفرٌ ، ولا يُريدُهُ أبو حاتم أصْلاً ، وحاشاه ، وإنْ كانَ في «تَقاسيمِه» من الأقْوالِ ، والتأويلاتِ البَعيدَة ، والأحاديثِ الْمُنكَرَة عَجائبَ وقد اعْترفَ أنَّ « صَحيحَه » لا يَقدِرُ على الكَشْفِ منهُ إلاَّ مَنْ حَفِظَه ، كمَنْ عندَه مُصحَفٌ لا يَقدرُ علىٰ مَوضِعِ آيةٍ يُريدُها منه إلاَّ مَنْ يَحفَظُه[2] .

قال أبو إسْماعيل الأنْصاريّ : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ عمَّار الواعِظَ وقد سَألتُه عن ابنِ حبَّان ، فقال : نحنُ أخْرَجناه من سِجسْتان ، كان له عِلمٌ كثير ، ولَمْ يَكُنْ له كبيرُ دين ، قَدِمَ علينا ، فأنْكَرَ الحدَّ لله ، فأخْرَجْناه .

---

(١) انظر السير : (ابن خُزيمة) ١٤/ ٣٦٥ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/٢٦١١ .

(٢) انظر السير : (ابنُ حِبَّان) ١٦/ ٩٢ـ ١٠٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٦٩ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إنْكارُكُم عليه بِدْعَةٌ أيْضاً ، والخَوضُ في ذلكَ ممَّا لَمْ يَأذَنْ به اللهُ ، ولا أتَىٰ نَصٌّ بإثْباتِ ذلكَ ولا بِنَفْيِه ، و« مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكهُ مَا لاَ يَعْنِيه » وتَعالَى اللهُ أنْ يُحَدَّ أو يُوصَفْ إلاَّ بما وَصَفَ به نَفسَه ، أوْ عَلَّمَه رُسُلَه بالمَعْنى الذي أرادَ بِلا مِثْلٍ ولا كَيْف ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

تُوفِّيَ ابنُ حِبَّان بِسِجِسْتانَ بمَدينَة « بُست » في سَنَةِ أرْبَع وخَمسينَ وثَلاثِ مئة وهو في عَشرِ الثَّمانين[2] .

وقالَ أبو الحَسَن الصَّفَّار : سَمعتُ أبا سَهْل الصُّعْلُوكيَّ ، وسُئِلَ عن تَفسيرِ أبي بَكر القَفَّال فقالَ : قدَّسَه من وَجْه ، ودَنَّسَه من وجه أي : دَنَّسَه نَصرُه للاعْتِزالِ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الكَمالُ عَزيزٌ ، وإنَّما يُمدَحُ العالِمُ بكَثْرَةِ ما لَه من الفَضائل ، فلا تُدفَن الْمَحاسِنُ لوَرْطَة ، ولَعلَّه رَجعَ عنها وقد يُغفَر له باسْتفْراغِه الوُسْعَ في طَلبِ الحَقِّ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله[3] .

رَوَى ابنُ بَطَّة عن البَغَويِّ ، عن مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللهِ عن مَالِك ، عن الزُّهْريِّ عن أنَسٍ ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كلِّ مُسْلِمٍ » .

قالَ الخَطيبُ : هـٰذا باطِلٌ ، والحَملُ فيه على ابنِ بَطَّة[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أفْحَشَ العِبارَة وحاشَى الرجل من التَّعمُّد ، لكنَه غَلطَ ودَخلَ عليه إسْنادٌ في إسْناد .

كانَ مَوْتُه في سَنَةِ سَبعٍ وثَمانينَ وثَلاثِ مئة[5] .

قالَ أبو الوَليدِ البَاجي : عبدُ الغَني بنُ سَعيد حافِظٌ مُتقِنٌ ، قُلتُ لأبي ذَر الهَرَوي :

---

(١) سورة الشورىٰ ، الآية : ١١ .

(٢) انظر السير : (ابن حِبّان) ١٦/ ٩٢ـ ١٠٤ ، وانظر النزهة : ١/١٢٧٠ .

(٣) انظر السير : (القَفَّالُ الشَّاشِي) ١٦/ ٢٨٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٩٥ .

(٤) حديثٌ حَسنٌ انظر « فيض القدير » ٤/ ٢٦٧ .

(٥) انظر السير : (ابنُ بَطَّة) ١٦/ ٥٢٩ـ ٥٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٣١٤ .

أخَذتَ عن عبدِ الغني ؟ فقالَ : لا إنْ شاءَ الله علىٰ مَعنَى التَّأكيدِ ، وذلكَ أنَّه كانَ لعَبدِ الغَني اتِّصالٌ ببَني عُبَيْد ، يَعني أصْحَابَ مِصْرَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : اتِّصالُه بالدَّولَةِ العُبَيْديَّةِ كانَ مُدارَاةً لهم وإلاَّ فلَوْ جَمَحَ عليهم لاسْتأصَلَه الحاكِمُ خَليفَةُ مِصْرَ ، الذي قيلَ إنَّه ادَّعَى الإلَهيَّة .

وأظنُّه وَليَ وَظيفةً لهم ، وقد كانَ من أئمَّة الأثَر نَشأ في سُنَّةٍ واتِّبَاعٍ قَبلَ وُجودِ الرَّفْضِ واسْتمرَّ هو على التَّمَسُّك بالحَديثِ ولكنَّه دَارَى القَومَ ودَاهَنَهم فلذلك لَمْ يُحِبَّ الحافِظُ أبو ذَر الأخْذَ عَنه[1] .

جاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ السِّمْسارِ ، وقالَ أبو الوَليدِ البَاجي : فيه تَشَيُّع يُفضي به إلى الرَّفْضِ ، وهو قَليلُ الْمَعرِفَة[2] .

مات ابنُ السِّمْسار سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وقد كَمَّلَ التسعين ، ولعلَّ تَشَيُّعَه كان تَقيَّةً لا سَجيَّة ، فإنَّه من بَيتِ الحَديثِ ، ولكن غَلَت الشَّامُ في زَمانِه بالرَّفضِ ، بل ومِصْرُ والمَغْربُ بالدولَة العُبَيْديَّة ، بل والعِراق ، وبعض العجم بالدولة البُويْهيَّة ، واشْتدَّ البلاءُ دَهراً ، وشَمخَت الغُلاةُ بأنفِها ، وتَواخَى الرَّفضُ والاعْتِزالُ حينئذٍ ، والنَّاسُ علىٰ دين المَلك ، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ في الدِّين[3] .

وقالَ ابنُ عَساكِر في « تَبيين كَذبِ الْمُفتَري » : لا يَستبعدَنَّ جاهلٌ كَذبَ الأهْوَازيّ فيما أوْرَده من تلك الحِكاياتِ ، فقد كَان من أكْذَبِ النَّاسِ فيما يَدَّعي من الرِّواياتِ في القِراءاتِ .

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَد بن السَّمَرْقَنديّ : قالَ لنا أبو بَكر الخَطيبُ : أبو عَليٍّ الأهْوَازيُّ كذَّابٌ في القِراءاتِ والحَديثِ جَميعاً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يُريدُ تَركيبَ الإسْنادِ ، وادِّعاءَ اللِّقاءِ ، أمَّا وَضعُ حُروفٍ أوْ مُتُونٍ فحَاشا وكلاَّ ، ما أُجَوِّزُ ذلك عَليه ، وهو بَحْرٌ في القِراءاتِ ، تَلقَّى الْمُقرئون

---

(١) انظر السير : (عبدُ الغَني بنُ سَعيد) ١٧/ ٢٦٨ـ٢٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٤٠ .

(٢) انظر السير : (ابنُ السِّمسار) ١٧/ ٥٠٦ـ٥٠٧ ، وانظر النزهة : ١/١٣٥٦ .

(٣) انظر السير : (ابنُ السِّمسار) ١٧/ ٥٠٦ـ٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٥٦ .

تَواليفَه ونَقلَه للفَنِّ بالقَبولِ ، ولَمْ يَنتَقِدوا عليه انْتِقادَ أصْحابِ الحَديثِ كما أحْسَنوا الظَّنَّ بالنَّقَّاش ، وبالسَّامريِّ ، وطائفَة راجوا عليهم .

تُوفِّيَ أبو عَليٍّ ـ سَامَحَه الله ـ سَنةَ سِتٍّ وأرْبَعينَ وأرْبَع مئة[1] .

وقالَ أبو الحَسَن بنُ الطُّيوريِّ : أكثر كُتب الخَطيبِ ـ سِوَىٰ « تاريخ بغداد » ـ مُستَفادَةٌ من كُتب الصُّوريِّ ، كانَ الصُّوريُّ ابتدأ بها وكانت له أُختٌ بصُور ، وخلَّفَ عندَها اثني عَشرَ عِدْلاً من الكُتبِ ، فحَصَّلَ الخَطيبُ من كُتبه أشياء .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ما الخَطيبُ بمُفتَقِرٍ إلى الصُّوريِّ ، هو أحْفَظُ وأوْسَعُ رحْلةً وحَديثاً ومَعرِفَة[2] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ أبي مُسْلمِ اللَّيْثِيِّ ، قالَ أبو زَكريّا بنُ مَنْدَه : هو أحَدُ مَنْ يَدَّعي الحِفظَ ، إلاَّ أنَّه يُدلِّسُ ، ويَتعصَّبُ لأهْلِ البِدَع ، أحولُ ، شَرِه ، كلما هاجَت ريحٌ ، قامَ مَعها ، صنَّف « مُسنَد الصَّحيحَين »[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : آلُ مَنْدَه لا يُعبأ بقَدحِهم في خُصومِهم ، كما لا نَلتَفتُ إلىٰ ذَمِّ خُصومِهم لهم ، وأبو مُسْلم ثِقَةٌ في نَفسِه .

ماتَ بخوزستانَ سَنةَ سِتٍّ وسِتِّينَ وأرْبَع مئة[4] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ شَيخِ الإسْلامِ أبي إسْماعيلَ الهَرَويِّ ، قالَ الْمُؤتَمَنُ : كانَ يَدخلُ على الأُمَراء والجَبابرَة فما يُبالي ، ويَرَى الغَريبَ من الْمُحدِّثينَ ، فيُبالغُ في إكْرامِه وسَمعتُه يَقولُ : تَركتُ الحِيرِيَّ لله قال : وإنَّما تَركَه ، لأنَّه سَمعَ منه شَيئاً يُخالِفُ السُّنَّة[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كان يَدري الكَلامَ علىٰ رَأي الأشْعَريِّ ، وكانَ شَيخُ

---

(١) انظر السير : (الأهْوَازِيُّ) ١٨/ ١٣ـ١٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٧٨ .
(٢) انظر السير : (الخَطيب) ١٨/ ٢٧٠ـ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٤١٣ .
(٣) انظر السير : (أبو مُسْلم اللَّيْثِيُّ) ١٨/ ٤٠٧ـ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٢٦ .
(٤) انظر السير : (أبو مُسْلم اللَّيْثِيُّ) ١٨/ ٤٠٧ـ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٢٦ .
(٥) انظر السير : (شَيخُ الإسْلام الهَرَويُّ) ١٨/ ٥٠٣ـ٥١٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٣٦ .

الإسْلامِ أثَرياً قُحّاً ، يَنالُ من الْمُتكلِّمَة ، فلهَـٰذا أعْرَضَ عن الحِيَرِيِّ ، والحِيَرِيُّ : فثِقةٌ عالمٌ ، أكثرَ عَنه البَيْهَقيُّ والنَّاسُ[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ سُليمانَ بنِ إبْراهيم : قالَ يَحْيَىٰ بنُ مَنْده : في سَماعِهِ كَلامٌ ، سَمعتُ مِنْ ثِقاتٍ أنَّ له أخاً يُسمَّىٰ إسْمَاعيل أكْبرَ منه ، فحَكَّ اسمَه ، وأثبتَ اسمَ نفسِه ، وهو شَيخ شَرِهٌ لا يَتورَّعُ ، لَحَّانٌ وَقَّاح[2] .

تُوفِّيَ سَنةَ سِتٍّ وثَمانينَ ، وله تِسْعُونَ عَاماً غَيرَ أشْهُر[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وينبغي التوقف في كلام يَحْيَىٰ ، فبَينَ آلِ مَنْدَه وأصْحَابِ أبي نُعَيم عَداواتٌ وإحَنٌ[4] .

وقالَ أبو عامِرِ العَبدَريُّ : سَمعتُ أبا نَصْر أحمَدَ بنَ مُحمَّد بنِ عبدِ القادِرِ الطُّوسيَّ يَحلفُ بالله إنَّه أبْصَرَ في نَومِه كأنَّه يَنظُرُ في كُتبِ الغَزَّاليِّ رَحمَه اللهُ، فإذا هي كلُّها تَصاوير .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الغَزَّاليُّ إمامٌ كَبيرٌ ، وما من شَرطِ العالِمِ أنَّه لا يُخطىءُ[5] .

ولأبي الحَسَن ابنِ سُكَّرٍ رَدٌّ على الغَزَّاليِّ في مُجلَّد سَمَّاه : « إحْياءُ مَيِّتِ الأحْياء في الردِّ علىٰ كتابِ الإحْياء » .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ما زَالَ الأئمَّةُ يُخالِفُ بَعضُهم بَعضاً ، ويَردُّ هَـٰذا علىٰ هَـٰذا ولَسْنا مِمَّنْ يَذُمُّ العَالِمَ بالهَوَىٰ والجَهْل[6] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ طاهِر ، وقد ذَكرَه الدَّقَّاقُ في رسالَتِه ، فحَطَّ عليه ، فقالَ : كانَ صُوفيّاً مَلامَتياً ، سَكنَ الرَّيّ ، ثم هَمَذَانَ ، له كتابُ « صَفوَة التَّصوُّف » وله أدْنَىٰ مَعرِفَة بالحَديثِ في بابِ شُيوخِ البُخاريِّ ومُسلِم وغَيرِهما .

---

(١) انظر السير : (شَيخُ الإسْلام الهَرَويُّ) ١٨/٥٠٣ـ٥١٨ ، وانظر النزهة : ١٤٣٦/٤ .

(٢) في اللسان : وَقُحَ الرجُلُ : إذا صار قليلَ الحَياء ، فهو وَقِحٌ ووَقَّاح .

(٣) انظر السير : (سُلَيْمانُ بنُ إبْراهيم) ١٩/٢١ـ٢٥ ، وانظر النزهة : ١٤٥٣/٢ .

(٤) انظر السير : (سُلَيْمانُ بنُ إبْراهيم) ١٩/٢١ـ٢٥ ، وانظر النزهة : ١٤٥٣/٣ .

(٥) انظر السير : (الغَزَّاليُّ) ١٩/ ٣٢٢ـ٣٤٦ ، وانظر النزهة : ١٤٨٤/٢ .

(٦) انظر السير : (الغَزَّاليُّ) ١٩/ ٣٢٢ـ٣٤٦ ، وانظر النزهة : ١٤٨٥/٤ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يا ذَا الرَّجلُ ، أقْصِرْ ، فابنُ طاهِرٍ أحفَظُ منكَ بكَثيرٍ[1] .

ثم قالَ : وذَكرَ لي عَنه الإبَاحَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ما تَعني بالإبَاحَة ؟ إنْ أرَدْتَ بها الإبَاحَة الْمُطلَقَة ، فحاشا ابنَ طاهِرٍ ، هو ـ واللهِ ـ مُسلمٌ أثَريٌّ ، مُعَظِّمٌ لحُرُماتِ الدِّين ، وإنْ أخْطأ أو شَذَّ ، وإنْ عَنيتَ إبَاحَةً خاصَّةً ، كإباحَةِ السَّماعِ ، وإباحَةِ النَّظَرِ إلى الْمُرْدِ فهَـٰذه مَعْصيَةٌ ، وقَولٌ للظَّاهِريَّة بإباحَتِها مَرْجوحٌ .

قالَ أبو سَعْد السَّمعانيُّ : سَألتُ إسْماعيلَ بنَ محمَّد الحافِظَ عن ابنِ طاهِرٍ ، فتوَقَّفَ ، ثم أساءَ الثَّناءَ عليه ، وسَمعتُ أبا القاسِمِ بنَ عَساكِرَ يَقولُ : جَمعَ ابنُ طاهِرٍ أطْرافَ « الصَّحيحَين » وأبي داوُدَ ، وأبي عيسَىٰ والنَّسائيِّ وابنِ ماجَه ، فأخْطأ في مَواضِعَ خطأً فاحشاً[2] .

وقالَ ابنُ ناصِرٍ وجَماعَةٌ : كانَ أصْحابُ القَيْروانيِّ يَشهَدونَ عَليه أنَّه لا يُصلِّي ولا يَغتَسِلُ من جَنابَة في أكثرِ أحْوالِه ، ويُرْمَىٰ بالفِسْقِ مع الْمُرْدِ واشْتُهر بذلك ، وادَّعَىٰ قراءَةَ القُرآن على ابنِ نَفيس .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هَـٰذا كَلامٌ بِهَوىً[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ العَرَبيّ : قَرأتُ بخَطِّ ابنِ مَسْدي في « مُعجَمِه » أخبَرَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ مُفرج النَّبَاتيُّ ، سَمعتُ ابنَ الجَدِّ الحافِظَ وغَيرَه يَقولون : حَضَر فُقهاءُ إشْبِيلِيَةَ : أبو بَكر بنُ الْمُرَجَّىٰ وفُلانٌ وفُلانٌ ، وحَضَرَ مَعهم ابنُ العَرَبي فتَذاكَروا حَديثَ الْمِغْفَرِ .

فقالَ ابنُ الْمُرَجَّىٰ : لا يُعرَف إلاَّ من حَديث مَالكٍ عن الزُّهْريِّ ، فقالَ ابنُ العَربيِّ : قد رَويتُه من ثَلاثَةَ عَشرَ طَريقاً غَيرِ طَريق مَالِك فقالوا : أفِدْنا ، فوَعَدَهم ،

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ طاهِر) ١٩/ ٣٦١ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ١٤٨٧/ ١ .
(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ طاهِر) ١٩/ ٣٦١ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ١٤٨٧/ ٢ .
(٣) انظر السير : (القَيْرَوانيُّ) ١٩/ ٤١٧ـ ٤١٨ ، وانظر النزهة : ١٤٩٥/ ٢ .

ولم يُخرِجْ لهم شَيئاً وفي ذلك يَقولُ خَلفُ بنُ خَيرِ الأديبُ[١] :

يا أهلَ حمصَ[٢] ومَنْ بها أوصيكمُ ... بـالبـرِّ والتقـوىٰ وصيـةَ مُشفـقِ
فخذوا عن العربيِّ أسمارَ الدُّجى ... وخـذوا الـروايـة عـن إمـامٍ مُتَّـقِ
إنَّ الفتـىٰ حُلـوُ الكـلامِ مَهُـذَّبٌ ... إنْ لـمْ يجـدْ خبـراً صحيحـاً يَخْلُـقِ

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه حِكايَةٌ ساذِجَةٌ لا تَدلُّ علىٰ تَعمُّد ، ولَعلَّ القاضي رَحمَهُ الله وَهَم ، وسَرَىٰ ذِهنُه إلىٰ حَديثٍ آخر ، والشَّاعرُ يَخلقُ الإفْكَ ، ولم أنْقُمْ على القاضي رَحمَه الله إلاَّ إقْذاعَه في ذمِّ ابنِ حَزْم واسْتِجهالِه لَه ، وابنُ حَزْم أوْسَع دائرةً من أبي بَكر في العُلومِ ، وأحْفَظُ بكَثير ، وقد أصابَ في أشياءَ وأجادَ ، وزَلَقَ في مَضايقَ كَغيرِه من الأئمَّة ، والإنْصافُ عَزيزٌ .

تُوفِّيَ ابنُ العَربيّ بفاسَ سَنةَ ثَلاثٍ وسَبعينَ وخَمسِ مئة[٣] .

وقال ابنُ النَّجّار : سَمعتُ المُبارك النَّحْويَّ يقولُ : كان ابنُ الخَشَّاب إذا نُوديَ علىٰ كتابِ أخَذَه وطالَعَه ، وغَلَّ ورَقَه ، ثم يقولُ : هو مَقطوعٌ ، فيَشْتَريه برخْصٍ[٤] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَعلَّه تابَ ، فقَد قالَ عبدُ الله بنُ أبي الفَرَج الجُبَّائي : رأيتُ ابنَ الخشَّاب وعليه ثيابٌ بيضٌ ، وعلىٰ وَجْهه نورٌ ، فقلتُ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قال : غفَرَ لي ، ودَخلتُ الجَنَّة ، إلاَّ أنَّ اللهَ أعْرضَ عنِّي وعن كَثيرٍ من العُلماء ممَّن لا يَعملُ .

ماتَ سَنةَ سَبعٍ وستِّينَ وخَمسِ مِئَة[٥] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ أبي الفرج ابنِ الجَوْزي : قالَ الحافِظُ سَيفُ الدِّين ابنُ الْمجدِ : هو كثيرُ الوَهْم جداً ، سَمعتُ ابنَ نُقطَة يَقولُ : قيلَ لابنِ الأخْضَرِ : ألا تُجيبُ عن

---

(١) انظر السير : (ابنُ العَرَبيّ) ٢٠/ ١٩٧ـ ٢٠٤ ، وانظر النزهة : ١٥٤١/ ٢
(٢) ويقصد بحمص هنا إشْبيليَّة ، إذ كانت تُدعَىٰ حِمْصَ أيضاً .
(٣) انظر السير : (ابنُ العَرَبيّ) ٢٠/ ١٩٧ـ ٢٠٤ ، وانظر النزهة : ١٥٤١/ ٣ .
(٤) انظر السير : (ابن الخَشَّاب) ٢٠/ ٥٢٣ـ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ١٥٧٩/ ١ .
(٥) انظر السير : (ابن الخَشَّاب) ٢٠/ ٥٢٣ـ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ١٥٧٩/ ٢ .

بَعضِ أوْهامِ ابنِ الجَوْزيِّ؟ قالَ : إنَّما يُتَتَبَّعُ علىٰ مَنْ قَلَّ غَلطُه ، فأمَّا هَـٰذا فأوْهامُه كَثيرةٌ[(١)] .

ثم قالَ السَّيفُ : ما رَأيتُ أحَداً يُعتَمَدُ عليه في دينِه وعِلمِه وعَقلِه راضياً عنه[(٢)] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إذا رَضيَ اللهُ عنه ، فلا اعْتبارَ بهم[(٣)] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابن الأثير ، قال ابنُ الشَّعَّار : كانَ من أشَدِّ النَّاسِ بُخْلاً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : مَنْ وَقفَ عَقارَه للهِ فلَيسَ ببَخيلٍ ، فما هو ببَخيلٍ ، ولا بجَوادٍ ، بل صاحِبُ حَزْمٍ واقْتِصادٍ ، رَحمَهُ الله .

عاشَ ثَلاثاً وسِتِّينَ سَنةً تُوفِّيَ في سَنةِ سِتٍّ وسِتِّ مئة بالْمَوْصِلِ[(٤)] .

وقالَ ابنُ النَّجَّار : كانَ ابنُ طَبَرْزَد يؤدِّبُ الصِّبْيانَ ، ويَكتبُ خَطّاً حَسَناً ، ولمْ يَكنْ يَفهَمُ شَيئاً من العِلمِ ، وكانَ مُتهاوِناً بأمُورِ الدِّينِ ، رَأيتُه غَيرَ مرَّة يَبولُ من قيامٍ ، فإذا فَرَغَ من الإراقَة أرْسَلَ ثَوبَه وقَعدَ من غَيرِ اسْتِنجاءٍ بمَاءٍ ولاحَجَر .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : لَعلَّه يُرخِّصُ بمَذْهَب مَنْ لا يُوجِبُ الاسْتِنْجاءَ .

قالَ : وكُنَّا نَسمَعُ منه يَوماً أجْمَعَ ، فنُصلِّي ولا يُصلِّي مَعَنا ، ولا يَقومُ لصَلاةٍ ، وكانَ يَطلبُ الأجْرَ علىٰ رِوايَةِ الحَديثِ ، إلىٰ غَيرِ ذلكَ من سُوءِ طَريقَتِه ، وخلَّفَ ما جمَعَه من الحُطَام ، لَمْ يُخرجْ منه حقاً لله عَزَّ وجَلَّ[(٥)] .

وقالَ القِفْطِيُّ : كان الكِنْديُّ لَيِّناً في الرِّوايَة ، مُعجَباً بنَفسِه فيما يَذكرُه ويَرويه ، وإذا نُوظِرَ جَبَهَ بالقَبيحِ ، ولَمْ يَكنْ مُوفَّقَ القَلَم ، رَأيتُ له أشْياءَ بارِدَة ، واشْتُهرَ عنه أنَّه لَمْ يَكنْ صَحيحَ العَقيدَة[(٦)] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ما عَلِمنا إلاَّ خَيراً ، وكانَ يُحبُّ اللهَ ورَسُولَه وأهْلَ

---

(١) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزيّ) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦٣٧ .
(٢) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزيّ) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٧ .
(٣) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزيّ) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٣٧ .
(٤) انظر السير : (ابنُ الأثير) ٢٢/ ٣٥٣ـ ٣٥٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٥٤ .
(٥) انظر السير : (ابنُ طَبَرْزَد) ٢١/ ٥٠٧ـ ٥١٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٥٧ .
(٦) انظر السير : (الكِنْديّ) ٢٢/ ٣٤ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٣ .

الخَيرِ ، وشَاهَدتُ له فُتيَا في القُرآنِ تَدلُّ علىٰ خَيرٍ وتَقريرٍ جَيِّد ، لكنَّها تُخالِفُ طَريقَةَ أبي الحَسَن[1] ، فلَعلَّ القِفطِيَّ قَصدَ أنَّه حَنْبَلِيُّ العَقْدِ ، وهـٰذا شَيءٌ قد سَمُجَ القَولُ فيه فكُلُّ مَنْ قَصدَ الحَقَّ من هـٰذه الأُمَّة فاللهُ يَغفِرُ له ، أَعَاذَنا اللهُ من الهَوَىٰ والنَّفسِ .

وقالَ الْمُوَفَّقُ عبدُ اللَّطيف : اجْتَمعتُ بالكِنديِّ ، وجَرَىٰ بينَنا مُباحَثاتٍ وكانَ شَيخاً بَهيّاً ذَكياً مُثرياً ، له جانبٌ من السُّلطانِ ، لكنَّه كانَ مُعجَباً بنَفسِه مُؤذياً لِجَليسِه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أذاهُ لهَـٰذا القَائل أنَّه لقَّبَه بالْمَطْحَن .

تُوفِّيَ سَنةَ ثلاثَ عَشرَةَ وسِتِّ مئة[2] .

التَّرَقِّي

قالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة : قالَ مَعْنٌ : ما رَأيتُ مِسْعَراً في يَومٍ إلاَّ وهو أفْضَلُ من اليوم الذي كانَ بالأمْسِ وقالَ محمَّدُ بنُ سَعْد : كانَ لِمِسْعَر أمٌّ عابِدَةٌ ، فكانَ يَخدُمُها وكانَ مُرْجئاً[3] ، فماتَ فلَمْ يَشْهَدْه سُفْيانُ الثَّوْريُّ والحَسَنُ بنُ صالح .

قالَ شُعْبَةُ بنُ الحَجَّاج : كُنَّا نُسمِّي مِسْعَراً : الْمُصحَفَ ـ يَعني من إتْقانِه .

ورُويَ عن عبدِ اللهِ بنِ داوُد الخُرَيْبي قالَ: ما من أحَدٍ إلاَّ وقد أُخِذَ عَليه إلاَّ مِسْعَر[4] .

---

(١) الأشْعَريّ

(٢) انظر السير : (الكنْديّ) ٢٢/٣٤ـ٤١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٦٤ .

(٣) قد يُطلق الإرجاء علىٰ أهل السُّنَّة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة الذين يزعمون تخليد صاحب الكبيرة في النار ، لأنهم لا يقطعون بعقاب الفسَّاق الذين يرتكبون الكبائر ويفوِّضون أمرهم إلى الله ، إن شاء عذَّبهم وإن شاء غفر لهم ، ويطلق الإرجاء علىٰ من يقول بعدم دخول الأعمال في الإيمان ، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ـ وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ـ من جانب المحدِّثين القائلين بدخول الأعمال في مسمى الإيمان ، وأنه يزيد وينقص ، ويطلق علىٰ من يقول الإيمان هو معرفة الله ، ويجعل ما سوى الإيمان من الطاعات ، وما سوى الكفر من المعاصي غير مضرة ولا نافعة ، وهـٰذا القسم الأخير من الإرجاء هو المذموم صاحبه ، المتهم في دينه وقد قال الإمام الذهَبيُّ في « ميزان الاعتدال » (٤/ ٩٩) : « مسعر بن كدام حُجَّة إمام ، ولا عبرة بقول السليماني : كان من المرجئة ، مسعر ، وحماد بن أبي سليمان ، والنعمان ، وعَمرو بن مرّة ، وعبد العزيز ابن أبي روّاد ، وأبي معاوية ، وعَمرو بن ذَر ، وسرد جماعة قلتُ : الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء ولا ينبغي التحامل علىٰ قائله » .

(٤) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/١٦٣ـ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٨٩ .

التَّضْحِيَة

صُوَرٌ من التَّضْحيَة :

قالَ ابنُ أبي خالد عن قَيْسٍ قالَ : رَأيتُ يَدَ طَلحَة التي وَقَىٰ بها النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَومَ أُحُد شَلاَّء .

عن جابر قالَ : لَمَّا كان يَوم أُحُد ، ووَلَّى الناسُ ، كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم في ناحيَة في اثْنَي عَشرَ رَجلاً ، منهم طَلْحَة ، فأدْرَكَهم الْمُشرِكُونَ ، فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِلقَومِ ؟ » قالَ طَلحَةُ : أنا قالَ صلى الله عليه وسلم : « كمَا أَنْتَ » ، فقالَ رَجلٌ : أنا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ » فقَاتلَ حتَّىٰ قُتلَ ، ثم الْتَفتَ فإذا الْمُشرِكُونَ ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَهُم ؟ » قالَ طَلحَةُ : أنا قالَ صلى الله عليه وسلم : « كمَا أَنْتَ » ، فقالَ رَجلٌ من الأنْصَارِ : أنا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ » فقَاتلَ حتَّىٰ قُتلَ ، فلَمْ يزل كذلك حتىٰ بَقيَ مع نَبيِّ اللهِ طَلْحَةُ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » قال طَلْحَةُ : أنا ، فقاتَلَ طَلْحَةُ ، قتالَ الأحَدَ عَشَر ، حتَّىٰ قُطِعَتْ أصَابعُه فقالَ : حَسِّ[1] ، فقالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ قُلْتَ : بِسْمِ اللهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلائِكَةُ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » ثم ردَّ اللهُ الْمُشرِكين[2] .

وعن أبي عُثْمانَ : أنَّ صُهَيْباً الرُّوميَّ حينَ أرادَ الهِجرَةَ ، قالَ له أَهْلُ مَكةَ : أتَيْتنا صُعلوكاً حَقيراً فتغيَّر حالُك! قالَ : أرَأيتُم إنْ تَركتُ مَالي ، أمُخَلُّونَ أنتُم سَبيلي ؟ قالوا : نَعَم فخَلعَ لهم مَالَه فبَلغَ ذلكَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ : « رَبِحَ صُهَيْبٌ! رَبِحَ صُهَيْبٌ »[3] .

قِصَّةُ أُمِّ عُمَارَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِها : هي نَسِيبَةُ بنتُ كعْبِ بن عَمرو الفاضِلَةُ الْمُجاهِدَةُ

---

(١) كلمة تقال عند الألم .

(٢) انظر السير : (طَلْحَةُ بنُ عُبَيد الله) ١/ ٢٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١٢٤/ ٤ .

(٣) انظر السير : (صُهَيْبُ بنُ سِنان) ٢/ ١٧ـ ٢٦ ، وانظر النزهة : ٢١٢/ ٥ .

الأنْصاريَّةُ الخَزْرَجيَّةُ النجَّاريَّة الْمَازِنيَّة الْمَدنيَّة[1] .

كانَ أخُوها عبدُ الله بنُ كعْب الْمَازِنيُّ من البَدْريِّينَ وكانَ أخُوها عبدُ الرحمَـٰن ، من البَكَّائينَ[2] .

شَهِدَتْ أُمُّ عُمَارَة ليْلَةَ العَقَبَةَ ، وشَهِدَتْ أُحُداً ، والحُدَيْبِيَة ، ويومَ حُنَيْنٍ ، ويومَ اليَمَامَة وجاهَدتْ ، وفَعَلَتِ الأفَاعِيلَ ، وقُطِعَت يدُها في الجِهَادِ .

وكان ضَمْرَةُ بنُ سَعِيدِ المَازِنِيّ يُحَدِّثُ عن جَدَّتِه ، وكانت قد شَهِدَتْ أُحُداً ، قالت : سَمعتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « لَمُقَامُ نَسِيبَةَ بنت كَعْبٍ اليومَ خَيرٌ مِنْ مُقَام فُلان وفُلان » .

وكانت تَرَاهَا تُقَاتِلُ أَشَدَّ ما يكونُ القِتَالُ ، وأنَّها لحَاجِزَةٌ ثَوْبَها علىٰ وَسَطِهَا حتىٰ جُرِحَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحاً ، وكانت تقولُ : إنِّي لأنْظُرُ إلى ابنِ قَمِئَة وهو يَضْرِبُها علىٰ عَاتِقِها ، وكان أعْظَمَ جِرَاحِهَا ، فدَاوَتْهُ سَنَةً ثم نادىٰ مُنَادِي رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : إلىٰ حَمْراءِ الأَسَد فشَدَّتْ عليها ثِيَابَها ، فما اسْتَطَاعَتْ من نَزْفِ الدَّمِ رَضِيَ الله عنها وأَرْضاها ورَحِمَها .

وعن عُمَارَةِ بنِ غزيّة قال : قالَتْ أُمُّ عُمَارَة : رَأيتُنِي وانْكَشَفَ النَّاسُ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فما بَقِيَ إلاَّ نُفَيْرٌ ما يُتِمُّونَ عَشرة ، وأنا وابْنَايَ وزَوْجِي بينَ يَدَيْهِ نَذُبُّ عنه ، والنَّاسُ يَمُرُّونَ به مُنْهَزِمينَ ، ورَآنِي ولا تُرْسَ مَعِي ، فرأىٰ رَجُلاً مُوَلِّياً ومعه تُرْسٌ ، فقال : أَلْقِ تُرْسَكَ إلىٰ مَنْ يُقَاتِلُ فألْقَاهُ فأَخَذْتُه فجَعَلتُ أتَرِّسُ به عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وإنَّما فَعَلَ بنا الأفَاعِيلَ أصْحابُ الخَيْلِ ، لَوْ كانُوا رَجَّالَةً مِثْلَنا أَصَبْناهم إنْ شَاءَ اللهُ ، فيُقْبِلُ رَجلٌ علىٰ فَرَسِه يَضْرِبُنِي ، وتَرَّسْتُ له ، فلَمْ يَصْنَعْ شَيْئاً ، فأَضْرِبُ عُرقوبَ فَرَسِه ، فوَقَعَ علىٰ ظَهْرِه فجَعَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَصِيحُ : « يا ابْنَ أُمِّ عُمَارَةَ ، أُمَّكَ! أُمَّكَ! » ، قالت : فعَاوَنَنِي عليه ، حتىٰ أَوْرَدْتُه شعوب[3] .

---

(١) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/ ٢٧٨ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٢ .

(٢) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/ ٢٧٨ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/٨٥٢ .

(٣) شعوب : من أسماء المنيّة .

وعن مُحمَّدِ بنِ يَحْيَىٰ بنِ حَبَّانٍ قال : جُرِحَتْ أُمُّ عُمَارَة بأُحُدٍ اثْني عَشرَ جُرْحاً ، وقُطِعَتْ يَدُها يومَ اليَمَامَةِ ، وجُرِحَتْ يومَ اليَمَامَةِ سِوَىٰ يدِها أَحَدَ عَشَرَ جُرْحاً ، فقَدِمَتِ المدينةَ وبها الجِرَاحَةُ ، فلقد رُئِيَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وهوَ خَلِيفةٌ ، يأتِيهَا يَسْأَلُ عنها[1] .

وابنُها حَبيبُ بنُ زَيْد بنِ عاصِم هو الذي قَطَّعَه مُسَيْلَمَةُ .

وابنُها الآخَر عبدُ الله بنُ زَيْد الْمَازِنيُّ ، الذي حَكَىٰ وُضوءَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قُتلَ يَومَ الحَرَّة ، وهو الذي قَتلَ مُسَيْلمَةَ الكذَّاب بسَيفِه شَهِدَ أُحُداً[2] .

التَّنَافُس

عن أبي نَوْفَل بنِ أبي عَقْرب ، قالَ : خَرجَ الحَارثُ بنُ هِشام فجَزعَ أهلُ مَكة وخَرجوا يُشَيِّعُونَه ، فوَقفَ ووَقفوا حَولَه يَبكون ، فقالَ : والله ما خَرجتُ رَغبةً بنَفسي عَنكم ، ولا اخْتيارَ بَلدٍ علىٰ بَلدِكُم ، ولكنَّ هـٰذا الأمْرُ كانَ ، فخَرجَتْ فيه رجالٌ من قُرَيش ما كانوا من ذَوي أَسْنانِها ، ولا في بُيوتِها وأصْبَحْنا ـ والله ـ لَوْ أنَّ جِبالَ مَكةَ ذَهَباً فأنْفَقْناها في سَبيلِ الله ، ما أدْرَكْنا يَوماً من أيَّامِهم فنَلتَمسُ أنْ نُشَارِكَهم في الآخِرَة ، فاتَّقى اللهَ امْرؤٌ فتوجَّه غَازياً إلى الشَّامِ ، واتَّبَعَه ثَقلُه ، فأُصيبَ شَهيداً ، رضي الله عنه[3] .

وقالَ مُعاذُ بنُ مُعاذٍ ، حَدَّثني غَيرُ واحدٍ من أصْحابِ يُونُسَ بن عُبَيد أنَّه قالَ : إنِّي لأعْرفُ رَجلاً منذُ عِشْرينَ سَنةً يَتمَنَّىٰ أنْ يَسلَمَ له يَومٌ من أيَّامِ ابنِ عَوْن ، فمَا يَقدِرُ عَليه قالَ ابنُ الْمُبارَك : ما رَأيتُ مُصلِّياً مثلَ ابنِ عَوْن[4] .

وقالَ سُفْيانُ : إنِّي لأشْتَهي من عُمري كُلِّه أنْ أكُونَ سَنةً مثلَ ابنِ الْمُبَارَك ، فمَا أقْدِرُ أنْ أكُونَ ولا ثَلاثَة أيَّام[5] .

---

(١) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/ ٢٧٨ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٢ .

(٢) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/ ٢٧٨ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ١/٢٥٩ .

(٣) انظر السير : (الحارثُ بنُ هِشام) ٤/ ٤١٩ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٢٥ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْن) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٦ .

(٥) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبَارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٧ .

حُبُّ الجَماعَة وكراهيَةُ الفُرْقَة

قالَ مُوسَىٰ بنُ عُقبَة في « مَغازيه » : غزوَةُ عَمرو بنِ العَاص هي غَزوَةُ ذاتِ السَّلاسِلِ من مَشَارِفِ الشَّامِ فخَافَ عَمرو من جانِبه ذلكَ فاسْتَمدَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فانتُدبَ أبا بَكر وعُمَرَ في سَراةٍ من الْمُهاجرينَ فأمَّر نبيُّ الله عليهم أبا عُبَيْدَة فلمَّا قَدِموا علىٰ عَمْرو بنِ العَاص قالَ : أنا أميرُكم فقالَ الْمُهاجِرون : بلْ أنتَ أميرُ أصْحابِك وأميرُنا أبو عُبَيْدَة فقالَ عَمرٌو : إنَّما أنتُم مَدَدٌ أُمْدِدتُ بكم فلمَّا رَأىٰ ذلك أبو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاح وكان رَجلاً حَسَنَ الخُلُق ، لَيِّنَ الشِّيمَة ، مُتَّبِعاً لأمْرِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وعَهْدِه ، فسَلَّمَ الإمارَةَ لِعَمْرو[1] .

ولَمَّا تَفرَّغَ الصِّديقُ من حَربِ أهْلِ الرِّدَّة ، وحَربِ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّاب جَهَّزَ أُمَراءَ الأجْنادِ لِفَتح الشَّام فبَعثَ أبا عُبَيْدَة ، ويَزيدَ بنَ أبي سُفْيانَ ، وعَمْرو بنَ العَاصِ ، وشُرَحْبيلَ بن حَسْنَةَ ، فتمَّت وَقْعَة أجْنادينَ بقُربِ الرَّمْلَة ، ونَصرَ اللهُ المؤمنين ، فجاءَتِ البُشْرَىٰ والصِّدِّيقُ في مَرَضِ الْمَوتِ ، ثم كانَت وَقْعَةُ فِحْل ، ووَقْعَةُ مَرْج الصُّفَر ، وكان قد سَيَّر أبو بَكر خالِداً لغَزوِ العِراقِ ، ثم بَعثَ إليه لِينجدَ مَنْ بالشَّام فقَطَعَ الْمَفاوزَ علىٰ بَريَّة السَّماوَة ، فأمَّرَه الصِّدِّيقُ على الأُمَراء كُلِّهم ، وحاصَروا دِمَشْقَ ، وتُوفِّيَ أبو بَكر فبادَرَ عُمَرُ بعَزلِ خَالِد ، واسْتعمَلَ على الكُلِّ أبا عُبَيْدَة ، فجاءَه التَّقْليدُ ، فكَتمَه مُدَّة ، وكلُّ هَـٰذا من دِينِه ولِينِه وحِلْمِه ، فكانَ فَتحُ دِمَشْقَ علىٰ يدِه ، فعندَ ذلكَ أظْهَرَ التَّقْليدَ ، ليَعقِدَ الصُّلحَ للرُّومِ ، ففَتَحوا له بابَ الجَابيَة صُلحاً ، وإذا بخَالِد قد افْتَتَحَ البَلدَ عَنْوَةً من البابِ الشَّرقيِّ ، فأمْضَىٰ لهم أبو عُبَيْدَة الصُّلحَ .

فعن الْمُغيرَةَ أنَّ أبا عُبَيْدَة صالَحَهم علىٰ أنْصاف كَنائسِهم ومَنازِلِهم ، ثم كان أبو عُبَيْدَة رأسَ الإسْلام يومَ وَقْعَة اليَرْموك ، التي اسْتأصلَ اللهُ فيها جُيوشَ الرُّومِ ، وقُتلَ منهم خَلقٌ عَظيمٌ[2] .

---

(١) انظر السير : (أبو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاح) ١/ ٥ـ ٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٢ .
(٢) انظر السير : (أبو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاح) ١/ ٥ـ ٢٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٣ .

ومن أفْضَلِ أعْمَالِ عبدِ الرَّحمَـٰنِ بنِ عَوْف عزلُه نَفسَه من الأمْرِ وَقتَ الشُّورَىٰ ، واخْتيارِهِ للأمَّة مَنْ أشارَ به أهْلُ الحلِّ والعَقْد ، فنَهضَ في ذلكَ أتَمَّ نُهوضٍ علىٰ جَمعِ الأمَّة علىٰ عُثمَانَ ، ولَوْ كانَ مُحابياً فيها ، لأخَذَها لنَفسِه ، أو لَوَلاَّها ابنَ عَمِّه وأقرَبَ الجَماعَةِ إليه سَعدَ بنَ أبي وَقَّاص[1] .

الحِفَاظُ على الوَقْت

١ـ الاسْتِفادَة من الأوْقات وتَرْتيبُها :

عن الرَّبيعِ بنِ سُلَيْمانَ ، قالَ : كانَ الشَّافِعيُّ قد جَزَّأ اللَّيلَ ، فثُلثُه الأوَّل يَكتُبُ ، والثاني يُصَلِّي ، والثالثُ يَنام .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أفْعَالُه الثلاثة عِبادَة بالنيَّة[2] .

٢ـ جَدْوَلُ الأعْمَال اليَوْميّ لبَقيّ بنِ مَخْلَد :

نقلَ بعضُ العلماء من كتابٍ لحفيد بَقِيٍّ بن مَخْلَد ، عبدِ الرحْمَـٰنِ بنِ أحمد : كان جَدِّي قد قَسَّمَ أيامَه علىٰ أعمال البرِّ : فكان إذا صَلَّى الصُّبح قرأ حِزْبَه من القرآن في المُصْحَف ، سُدسَ القرآن ، وكان أيضاً يَختمُ القرآنَ في الصَّلاة في كل يوم وليلة ، ويخرجُ كلَّ ليلة في الثُّلثِ الأخيرِ إلى المسجد ، فيختمُ قُربَ انصِدَاعِ الفَجر ، وكان يُصلي بعد حِزْبِه من المُصحف صلاةً طويلةً جداً ثم يَنقَلِبُ إلىٰ دَارِه ـ وقد اجتمعَ في مَسْجِده الطلبةُ ـ فيُجَدِّدُ الوُضُوءَ ، ويخرجُ إليهم ، فإذا انقضت الدُّوَل ، صارَ إلىٰ صَوْمَعَة المسجد ، فيُصلي إلى الظُّهر ، ثم يكونُ المُبتَدِىءَ بالأذان ، ثم يَهبطُ ثم يُسمِع إلى العَصر ، ويُصَلِّي ويُسمِع ، ورُبَّما خرجَ في بقية النهار ، فيَقعُدُ بين القُبُور يبكي ويَعتَبِر ، فإذا غَربت الشَّمسُ أتىٰ مَسْجِدَه ، ثم يُصَلي ويَرجعُ إلىٰ بيتِه فيُفطِر ، وكان يَسْرُد الصَّومَ إلاَّ يومَ الجُمُعة ، ويخرجُ إلى المَسْجد ، فيخرجُ إليه جِيرانُه ، فيتكَلَّمُ

---

(١) انظر السير : (عبدُ الرحْمَـٰن بن عَوْف) ١/ ٦٨ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ١٣١/ ٤ .

(٢) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٤٨/ ٤ .

معهم في دِينِهم ودُنيَاهم ، ثم يُصَلي العِشاء ويدخلُ بيتَه ، فيُحَدِّثُ أهلَه ، ثم ينامُ نَومَةً قد أخَذَتْها نفسُه ، ثم يقومُ هٰذا دأبه إلىٰ أن تُوفِّي وكان جَلْداً ، قوياً على المشي[1] .

٣ـ شِعْرٌ في المُحَافَظَة على الوَقْت :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي الوَليدِ الباجيِّ ، ومن نَظْمِ أبي الوَليدِ :

إذا كنــتُ أعلــمُ علمــاً يقينــاً بــأنَّ جميــعَ حيــاتــي كســاعــةْ
فَلِــمْ لا أكــونُ ضنينــاً بهــا وأجعلُهــا فــي صــلاحٍ وطــاعــةْ

ماتَ أبو الوَليد بالْمَرِيَّة سَنةَ أرْبَع وسَبعين وأرْبَع مئة ، فعُمُره إحْدَىٰ وسَبعونَ سَنةً ، فإنَّ مَوْلدَه سَنةَ ثَلاثٍ وأرْبع مئة[2] .

٤ـ صُوَرٌ في المُحَافَظَة على الأوْقات :

قالَ مُوسَىٰ بنُ إسْماعيلَ التَّبُوذَكي : لَوْ قُلتُ لَكُم : إنِّي ما رَأيتُ حَمَّادَ بنَ سَلَمَة ضاحِكاً لَصَدَقتُ ، كانَ مَشْغولاً ، إمَّا أنْ يُحدِّثَ ، أو يَقرأ أو يُسبِّحُ ، أو يُصلِّي ، قد قَسَّمَ النَّهارَ علىٰ ذلك .

قالَ أحمَدُ بنُ عبدِ الله العِجْلي : حدَّثني أبي قالَ : كانَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَة لا يُحدِّثُ حتَّىٰ يَقرأ مِئةَ آيَةٍ نَظَراً في الْمُصحَف[3] .

وقالَ الحاكمُ : رَحلتُ إليه إلىٰ طُوسَ مرَّتَين ، وسَألتُ أبا النَّضْر الطُّوسيَّ مَتَىٰ تَتفرَّغُ للتَّصْنيف مع هٰذه الفَتاوَى الكَثيرَة ؟ فقالَ : جَزَّأتُ اللَّيلَ أثْلاثاً : فثُلثٌ أُصَنِّفُ ، وثُلثٌ أنامُ ، وثُلثٌ أقْرأ القُرآنَ[4] .

وقالَ أبو القاسِمِ ابنُ عَساكِر : قَرأتُ بخَطِّ غَيْثِ الأرْمَنَازيِّ : غَرقَ سُلَيمُ الفَقيهُ في بَحْرِ القُلْزُم ، عندَ ساحِلِ جُدَّة ، بعدَ أنْ حَجَّ في صَفَر سَنةَ سَبعٍ وأرْبَعينَ وأرْبَع مئة ،

---

(١) انظر السير : (بَقِيّ بن مخلد) ١٣/ ٢٨٥ـ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٧ .
(٢) انظر السير : (أبو الوَليدِ الباجيّ) ١٨/ ٥٣٥ـ٥٤٥ ، وانظر النزهة : ١/١٤٤٠ .
(٣) انظر السير : (حَمَّادُ بنُ سَلَمَة) ٧/ ٤٤٤ـ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٣/٧١٥ .
(٤) انظر السير : (أبو النَّضْر الطُّوسيّ) ١٥/ ٤٩٠ـ٤٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥٢ .

وقد نيَّفَ على الثَّمانينَ وهو أَوَّلُ مَنْ نَشرَ هـٰذا العِلمَ بصُورَ ، وانْتَفعَ به جَماعَةٌ ، وحُدِّثتُ عنه أنَّه كانَ يُحاسِبُ نفسَه في الأنْفَاسِ ، لا يَدَعُ وَقتاً يَمضي بغَيرِ فائدَةٍ ، إمَّا يَنسَخُ ، أو يدَرِّسُ ، أو يَقرأُ ، وحُدِّثتُ عنه أنَّه كانَ يُحرِّكُ شَفتيه إلىٰ أنْ يَقُطَّ القَلمَ[1] .

وقالَ ابنُ عَقيل : عَصَمني اللهُ في شَبابي بأنْواعٍ من العِصْمَة وقَصَرَ مَحبَّتي على العِلمِ ، وما خالَطتُ لَعَّاباً قطُّ ، ولا عَاشَرتُ إلاَّ أمْثالي من طَلَبَةِ العِلمِ ، وأنا في عَشرِ الثَّمانينَ أجِدُ من الحِرصِ على العِلمِ أشَدَّ مِمَّا كُنتُ أجِدُه وأنا ابنُ عِشرينَ ، وبَلغتُ لاثْنَتي عَشرَةَ سَنةً ، وأنا اليَومَ لا أرَىٰ نَقْصاً في الخاطِرِ والفِكْرِ والحِفظِ ، وحِدَّةِ النَّظَر بالعَينِ لِرؤيَةِ الأهِلَّة الخَفيَّة إلاَّ أنَّ القُوَّةَ ضَعيفَة .

قالَ ابنُ الجَوْزيِّ : كانَ ابنُ عَقيل ديِّناً ، حافِظاً للحُدود ، تُوفِّيَ له ابنَانِ ، فظَهرَ منه من الصَّبرِ ما يُتَعجَّبُ منه ، وكانَ كَريماً يُنفِقُ ما يَجدُ وما خَلَّفَ سِوَىٰ كتبَه ، وثيابَ بدَنِه ، وكانَت بمِقْدار ، تُوفِّيَ سَنةَ ثَلاثَ عَشرَةَ وخَمسِ مئة ، وكانَ الجَمعُ يَفوتُ الإحْصَاء ، قالَ ابنُ ناصِر شَيخُنا : حَزَرْتُهم بثَلاثِ مِئةِ ألفٍ[2] .

وقالَ أبو مُوسَى الْمَدينيُّ : كانَ أبو بَكر قاضي الْمَرَسْتان إمَاماً في فُنون ، وكانَ يَقولُ : حَفظتُ القُرآنَ وأنا ابنُ سَبع ، وما من عِلمٍ إلاَّ وقد نَظرتُ فيه ، وحَصَّلتُ منه الكُلَّ أو البَعض ، إلاَّ هـٰذا النَّحوَ ، فإنِّي قَليلُ البِضَاعَة فيه وما أعْلَمُ أنِّي ضَيَّعتُ ساعَةً من عُمري في لَهْوٍ أو لَعِبٍ[3] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ الطَّلاَّيَةَ ، قالَ السَّمْعَانيُّ : شَيخٌ كَبيرٌ أفْنَىٰ عُمرَه في العِبادَة والقِيام والصِّيامِ لَعلَّه ما صَرفَ سَاعةً من عُمرِه إلاَّ في عِبادَة وانْحَنَىٰ حتَّىٰ لا يَتبيَّنُ قِيامُه من رُكُوعِه إلاَّ بيَسير ، وكانَ حافِظاً للقُرآنِ ، لا يَقبَلُ من أحَدٍ شَيئاً وله كِفايَةٌ يَتقنَّعُ بها[4] .

---

(١) انظر السير : (سُلَيمُ بنُ أيُّوب) ١٧/ ٦٤٥ـ ٦٤٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٧١ .
(٢) انظر السير : (ابنُ عَقيل) ١٩/ ٤٤٣ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٩٨ .
(٣) انظر السير : (قاضي الْمَرَسْتان) ٢٠/ ٢٣ـ ٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٢٣ .
(٤) انظر السير : (ابنُ الطَّلايَة) ٢٠/ ٢٦٠ـ ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٩ .

وقالَ القاسمُ بنُ الحافِظِ ابنِ عَساكِر : كانَ أبي مُواظِباً علىٰ صَلاةِ الجَماعَة وتلاوَةِ القُرآنِ ، يَختِمُ كُلَّ جُمُعَة ، ويَختِمُ في رَمَضانَ كُلَّ يوم ، ويَعتكفُ في الْمَنارَةِ الشَّرقيَّة وكانَ كَثيرَ النَّوافِلِ والأذْكارِ ، يُحْيي لَيلَةَ النِّصْفِ والعِيدَيْن بالصَّلاةِ والتَّسْبيح ، ويُحاسِبُ نَفسَه علىٰ لَحظَةٍ تَذهَبُ في غَيرِ طاعَةٍ ، قالَ لي : لَمَّا حَمَلَتْ بي أُمِّي ، رَأَتْ في مَنامِها قائلاً يَقولُ : تَلدينَ غُلاماً يَكونُ له شَأنٌ ، وحدَّثني أنَّ أباهُ رَأىٰ رُؤيا مَعْناه يُولَدُ لكَ وَلدٌ يُحْيي اللهُ به السُّنَّة[1] .

وقالَ لي أبو العَلاء يَوماً : أيُّ شَيء فُتحَ له ، وكَيفَ تَرَى النَّاسَ له ، قُلتُ : هو بَعيدٌ من هـٰذا كُلِّه ، لَمْ يَشتَغلْ منذُ أرْبَعينَ سَنَةً إلاَّ بالجَمع والتَّصْنيفِ والتَّسْميع حتَّىٰ في نُزَهِه وخَلَواتِه ، فقالَ : الحَمدُ لله ، هـٰذا ثَمرَةُ العِلمِ ، ألاَ إنَّا قد حَصَلَ لنا هـٰذه الدَّارُ والكُتبُ والْمَسجِدُ ، هـٰذا يَدلُّ علىٰ قِلَّةِ حُظوظِ أهْلِ العِلمِ في بِلادِكُم ، ثم قالَ لي : ما كانَ يُسمَّىٰ أبو القاسِم ببَغْدادَ إلاَّ شُعلَةَ نار من تَوقُّدِه وذَكائه وحُسنِ إدْراكِه[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمام الحافظ عبدِ الغَني الْمَقْدِسيِّ الجَمَّاعيليِّ : كان لا يُضَيِّعُ شيئاً من زمانه بلا فائدة ، فإنَّه كان يُصَلِّي الفجرَ ، ويُلَقِّنُ القرآنَ ، وربما أقْرأَ شيئاً من الحَديث تلقيناً ، ثم يقومُ فيتوضأُ ويُصَلِّي ثلاثَ مئة ركعة بالفاتحة والمُعوِّذَتين إلىٰ قبل الظهر ، وينامُ نَوْمةً ثم يُصَلِّي الظُهر ويشتغلُ إمَّا بالتَّسْميع أو النَّسْخ إلى المغرب ، فإذا كان صائماً أفطرَ ، وإلاَّ صَلَّىٰ من المغرب إلى العشاء ويُصَلِّي العشاءَ ، وينامُ إلىٰ نصفِ الليل أو بعدَه ، ثم قامَ كأنَّ إنسَاناً يُوقِظهُ ، فيُصَلِّي لحظةً ثم يتوضأ ويصلي إلىٰ قُرب الفجر ، رُبما توضأ سبعَ مرات أو ثمانياً في الليل ، وقال : ما تطيبُ لي الصلاةُ إلاَّ ما دامت أعضائي رطبة ، ثم ينامُ نَومةً يسيرةً إلى الفجر ، وهـٰذا دأبُه .

وعن مُوفق الدين قال : كان الحافظُ عبد الغنيِّ جامعاً للعلم والعمل ، وكان رفيقي في الصِّبا ، وفي طلب العلم ، وما كُنَّا نَسْتَبِقُ إلىٰ خيرٍ إلاَّ سَبَقَني إليه إلاَّ قليلاً ،

---

(١) انظر السير : (ابنُ عَساكِر) ٢٠/ ٥٥٤ـ ٥٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٨٤ .

(٢) انظر السير : (ابنُ عَساكِر) ٢٠/ ٥٥٤ـ ٥٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٨٤ .

وكَمَّل الله فضيلته بابتلائه بأذىٰ أهل البدعة وعَدَاوتهم ، ورُزِقَ العلمَ وتحصيلَ الكُتُب الكثيرة إلاَّ أنَّه لـم يُعمَّر .

قالَ الضِّياءُ : وكان يستعملُ السِّوَاكَ كثيراً حتىٰ كأنَّ أسْنانَه البَرَد .

سمعتُ محمودَ بنَ سَلامة التَّاجر الحَرَّانيَّ يقول : كان الحافظُ عبدُ الغنيِّ نازلاً عندي بأصْبَهَان ، وما كان ينامُ من الليل إلاَّ قليلاً ، بل يُصَلي ويَقرأُ ويبكي .

وسمعتُ نصرَ بنَ رَضوانَ الْمُقرِىءَ يَقولُ : ما رَأيتُ أحداً علىٰ سيرة الحافظ ، كان مشتغلاً طول زمانه[1] .

الحِكمَة

١ـ صُوَرٌ من الحِكمَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاس البَحْر : وقد كان عليٌّ لَمَّا بُويعَ ، قال لابنِ عبَّاس : اذْهَب علىٰ إمْرَةِ الشَّامِ ، فقالَ : كلاَّ ، أقَلُّ ما يَصْنعُ بي مُعاويَةُ إنْ لَمْ يَقتُلني الحَبسُ ، ولكنْ اسْتَعمِلْه ، وبَينَ يَديكَ عَزلُه بعدُ ، فلَمْ يَقبلْ منه ، وكذلكَ أشارَ عَلىٰ عليٍّ أنْ لا يُوَلِّي أبا مُوسَىٰ يومَ الحَكمَين وقالَ : وَلِّني ، أوْ فَوَلِّ الأحْنَفَ ، فأرادَ عَليٌّ ذلك ، فغَلبُوهُ علىٰ رَأيه[2] .

وعن هِشام بنِ عُقبَة أخي ذي الرُّمَّة ، قالَ : شَهدتُ الأحْنَفَ بنَ قَيْس وقد جاءَ إلىٰ قَوم في دَمٍ ، فتكلَّمَ فيه ، وقالَ : احْتَكِمُوا قالوا : نَحتَكِمُ دِيَتَين قالَ : ذَاكَ لَكم فلمَّا سَكَتُوا قالَ : أنا أُعطيكم ما سَألتُم ، فاسْمَعوا : إنَّ اللهَ قَضَىٰ بدِيَةٍ واحِدَة ، وإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَضَىٰ بدِيَة واحِدَة ، وإنَّ العَرَبَ تُعاطَىٰ بينها دِيَة واحِدَة ، وأنتُم اليَومَ تُطالِبُونَ ، وأخْشَىٰ أنْ تَكونوا غَداً مَطلُوبينَ ، فلا تَرضَى النَّاسُ منكم إلاَّ بمِثلِ ما سَنَنْتُم ، قالوا : رُدَّها إلىٰ دِيَة[3] .

---

(١) انظر السير : (عبد الغنيّ) ٢١/٤٤٣ـ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٦٤٥/ أوقاته .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عبَّاس البَحْر) ٣/ ٣٣١ـ٣٥٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٩٢ .
(٣) انظر السير : (الأَحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٥٢ .

قالَ عبدُ الله بنُ عبدِ الحَكَم ، سَمعتُ مالِكاً يَقولُ : شَاوَرني هَارُونُ الرَّشيدُ في ثَلاثَة : في أنْ يُعلِّقَ « الْمُوَطَّأ » في الكعْبَة ، ويَحمِلَ النَّاسَ علىٰ ما فيه ، وفي أنْ ينقُضَ مِنْبَرَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ويَجعَلَه من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ وجَوْهَر ، وفي أنْ يُقدِّمَ نافِعاً إماماً في مَسجِدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقُلتُ : أمَّا تَعليقُ « الْمُوَطَّأ » فإنَّ الصَّحابَةَ اخْتلفوا في الفُروعِ ، وتَفرَّقوا ، وكُلٌّ عندَ نَفسِه مُصيبٌ وأمَّا نَقضُ الْمِنْبَرِ ، فلا أرَىٰ أنْ يُحرَمَ النَّاسُ أثَرَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وأمَّا تَقدِمَتُك نافِعاً فإنَّه إمَامٌ في القِراءَة ، لا يُؤمَنُ أنْ تَبدو منه بادِرَةٌ في الْمِحْرابِ ، فتُحفَظُ عَليه فقالَ : وَفَّقكَ اللهُ يا أبا عبدِ الله .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هٰذا إسْنادٌ حَسَنٌ ، لكنْ لَعلَّ الرَّاوي وَهَمَ في قَولِه : هَارُون ، لأنَّ نافِعاً قَبلَ خِلافَةِ هارُونَ ماتَ[1] .

٢ـ مِنْ حُكمَاء الإسْلام :

الحَسَنُ البَصْريّ :

عن الأعْمَشِ ، قالَ : ما زَالَ الحَسَنُ البَصْريّ يَعي الحِكْمَةَ حتَّىٰ نَطقَ بها ، وكانَ إذا ذُكِرَ الحَسَنُ عند أبي جَعْفَرٍ الباقِر قالَ : ذَاكَ الذي يُشبِهُ كَلامُه كَلامَ الأنْبياءِ[2] .

٣ـ الحُكمَاءُ صِغَارُ السِّن :

قالَ أبو سَهْل الصُّعْلوكيُّ : سَمعتُ أبا محمَّد الْمُرْتَعِشَ يَقولُ : قالَ الجُنَيْدُ : كُنتُ بينَ يَدَي السَّريِّ ألْعَبُ وأنا ابنُ سَبعِ سِنينَ ، فتَكلَّموا في الشُّكرِ ، فقالَ : يا غُلامُ ما الشُّكرُ ؟ قُلتُ : أنْ لا يُعْصَى اللهُ بنِعَمِه ، فقالَ : أخْشَىٰ أنْ يَكونَ حظَّكَ من اللهِ لسانُك قالَ الجُنَيْدُ : فلا أزالُ أبْكي علىٰ قَولِه[3] .

---

(١) انظر السير : (مَالِكُ الإمامُ) ٨/٤٨ـ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٣٤ .
(٢) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريّ) ٤/٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٣ .
(٣) انظر السير : (الجُنَيْد) ١٤/٦٦ـ٧٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٣٣ .

٤ـ صُحْبَةُ الصَّالِحين يَنْتُجُ عنها الحِكمَة :

قالَ شَقيقٌ لحاتِم : مُذْ صَحِبْتَني ، أيَّ شَيءٍ تَعَلَّمْتَ مِنِّي ؟ قالَ : سِتَّ كَلماتٍ ؛ رأيتُ النَّاسَ في شَكٍّ من أمْرِ الرِّزْق ، فتَوَكَّلتُ على الله قالَ اللهُ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[1] .

ورَأيتُ لكُلِّ رجُلٍ صَديقاً يُفْشي إليه سِرَّه ، ويَشْكو إليه ، فصَادَقتُ الخَيرَ ليَكونَ مَعي في الحِسابِ ، ويَجوزَ مَعي الصِّراطَ .

ورَأيتُ كُلَّ أحَدٍ له عَدوٌّ ، فمَنْ اغْتابَني لَيسَ بِعَدُوِّي ، ومَنْ أَخَذَ مِنِّي شَيْئاً لَيْسَ بعَدُوِّي ، بلْ عَدُوِّي مَنْ إذا كُنتُ في طاعَةٍ ، أمَرَني بِمَعْصيَةِ الله وذَلكَ إبْليسُ وجُنودُه ، فاتَّخَذْتُهم عَدوّاً وحَارَبْتُهم .

ورَأيتُ النَّاسَ كُلَّهم لهم طَالبٌ ، وهو مَلَكُ الْمَوْت ، ففَرَّغْتُ له نَفْسي .

ونَظَرتُ في الخَلْقِ ، فأحْبَبْتُ ذا وأبْغَضْتُ ذا ، فالذي أحْبَبْتُه لمْ يُعْطِني ، والذي أبْغَضْتُه لَمْ يأخُذ مِنِّي شَيئاً ، فقُلتُ : مَنْ أينَ أُتيتُ ؟ فإذا هو مِن الحَسَدِ فطَرَحْتُه وأحْبَبْتُ الكُلَّ ، فكلُّ شَيءٍ لَمْ أرْضَه لِنَفْسي لَمْ أرْضَه لَهم .

ورَأيتُ النَّاسَ كُلَّهم لَهم بيتٌ ومَأوَىٰ ، ورَأيتُ مَأوايَ القَبْرَ ، فكُلُّ شَيءٍ قَدرْتُ عليه من الخَيْرِ قَدَّمْتُه لنَفسي لأُعَمِّرَ قَبْري .

فقالَ شَقيقٌ : عَليكَ بهٰذه الخِصالِ[2] .

٥ـ أقْوالٌ حَكيمَةٌ من التَّوْراة :

قالَ قاسِمُ الجُوعيُّ : سَمِعتُ مُسلِمَ بنَ زِياد يَقولُ : مَكتوبٌ في التَّورَاةِ : مَنْ سَالَمَ سَلِمْ ، ومَنْ شَاتَمَ شُتِمْ ، ومَنْ طَلَبَ الفَضْلَ من غَيرِ أهْلِهِ نَدِمْ .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٦ .

(٢) انظر السير : (حاتِم الأصَمّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٦/٩٦٠ .

وقالَ : الشَّهَواتُ نَفَسُ الدُّنيا ، فمَنْ تَركَ الشَّهَواتِ فقد تَرَكَ الدُّنيا[1] .

٦ـ من أقْوَال حُكماء الهِنْد :

قالَ إبْراهيمُ الحَرْبيُّ : وسَمعتُ دَاوُدَ بنَ رَشيد يقولُ : قالَت حُكمَاءُ الهِنْدِ : لا ظَفَرَ مع بَغْي، ولا صِحَّةَ مع نَهَم ، ولا ثَناءَ مع كِبْر ، ولا صَداقَةَ مع خِبٍّ[2] ، ولا شَرَفَ مع سُوءِ أدَب ، ولا بِرَّ مع شُحٍّ ، ولا مَحَبَّةَ مع هُزْء ، ولا قَضاءَ مع عَدَمِ فِقْه ، ولا عُذْرَ مع إصْرار ، ولا سِلْمَ قَلْبٍ مع غَيْبَة ، ولا رَاحَةَ مع حَسَد ، ولا سُؤْدُدَ مع انْتِقام ، ولا رئاسَةَ مع عِزَّةِ نَفْسٍ وعُجْب ، ولا صَوابَ مع تَركِ مُشَاوَرَة ، ولا ثَباتَ مُلك مع تَهاوُن .

تُوفِّيَ داوُدُ بنُ رَشيد في سَنَةِ تِسعٍ وثَلاثينَ ومئتين ، وهو من أبناءِ الثَّمانينَ ، ولَعلَّ بَعضَ أُمَراء الزَّمان يَحْوي هـٰذه الخِلالَ الرَّدِيَّة[3] .

٧ـ أقْوَالٌ حَكيمَةٌ مُتفَرِّقَة :

عن الأحْنَفِ بنِ قَيْس : ثَلاثَةٌ لا يَنْتَصِفُونَ من ثَلاثَةٍ : شَريفٌ من دَنيء ، وبَرٌّ من فَاجِر ، وحَليمٌ من أحْمَق[4] .

وقالَ الأحْنَفُ : مَنْ أسْرعَ إلى النَّاسِ بما يَكرَهون قالوا فيه ما لا يَعلَمون ، وعنه سُئلَ : ما الْمَروءَة ؟ قالَ : كِتْمانُ السِّرِّ والبُعْدُ من الشَّرِّ . وعَنه : الكامِلُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطاتُه[5] .

قالَ الأصْمَعيُّ : قيلَ لخَالِدِ بنِ يَزيد : ما أقْرَبُ شَيءٍ ؟ قالَ : الأجَلُ ، قيلَ : فمَا أبْعَدُ شَيءٍ ؟ قالَ : الأمَلُ قيلَ : فمَا أرْجَىٰ شَيءٍ ؟ قالَ : العَمَلُ[6] .

---

(١) انظر السير : (الجُوعيُّ) ١٢/ ٧٧ـ ٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٤ .
(٢) الخِبُّ ، بالفَتح والكَسر : الخِداع والخبث والغش .
(٣) انظر السير : (داوُد بنُ رَشيد) ١١/ ١٣٣ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٩١٦ .
(٤) انظر السير : (الأحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٥/٤٥٢ .
(٥) انظر السير : (الأحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٦/٤٥٢ .
(٦) انظر السير : (خالدُ بنُ يَزيد) ٤/ ٣٨٢ـ ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/٥١٥ .

وعن حُسَينِ بنِ شُفَي ، قالَ : كُنَّا عندَ عبدِ اللهِ بنِ عَمرو فأقْبلَ تُبيعُ بنُ عامِرِ فقالَ : أتاكم أعْرَفُ مَنْ عَليها ثم قالَ له : يا تُبَيعُ أخبِرْنا عن الخَيراتِ الثَّلاث ؟ قالَ : اللِّسَانُ الصَّدُوقُ ، وقَلبٌ تقيٌّ ، وامْرَأةٌ صَالِحَة[1] .

وعن بَحيرِ بنِ سَعد ، سَمعتُ خالدَ بنَ مَعْدان يَقولُ : مَنْ الْتَمَسَ الْمَحامِدَ في مُخالَفَة الحَقِّ ، رَدَّ اللهُ تِلكَ الْمَحامِدَ عَليه ذمَّاً ، ومَنْ اجْترأ على الْمَلاوِمِ في مُوافقَةِ الحَقِّ ، رَدَّ اللهُ تِلكَ الْمَلاوِمَ عَليه حَمْداً .

قالَ يَزيدُ بنُ هارُون : ماتَ خالدُ بنُ مَعْدان وهو صَائِمٌ .

ماتَ سَنةَ ثَلاثٍ ومئة[2] .

وعن وَهْب بن مُنبِّه قالَ : احْفَظُوا عنِّي ثَلاثاً : إيَّاكم وهَوَىً مُتَّبعاً ، وقَرينَ سُوء ، وإعْجابَ الْمَرْءِ بنَفسِه[3] .

وقالَ جامعُ بنُ أبي رَاشِد : سَمعتُ مَيْمُونَ بنَ مِهْران يَقولُ : ثَلاثَةٌ تُؤدَّىٰ إلى الْبَرِّ والفَاجِرِ : الأمَانَةُ ، والعَهْدُ ، وصِلَةُ الرَّحِم[4] .

عن مُعاويَة بنِ قُرَّة قالَ : لا تُجَالِسْ بِعِلْمِكَ السُّفَهاءَ ، ولا تُجَالِسْ بسَفَهِكَ العُلَمَاءَ .

ماتَ مُعاويَةُ بنُ قُرَّة سَنةَ ثَلاثَ عَشْرَة ومئة ، وهو ابنُ سِتٍّ وسَبعينَ سَنة[5] .

وعن ابنِ شِهابٍ قالَ : العَمَائمُ تِيجَانُ العَرَبِ ، والحَبْوَةُ حِيطَانُ العَرَبِ ، والاضْطِجَاعُ في الْمَسْجِدِ رِباطُ الْمُؤمنينَ[6] .

---

(١) انظر السير : (تُبَيْعُ بنُ عامِر) ٤/ ٤١٣ـ ٤١٤ ، وانظر النزهة : ١/ ٥٢٥ .
(٢) انظر السير : (خالدُ بنُ مَعْدان) ٤/ ٥٣٦ـ ٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/ ٥٥٢ .
(٣) انظر السير : (وَهْب بن مُنبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ١/ ٥٥٤ .
(٤) انظر السير : (مَيمونُ بنُ مِهْران) ٥/ ٧١ـ ٧٨ ، وانظر النزهة : ٦/ ٥٨١ .
(٥) انظر السير : (مُعاويَة بن قُرَّة) ٥/ ١٥٣ـ ١٥٥ ، وانظر النزهة : ٥/ ٥٩٤ .
(٦) انظر السير : (أخْبارُ الزُّهْريّ) ٥/ ٣٢٦ـ ٣٥٠ ، وانظر النزهة : ٤/ ٦٠٧ .

عن السَّفَّاح قال : إذا عَظُمَت القُدْرَة قَلَّت الشَّهْوَة ، قَلَّ تبرُّعٌ إلاَّ ومَعَه حَقٌّ مُضَاعٌ ، الصَّبرُ حَسنٌ إلاَّ علىٰ ما أَوْتَغَ[1] الدِّين وأَوْهَنَ السُّلطانَ[2] .

ورَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ عن أبي حازِمٍ قالَ : لَيسَ للمُلوكِ صَديقٌ ، ولا للحَسُودِ رَاحَةٌ ، والنَّظَرُ في العَوَاقِبِ تَلقِيحُ العُقُولِ[3] .

قالَ خَالِدُ بنُ صَفْوَان : ثَلاثَةٌ يُعرَفُونَ عندَ ثَلاثَةٍ : الحَليمُ عندَ الغَضَبِ ، والشُّجَاعُ عندَ اللِّقَاءِ ، والصَّديقُ عندَ النَّائبَة[4] .

وقالَ ابنُ شَوْذَب : سَمعتُ يُونُسَ بنَ عُبَيْد يَقولُ : خَصْلَتانِ إذا صَلُحَتا من العَبْدِ صَلُحَ ما سواهُما : صَلاتُه ولِسانُه .

ماتَ يُونُسُ سَنةَ أرْبَعينَ ومائة[5] .

وعن ابنِ شُبْرُمَةَ قال : مَنْ بالَغَ في الخُصُومَة أَثِمَ ، ومَنْ قَصَّرَ فيها خَصِم ولا يُطيقُ الحَقَّ مَنْ بالَىٰ علىٰ مَنْ دارَ الأمْرُ .

ورَوَى ابنُ المُبارَك عن ابنِ شُبْرُمَةَ قالَ : عَجبتُ للنَّاسِ يَحْتَمونَ من الطَّعامِ مَخافَةَ الدَّاء ولايَحْتَمونَ من الذُّنوبِ مَخافَةَ النَّار[6] .

وقالَ الأصْمَعيُّ : قالَ لي أبو عَمْرِو بنُ العَلاء : كُنْ علىٰ حَذَرٍ من الكَريمِ إذا أهَنْتَه ، ومن اللَّئيمِ إذا أكْرَمتَه ، ومن العاقِلِ إذا أحْرَجْتَه ، ومن الأحْمَقِ إذا مَازَحْتَه ، ومن الفَاجِرِ إذا عَاشَرْتَه، ولَيسَ من الأدَبِ أنْ تُجيبَ مَنْ لا يَسألُك ، أو تَسألَ مَنْ لا يُجيبُك ، أو تُحدِّثَ مَنْ لا يُنْصِتُ لك .

قالَ أبو عُبَيد : حدَّثني عِدَّة : أنَّ أبا عَمرٍو قَرأ علىٰ مُجاهِد وزَادَ بَعضُهم : وعَلىٰ

---

(١) أوتَغَ : أفسَدَ وأهْلك .
(٢) انظر السير : (السَّفَّاح) ٦/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٦٣٢/ ٤ .
(٣) انظر السير : (أبو حَازِم) ٦/ ٩٦ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦٣٦/ ٤ .
(٤) انظر السير : (خالد بن صَفْوَان) ٦/ ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٦٤٣/ ٣ .
(٥) انظر السير : (يُونُسُ بنُ عُبَيْد) ٦/ ٢٨٨ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٦٥٢/ ٥ .
(٦) انظر السير : (عبدُ الله بنُ شُبْرُمَة) ٦/ ٣٤٧ـ ٣٤٩ ، وانظر النزهة : ٦٥٦/ ١ .

سَعيدِ بنِ جُبَير ، ورَوَيْنا أنَّ أبا عَمرٍو وأباهُ هَرَبا من الحَجَّاجِ ومن عَسْفِه ، وحَديثُه قَليلٌ .

ذَكرَ غَيرُ واحد أنَّ وَفاتَه كانَت في سَنَةِ أرْبَع وخَمسينَ ومئة .

قالَ الأصْمَعيُّ : عاشَ أبو عَمرٍو سِتّاً وثَمانينَ سَنَةً[1] .

وعن إبراهيمَ بنِ أدْهَم ، قالَ : كُلُّ مَلكٍ لا يَكونُ عادلاً ، فهُوَ واللِّصُّ سَواءٌ ، وكُلُّ عالِمٍ لا يكون تَقيّاً ، فهو والذِّئبُ سَواءٌ ، وكُلُّ مَنْ ذَلَّ لغَيرِ الله ، فهو والكَلبُ سَواءٌ[2] .

وعن دَاوُدَ الطَّائيِّ قالَ : كَفَىٰ باليَقينِ زُهْداً ، وكَفَىٰ بالعِلمِ عِبادَةً ، وكَفَىٰ بالعِبَادَةِ شُغْلاً[3] .

وجاءَ أنَّ ابنَ الْمُبارَك سُئِلَ : مَنْ النَّاسُ ؟ فقالَ : العُلماءُ قيلَ : فمَنْ الْمُلوكُ : قالَ : الزُّهَّادُ ، قيلَ : فمَنِ الغَوْغاءُ ؟ قالَ : خُزَيْمَةُ وأصْحابُه ، يَعني من أُمَراءِ الظَّلمَة ، قيلَ : فمَنْ السَّفَلَةُ ؟ ، قالَ : الذين يَعيشونَ بدينِهم[4] .

وقالَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ بِشْر ، سَمعتُ ابنَ عُيَيْنَة يَقولُ : غَضبُ الله الدَّاءُ الذي لا دَواءَ له ، ومَنْ اسْتَغْنَىٰ بالله ، أحْوَجَ اللهُ إليه النَّاسَ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبيُّ : عاشَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة إحْدَىٰ وتسْعينَ سَنَةً[5] .

وقالَ بِشْرُ بنُ الوَليدِ : سَمعتُ أبا يُوسُفَ القاضي : مَنْ طَلَبَ الْمَالَ بالكيمياءِ أفْلَسَ ومَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكَلامِ تَزَنْدَقَ ، ومَنْ تَتبَّعَ غَريبَ الحَديثِ ، كُذِّبَ .

---

(١) انظر السير : (أبو عَمْرو بنُ العَلاء) ٦/ ٤٠٧ـ ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٢/٦٦٦ .
(٢) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٨/٧٠٨ .
(٣) انظر السير : (داوُد الطَّائي) ٧/ ٤٢٢ـ ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧١٢ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٨/٧٦٨ .
(٥) انظر السير : (سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة) ٨/ ٤٥٤ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٧/٧٨٤ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : بَلَغَ أبو يُوسُف من رئاسَة العِلمِ ما لا مَزيدَ عَليه ، وكانَ الرَّشيدُ يُبالِغُ في إجْلالِه[1] .

وما أنبلَ قولَه : العِلمُ بالخُصُومَةِ والكَلامِ جَهلٌ ، والجَهلُ بالخُصُومَةِ والكَلامِ عِلمٌ[2] .

وقالَ شَقيقٌ البَلْخيُّ : لَوْ أنَّ رَجُلاً عاشَ مِئتَي سَنة لا يَعرفُ هٰذه الأرْبَعَة ، لَمْ يَنْجُ : مَعرفَةُ الله ، ومَعرفَةُ النَّفْسِ ، ومَعرفَةُ أمْرِ اللهِ ونَهيِه ، ومَعرفَةُ عَدُوِّ اللهِ وعَدُوِّ النَّفْس[3] .

وعن الأنْطاكِيِّ قالَ : الخَيرُ كُلُّه أنْ تُزوَىٰ عَنكَ الدُّنيا ، ويُمَنُّ عَليك بالقُنوعِ ، وتُصْرَفُ عَنكَ وُجُوهُ النَّاس .

وله من هٰذا النَّحْو مَواعِظُ نافِعَةٌ ، ووَقْعٌ في النُّفوسِ ، رَحمَهُ الله[4] .

وعن الحَارِثِ بنِ أسَدٍ الْمُحَاسَبِيِّ قالَ : جَوْهَرُ الإنْسانِ الفَضْلُ ، وجَوْهَرُ العَقْلِ التَّوْفيقُ[5] .

وعن يَحْيَىٰ بنِ مُعاذ قالَ : لَسْتُ أبْكي علىٰ نَفسِي إنْ ماتَتْ ، إنَّما أبْكي علىٰ حَاجَتي إنْ فاتَتْ[6] .

وقالَ الحَكيمُ التِّرْمِذيُّ : كَفَىٰ بالْمَرْءِ عَيباً أنْ يَسرَّه ما يَضُرُّه[7] .

---

(١) انظر السير : (القاضي أبو يُوسُف) ٨/ ٥٣٥ـ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ١/٧٨٩ .
(٢) انظر السير : (القاضي أبو يُوسُف) ٨/ ٥٣٥ـ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٩ .
(٣) انظر السير : (شَقيقٌ البَلْخيّ) ٩/ ٣١٣ـ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٨٢٣/ ٥ .
(٤) انظر السير : (الأنْطاكِيُّ) ١١/ ٤٠٩ـ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٦/٩٥٥ .
(٥) انظر السير : (الْمُحَاسَبِيُّ) ١٢/ ١١٠ـ١١٢ ، وانظر النزهة : ٥/٩٨٨ .
(٦) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مُعاذ) ١٣/ ١٥ـ١٦ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٤٦ .
(٧) انظر السير : (الحَكيمُ التِّرْمذيُّ) ١٣/ ٤٣٩ـ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠٠ .

٨ـ شِعْرٌ في الحِكمَة :

كتب عُبَيْدُ الله بنُ عَبدِ الله بنِ عُتْبَة إلىٰ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيز[(١)] :

باسمِ الذي أُنزلت من عنده السورُ ... والحمدُ لله أمَّا بعدُ يا عمر
إنْ كنت تعلمُ ما تأتي وما تَذَرُ ... فكنْ علىٰ حَذَرٍ قَدْ ينفعُ الحذَرُ
واصبرْ على القَدَرِ المحتومِ وارضَ بهِ ... وإنْ أتاكَ بِما لا تشتهي القَدَرُ
فما صفا لامرءٍ عيشٌ يسرُّ بهِ ... إلا سيتبَعُ يوماً صَفْوَهُ الكدَرُ

مَدحَ أبو العَتاهيَة المَهْديَّ ، والخُلفاءَ بعده ، والوُزَراء ، وما أصْدَق قوله :

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَةْ ... مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدةْ
حسبُك مما تبتغيهِ القوتُ ... ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
هي المقادير فَلُمْنِي أو فَذَرْ ... إنْ كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدرْ

تُوفِّي أبو العَتاهيَة في سنة إحْدَىٰ ومئتَين ، وله ثلاثٌ وثَمانونَ سَنةً ، أو نَحْوُها ، ببَغْداد .

وتَحْتَملُ سيرةُ أبي العَتاهيَة أنْ تُعمَلَ في كَراريسَ[(٢)] .

* * *

---

(١) انظر السير : (عُبَيْدُ الله بنُ عَبدِ الله بنِ عُتْبَة) ٤/ ٤٧٥ـ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٥٣٥/ ٤ .
(٢) انظر السير : (أبو العَتاهيَة) ١٠/ ١٩٥ـ١٩٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨٦٦ .

الذَّكاءُ والفِطْنَة

عن عبدِ الله بنِ سَلام ، قالَ : لَمَّا قدمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدينَةَ ، انْجَفلَ النَّاسُ عليه ، وكنتُ فيمَنِ انْجَفلَ ، فلمَّا رأيتُه ، عَرفتُ أنَّ وَجهَه لَيسَ بوَجْهِ كذَّاب فكانَ أوَّلُ شَيءٍ سَمعتُه يَقولُ : « يَا أيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ »[1] .

عن خارِجَةَ ، عن أبيه ، زَيْدِ بنِ ثابِت ، قالَ : أُتِيَ بيَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مَقدمَه الْمَدينَةَ ، فقالوا : يا رَسُولَ الله ، هٰذا غُلامٌ من بَني النَّجَّار ، وقد قَرأَ مِمَّا أُنْزِلَ عَليكَ سَبعَ عَشرَةَ سُورَة فقَرأتُ علىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأَعْجَبَه ذلك ، وقالَ : « يا زَيْدُ ، تَعَلَّمْ لِي كتَابَ يَهُودَ ، فَإنِّي وَاللهِ مَا آمَنُهُمْ عَلَىٰ كتَابِي » .

قالَ : فتَعلمتُه ، فما مَضَىٰ لي نِصفُ شَهرٍ حتَّىٰ حَذقْتُه ، وكُنتُ أكتُبُ لرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا كَتَبَ إليهم .

عن ثابتِ بنِ عُبَيد ، قالَ زَيدُ بنُ ثابِت : قالَ لي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ ؟ » قُلتُ : لا ، قالَ : « فَتَعَلَّمْهَا » فتَعلَّمتُها في سَبعَةَ عَشرَ يَوماً[2] .

قالَ إبراهيمُ بنُ هِشام الغَسَّانيُّ : حدَّثني أبي ، عن جَدِّي ، قال : وَقَعَتْ من رجلٍ مئةُ دينارٍ فنادَىٰ : مَنْ وَجدَها ، فله عِشْرونَ ديناراً ، فأقبَلَ الذي وَجدَها فقال : هٰذا مالُك ، فأعْطِني الذي جَعلتَ لي فقال : كان مالي عشرينَ ومئةَ دينار ، فاخْتَصَما إلىٰ فَضَالَةَ بنِ عُبَيد ، فقال لصاحبِ المال : ألَيْسَ كان مالُك مئة وعشرين ديناراً كما تذكر ؟ قال : بَلىٰ وقال للآخر : أنْتَ وَجدْتَ مئة ؟ قال : نَعَم ، قال : فاحْبِسْها ولا تُعْطِه ، فليس هو بمالِه حتىٰ يَجيءَ صاحبُه[3] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ سَلام) ٢/ ٤١٣ـ٤٢٦ ، وانظر النزهة : ٢٨٤/ ٢ .

(٢) انظر السير : (زَيْدُ بنُ ثابت) ٢/ ٤٢٦ـ٤٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨٦ .

(٣) انظر السير : (فَضالَة بن عُبَيد) ٣/ ١١٣ـ١١٧ ، وانظر النزهة : ٤/٣٤٦ .

وقالَ ابنُ عائِشَة : وَجَّهَ عبدُ الْمَلكِ بنُ مَرْوانَ الشَّعبيَّ إلىٰ مَلكِ الرُّومِ ـ يَعني رَسُولاً ـ فلمَّا انْصرفَ من عندِه قالَ : يا شَعْبيُّ ، أتَدري ما كَتَبَ به إليَّ مَلكُ الرُّوم ؟ قالَ : وما كَتَبَ به يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : كُنتُ أتَعجَّبُ لأهْلِ ديانَتِك ، كيفَ لَمْ يَستَخلِفوا عَليهم رَسُولَك قُلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ لأنَّه رَآني ولَمْ يَرَك . أوْرَدَها الأصْمَعيُّ ، وفيها قالَ : يا شَعْبيُّ ، إنَّما أرادَ أنْ يُغْريني بقَتلِكَ فبَلَغَ ذلكَ مَلكَ الرُّومِ فقالَ : لله أبوه ، والله ما أرَدتُ إلاَّ ذاكَ[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ أبي حَنيفَة النُّعْمان : وابنُه الفَقيهُ حمَّادُ بنُ أبي حَنيفَة كانَ ذَا عِلمٍ ودينٍ وصَلاحٍ ووَرَعٍ تامٍّ ، لَمَّا تُوفِّيَ والدُه ، كانَ عندَه وَدائعُ كَثيرَة ، وأهْلُها غائبون فنَقَلها حمَّادٌ إلى الحاكِم ليَتسلَّمها ، فقالَ : بلْ دَعْها عندَك ، فإنَّك أهلٌ فقالَ : زِنْها واقْبِضْها حتَّىٰ تَبرأ منها ذِمَّةُ الوَالِدِ ، ثم افعل ما تَرَىٰ ففَعلَ القاضي ذلك وبَقيَ في وَزنِها وحِسابِها أيّاماً واسْتترَ حَمَّادٌ فمَا ظَهرَ حتَّىٰ أوْدَعَها القاضي عندَ أمين .

تُوفِّيَ حمَّادٌ سَنَةَ سِتٍّ وسَبعينَ ومئة كَهْلاً[2] .

وقالَ الحَسنُ بنُ يُوسُف بنِ مُلَيح : سَمعتُ أبا الحَسَن الخادِمَ ، قالَ : كُنتُ غُلاماً لزُبَيْدَة ، وأُتيَ باللَّيثِ بنِ سَعْد تَسْتَفتيه فكُنتُ واقفاً علىٰ رَأسِ سِتِّي زُبَيْدَة ، خَلفَ السِّتارَة ، فسَألَه الرَّشيدُ ، فقالَ لَه : حَلفتُ إنَّ لي جَنَّتَين ، فاسْتحلَفَه اللَّيثُ ثلاثاً : إنَّكَ تَخافُ اللهَ ؟ فحَلفَ له ، فقالَ : قالَ الله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[3] قالَ : فأقْطَعَه قَطائعَ كَثيرَة بمِصْرَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : إنْ صَحَّ هـٰذا ، فهَـٰذا كانَ قَبلَ خِلافَة هارُون .

وقالَ ابنُ بُكَير : كانَ اللَّيثُ فَقيهُ البَدَن ، عَربيَّ اللِّسان ، يُحسِنُ القُرآنَ والنَّحوَ ،

---

(١) انظر السير : (الشَّعْبيُّ) ٤/ ٢٩٤ـ ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٠٢ .

(٢) انظر السير : (أبو حَنيفَة النُّعْمانُ) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٦٤ .

(٣) سورة الرحمـٰن ، الآية : ٤٦ .

ويَحفَظُ الحَديثَ ، حَسَنَ الْمُذاكَرَة ، فمَا زَالَ يَذكُرُ خِصالاً جَميلَةً ، ويَعْقِدُ بيَدِه ، حتَّىٰ عَقَدَ عَشرَةً : لَمْ أرَ مِثلَه .

وقالَ هارُونُ بنُ سَعيد : سَمعتُ ابنَ وَهْب يَقولُ : كُلُّ ما كانَ في كُتُب مَالِك : وأَخْبَرَني مَنْ أَرْضَىٰ من أَهْلِ العِلمِ ، فهو اللَّيْثُ بنُ سَعد[1] .

وقالَ أبو سُليمانَ الجُوزَجانيُّ ، سَمعتُ القاضي أبا يُوسُف يَقولُ : دَخلتُ على الرَّشيدِ وفي يَدِه دُرَّتان يُقلِّبُهما ، فقالَ : هَلْ رَأيتَ أَحْسَنَ منهما ؟ قُلتُ : نَعَم يا أميرَ المؤمنين قالَ : وما هو ؟ قُلتُ : الوِعَاءُ الذي هما فيه ، فرَمَىٰ بهما إليَّ ، وقالَ : شَأنُكَ بهما[2] .

وقيلَ إنَّ عبدَ الرحمَـٰن بنَ الحَكَم الْمَرْوانيَّ صاحِبِ الأنْدَلُس نَظَرَ إلىٰ جاريَة له في رَمَضانَ نَهاراً ، فلَمْ يَملِكْ نَفَسَه أنْ وَاقَعَها ، ثم نَدِمَ ، وطَلَبَ الفُقَهاءَ ، وسَألَهُم عن تَوبَتِه ، فقالَ يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ : صُمْ شَهْرَين مُتَتابعَين ، فسَكتَ العُلَماءُ ، فلمَّا خَرَجوا قالوا ليَحْيَىٰ : مَا لَكَ لَمْ تُفْتِهِ بمَذْهَبنا عن مَالك أنَّه مُخَيَّرٌ بينَ العِتْقِ والصَّوْم والإطْعَام ؟ قالَ : لَوْ فَتَحْنا له هَـٰذا البَابَ ، لَسَهُلَ عليه أنْ يَطأَ كُلَّ يوم ، ويُعْتِقَ رَقَبَة ، فحَمَلتُه علىٰ أصْعَبِ الأُمُورِ لِئلاَّ يَعُودَ[3] .

وعن مُكْرم بنِ بَكْر ، قالَ : كُنتُ في مَجلسِ أبي خازِمِ القاضي ، فتَقدَّمَ شَيخٌ مَعه غُلامٌ ، فادَّعَىٰ عَليه بألفِ دِينارٍ ، فأقَرَّ الحَدَثُ ، فقالَ القاضي للشَّيخ : ما تَشاءُ ؟ قالَ : حَبسُه فقالَ للحَدَثِ : قد سَمعتَ فهلْ تُوفِّيه البَعضَ ؟ قالَ : لا ففكَّر ساعَةً ، ثم قالَ : تَلازَما حتَّىٰ أنْظُرَ فقُلتُ : لِمَ أخَّرَ القاضي الحَبسَ ؟ قالَ : وَيْحَك! إنِّي أعْرفُ في أكثرِ الأحْوالِ وَجْهَ الْمُحِقِّ من الْمُبْطِلِ ، وقد وَقعَ لي أنَّ سَماحَتَه بالإقْرارِ شَيءٌ بَعيدٌ من الحَقِّ ، أمَا رَأيتَ قِلَّة تَغاضُبِهما في الْمُحاوَرَة مع عِظَمِ الْمَالِ ؟ فبَينا نَحنُ كذلك ، إذْ اسْتَبانَ الأمرُ ، فاسْتأذَنَ تاجِرٌ مُوسِرٌ ، فأذنَ له القاضي ، فدَخلَ ، وقالَ : قد بُليتُ بابنٍ

---

(١) انظر السير : (اللَّيثُ بنُ سَعْد) ٨/ ١٣٦ـ١٦٣ ، وانظر النزهة : ١/٧٣٩ .

(٢) انظر السير : (القاضي أبو يُوسُف) ٨/ ٥٣٥ـ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٩ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ بنُ كَثير) ١٠/ ٥١٩ـ٥٢٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٩١ .

لي حَدَثٍ ، يُتلِفُ مالي عند فُلانٍ الْمُقَبِّن ، فإذا مَنعتُه مالي احْتالَ بحِيَل يُلجئني إلى الْتِزامِ غُرْم ، وأقْرَبُه أنَّه نَصَبَ الْمُقَبِّنَ اليَومَ لِمُطالَبَتِه بألفِ دينارٍ وأَقَعُ مع أمِّه ـ إنْ حُبسَ ـ في نَكَدٍ فتبسَّمَ القاضي ، وطَلَبَ الغُلامَ والشَّيخَ ، فأُدخِلا ، فوَعَظَ الغُلامَ ، فأقرَّ الشَّيخُ ، وأخَذَ التَّاجرُ بيدِ ابنِه ، وانْصَرَفَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : قد كانَ الْمُعتَضِدُ يَحتَرِمُ أبا خازِمٍ ويُجِلُّه ، قيلَ : إنَّ أبا خازم لَمَّا احْتُضِرَ بَكَىٰ ، وجَعلَ يَقولُ : يا رَبِّ! من القَضاءِ إلى القَبرِ . وله شِعرٌ رَقيقٌ .

ماتَ ببَغْدادَ سَنةَ اثنَتينِ وتِسْعينَ ومئتين[1] .

قالَ القِفْطيُّ : عَزمَ المُعِزُّ علىٰ بَعْث جَيشِه إلىٰ مِصْرَ ، فسألَتْهُ أُمُّهُ أنْ يُؤخِّرَ ذلكَ لتَحُجَّ خُفْيَةً فأجابَها ، وحَجَّتْ ، فأحَسَّ بقُدومِها الأسْتاذُ كافُورُ ـ يَعْني صاحِبَ مِصْرَ ـ فحَضَرَ إليها وخَدمَها ، وحَملَ إليها تُحَفاً ، وبَعثَ في خِدْمتِها أجْناداً ، فلمَّا رَجَعَت ، مَنعَت ابنَها من قَصْدِ مِصْرَ ، فلمَّا ماتَ كافُورُ بَعثَ المُعِزُّ جَيشَه ، فأخَذوا مِصْرَ .

وكانت مِصْرُ في القَحْط ، فأخَذَها جَوْهَرُ ، وأخَذَ الشَّامَ والحِجازَ ونفَّذَ يُعرِّفُ مَولاهُ بانْتِظامِ الأمْرِ .

وضُربَت السِّكةُ على الدِّينارِ بمِصْرَ (وهي : لا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ محمَّدٌ رَسُولُ الله ، عَليٌّ خَيْرُ الوَصِيَّيْن) والوَجهُ الآخَر اسْم المُعِزِّ والتاريخ ، وأُعْلِنَ الأذانُ بـ « حَيَّ علىٰ خيرِ العَملَ » ، ونُودِيَ : مَنْ مَاتَ عن بنْت وأخٍ أو أُخْت فالمالُ كلُّه للبنْت فهَـٰذا رَأيُ هـٰؤلاء[2] .

وقد سارَ القاضي ابنُ الباقِلاَّنيِّ رَسُولاً عن أميرِ المُؤمِنينَ إلىٰ طاغِيَةِ الرُّوم ، وجَرَتْ له أمُورٌ ، منها أنَّ المَلِك أدْخَلَه عليه من بابِ خوخةٍ[3] ليَدخُلَ راكِعاً للمَلِكِ ففَطِنَ لها القاضي ، ودَخَلَ بظَهْرِه[4] .

---

(١) انظر السير : (القاضي أبو خازِم) ١٣/٥٣٩ـ٥٤١ ، وانظر النزهة : ٤/١١١٤ .

(٢) انظر السير : (المُعِزّ) ١٥/١٥٩ـ١٦٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٠٣ .

(٣) باب خوجة : هو باب صغير ضمن باب كبير لا يتمكن الإنسان من دخوله إلاّ أن يحني رأسه .

(٤) انظر السير : (ابن الباقِلاَّنيّ) ١٧/١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٣٤ .

ومنها أنَّه قالَ لراهِبِهم : كَيفَ الأهْلُ والأوْلادُ ؟!! ، فقالَ المَلِكُ : مَهْ!! ، أمَا عَلمْتَ أنَّ الرَّاهِبَ يَتنزَّهُ عن هٰذا ؟ فقالَ : تُنَزِّهُونَه عن هٰذا ، ولا تُنَزِّهُونَ رَبَّ العَالَمينَ عن الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ!![1] .

وقِيلَ : إنَّ الطَّاغِيَةَ سَأَلَهُ : كَيفَ جَرَىٰ لزَوْجَةِ نبيِّكُم ؟ ـ يَقْصِدُ تَوْبيخاً ـ فقالَ : كَما جَرَىٰ لمَرْيَمَ بنتِ عِمْرانَ ، وبَرَّأَهُمَا اللهُ ، لَكنَّ عائِشَةَ لَمْ تَأتِ بوَلَدٍ فأفْحَمَهُ .

قالَ الخَطيبُ : سَمعتُ أبا بَكْرٍ الخَوارِزْميَّ يَقولُ : كُلُّ مُصَنِّف ببَغْدادَ إنَّما يَنْقُلُ من كُتُبِ النَّاسِ سِوَى القاضي أبي بَكْر ، فإنَّما صَدْرُه يَحْوي عِلمَه وعِلمَ النَّاسِ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ الخَطيبِ البَغْداديِّ : قد كان رَئيسُ الرُّؤساء تَقدَّم إلى الخُطَباءِ والوُعَّاظِ أنْ لا يَروُوا حَديثاً حتَّىٰ يَعرضُوه عليه ، فمَا صَحَّحه أوْرَدوه ، وما رَدَّه لَمْ يَذكُروهُ وأظْهَرَ بَعضُ اليَهُودِ كتاباً ادَّعَىٰ أنَّه كتابُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بإسْقَاطِ الجِزْيَة عن أهْلِ خَيْبَر ، وفيه شَهادَةُ الصَّحابَة ، وذَكروا أنَّ خَطَّ عليٍّ رضي الله عنه فيه وحُملَ الكتابُ إلىٰ رَئيس الرُّؤساء فعَرضَه على الخَطيبِ ، فتَأمَّله ، وقالَ : هٰذا مُزَوَّر ، قيلَ : من أينَ قُلتَ ؟ قالَ : فيه شَهادَةُ مُعاويَة وهو أَسْلمَ عامَ الفَتْحِ ، وفُتحَتْ خَيْبَرُ سَنَةَ سَبعٍ ، وفيه شَهادَةُ سَعْدِ بنِ مُعاذ وماتَ يَومَ بَني قُرَيْظَة ، قبلَ خَيْبَرَ بسَنَتَينِ ، فاستُحسِنَ ذلكَ منه[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ خُوارزمْشاه : أبادَ مُلوكاً ، واسْتولَىٰ علىٰ عِدَّة أقاليم ، وخَضعَت له الرِّقابُ وقد حارَبَ الخَطَا غَيرَ مرَّة ، فانْهَزَم جَيشُه في نَوْبَة وثبَتَ هو ، فأُسِرَ هو وأميرٌ ، أَسَرَهما خَطائيٌّ ، فصيَّر نَفَسَه مَمْلوكاً لذلك الأميرِ ، وبَقيَ يَقِفُ في خِدمَتِه ، فقالَ الأميرُ للخَطَائيِّ : ابْعَثْ رَسُولَك مع غُلامي هٰذا إلىٰ أهْلي ليُرْسِلوا مَالاً في فِكاكي ، ففَعلَ وتَمَّت الحِيلَةُ ، وعادَ خُوارِزمشَاه إلىٰ مُلكِه .

قالَ عِزُّ الدِّينِ عَليُّ ابنُ الأثير : كانَ صَبوراً على التَّعبِ وإدْمانِ السَّيْرِ غيرَ مُتَنعِّمٍ

---

(١) انظر السير : (ابن الباقلاّنيّ) ١٧/ ١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ١٣٣٥/١ .

(٢) انظر السير : (ابن الباقلاّنيّ) ١٧/ ١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ١٣٣٥/٢ .

(٣) انظر السير : (الخَطيبُ البَغْداديُّ) ١٨/ ٢٧٠ـ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ١٤١٢/٤ .

ولا مُتلَذِّذٍ إنما نِهْمتُه الْمُلكُ وكانَ فاضِلاً ، عَالِماً بالفِقْه والأُصُولِ ، مُكْرِماً للْعلمَاء يُحبُّ مُناظَرَتهم ، ويَتبرَّكُ بأَهْلِ الدِّين ، قالَ لي خادِمُ الحُجْرَة النَّبَوِيَّة : أتيتُه فاعْتَنَقَني ، ومَشَىٰ لي وقالَ : أنْتَ تَخدِمُ حُجرَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قُلتُ : نَعم ، فأَخَذَ يَديَّ وأَمَرَّها علىٰ وَجْهه ، وأعْطاني جُملةً .

كانت بلادُ ما وَراءَ النَّهر في طاعَةِ الخَطَا ، ومُلوك بُخارَىٰ وسَمَرْقَنْدَ يُؤدُّونَ الأتَاوَةَ إلى الخَطَا ، وكانت هـٰذه الأُمَمُ سَداً بينَ تُرْكِ الصِّينِ وبَينَنا ففتَحَ هـٰذا السدَّ الوَثيقَ وظَنَّ أنَّه لَمْ يَبْقَ مَنْ يُقاوِمُه ، فانتُقلَ إلىٰ كِرْمانَ ثم العِراقِ ، ثم أذْرَبيجانَ ، وطَمعَ في الشَّامِ ومِصْرَ ، وكان عَليه سَهْلاً لَوْ قَدِرَ باتَ صاحبُ حلبَ لَيلَه مَهْمُوماً لِما اتَّصلَ به من أخْبار هـٰذا وطَمَعِه في الشَّامِ ، وقِيلَ عنه : إنَّه يَبْقىٰ أرْبَعَةَ أيّام علىٰ ظَهْرِ فَرَسه لا يَنزِلُ إنَّما يَنتقِلُ من فَرسٍ إلىٰ فَرسٍ ويَطْوي البلادَ ويَهجِمُ المدينَةَ في نَفرٍ يَسيرٍ ثم يُصَبِّحه من عَسْكره عَشرةُ آلاف ويُمَسِّيه عِشْرونَ ألفاً قَتلَ عِدَّةَ مُلوكٍ وإنَّما أخْذُه البلادَ بالرُّعْبِ والهَيْبَة وبعدَ مَوتِ الظَّاهِر غازي جاءَ رَسُولُه إلىٰ حَلبَ ، فقالَ : سُلطانُ السَّلاطينِ يُسلِّمُ عَليكم ويَعْتِبُ إذْ لَمْ تُهَنِّئوهُ بفَتْح العِراقِ وأذْرَبيجانَ ، وإنَّ عَددَ جَيشِه سَبعُ مئة ألفٍ ، ثم تَوجَّه رَسُولُه إلى العادِلِ بدِمَشْقَ يَقولُ : تَعالَ إلى الخِدْمَة فقد ارْتَضَيْناكَ أنْ تَكونَ مُقدَّمَ الركاب! فبَقيَ النَّاسُ يَهْزَؤون منه وسَمِعنا أنَّه جَعلَ صاحِبَ الرُّوم أميرَ عَلَم له والخَليفَةَ خَطيباً! وأمَّا الْمُلوكُ الذين كانوا في خِدمَته فكان يُذِلُّهم ويُهينُهم ، وجَعلَهم يَضْربُونَ له طُبولَ الذَّهَب ولَمَّا أباد أُمَّتَي الخَطَا والتَّتَر وهُم أصْحابُ تُرْكِسْتانَ وجَنْدُ وتَنْكُت ظَهرَت أُمَّةٌ يُسَمَّونَ التَّتَر أيضاً ، وهم صِنْفانِ وطَمِعوا في البلادِ فجَمعَ وعَزمَ علىٰ لِقائِهم فوَقَعَ جِنْكيزخان رأسُ الطمغاجية علىٰ كَمينِه فطَحَنُوه ، وانْهَزمَ جَلالُ الدِّينِ ابنه إليه ، وخُيِّلَ إليه تَعِسُ الجَدِّ[1] أن في أُمَرائه مُخامِرين فمَسَّكهم وضَربَ مع التَّتارِ مَصافاً بعدَ آخَر فتَطَحْطَحَ ، ورُدَّ إلىٰ بُخارَىٰ مُنْهَزِماً ثم جاءَ من بُخارَىٰ ليَجْمعَ العَساكِرَ بنيسابُورَ فأخَذَت التَّتارُ بُخارَىٰ وهَجَموا خُراسان ففرَّ ، فما وَصَلَ إلى الرَّيِّ إلاَّ وطلائعُهم علىٰ رأسِه ، فانْهَزَمَ إلىٰ قَلعَة بَرَجِيْن ، ومعه ثلاثُ مئة فارِسٍ عُراةً مَضَّهم الجُوعُ فاسْتَطْعَموا من أكْرادٍ

---

(١) أي : سيىء الحظ .

فلَمْ يَحتفلوا بهم ، ثم أعْطوهُم شَاتَين وقَصْعَتي لَبن ، ثم رَجعَ إلىٰ نَهَاوَنْدَ ، ثم إلىٰ مازندران وقَعْقَعَةُ سِلاحِهم قد مَلأت سَمعَه وبَصرَه ، فنَزلَ ببُحَيرَة هناك فانْسَهَلَ وطلَبَ دَواءً فأعْوَزَه الخُبزُ وماتَ .

وقيلَ : كانَ عِدَّةُ جَيشِه في الدِّيوان ثَلاثَ مئة ألفِ فارسٍ ، وقيلَ : إنَّه اسْتولىٰ علىٰ نَحْو أرْبَع مئة مَدينَة ، وكانت أمُّه تُركان في عَظمَةٍ ما سُمعَ قَطُّ بمِثْلِها ، وفي جَبَروت ، فأسَرَها جنكيزخان ، وذَاقَت ذُلاً وجُوعاً .

ماتَ في الجَزيرَة سَنة سَبعَ عَشرَةَ وستٍّ مئة وكُفِّنَ في عَمامَةٍ لفَرَّاشه[1] .

وقالَ القاضي ابنُ وَاصِل : وبَلَغني أنَّ رَجُلاً كانَ يَرىٰ صِحَّةَ خِلافَةِ يَزيد ، فأحْضَرَه ليُعاقبَه فسَألَه : ما تَقولُ في خِلافَةِ يَزيد ؟ قالَ : أنا أقولُ لا يَنْعَزِلُ بارْتِكابِ الفِسْقِ ، فأعْرَضَ عَنه ، وأمَرَ بإطْلاقِه ، وخافَ من الْمُحاققَة[2] .

الشَّجَاعَة

١ـ صُوَرٌ من الشَّجَاعَة :

قِيلَ : كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إلىٰ أُمَراءِ الجَيشِ : لا تَسْتَعمِلُوا البَراءَ علىٰ جيشٍ فإنَّه مُهْلِكةٌ من المَهَالِكِ يَقْدُمُ بهم .

وبلَغَنا أنَّ البَراءَ يومَ حربِ مُسَيْلِمَةَ الكذَّاب أمَرَ أصْحابَه أنْ يَحْتَمِلُوه علىٰ تُرسٍ ، علىٰ أَسِنَّةِ رِماحِهِم ، ويُلْقُوا به في الحَديقةِ فاقْتَحَمَ إليهم ، وشَدَّ عليهم ، وقاتلَ حتى افْتَتَحَ بابَ الحديقةِ ، فجُرِحَ يومئذٍ بضْعةً وثمانين جُرحاً ، ولذلك أقامَ خالدُ بنُ الوَليدِ عليه شَهراً يُداوِي جِراحَه ، وقد اشْتَهَرَ أنَّ البَراءَ قَتلَ في حُروبِه مِئَةَ نفسٍ من الشُّجعانِ مُبارَزَةً[3] .

---

(١) انظر السير : (خُوارزْمشاه) ٢٢/١٣٩ـ١٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٧٧ .

(٢) انظر السير : (النَّاصِرُ لِدينِ الله) ٢٢/١٩٢ـ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨٥ .

(٣) انظر السير : (البَراء بن مالك) ١/١٩٥ـ١٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤١ .

وعن صالحِ بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ عَوْف ، عن أبيه ، عن جَدِّه قالَ : إنِّي لَوَاقِفٌ يومَ بَدْر في الصَّفِّ فنظَرتُ ، فإذا أنا بَينَ غُلامَين من الأنْصارِ حَديثَةٌ أسْنانُهما ، فتمنَّيتُ أنْ أكُونَ بينَ أضْلَعَ منهما فغمَزَني أحَدُهما ، فقالَ : يا عَمُّ! أتعرِفُ أبا جَهْل ؟ قُلتُ : نَعَم وما حاجَتُك ؟ قالَ : أُخبرتُ أنَّه يَسُبُّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نَفسِي بيَدِه إنْ رَأيتُه لا يُفارِقُ سَوادي سَوادَه حتَّىٰ يَمُوتَ الأعْجَلُ منَّا فتعَجَّبتُ لذلك ، فغَمَزَني الآخَرُ ، فقالَ مثلَها ، فلَمْ أنْشَبْ أنْ نَظَرتُ إلىٰ أبي جَهْل وهو يَجُولُ في النَّاسِ ، فقُلتُ : ألا تَرَيان ؟ هـٰذا صاحبُكما قالَ : فابْتَدراهُ بسَيْفَيْهِما حتَّىٰ قَتلاهُ ، ثم انْصرَفا إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأخْبَراهُ فقالَ صلى الله عليه وسلم : « أيُّكمَا قَتَلَهُ ؟ » فقالَ كُلٌّ منهما : أنا قَتلتُه فقالَ صلى الله عليه وسلم : « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكمَا ؟ » قالا : لا فنظَر في السَّيْفَينِ ، فقالَ : « كلاكمَا قتَلَه » وقَضىٰ بسَلبه لِمُعَاذِ بنِ عَمرو والآخَرُ هو مُعَاذُ بنُ عَفْراء .

وعن مُعَاذِ بنِ عَمْرو قالَ : جَعلتُ أبا جَهْل يَومَ بَدْرٍ من شَأني فلمَّا أمْكَنني ، حَملتُ عليه ، فضَربتُه ، فقَطعتُ قَدمَه بنِصْفِ ساقِه ، وضَربَني ابنُه عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْل علىٰ عاتِقِي ، فطَرحَ يَدي وبَقِيَتْ مُعلَّقَة بجِلدَةٍ بجَنبي ، وأجْهَضَني عنها القِتالُ ، فقَاتَلتُ عامَّةَ يَوْمي وإنِّي لأسْحَبُها خَلفي ، فلمَّا آذَتْني ، وضَعْتُ قَدَمي عَليها ثم تَمَطَّأتُ عليها حتَّىٰ طَرَحْتها .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه واللهِ الشَّجاعَةُ ، لا كآخَر من خَدشٍ بسَهم يَنْقَطعُ قلبُه ، وتَخورُ قُواهُ ثم عاشَ بعدَ ذلكَ إلىٰ زَمَن عُثْمانَ[1] .

وعن ابنِ أبي لَيْلَىٰ ، أنَّ ابنَ أُمِّ مَكْتوم قالَ : أي رَبِّي! أَنْزِلْ عُذْري فأُنْزِلَت ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[2] فكان بعدُ يَغزو ويَقولُ : ادْفَعوا إليَّ اللِّواءَ فإنِّي أعْمَىٰ لا أسْتَطيعُ أنْ أفِرَّ ، وأَقيمُوني بينَ الصَّفَّين[3] .

---

(١) انظر السير : (مُعَاذ بنُ عَمْرو بنِ الجَموح) ١/ ٢٤٩ـ ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٦ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٥ .
(٣) انظر السير : (ابنُ أُمِّ مكتوم) ١/ ٣٦٠ـ ٣٦٥ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٧ .

قالَ قَيْسُ بنُ أبي حَازِمٍ : سَمعتُ خَالدَ بنَ الوَلِيدِ يقولُ : مَنَعَنِي الجِهَادُ كثيراً من القِراءَةِ ورَأَيتُه أَتَىٰ بسُمٍّ ، فقالوا : ما هٰذا ؟ قالوا : سُمٌّ ، قال : بِاسْمِ الله وشَرِبَه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هٰذه واللهِ الكَرَامَةُ ، وهٰذه الشَّجَاعَةُ[1] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم تَلا هٰذه الآيَة ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[2] قالوا : يا رَسولَ الله! مَنْ هَؤلاء ؟ قالَ رضي الله عنه : فضَرَبَ عَلىٰ فَخِذِ سَلْمانَ الفَارسِيِّ ، ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « هَٰذا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَناوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الفُرْسِ »[3] .

عن عُثْمانَ بنِ طَلْحَة ، قالَ : كانَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْر لا يُنَازَعُ في ثَلاثَة : شَجاعَةٍ ، ولا عِبادَةٍ ، ولا بَلاغَةٍ[4] .

قال ابنُ الزُّبَيْر : هَجمَ عَلينا جُرْجيرُ في عِشرينَ ومئةِ ألْفٍ ، فأحاطُوا بنا ونَحنُ في عِشرينَ ألفاً ـ يَعني : نَوبَةَ إفْريقية .

قالَ : واخْتَلفَ النَّاسُ على ابنِ أبي سَرْح ، فدَخَلَ فُسْطاطَه ، فرَأيتُ غِرَّةً من جُرْجيرَ ، بَصُرْتُ به خَلفَ عَساكِرِه علىٰ بِرْذَوْنٍ أَشْهَب ، مَعه جاريتان تُظَلِّلانِ عليه بِريشِ الطَّواويسِ ، بينَه وبينَ جَيشِه أرْضٌ بَيْضاء ، فأتَيتُ أميرَنا ابنَ أبي سَرْح ، فنَدَبَ لي النَّاسَ ، فاخْتَرتُ ثَلاثينَ فارِساً ، وقُلتُ لسَائرِهم : الْبَثوا علىٰ مَصافِّكُم ، وحَمَلتُ وقُلتُ لهم : احْمُوا ظَهْري ، فخَرَقْتُ الصَّفَّ إلىٰ جُرْجيرَ وخَرجتُ صامِداً ، وما يَحْسبُ هو ولا أصْحابُه إلاَّ أنِّي رَسُولٌ إليه ، حتَّىٰ دَنَوْتُ منه فعَرَفَ الشَّرَّ فثابَرَ بِرْذَوْنَه مُوَلِّياً ، فأدْرَكتُه ، فطَعَنتُه ، فسَقطَ ، ثم احْتَزَزتُ رَأسَه فنَصَبتُه علىٰ رُمْحي ، وكَبَّرتُ وحَملَ المُسلمونَ ، فارْفَضَّ العدوُّ ومَنحَ اللهُ أكْتافَهُم[5] .

---

(١) انظر السير : (خالد بن الوليد) ١/ ٣٦٦ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٩ .
(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسِيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٣ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر) ٣/ ٣٦٣ـ ٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٣٩٥ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر) ٣/ ٣٦٣ـ ٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٦/٣٩٥ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْر بن عبدِ الْمُطَّلِبِ : الهَاشِميُّ ، ابنُ عَمِّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمُّه عاتِكَةُ بنتُ أبي وَهْب الْمَخْزوميَّة ، من مُسْلِمَةِ الفَتْح[1] .

لا نَعلَمُ له رِوايَة كانَ مَوْصُوفاً بالشَّجاعَة والفُروسيَّة .

ولَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم كانَ لِهَـٰذا نَحو من ثَلاثينَ سَنَةً .

عن أبي الحُوَيْرِث قالَ : أوَّلُ مَنْ قُتلَ يَومَ أجْنادينَ بِطْريقٌ ، بَرزَ يَدعُو إلى البرازِ ، فبَرَزَ إليه عبدُ الله بنُ الزُّبَير بنُ عبدِ الْمُطَّلِب ، فاخْتَلَفَا ضَرَباتٍ ، ثم قَتَلَه عبدُ الله ، ثم بَرَزَ آخَرُ ، فضَربَه عبدُ الله علىٰ عاتِقِه وقالَ : خُذْها وأنا ابنُ عبدِ الْمُطَّلِب ، فأثْبَتَه ، وقَطعَ سَيفُه الدِّرعَ ، وأشْرعَ في مِنْكَبِه ، ثم وَلَّى الرُّومي مُنْهَزِماً .

وعَزمَ عليه عَمرُو بنُ العاصِ أنْ لا يُبارزَ ، فقالَ : لا أصْبِرُ ، فلمَّا اخْتلطَت السُّيوفُ ، وُجدَ في رِبضَة من الرُّوم عَشرةٍ مَقْتُولاً ، وهم حَولَه ، وقائمُ السَّيفِ في يَدِه قد غَرِيَ[2] ، وإنَّ في وَجهِه لثَلاثينَ ضَربَةً .

وأجْنادينُ كانت سَنَةَ ثَلاثَ عَشرة[3] .

وقالَ أبو عِمْرانَ الجَوْني : قيلَ لعامِرِ بن عبدِ قَيْس : إنَّك تَبيتُ خارجاً ، أمَا تَخافُ الأسَدَ ؟ قالَ : إنِّي لأسْتَحي من رَبِّي أنْ أخافَ شَيئاً دُونَه وهَبطَ وَادياً به عابدٌ حَبَشيٌّ ، فانفَرَدَ يُصلِّي في ناحية ، والحَبَشيُّ في ناحيَة أرْبَعينَ يَوماً لا يَجتمعان إلاَّ في فَريضَة[4] .

وقالَ جَعْفَرُ بنُ سُليمانَ : كانَ الحَسَنُ البَصْريُّ من أشَدِّ النَّاسِ ، وكانَ الْمُهَلَّب إذا قاتَلَ الْمُشركينَ يُقدِّمُه[5] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر بنُ عبد الْمُطَّلِب) ٣/ ٣٨١ـ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٣٩٨/ ١ .
(٢) غَرِيَ : أي لَزِقَ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر بنُ عبد الْمُطَّلِب) ٣/ ٣٨١ـ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٣٩٨/ ٢ .
(٤) انظر السير : (عامِر بن عبد قَيْس) ٤/ ١٥ـ١٩ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٤ .
(٥) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٧/٥٦١ .

جاءَ في تَرْجَمَةِ أحمَدَ بنِ إسْحاقَ السُّرْماريِّ قال الإمامُ الذهَبيُّ : الإمامُ الزَّاهِدُ ، العَابِدُ المُجَاهِدُ ، فارِسُ الإسْلام أبو إسْحاقَ ، من أهْلِ سُرْماري ، من قُرىٰ بُخَارَىٰ وكان أَحَدَ الثِّقاتِ ، وبشَجَاعَتِه يُضْرَبُ المَثَلُ[1] .

وقال إبراهيمُ بنُ عَفَّانَ البَزَّار : كُنتُ عندَ أبي عبدِ الله البُخَاريّ فجَرَىٰ ذِكرُ أبي إسْحَاقَ السُّرْمارِيّ ، فقال : ما نَعْلَمُ في الإسْلام مِثْلَه فخَرَجْتُ فإذا أُحَيْدُ رَئِيسُ المُطَّوِّعَة ، فأخْبَرتُه ، فغَضِبَ ودَخَلَ على البُخَاريّ ، وسَأَلَه فقال ما كذا قُلتُ ، بل : ما بَلَغَنَا أنَّه كان في الإسْلامِ ولا في الجَاهِلِيّةِ مِثْلُه .

وقال ابنُه أبو صَفْوَانُ : دَخَلتُ علىٰ أبي يوماً ، وهو يَأكُلُ وحْدَه فرَأَيْتُ في مائِدَتِه عُصْفُوراً يأكُلُ معَه ، فلمَّا رَآنِي طَارَ[2] .

وعن أحمَدَ بنِ إسْحاقَ قال : يَنْبَغِي لقائِدِ الغُزَاةِ أنْ يكونَ فِيه عَشْرُ خِصالٍ : أنْ يكونَ في قَلبِ الأَسَدِ لا يَجْبُن ، وفي كِبْرِ النَمِرِ لا يَتَوَاضَع ، وفي شَجَاعَةِ الدُّبِّ يَقْتُلُ بجَوَارِحِهِ كُلِّها ، وفي حَمْلَةِ الخِنْزِيرِ لا يُوَلِّي دُبُرَه ، وفي غارَةِ الذِّئْبِ إذا أَيِسَ من وَجْهٍ أَغَارَ من وَجْه ، وفي حَمْلِ السِّلاح كالنَّملَةِ تَحْمِلُ أكْثَرَ من وَزْنِها ، وفي الثَّبَاتِ كالصَّخْرِ ، وفي الصَّبرِ كالحِمارِ ، وفي الوَقَاحَةِ كالكَلْبِ لو دَخَلَ صَيْدُه النَّارَ لدَخَلَ خَلفَه ، وفي التِماسِ الفُرصَةِ كالدِّيك .

وكانَ إبراهيمُ بنُ شِمَاسٍ يقولُ : كُنتُ أُكاتِبُ أحمَدَ بنَ إسْحاقَ السُّرْمَاريّ ، فكَتَبَ إليَّ : إذا أَرَدْتَ الخُرُوجَ إلىٰ بلادِ الغُزيّة في شِراءِ الأَسْرَىٰ ، فاكْتُبْ إليَّ فكَتَبتُ إليه ، فقَدِمَ سَمَرْقَنْدَ ، فخَرَجْنَا ، فلمَّا عَلِمَ جَعْبَوَيْه ، استَقْبَلَنا في عِدَّةٍ من جُيُوشِه ، فأَقَمْنا عِندَه ، فعَرَضَ يوماً جَيْشَه ، فمرَّ رجلٌ فعَظَّمَه وخَلَعَ عليه ، فسَأَلَنِي عنه السُّرْماريّ فقُلتُ : هٰذا رجلٌ مُبارِزٌ ، يُعَدُّ بألفِ فارسٍ قال : أنا أُبارِزُه فسَكَتُّ فقال جَعْبَوَيْه : ما يقولُ هٰذا ؟ قُلتُ يقولُ : كَذَا وكَذَا قال : لَعَلَّه سَكرانٌ لا يَشْعُر ، ولكن غَداً نَركَبُ فلمَّا كان الغَدُ رَكِبُوا ، فرَكِبَ السُّرْماريُّ معَه عَمُودٌ في كُمِّه فقامَ بإزاءِ المُبارِزِ فقَصَدَه ،

---

(1) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/٣٧ـ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٨ .

(2) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/٣٧ـ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٩ .

فهَرَبَ أحمَدُ حتّىٰ باعَدَهُ من الجَيْشِ ، ثمَّ كَرَّ وضَرَبَه بالعَمُودِ فقتَلَه ، وتَبِعَ إبراهيمَ بنَ شِمَاسٍ ، لأنَّه كان قد سَبَقَه فلَحِقَه ، وعَلِمَ جَعْبَوَيْه ، فجَهَّزَ في طلبه خمسِينَ فارساً نَقَاوةً ، فأدْرَكُوه ، فثَبُتَ تحتَ تَلٍّ مُخْتَفِياً حتّىٰ مَرُّوا كُلُّهم واحِداً بعدَ واحِد ، وجَعَلَ يَضْرِبُ بعَمُودِه من وراءِهم إلىٰ أنْ قَتَلَ تسْعَةً وأربعِينَ ، وأَمْسَكَ واحِداً ، قَطَعَ أنْفَه وأُذُنَيْه ، وأَطْلَقَه ليُخْبِر ، ثمَّ بعدَ عامَيْن تُوُفِّي أحمدُ ، وذَهَبَ ابنُ شِمَاسٍ في الفِداءِ ، فقال له جَعْبَوَيْه : مَنْ ذَاكَ الذي قَتَلَ فُرسانَنا ؟ قال : ذاكَ أحمدُ السُّرْماريّ قال : فلِمَ لَمْ تَحْمِلْه مَعَكَ ؟ قُلتُ : تُوُفِّيَ ، فَصَكَّ في وَجْهِي ، وقال : لَوْ أَعْلَمْتَنِي أنَّه هو لكُنتُ أُعْطِيهِ خَمْسُ مئةِ بِرْذَوْن[1] وعَشْرَةَ آلافِ شاة .

وعن عِمْرانِ بنِ مُحمَّد المطَّوعيّ : سَمعتُ أبي يقولُ : كان عَمُودُ المطَّوِّعيِّ السُّرْماريّ وزْنُه ثمانِيَةَ عَشْرَةَ مَنّاً[2] ، فلمَّا شَاخَ جَعَلَه اثنَيْ عَشْرَ مَنّاً ، وكان به يُقاتِلُ[3] .

وعن عُبيد الله بنِ واصل ، سَمعتُ أحمدَ السُّرْماريَّ يقولُ ، وأخرجَ سَيْفَه ، فقال : أعلَمُ يَقيناً أنِّي قَتلتُ به ألفَ تُركيّ ، وإنْ عِشْتُ قَتلتُ به ألفاً أُخرىٰ ، ولولا خَوْفي أن يكونَ بدعةً لأمَرتُ أن يُدفَن معي .

وعن محمودِ ابنِ سَهْل الكاتب ، قال : كانوا في بعض الحروب يحاصِرون مكاناً ، ورئيسُ العدوِّ قاعدٌ علىٰ صُفَّة[4] ، فرمى السُّرماريُّ سَهْماً ، فغرزَه في الصُّفَّة ، فأوْمأ الرئيسُ لينزعه ، فرماه بسَهمٍ آخر خاطَ يدَه ، فتطاوَلَ الكافرُ لينزعَه من يده ، فرماه بسَهمٍ ثالثٍ في نَحرِه ، فانهزَمَ العَدوُّ ، وكان الفتح .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أخبارُ هـٰذا الغازي تسُرُّ قلبَ المسلم .

---

(١) البِرْذَوْن : ضرب من الدواب ، يخالف الخيل العراب ، عظيم الخِلقَة ، غليظ الأعضاء .

(٢) المَنّ : زِنَة رطلين .

(٣) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٤٩ .

(٤) الصُفَّة : الظُّلة ، والبَهو الواسع العالي السقف .

تُوفِّي في سنة اثنتين وأربعين ومئتين ، رحمَه الله تعالىٰ ، فإنه كان مع فَرْط شجاعته من العلماء العاملين العُبَّاد[1] .

وقال ابنُه أبو صَفْوَان : وَهَبَ المَأمونُ لأبي ثلاثينَ ألفاً ، وعَشرةَ أفْراسٍ وجارِيَةً ، فلمْ يَقبَلْها[2] .

وعن خَفيفٍ السَّمَرْقَنديِّ : قالَ : خَرجتُ مع الْمُعْتَضِدِ باللهِ للصَّيدِ ، وانقَطعَ عنه العَسكَرُ فخَرجَ علينا الأسَدُ ، فقالَ : يا خَفيفُ! أمْسِكْ فَرَسي ونَزَلَ ، فتَحزَّمَ ، وسَلَّ سَيفَه ، وقَصدَ الأسَدَ ، فقَصَدَه الأسَدُ ، فتَلقَّاهُ الْمُعْتَضِدُ ، فقَطعَ يَدَه ، فتَشاغَلَ بها الأسَدُ ، فضَربَه فَلقَ هامَتَه ، ومَسحَ سَيفَه في صُوفِه ، ورَكِبَ ، وصَحبتُه إلىٰ أنْ ماتَ ، فمَا سَمعتُه يَذكُرُ الأسَدَ ، لِقلَّة احْتِفالِه به .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ : كانَ في الْمُعْتَضِدِ حِرْصٌ ، وجَمْعٌ للمَالِ ، حارَبَ الزُّنجَ ، وله مَواقفُ مَشهودَةٌ ، وفي دَولَتِه سَكنَت الفِتَنُ ، وكانَ فَتاهُ بَدْر علىٰ شَرطَتِه ، وعُبَيدُ الله بنُ سُليمانَ علىٰ وَزارَتِه ، ومحمَّدُ بنُ شَاه علىٰ حَرَسِه ، وأسْقطَ الْمَكْسَ ، ونَشرَ العَدلَ ، وقَلَّلَ من الظُّلم ، وكانَ يُسمَّى السَّفَّاحَ الثاني ، أحْيَا رَميمَ الخِلافَة التي ضَعُفَت من مَقْتَل الْمُتَوكل ، وأنْشأ قَصْراً غَرمَ عليه أرْبَع مئة ألفِ دِينارٍ ، وكانَ مِزاجُه قد تَغيَّرَ من فَرْط الجِمَاع وعَدَم الحِمْيَة .

وكانَ أبو العَبَّاس الْمُعْتَضِدُ شَهْماً ، جَلداً ، رَجُلاً بازلاً ، مَوْصُوفاً بالرُّجْلَة والجَزالَة ، قد لَقيَ الحُروبَ ، وعُرفَ فَضلُه ، فقامَ بالأمْرِ أحْسَنَ قيام ، وهابَه النَّاسُ ورَهبُوه ، ثم عَقدَ له الْمُعْتَمِدُ مَكانَ الْمُوَفَّق ، وجَعلَ أوْلادَه تَحتَ يدِه ، ثم إنَّ الْمُعْتَمِدَ جَلسَ مَجلساً عامّاً ، أشْهَدَ فيه علىٰ نَفسه بخَلع وَلَدِه الْمُفَوَّض إلى الله جَعْفَرَ من وِلايَة عَهدِه ، وإفْرادِ أبي العَبَّاس بالعَهْد في الْمُحَرَّم[3] .

وقالَ الحاكِمُ : سَمعتُ محمَّدَ بنَ صالح بنِ هانىء يَقولُ : لَمَّا قُتلَ يَحْيَىٰ بنُ

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٠ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٥٠ .
(٣) انظر السير : (الْمُعْتَضِدُ بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠٤ .

الذُّهْليِّ ، مُنعَ النَّاسُ من حُضور مَجالِسِ الحَديثِ من جهَة أحمدَ الخُجُستاني فلَمْ يَجْسِر أحَدٌ يَحملُ مِحْبَرَةً إلىٰ أنْ وَردَ السَّريُّ بنُ خُزَيمَة ، فقامَ الزَّاهِدُ أبو عُثْمانَ الحِيري ، وجَمعَ الْمُحدِّثينَ في مَسجِدِه ، وعَلَّقَ بيَدِه مِحْبَرَةً وتَقدَّمَهم إلىٰ أنْ جاءَ خان محمش ، فأخْرَجَ السَّريَّ وأجْلسَ الْمُسْتَملي ، فحَزَرْنا مَجلِسَه زيادَة علىٰ ألفِ مِحْبَرَةً ، فلمَّا فَرغَ قاموا وقَبَّلوا رَأسَ أبي عُثْمانَ ونَثَرَ النَّاسُ عليهم الدَّراهمَ والسُّكَّرَ سَنةَ ثَلاثٍ وسَبعينَ ومئتَين[1] .

وكانَ أميرُ الْمؤمنينَ العَبَّاسيُّ الرَّاشِدُ بالله أبيضَ مَليحاً ، تامَّ الشَّكلِ ، شَديدَ الأيْدِ ، يُقالُ : إنَّه كانَ بدَارِ الخِلافَة أيْلٌ عَظيمٌ اعْترَضَه في البُسْتانِ ، فأحْجَمَ الخَدمُ ، فهَجَمَ على الأيْلِ ، وأمْسَكَ بقَرْنَيهِ ورَمَاهُ ، وطَلَبَ مِنْشاراً ، فقَطعَ قَرْنَيه[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمدِ بن سَعْد : ابنُ محمَّدُ بنُ مَرْدَنيش الجُذاميُّ الأنْدَلُسيُّ ، الْمَلكُ أبو عبدِ الله صاحِب مُرْسِيَةَ وَبَلَنْسِيَةَ[3] .

كان صِهْراً للمَلِكِ المُجاهِدِ الوَرِعِ أبي مُحمّد عبد الله بنِ عياض فلمَّا تُوفِيَ ابنُ عِياض ، اتَّفَقَ رأيُ أجْنادِه علىٰ تَقْديمِ ابن مَرْدنيش هـٰذا عليهم ، وكان صَغيرَ السِّنِّ شاباً ، لَكنَّه كان مِمَّن يُضْرَبُ بشَجاعَتِه المَثلُ وابْتُلي بجَيشِ عبدِ المُؤمن يُحارِبُونَه ، فاضْطَرَّ إلى الاسْتِعَانَة بالفِرَنْجِ فلمَّا تُوُفِّي الخَليفَةُ عبدُ المُؤمن تَمَكَّنَ ابنُ مَرْدنيش ، وقَوِيَ سُلطانُه وجَرَتْ له حُروبٌ وخُطُوبٌ .

ذَكَرَهُ اليَسَعُ في « تاريخِه » وقال : نازَلَتِ الرُّومُ المَرِيَّةَ عندَ عِلمِهِم بِمَوتِ ابنِ عِياض ، ولِكَونِ ابنِ مَرْدنيش شَاباً ، لَكنَّه عِندَهُ من الإقْدام ما لا يُوجَدُ في أحَدٍ حتىٰ أضَرَّ به في مَواضِعَ شاهَدْناها معه ، والرَّأيُ قبلَ الشَّجاعَةِ ، وإلاَّ فهُو في القُوَّةِ والشَّجاعَة في مَحلٍّ لا يَتمكَّنُ منه أحَدٌ في عَصْرِه ، ما اسْتَتَمَّ خَمسَةَ عَشَرَ عَاماً حتىٰ ظَهَرتْ شَجاعَتُه ، فإنَّ العَدُوَّ نازَلَ إفراغة ، فقَرُبَ فارِسٌ منهُم إلى السُّورِ ، فخَرَجَ

---

(١) انظر السير : (أبو عُثْمان الحِيري) ١٤/ ٦٢ـ٦٦ ، وانظر النزهة : ٤/١١٣١ .
(٢) انظر السير : (الرَّاشِدُ بالله) ١٩/ ٥٦٨ـ٥٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٥١٦ .
(٣) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/ ٢٤٠ـ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٨ .

مُحمّدٌ ، وأبُوهُ سَعدٌ لا يَعرِفُ ، فالْتَقيَا علىٰ حافَّةِ النَّهْرِ ، فضَرَبَهُ مُحمّدٌ ألقَاهُ مع حِصانِهِ في المَاءِ ، فلمَّا كان الغَدُ طَلَبَ فارِسٌ من الرُّوم مُبارَزَته ، وقال : أيْنَ قاتلُ فارِسِنا بالأمْسِ ؟ فامْتَنَعَ والِدُه من إخْراجِه له ، فلمَّا كان وَقتُ القَائِلَة وقد نَامَ أبُوهُ رَكِبَ حِصانَه ، وخَرَجَ حتّىٰ وَصَلَ إلىٰ خِيام العَدُوِّ ، فقِيلَ للمَلِك : هـٰذا ابنُ سَعد فأحْضَرَهُ مَجْلِسَه ، وأكْرَمَه وقال : ما تُريدُ ؟ قال : مَنَعَنِي أبي من المُبارَزَةِ ، فأيْنَ الذي يُبارِزُ ؟ فقال : لا تَعْصِ أبَاكَ فقالَ : لا بُدَّ فحَضَرَ المُبارِزُ فالْتَقيَا ، فضَرَبَ العِلْجُ مُحمَّداً في طارِقَتِه ، وضَرَبَ هو العِلْجَ ألْقاهُ ثمَّ أوْمَأَ إليه بالرُّمْحِ ليَقْتُلَه ، فحالَتِ الرُّومُ بينَهُما ، وأعْطاهُ المَلِكُ جائزَةً .

ومن شَجاعَتِه يَومَ نِوَلَةَ[1] : كانَ في مئة فارِس ، والرُّومُ في ألفٍ فحَملَ بنَفسِه ، فاجْتَمعَت فيه أكثرُ من عِشْرينَ رُمحاً ، فمَا قَلبوهُ ، ولَوْلا حَصَانَةُ عُدَّتِه لَهَلكَ ، فكَشفَ عنه أصْحابُه ، وانْهزَمَ الرُّومُ ، فاتَّبَعَهم من الظُّهرِ إلى اللَّيلِ ، ثم هادَنَ الرُّومَ عَشرَ سِنين .

قالَ : ولَمْ تَزَلِ الأيَّامُ تَخدمُه ، وقد اهتمَّ بجَمع الصُّنَّاعِ لآلاتِ الحُروب وللبناءِ والتَّرْخيم ، واشْتَغلَ ببناءِ القُصُورِ العَجيبَة والنُّزَه والبَساتين العَظيمَة ، وصَاهَرَ الرَّئيسَ القائدَ أبا إسْحاقَ بنَ هَمُشْك[2] .

وقالَ سِبطُ الجَوْزيِّ : كانَ الشَّيخُ اليُونينيُّ شُجاعاً ما يُبالي بالرِّجالِ قَلُّوا أو كَثُروا وكانَ قَوْسُه ثَمانينَ رَطلاً ، وما فاتَته غَزاةٌ[3] .

٢ـ أبْطَالُ الإسْلام :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ سَيفِ الله خالِدِ بنِ الوَليد : هاجرَ مُسلِماً في صَفَرَ سَنَةَ ثَمانٍ ، ثم سَارَ غَازياً ، فشَهِدَ غَزوَةَ مُؤْتَة ، واسْتُشهِدَ أُمَراءُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، الثَّلاثةُ : مَوْلاهُ زَيدٌ ، وابنُ عَمِّه جَعْفَر ذو الجَناحَيْن ، وابنُ رَوَاحَة ، وبَقيَ

---

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه : حِصنٌ من أعمال مَرْسيَة بالأنْدلُس

(٢) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/ ٢٤٠ـ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٨ .

(٣) انظر السير : (اليُونيني) ٢٢/ ١٠١ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٩ .

الجَيشُ بلا أميرٍ ، فتَأمَّرَ عَليهم في الحالِ خَالدٌ ، وأخَذَ الرَّايَةَ ، وحَملَ على العَدوِّ ، فكانَ النَّصْرُ ، وسَمَّاهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، سَيفَ الله ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ خَالِداً سَيفٌ سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكينَ » وشَهدَ الفَتحَ وحُنيناً ، وتَأمَّرَ في أيَّام النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، واحْتَبسَ أدْراعَه ولأمَتَه في سَبيلِ الله ، وحارَبَ أهْلَ الرِّدَّة ، ومُسَيْلِمَةَ ، وغَزَا العِراقَ ، واسْتَظهَرَ ، ثم اخْترقَ البَريَّةَ السَّماويَّة بحَيثُ إنَّه قَطعَ الْمَفازَةَ من حَدِّ العِراقِ إلىٰ أوَّلِ الشَّام في خَمسِ لَيالٍ في عَسْكَرٍ معه ، وشَهدَ حُروبَ الشَّامِ ، ولَمْ يَبْقَ في جَسَدِه قَيدَ شِبرٍ إلاَّ وعليه طابَعُ الشُّهَداء[1] .

عن أنَسٍ قالَ : لَمَّا كانَ يَومُ أُحُد ، انْهَزمَ نَاسٌ عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو طَلْحَةَ بينَ يَدَيه ، مُجَوِّباً عَليه بحَجَفَة[2] ، وكانَ رَامياً شَديدَ النَّزْعِ ، كَسرَ يَومَئذ قَوْسَين أو ثَلاثَة وكانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعه الجُعْبَة من النَّبْلِ ، فيَقُولُ صلى الله عليه وسلم : « انْثُرْهَا لأبي طَلْحَة » ثم يُشْرِفُ إلى القَومِ ، فيَقُولُ أبو طَلْحَة : يا نَبيَّ الله ، بأبي أنْتَ ، لا تُشْرِفْ ، لا يُصيبُكَ سَهمٌ ، نَحْري دُونَ نَحْرِكَ .

قالَ : فلَقد رَأيتُ عائشَةَ وأمَّ سُلَيم وإنَّهما لَمُشَمِّراتٍ ، أرَىٰ خَدَمَ سُوقِهما[3] ، تَنقُزان القِرَبُ علىٰ مُتونِهما[4] ، وتُفْرِغانِها في أفْوَاهِ القَوْم ، وتَرْجِعَان ، فتَمْلآنِها فلقد وَقَعَ السَّيفُ من يَدِ أبي طَلْحَةَ مرَّتَين أو ثَلاثاً من النُّعَاسِ[5] .

وقالَ أنَسٌ : كانَ أبو طَلْحَة أكثَرَ أنْصَاريٍّ بالْمَدينَة مالاً من نَخْلٍ ، فقالَ : يا رَسُولَ الله ، إنَّ أحَبَّ أمْوَالي إليَّ بَيْرُحَاءَ ، وإنَّها صَدقَةٌ لله ، أرجُو بِرَّها وذُخْرَها ، فضَعْها يا رَسُولَ الله حَيثُ أرَاكَ الله ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ

---

(١) انظر السير : (خالدُ بنُ الوَليد) ١/٣٦٦ـ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٧٨ .

(٢) الحَجَفَة : التُّرْس ومُجَوِّباً عليه : أي مُتَرِّساً عليه .

(٣) خَدَم سُوقِهما : أي الخلاخيل ، جمع خَدَمَة .

(٤) تَنقُزان : أي تَثبان ، والنَّقْزُ : الوَثْبُ كناية عن سُرعة السير ، وجملة « القِرَبُ علىٰ مُتونِها » في موضع نصب على الحال .

(٥) انظر السير : (أبو طَلْحَة الأنْصاريّ) ٢/٢٧ـ٣٤ ، وانظر النزهة : ٧/٢١٣ .

رَابِحٌ ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ »[1] .

عن أَنَسٍ : أَنَّ أبا طَلْحَةَ قَرَأَ : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[2] فقال : اسْتَنْفَرَنا اللهُ وأَمَرَنَا ، شُيُوخَنا وشَبابَنا ، جَهِّزُونِي فقال بَنُوهُ : يَرحَمُكَ اللهُ! إنَّكَ قد غَزَوْتَ علىٰ عَهْدِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وأبي بَكرٍ رضي الله عنه ، وعُمَرَ رضي الله عنه ، ونَحنُ نَغزُو عَنكَ الآن قال : فغزَا البَحرَ ، فمَاتَ ، فلَمْ يَجِدُوا له جَزِيرَةً يَدفِنُونَهُ فيها ، إلاَّ بعدَ سَبعَةِ أيَّامٍ ، فلَمْ يَتَغيَّر[3] .

عن أبي قَتَادَةَ الأنْصاريِّ ، قال : خَرَجْنا مع رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عامَ حُنَين ، فلمَّا الْتَقَيْنا ، رَأيتُ رَجُلاً قد عَلاَ المُسلمينَ ، فاسْتَدَرْتُ له من وَرَائِه ، فضَرَبْتُه بالسَّيفِ علىٰ حَبْلِ عاتِقِه[4] ضَربةً قَطَعَتْ منها الدِّرْعَ ، فأقبَلَ عليَّ وضَمَّنِي ضَمَّةً وجَدْتُ منها رِيحَ المَوتِ ، ثم أرْسَلَنِي ، وماتَ إلىٰ أنْ قالَ : فقال رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ بَيِّنَةٌ فلَهُ سَلَبُهُ » ، فقُمتُ ، فقلتُ : مَنْ يَشْهدُ لِي ؟ وقَصَصْتُ عليه ، فقالَ رجُلٌ : صَدَقَ يا رسُولَ الله ، وسَلَبُ ذلك القَتِيل عِنْدِي فأَرْضِهِ منه فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : لا ها الله[5] ، إذاً لا يَعْمِدُ إلىٰ أَسَدٍ من أُسْدِ الله يُقَاتِلُ عن اللهِ ورسُولِه صلى الله عليه وسلم فيُعْطِيكَ سَلَبَه! فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « صَدَقَ » فأعْطانِيه ، فبِعْتُ الدِّرعَ ، وابْتَعتُ به مَخْرَفاً[6] في بَنِي سَلَمَة ، فإنَّه لأَوَّلُ مالٍ تَأَثَّلْتُه[7] في الإسْلام[8] .

وقالَ عكرمةُ بنُ عمَّار : حدَّثني عبدُ الله بنُ عُبَيد بنِ عُمَير : أنَّ عُمَرَ بَعثَ أبا قَتادَة

---

(1) انظر السير : (أبو طَلْحَة الأنْصاريّ) ٢/ ٢٧ـ ٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٢١٤ .
(2) سورة التوبة ، الآية : ٤١ .
(3) انظر السير : (أبو طَلْحَة الأنْصاريّ) ٢/ ٢٧ـ ٣٤ ، وانظر النزهة : ٣/٤١٢ .
(4) « علىٰ حَبل عاتِقِه » : حبلُ العاتِق : عصبه ، والعاتق : موضع الرداء من المنكب .
(5) لا ها الله : أي لا والله ، فالهاء هنا بمنزلة الواو .
(6) المخرف : البستان ، وسُمِّي بذلك لأنه يُخترف منه الثمر ، أي : يُجْتَنَىٰ .
(7) تأثَّلته : أي اقتنيته .
(8) انظر السير : (أبو قَتادَة الأنْصاريّ السلمي) ٢/ ٤٤٩ـ ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٤/ ٩٨٢ .

الأنْصاريّ ، فقتَلَ مَلكَ فارِس بيَدِه ، وعَليه مِنْطَقَة قيمَتُها خَمسةَ عَشرَ ألفاً ، فنفَلها إيّاهُ عُمَرُ .

ماتَ أبو قَتادَة سَنةَ أرْبَع وخَمسين[1] .

قال ابنُ الزُّبَيْر : هَجمَ عَلينا جُرْجيرُ في عِشرينَ ومئةِ ألْفٍ ، فأحاطُوا بنا ونَحنُ في عِشرينَ ألفاً ـ يَعني : نَوبَةَ إفْريقية .

قالَ : واخْتَلفَ النَّاسُ على ابنِ أبي سَرْح ، فدَخَلَ فُسْطاطَه ، فرَأيتُ غِرَّةً من جُرْجيرَ ، بَصُرْتُ به خَلفَ عَساكِرِه علىٰ بِرْذَوْنٍ أَشْهَب ، مَعه جاريتان تُظَلِّلانِ عليه بِريشِ الطَّواويسِ ، بينَه وبينَ جَيشِه أرْضٌ بَيْضاء ، فأتَيتُ أميرَنا ابنَ أبي سَرْح ، فنَدَبَ لِيَ النَّاسَ ، فاخْتَرتُ ثَلاثينَ فارِساً ، وقُلتُ لسَائِرهم : الْبَثوا علىٰ مَصافِّكُم ، وحَمَلتُ : وقُلتُ لهم : احْمُوا ظَهْري ، فخَرَقْتُ الصَّفَّ إلىٰ جُرْجيرَ وخَرجتُ صامِداً ، وما يَحْسِبُ هو ولا أصْحابُه إلاَّ أنِّي رَسُولٌ إليه ، حتَّىٰ دَنَوْتُ منه فعَرَفَ الشَّرَّ فثابَرَ بِرْذَوْنَه مُوَلِّياً ، فأدْرَكتُه ، فطَعَنتُه ، فسَقطَ ، ثم احْتَزَزتُ رَأسَه فنَصَبتُه علىٰ رُمْحي ، وكَبَّرتُ وحَملَ الْمُسلمونَ ، فارْفَضَّ العدوُّ ومَنحَ اللهُ أكْتافَهُم[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْر بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ : الهَاشِميُّ ، ابنُ عَمِّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمُّه عاتِكَةُ بنتُ أبي وَهْب الْمَخْزوميَّة ، من مُسْلِمَةِ الفَتْح[3] .

لا نَعلَمُ له رِوايَة كانَ مَوْصُوفاً بالشَّجاعَة والفُروسيَّة .

ولَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم كانَ لهَـٰذا نَحو من ثَلاثينَ سَنةً .

عن أبي الحُوَيْرِث قالَ : أوَّلُ مَنْ قُتلَ يومَ أجْنادينَ بِطْريقٌ ، بَرزَ يَدعُو إلى البرازِ ، فبَرَزَ إليه عبدُ الله بنُ الزُّبَير بنُ عبدِ الْمُطَّلِب ، فاخْتَلفَا ضَرَباتٍ ، ثم قَتَلَه عبدُ الله ، ثم بَرَزَ آخَرُ ، فضَربَه عبدُ الله علىٰ عاتِقِه وقالَ : خُذْها وأنا ابنُ عبدِ الْمُطَّلِب ، فأثْبَتَه ،

---

(١) انظر السير : (أبو قَتادَة الأنْصاريّ السلمي) ٢/ ٤٤٩ـ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ١/٢٩٠ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر) ٣/ ٣٦٣ـ ٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٦/٣٩٥ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر بنُ عبد الْمُطَّلب) ٣/ ٣٨١ـ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ١/٣٩٨ .

وقَطعَ سَيفُه الدِّرعَ ، وأشْرعَ في مِنْكَبِه ، ثم وَلَّى الرُّومي مُنْهَزِماً .

وعَزمَ عليه عَمرُو بنُ العاصِ أنْ لا يُبارِزَ ، فقالَ : لا أصْبرُ ، فلمَّا اخْتلطَت السُّيوفُ ، وُجدَ في رِبضَة من الرُّوم عَشرةِ مَقْتُولاً ، وهم حَولَه ، وقائمُ السَّيفِ في يَدِه قد غَرِيَ[1] ، وإنَّ في وَجهِه لثلاثينَ ضَربَةً .

وأجْنادينُ كانت سَنةَ ثَلاثَ عَشرة[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمةِ البطال : رَأسُ الشُّجْعانِ والأبْطالِ أبو محمَّد عبدُ الله البطال ، وقيلَ : أبو يَحْيَىٰ ، من أعيانِ أُمَراءِ الشَّاميِّين[3] .

وكانَ شَاليشَ الأميرِ مَسْلَمَةَ بنِ عبدِ الْمَلِك ، وكانَ مَقرُّه بأنْطَاكيَة ، أوْطَأ الرُّومَ خَوْفاً وذُلاً ولكن كُذِبَ عليه أشْياءُ مُستَحيلَة في سِيرَتِه الْمَوضوعَة[4] .

وعن عبدِ الْمَلِك بنِ مَرْوانَ أنَّه أوْصَىٰ مَسْلَمَةَ أنْ صَيِّرْ علىٰ طَلائعِكَ البطال ومُرهُ فليَعُسَّ باللَّيلِ ، فإنَّه أميرٌ شُجاعٌ مِقْدامٌ .

وقالَ رَجلٌ : عَقَدَ مَسْلَمَةُ للبطالِ علىٰ عَشرةِ آلاف ، وجعلهم يَزْكاً[5] . ،[6] .

عن البطال ، قالَ : اتَّفقَ لي أنَّا أتينا قَريةً لنُغِيرَ ، فإذا بيتٌ فيه سِراجٌ وصَغيرٌ يَبكي ، فقالت أمُّه : اسْكُتْ ، أو لأدْفعَنَّك إلى البطالِ فبَكَىٰ فأخَذَتْه من سَريرِه ، وقالت : خُذْهُ يا بطالُ فقلتُ : هاتِه[7] .

وجَرَت له أعَاجيبُ وفي الآخِرِ أصْبحَ في مَعرَكةٍ مَثْخُوناً وبه رَمَقٌ فجاءَ الْمَلكُ لِيُونْ ، فقالَ أبا يَحْيَىٰ : كيفَ رَأيتَ ؟ قالَ : وما رَأيتُ ؟ كذلكَ الأبْطالُ تَقتُلُ وتُقتَلُ ، فقالَ : عليَّ بالأطبَّاء ، فأتَوا فوَجَدُوه قد أنفذَت مَقاتِلُه ، فقالَ : هلْ لكَ حاجَةٌ ؟

---

(١) غَرِيَ : أي لَزِقَ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الزُّبَيْر بنُ عبد الْمُطَّلب) ٣/ ٣٨١-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٣٩٨ .

(٣) انظر السير : (البطال) ٥/ ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٠ .

(٤) انظر السير : (البطال) ٥/ ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٠ .

(٥) اليَزْك : طلائع الجَيش ، والكلمة فارسية .

(٦) انظر السير : (البطال) ٥/ ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٨/٦٠٠ .

(٧) انظر السير : (البطال) ٥/ ٢٦٨-٢٦٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٠١ .

قالَ : تأمُرُ مَنْ يَثبتُ معي بولايتي وكَفَني والصَّلاةِ عليّ ثم تُطلِقُهم ، ففَعلَ .

قُتلَ سَنةَ اثنتَيْ عَشرَةَ ، وقيلَ : سَنةَ ثَلاثَ عَشرَةَ ومئَة[1] .

مَعْن بنُ زائدَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : أميرُ العَرَب ، أبو الوَليد الشَّيْبانيُّ ، أحدُ أبْطال الإسْلام ، وعَينُ الأجْواد[2] .

كان من أُمَراء مُتَوَلِّي العِراقَيْن[3] يَزيدُ بنُ عُمَر بنِ هُبَيرة ، فلمَّا تَملَّك آلُ العبَّاسِ اخْتَفىٰ مَعْنُ مُدَّة ، والطَّلبُ عليه حَثيثٌ ، فلمَّا كانَ يَومُ خُروجِ الرِّيوَنْديَّة[4] والخُراسانيَّة على الْمَنصورِ ، وحَمِيَ القِتالُ ، وحارَ الْمَنْصورُ في أمْرِه ، ظَهَرَ مَعْنُ وقاتَلَ الرِّيوَنْديَّة ، فكانَ النَّصْرُ علىٰ يَدِه ، وهو مُقَنَّعٌ في الحَديدِ ، فقالَ الْمَنْصورُ : وَيْحَكَ مَنْ تَكونُ ؟ فكَشفَ لثَامَه وقالَ : أنا طِلْبَتُك مَعْنٌ فسُرَّ به ، وقَدَّمه وعَظَّمه ثم وَلاَّه اليَمنَ وغَيرَها[5] .

قالَ بَعضُهم : دَخلَ مَعنُ على الْمَنْصورِ فقالَ : كَبُرت سنُّك يا مَعْنُ قالَ : في طاعَتِك قالَ : إنَّك لتَتجلَّدُ قالَ : لأعْدائِكَ قالَ : وإنَّ فيكَ لبَقيَّة قال : هي لكَ يا أميرَ المؤمنين .

ولِمَعْن أخْبارٌ في السَّخاءِ ، وفي البَأسِ والشَّجاعَة ، ولَه نَظمٌ جَيِّدٌ .

ثم وَلِيَ سِجِسْتانَ ، فوَثَبت عليه خَوارِجُ وهو يَحْتَجِمُ ، فقَتلُوه ، فقَتلَهم ابنُ أخيه يَزيدُ بنُ مَزْيَد الأميرُ في سَنةِ اثنتَين وخَمسينَ ومئَة[6] .

---

(١) انظر السير : (البطال) ٥/ ٢٦٨ـ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٦٠١/ ٢ .

(٢) انظر السير : (مَعْنُ بنُ زائدَة) ٧/ ٩٧ـ٩٨ ، وانظر النزهة : ٦٨٠/ ٢ .

(٣) العِراقان : الكوفة والبصرة .

(٤) في الطبري : (٧/ ٥٠٥) الرواندية ، وهم قوم من أهل خراسان ، كانوا علىٰ رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم ، يقولون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبريل ، وكان خروجهم سنة ١٤١هـ .

(٥) انظر السير : (مَعْنُ بنُ زائدَة) ٧/ ٩٧ـ٩٨ ، وانظر النزهة : ٦٨٠/ ٣ .

(٦) انظر السير : (مَعْنُ بنُ زائدَة) ٧/ ٩٧ـ٩٨ ، وانظر النزهة : ٦٨٠/ ٤ .

أحْمَدُ بنُ إسْحاقَ السُّرْماريُّ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : الإمامُ الزَّاهِدُ ، العَابِدُ المُجَاهِدُ ، فارِسُ الإسْلام أبو إسْحاقَ ، من أهْلِ سُرْماري ، من قُرىٰ بُخَارَىٰ وكان أَحَدَ الثِّقاتِ ، وبشَجَاعَتِه يُضْرَبُ المَثَلُ[1] .

وقال إبراهيمُ بنُ عَفَّانَ البَزَّار : كُنتُ عندَ أبي عبدِ الله البُخَاريّ فجَرَىٰ ذِكرُ أبي إسْحَاقَ السُّرْمارِيّ ، فقال : ما نَعْلَمُ في الإسْلام مِثْلَه فخَرَجْتُ فإذا أُحَيْدُ رَئِيسُ المُطَّوِّعَة ، فأَخْبَرتُه ، فغَضِبَ ودَخَلَ على البُخَاريّ ، وسَألَه فقال : ما كذا قُلتُ ، بل : ما بَلَغَنا أنَّه كان في الإسْلامِ ولا في الجَاهِلِيَّةِ مِثلُه .

وقال ابنُه أبو صَفْوَانُ : دَخَلتُ علىٰ أبي يوماً ، وهو يَأكُلُ وحْدَه فرَأَيْتُ في مائِدَتِه عُصْفُوراً يأكُلُ معَه ، فلمَّا رَآنِي طَارَ[2] .

وعن أحمَدَ بنِ إسْحاقَ قال : يَنْبَغِي لقائِدِ الغُزَاةِ أنْ يكونَ فِيه عَشْرُ خِصالٍ : أنْ يكونَ في قَلبِ الأَسَدِ لا يَجْبُن ، وفي كِبْرِ النَمِر لا يَتَوَاضَع ، وفي شَجَاعَةِ الدُّبّ يَقْتُلُ بجَوَارِحِهِ كُلِّها ، وفي حَمْلَةِ الخِنْزِيرِ لا يُوَلِّي دُبُرَه ، وفي غارَةِ الذِّئْبِ إذا أَيِسَ من وَجْهٍ أغَارَ من وَجْه ، وفي حَمْلِ السِّلاح كالنَّملَةِ تَحْمِلُ أكْثَرَ من وَزْنِها ، وفي الثَّبَاتِ كالصَّخْرِ ، وفي الصَّبرِ كالحِمارِ ، وفي الوَقَاحَةِ كالكَلْبِ لو دَخَلَ صَيْدُه النَّارَ لدَخَلَ خَلفَه ، وفي التِماسِ الفُرصَةِ كالدِّيك .

وكانَ إبراهيمُ بنُ شِمَاسٍ يقولُ : كُنتُ أُكاتِبُ أحمَدَ بنَ إسْحاقَ السُّرْمَارِيّ ، فكَتَبَ إليَّ : إذا أَرَدْتَ الخُرُوجَ إلىٰ بلادِ الغُزِيّة في شِراءِ الأَسْرَىٰ ، فاكْتُبْ إليَّ فكَتَبتُ إليه ، فقَدِمَ سَمَرْقَنْدَ ، فخَرَجْنَا ، فلمَّا عَلِمَ جَعْبَوَيْه ، استَقْبَلَنا في عِدَّةٍ من جُيُوشِه ، فأَقَمْنا عِندَه ، فعَرَضَ يوماً جَيْشَه ، فمرَّ رجلٌ فعَظَّمَه وخَلَعَ عليه ، فسَأَلَني عنه السُّرْمارِيّ فقُلتُ : هٰذا رجلٌ مُبارِزٌ ، يُعَدُّ بألفِ فارسٍ قال : أنا أُبارِزُه فسَكَتُّ فقال جَعْبَوَيْه :

---

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٨ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٩ .

ما يقولُ هٰذا ؟ قُلتُ يقولُ : كَذَا وكَذَا قال : لَعَلَّه سَكْرانٌ لا يَشْعُر ، ولكن غَدَاً نَركَبُ فلمَّا كان الغَدُ رَكِبُوا ، فرَكِبَ السُّرْمارِيُّ معَه عَمُودٌ في كُمِّه فقامَ بإزاء المُبارِز فقَصَدَه ، فهَرَبَ أحمَدُ حتّىٰ باعَدَهُ من الجَيْشِ ، ثمَّ كَرَّ وضَرَبَه بالعَمُودِ فقَتَلَه ، وتَبِعَ إبراهيمَ بنَ شِمَاسٍ ، لأنَّه كان قد سَبَقَه فلَحِقَه ، وعَلِمَ جَعْبَوَيْه ، فجَهَّزَ في طلبه خمسِينَ فارساً نَقَاوةً ، فأدْرَكُوه ، فثَبُتَ تحتَ تَلٍ مُخْتَفِياً حتّىٰ مَرُّوا كُلُّهم واحِداً بعدَ واحِد ، وجَعَلَ يَضْرِبُ بعَمُودِه من وراءِهم إلىٰ أنْ قَتَلَ تسْعَةً وأربعِينَ ، وأَمْسَكَ واحِداً ، قَطَعَ أنْفَه وأُذُنَيْه ، وأَطْلَقَه ليُخْبِر ، ثمَّ بعدَ عامَيْن تُوُفِّي أحمدُ ، وذَهَبَ ابنُ شِمَاسٍ في الفِداءِ ، فقال له جَعْبَوَيْه : مَنْ ذَاكَ الذي قَتَلَ فُرسانَنا ؟ قال : ذاكَ أحمدُ السُّرْماريّ قال : فلِمَ لَمْ تَحمِلْه مَعَكَ ؟ قُلتُ : تُوُفِّيَ ، فَصَكَّ في وَجْهِي ، وقال : لَوْ أَعْلَمْتَنِي أنَّه هو لكُنتُ أُعْطِيهِ خَمْسَ مئةِ بِرْذَوْن[1] وعَشْرَةَ آلافِ شاة .

وعن عِمْرانَ بنِ مُحمَّد المطَّوعيّ : سَمعتُ أبي يقولُ : كان عَمُودُ المطَّوِّعيِّ السُّرْماريّ وزْنُه ثمانِيَةَ عَشْرَةَ مَنّاً[2] ، فلمَّا شَاخَ جَعلَه اثنَيْ عَشْرَ مَنّاً ، وكان به يُقاتِلُ[3] .

وعن عُبيد الله بنِ واصل ، سَمعتُ أحمدَ السُّرْماريَّ يقولُ ، وأخرجَ سَيْفَه ، فقال : أعلَمُ يَقيناً أنِّي قَتلتُ به ألفَ تُركيّ ، وإنْ عِشْتُ قَتلتُ به ألفاً أخْرىٰ ، ولولا خَوْفي أن يكونَ بدعةً لأمَرتُ أن يُدفَن معي .

وعن محمودِ ابنِ سَهْل الكاتب ، قال : كانوا في بعض الحروب يحاصِرون مكاناً ، ورئيسُ العدوِّ قاعدٌ علىٰ صُفَّة[4] ، فرمى السُّرماريُّ سَهْماً ، فغرزَه في الصُّفَّة ، فأوْمأ الرئيسُ لينزعه ، فرماه بسَهمٍ آخر خاطَ يدَه ، فتطاوَلَ الكافرُ لينزعَه من يده ، فرماه بسَهمٍ ثالثٍ في نَحرِه ، فانهزَمَ العَدوُّ ، وكان الفتح .

---

(١) البِرْذَوْن : ضرب من الدواب ، يخالف الخيل العراب ، عظيم الخِلقَة ، غليظ الأعضاء .

(٢) المَنّ : زِنَة رطلين .

(٣) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٤٩ .

(٤) الصُفَّة : الظُلة ، والبَهو الواسع العالي السقف .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أخبارُ هـٰذا الغازي تسُرُّ قلبَ المسلم .

تُوفِّي في سنة اثنتين وأربعين ومئتين ، رحمَه الله تعالىٰ ، فإنه كان مع فَرْط شجاعته من العلماء العاملين العُبَّاد[1] .

وقال ابنُه أبو صَفْوَانُ : وَهَبَ المَأمونُ لأبي ثلاثينَ ألفاً ، وعَشرةَ أفْراسٍ وجارِيَةً ، فلمْ يَقبَلْها[2] .

أبو عبدِ الله مَرْدَنيش :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : الزَّاهِدُ الْمُجاهِدُ ، أبو عبدِ الله ، محمَّدٌ الجُذاميُّ الْمَغربيُّ .

كانَ مَعه عدَّة رجال أبْطال يُغيرُ يَمنَةً ويَسْرةً ، وكانوا يَحرُثونَ علىٰ خَيلِهم كما يَحرُثُ أهلُ الثَّغرِ ، وكانَ أميرُ الْمُسلمينَ ابنُ تاشفينَ يَمدُّهم بالْمَالِ والآلاتِ ، ويَبرُّهم .

ولِمَرْدَنيشَ مَغازي ومَواقِفُ مَشْهودَةٌ وفَضائلُ[3] .

فمن عَجيبِ ما صَحَّ عندي[4] من مَغازيهِ أنَّه أغارَ يوماً ، فغَنمَ غَنيمَةً كثيرَة ، واجْتَمعَ عَليه من الرُّوم أكثَرُ من ألفِ فارِسٍ ، فقَالَ لأصْحابِه وكانوا ثَلاثَ مئة فارِس : ما تَرَونَ ؟ فقالوا : نَشغَلُهم بتَركِ الغَنيمَة قالَ : أَلَمْ يَقُلْ القَائلُ : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾[5] فقالَ له ابنُ مُورين : يا رَئِيسُ ، اللهُ قالَ هـٰذا! فقالَ : اللهَ يَقولُ هـٰذا وتَقعُدُونَ عن لِقائهِم ؟! قالَ : فثَبَتُوا ، فهَزَمُوا الرُّومَ .

وفي سَنَةِ سَبعٍ وعِشرينَ وخَمسَةِ مئة سارَ ابنُ رُذْمير ، فنازَلَ مَدينَةَ إفراغة[6] وبها ابنُ مَرْدَنيش ، وطالَ الحِصَارُ ، فكَتَبُوا إلىٰ أميرِ الْمُسلمين ابنِ تاشفينَ ليُغيثَهم ، فكَتَبَ إلى

---

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١٠٥٠/ ١ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١٠٥٠/ ٢ .
(٣) انظر السير : (أبو عبد الله مَرْدَنيش) ٢٠/ ٢٣٢ـ ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ١٥٤٤/ ٥ .
(٤) الكلام هنا لليَسع بن حَزْم .
(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦٥ .
(٦) مدينة بالأندلُس من أعمال ماردة ، كثيرة الزيتون .

ابنِه تَاشَفينَ بنِ عَليٍّ وإلى الأميرِ يَحْيَى ابنِ غانيَة بإغاثَتِهم ، وإدْخالِ الْميرَةِ إليهم ، فتهيَّأ لنَجدَتِهم أرْبَعةُ آلافٍ ، فما وَصَلوا إلىٰ إفراغة إلاَّ وقد فَنِيَ ما بها ، ولَمْ يَبْقَ لابنِ مَرْدَنيشَ سِوَىٰ حِصانٌ فذبَحَه لَهم ، فحَصلَ لكُلِّ واحدٍ أوقيَة أوقيَة .

قالَ اليَسَعُ : فحدَّثني الْمَلكُ الْمُجاهِدُ ابنُ عِياض حَديثَ هٰذه الغَزاة قالَ : لَمَّا وَصلَ أبو زَكريّا يَحْيَىٰ بنُ غانيَة مَدينَةَ زَيْتونَة ، خَرجْتُ إليه من لارِدَةَ مع فُرسَاني ، فقالَ : أشيروا عليَّ ، فقُلتُ : الصَّوابُ جَمعُ جُندِ الأنْدَلُسِ تحتَ رَايَةٍ وَاحِدَة ، وهِلالُ وسُليمُ تَحتَ رَايَةٍ أُخْرَىٰ ، ويَتقدَّمُ الزُّبَيرُ بنُ عُمَرَ بأهْلِ الْمَغربِ وبالدَّوابِّ التي تَحمِلُ الأقْوَاتَ ، مَعَهم الطُّبُولُ والرَّاياتُ ، ونَبقَىٰ نَحنُ والعَربُ كَميناً عن يَمينِ الجَيشِ ويَساره فإذا أبْصَرَ اللَّعينُ الرَّاياتِ والطُّبُولَ والزَّمْرَ حَملَ عليه ، فنكرُّ عليه من الجِهَتَينِ قالَ : فصَلَّينا الصُّبحَ في لَيلَةِ سَبعٍ وعِشْرينَ من رَمَضانَ سَنَةَ سَبعٍ وعِشرينَ وخَمسٍ مئة ، وأبْصرَ اللَّعينُ الجَيشَ وقد اسْتراحَ من جِراحَاتِه وكانَ عَسْكرُه إذ ذاكَ أرْبَعةً وعِشرينَ ألْفَ فارس سِوَىٰ أتْباعِهم ، فقَصَدوا الطُّبُولَ ، فانْكَسَروا وتَفرَّقوا ـ يَعني الْمُسلمينَ ـ فأتَينا الرُّومَ عن أيْمانِهم ، ونَزَلَ النَّصْرُ وعَملَ السَّيفُ في الرُّوم حتَّىٰ بَقِيَ ابنُ رُذْمير في نَحْو أرْبَعِ مئة فارِس ، فلَجَؤوا إلىٰ حِصْنٍ لهم ، وباتَ الْمُسلمُونَ عليه ، ثم هَلكَ غَمّاً ، وأصَابه مَرضٌ ؛ ماتَ بعدَ خَمسةَ عَشرَ يَوماً من هَزيمَتِه فلا رَحمَهُ الله[1] .

محمد بن سعد بن مردنيش :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمدِ بن سَعْد : ابنُ محمَّدِ بنِ مَرْدَنيش الجُذاميُّ الأنْدَلُسيُّ ، الْمَلكُ أبو عبدِ الله صاحِب مُرْسِيَةَ وَبَلَنْسِيَةَ[2] .

كان صِهْراً للمَلِكِ الْمُجاهِدِ الوَرِعِ أبي مُحمّد عبد الله بنِ عياض فلمَّا تُوفِيَ ابنُ عِياض ، اتَّفَقَ رأيُ أجْنادِه علىٰ تَقْديمِ ابن مَرْدنيش هٰذا عليهم ، وكان صَغيرَ السِّنِّ شاباً ، لَكنَّه كان مِمَّن يُضْرَبُ بشَجاعَتِه المَثلُ وابْتُلي بجَيشِ عبدِ المُؤمن يُحارِبُونَه ،

---

(١) انظر السير : (أبو عبد الله مَرْدَنيش) ٢٠/ ٢٣٢ـ ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٥ .

(٢) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/ ٢٤٠ـ ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٨ .

فاضْطَرَّ إلى الاسْتِعَانَة بالفِرَنْجِ فلمَّا تُوُفِّي الخَليفَةُ عبدُ المُؤمن تَمَكَّنَ ابنُ مَرْدنيش ، وقَوِيَ سُلطانُه وجَرَتْ له حُروبٌ وخُطُوبٌ .

ذَكَرَهُ اليَسَعُ في « تاريخِه » وقال : نازَلَتِ الرُّومُ المَرِيَّةَ عندَ عِلمِهم بِمَوتِ ابنِ عِياض ، ولِكَونِ ابنِ مَرْدنيش شَاباً ، لَكنَّه عِندَهُ من الإقْدام ما لا يُوجَدُ في أحَدٍ حتىٰ أضَرَّ به في مَواضِعَ شاهَدْناها معه ، والرَّأيُ قبلَ الشَّجاعَةِ ، وإلاَّ فهُو في القُوَّةِ والشَّجاعَة في مَحلٍّ لا يَتمكَّنُ منه أحَدٌ في عَصْرِه ، ما اسْتَتَمَّ خَمسَةَ عَشَرَ عَاماً حتىٰ ظَهرتْ شَجاعَتُه ، فإنَّ العَدُوَّ نازَلَ إفراغة ، فقَرُبَ فارسٌ منهُم إلى السُّورِ ، فخَرَجَ مُحمّدٌ ، وأبُوهُ سَعدٌ لا يَعرِفُ ، فالْتَقَيَا علىٰ حافَّةِ النَّهْرِ ، فضَرَبَهُ مُحمّدٌ ألقَاهُ مع حِصانِهِ في المَاءِ ، فلمَّا كان الغَدُ طَلَبَ فارسٌ من الرُّومِ مُبارَزَتَه ، وقال : أيْنَ قاتلُ فارِسِنا بالأمْسِ ؟ فامْتَنَعَ والِدُه من إخْراجِه له ، فلمَّا كان وَقتُ القَائِلَة وقد نَامَ أبُوهُ رَكِبَ حِصانَه ، وخَرَجَ حتّىٰ وَصَلَ إلىٰ خِيامِ العَدُوِّ ، فقِيلَ للمَلِك : هـٰذا ابنُ سَعد فأحْضَرَهُ مَجْلِسَه ، وأكْرَمَه وقال : ما تُريدُ ؟ قال : مَنَعَنِي أبي من المُبارَزَةِ ، فأيْنَ الذي يُبارِزُ ؟ فقال : لا تَعْصِ أبَاكَ فقالَ : لا بُدَّ فحَضَرَ المُبارِزُ فالْتَقَيَا ، فضَرَبَ العِلْجُ مُحمَّداً في طارِقَتِه ، وضَرَبَ هو العِلْجَ ألْقاهُ ثمَّ أوْمَأَ إليه بالرُّمْحِ ليَقْتُلَه ، فحالَتِ الرُّومُ بينَهُما ، وأعْطاهُ المَلِكُ جائِزَةً .

ومن شَجاعَتِه يَومَ نِوَلَةَ[1] : كانَ في مئة فارِس ، والرُّومُ في ألفٍ فحَملَ بنَفسِه ، فاجْتَمعَت فيه أكثرُ من عِشْرينَ رُمحاً ، فمَا قَلبوهُ ، ولَوْلا حَصَانَةُ عُدَّتِه لَهَلَكَ ، فكَشفَ عنه أصْحابُه ، وانْهزَمَ الرُّومُ ، فاتَّبَعَهم من الظُّهرِ إلى اللَّيلِ ، ثم هادَنَ الرُّومَ عَشرَ سِنين .

قالَ : ولَمْ تَزَلِ الأيَّامُ تَخدمُه ، وقد اهتمَّ بجَمعِ الصُّنَّاعِ لآلاتِ الحُروب وللبناءِ والتَّرْخيم ، واشْتَغلَ ببناءِ القُصُورِ العَجيبَة والنُّزَه والبَساتين العَظيمَة ، وصَاهَرَ الرَّئيسَ القائدَ أبا إسْحاقَ بنَ هَمُشْك[2] .

---

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه : حِصنٌ من أعمال مَرْسيّة بالأنْدلُس .

(٢) انظر السير : (محمد بن سعد) ٢٩/ ٢٤٠ـ ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٨ .

من الأبطال الذين كانوا ضالّين فتابوا :

أبو القاسم هِلال :

قال اليسعُ بنُ حَزْم : حدَّثني عنه[1] أبو القاسم هِلالُ أحَدُ وُجُوه العَرب قالَ : كان بَيني وبَينَ الْمُرابِطينَ أمر أَلْجَأني إلى الوُفودِ على ابنِ رُذْمير ، فرحَّب بي ، وأمَرَ لي براتبٍ كَبير فحَضرتُ معه حَرْباً طُعِنَ عنه حِصانُه ، فوقَفتُ عليه ذابَّاً عن حَوْزَتِه فلمَّا انْصَرفنا إلىٰ رشْقَة أمرَ الصَّوَّاغينَ بعَملِ كأسٍ من ذَهَبٍ رَصَّعَه بالدُّرِّ ، وكتبَ عليه : « لا يَشْربُ منه إلاَّ مَنْ وَقَفَ علىٰ سُلْطانِه » فحضَرتُ يوماً فأخْرَجَ الكأسَ ، وملأه شَراباً ، وناوَلَني بحَضْرَة ألفِ فارس ، ورَأيتُ أعْناقَهم قد اسْوَدَّت من صَدأ الدُّروعِ قال : فنادَيتُ ، وقُلتُ : غَيري أحَقُّ به ، فقالَ : لا يَشْرَبُ هـٰذا إلاَّ مَنْ عَملَ عَمَلَك .

وكان هِلالٌ هـٰذا من قَريَة هِلالِ بنِ عامِر ، تابَ بعدُ وغَزا مَعَنا ، فكانَ إذا حَضرَ في الصَّفِّ جَبَلاً راسياً يَمْنَعُ تَهائمَ الجُيوشِ أنْ تَميدَ ، وقَلْباً في البَسَالَة قَاسياً ، يَقولُ في مُقارَعَةِ الأبْطَالِ: هَلْ مِنْ مَزيد ؟ أبْصرتُه ـ رَحمَهُ اللهُ ـ أُمَّةً وَحْدَه ، يَتحامَاهُ الفَوارِسُ[2] .

٣ـ من الشَّجَاعَة القُوَّة في الحَقِّ :

قالَ مُحمَّدُ بنُ سَعْد بن أبي وَقَّاص ، عن أبيه ، أنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : « إيهاً يا ابنَ الخَطَّابِ ، فَوَالذِّي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً[3] إلاَّ سَلَكَ غَيْرَ فَجِّكَ »[4] .

وعن أمِّ الْمؤمنينَ عائشةَ ، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : « إنَّ الشَّيْطَانَ يَفْرَقُ مِنْ عُمَرَ »[5] .

---

(١) الضمير عائد على ابنِ رُذمير اللعين ، صاحب مملكة أرَغونة من شرق الأندلس ، كان قسِّيساً مُجرّباً داهية مُترَهِّباً ، قوي علىٰ بلاد ابن هود وطواها .

(٢) انظر السير : (عماد الدولة بن هود) ٢٠/ ٣٧ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٢٤ .

(٣) الفَجُّ : الطريق .

(٤) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٥/ ٤ .

(٥) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٤٥/ ٥ .

وقالَ زِرٌّ : كانَ ابنُ مَسْعودٍ يَخْطبُ ويَقولُ : إنِّي لأَحْسَبُ الشَّيْطانَ يَفْرَقُ من عُمَرَ أنْ يُحْدِثَ حَدثاً فيَرُدَّه ، وإنِّي أحْسَبُ عُمَرَ بَينَ عَيْنَيْهِ مَلَكٌ يُسدِّدُه ويُقوِّمُه[1] .

وقالَ أنَسُ بنُ مالِك : قالَ لي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكر ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ »[2] .

العَدْل

١ـ العَدْل شَأْنُه عَظيم :

عن الشَّعْبيِّ ، قالَ مَسْروقٌ : لأنْ أُفْتيَ يَوماً بعَدلٍ وحَقٍّ ، أحَبُّ إليَّ من أنْ أغْزُوَ سَنةً[3] .

٢ـ صُورَةٌ علىٰ إقَامَة العَدْل :

ذَكرَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ السُّلطانِ العَزيزِ ، عُثمان بن السُّلطان صَلاح الدِّين بن أيُّوب ، قال ابنُ واصِل : وحُكيَ عنه أنَّ عبدَ الكَريمِ ابنَ البيسانيِّ أخا القاضي الفاضِل كان يَتولَّى البحيرَةَ مُدّةً ، ووَقعَ بينَه وبينَ أخيه ، فعُزِلَ ، وكان مُزَوَّجاً ببِنْتِ ابن ميَسَّر ، فأساءَ عِشْرَتَها لسُوءِ خُلقِه ، فتَوجَّه أبوها ، وأثْبَتَ عند قاضي الإسْكَنْدَريَّة ضَررَها ، وأنَّه قد حَصَرَها في بَيتٍ ، فمَضَى القاضي بنفسِه ، ورامَ أنْ يَفْتَحَ عَنها ، فلَمْ يَقْدرْ ، فأَحْضَرَ نَقَّاباً ، فنَقَبَ البيتَ ، وأخْرَجَها ، ثم سَدَّ النَّقْبَ ، فهَاجَ عبدُ الكَريمِ ، وقَصدَ الأميرَ جهاركسَ بمِصْرَ ، وقالَ : هـٰذه خَمسَةُ آلاف دينار لك ، وأَرْبَعُونَ أَلْفَ دينارٍ للسُّلطانِ ، وأُوَلَّىٰ قَضاءَ الإسْكَنْدَريَّة فأتَى العَزيزَ لَيلاً ، وأحْضَرَ الذَّهَبَ ، فسَكتَ ، ثم قالَ : رُدَّ عليه مالَه ، وقُلْ له : إيَّاكَ والعَودَ إلىٰ مثلِها ، فمَا كلُّ مَلكٍ يَكونُ عادِلاً ، أنا ما أبيعُ أهلَ الإسْكَنْدَريَّة بهـٰذا الْمَالِ قال جهاركسُ : فوَجَمتُ ، وظَهرَ عليَّ ، فقالَ :

---

(١) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٦/٤٥ .
(٢) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٢/٤٦ .
(٣) انظر السير : (مَسْروق) ٤/٦٣ـ٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٤٤٥ .

أراكَ أخَذْتَ شَيئاً ، قُلتُ : نعَم خَمسةَ آلافِ دينارٍ ، قال : أعْطَاكَ مالاً يَنفَعُ مرَّةً ، وأنا أُعْطيكَ ما تَنْتَفِعُ به مرَّاتٍ ، ثم وَقَّعَ لي بإطْلاقِ طُنبذة[1] كنتُ أستغلُّها سَبعةَ آلافِ دينار[2] .

٣ـ العَدْل المَشُوب بالمُبالَغَة والجَهْل والشِّدَّة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ باديسِ بنِ حَبُوس ، مَلكِ غِرْناطَة : وقَفَت له امْرأةٌ عندَ بابِ إلْبيرة فقالَت : يا مَوْلانا! ابْني يَعُقُّني ، فطَلبَه ، ودَعَا بالسَّيفِ ، فقالَت الْمَرأةُ : إنَّما أردتُ تَهْديدَه فقالَ : مَا أنا بمُعلِّم كُتَّاب وأمَرَ به فضُربَتْ عُنقُه[3] .

واستعملَ بعضَ أقاربَه علىٰ بَلدٍ ، فخَرجَ يتَصيَّدُ ، فمَرَّ بشَيخِ قَريَة فرَغِبَ في تَشريفِه بالضِّيافَة ، فأنْزَلَه في أرضٍ فيها دُولاب وفَواكه ، فبادَرَ له بثَريد في لَبَنٍ وسُكَّر ، وقالَ : نَأتي بعدُ بما تُحبُّ فرمَاهُ برِجْلِه وضَربَ الشَّيخَ ، ففَرَّ الشَّيخُ ، وأتَىٰ إلْبيرَةَ ، فعَرفَ الْمَلكُ بما جَرَىٰ عليه فقالَ : ارْجِعْ واصْبِرْ ووَاعَدَه ، ثم جاءَه بعدَ أيَّامٍ في كَبْكَبَةٍ منهم خَصْمُه فقدَّم الشيخُ للمَلكِ مثلَ ذلك الثَّريد ، فتناوَله وأكلَه واستَطابَه ، ثم قالَ : خُذْ بثأرِكَ من هٰذا فاضْربْه فاسْتَعظَمَ الشَّيخُ ذلك ، فقالَ الْمَلكُ : لا بُدَّ فضَربَه حتَّى اقْتَصَّ منه ، فقالَ الْمَلكُ هٰذا حَقُّ هٰذا ، بَقيَ حَقُّ الله في إهانَة نِعْمَتِه ، وحَقِّي في اجْتِراء العُمَّال فضَربَ عُنقَه ، وطِيفَ برأسِه حكاها اليَسَعُ بنُ حَزْم[4] .

وحَكَى اليَسَعُ بنُ حَزْم أيضاً أنَّ بَعضَ أهْلِ البادِيَة كانت له بِنتُ عَمٍّ بَديعَةُ الحُسْن فافْتَقَرَ ، ونزَحَ بها فصادَفَه في الطَّريقِ أميرٌ صَنْهَاجِيٌّ ، فأرْكَبَها شَفقَةً عليها ، ثم أسْرَعَ بها ، فلمَّا وَصَلَ البَدَويُّ ، أتَىٰ دَارَ الأميرِ ، فطَرَدُوه ، فقَصَدَ الْمَلكَ باديسَ بنَ حَبُوس ، فقالَ لذاكَ الأمير : ادْفَع إليه زَوجَته فأنْكَرَ فقالَ : يا بَدويُّ! هلْ لكَ مِنْ شَهيد ولو كَلباً يَعرِفُها ؟ قالَ : نَعَم فدَخلَ بكَلْبٍ له إلى الدَّارِ ، وأُخرِجَت الحُرَمُ ، فلمَّا رَآها

---

(١) اسم مكان .

(٢) انظر السير : (العَزيز) ٢١/ ٢٩١ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٢٥ .

(٣) انظر السير : (باديس بنُ حَبُوس) ١٨/ ٥٩٠ـ ٥٩٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٤٤ .

(٤) انظر السير : (باديس بنُ حَبُوس) ١٨/ ٥٩٠ـ ٥٩٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٤٤ .

الكَلْبُ ، عَرفَها وبَصْبَصَ فأمَرَ الْمَلكُ بدَفْعِها إلى البَدَويِّ ، وضَربَ عُنُقَ الأمير ، فقالَ البَدَويُّ : هي طالِقٌ لكَوْنِها سَكَتَت ورَضِيَت ، فقالَ الْمَلكُ : صَدَقْتَ ، ولَوْ لَمْ تُطلِّقْها لألْحَقتُكَ به ثم أمَرَ بالْمَرأةِ فقُتِلَت .

وامتدَّت أيامُه ثم تَملَّكَ غَرْناطَةَ ابنُ أخيه عبدُ الله بنُ بُلُكين بنُ حَبُوس وبَقيَ حتَّىٰ أخَذَها منه يُوسُفُ بنُ تاشَفين ، سَنةَ بضعٍ وثَمانينَ وأرْبَع مئة[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الكاملِ بنِ العَادِلِ ، صاحِبِ مِصْرَ : وكانَ عَدْلُه مَشُوباً بعَسْفٍ ، شَنقَ جَماعَةً من الجُنْدِ في بَطيخَةِ شَعير[2] .

العَقْل

١ ـ مُجَالَسَةُ العُقَلاء تُورِثُ العَقْلَ الصَّحيح :

ذَكَرَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحافِظِ محمَّد بنِ نَصْر ، قيلَ : إنَّه كانَ أعْلَمَ الأئمَّة باخْتلاف العُلماء على الإطْلاق وقالَ أبو بَكر بنُ إسْحاقَ الصِّبْغي ، وقيلَ له : ألا تَنظُر إلىٰ تَمكُّنِ أبي عَليٍّ الثَّقَفيِّ في عَقلِه ؟ فقالَ : ذاكَ عَقلُ الصَّحابَة والتَّابعينَ من أهْلِ الْمَدينَة قيلَ : وكيفَ ذاكَ ؟ قالَ : إنَّ مالِكاً كانَ من أعْقَلِ أهْلِ زَمانِه وكانَ يُقالُ : صارَ إليه عَقلُ الذين جالَسَهم من التَّابعينَ ، فجَالَسه يَحْيَىٰ بنُ يَحيَى النِّيسابُوري ، فأخذَ من عَقلِه وسَمتِه ، ثم جالَس يَحْيَىٰ بنَ يَحْيَىٰ محمَّدُ بنَ نَصْر سِنينَ ، حتَّىٰ أخَذَ من سَمتِه وعَقلِه ، فلَمْ يُرَ بَعدَ يَحْيَىٰ من فُقَهاء خُراسَانَ أعْقَلُ من ابنِ نَصْر ، ثم إنَّ أبا عليٍّ الثَّقَفيَّ جالَسَه أرْبَع سِنينَ فلَمْ يَكنْ بَعدَه أعْقَلُ من أبي عليّ[3] .

٢ ـ مثالٌ على العُقَلاء :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : بَلغَنا أنَّ يَحْيَىٰ بنَ يَحْيَى اللَّيثيَّ كانَ عندَ مَالِكِ بنِ أنَس رَحمَه الله ، فمَرَّ علىٰ بابِ مَالِك الفِيلُ ، فخَرجَ كُلُّ مَنْ كانَ في مَجلِسه لِرُؤيَةِ الفِيلِ ،

---

(١) انظر السير : (باديس بنُ حَبُوس) ١٨/ ٥٩٠ـ ٥٩٢ ، وانظر النزهة : ١/١٤٤٥ .

(٢) انظر السير : (الكامل) ٢٢/ ١٢٧ـ ١٣١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٧٦ .

(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ نَصْر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٥ .

سِوَىٰ يَحْيَىٰ بنِ يَحْيَىٰ ، فلَمْ يَقُمْ ، فأُعْجِبَ به مَالِكٌ وسَأَلَ : مَنْ أنْتَ ؟ وأَيْنَ بَلدُك ؟ ثم لَمْ يَزَلْ بَعدُ مُكرِماً له[١] .

٣ـ قِلَّةُ العَقْل ضَياع :

عن الإمام الشافعيّ : ضَيَاعُ العالِمِ أن يكونَ بلا إخْوان ، وضَيَاعُ الجاهِلِ قلةُ عَقْلِه ، وأَضْيَعُ منهما مَنْ واخَىٰ مَنْ لا عَقْلَ له[٢] .

العَفْو

١ـ ضَابطٌ في العَفْوِ :

رَوَىٰ رَوْحُ بنُ قَبيصَة ، عن أبيه ، قالَ الْمُهَلَّبُ : ما شَيءٌ أبْقَىٰ للمُلكِ من العَفْو ، خَيرُ مَناقِبِ الْمَلِكِ العَفْوُ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يَنبَغي أنْ يَكونَ العَفْوُ من الْمَلِكِ عن القَتلِ ، إلاَّ في الحُدودِ ، وأنْ لا يَعفُوَ عن وَالٍ ظالِم ، ولا عن قَاضٍ مُرْتَشٍ بل يُعَجِّلُ بالعَزْلِ ، ويُعاقِبُ الْمُتَّهمَ بالسَّجْنِ ، فحِلمُ الْمُلوكِ مَحْمودٌ إذا ما اتَّقُوا اللهَ ، وعَمِلوا بطَاعَتِه .

قيلَ : تُوفِّيَ الْمُهَلَّبُ غازياً بمَرْوَ الرُّوذ في سنة اثنتَين وثَمانينَ .

ووَلِيَ خُراسانَ بعدَه ابنُه يَزيدُ بنُ الْمُهَلَّب[٣] .

٢ـ الحَثُّ على العَفْوِ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمام أحمدَ بنِ حَنْبَل ، قالَ أبو زُرْعَة : وسَمعتُه يقول : كلُّ مَنْ ذَكَرني ففي حِلٍّ إلاَّ مُبتَدعاً ، وقد جَعَلتُ أبا إسْحاقَ ـ يَعْني المُعْتَصمَ ـ في حلٍّ ، ورأيتُ اللهَ يقول : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ ﴾[٤] ،

---

(١) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ بنِ كَثير) ١٠/ ٥١٩ـ ٥٢٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٩٠ .

(٢) انظر السير : (الإمامُ الشافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٤٩ .

(٣) انظر السير : (الْمُهَلَّب) ٤/ ٣٨٣ـ ٣٨٥ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٦ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٢٢ .

وأمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالعَفوِ في قِصّة مِسْطَح قال أبو عبدِ الله : وما يَنْفَعُك أنْ يُعذِّبَ اللهُ أخاكَ المسلم في سَببِك ؟!![1] .

٣ـ قَولٌ جَميلٌ في العَفْوِ :

من كَلامِ الْمُنتَصِر بالله العَبَّاسيِّ بعدَ أنْ عَفَا عن أبي العَمَرَّد الشَارِي : لَذَّةُ العَفْوِ أعْذَبُ من لَذَّةِ التَّشَفِّي ، وأقْبَحُ فِعالِ الْمُقْتَدِر الانْتِقامُ .

قالَ الْمَسْعوديُّ : كانَ الْمُنتَصِرُ أظْهَرَ الإنْصافَ في الرَّعيَّة ، فمَالُوا إليه مع شِدَّة هَيبَتِه .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : قلَّ ما وَقعَ في دَولَتِه من الحَوادِثِ لقِصَرِ الْمُدَّة ، وعاشَ سِتّاً وعشْرينَ سَنةً ، سامَحَه اللهُ وماتَ سَنةَ ثَمانٍ وأرْبَعينَ ومئتَين فكانَت خِلافَتُه ستَّة أشْهُر وأيّاماً[2] .

٤ـ صُوَرٌ على العَفْوِ :

قالَ أبو عُمَر بنُ عبدِ البَرِّ : رَوَيْنا أنَّ جاريَةً لأمِّ الْمؤمنين صَفيَّة أتَتْ عُمرَ بنَ الخطَّاب ، فقالَت : إنَّ صَفيَّة تُحبُّ السَّبتَ ، وتَصِلُ اليَهودَ فبَعثَ عُمَرُ يَسْألُها فقالَت : أمَّا السَّبتُ ، فلَمْ أُحِبَّه منذُ أبْدَلَني اللهُ به الجُمُعَة ، وأمَّا اليَهُودُ ، فإنَّ لي فيهم رَحِماً ، فأنا أصِلُها ، ثم قالَت للجَارِيَة : ما حَمَلَك علىٰ ما صَنعتِ ؟ قالَت : الشَّيْطانُ قالَت : فاذْهَبي فأنْتِ حُرَّة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : تُوفِّيَت سَنةَ خَمسينَ .

وكانت أمُّ الْمؤمنينَ صَفيَّة ذَاتَ حِلْمٍ ، ووَقارٍ ، وقَبْرُها بالبَقيعِ[3] .

قالَ مُصْعَبُ الزُّبَيْريُّ : كان لابنِ عجْلان قَدرٌ وفَضلٌ بالمَدينَة وكانَ مِمَّنْ خَرجَ مع مُحمَّدِ بنِ عبدِ الله ، فأرادَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ قَطعَ يَدِه ، فَسَمِعَ ضَجَّةً ، وكان عندَه

---

(١) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَنبل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٩٤٠/ ٣ .

(٢) انظر السير : (الْمُنتَصِرُ بالله) ١٢/ ٤٢ـ٤٦ ، وانظر النزهة : ٩٧٩/ ٦ .

(٣) انظر السير : (صَفيَّة أمُّ المؤمنين) ٢/ ٢٣١ـ٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٢٥٢/ ١ .

الأكابرُ فقالَ : ما هـٰذا ؟ قالوا هـٰذه ضَجَّةُ أهْلِ المَدينَة يَدعُونَ لابنِ عجْلانَ فلَوْ عَفَوْتَ عنه ؟ وإنَّما غُرَّ ، وأخْطأ في الرِّوايَة ظَنَّ أنَّه الْمَهْديَّ ، فأطْلقَه وعَفا عنه[1] .

قالَ ثَمامَةُ بنُ أشْرَس : قالَ ليَ الْمَأمونُ : قد عَزمتُ علىٰ تَقريعِ عَمِّي ، فحَضرتُ ، فجيءَ بإبْراهيمَ بنِ الْمَهْدي مَغلولاً قد تهدَّلَ شَعرُه فىٰ عَينِه ، فسَلَّمَ ، فقالَ : الْمَأمونُ : لا سلَّمَ اللهُ عَليكَ ، أكُفْراً بالنِّعمَة وخُروجاً عليَّ ؟ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنَّ القُدرَةَ تُذهِبُ الحَفيظَة ، ومَنْ مُدَّ له في الاغْترارِ هَجمَت به الأناةُ على التَّلفِ ، وقد رَفعَك الله فوقَ كلِّ ذَنب كمَا وَضعَ كلَّ ذي ذَنبٍ دُونَك ، فإنْ تُعاقِب ، فبحقِّك ، وإنْ تعفُ فبفَضلِك قالَ : إنَّ هَـٰذين ـ يَعني ابْنَيه العَبَّاسَ والْمُعْتَصِمَ ـ يُشيرانِ بقَتلِك قالَ : أشارا عَليكَ بما يُشارُ به علىٰ مِثلِكَ في مِثلي ، والْمُلكُ عَقيمٌ ، ولكنْ تأبَىٰ لك أنْ تَستجلِبَ نَصراً من حَيثُ عوَّدك اللهُ ، وأنا عَمُّك ، والعَمُّ صنوُ الأب ، وبَكىٰ ، فتَغَرْغَرَتْ عَينا الْمَأمونِ ، وقالَ : خَلُّوا عن عَمِّي ، ثم أحْضَرَه ، ونادَمَه ، وما زالَ به حتَّىٰ ضَربَ له بالعُودِ[2] .

وقيلَ إنَّ أحْمدَ بنَ خالد الوَزيرَ قالَ : يا أميرَ الْمؤمنينَ ، إنْ قَتَلتَه ، فَلَكَ نُظَراءُ ، وإنْ عفَوْتَ ، لَمْ يَكنْ لَكَ نَظير .

تُوفِّيَ إبْراهيمُ بنُ الْمَهْدي في سَنَةِ أرْبَع وعِشْرينَ ومِئتين[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَل ، قالَ أبو زُرْعَة : وسَمعتُه يقول : كلُّ مَنْ ذَكرَني ففي حِلٍّ إلاَّ مُبتَدعاً ، وقد جَعَلتُ أبا إسْحاقَ ـ يَعْني الْمُعْتَصمَ ـ في حلٍّ ، ورأيتُ اللهَ يقول : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[4] ، وأمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالعَفوِ في قِصّة مِسْطَح قال أبو عبد الله : وما يَنْفَعُك أنْ يُعذِّبَ اللهُ أخاكَ المسلم في سَبِبك ؟!![5] .

---

(١) انظر السير : (محمد بن عَجْلان) ٦/ ٣١٧ـ ٣٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٤ .

(٢) انظر السير : (إبراهيم بن الْمَهْدي) ١٠/ ٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٨٩٣ .

(٣) انظر السير : (إبراهيم بن الْمَهْدي) ١٠/ ٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ١/٨٩٤ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٢٢ .

(٥) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَنبل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٠ .

٥ـ سُؤالُ اللهِ العَفْوَ والصَّفْحَ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ مُوسَى الكاظِم : دَخَلَ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فسَجَدَ سجدةً في أولِ الليلِ وهو يقولُ في سُجُودِه : عَظُمَ الذَّنبُ عندي فليَحْسُن العَفْوُ من عندكَ يا أهلَ التَّقوىٰ ويا أهلَ المَغفِرَة فجَعَلَ يُرَدِّدُها حتىٰ أصبَحَ[1] .

وفي طبقات السُبكيّ[2] ، نقلاً عن شَهدَة بنتِ أحمد ابن الفَرَج الإبري قالت : سمعتُ القاضي الإمامَ عزيزي بن عبد الملك من لفظه سَنَةَ تسعين وأربع مئة يقولُ : اللَّهُمَّ يا واسعَ المَغفِرة ، ويا باسِطَ اليَدَيْنِ بالرَّحْمَةِ افعَلْ بي ما أنتَ أهلُه ، إلـٰهي أذْنَبتُ في بعضِ الأوقاتِ ، وآمَنْتُ بكَ في كُلِّ الأوقاتِ ، فكَيْفَ يَغلِبُ بعضُ عُمرِي مُذنِباً جَمِيعَ عُمرِي مُؤمِناً إلـٰهي لو سَألتَنِي حَسَنَاتِي لجَعَلتُها لكَ مع شِدَّةِ حاجَتِي إليها وأنا عَبدٌ ، فكَيْفَ لا أرْجُو أنْ تَهَبَ لي سَيئاتِي مع غِنَاكَ عنها وأنتَ رَبٌّ ، فيا مَنْ أعْطَانِي خَيْرَ ما في خَزَائِنِه ، وهو الإيمانُ به قبلَ السُّؤالِ لا تَمنَعْنا أَوسَعَ ما في خَزَائِنِك وهو العَفْوُ مع السُّؤالِ ، إلَـٰهي حُجَّتي حاجَتِي ، وعُدَّتِي فاقَتِي فارْحَمْنِي، إلـٰهي كيف أمتَنِعُ بالذَّنبِ من الدُّعاءِ ولا أراكَ تَمنَعُ مع الذَّنبِ من العَطَاء ، فإنْ غَفَرتَ فخيرُ راحِمٍ أنتَ وإنْ عَذَّبتَ فغيرُ ظالمٍ أنتَ إلـٰهي أسألُكَ تَذَلُّلاً فأعْطِنِي تفَضُّلاً[3] .

٦ـ أعْظَمُ النَّاسِ عَفْواً :

رَوى العُتبيُّ عن رَجلٍ قالَ : خَطبَ خَالدُ بنُ عبد الله القَسريُّ بواسِطَ فقالَ : إنَّ أكْرَمَ النَّاسِ مَنْ أعْطَىٰ مَنْ لا يَرجُوه ، وأعْظمَ النَّاسِ عَفْواً مَنْ عَفَا عن قُدرَة ، وأوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ عن قَطيعَة[4] .

---

(١) انظر السير : (موسى الكاظم) ٦/ ٢٧٠ـ ٢٧٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٥٠ .
(٢) طبقات السُّبكي : ٥/ ٢٣٧ .
(٣) انظر النزهة : ١٤٧٢/ هامش (٣) .
(٤) انظر السير : (القَسْري) ٥/ ٤٢٥ـ ٤٣٢ ، وانظر النزهة : ٥/ ٦١٨ .

الفِراسَة

صُوَرٌ على الفِراسَة :

قالَ عبدُ الله بنُ سَلمَة الْمُراديُّ : نَظرَ عُمَرُ إلى الأشْتَر ، فصَعَّدَ فيه النَّظَرَ وصَوَّبَه ثم قالَ : إنَّ لِلْمُسلِمينَ من هـٰذا يَوْماً عَصيباً[1] .

وقيلَ : إنَّ أبا هُرَيْرَةَ نَظَرَ إلىٰ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ وهو غُلامٌ فقالَ : هـٰذا يَملكُ العَربَ[2] .

وعن ابنِ سِيرينَ ، قالَ : حَجَّ بنا الوَليدُ فمَرَّ بنا على الْمَدينَة ، فأدخَلَنا علىٰ زَيدِ بنِ ثابت ، ونَحنُ سَبعَةٌ وَلَدُ سِيرينَ ، فقالَ له : هَؤلاء بَنو سِيرينَ ، فقال زَيْدٌ : هَـٰذان لأُمٍّ ، وهَـٰذان لأُمٍّ ، وهَـٰذان لأُمٍّ ، وهَـٰذا من أُمٍّ قالَ : فمَا أخْطأَ .

وقالَ عُمَرُ بنُ شَبَّة : حدَّثنا يُوسُفُ بنُ عَطيَّة : رَأيتُ ابنَ سِيرينَ قَصيراً ، عَظيمَ البَطْنِ ، له وَفْرَةٌ ، يَفْرِقُ شَعْرَه ، كَثيرَ الْمِزاحِ والضَّحِكِ ، يَخْضِبُ بالحِنَّاءِ .

وعن ابنِ عَوْنٍ قالَ : ثَلاثَةٌ لَمْ تَرَ عَيْنايَ مثلَهم : ابنُ سِيرينَ بالعِراقِ ، والقاسِمُ بنُ مُحمَّد بالحِجازِ ، ورَجاءُ بنُ حَيْوَة بالشَّامِ كأنَّهم الْتَقَوا فتَواصَوا[3] .

جاءَ في تَرجَمَتِه الْمُعْتَضِدِ بالله العَبَّاسيِّ ، قال أبو علي الْمُحْسن التَّنُوخيُّ : بَلغَني عن الْمُعْتَضِدِ أنه كان جالساً في بَيتٍ يُبنَىٰ له فرأىٰ فيهم أسْوَدَ مُنْكَرَ الخِلقَة يَصْعَدُ السَّلالِمَ دَرجَتينِ دَرَجَتينِ ، ويَحمِلُ ضِعْفَ ما يَحْمِلُه غَيرُه ، فأنْكرَ ذلك ، وطلَبَه ، وسَألَه عن سَببِ ذلك ، فتَلَجْلَجَ فكلَّمَه ابنُ حَمْدونَ فيه ، وقالَ : مَنْ هـٰذا حتىٰ صَرَفْتَ فِكْرَكَ إليه ؟ قالَ : قد وَقَعَ في خَلَدي أمْرٌ ما أَحْسَبُه باطِلاً ، ثم أمَرَ به ، فضُرِبَ مئةً ، وتَهدَّدَه بالقَتلِ ودَعَا بالنَّطَعِ[4] والسَّيْفِ ، فقالَ : الأمانَ ، أنا أعْمَلُ في أَتونِ الآجُرِّ ، فدَخلَ من

---

(١) انظر السير : (الأشْتَر)/ ٤ ٣٤ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ٤/٤٣٦ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الْمَلك بنُ مَرْوان) ٤/ ٢٤٦ـ ٢٤٩ ، وانظر النزهة : ٦/٤٨٩ .

(٣) انظر السير : (محمَّد بن سِيرينَ) ٤/ ٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٨ .

(٤) النَّطَع : بفتح النُّونِ وكَسْرِها ، وفَتْح الطَّاءِ وكَسْرِها وسُكونِها : بساطٌ من جلد ، كثيراً ما كان يُقتَلُ فوقه المحكوم عليه بالقتل . =

شُهورٍ رَجلٌ في وَسَطِه هِمْيَانٌ[1] ، فأخْرَجَ دَنانيرَ فوَثبتُ عليه ، وسَدَدتُ فاه ، وكَتَّفتُه وألْقَيتُه في الأُتونِ ، والذَّهَبُ مَعي يَقْوَىٰ به قَلبي ، فاسْتَحْضَرَها ، فإذا عَلى الهِمْيانِ اسْمُ صاحِبه ، فنُودِيَ في البَلدِ ، فجاءَت امْرأةٌ ، فقالَت : هو زَوْجي ولِيَ منه طِفلٌ ، فسَلَّمَ الذَّهبَ إليها ، وقَتله[2] .

قضاءُ الحَوائج وصَنائعُ الْمَعْروف

١ـ عَدُّ واحدٍ من السَّلَف عَدم الْتجاء النَّاس إليه لقَضاء حَوائجهم من المَصَائب :

قالَ الأصْمَعيُّ : حدَّثنا هِشامُ بنُ سَعْد صاحِبُ الْمَحامل ، عن أبيه قالَ : قالَ حَكيمُ بنُ حِزَام : ما أصْبَحتُ ولَيسَ ببابي صاحِبُ حاجَةٍ ، إلاَّ عَلمتُ أنَّها من الْمَصائبِ التي أسْألُ اللهَ الأجْرَ عليها[3] .

٢ـ قاضي حاجات النَّاس حَبيبٌ إليهم :

قالَ عَونُ بنُ محمَّد الكنْديُّ : لَعَهْدِي بالكَرْخ ، ولَوْ أنَّ رَجُلاً قالَ : ابنُ أبي دُواد مُسلمٌ لقُتلَ ، ثم وَقعَ الحَريقُ في الكَرْخ ، فلَمْ يَكنْ مِثلُه قَطُّ فكلَّم ابنُ أبي دُواد الْمُعْتَصِمَ في النَّاسِ ، ورَقَّقه إلىٰ أنْ أطلَقَ له خَمسةَ آلافِ ألفِ دِرْهَم ، فقسَّمَها على النَّاسِ ، وغَرِمَ من مَالِه جُملةً فلَعَهْدي بالكَرْخ ولو أنَّ إنْسَاناً ، قالَ : زِرُّ أحمَدَ بنِ أبي دُواد وَسِخٌ لَقُتِل[4] .

٣ـ كلامٌ جَميلٌ في قَضاء الحَوائج :

قالَ عَبَّاسُ بنُ عُمَر ، سَمعتُ أبا عُمَرَ الزَّاهِدَ ، يَقولُ : تَركُ قَضاءِ حُقوقِ الإخْوَان مَذلَّة ، وفي قَضاء حُقوقِهم رِفْعَة[5] .

---

(١) الهِمْيان : كيسٌ للنَّفَقَة يُشدُّ في الوَسَط .

(٢) انظر السير : (الْمُعْتَضد بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١٠٣ .

(٣) انظر السير : (حَكيمُ بنُ حِزام) ٣/ ٤٤ـ ٥١ ، وانظر النزهة : ٢/٣٣١ .

(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ أبي دُواد) ١١/ ١٦٩ـ ١٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٠ .

(٥) انظر السير : (أبو عُمَر الزَّاهِد) ١٥/ ٥٠٨ـ ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٥ .

٤ـ صُوَرٌ علىٰ قَضاء الحَوائج :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ زُبَيدِ بنِ الحارِث : بَلغَنا عن زُبَيد أنَّه كانَ إذا كانت لَيلَةٌ مَطيرَةٌ طافَ علىٰ عَجائزِ الحَيِّ ، ويَقولُ : أَلَكُم في السُّوقِ حاجَةٌ ؟(١)

قالَ عَبّاسُ بنُ عُمَر ، سَمعتُ أبا عُمَرَ الزَّاهِدَ ، يَقولُ : تَركُ قَضاءِ حُقوقِ الإخْوَان مَذلَّة ، وفي قَضاء حُقوقِهم رِفْعَة(٢) .

دَعْلَج :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : هو دَعْلَجُ بنُ أحمد بنِ دَعْلَج المُحَدِّثُ ، الحُجَّةُ الفَقيهُ الإمامُ ، أبو محمَّد السِّجِسْتانيُّ ، ثم البَغداديُّ التَّاجِرُ ، ذُو الأمْوالِ العَظيمة .

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وخَمسينَ أو قَبلَها بقليل وسَمعَ بعد الثَّمانين ما لا يُوصَفُ كَثرةً بالحَرمَينِ ، والعِراقِ ، وخُراسانَ ، والنَّواحي حالَ جَولانِه في التِّجارَة(٣) .

قال الخَطيبُ : كان دَعْلَجُ من ذَوي اليَسار ، له وُقوفٌ علىٰ أهْلِ الحَديث .

وقال الخَطيبُ : حَكَىٰ لي أبو العَلاء الواسِطيُّ ، أنَّ دَعْلَجاً سُئل عن مُفارَقتِه مَكة ، فقال : خَرجتُ لَيلةً من المَسجدِ ، فتَقدَّم ثلاثةٌ من الأعْرابِ ، فقالوا : أخٌ لك من خُراسان قَتلَ أخَانا ، فنَحنُ نَقتُلك به ، فقُلتُ : اتَّقوا اللهَ ، فإنَّ خُراسانَ لَيست بمَدينَةٍ واحِدَة ، ولَمْ أزَلْ بهم إلىٰ أنْ اجْتَمعَ النَّاسُ وخَلُّوا عَنِّي فهٰذا كان سَببُ انْتِقالي إلىٰ بَغْداد وكان يقولُ : ليسَ في الدُّنيا مثلُ داري ، وذلكَ لأنَّه ليسَ في الدُّنيا مثلُ بَغْدادَ ، ولا ببَغْدادَ مثلُ مَحِلَّة القَطيعة ، ولا في القَطيعة مثلُ دَرْب أبي خَلَف ، وليسَ في الدَّرْب مثلُ داري(٤) .

ونقلَ أبو بَكْر الخَطيبُ حكايةً مُقتَضاها أنَّ رجُلاً صلَّى الجُمعَةَ فرأىٰ رجُلاً مُتَنسِّكاً

---

(١) انظر السير : (زُبَيدُ بنُ الحارث) ٥/٢٩٦ـ٢٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٥ .

(٢) انظر السير : (أبو عُمَر الزَّاهِد) ١٥/٥٠٨ـ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٥ .

(٣) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/ ٣٠ـ٣٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢٦٦ .

(٤) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/ ٣٠ـ٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٦٦ .

لمْ يُصلِّ ، فكلَّمه ، فقال : استُرْ عليَّ ، لدَعْلَج عليَّ خَمسَةُ آلافٍ ، فلمَّا رأيتُه أَحْدَثتُ ، فبلغَ ذلك دَعْلَجاً ، فطَلَبَه إلىٰ مَنزِله ، وحلَّله من المال ، ووَصلَه بمثلِها لكَوْنه رَوَّعَه[1] .

وقال أحمدُ بنُ الحُسَين الوَاعِظُ : أَوْدَعَ أبو عبد الله بنُ أبي مُوسَى الهاشِميُّ عَشرةَ آلافِ دينارٍ ليتيم ، فضاقَت يَدُه فأنْفَقَها وكَبُرَ الصَّبيُّ ، وأُذنَ له في قَبضِ مالِه ، قال ابنُ أبي موسىٰ : فضاقَت عليَّ الأرضُ ، وتَحيَّرتُ ، فبَكرتُ علىٰ بَغْلَتي ، وقَصدتُ الكَرْخَ فانتَهتْ بي البَغْلَةُ إلىٰ دَرْبِ السلولي ووَقفَتْ بي علىٰ بابِ مَسجِدِ دَعْلَج ، فدَخلتُ فصَلَّيتُ خلفَه الفَجرَ ، فلمَّا انْفتَلَ رَحَّبَ بي ، وقُمنا فدَخلنا دَارَه ، فقُدِّمَت لنا هَريسَةٌ ، فأكَلتُ وقَصَّرتُ ، فقالَ : أراكَ مُنقَبضاً ، فأخْبَرتُه ، فقالَ : كُلْ فإنَّ حاجَتَك تُقْضَىٰ ، فلمَّا فَرَغْنا ، اسْتَدعَىٰ بالذَّهَبِ والمِيزانِ ، فوَزَنَ لي عَشرةَ آلافِ دينارٍ وقُمتُ أطيرُ فَرحاً ، ثم سَلَّمتُ المالَ إلى الصَّبيِّ بحَضرةِ قاضي القُضاة ، وعَظُمَ الثَّناءُ عليَّ ، فلمَّا عُدتُ إلىٰ مَنزِلي اسْتدعاني أميرٌ من أولادِ الخَليفَة فقال : قد رَغبتُ في مُعامَلَتِك وتَضْمينِك أمْلاكي ، فضَمنْتُها فربحتُ في سَنَتي رِبحاً عَظيماً وكَسبتُ في ثلاث سنين ثلاثينَ ألفَ دينار ، وحَملتُ لدَعْلَج المالَ ، فقالَ : سُبحانَ الله ، والله ما نَوَيتُ أخْذَها ، حَلِّ بها الصِّبْيانَ ، فقلتُ : أيُّها الشَّيخُ ، أيشْ أصْلُ هـٰذا المال حتىٰ تَهبَ لي عشرةَ آلافِ دينار ؟ فقال : نَشأتُ ، وحَفظتُ القُرآنَ ، وطَلبتُ الحَديثَ ، وكُنتُ أتبَزَّزُ ، فوافاني تاجرٌ من البَحْرِ فقال : أنْتَ دَعْلَج ؟ قلتُ : نَعَم قال : قد رَغبتُ في تَسليمِ مالي إليك مُضارَبةً ، فسلَّمَ إليَّ برنامجات بألفِ درهم ، وقال لي : ابْسُطْ يَدكَ فيه ولا تَعلمْ مَكاناً يُنفَقُ فيه المَتاعُ إلاَّ حَمَلْتَه ، ولمْ يَزلْ يَتردَّدُ إليَّ سَنةً بعدَ سَنةٍ يَحملُ إليَّ مثلَ هـٰذا والبضاعَةُ تنمَىٰ ثم قال : أنا كثيرُ الأسْفارِ في البَحرِ ، فإنْ هَلكتُ فهـٰذا المالُ لكَ علىٰ أنْ تَصدَّقَ منه ، وتَبني المَساجدَ ، فأنا أفعلُ مثل هـٰذا ، وقد ثمَّرَ اللهُ تعالى المالَ في يَدي ، فاكْتُم عليَّ ما عِشتُ .

---

(١) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/ ٣٠ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٦٦ .

قال الحاكمُ : كان السُّلطانُ لا يَتعرَّضُ لتَركَةٍ ، ثم لمْ يَصْبرْ عن أموالِ دَعْلَج ، وقيلَ : لمْ يكنْ في الدُّنيا أيْسَرُ منه من التُّجَّار ، وتَركوا أوْقافَه ، رَحمَه الله .

ماتَ سنةَ إحْدَىٰ وخَمسينَ وثلاثٍ ومئة[1] .

الْمَنيعي :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : الشَّيخُ الجَليلُ ، الحَاجُّ الرَّئيسُ أبو عليٍّ حَسَّانُ بنُ سَعيد بن حَسَّانَ بنِ محمَّد بنِ أحمَد بنِ عبدِ الله بنِ محمَّد ابنِ مَنيع بنِ خالِد بنِ عبد الرحمَـٰن بنِ سَيفِ الله خالِدِ بنِ الوَليد الْمَخْزوميُّ ، الخالِديُّ ، الْمَنيعيُّ الْمَرْوَرُّوذيّ .

قالَ عبد الغافِرِ : هو شَيخُ الإسْلامِ الْمَحمودُ بالخِصَالِ السَّنيَّة ، عَمَّ الآفاقَ بخَيرِه وبِرِّه ، وكانَ في شَبابِه تاجِراً ، ثم عَظُمَ حتَّىٰ كانَ من الْمُخاطَبين من مَجالِسِ السَّلاطِين ، لَمْ يَسْتَغنوا عن رَأيِه فرَغِبَ إلى الخَيْراتِ ، وأنَابَ إلى التَّقْوَىٰ ، وبَنَى الْمَساجِدَ والرِّبَاطَاتِ وجامِعَ مَروِ الرُّوذِ ، يَكْسُو في الشِّتاءِ نَحْواً من ألفِ نَفسٍ ، وسَعَىٰ في إبْطالِ الأعْشَار عن بَلدِه ، ورَفْع الوَظائفِ عن القُرَىٰ ، واسْتَدعَىٰ صَدَقَةً عامَّة علىٰ أهْلِ البَلدِ غَنيِّهم وفَقيرِهم ، فتُدفَع إلَىٰ كُلِّ واحِدٍ خَمسة دَراهم ، وكان ذا تَهجُّد وصيام واجْتِهاد[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمَنيعِيِّ : قيلَ : إنَّ امرأةً أتَتْهُ بثَوبٍ ليُنفِقَ ثمنَه في بِناءِ الجَامِع ، يُساوي نِصفَ دينار ، فاشْتَراه منها بألفِ دينار ، وسَلَّمَت الْمَالَ إلى الخازِنِ لإنْفاقِه وخَبَّأَ الثَّوبَ كَفَناً له[3] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الْمَنيعيِّ ، وقيلَ : مَرَّ السُّلطانُ ببابِ مَسْجدِه ، فنَزَلَ مُراعاةً ، وسَلَّم عليه ومَناقِبُهُ جَمَّة .

---

(١) انظر السير : (دَعْلَج) ١٦/ ٣٠ـ ٣٥ ، وانظر النزهة : ١٢٦٦/ ٤ .
(٢) انظر السير : (الْمَنيعيّ) ١٨/ ٢٦٢ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ١٤١٠/ الْمَنيعيّ .
(٣) انظر السير : (الْمَنيعيّ) ١٨/ ٢٦٢ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ١٤١١/ ١ .

مات سَنةَ ثَلاثٍ وستِّينَ وأرْبَع مئة[١] .

٥ـ وَاسِطَةُ الخَير :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الأحْنَفِ بنِ قَيْس : وقيلَ : إنه كلَّمَ مُصْعَباً في مَحبوسينَ وقالَ : أصْلحَ اللهُ الأميرَ ، إنْ كانوا حُبسوا في باطِلٍ ، فالعَدلُ يَسَعُهم ، وإنْ كانوا حُبسوا في حَقٍّ ، فالعَفْوُ يَسَعُهم[٢] .

وقيلَ : دَخلَ ابنُ السَّمَّاك علىٰ رَئيسٍ في شَفاعَةٍ لفَقيرٍ فقالَ : إنِّي أتيتُك في حاجَةٍ ، والطَّالِبُ والْمُعْطِي عَزيزان إنْ قُضيَت الحَاجَةُ ، وذَليلانِ إنْ لَمْ تقضَ ، فاخْتَرْ لنَفسِكَ عزَّ البَذْلِ عن ذُلِّ الْمَنْع ، وعزَّ النَّجَحِ عن ذُلِّ الرَّدِّ[٣] .

وقالَ السَّيفُ أحمَدُ بنُ المجدِ الحافِظُ : سَمعتُ أحمَدَ بنَ سَلامَة النَّجَّار يَقولُ : أرادَ عبدُ الغَني وعبدُ القادِر الحافِظانِ سَماعَ كتابِ اللاَّلكائي ، يَعني شَرحَ السُّنَّة ، على السِّلَفيِّ ، فأخَذَ يَتعلَّلُ عَليهما مرَّة ، ويُدافِعُهم عنه أُخرَىٰ بأصْلِ السَّماع ، حتىٰ كلَّمَته امرأتُه في ذلك .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ما أظُنُّه حدَّثَ بالكتابِ بلىٰ حدَّث منه بكَراماتِ الأوْلياء .

وتُوفِّيَ الحافِظُ السِّلَفيُّ في يَومِ الجُمُعَة سَنةَ سِتٍّ وسَبعينَ وخَمسٍ مئة ولَمْ يَزَلْ يُقرأ عليه الحَديثُ يَومَ الخَميسِ إلىٰ أنْ غَرَبَت الشَّمسُ من لَيلَةِ وَفاتِه ، وهو يَرُدُّ على القارىء اللَّحْنَ الخفيَّ ، وصلَّىٰ يَومَ الجُمُعَة الصُّبحَ عند انْفِجارِ الفَجْرِ ، وتُوفِّيَ بَعدَها فُجاءَةً وقَبرُه مَعْروفٌ بظاهِرِ الإسْكَنْدَريَّة وكانَ يَطأ أهْلَه ويَتمتَّعُ وإلىٰ قَريبِ وَفاتِه ، وإنَّما تزوَّجَ وقد أسَنَّ بعد سَنةِ خَمسينَ وخَمسٍ مئة[٤] .

---

(١) انظر السير : (الْمَنيعيّ) ١٨/ ٢٦٢ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١١ .
(٢) انظر السير : (الأحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٣ .
(٣) انظر السير : (ابنُ السَّمَّاك) ٨/ ٣٢٨ـ ٣٣٠ ، وانظر النزهة : ٦/٧٦١ .
(٤) انظر السير : (السِّلَفيّ) ٢١/ ٥ـ ٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٩٣ .

٦ـ صَنائعُ المَعْروف تُزَيِّنُ مَنْ قُبِّح :

قالَ عَونُ بنُ محمَّد الكنْديُّ : لَعَهْدِي بالكَرْخ ، ولَوْ أنَّ رَجُلاً قالَ : ابنُ أبي دُواد مُسلمٌ لقُتلَ ، ثم وَقعَ الحَريقُ في الكَرْخ ، فلَمْ يَكنْ مِثلُه قَطُّ فكلَّم ابنُ أبي دُواد الْمُعْتَصِمَ في النَّاسِ ، ورَقَّقه إلىٰ أنْ أطلَقَ له خَمسةَ آلافِ ألفِ دِرْهَم ، فقسَّمَها على النَّاسِ ، وغَرِمَ من مَالِه جُملةً فلَعَهْدي بالكَرْخ ولو أنَّ إنْسَاناً قالَ : زِرُّ أحمَدَ بنِ أبي دُواد وَسِخٌ لقُتِل[1] .

٧ـ صَنائعُ المَعْروف تُثْمرُ حتىٰ مع البَهَائم :

قالَ عليُّ بنُ عبدِ العَزيزِ ، حدَّثنا عارِمٌ ، قالَ : أتَيتُ أبا مَنْصُورٍ أعُودُه ، فقالَ لي : باتَ سُفْيانُ في هـٰذا البَيتِ ، وكانَ هنا بُلْبُلٌ لابني ، فقالَ : ما بالُ هـٰذا مَحْبُوساً ؟ لَوْ خُلِّيَ عنه قُلتُ : هو لابني ، وهو يَهبُه لك قالَ : لا ، ولكنْ أُعْطيه ديناراً قالَ : فأخَذَه ، فخَلَّىٰ عنه ، فكانَ يَذهَبُ ويَرْعَىٰ ، فيَجيءُ بالعَشيِّ ، فيَكونُ في ناحيَةِ البَيتِ ، فلمَّا ماتَ سُفْيانُ ، تَبعَ جنازَتَه ، فكانَ يَضْطَّربُ علىٰ قَبرِه ، ثم اخْتَلفَ بعد ذلك لَياليَ إلىٰ قَبرِه ، فكانَ رُبَّما باتَ عليه ، ورُبَّما رَجَعَ إلى البَيتِ ، ثم وَجَدوه مَيّتاً عند قَبرِه ، فدُفِنَ عندَه[2] .

٨ـ المَعْروفُ التَّام :

عن يَحْيَىٰ بنِ الفُراتِ أنَّ جَعْفَرَ بنَ محمَّد الصَّادِق قالَ : لا يَتِمُّ الْمَعروفُ إلاَّ بثَلاثَةٍ : بتَعجيلِه ، وتَصْغِيرِه ، وسَتْرِه[3] .

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ أبي دُواد) ١١/ ١٦٩ـ ١٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٠ .
(٢) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوريّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٩٨ .
(٣) انظر السير : (جَعْفَرُ بنُ محمَّد) ٦/ ٢٥٥ـ ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٨ .

كتْمانُ الأعْمَال الصَّالحَة

١ـ الحَثُّ علىٰ كتْمانِ الأعْمَال الصَّالحة :

كان أيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ يَقولُ : لِيَتَّقِ اللهَ رجلٌ فإنْ زَهَدَ ، فلا يَجْعَلَنَّ زُهْدَه عَذاباً على النَّاس ، فلأنْ يُخْفيَ الرجُلُ زُهْدَه خيرٌ مِنْ أنْ يُعْلِنَه[1] .

وعن أبي حازمٍ قالَ : اكتُمْ حَسَناتِكَ ، كَما تَكتُمُ سَيِّئاتِك .

وقالَ ابنُ سَعْد : كانَ أبو حازِمٍ يَقُصُّ بعدَ الفَجْرِ وبعدَ العَصْرِ في مَسجِدِ الْمَدينَة ، وماتَ في خِلافَة أبي جعْفَر ، بعدَ سَنَةِ أرْبَعينَ ومئة ، قالَ : وكانَ ثِقةً كثيرَ الحَديثِ[2] .

وعن بَشْرِ بنِ الحَارثِ قالَ : لا تَعمَلْ لتُذكَر ، اكتُم الحَسَنةَ كما تَكتُمُ السَّيِّئةَ[3] .

٢ـ صُوَرٌ علىٰ كتْمان الأعْمَال الصَّالحة :

قالَ مُغيرَةُ : كانَ لشُرَيْح القاضي بَيتٌ يَخلُو فيه يَومَ الجُمُعَة ، لا يَدري النَّاس ما يَصنَعُ فيه .

وقيلَ : كانَ شُرَيْح قائفاً عائفاً ، أي : يَزجُرُ الطَّيرَ ، ويُصيبُ الحَدْس[4] .

وعن سلام قال : كان أيوبُ السَّختِيَاني يقومُ الليلَ كُلَّه فيُخْفِي ذلك ، فإذا كان عند الصُّبحِ رَفَعَ صَوتَه كأنَّه قامَ تلك السَّاعة[5] .

وكان أيُّوبُ مِمَّن يُخفي زُهْدَه دَخلْنا عليه ، فإذا هو علىٰ فِراشٍ مُخَمَّسٍ أحمر ، فرَفَعتُه ، أو رَفَعَه بَعضُ أصْحابِنا ، فإذا خَصَفةٌ مَحْشوَّةٌ بليفٍ[6] .

---

(١) انظر السير : (أيوبُ السَّخْتيانيّ) ٦/ ١٥ـ٢٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٢٦ .

(٢) انظر السير : (أبو حازم) ٦/ ٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٩/٦٣٧ .

(٣) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ١١/٨٨٦ .

(٤) انظر السير : (شُرَيْح القاضي) ٤/ ١٠٠ـ١٠١ ، وانظر النزهة : ٤/٤٥٧ .

(٥) انظر السير : (أيوبُ السَّخْتيانيّ) ٦/ ١٥ـ٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/٦٢٦ .

(٦) انظر السير : (أيوبُ السَّخْتيانيّ) ٦/ ١٥ـ٢٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٢٦ .

قالَ الفَلاَّسُ : سَمعتُ ابنَ أبي عَديّ يقول : صامَ داوُدُ بنُ أبي هندٍ أربعينَ سَنَةً لا يَعلمُ به أهلُه كان خَزّاراً يَحمِلُ معه غَدَاءَه فيَتَصدَّقُ به في الطَّريق[1] .

قالَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ مَهْدي : قُلتُ لابنِ الْمُبارَك : إبْراهيمُ بنُ أدْهَم مِمَّنْ سَمِعَ ؟ قالَ : قد سَمِعَ من النَّاسِ ، وله فَضلٌ في نَفسه ، صاحِبُ سَرائر وما رَأيتُه يُظهِرُ تَسْبيحاً ، ولا شَيئاً من الخَيرِ ، ولا أكَلَ مع قَومٍ قَطُّ إلاَّ كانَ آخِرَ مَنْ يرفَعُ يَدَه[2] .

وقالَ نُعيمُ بنُ حمَّاد ، سَمعتُ ابنَ الْمُبارَك يقولُ : ما رَأيتُ أحَداً ارْتَفَعَ مثل مالِك لَيسَ له كثيرُ صَلاةٍ ولا صِيامٍ ، إلاَّ أنْ تكونَ له سَريرةٌ[3] .

وعن الخُرَيْبيِّ ، قالَ : كانوا يَسْتَحبُّونَ أنْ يَكُونَ للرَّجُلِ خَبيئَةٌ من عَملٍ صالِحٍ لا تَعلَمُ به زَوجَتُه ولا غَيرُها[4] .

النُّصْح

١ـ النُّصْح لعَامَّة النَّاس :

قالَ مُعاوِيَةُ بنُ عبدِ الكَريم الثَّقَفي ، سَمعتُ بَكرَ بنَ عبدِ الله يَقولُ يَومَ الجُمُعَة : لَوْ قيلَ لي : خُذْ بيَدِ خَيرِ أهْلِ الْمَسجِدِ ، لقُلتُ : دُلُّوني علىٰ أنْصَحِهم لعامَّتِهم ، فإذا قيلَ : هـٰذا ، أخَذتُ بيَدِه ، ولَوْ قيلَ لي : خُذْ بيَدِ شَرِّهم ، لقُلتُ : دُلُّوني علىٰ أغَشِّهم لعامَّتِهم ، ولَوْ أنَّ مُنادياً نادَىٰ من السَّماءِ : إنَّه لا يَدخُلُ الجنَّة منكُم إلاَّ رَجلٌ واحِدٌ ، لكانَ يَنبَغي لكُلِّ إنسانٍ أنْ يَلتَمِسَ أنْ يَكونَ هُوَ ، ولَوْ أنَّ مُنادياً نادَىٰ : إنَّه لا يَدخُلُ النَّارَ منكُم إلاَّ رَجلٌ واحِدٌ لكانَ يَنبَغي لكُلِّ إنْسانٍ أنْ يَفْرَقَ أنْ يَكونَ ذلك الوَاحِد[5] .

---

(١) انظر السير : (داوُد بن أبي هند) ٦/ ٣٧٦ـ ٣٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٦ .
(٢) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/٧٠٧ .
(٣) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧/٧٣٣ .
(٤) انظر السير : (الخُرَيْبيُّ) ٩/ ٣٤٦ـ ٣٥٢ ، وانظر النزهة : ٥/٨٢٧ .
(٥) انظر السير : (بَكرُ بنُ عبد الله) ٤/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥١ .

٢ـ طَلَبُ النَّصيحَة :

عن جَعْفَر بنِ بُرْقانَ : قالَ لي مَيْمونُ بنُ مِهْران : يا جَعْفَرُ قُلْ لي في وَجْهي ما أكْرهُ ، فإنَّ الرجلَ لا يَنصَحُ أخاهُ حتَّىٰ يَقولَ له في وَجْهه ما يَكرَه[١] .

قيلَ : إنَّ الإمَامَ الرِّفَاعيَّ أقْسَمَ علىٰ أصحابِه إنْ كانَ فيه عَيبٌ يُنبِّهونَه عَليه ، فقالَ الشَّيخُ عُمَرُ الفاروثيُّ : يا سَيِّدي أنا أعْلمُ فيكَ عَيباً قالَ : ما هو ؟ قالَ : يا سَيِّدي عَيبُك أنَّنا من أصْحابِك فبَكَى الشَّيخُ والفُقَراءُ ، وقالَ ـ أيْ عُمَرُ ـ : إنْ سَلِمَ الْمَرْكَبُ ، حَملَ مَنْ فيه[٢] .

٣ـ الاسْتجابَةُ للنَصيحَة :

عن عَلقَمَةَ قالَ : كُنَّا عندَ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ فجاءَ خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ حتَّىٰ قامَ عَلينا ، في يَدِه خاتَمٌ من ذَهَب ، فقالَ : أكُلُّ هـٰؤلاء يَقْرؤون كما تَقرأ ؟ فقالَ عبدُ الله : إنْ شِئتَ أمَرتُ بَعضَهم يَقرأ ، قالَ : أجلْ ، فقالَ : اقْرأ يا علقَمَة! فقالَ فلانٌ : أتَأمُرُهُ أنْ يَقرأ ولَيسَ بأقْرَئنا ؟ قالَ عبدُ الله : إنْ شِئتَ حدَّثتُك بما قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في قَومِه وقَومِك ، قالَ علقَمَة : فقَرأتُ خَمسينَ آيَةً من سُورَةِ مَرْيَم ، فقالَ عبدُ الله : ما قَرأ إلاَّ كمَا أقْرأ ثم قالَ عبدُ الله : ألَمْ يَأنِ لهَـٰذا الخَاتَم أنْ يُطرَح ؟ فنَزَعَه ، ورَمَىٰ به ، وقالَ : والله لا تَراهُ عليَّ أبداً[٣] .

وعن أبي الفَيْض ، سَمعَ أبا حَفْص الحمْصيَّ يَقولُ : أعْطَىٰ مُعاويَةُ الْمِقْدادَ حِماراً من الْمَغْنَم ، فقالَ : العِرْباضُ بنُ سارِيَة : ما كانَ لكَ أنْ تَأخُذَه ، ولا له أنْ يُعطِيَكَ ، كأنِّي بكَ في النَّارِ تَحمِلُه فرَدَّه .

تُوفِّيَ العِرْباضُ سَنَةَ خَمسٍ وسَبعينَ[٤] .

---

(١) انظر السير : (مَيْمونُ بنُ مِهْران) ٥/ ٧١ـ٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/ ٥٨٢ .

(٢) انظر السير : (الرِّفاعيّ) ٢١/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ١/١٦٠١ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ مَسْعُود) ١/ ٤٦١ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/ ١٩٤ .

(٤) انظر السير : (العِرْباضُ بنُ سارِيَة) ٣/ ٤١٩ـ ٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٥ .

الهِمَّة

١ـ من نوع الهِمَم :

من كَلامِ أحمَدَ بنِ خِضْرَوَيْه : القُلوبُ جوَّالَة ، فإمَّا أنْ تَجُولَ حَوْلَ العَرْشِ ، وإمَّا أنْ تَجُولَ حَوْلَ الحُشِّ .

قيلَ إنَّه تُوفِّيَ سَنةَ أرْبَعين ومئتَين[١] .

٢ـ الهِمَّةُ العَاليَةُ في طَلَبِ العِلْم :

قالَ سَعيدُ بنُ الْمُسَيِّب : إنْ كُنتُ لأسيرُ الأيَّامَ واللَّيالِيَ في طَلَبِ الحَديثِ الوَاحِد[٢] .

قالَ مَعْمَرُ : أقَامَ قَتادَةُ عندَ سَعيدِ بنِ الْمُسَيِّبِ ثَمانيَةَ أيَّامٍ ، فقالَ لَه في اليوم الثالث : ارْتَحِلْ يا أعْمَىٰ فقد أنزَفْتَني[٣] ، [٤] .

وعن مَطرِ الوَرَّاق ، قالَ : ما زَالَ قَتادَةُ مُتعلِّماً حتَّىٰ مات .

قالَ أبو هِلال : قالوا لقَتادَة : نَكتُبُ ما نَسمَعُ منكَ ؟ قالَ : ومَا يَمنَعُكَ أنْ تَكتُبَ ، وقد أخْبَرَكَ اللَّطيفُ الخَبيرُ أنَّه يَكتُبُ ، فقالَ : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ ﴾[٥] ، [٦] .

وقالَ الإمامُ أحمَدُ : كانَ قَتادَةُ أحْفَظَ أهلِ البَصْرَة ، لا يَسْمَعُ شَيئاً إلاَّ حَفظَه ، قُرِىءَ عليه صَحيفَةُ جابرٍ مرَّةً واحدَةً فحَفِظَها[٧] .

وعن ابنِ جُرَيْج قالَ : أقَمتُ علىٰ عَطاء إحْدَىٰ وعِشرينَ حجَّة ، يَخرُجُ أبَوايَ إلى

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ خِضْرَوَيْه) ١١/٤٨٧ـ٤٨٩ ، وانظر النزهة : ١/٩٦٢ .
(٢) انظر السير : (سَعيدُ بنُ الْمُسَيِّب) ٤/٢١٧ـ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٨/٤٨٢ .
(٣) أي : أخذتَ منِّي علمي كلَّه ولم يبقَ منه شيءٌ ، يُقالُ : نزفت ماء البئر نزفاً : إذا نزحته كلَّه .
(٤) انظر السير : (قتادَة) ٥/٢٦٩ـ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠١ .
(٥) سورة طه ، الآية : ٥٢ .
(٦) انظر السير : (قَتادَة) ٥/٢٦٩ـ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠٢ .
(٧) انظر السير : (قَتادَة) ٥/٢٦٩ـ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٠٣ .

الطَّائفِ وأُقيمُ أنا تَخوُّفاً أنْ يَفْجَعَني عَطاءٌ بنَفسه قالَ بَعضُ الحُفَّاظ : لابنِ جُرَيج نَحوُ من ألفِ حَديثٍ ـ يَعني المَرفُوعَ ـ وأمَّا الآثارُ والْمَقاطيعُ والتَّفسيرُ ، فشيء كثير[1] .

وقالَ فُضَيلُ بنُ غَزْوَان : كُنَّا نَجلسُ أنا وابنُ شُبْرُمَة ، والحارِثُ بنُ يَزيد العكليُّ ، والْمُغيرَةُ ، والقَعْقَاعُ بنُ يَزيد باللَّيلِ نَتَذاكَرُ الفِقْهَ ، فرُبَّما لَمْ نَقُمْ حتَّىٰ نَسمَعَ النِّداءَ[2] .

وقالَ عليُّ بنُ الحُسَن بنُ شَقيق : قُمتُ لأخْرُجَ مع ابنِ الْمُبارَك في لَيلةٍ بارِدَةٍ من الْمَسجدِ ، فذَاكَرَني عندَ البابِ بحَديثٍ ، أو ذاكَرتُه ، فما زِلْنا نَتَذاكَرُ ، حتَّىٰ جاءَ الْمُؤَذِّنُ للصُّبحِ[3] .

وعن أبي بَكْر قال : اخْتلَفَتُ إلىٰ عاصِم نَحواً من ثلاث سنين ، في الحَرِّ والشِّتاءِ والمَطَر ، حتىٰ رُبَّما اسْتَحْيَيتُ من أهْلِ مَسْجدِ بَني كاهِل .

وعن أبي بَكْر بنِ عَيَّاش قال : الدُّخُولُ في العلمِ سَهلٌ ، لكنَّ الخُروجَ منه إلى الله شَديد[4] .

وسُئِلَ أبو داود : أيُّما أحْفَظُ وَكيعٌ أو عبدُ الرحْمَـٰن بنُ مَهْدي ؟ قالَ : وَكيعٌ أحْفَظُ وعبدُ الرحْمَـٰن أتْقَنُ ، وقد الْتَقَيا بعدَ العِشاءِ في الْمَسجِد الحَرامِ ، فتَواقَفا حتَّىٰ سَمعا أذانَ الصُّبحِ[5] .

وقالَ محمَّدُ بنُ يَحيَىٰ بنِ سَعيد : قالَ أبي : كُنتُ أخْرجُ من البَيتِ أطلُبُ الحَديثَ ، فلا أرْجِعُ إلاَّ بعدَ العَتَمَة[6] .

جاءَ في تَرجَمَةِ أبي عبدِ الله القَعْنَبيِّ ، قالَ أبو حاتم : ثِقَةٌ حُجَّةٌ لمْ أرَ أخْشَعَ منه ، سَألْنَاه أنْ يَقرأ عَلينا « الْمُوَطَّأ » فقالَ : تَعالوا بالغَداة ، فقُلنا لنا مَجلِسٌ عندَ حَجَّاجِ بنِ

---

(١) انظر السير : (ابنُ جُرَيْج) ٦/ ٣٢٥ـ٣٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٥ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ شُبْرُمَة) ٦/ ٣٤٧ـ ٣٤٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٥٥ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٦٩ .
(٤) انظر السير : (أبو بكر بن عيّاش) ٨/ ٤٨٩ـ ٤٩٤ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٧ .
(٥) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٠ .
(٦) انظر السير : (يَحيَى القَطَّان) ٩/ ١٧٥ـ ١٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٦ .

مِنْهَال ، قالَ : فإذا فَرَغتم منه قُلنا : نَأتي حينئذ مُسْلمَ بنَ إبْراهيمَ قالَ : فإذا فَرَغتم قُلنا : نَأتي أبا حُذَيْفَةَ النَّهْديَّ قالَ : فبَعدَ العَصْرِ قُلنا : نَأتي عَارماً أبا النُّعْمَان ، قالَ : فبَعدَ الْمَغربِ فكانَ يَأتينا باللَّيلِ ، فيَخرُجُ عَلينا ، وعَليه كبْلٌ[1] ما تَحتَه شَيءٌ في الصَّيفِ ، فكانَ يَقرأ عَلينا في الحَرِّ الشَّديدِ حينئذ .

قالَ عَمرُو بنُ عَليّ بنِ الفَلاَّس : كانَ القَعْنَبيُّ مُجابَ الدَّعْوَة[2] .

وقالَ أبو أُمَيَّة الطَّرَسُوسيُّ : سَمعتُ عليَّ بنَ الْمَديني ، يَقولُ : رُبَّما أذْكرُ الحَديثَ في اللَّيلِ ، فآمُرُ الجاريَةَ تُسْرجُ السِّراجَ فأنْظُرُ فيه[3] .

وكانَ أبو بَكْر السِّجِسْتانيُّ يَقولُ : دَخلتُ الكُوفَةَ ومَعي دِرهَمٌ واحِدٌ ، فأخَذتُ به ثَلاثينَ مُدَّ باقلاًّ[4] ، فكُنتُ آكُلُ منه ، وأكتُبُ عن أبي سَعيد الأشَجِّ ، فما فَرغَ الباقلاَّ حتىٰ كَتبتُ عنه ثَلاثينَ ألفَ حَديثٍ ، ما بَينَ مَقطُوعٍ ومُرْسَل[5] .

وقالَ ابنُ أبي حاتم الرَّازي في أوَّل كتاب « الجَرْح والتَّعْديل » له : سَمعتُ أبي يَقولُ : أوَّلُ سَنةٍ خَرجتُ في طَلَبِ الحَديثِ ، أقَمتُ سَبعَ سِنينَ ، أحْصَيتُ ما مَشَيتُ علىٰ قَدَمي زيادَةً علىٰ ألفِ فَرْسَخ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : مَسافَةُ ذلكَ نَحوُ أرْبَعة أشْهُر ، سَيرَ الجادَّة .

قالَ : ثم تَركتُ العَدَدَ بعدَ ذلك ، وخَرجتُ من البَحْرَينِ إلىٰ مِصْرَ ماشياً ، ثم إلى الرَّمْلَةِ ماشياً ، ثم إلىٰ دِمَشْقَ ، ثم أنْطاكيَة وطَرَسُوسَ ، ثم رَجَعتُ إلىٰ حِمْصَ ، ثم إلى الرَّقَّة ، ثم رَكبتُ إلى العِراقِ ، كلُّ هـٰذا في سَفري الأوَّل وأنا ابنُ عِشرينَ سَنةً[6] .

وقالَ ابنُ أبي حاتم سَمعتُ أبي يَقولُ : بَقيتُ في سَنةِ أربَع عَشرَة ثمانية أشْهُر

---

(١) الكَبْلُ : الفَرو الكبير .

(٢) انظر السير : (القَعْنَبيُّ) ١٠/ ٢٥٧ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/٨٧٥ .

(٣) انظر السير : (عَليُّ بنُ الْمَدينيُّ) ١١/ ٤١ـ ٦٠ ، وانظر النزهة : ٢/٩٠٨ .

(٤) الباقلاء باللهجة العراقية : الفول .

(٥) انظر السير : (أبو بَكر السِّجِسْتانيّ) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٧٢ .

(٦) انظر السير : (أبو حاتم الرَّازي) ١٣/ ٢٤٧ـ ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٧٥ .

بالبَصْرَة ، وكانَ في نَفسي أنْ أُقيمَ سَنةً ، فانْقَطَعَتْ نَفَقَتي ، فجَعلتُ أبيعُ ثيابي حتىٰ نَفِدَت ، وبَقيتُ بلا نفقَة ، ومَضيتُ أطُوفُ مع صَديق لي إلى الْمَشْيَخَة ، وأَسْمَعُ إلى الْمَساء ، فانْصَرفَ رَفيقي ، ورَجَعتُ إلىٰ بَيتي ، فجَعَلتُ أشْرَبُ الماءَ من الجُوعِ ، ثم أصْبَحْتُ ، فغَدا عليَّ رَفيقي ، فجَعلتُ أطُوفُ معه في سَماعِ الحَديثِ علىٰ جُوعٍ شَديدٍ ، وانْصَرفتُ جائعاً ، فلمَّا كان من الغَد ، غدا عليَّ فقالَ : مُرَّ بنا إلى الْمَشايخِ .

قُلتُ : أنا ضَعيفٌ لا يُمكنُني قالَ : ما ضَعفُك ؟ قُلتُ : لا أكْتُمُك أمْري ، قد مَضىٰ يَومان ما طَعِمتُ فيهما شَيئاً ، فقالَ : قد بَقيَ معي دينارٌ ، فنِصْفُه لك ، ونَجعَلُ النِّصْفَ الآخَر في الكِراء ، فخَرَجنا من البَصْرَة ، وأخَذتُ منه النِّصْفَ دينار[1] .

وقالَ أبو العَبَّاسِ ثَعلبُ : ما فَقدتُ إبْراهيمَ الحَربيَّ[2] من مَجلس لُغَة ولا نَحْو ، من خَمسينَ سَنة[3] .

وقالَ أبو القاسِمِ بنُ عَقيل الوَرَّاق : إنَّ أبَا جَعْفَرَ الطَّبَريَّ قالَ لأصْحابه : هلْ تَنْشَطُونَ لتَاريخِ العَالَم من آدَمَ إلىٰ وَقتِنا ؟ قالوا : كَمْ قَدرُه ؟ فذَكرَ نَحْوَ ثَلاثينَ ألفَ وَرَقَةٍ ، فقالوا : هـٰذا مِمَّا تَفنَى الأعْمارُ قبلَ تَمامِه! فقالَ : إنَّا لله! ماتَت الهِمَمُ فاخْتَصرَ ذلكَ في نَحْوِ ثلاثةِ آلافِ وَرَقَة ، ولَمَّا أنْ أرادَ أنْ يُمليَ التَّفسيرَ قالَ لهم نَحْواً من ذلك ، ثم أمْلاهُ علىٰ نَحْوِ من قَدرِ التَّاريخ[4] .

وقال محمّدُ بنُ عليّ السُّلَميُّ : قُمتُ ليلةً سَحراً لآخُذَ النَّوْبَة على ابنِ الأخْرَم ، فوَجدتُ قد سَبقَني ثلاثونَ قارئاً ، وقال : لمْ تُدْركْني النَّوبَةُ إلى العَصْر .

تُوفِّي ابنُ الأخْرَم في سنة إحدىٰ وأربعين وثلاث مئة وعاشَ إحدَىٰ وثمانين سنة[5] .

---

(١) انظر السير : (أبو حاتم الرَّازي) ١٣/ ٢٤٧ـ ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٧٥ .

(٢) الحربيُّ : نسبةً إلىٰ محلة غربي بغداد بها جامع وسوق « اللباب » .

(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ الحَرْبيُّ) ١٣/ ٣٥٦ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٩٤ .

(٤) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير الطَّبَري) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٥١ .

(٥) انظر السير : (ابنُ الأخْرَم) ١٥/ ٥٦٤ـ ٥٦٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٥٩ .

وقالَ ابنُ حِبَّان في أثناء كتابِ « الأنْواع » : لَعلَّنا قد كَتبنا عن أكثر من ألْفَي شَيخ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كَذا فلتَكُن الهِمَمُ ، هـٰذا مع ما كانَ عَليه من الفِقْهِ والعَربيّة ، والفَضائلِ البَاهِرَة ، وكثرَة التَّصانيفِ[١] .

وقالَ أبو مَسْعود عبدُ الرَّحيم الحَاجي : سَمعتُ محمدَ بنَ طاهِر يَقولُ : بُلتُ الدَّمَ في طَلبِ الحَديثِ مرَّتين ، مرَّةً ببَغدادَ ، وأخرَىٰ بمَكَّة ، كُنتُ أمشي حافياً في الحَرِّ ، فلَحِقَني ذلك ، وما رَكبتُ دَابّةً قَطُّ في طَلبِ الحَديثِ وكنتُ أحملُ كُتبي علىٰ ظَهْري ، وما سَألتُ في حالِ الطَّلبِ أحَداً ، كُنتُ أعيشُ علىٰ ما يأتي[٢] .

وقالَ يوسُفُ بنُ أحمدَ الشِّيرازيُّ في « أرْبَعين البُلْدان » له : لَمَّا رَحلتُ إلىٰ شَيخِنا رُحْلَةِ الدُّنيا ومُسْنِدِ العصر أبي الوَقت ، قدَّر الله لي الوُصولَ إليه في آخِرِ بلادِ كرمانَ ، فسَلمتُ عليه ، وقَبَّلتُه ، وجَلستُ بينَ يَديه فقالَ لي : ما أقْدَمَك إلىٰ هـٰذه البلادِ ؟ قُلتُ كانَ قَصدي إليكَ ، ومُعَوَّلي بعد الله عَليكَ ، وقد كَتبتُ ما وقعَ إليَّ من حَديثك بقَلَمي ، وسَعيتُ إليك بقَدَمي ، لأدْرِكَ بَركَةَ أنْفاسِك ، وأحْظَىٰ بعُلُوِّ إسْنادِك ، فقالَ : وفَّقكَ اللهُ وإيَّانا لِمَرْضاتِه ، وجَعلَ سَعيَنا له وقَصْدَنا إليه ، لَوْ كُنتَ عَرفْتَني حَقَّ مَعْرفَتي لَمَا سلَّمْتَ عليَّ ، ولا جَلَسْتَ بين يديَّ ، ثم بَكَىٰ بكاءً طويلاً ، وأبْكَىٰ مَنْ حَضَرَه ، ثم قالَ : اللَّهُمَّ اسْتُرْنا بسِتْرِك الجَميلِ ، واجْعَل تَحتَ السِّتْرِ ما تَرضَىٰ به عنَّا ، يا وَلدي تَعلمُ أنِّي رَحلتُ أيضاً لسَماعِ « الصَّحيح » ماشياً مع وَالِدي من هَرَاةَ إلى الدَّاووديِّ بـ« بُوشَنْج » وليَ دون عَشر سنين ، فكانَ وَالِدي يَضعُ علىٰ يَديَّ حَجَرين ويقولُ : احْمِلْهما ، فكُنتُ من خَوْفه أحفَظُهما بيَديَّ ، وأمْشي وهو يَتأمَّلُني ، فإذا رآني قد عَييتُ أمرَني أن أُلْقيَ حَجَراً واحداً ، فأُلْقي ويَخِفُّ عنِّي ، فأمشي إلىٰ أنْ يَتبينَ له تَعَبي ، فيَقولُ لي : هَلْ عَييتَ ؟ فأخافُه ، وأقُولُ : لا فيَقولُ : لِمَ تُقَصِّرْ في المَشْيِّ ؟ فأُسْرِعُ بين يَديْه ساعةً ، ثم أعْجزُ ، فيَأخُذُ الآخَرَ فيُلْقيه ، فأمشي حتَّىٰ أعْطَب ، فحينئذ كانَ يَأخُذني ويَحمِلُني ، وكُنَّا نَلتَقي جَماعَةً من الفَلاَّحينَ وغَيرَهم ، فيَقولون : يا شَيخُ

---

(١) انظر السير : (ابنُ حِبَّان) ١٦/ ٩٢ـ١٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٦٩ .

(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ طاهِر) ١٩/ ٣٦١ـ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٨٦ .

عيسَىٰ ، ادْفَع إلينا هـٰذا الطِّفْلَ نُركِبْه وإيَّاكَ إلىٰ بُوشَنْج ، فيَقولُ : مَعاذَ الله أنْ نَركَبَ في طَلَبِ أحاديثِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بلْ نَمشِي ، وإذا عَجزَ أرْكَبتُه علىٰ رَأسي إجْلالاً لحَديثِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ورَجاءَ ثَوابِه فكانَ ثَمرَةُ ذلكَ من حُسْنِ نِيَّتِه أنِّي انتَفَعتُ بسَماع هـٰذا الكِتاب وغَيرِه ، ولَمْ يَبْقَ من أقْراني أحَدٌ سِوايَ ، حتَّىٰ صارَت الوُفُودُ تَرحَلُ إلَيَّ من الأمْصارِ ثم أشارَ إلىٰ صاحِبنا عبدِ الباقي بنِ عبدِ الجَبَّار الهَرَويِّ أنْ يُقدِّمَ ليَ حَلوَاءَ ، فقُلتُ : يا سَيِّدي ، قِراءَتي لجُزءِ أبي الجَهْم أحَبُّ إليَّ من أكْلِ الحَلْواء ، فتَبسَّمَ ، وقالَ : إذا دَخلَ الطَّعامُ خَرجَ الكَلامُ ، وقَدَّمَ لنا صَحْناً فيه حَلْواءُ الفانيذ ، فأكَلنا ، وأخْرَجتُ الجُزءَ ، وسَألْتُه إحْضَارَ الأصْلِ ، فأحْضَرَه ، وقالَ : لا تَخَفْ ولا تَحْرِصْ ، فإنِّي قد قَبرتُ مِمَّنْ سَمعَ عليَّ خَلقاً كثيراً ، فسَلْ اللهَ السَّلامَةَ ، فقَرأتُ الجُزءَ ، وسُرِرْتُ به ، ويَسَّر اللهُ سَماعَ « الصَّحيحِ » وغَيرِه مِراراً[١] .

السَّمْعانيُّ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : الإمامُ الحافظُ الكَبيرُ الأوْحَدُ الثِّقةُ ، مُحدِّثُ خُراسَانَ ، أبو سَعْد عبدُ الكَريم بنِ الإمام الحافِظِ النَّاقِد أبي بَكْر محمَّدِ بنِ العَلاَّمَة مُفْتي خُراسَانَ أبي الْمُظفَّر مَنْصُور ، التَّميميُّ السَّمْعانيُّ الخُراسَانيُّ الْمَرْوَزيُّ ، صاحبُ الْمُصنَّفاتِ الكَثيرَة .

وُلد بمَرْوَ ، سَنةَ سِتٍّ وخَمسِ مئة[٢] .

ولا يُوصَف كَثرةُ البلادِ والمَشايخ الذين أخذَ عنهم .

فسَمعَ بآمُل طَبَرِسْتان ، وبأبِيْوَرد ، وبإسفرايين ، وبالأنْبار ، وببُخارَىٰ ، وببُروجِرْد ، وببَسْطام ، وبالبَصْرة ، وببَغْشور ، وببَلْخ ، وبتِرْمِذ ، وبجُرْجان ، وبحَلَب ، وبحَماة ، وبحَمْص ، وبخَرْتَنْك عند قَبرِ البُخاريِّ ، وبخُسْرَوجِرد ، وبالريِّ ، وبسَرْخَس ، وبسَمَرْقَند ، وبهَمَذان وهَراة والحَرَمَين ، والكُوفَة ، وطُوس ،

---

(١) انظر السير : (أبو الوقت) ٢٠/٣٠٣ـ٣١١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٥٣ .
(٢) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/٤٥٦ـ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٧ .

والكَـرخ ، ونَسَـا ، وواسِـط ، والمَـوْصِـل ، ونَهـاوَنْـد ، والطَّـالقـان ، وبـوشنـج ، والمَدائن ، وبِقاعٍ يَطولُ ذِكْرُها بحيث إنَّه زارَ القُدسَ والخَليلَ وهما بأيْدي الفِرَنْج ، تَحيَّلَ ، وخاطَرَ في ذلك ، وما تَهيَّأَ ذلكَ للسِّلَفيِّ ولا لابنِ عَساكر .

وكان ظَريفَ الشَّمائل ، حُلوَ المُذاكَرَة ، سَريعَ الفَهْم ، قَويَ الكتابَة سَريعَها ، دَرسَ وأفْتَىٰ ووَعَظَ ، وسادَ أهلَ بَيتِه ، وكانوا يُلقِّبونَه بلقَب والدِه تاج الإسلام ، وكان أبُوه يُلقَّب أيضاً مُعين الدِّين[1] .

قالَ ابنُ النَّجَّار : سَمعتُ مَنْ يَذكرُ أنَّ عَددَ شُيوخِ أبي سَعْد سَبعَةُ آلافِ شَيخ قالَ : وهٰذا شَيءٌ لَمْ يَبلُغْه أحَدٌ ، وكانَ مَليحَ التَّصانيفِ كَثيرَ النشوارِ والأناشِيدِ ، لَطيفَ الْمِزاجِ ، ظَريفاً ، حافِظاً ، واسِعَ الرِّحْلَة ، ثِقةً صَدوقاً دَيِّناً ، سَمعَ منه مَشايخُه وأقرانُه .

ماتَ الحافِظُ أبو سَعْد سَنَةَ اثنَتَينِ وسِتِّينَ وخَمسِ مئة بمَرْو وله سِتٌّ وخَمسُونَ سَنَةً[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ السِّلَفيِّ : بَقيَ ثَمانيَةَ عَشرَ عَاماً ، يَكتُبُ الحَديثَ والفِقْهَ والأدَبَ والشِّعْرَ وقَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ تِسعٍ وخَمسِ مئة ، فأقامَ بها سَنَتَينِ ، يَكتُبُ العِلْمَ مُقيماً بالخانقاه ثم اسْتَوطَنَ ثَغْرَ الإسْكَندَريَّة بِضْعاً وسِتِّينَ سَنةً وإلىٰ أنْ ماتَ يَنشُرُ العِلمَ ويُحصِّلُ الكُتبَ التي قَلَّ ما اجْتمَعَ لعَالِمٍ مثلَها في الدُّنيا .

ارْتَحلَ إليه خَلقٌ كَثيرٌ جداً ، ولا سيَّما لَمَّا زالَت دَولَةُ الرَّفْضِ عن إقْليمِ مِصْرَ وتَملَّكَها عَسكَرُ الشَّامِ ، فارْتَحلَ إليه السُّلطَانُ صَلاحُ الدِّينِ ، وإخْوَتُه وأُمَراؤُه ، فسَمِعُوا منه .

وحدَّث عنه الأئمَّةُ وكانَ مُكبّاً على الكِتابَة والاشْتِغالِ والرِّوايَة ، لا رَاحَةَ له غالباً إلاَّ في ذلك ولَه تَصانيفُ كَثيرة ، وكانَ يَستَحسِنُ الشِّعرَ ، ويَنظُمُه ، ويُثيبُ مَنْ يَمدَحُه[3] .

---

(١) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/٤٥٦ـ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٧ .
(٢) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/٤٥٦ـ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٧ .
(٣) انظر السير : (السِّلَفيّ) ٢١/٥ـ٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٩١ .

٣ـ الهِمَّةُ العَاليَةُ في التَّصْنيفِ والقِراءَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الجَاحِظِ : كان من بُحُورِ العِلمِ ، وتَصانيفُه كثيرة جداً قيلَ : لَمْ يَقع بيَدِه كتابٌ قَطُّ إلاَّ اسْتَوفَىٰ قِراءَتَه ، حتَّىٰ إنَّه كانَ يَكتَري دَكاكينَ الكُتْبيِّينَ ، ويَبيتُ فيها للمُطالَعَة ، وكانَ باقِعَةً[١] في قُوَّةِ الحِفظِ .

وله كتابُ « الحيَوان » سَبعَ مُجلَّدات ، وأضَافَ إليه كتابَ « النِّساء » وهو فَرقُ ما بَينَ الذَّكَرِ والأُنْثَىٰ ، وكتابُ « البغَال » وقد أُضيفَ إليه كتابٌ سَمَّوهُ كتابَ « الجمَال » لَيسَ من كَلامِ الجاحِظِ ، ولا يُقارِبُه .

قالَ رَجلٌ للجاحِظِ : أَلَكَ بالبَصْرَة ضَيْعَةٌ ؟ قالَ : فتَبسَّمَ ، وقالَ : إنَّما إناءٌ وجارِيَةٌ ومَنْ يَخدِمُها ، وحِمارٌ ، وخادِمٌ أَهْدَيتُ كتابَ « الحَيَوان » إلى ابنِ الزيَّات ، فأَعْطَاني أَلْفَيْ دينار ، وأَهْدَيتُ إلىٰ فُلان فذَكَر نَحْواً من ذلك ، يَعني : أنَّه في خَيرٍ وثَروَةٍ[٢] .

وقالَ الحاكمُ : سَمعتُ أبا عَليٍّ محمَّدَ بنَ أحمَدَ بنِ زَيْد الْمُعدَّل يَقولُ : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ الذُّهْليِّ يَقولُ : دَخلتُ علىٰ أبي في الصَّيفِ الصائف وَقتَ القائلَة وهو في بَيتِ كُتبِه ، وبينَ يَدَيه السِّراجُ ، وهو يُصنِّفُ ، فقُلتُ : يا أبتِ هـٰذا وَقتُ الصَّلاةِ ، ودُخانُ هـٰذا السِّراج بالنَّهارِ ، فلو نفَّسْتَ عن نَفسِك قالَ : يا بُنَي ، تَقولُ لي هـٰذا ، وأنا مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وأَصْحابِه والتَّابِعينَ ! ![٣] .

وقالَ محمَّدُ بنُ يُوسُف البخاريُّ : كُنتُ مع مُحمَّدِ بنِ إسْماعيلَ البُخاري بمَنزِله ذاتَ لَيلَة ، فأَحْصَيتُ عليه أنَّه قامَ وأَسْرَجَ يَسْتَذكِرُ أَشْياءَ يُعلِّقُها في لَيلَةٍ ثَمان عَشرَةَ مرَّة[٤] .

---

(١) أي داهيةً ، يُقالُ : ما فُلانُ إلاَّ باقِعَة من البَواقع ، سُمِّيَ باقعة لحلوله بقاع الأرض ، وكثرة تنقيبه في البلاد ، ومعرفته ما بها ، فشبه الرجل البصير بالأمور ، الكثير البحث عنها ، المجرب لها به ، والهاء دخلت في نعت الرجل للمبالغة في صفته ، كما قالوا : رجلٌ علاَّمَة ونسَّابَة .

(٢) انظر السير : (الجَاحظُ) ١١/٥٢٦ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٩٦٦ .

(٣) انظر السير : (الذُّهْليُّ وابنُه) ١٢/٢٧٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٠ .

(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريُّ) ١٢/٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠١٢ .

وقالَ الخَطيبُ : سَمعتُ عليَّ بنَ عُبَيدِ اللهِ اللُّغَويَّ يَحكي : أنَّ محمَّدَ بنَ جَرير مَكثَ أرْبَعينَ سَنةً يَكتُبُ في كُلِّ يَومٍ منها أرْبَعينَ وَرَقةً .

قالَ الخَطيبُ : وبَلغَني عن أبي حامِد أحمدِ بنِ أبي طاهِرِ الإسْفَراييني الفَقيه أنَّه قالَ : لَوْ سافَرَ رَجلٌ إلى الصِّينِ حتَّىٰ يُحَصِّلَ تَفسيرَ محمَّد بنِ جَرير لَمْ يَكُنْ كثيراً .

قالَ الحاكمُ : سَمعتُ حُسَيْنَك بنَ عليّ يَقولُ : أوَّلُ ما سَألَني ابنُ خُزَيْمَة فقالَ لي : كَتبتَ عن محمَّدِ بنِ جَرير الطَّبَري ؟ قُلتُ : لا ، قالَ : ولِمَ ؟ قُلتُ : لأنَّه كان لا يَظهرُ ، وكانت الحَنابلَةُ تَمنَعُ من الدُّخولِ عليه ، قالَ : بئسَ مَا فَعلتَ ، لَيتَكَ لَمْ تَكتُبْ عن كُلِّ مَنْ كَتبتَ عَنهم ، وسَمعتَ من أبي جَعْفَر .

قالَ الحاكمُ : وسَمعتُ أبا بَكْر بنَ بالُويه يَقولُ : قالَ لي أبو بَكْر بنُ خُزَيْمَة : بَلغَني أنَّكَ كَتبتَ التَّفسيرَ عن محمَّدِ بنِ جَرير ؟ قُلتُ : بَلَىٰ كَتبتُه عنه إمْلاءً ، قالَ : كُلَّه ؟ قُلتُ : نَعَم ، قالَ في أيِّ سَنةٍ ؟ قُلتُ : من سَنةِ ثَلاثٍ وثَمانينَ إلىٰ سَنةِ تِسعينَ ومِئتَين قالَ : فاسْتَعارَه منِّي أبو بَكْر ابنُ خُزَيْمَة ، ثم رَدَّه بعدَ سِنينَ ، ثم قالَ : لقد نَظَرتُ فيه من أوَّلِه إلىٰ آخِرِه وما أعْلَمُ علىٰ أديمِ الأرْضِ أعْلَمَ من محمَّدِ بنِ جَرير ولقد ظَلَمَتْه الحَنابِلَة[1] .

وقالَ ابنُ الآبَنُوسي : كانَ الحافِظُ الخَطيبُ البَغْداديُّ يَمشي وفي يَدِه جُزءٌ يُطالِعُه[2] .

قالَ يَحيَىٰ بنُ البَنَّاء : كانَ الحُمَيْديُّ من اجْتهادِه يَنسَخُ باللَّيلِ في الحَرِّ ، فكانَ يَجلسُ في إجَّانَةٍ في ماءٍ يَتبرَّدُ به .

قالَ الحُسَينُ بنُ محمَّد بنِ خُسْرو : جاءَ أبو بَكْر بنُ مَيْمونَ ، فدَقَّ البابَ على الحُمَيْديِّ ، وظَنَّ أنَّه أذِنَ له ، فدَخلَ ، فوَجدَه مَكشُوفَ الفَخْذِ فبَكى الحُمَيْديُّ ، وقالَ : واللهِ لقد نَظَرتَ إلىٰ مَوْضِعٍ لَمْ يَنظُرهُ أحَدٌ منذُ عَقَلتُ .

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ١/١١٥١ .

(٢) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤١٣ .

قالَ القاضي عِياض : محمَّدُ بنُ أبي نَصْر الأزْديُّ الأنْدَلُسيُّ ، سَمعَ بميُورقَةَ من ابنِ حَزْم قَديماً ، وكانَ يَتعصَّبُ له ، ويَميلُ إلىٰ قَولِه وأصَابتْه فيه فَتنةٌ ، ولَمَّا شُدِّدَ على ابنِ حَزْم ، خَرجَ الحُمَيْديُّ إلى الْمَشْرِقِ .

تُوفِّي الحُمَيْديُّ سَنةَ ثَمانٍ وثَمانينَ وأرْبَع مئة عن بضع وستِّينَ سَنةً أو أكثر ، وصلَّىٰ عليه أبو بَكر الشَّاشي ، ودُفنَ بمَقْبَرَة باب أبْرَز ، ثم إنَّهم نَقلوهُ بعدَ سَنتَين إلىٰ مَقْبَرَة باب حَرْب ، فدُفِنَ عندَ بِشْرِ الحافي[1] .

قالَ الحافِظُ عبدُ القادِر الرَّهاويُّ : وسَمعتُ أبا الفَضْل بنَ بُنَيْمانَ الأديبَ يَقولُ : رَأيتُ أبا العَلاء العَطَّار الهَمَذانيَّ في مَسجدٍ من مَساجِد بَغدادَ يَكتُبُ وهو قائمٌ ، لأنَّ السِّراجَ كان عالياً ، إلىٰ أنْ قالَ : فعَظُمَ شَأنُه في القُلوب ، حتَّىٰ إنْ كانَ ليَمُرُّ في هَمَذانَ فلا يَبقَىٰ أحَدٌ رَآهُ إلاَّ قامَ ودَعا له ، حتَّى الصِّبْيانُ واليَهودُ ، ورُبَّما كانَ يَمضي إلىٰ بَلدَةِ مُشْكَانَ يُصلِّي بها الجُمُعَة ، فيَتلقَّاهُ أهلُها خارجَ البَلدِ ، الْمُسلِمُونَ علىٰ حِدَة ، واليَهُودُ علىٰ حِدَة ، يَدعُونَ له ، إلىٰ أنْ يَدخُلَ البَلَد .

وكان يُفْتَحُ عليه من الدُّنيا جُمَلٌ ، فلَمْ يدَّخِرْها ، بل يُنْفِقُها علىٰ تَلامِذَتِه ، وكانَ عليه رُسومٌ لأقْوَام ، وما كانَ يَبرَح عليه ألفُ دينار هَمَذانيَّة أو أكثر من الدَّيْن ، مع كثرةِ ما كانَ يُفْتَحُ عليه .

وكانَ يَطلبُ لأصْحابِه من النَّاس ، ويُعِزُّ أصْحابَه ومَنْ يَلُوذُ به ، ولا يَحضُرُ دَعوَةً حتَّىٰ يَحضُرَ جَماعَةُ أصْحابِه ، وكانَ لا يَأكُلُ من أمْوالِ الظَّلَمَة ، ولا قَبلَ منهم مَدرَسَةً قَطُّ ولا رِباطاً ، وإنَّما كانَ يُقرِىءُ في دارِه ، ونَحنُ في مَسجِدِه سُكَّانٌ .

وكانَ يُقرِىءُ نصفَ نَهارِه الحَديثَ ، ونصفَه القُرآنَ والعِلمَ ولا يَغْشَى السَّلاطينَ ، ولا تَأخُذُه في الله لَوْمَةُ لائم ، ولا يُمَكِّنُ أحداً في مَحِلَّتِه أنْ يَفعَلَ مُنْكَراً ، ولا سَماعاً ، وكان يُنَزِّلُ كلَّ إنْسانٍ مَنزلَتَه ، حتَّىٰ تألَّفَت القُلوبُ علىٰ مَحبَّتِه وحُسْنِ الذِّكر له في الآفاقِ البَعيدَة ، حتَّىٰ أهْلُ خُوَارِزْمَ الذين هم مُعْتَزِلَة مع شِدَّته في الحَنْبَلَة .

---

(١) انظر السير : (الحُمَيْديُّ) ١٩/ ١٢٠ـ ١٢٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٦٩ .

وكانَ حَسنَ الصَّلاة لَمْ أرَ أحَداً من مَشايخنا أحْسَنَ صَلاةً منه ، وكانَ مُتَشدِّداً في أمْرِ الطَّهارَة ، لا يَدعُ أحَداً يَمَسُّ مَداسَه ، وكانَت ثيابُه قِصاراً ، وأكْمَامُه قِصاراً ، وعَمامَتُه نَحْوَ سَبعَةِ أذْرُع .

وكانَ السُّنَّة شِعارَه ودِثارَه اعْتقاداً وفِعْلاً ، بحَيثُ إنَّه كانَ إذا دَخلَ مَجلِسَه رَجلٌ ، فقَدَّمَ رِجلَه اليُسْرَىٰ كلَّفَه أنْ يَرجِعَ ، فيُقدِّمَ اليُمْنَىٰ ، ولا يَمسُّ الأجْزاءَ إلاَّ علىٰ وُضوءٍ ، ولا يَدْعُ شَيئاً قَطُّ إلاَّ مُستَقبِلَ القِبلَة تَعظيماً لها .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا لَمْ يَردْ فيه ثَوابٌ .

وسَمعتُ الحافِظَ أبا القاسِم عليَّ بنَ الحَسَن يَقولُ وذَكرَ رَجلاً من أصْحابِه رَحَلَ : إنْ رَجَعَ ولَمْ يَلقَ الحافِظَ أبا العَلاء ضاعَت رِحلَتُه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كانَ أبو العَلاء الحافِظُ في القِراءاتِ أكبرَ منه في الحَديثِ ، مع كَونِه من أعْيانِ أئمَّة الحَديثِ ، له عدَّة رَحلات إلىٰ بَغدادَ وأصْبَهانَ ونيسَابُورَ .

تُوفِّيَ أبو العَلاءِ الهَمَذانيُّ بها سَنةَ تِسْعٍ وستِّينَ وخَمسِ مئة ، وله نَيِّفٌ وثَمانونَ سَنةً[1] .

وقالَ ابنُ النَّجَّار : سَمعتُ أبا القاسِمِ المُقرِىءَ جارَنا يَقولُ ، وكانَ صالِحاً : كان الحازِميُّ رَحمَه اللهُ في رِباطِ البَديع ، فكانَ يَدخُلُ بيتَه في كُلِّ لَيلَةٍ ، ويُطالعُ ، ويَكتُبُ إلىٰ طُلوعِ الفَجْر ، فقالَ البَديعُ للخادِم : لا تَدفَع إليه اللَّيلَةَ بزراً للسِّراجِ لعلَّه يَستريحُ اللَّيلةَ قالَ : فلمَّا جَنَّ اللَّيلُ ، اعتَذرَ إليه الخادِمُ لأجلِ انْقِطاع البزر ، فدَخلَ بيتَه ، وصَفَّ قدَمَيه يُصلِّي ، ويَتلو ، إلىٰ أنْ طَلَعَ الفَجرُ ، وكانَ الشَّيخُ قد خَرجَ ليَعرِفَ خَبرَه ، فوَجدَه في الصَّلاةِ .

ماتَ أبو بَكر الحازِميُّ سَنةَ أرْبَع وثَمانينَ وخَمسِ مئة ، وله سِتٌّ وثَلاثونَ سَنةً[2] .

---

(١) انظر السير : (أبو العَلاءِ الهَمَذانيُّ) ٢١/ ٤٠ـ٤٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٩٥ .

(٢) انظر السير : (الحازميُّ) ٢١/١٦٧ـ١٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٠٦ .

٤ـ صُوَرٌ مُتنوِّعَة على الهِمَّة العاليَة :

قصَّةُ سَلْمان الفارسيّ رضي الله عنه :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : قالَ الحافِظُ أبو القاسِمِ بنُ عَسَاكِر : وهو سَلْمانُ ابنُ الإسْلام ، أبو عبدِ الله الفَارِسيُّ سابِقُ الفُرسِ إلى الإسْلام ، صَحِبَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وخَدمَه وحدَّثَ عنه .

وكانَ لَبيباً حازِماً من عُقَلاءِ الرِّجالِ وعُبَّادِهم ونُبَلائهم[1] .

عن عُرْوَةَ بن رُويم ، عن القاسِم أبي عبدِ الرحمَـٰن حدَّثه قالَ : زارَنا سَلمانُ الفارسيُّ فصلَّى الإمامُ الظُهرَ ، ثم خَرجَ وخَرجَ النَّاسُ ، يَتلقَّوْنَه كما يُتلَقَّى الخَليفَةُ ، فلَقيناهُ وقد صلَّىٰ بأصْحابِه العَصرَ ، وهو يَمشي فوَقَفْنا نُسلِّمُ عليه ، فلَمْ يَبقَ فينا شَريفٌ إلاَّ عَرضَ عَليه أنْ يَنزِلَ به ، فقالَ : جَعلتُ علىٰ نَفسِي مرَّتي هـٰذه أنْ أنزلَ علىٰ بَشيرِ بنِ سَعْد فلمَّا قَدمَ ، سَألَ عن أبي الدَّرْداء ، فقالوا : هو مُرابطٌ ، فقالَ : أينَ مُرابَطُكم ؟ قالوا : بَيرُوت ، فتَوجَّه قِبَلَه ، قالَ : فقالَ سَلمانُ : يا أهلَ بَيرُوتَ : ألا أُحدِّثُكم حَديثاً يُذهِبُ الله به عَنكم عَرضَ الرِّباط سَمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطَاً أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَجَرَىٰ لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[2] .

عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ : حدَّثني سَلْمانُ الفَارِسيُّ قالَ : كُنتُ رَجلاً فارسياً من أهلِ أصْبَهانَ ، من أهلِ قَريَةٍ منها يُقالُ لها : جيّ ، وكانَ أبي دِهْقانَها وكنتُ أحبَّ خَلقِ الله إليه ، فلَمْ يَزلْ بي حبُّه إيَّاي حتَّىٰ حَبسَني في بَيتِه كما تُحبَسُ الجاريَةُ ، فاجْتَهدتُ في الْمَجوسيَّة حتَّىٰ كنتُ قاطِنَ النَّارِ الذي يُوقِدُها لا يَترُكُها تَخبُو سَاعةً وكانت لأبي ضَيْعَةٌ عَظيمَةٌ ، فشُغلَ في بُنيَانٍ له يَوماً ، فقالَ لي : يا بُنَيَّ إنِّي قد شُغلتُ في بُنيَاني هـٰذا اليومَ عن ضَيْعَتي ، فاذْهَب فاطَّلعْها ، وأمَرَني ببَعض ما يُريدُ فخَرجتُ ، ثم قالَ : لا تَحْتَبسْ

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٩٨ .

(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٨ .

عليَّ ، فإنَّك إنْ احْتَبستَ عليَّ كُنتَ أهَمَّ إليَّ من ضَيْعَتي ، وشَغلْتَني عن كُلِّ شَيءٍ من أمْري فخَرجتُ أريدُ ضَيعَتَه ، فمَرَرتُ بكَنيسَةٍ من كَنَائسِ النَّصارَىٰ ، فسَمعتُ أصْواتَهم فيها وهم يُصلُّونَ ، وكُنتُ لا أدْري ما أمْرُ النَّاس بحَبْسِ أبي إيَّايَ في بَيتِه ، فلمَّا مَرَرْتُ بهم ، وسَمعتُ أصْواتَهم ، دَخلتُ إليهم أنْظُرُ ما يَصْنَعونَ ، فلمَّا رَأيتُهم أعْجَبَني صَلوَاتُهم ، ورَغِبتُ في أمْرِهم ، وقُلتُ : هـٰذا واللهِ خَيرٌ من الدِّينِ الذي نَحنُ عليه ، فواللهِ ما تَركتُهم حتَّىٰ غَربَت الشَّمسُ ، وتَركتُ ضَيْعَةَ أبي ولَمْ آتِهَا ، فقُلتُ لهم : أينَ أصْلُ هـٰذا الدِّينِ ؟ قالوا : بالشَّامِ .

قالَ : ثم رَجعتُ إلىٰ أبي وقد بَعثَ في طَلَبي وشَغَلتُه عن عَملِه كُلِّه ، فلمَّا جِئتُه قالَ : أي بُنَيَّ أينَ كُنتَ ؟ ألَمْ أكُنْ عَهدتُ إليكَ ما عَهدتُ ؟ قُلتُ : يا أبَتِ مَرَرتُ بناسٍ يُصَلُّونَ في كَنيسَةٍ لَهم ، فأعْجَبَني ما رَأيتُ من دِينِهم ، فواللهِ ما زِلتُ عندَهم حتَّىٰ غَربَت الشَّمسُ قالَ أي بُنَيَّ لَيسَ في ذلكَ الدِّينِ خَيرٌ ، دينُكَ ودينُ آبائكَ خَيرٌ منه قُلتُ : كلاَّ واللهِ! إنَّه لَخيرٌ من دِينِنا قالَ : فخَافَني ، فجَعلَ في رِجْلي قَيداً ، ثم حَبَسَني في بَيتِه ، قالَ : وبَعَثتُ إلى النَّصارَىٰ فقُلتُ : إذا قَدِمَ عَليكُم رَكبٌ من الشَّامِ تُجَّارٌ من النَّصارَىٰ ، فأخْبرُوني بهم فقَدِمَ عَليهم رَكبٌ من الشَّامِ قالَ : ففَعَلوا فألْقَيتُ الحَديدَ من رِجْلي ، ثم خَرجْتُ مَعهم حتَّىٰ قَدِمْتُ الشَّامَ فلمَّا قَدمْتُها ، قُلتُ : مَنْ أفْضَلُ أهْلِ هـٰذا الدِّينِ ، قالوا : الأُسْقُفُ في الكَنيسَة فجِئتُه ، فقُلتُ : إنِّي قد رَغِبتُ في هـٰذا الدِّينِ ، وأحْبَبتُ أنْ أكُونَ مَعكَ أخْدُمُكَ في كَنيسَتِك ، وأتَعلَّمُ منكَ ، وأُصَلِّي مَعكَ قالَ : فادْخُلْ ، فدَخَلتُ مَعه ، فكانَ رَجُلَ سُوءٍ يَأمُرُهم بالصَّدَقَةِ ويُرَغِّبُهم فيها ، فإذا جَمَعوا منها شَيئاً ، اكْتَنزَه لنَفسِه ، ولَمْ يُعطِه الْمَساكينَ حتَّىٰ جَمعَ سَبعَ قِلالٍ من ذَهَبٍ ووَرِق ، فأبْغَضتُه بُغضاً شَديداً لِمَا رَأيتُه يَصنَعُ ثم ماتَ ، فاجْتَمَعَت إليه النَّصارَىٰ لِيَدفِنُوه ، فقُلتُ لهم : إنَّ هَـٰذا رَجُلُ سُوءٍ ، يَأمُرُكُم بالصَّدَقَةِ ، ويُرَغِّبُكم فيها ، فإذا جِئتُم بها ، كَنزَها لنَفسِه ، ولَمْ يُعْطِ الْمَساكينَ ، وأَرَيتُهم مَوْضِعَ كَنزِهِ سَبعَ قِلالٍ مَمْلوءَة ، فلمَّا رَأوْها قالوا : واللهِ لا نَدفِنُه أبَداً .

فصَلَبُوهُ ثم رَمَوْه بالحِجارَة ثم جاؤوا برَجُلٍ جَعلُوه مَكانَه ، فما رَأيتُ رَجُلاً ـ يَعني

لا يُصَلِّي الخَمسَ ـ أرَىٰ أنَّه أفْضَلَ منه ، أزْهَدَ في الدُّنيا ، ولا أرْغَبَ في الآخِرَة ، ولا أدْأبَ لَيلاً ونَهاراً ، ما أعْلَمُني أحْبَبتُ شَيئاً قَطُّ قَبلَه حُبَّه ، فلَمْ أزَلْ مَعَه حتَّىٰ حضَرَتْهُ الوَفاةُ ، فقُلتُ : يا فُلانُ! قد حَضَرَكَ ما تَرَىٰ من أمْرِ الله ، وإنِّي والله ما أحْبَبتُ شَيئاً قَطُّ حُبَّك ، فمَاذا تَأمُرُني وإلىٰ مَنْ تُوصِيني ؟

قالَ لي : يا بُنَيَّ والله ما أعْلَمُه إلاَّ رَجُلاً بالْمَوْصِلِ ، فائتِه ، فإنَّكَ سَتجدُه علىٰ مثلِ حالي .

فلمَّا ماتَ وغُيِّبَ ، لَحِقتُ بالْمَوْصِلِ ، فأتَيتُ صاحِبَها ، فوَجدتُه علىٰ مثلِ حالِه من الاجْتِهادِ والزُّهْدِ فقُلتُ له : إنَّ فُلاناً أوْصَاني إليكَ أنْ آتيكَ وأكُونَ مَعَك قالَ : فأقِمْ أي بُنَيَّ ، فأقَمتُ عندَه علىٰ مثلِ أمْرِ صاحِبه حتَّىٰ حَضَرَتْهُ الوَفاةُ فقُلتُ له : إنَّ فُلاناً أوْصَىٰ بي إليكَ وقد حَضَرَكَ من أمْرِ اللهِ ما تَرَىٰ ، فإلىٰ مَنْ تُوصِي بي ؟ وما تَأمُرُني به ؟ قالَ : واللهِ ما أعْلَمُ ، أي بُنَيَّ ، إلاَّ رَجُلاً بنَصِيبينَ .

فلمَّا دَفنَّاه ، لَحِقتُ بالآخَرِ ، فأقَمتُ عندَه علىٰ مثلِ حالِهم حتَّىٰ حَضَرَه الْمَوتُ ، فأوْصَىٰ بي إلىٰ رَجُلٍ من أهْلِ عَمُّوريَة بالرُّومِ ، فأتَيتُه فوَجَدتُه مثلَ حالِهم ، واكْتَسَبتُ حتَّىٰ كانَ لي غُنيمَةٌ وبُقَيْرات .

ثم احْتُضِرَ فكلَّمتُه إلىٰ مَنْ يُوصي بي ؟ قالَ : أي بُنَيَّ! والله ما أعْلَمُه بَقِيَ أحَدٌ علىٰ مثلِ ما كُنَّا عليه آمُرُكَ أنْ تَأتيَه ، ولكنْ قد أظَلَّكَ زَمَانُ نَبيٍّ يُبعَثُ من الحَرَمِ ، مُهَاجَرُه بَينَ حَرَّتَينِ إلىٰ أرْضٍ سَبِخَة ذاتِ نَخْلٍ ، وإنَّ فيه عَلامَاتٌ لا تَخْفَىٰ ، بَينَ كَتفَيْه خاتَمُ النُّبوَّة ، يَأكُلُ الهَديَّة ولا يَأكُلُ الصَّدَقَة ، فإنِ اسْتَطعْتَ أنْ تَخلُصَ إلىٰ تِلكَ البِلادِ فافْعَلْ ، فإنَّه قد أظلَّكَ زَمانُه .

فلمَّا وَارَيْناهُ ، أقَمتُ حتَّىٰ مَرَّ بي رِجالٌ من تُجَّارِ العَرَبِ من كَلبٍ ، فقُلتُ لهم : تَحملُوني إلىٰ أرْضِ العَرَبِ ، وأُعْطيكُم غُنَيْمَتي وبَقَراتي هـٰذه ؟ قالوا : نَعَم فأعْطَيتُهم إيَّاها وحَمَلُوني ، حتَّىٰ إذا جاؤوا بي وَادي القُرَىٰ ، ظَلَمُوني ، فبَاعُوني عَبْداً من رَجُلٍ يَهُوديٍّ بوَادي القُرَىٰ فوالله لَقَدْ رَأيتُ النَّخلَ ، وطَمِعتُ أنْ يَكُونَ البَلَدَ الذي نَعتَ لي صاحِبي .

وما حقَّت عندي حتَّىٰ قَدِمَ رَجلٌ من بَني قُرَيْظَة وادي القُرَىٰ ، فابْتَاعَني من صاحِبي ، فخَرَجَ بي حتَّىٰ قَدِمْنا الْمَدينَةَ فوالله ما هُو إلاَّ أنْ رَأيتُها ، فعَرفْتُ نَعْتَها .

فأقَمتُ في رِقِّي ، وبَعثَ اللهُ نَبيَّه صلى الله عليه وسلم بمَكةَ لا يُذكَرُ لي شَيءٌ من أمْرِه مع ما أنا فيه من الرقِّ ، حتَّىٰ قَدِمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قُبَاءَ ، وأنا أعمَلُ لِصَاحِبي في نَخلَةٍ له ، فوالله إنِّي لفيها إذ جاءَه ابنُ عَمٍّ له ، فقالَ : يا فُلانُ قاتَلَ الله بَني قَيلة ، والله إنَّهم الآنَ لَفِي قُباءَ مُجتَمِعُونَ علىٰ رَجُلٍ جاءَ من مَكةَ يَزعُمُونَ أنَّه نَبيٌّ .

فوالله ما هو إلاَّ أنْ سَمعتُها فأخَذَتني العُرَواءُ ـ يَقولُ الرِّعْدَة ـ حتَّىٰ ظَننتُ لأسْقُطَنَّ علىٰ صَاحِبي ونزَلتُ أقُولُ : ما هـٰذا الخَبرُ ؟

فرَفعَ مَوْلايَ يَدَه فلَكمَني لَكمَةً شَديدَةً ، وقالَ : ما لَكَ ولهَـٰذا ؟! أقْبِلْ علىٰ عَمَلِك فقُلتُ : لا شَيءَ ، إنَّما سَمعتُ خَبراً ، فأحْبَبتُ أنْ أعْلمَه .

فلمَّا أمْسَيتُ ، وكانَ عندي شَيءٌ من طَعَامٍ ، فحَمَلتُه وذَهَبتُ إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بقُبَاءَ ، فقُلتُ له : بَلَغَني أنَّك رَجلٌ صالحٌ ، وأنَّ مَعكَ أصْحاباً لَكَ غُرَباءَ ، وقد كانَ عندي شَيءٌ من الصَّدَقَة فرَأيتُكم أحَقَّ مَنْ بهـٰذه البِلادِ ، فهَاكَ هَـٰذا ، فكُلْ مِنهُ .

قالَ : فأمْسَكَ ، وقالَ لأصْحابِه : « كلُوا » فقُلتُ في نَفسِي : هـٰذه خَلَّةٌ مِمَّا وَصَفَ لي صَاحِبي .

ثم رَجَعتُ ، وتَحوَّلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الْمَدينَة ، فجَمَعتُ شَيئاً كانَ عندي ثم جِئتُه به فقُلتُ : إنِّي قد رَأيتُكَ لا تَأكُلُ الصَّدَقَة ، وهـٰذه هَديَّةٌ فأكَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأكَلَ أصْحَابُه ، فقُلتُ هـٰذه خَلَّتان .

ثم جِئتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يَتبَعُ جنازَةً وعليَّ شمْلتان لي وهو في أصْحابِه ، فاسْتَدَرتُ أنْظُرُ إلىٰ ظَهرِه هَلْ أرَى الخَاتَم الذي وُصِفَ فلمَّا رآني اسْتَدبَرْتُه عَرفَ أنِّي أتَثبَّتُ في شَيءٍ وُصِفَ لي ، فألْقَىٰ رِداءَه عن ظَهرِه فنَظَرتُ إلى الخَاتَم فعَرفتُه ، فانْكَبَبْتُ عليه أُقبِّلُه وأبْكي .

فقالَ لي : تَحوَّلْ : فتَحَوَّلتُ ، فقَصَصْتُ عَليه حَديثي كَما حدَّثتُكَ يا ابنَ عَبَّاس ، فأَعْجَبَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَسمَعَ ذلكَ أصْحابُه[١] .

ثم شَغلَ سَلمَانَ الرِّقُّ حتَّىٰ فاتَه مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بَدْر وأُحُد ثم قالَ رَسُولُ الله : « كَاتِبْ يَا سَلْمانُ » فكاتَبتُ صاحِبي علىٰ ثَلاثِ مئة نَخْلة أُحْييها له بالفَقير وبأَرْبَعينَ أُوقِيَة فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصْحابه : « أَعِينُوا أَخَاكمْ » فأعانُوني بالنْخل ، الرَّجُلُ بثَلاثينَ وَدِيَّة[٢] ، والرَّجُلُ بعِشرينَ ، والرَّجُلُ بخَمسَ عَشرَة ، حتَّى اجتَمعَت ثَلاثُ مئة وَدِيَّة فقال صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفقِّرْ لَهَا ، فَإذَا فَرَغْتَ فَائْتِنِي أَكونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ » ففَقَّرتُ لها وأعَانَني أصْحابي ، حتَّىٰ إذا فَرَغتُ منها ، جئتُه وأَخْبَرتُه ، فخَرَجَ مَعي إليها نُقَرِّبُ له الوَدِيَّ ، ويَضَعُه بيَدِه ، فوالذي نَفسُ سَلمانَ بيَدِه ما ماتَت منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ فأدَّيتُ النَّخْلَ ، وبَقِيَ عليَّ المالُ ، فأُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بمثلِ بَيْضَة دَجاجَة من ذَهَب من بَعضِ الْمَغَازِي فقالَ صلى الله عليه وسلم : « مَا فَعَلَ الْفَارِسيُّ الْمُكاتَبُ ؟ » فدُعيتُ له ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « خُذْهَا فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ » قُلتُ : وأينَ تَقعُ هٰذه يا رَسُولَ الله ممَّا عليَّ ؟ قالَ : خُذْها فإنَّ اللهَ سَيؤدِّي بها عَنكَ فأخَذتُها فوَزَنتُ لهم منها أرْبَعينَ أُوقِيَة ، وأَوْفَيتُهم حَقَّهم وعَتقتُ ، فشَهدتُ مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الخَنْدَقَ حُرّاً ، ثم لَمْ يَفُتْني معه مَشهَدٌ[٣] .

عن عائذِ بنِ عَمرُو أنَّ أبا سُفْيانَ مَرَّ علىٰ سَلمانَ وبِلال وصُهَيب في نَفَر فقالوا : ما أَخذَت سُيوفُ الله من عُنُق عَدو الله مأخَذَها فقالَ أبو بَكر : تَقولون هٰذا لشَيخ قُرَيش وسَيِّدِها! ثم أتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخْبرَه ، فقالَ : « يَا أَبَا بَكرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ » فأتاهُم أبو بَكر فقالَ : يا إخْوَتاهُ أغْضَبتُكم ؟ قالُوا : لا يا أبا بَكر ، يَغفِرُ اللهُ لك[٤] .

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١٩٨/ ٤ .
(٢) الودية : جمع ودي : صِغار الفسيل .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٢/ ١ .
(٤) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٢/ ٢ .

عن أبي البَخْتَرِيِّ قالَ : قيلَ لعَليٍّ : أخْبرنا عن أصْحَابِ محمَّد صلى الله عليه وسلم قالَ : عن أيِّهم تَسألُون ؟ قيلَ : عن عبدِ الله بنِ مَسْعود ، قالَ : عَلِمَ القُرآنَ والسُّنَّةَ ، ثم انتُهىٰ وكَفَىٰ به عِلماً قَالُوا : عَمَّار ؟ قالَ : مُؤمنٌ نسيٌّ فإنْ ذَكَّرتَه ذَكَرَ ، قالوا : أبو ذَر ؟ قالَ : وَعَىٰ عِلماً عَجَزَ عنه قَالُوا : أبو مُوسَى ؟ قالَ : صُبغَ في العِلمِ صِبْغَةً ، ثم خَرجَ منه قالوا : حُذَيْفَة ؟ قالَ : أعْلَمُ أصْحابِ مُحمَّد بالْمُنافِقِينَ قَالُوا : سَلْمانُ ؟ قالَ : أدْرَكَ العلمَ الأوَّلَ ، والعِلمَ الآخِر ، بَحْرٌ لا يُدرَكُ قَعْرُه ، وهو منَّا أهلَ البيتِ قَالُوا : فأنتَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : كُنتُ إذا سَألتُ أُعطِيتُ ، وإذا سَكتُّ ابتُديتُ[1] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم تَلا هـٰذه الآيَة ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[2] قالوا : يا رَسولَ الله! مَنْ هَؤلاء ؟ قالَ رضي الله عنه : فضَرَبَ عَلىٰ فَخِذِ سَلْمانَ الفَارسِيِّ ، ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « هَـٰذا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَناوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ الفُرْسِ »[3] .

عن أبي البَخْتَرِيِّ قالَ : جاءَ الأشْعَثُ بنُ قَيسٍ وجَريرُ بنُ عبدِ الله ، فدَخَلا علىٰ سَلمَانَ في خُصٍّ فسَلَّما وحَيَّياه ، ثم قَالا : أنتَ صاحِبُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : لا أدْري فارْتابا قالَ : إنَّما صاحِبُه مَنْ دَخَلَ مَعه الجَنَّةَ قالا : جِئنا من عندِ أبي الدَّرْداء ، قالَ : فأينَ هَدِيَّتُه ؟ قالا : ما مَعنا هَدِيَّة قالَ : اتَّقيا اللهَ ، وأدِّيا الأمانَةَ ، ما أتاني أحَدٌ من عندِه إلاَّ بهَدِيَّة ، قالا : لا تَرفَع عَلينا هَـٰذا ، إنَّ لنا أمْوالاً فاحْتكِم ، قالَ : ما أُريدُ إلاَّ الهَدِيَّة ، قالا : والله ما بَعثَ مَعنا بشَيءٍ إلاَّ أنَّه قالَ : إنَّ فيكُم رَجُلاً كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خَلا به لَمْ يَبغِ غَيرَه ، فإذا أتَيْتُمَاهُ ، فأقْرِئاهُ منِّي السَّلامَ قالَ : فأيُّ هَدِيَّة كُنتُ أُريدُ مِنْكُما غيرَ هـٰذه ؟ وأيُّ هَدِيَّة أفْضَلُ منها ؟[4] .

عن طارِقِ بنِ شِهابٍ عن سَلْمانَ قالَ : إذا كانَ اللَّيلُ ، كانَ النَّاسُ منه علىٰ ثَلاثِ

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥_٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٣/ ١ .
(٢) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥_٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٣/ ٢ .
(٤) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥_٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٣/ ٣ .

مَنازِلَ : فمنهم مَنْ لَه ولا عَليه ، ومنهم مَنْ عَليه ولا لَه ، ومنهم مَنْ لا عَليه ولا لَه! فقُلتُ : وكَيفَ ذاكَ ؟ قالَ : أمَّا مَنْ لَه ولا عَليه ، فرَجلٌ اغْتَنَمَ غَفلَةَ النَّاسِ وظُلمَةَ اللَّيلِ ، فَتوضَّأ وصَلَّىٰ ، فذاكَ لَه ولا عَليه ، ورَجُلٌ اغْتَنَمَ غَفلَةَ النَّاسِ وظُلمَةَ اللَّيلِ فمَشَىٰ في مَعاصي الله ، فذَاكَ عَليه ولا لَه ، ورَجُلٌ نامَ حتَّىٰ أصْبَحَ ، فذَاكَ لا لَه ولا عَليه[1] .

قالَ طارِقٌ : فقُلتُ : لأصْحبَنَّ هـٰذا فضُربَ على النَّاسِ بَعثٌ ، فخَرجَ فيهم ، فصَحبتُه وكُنتُ لا أفْضُلهُ في عَمَلٍ ، إنْ أنا عَجنتُ خبزَ وإنْ خَبَزتُ طَبخَ ، فنزَلنَا مَنْزِلاً فبِتْنا فيه ، وكانت لِطَارِق سَاعَةٌ من اللَّيلِ يَقُومُها ، فكُنتُ أتيَقَّظُ لها فأجِدُه نائماً ، فأَقُولُ : صاحِبُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، خَيرٌ منِّي نائمٌ ، فأنامُ ثم أقُومُ فأجِدُهُ نائماً فأنامُ ، إلاَّ أنَّه كانَ إذا تَعارَّ من اللَّيلِ قالَ وهو مُضطَجعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، والْحَمْدُ للهِ ، ولا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ ، واللهُ أكبَرُ ، لا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلكُ ولَهُ الْحَمْدُ ، وهو علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ حتَّىٰ إذا كانَ قُبيلَ الصُّبحِ قامَ فتوضَّأ ثم رَكَعَ أرْبَعَ رَكَعاتٍ فلمَّا صَلَّيْنا الفَجْرَ قُلتُ : يا أبا عبدِ الله! كانَت ليَ سَاعَةٌ من اللَّيلِ أقُومُها وكُنتُ أتيَقَّظُ لها فأجِدُكَ نائماً ، قالَ : يا ابنَ أخي! فإيش كُنتَ تَسْمَعُني أقُولُ ؟ فأخْبَرتُه ، فقالَ : يا ابنَ أخي تِلكَ الصَّلاةُ ، إنَّ الصَّلوَاتِ الخَمسَ كفَّاراتٌ لِمَا بَينَهُنَّ ما اجْتُنبَت الْمَقتَلَة ، يا ابنَ أخي عَليكَ بالقَصْدِ فإنَّه أبْلَغُ[2] .

عن أبي وَائلٍ قالَ : ذَهبتُ أنا وصاحِبٍ لي إلىٰ سَلْمانَ ، فقالَ : لَوْلا أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهانا عن التَّكلُّفِ ، لتكلَّفْتُ لكم ، فجاءَنا بخُبزٍ ومِلْحٍ فقُلتُ لصاحِبي : لَوْ كانَ في مِلْحِنا صَعْتَرٌ فبَعَثَ سَلْمانُ بمِطْهَرَتِه ، فرَهَنَها ، فجاء بصَعْتَر ، فلمَّا أكلْنا قالَ صاحبي : الحَمْدُ لله الذي قَنَّعَنا بما رَزَقَنا ، فقالَ سَلْمانُ : لَوْ قَنَعْتَ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتي مَرْهونَةً[3] .

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٤/ ١ .
(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٤/ ٢ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٤/ ٣ .

وعن أَنَس قالَ : دَخلَ سَعدٌ وابنُ مَسْعُود عَلىٰ سَلْمانَ عندَ الْمَوتِ ، فبَكَىٰ فقيلَ له : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : عَهدٌ عَهِدَه إلينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لَمْ نَحْفَظْه قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنْ الدُّنْيا كزَادِ الرَّاكبِ » وأمَّا أنتَ يا سَعدُ فاتَّقِ اللهَ في حُكمِكَ إذا حَكمتَ ، وفي قَسْمِكَ إذا قَسَمْتَ ، وعندَ هَمِّكَ إذا هَمَمتَ .

قالَ ثابتٌ : فبَلغَني أنَّه ما تَركَ إلاَّ بضعَةً وعِشرينَ دِرْهَماً نُفَيْقَة كانت عندَه[1] .

عن سَلمانَ ، قالَ : فَترَةُ ما بَينَ عِيسَىٰ ومُحمَّد صلى الله عليه وسلم سِتُّ مئة سَنَةٍ[2] .

ماتَ سَلمانُ في خِلافَة عُثْمانَ بالْمَدائنِ .

قالَ العَبَّاسُ بنُ يَزيد البَحْراني : يَقولُ أَهْلُ العِلمِ : عَاشَ سَلمانُ ثَلاثَ مئةٍ وخَمسينَ سَنةً ، فأمَّا مِئتانِ وخَمسُونَ ، فلا يَشُكُّونَ فيه .

ومَجْموعُ أمْرِه وأحْوَالِه ، وغَزْوِه ، وهِمَّته ، وتَصَرُّفه ، وسَفِّه للجَريد ، وأشياء مِمَّا تَقدَّمَ يُنبِئُ بأنَّه لَيسَ بمُعَمَّر ولا هَرِم فقد فارَقَ وَطنَه وهو حَدَثٌ ، ولَعلَّه قَدِمَ الحِجَازَ وله أَرْبَعُونَ سَنةً أو أَقلُّ ، فلَمْ يَنْشَبْ أنْ سَمِعَ بمَبْعَثِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثم هاجَرَ ، فلَعلَّه عاشَ بِضْعاً وسَبعينَ سَنةً وما أَرَاهُ بَلغَ الْمِئَةَ فمَنْ كانَ عندَه عِلمٌ ، فليُفِدْنا .

وقد نَقلَ طُولَ عُمرِه أبو الفَرَج بنُ الجَوْزي وغَيرُه وما عَلمتُ في ذلكَ شَيئاً يُركَنُ إليه[3] .

عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : لَمَّا مَرِضَ سَلمانُ ، خَرجَ سَعدٌ من الكُوفَةِ يَعُودُه ، فقَدِمَ ، فوَافَقَه وهو في الْمَوتِ يَبْكي ، فسَلَّمَ وجَلسَ ، وقالَ : ما يُبكيكَ يا أخي ؟ ألا تَذكُرُ صُحْبَةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تَذكُرُ الْمَشَاهِدَ الصَّالِحَة ؟

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٥ .

(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٠٥ .

(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٢٠٥ .

قالَ : والله ما يُبْكيني وَاحِدَةٌ من اثنَتين : ما أبْكي حُبّاً بالدُّنيا ولا كَراهيَةً لِلقاءِ الله قالَ سَعدٌ : فما يُبْكيكَ بعدَ ثَمانينَ ؟ قالَ : يُبْكيني أنَّ خَليلي صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إليَّ عَهْداً قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنَ الدُّنْيَا كزَادِ الرَّاكِبِ » وإنَّا قد خَشينا أنَّا قد تَعدَّينا .

رَواهُ بَعضُهم عن ثابت ، فقالَ : عن أبي عُثْمانَ ، وإرْسَالُه أشْبَه قالَه أبو حاتم ، وهـٰذا يُوضِّحُ لكَ أنَّه من أبْناء الثَّمانينَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وقد ذَكرتُ في تاريخي الكَبير أنَّه عاشَ مِئتَين وخَمسينَ سَنَةً ، وأنا السَّاعَةَ لا أرْتَضي ذلكَ ولا أُصَحِّحُه[1] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : « ألا تَسْأَلُني مِنْ هَـٰذِهِ الْغَنَائِمِ الَّتِي يَسْأَلُنِي أَصْحَابُكَ ؟ » قُلتُ : أسْألُك أنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ فنزَعَ نَمِرَةً كانت علىٰ ظَهْري ، فبَسَطَها بَيني وبَينَه ، حتَّىٰ كأنِّي أنْظُرُ إلى النَّمْلِ يَدُبُّ عَليها ، فحدَّثَني ، حتَّىٰ إذا اسْتَوْعَبتُ حَديثَه ، قالَ : « اجْمَعْهَا فَصُرْهَا إِلَيْكَ » فأصْبَحتُ لا أُسْقِطُ حَرْفاً مِمَّا حدَّثَني .

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قالَ : تَزعُمُونَ أنِّي أُكثِرُ الرِّوايَةَ عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم واللهُ الْمَوْعِدُ إنِّي كُنتُ امْرأً مِسْكيناً ، أصْحَبُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم علىٰ مِلْءِ بَطنِي ، وإنَّه حدَّثنا يوماً ، وقالَ : « مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ حَتَّىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي ، ثُمَّ قَبَضَهُ إِلَيْهِ ، لَمْ يَنْسَ شَيْئاً سَمِعَ مِنِّي أَبَداً » ففَعلتُ فوَالذي بَعثَه بالحَقِّ ، ما نَسيتُ شَيئاً سَمعتُه منه[2] .

عن سَعيدِ بنِ جُبَير ، قالَ : كانَ ناسٌ من الْمُهاجرينَ قد وَجَدوا علىٰ عُمَرَ في إدْنائه ابنَ عَبَّاس دُونَهم قالَ : وكانَ يَسْألُه فقالَ عُمَرُ : أما سأُريكُم اليَومَ منه ما تَعْرِفونَ فَضلَه ، فسَألَهم عن هـٰذه السُّورَةِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾[3] ، فقالَ بَعضُهم : أَمَرَ اللهُ

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٥/ ٤ .
(٢) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٥٧٨/٢ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٣٠٩ .
(٣) سورة النصر ، الآية : ١ .

نَبيَّه إذا رَأى النَّاسَ يَدخُلونَ في دِينِ الله أفْواجاً أنْ يَحْمَدَه ويَسْتَغْفِرَه فقالَ عُمَرُ : يا ابنَ عَبَّاس تَكلَّم فقالَ : أعْلَمَه متىٰ يَموتُ ، أي : فهي آيَتُكَ من الْمَوْتِ ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْه[1] .

وعن الحَسَن ، أنَّ عامرَ بنَ عبدِ قَيس كانَ يَقولُ : مَنْ أُقْرِىءُ ؟ فيَأتيه نَاسٌ ، فيُقْرِئُهم القُرآنَ ، ثم يَقومُ فيُصلِّي إلى الظُّهْر ، ثم يُصلِّي العَصرَ ، ثم يُقرِىءُ النَّاسَ إلى الْمَغرِبِ ، ثم يُصلِّي ما بَينَ العِشَاءَينِ ثم يَنصَرِفُ إلىٰ مَنزِله ، فيَأكُلُ رَغيفاً ، ويَنامُ نَومَةً خَفيفَةً ، ثم يَقومُ لصَلاتِه ثم يَتسَحَّرُ رَغيفاً ويَخرجُ[2] .

عن هشام بنِ عُرْوَة ، عن أبيه ، أنَّه كان يَقولُ لنا ونَحنُ شَبابٌ : ما لكم لا تَعلَّمون ، إنْ تَكونوا صِغارَ قَوْمٍ يُوشِكُ أنْ تَكونوا كِبارَ قَوْمٍ ، وما خيرُ الشَّيخِ أنْ يَكونَ شَيخاً وهو جاهلٌ ، لقد رَأيتُني قبلَ مَوتِ عائشَةَ بأرْبَعِ حِجَجٍ وأنا أقولُ لو ماتَت اليومَ ما نَدِمْتُ علىٰ حَديثٍ عندَها إلاَّ وقد وَعَيتُه ، ولقد كان يَبلُغُني عن الصَّحابيِّ الحَديثُ فآتيه فأجدُه قد قالَ ، فأجلسُ علىٰ بابِه ، ثم أسْألُ عنه[3] .

وقالَ أبو مُسْهِر : حدَّثني سَعيدُ بنُ عبدِ العَزيز التَّنوخيُّ قالَ : كُنتُ أجلسُ بالغَدَواتِ إلى ابنِ أبي مالِك ، وأُجالِسُ بعدَ الظُّهْر إسْماعيلَ ابنَ عُبَيدِ الله وبعدَ العَصْرِ مَكْحُولاً .

قالَ أبو حاتم الرَّازي : كانَ أبو مُسْهِر يُقدِّمُ سَعيداً على الأوْزَاعِيِّ .

وقالَ أبو عبدِ الله الحاكِمُ : سَعيدُ بنُ عبدِ العَزيز لأهْلِ الشَّامِ كمَالِكٍ لأهْلِ الْمَدينَة في التَّقدُّمِ والفِقه والأمانَة[4] .

ورُوي عن سُليم الرَّازي قال : كان أبو حامد الإسْفَراييني في أوَّلِ أمرِه يَحرُسُ في دَربٍ ، وكان يُطالِعُ علىٰ زَيتِ الحَرَس ، وإنَّه أفْتَىٰ وهو ابنُ سَبع عشرةَ سنة .

---

(١) انظر السير : (عبد الله بن عبَّاس البَحْر) ٣/ ٣٣١ـ ٣٥٩ ، وانظر النزهة : ٣/٣٩٠ .

(٢) انظر السير : (عامرُ بنُ عَبدِ قَيْس) ٤/ ١٥ـ ١٩ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٣ .

(٣) انظر السير : (عُرْوَة بن الزُّبَيْر) ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٢٦ .

(٤) انظر السير : (سَعيدُ بنُ عبد العَزيز) ٨/ ٣٢ـ ٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٢٣ .

قال الخَطيبُ : ماتَ أبو حامد في سَنَةِ سِتٍّ وأربعِ مئة ، كان يَوماً مَشْهوداً ، ودُفِنَ في دارِه ، ثم نُقِلَ بعد أربعِ سِنينَ ، ودُفِنَ ببابِ حَربٍ ، رَحِمَه الله[1] .

وعن أبي إسحاقَ الشِّيرازي : أنه اشْتَهىٰ ثَريداً بماءِ باقلأَّء ، قالَ : فما صَحَّ لي أكلُه لاشْتِغالي بالدَّرْسِ وأخذي النَّوْبَة[2] .

السَّمْعانيُّ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : الإمامُ الحافِظُ الكَبيرُ الأوْحَدُ الثِّقةُ ، مُحدِّثُ خُراسَانَ ، أبو سَعْد عبدُ الكَريم بنِ الإمامِ الحافِظِ النَّاقِد أبي بَكْر محمَّدِ بنِ العَلاَّمَة مُفْتي خُراسَانَ أبي الْمُظفَّر مَنْصُور ، التَّميميُّ السَّمْعانيُّ الخُراسَانيُّ الْمَرْوَزيُّ ، صاحبُ الْمُصنَّفاتِ الكَثيرَة .

وُلد بمَرْوَ ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمسِ مئة[3] .

ولا يُوصَف كَثرةُ البلادِ والمَشايخ الذين أخذَ عنهم .

فسَمعَ بآمُل طَبَرِسْتان ، وبأبِيْوَرد ، وبإسفرايين ، وبالأنْبار ، وببُخارَىٰ ، وببُروجِرْد ، وببَسْطام ، وبالبَصْرة ، وببَغْشور ، وببَلْخ ، وبتِرْمِذ ، وبجُرْجان ، وبحَلَب ، وبحَماة ، وبحِمْص ، وبخَرْتَنْك عند قَبرِ البُخاريِّ ، وبخُسْرَوجِرد ، وبالريِّ ، وبسَرْخَس ، وبسَمَرْقَند ، وبهَمَذان وهَراة والحَرَمَين ، والكُوفَة ، وطُوس ، والكَرخ ، ونَسَا ، وواسِط ، والمَوْصِل ، ونَهاوَنْد ، والطَّالقان ، وبوشنج ، والمَدائن ، وبِقاعٍ يَطولُ ذِكْرُها بحيث إنَّه زارَ القُدسَ والخَليلَ وهما بأيْدي الفِرَنْج ، تَحيَّلَ ، وخاطَرَ في ذلك ، وما تَهيَّأَ ذلكَ للسِّلَفيِّ ولا لابنِ عَساكر .

وكان ظَريفَ الشَّمائل ، حُلوَ المُذاكَرَة ، سَريعَ الفَهْم ، قَويَ الكتابَة سَريعَها ،

---

(١) انظر السير : (أبو حامد الإسْفرايينيّ) ١٧/ ١٩٣ـ ١٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٣٦ .
(٢) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازي) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٢٩ .
(٣) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/ ٤٥٦ـ ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٧ .

دَرسَ وأفْتَىٰ ووَعَظَ ، وسادَ أهلَ بَيتِه ، وكانوا يُلقِّبونَه بلقَب والدِه تاج الإسلام ، وكان أبُوه يُلقَّب أيضاً مُعين الدِّين[1] .

قالَ ابنُ النَّجّار : سَمعتُ مَنْ يَذكرُ أنَّ عَددَ شُيوخِ أبي سَعْد سَبعَةُ آلافِ شَيخ قالَ : وهٰذا شَيءٌ لَمْ يَبلُغْه أحَدٌ ، وكانَ مَليحَ التَّصانيفِ كَثيرَ النشوارِ والأناشِيدِ ، لَطيفَ الْمِزاجِ، ظَريفاً ، حافِظاً ، واسعَ الرِّحْلَة ، ثِقةً صَدوقاً دَيِّناً ، سَمعَ منه مَشايخُه وأقرانُه .

ماتَ الحافِظُ أبو سَعْد سَنةَ اثنتَينِ وسِتِّينَ وخَمسِ مئة بمَرْو وله سِتٌّ وخَمسُونَ سَنةً[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمةِ السِّلَفيِّ : بَقيَ ثَمانيَةَ عَشرَ عَاماً ، يَكتُبُ الحَديثَ والفِقْهَ والأدَبَ والشِّعْرَ وقَدِمَ دِمَشْقَ سَنةَ تِسعٍ وخَمسِ مئة ، فأقامَ بها سَنتَينِ ، يَكتُبُ العِلْمَ مُقيماً بالخانقاه ثم اسْتَوطَنَ ثَغْرَ الإسْكَندَرِيَّة بضْعاً وسِتِّينَ سَنةً وإلىٰ أنْ ماتَ يَنشُرُ العِلمَ ويُحصِّلُ الكُتبَ التي قَلَّ ما اجْتَمعَ لعَالِمٍ مثلَها في الدُّنيا .

ارْتَحلَ إليه خَلقٌ كَثيرٌ جداً ، ولا سيَّما لَمَّا زالَت دَولَةُ الرَّفْضِ عن إقْليمِ مِصْرَ وتَملَّكَها عَسكَرُ الشَّامِ ، فارْتَحلَ إليه السُّلطَانُ صَلاحُ الدِّينِ ، وإخْوَتُه وأُمَراؤُه ، فسَمِعُوا منه .

وحدَّث عنه الأئمَّةُ وكانَ مُكبّاً على الكِتابَة والاشْتِغالِ والرِّوايَة ، لا رَاحَةَ له غالباً إلاَّ في ذلك ولَه تَصانيفُ كَثيرة ، وكانَ يَستَحسِنُ الشِّعرَ ، ويَنظُمُه ، ويُثيبُ مَنْ يَمدَحُه[3] .

٥ـ أبْيَاتٌ في الهِمَّة :

قال ابن فارس[4] :

إذا كنـتَ تُـؤذىٰ بحـرِّ المصيـفْ	ويُبْـس الخـريـفِ وبـردِّ الشِّتـا
ويُلهيـكَ حسـنُ زمـانِ الـربيـعْ	فـأخـذكَ للعلـمِ قـلْ لـي متـى؟!

* * *

(١) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/٤٥٦ـ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٧ .
(٢) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/٤٥٦ـ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٧ .
(٣) انظر السير : (السِّلَفيّ) ٢١/ ٥ـ٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٩١ .
(٤) انظر السير : (ابنُ فارِس) ١٧/ ١٠٣ـ١٠٦ ، وانظر النزهة : ١/١٣٢٥ .

الوَرَعُ

١ـ الوَرَعُ لا يَكونُ على النَّاسِ وإنَّما على النَّفْس خاصَّة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمُزَنيِّ : وكانَ من أشَدِّ النَّاسِ تَضييقاً علىٰ نَفسِه في الوَرَعِ ، وأوْسَعِه في ذلكَ على النَّاسِ ، وكانَ يَقولُ : أنا خُلُقٌ من أخْلاقِ الشَّافِعيِّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وبَلَغَنا أنَّ الْمُزَنيَّ رَحمَه اللهُ كانَ مُجابَ الدَّعْوَة ، ذا زُهْدٍ وتَألُّه ، أخَذَ عَنه خَلقٌ من العُلَماء وبه انْتَشرَ مَذهَبُ الإمامِ الشَّافِعيِّ في الآفَاقِ[1] .

٢ـ أقْوالٌ تَحُثُّ على الوَرَع :

عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ الله ، قالَ : فَضلُ العِلمِ أحَبُّ إليَّ من فَضْلِ العِبادَةِ ، وخَيرُ دينِكم الوَرَعُ[2] .

وعن الضَّحَّاكِ بنِ مُزاحِم ، قالَ : أدْرَكتُهُم ومَا يَتعلَّمُونَ إلاَّ الوَرَعَ[3] .

٣ـ صُوَرٌ من الوَرَع :

قالَ الوَليُد بنُ مُسلم ، حدَّثنا عُثمانُ بنُ أبي العَاتِكَة : أنَّ عُبادَةَ بنَ الصَّامِت مَرَّ بقَريَة دُمَّرَ[4] ، فأمَرَ غُلامَه أنْ يَقطَعَ له سِواكاً من صِفْصَافٍ علىٰ نهر بَرَدَىٰ ، فمَضَىٰ ليَفعَلَ ، ثم قالَ له : ارْجِعْ ، فإنَّه إنْ لا يكُنْ بثَمَن ، فإنَّه يَيْبَسُ ، فيَعُودُ حَطباً بثَمَن[5] .

وعن أنَسٍ : أنَّ أبا مُوسَىٰ كانَ له سَراويلُ يَلبَسُه مَخافَةَ أنْ يَتكَشَّفَ[6] .

وعن الحَكَمِ بنِ الأعْرَج ، قالَ : جَلبَ رَجلٌ خَشباً ، فطَلَبَه زيادٌ ، فأبَىٰ أنْ يَبيعَه ،

---

(١) انظر السير : (الْمُزَنيُّ) ١٢/ ٤٩٢ـ ٤٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٢٤ .

(٢) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عَبدِ الله) ٤/ ١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٥ .

(٣) انظر السير : (الضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِم) ٤/ ٥٩٨ـ ٦٠٠ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٦ .

(٤) قرية من غوطة دمشق الغربية تبعد عنها ستَّة أميال .

(٥) انظر السير : (عُبادَةُ بنُ الصَّامتْ) ٢/ ٥ـ ١١ ، وانظر النزهة : ١/٢١٠ .

(٦) انظر السير : (أبو مُوسَى الأشْعَريّ) ٢/ ٣٨٠ـ ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/٢٨١ .

فغَصَبه إيَّاه ، وبَنَىٰ صُفَّة مَسجِدِ البَصْرَة ، قالَ : فلَمْ يُصَلِّ أبو بَكرَةَ فيها حتىٰ قُلِعَت[1] .

وعن قَزَعَة ، قالَ : رَأيتُ على ابنِ عُمَرَ ثياباً خَشنَة أو جَشبَة[2] فقُلْتُ له : إنِّي قد أتيتُكَ بثَوبٍ لَيِّنٍ مِمَّا يُصنَعُ بخُراسَانَ ، وتَقَرُّ عَيْنايَ أنْ أراهُ عَليكَ قالَ : أرنيه ، فلَمَسَه ، وقالَ : أحَريرٌ هـٰذا ؟ قُلتُ : لا ، إنَّه من قُطنٍ قالَ : إنِّي أخَافُ أنْ أَلْبَسَه ، أخافُ أكونُ مُخْتالاً فَخُوراً ، واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُور .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كُلُّ لِباسٍ أوْجَدَ في الْمَرءِ خُيَلاءَ وفَخْراً فتَركُه مُتعيَّنٌ ولو كانَ من غَيرِ ذَهَبٍ ولا حَرير فإنَّا نَرَى الشَّابَ يَلبَسُ الفَرَجيَّةَ[3] الصُّوفَ بفَرْو من أثْمَان أرْبَع مئة دِرْهَم ونَحْوَها ، والكِبرُ والخُيَلاءُ علىٰ مِشيَتِه ظاهرٌ ، فإنْ نَصحتَه ولُمتَه برفقٍ كابَرَ ، وقالَ : ما فيَّ خُيَلاءٌ ولا فَخْرٌ وهـٰذا السَّيِّدُ ابنُ عُمَر يَخافُ ذلك علىٰ نَفسِه وكذلكَ تَرى الفَقيهَ الْمُترَفَ إذا لِيمَ في تَفصيلِ فَرَجيَّة تَحتَ كَعْبَيه ، وقيلَ له : قد قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ » ، يَقولُ : إنَّما قالَ هـٰذا فيمَنْ جرَّ إزارَه خُيَلاء ، وأنا لا أفعَلُ خُيَلاء ، فتَراهُ يُكابِرُ ، ويُبرِّىءُ نَفسَه الحَمْقاءَ ، ويَعمَدُ إلىٰ نَصٍّ مُستَقلٍّ عامٍّ فيَخُصُّه بحَديثٍ آخَرَ مُسْتَقلٍّ بمَعنَى الخُيَلاء ، ويَترَخَّصُ بقَولِ الصِّدِّيق : إنَّه يا رَسُولَ الله يَسْتَرخي إزاري ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « لَسْتَ يَا أَبَا بَكرٍ مِمَّنْ يَفعَلُهُ خُيَلاء » فقُلْنَا : أبو بَكر رضي الله عنه لَمْ يَكنْ يَشُدُّ إزارَه مَسْدولاً علىٰ كَعْبَيه أولاً ، بلْ كانَ يَشدُّه فَوقَ الكَعْبِ ، ثم فيما بَعد يَسْتَرخي وقد قالَ صلى الله عليه وسلم : « إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، لا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ » ومثلُ هـٰذا في النَّهْي لِمَنْ فَصَّلَ سَراويلَ مُغَطِّياً لِكِعابه ومنه طُولُ الأكْمَام زائداً ، وتَطويلُ العَذَبَة وكلُّ هـٰذا من خُيَلاء كامِنٍ في النُّفوسِ وقد يُعذَرُ الواحِدُ منهم بالجَهْلِ ، والعالِمُ لا عُذرَ له في تَركِه الإنْكارَ على الجَهلَة فإنْ خُلِعَ علىٰ رَئيسٍ خِلْعَة سِيَراء[4] من ذَهَب وحَرير ، وقُنْدُس ، يُحَرِّمُه ما وَرَدَ في النَّهي عن جُلُودِ

---

(١) انظر السير : (أبو بَكرَةَ الثَّقَفيُّ الطَّائفيُّ) ٣/ ٥ـ ١٠ ، وانظر النزهة : ٣٢٠/١ .

(٢) الجَشبُ من الثياب : الخَشن الغَليظ .

(٣) الفرجية : ثوب واسع طويل الأكمام ، يُتخَذ من قطن أو حرير أو صوف .

(٤) السِّيَراء : نوع من البرود تُتخَذ من الحرير .

السِّباعِ ، ولَبِسَها الشَّخصُ يَسحَبُها ويَختَالُ فيها ، ويَخطُرُ بيَدِه ويَغضَبُ مِمَّنْ لا يُهَنِّيهِ بهٰذه الْمُحرَّماتِ ، ولا سِيَّما إنْ كانَت خِلعَةَ وَزارَة وظُلمٍ ونَظَرِ مَكْسٍ[1] ، أو وِلايَةَ شُرْطَة فلْيَتهيّأ للمَقْتِ وللعَزْلِ والإهانَةِ والضَّربِ ، وفي الآخِرَة أشَدُّ عَذاباً وتَنْكيلاً فرَضِيَ اللهُ عن ابنِ عُمَرَ وأبيه وأينَ مثلُ ابنِ عُمَرَ في دينِه ، ووَرَعِه وعِلمِه ، وتَألُّهِهِ وخَوفِه ، من رَجُلٍ تُعرَضُ عليه الخِلافَةُ ، فيَأباها ، والقَضاءُ من مثلِ عُثْمانَ ، فيَردُّه ، ونِيابَةِ الشَّامِ لِعَليٍّ فيَهرَبُ منه فاللهُ يَجتَبي إليه مَنْ يَشاءُ ، ويَهْدي إليه مَنْ يُنيب[2] .

قال جَعفَرُ بنُ بَرْقان : حدَّثنا مَيْمونُ بنُ مَهْران ، أنَّ عامرَ بنَ عبد قَيس ، بعثَ إليه أميرُ البَصْرَة : ما لَكَ لا تَأكلُ الجُبنَ ؟ قال : إنَّا بأرضٍ فيها مَجُوسٌ ، فما شَهِدَ مُسْلِمان أنْ ليس فيه مَيْتَة أكلتُه ، قال : وما يَمنعُك أنْ تأتي الأُمَراء ؟ قال : إنَّ لدَىٰ أبوابِكم طُلاَّبُ الحاجات ، فادْعوهم واقضُوا حاجاتِهم ، ودَعوا مَنْ لا حاجَةَ له إليكم[3] .

وعن عَبيدَةَ بنِ عَمرو قالَ : اخْتلفَ النَّاسُ في الأشْرِبَة فمَا لِيَ شَرابٌ منذ ثَلاثينَ سَنَةً إلاَّ العَسَلُ واللَّبَنُ والْمَاءُ[4] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ شَقيقِ بنِ سَلَمَةَ ، قالَ عاصمُ بنُ بَهْدَلة : كانَ أبو وائل يَقولُ لِجاريَتِه : إذا جاءَ يَحيَىٰ ـ يَعني ابنَه ـ بشَيءٍ فلا تَقبَليه ، وإذا جاءَ أصْحابي بشَيءٍ ، فخُذيه ، وكانَ ابنُه قاضياً على الكُناسَة[5] ، قالَ : وكانَ لأبي وائل رَحمَه الله خُصٌّ من قَصَب ، يَكونُ فيه هو وفَرَسُه ، فإذا غَزَا ، نَقضَه وتَصدَّقَ به ، فإذا رَجَعَ ، أنْشَأ بِناءَه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : قد كانَ هٰذا السَّيِّدُ رَأساً في العِلمِ والعَمَل ماتَ سَنَةَ اثنَتينِ وثَمانينَ[6] .

وقالَ عيسَىٰ بنُ يُونُس ، سَمعتُ الأعْمَشَ يَقولُ : لَمَّا جيءَ بسَعيدِ بنِ جُبَير ،

---

(١) الْمَكْس : الضريبة التي يأخذها الماكس ، وهو العُشار .
(٢) انظر السير : (عبد الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/٣٧٢ .
(٣) انظر السير : (عامِرُ بنُ عَبدِ قَيْس) ٤/ ١٥ـ ١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٤٣٤ .
(٤) انظر السير : (عَبيدَةُ بنُ عَمْرو) ٤/ ٤٠ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٣/٤٣٩ .
(٥) الكُناسَة : محل بالكوفة .
(٦) انظر السير : (شَقيقُ بنُ سَلَمَة) ٤/ ١٦١ـ ١٦٦ ، وانظر النزهة : ٩/٤٦٩ .

وطَلقِ بنِ حَبيب ، وأصْحابِهما دَخلتُ عليهم السِّجْنَ فقُلتُ : جاءَ بكم شُرْطيٌّ أو جُلَيويز من مَكة إلى القَتلِ أفلا كَتَّفْتُموهُ وألْقَيْتُموهُ في البَرِّيَة ؟ فقالَ سَعيدُ : فمَنْ كانَ يَسقيهِ الْمَاءَ إذا عَطِشَ[1] .

وقد وَقفَ على ابنِ سِيرينَ دَينٌ كثيرٌ من أَجْلِ زَيتٍ كَثير أرَاقَه ، لكَونه وَجَدَ في بَعضِ الظُّروفِ فَأرَة[2] .

وقالَ النَّضرُ بنُ شميل : غَلا الخزُّ في مَوْضِع كانَ إذا غَلا هُناكَ غَلا بالبَصْرَة ، وكانَ يُونُسُ بنُ عُبَيد خَزَّازاً فعَلمَ بذلك فاشْتَرَىٰ من رَجُلٍ مَتاعاً بثَلاثينَ ألفاً فلمَّا كانَ بَعد ذلك قالَ لصاحِبه : هلْ كُنتَ عَلمتَ أنَّ الْمَتاعَ غَلا بأرْضٍ كَذا وكَذا ؟ قالَ : لا ولَوْ عَلمتُ لَمْ أبِعْ قالَ : هَلُمَّ إليَّ مالي ، وخُذْ مَالَكَ فرَدَّ عليه الثَّلاثينَ الألفَ[3] .

وقيلَ : إنَّ كَهْمَساً سَقطَ منه دِينارٌ ففتَّشَ ، فلَقيَه ، فلَمْ يَأخُذْه ، وقالَ : لَعلَّه غَيرُه[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ أبي حَنيفَة النُّعْمان : وابنُه الفَقيهُ حمَّادُ بنُ أبي حَنيفَة كانَ ذَا عِلمٍ ودينٍ وصَلاحٍ ووَرَعٍ تَامٍّ ، لَمَّا تُوفِّيَ والدُه ، كانَ عندَه وَدائعُ كَثيرَة ، وأهْلُها غائبون فنَقَلها حمَّاد إلى الحاكِم ليَتسلَّمها ، فقالَ : بلْ دَعْها عندَك ، فإنَّك أهلٌ فقالَ : زِنْها واقْبضْها حتَّىٰ تَبرأ منها ذِمَّةُ الوَالِدِ ، ثم افعل ما تَرَىٰ ففَعلَ القاضي ذلك وبَقيَ في وَزنِها وحِسابِها أيّاماً واسْتترَ حَمَّادُ فمَا ظَهرَ حتَّىٰ أوْدَعَها القاضي عندَ أمين .

تُوفِّيَ حمَّادُ سَنةَ ستٍّ وسَبعينَ ومئة كَهْلاً[5] .

وقالَ حُسَينٌ الجُعْفيُّ : رُبَّما عَطِشَ حَمْزَةُ بنُ حَبيب ، فلا يَسْتَقي كَراهيةَ أن يُصادِفَ مَنْ قرأَ عَليه[6] .

---

(١) انظر السير : (سَعيدُ بنُ جُبَيْر) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٧/٥٠٧ .
(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٢/٥٦٨ .
(٣) انظر السير : (يُونُسُ بنُ عُبَيْد) ٦/٢٨٨ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٢ .
(٤) انظر السير : (كهْمَس) ٦/٣١٦ـ ٣١٧ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٣ .
(٥) انظر السير : (أبو حَنيفَة) ٦/ ٣٩٠ـ ٤٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٦٤ .
(٦) انظر السير : (حَمْزَةُ بنُ حَبيب) ٧/ ٩٠ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٧/٦٧٩ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يَزيدِ بنِ زُرَيْع : ماتَ أبوهُ ، وكانَ والِياً على الأُبُلَّة ، فخلَّفَ خَمسَ مئةِ ألفٍ ، فمَا أخَذَ منها حَبَّةً ، رَحمَهُ الله[1] .

وقالَ أبو حسَّان عيسَىٰ بنُ عبدِ الله البَصْري : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ عَرَفَةَ يَقولُ : قالَ لي ابنُ الْمُبارَك : اسْتَعرتُ قَلماً بأرْضِ الشَّامِ ، فذَهَبتُ علىٰ أنْ أرُدَّه ، فلمَّا قَدِمتُ مَرْوَ ، نَظرتُ فإذا هو مَعي ، فرَجَعتُ إلى الشَّامِ حتَّىٰ رَدَدتُه علىٰ صاحِبه[2] .

وقالَ الحَسَنُ بنُ الرَّبيع : لَمَّا احْتُضِرَ ابنُ الْمُبارَك في السَّفَرِ قال : أشْتَهي سَويقاً ، فلَمْ نَجِدْهُ إلاَّ عندَ رَجلٍ كانَ يَعمَلُ للسُّلطانِ ، وكانَ مَعنا في السَّفينَة فذَكَرْنا ذلك لعبدِ الله ، فقالَ : دَعُوهُ ، فمَاتَ ولَمْ يَشْرَبْه[3] .

وبالإسْنادِ عن فُضَيل : كانَت لنَا شَاةٌ بالكُوفَة ، أكَلَتْ شَيئاً يَسيراً من عَلَفِ أميرٍ ، فمَا شَرِبَ لَها عَليٌّ ابني لَبناً بعدُ[4] .

وعن الفُضَيلِ قَالَ : أهْدَىٰ لَنَا ابنُ الْمُبارَك شاةً فكانَ ابْني لا يَشرَبُ منها ، فقُلتُ له في ذلك فقالَ : إنَّها قد رَعَت بالعِراقِ[5] .

وقالَ ابنُ أبي شَيخ : حدَّثنا يَحْيَىٰ بنُ سَعيد ، قالَ : زَامَلتُ أبا بَكر ابنَ عَيَّاش إلىٰ مَكة ، فمَا رَأيتُ أوْرَعَ منه ، لقد أهْدَىٰ له رَجلٌ رُطَباً ، فبَلَغَه أنَّه من بُسْتانٍ أُخِذَ من خالدِ بنِ سَلمَة الْمَخْزُومي ، فأتَىٰ آل خالِد ، فاسْتَحلَّهم ، وتَصدَّقَ بثَمَنِه[6] .

وكان الحَفَريُّ إذا أراد أن يَنتَثِرَ ، خَرجَ من المسجِدِ ، وكانَ مَسجِدُهم مُحَصَّباً ، فقيلَ : ألَيسَ كَفَّارَتُها دَفنُها ؟ فيقولُ : لَعلِّي أؤخَذُ قبلَ أنْ أُكَفِّر[7] .

وقالَ أبو يَحْيَىٰ صاعِقَة : قَدِمَ زَكريّا بنُ عَديّ ، فكلَّموا له مَنْ يَستعملُه علىٰ قَريَة في

---

(١) انظر السير : (يَزيدُ بنُ زُرَيْع) ٨/ ٢٩٦ـ٢٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٠ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٨ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٠ .
(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨١ .
(٥) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٧٨١ .
(٦) انظر السير : (أبو بَكر بنُ عَيَّاش) ٨/ ٤٩٥ـ٥٠٨ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨٦ .
(٧) انظر السير : (الحَفَريُّ) ٩/ ٤١٥ـ٤١٧ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٤ .

الشَّهْرِ بثَلاثينَ دِرْهماً ، فرَجَعَ بعدَ شَهرٍ ، وقالَ : لَيسَ أجدُني أعْمَلُ بقَدرِ الأُجْرَة[1] .

واشْتَكت عَينُه ، فأتاه رَجُلٌ بكُحْل ، فقالَ : أنتَ مِمَّن يَسمَعُ الحَديثَ منِّي ؟ قالَ : نَعَم ، فأبَىٰ أنْ يَأخُذَه[2] .

وقالَ أبو بَكر بنُ عُثْمانَ : سَمعتُ بِشْرَ بنَ الحارِث يَقولُ : إنِّي لأشْتَهي شِواءً منذُ أرْبَعينَ سَنةً ، ما صَفَا لي دِرْهَمُه[3] .

وعن عليِّ بنِ عثَّام ، قالَ : أقامَ بِشْرُ بنُ الحارِث بعبَّادان يَشربُ ماءَ البَحْر ، ولا يَشرَبُ من حياضِ السُّلطانِ ، حتَّىٰ أضَرَّ بجَوْفِه ، ورَجَعَ إلىٰ أُخْتهِ وَجِعاً ، وكانَ يَعمَلُ الْمَغازِلَ ويَبيعُها ، فذاك كَسْبُه[4] .

وقالَ خَلفُ بنُ هِشَام : أعَدتُ الصَّلاةَ أرْبَعينَ سَنةً كُنتُ أتَناوَلُ فيها الشَّرابَ علىٰ مَذهَبِ الكُوفيِّينَ[5] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ شَيخ الحَنابِلَة ، الحَسَنِ البَرْبَهاريِّ : وقيلَ : إنَّه تَركَ ميراثَ أبيه تَوَرُّعاً ، وكانَ سَبعينَ ألفاً[6] .

وقالَ محمَّدُ بنُ جَعفَر بنِ النَّجَّار : حَكَىٰ لنا أبو عليٍّ النَّقَّار قالَ : سَقطَت من ابنِ عُقْدَة دَنانيرُ ، فجاءَ بنخَّالٍ ليَطلُبَها ، قالَ ابنُ عُقْدَة : فوَجَدتُها ثم فَكَّرتُ فقُلتُ : لَيسَ في الدُّنيا غَيرُ دَنانيرِك ؟ فقُلتُ للنخَّال : هي في ذِمَّتِك ، وذَهبتُ وتَركتُه[7] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الدَّاوُوديِّ : وسَمعتُ أسْعدَ بنَ زِياد يَقولُ : كانَ شَيخُنا الدَّاوُوديّ بَقِيَ أرْبَعينَ سَنةً لا يَأكُلُ لَحْماً ، وَقتَ تَشْويش التُّرْكُمان ، واخْتِلاطِ النَّهْب فأضَرَّ به فكانَ يأكُلُ السَّمَكَ ، ويُصْطادُ له من نَهْر كَبير ، فحُكيَ له أنَّ بَعضَ

---

(١) انظر السير : (زَكريّا بنُ عَديّ) ١٠/ ٤٤٢ـ ٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٨٢/ ٢ .
(٢) انظر السير : (زَكريّا بنُ عَديّ) ١٠/ ٤٤٢ـ ٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٨٢/ ٣ .
(٣) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٥/ ٤ .
(٤) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٥/ ٥ .
(٥) انظر السير : (خَلفُ بنُ هِشَام) ١٠/ ٥٧٦ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٨٩٦/ ١ .
(٦) انظر السير : (البَرْبَهاريُّ) ١٥/ ٩٠ـ ٩٣ ، وانظر النزهة : ١١٨٦/ ٢ .
(٧) انظر السير : (ابنُ عُقْدَة) ١٥/ ٣٤٠ـ ٣٥٥ ، وانظر النزهة : ١٢٣٤/ ٤ .

الأُمَراء أَكلَ علىٰ حافَّةِ ذلك النَّهْر ونُفِضَتْ سُفرَتُه وما فَضُلَ في النَّهْر ، فما أكَلَ السَّمكَ بَعدُ .

تَفقَّهَ بسَهْلٍ الصُّعْلوكيّ ، وبأبي حامِدٍ الإسْفَراييني[1] .

وقالَ السَّمْعانيُّ : دَخلَ أبو إسْحاقَ الشِّيرازيُّ يَوماً مَسْجداً ليَتغدَّىٰ ، فنَسي ديناراً ، ثم ذَكرَ ، فرَجعَ فوَجدَه ، ففكَّرَ وقالَ : لَعلَّه وَقعَ من غَيري ، فتَركَه[2] .

قال السَّمْعانيُّ : سَمعتُ عبدَ الخالِقِ بنَ زِياد يَقولُ : أَمَرَ بَعضُ الأُمَراء أنْ يُضْربَ عَطاءٌ الفُقَّاعيُّ[3] ، في مِحْنَة الشَّهيدِ عبدِ الهادي بنِ شَيخِ الإسْلامِ ، مئةً ، فبُطِحَ علىٰ وَجهِه ، فكانَ يَضرِبُ إلىٰ أنْ ضُربَ سِتِّينَ ، فشَكُّوا كم ضُربَ خَمسينَ أو سِتِّين ؟ فقالَ عَطاءٌ : خُذوا بالأَقَلِّ احْتِياطاً ، وحُبسَ مع نِساءٍ ، وكانَ في الْمَوْضِعِ أتْرُسَة ، فقامَ بجَهْد من الضَّربِ ، وأقامَ الأتْرُسَة بينَه وبينَهُنَّ ، وقالَ : نَهَىٰ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الخُلوَة بالأجْنَبيَّة .

تُوفِّيَ تَقْديراً سَنَةَ خَمسٍ وثَلاثينَ وخَمسِ مئة[4] .

وقالَ ابنُ الأثير : طَالَعتُ السِّيَرَ ، فلَمْ أَرَ فيها بعد الخُلفاء الرَّاشِدين وعُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ أحْسَنَ من سِيرَته ، ولا أكْثرَ تَحَرِّياً منه للعَدْلِ ، وكانَ لا يَأكلُ ولا يلبَسُ ولا يَتصرَّفُ إلاَّ من مُلكٍ له قد اشْتراه من سَهْمِه من الغَنيمَة ، لقَدْ طَلبَتْ زَوجَتُه منه ، فأعْطاهَا ثَلاثةَ دَكاكين فاسْتَقلَّتها ، فقالَ : ليسَ لي إلاَّ هٰذا ، وجَميعُ ما بيَدي أنا فيه خازنٌ للمُسلمينَ ، وكان يتهجَّدُ كثيراً ، وكان عارفاً بمَذْهَب أبي حَنيفَة[5] .

قالَ سبطُ الجَوْزي : كان له عَجائزُ ، فكان يَخيطُ الكَوافي ، ويَعمَلُ السَّكاكِرَ فيَبعْنَها له سِراً ، ويُفْطِرُ علىٰ ثَمَنِها[6] .

---

(١) انظر السير : (الدَّاوُوديُّ) ١٨/ ٢٢٢ـ ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ١/١٤٠٦ .

(٢) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازيُّ) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٣٠ .

(٣) نسبة إلى الفقَّاع وعمله ، وهو شراب يُتخَذ من الشَّعير ، سُمِّيَ به لما يعلوه من الزَّبَد .

(٤) انظر السير : (عَطاءُ بنُ سَعْد) ٢٠/ ٥٤ـ ٥٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٣٠ .

(٥) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/ ٥٣١ـ ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨١ .

(٦) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/٥٣١ـ ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨٢ .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ عَساكر ، قال أبو شَامَة : وكان يتورَّعُ من الْمُرورِ في زُقاق الحَنابلَة لِئلاَّ يَأثَموا بالوَقيعَة فيه ، وذلك لأنَّ عَوامَّهم يَبغَضُونَ بَني عَساكر للتَّمَشعُر[1] ، ولَمْ يُولِّه الْمُعَظَّم تَدريسَ العَادِليَّة لأنَّه أنْكَرَ عليه تَضمينَ الخَمْر والْمكس .

تُوفِّيَ ابنُ عَساكر في سَنَةِ عشرينَ ومئة ، وقلَّ مَنْ تَخلَّفَ عن جنازَتِه[2] .

اليَقِين

١ـ فَائدَةُ اليَقِين :

عن الأنْطَاكِيِّ قال : يَسيرُ اليَقينِ يُخرِجُ كُلَّ الشَّكِّ من القَلبِ[3] .

٢ـ رُؤْيا تَحُثُّ على اليَقِين :

قالَ الحُسَينُ بنُ مُصْعَب : حدَّثنا محمَّدُ بنُ مَنْصُور الطُّوسيُّ ، قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، فقُلتُ : مُرني بشَيء حتَّىٰ ألْزَمَه قالَ : عَليكَ باليَقينِ[4] .

٣ـ صُوَرٌ على اليَقِين :

وقال ابنُ وَهْب : كان حَيْوَة يأخُذُ عَطاءَه في السَّنة ستين ديناراً ، فلمْ يَطلُع إلىٰ مَنزِله حتىٰ يَتصدَّقَ بها ، ثم يَجيءُ إلىٰ مَنزِله ، فيَجدُها تَحْت فِراشِه ، وبلغَ ذلك ابنُ عمٍّ له ، فأخذَ عَطاءَه ، فتصدَّقَ به كُلَّه ، وجاء إلىٰ تَحْت فِراشِه فلمْ يَجدْ شَيئاً ، فشَكا إلىٰ حَيْوَة ، فقال : أنا أعْطيتُ ربِّي بيَقين ، وأنتَ أعْطَيْتَه تَجْربةً وكنَّا نَجلسُ إلىٰ حَيوَةَ في الفِقْه فيقولُ : أبْدَلَني اللهُ بكم عَموداً أقومُ وراءَه أُصلِّي ثم فعل ذلك[5] .

---

(١) أي بسبب كونهم أشاعرة ، وهـٰذا من اصطلاح الإمام الذَّهَبي ، وإلاَّ فإنَّ أبا شامَة قال : لأنَّهم كانوا أعْيانَ الشَّافِعيَّة الأشْعَريَّة .

(٢) انظر السير : (ابنُ عَساكر) ٢٢/ ١٨٧ـ ١٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٨٤ .

(٣) انظر السير : (الأنْطَاكِيُّ) ١١/ ٤٠٩ـ ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٥ .

(٤) انظر السير : (محمَّدُ بنُ مَنْصُور) ١٢/ ٢١٢ـ ٢١٤ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٤ .

(٥) انظر السير : (حَيْوَة بن شُرَيح) ٦/ ٤٠٤ـ ٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٦/٦٦٤ .

وذَكَرَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي عبدِ اللهِ بنِ مَرْدَنيش ، قالَ اليَسَعُ بنُ حَزْم : فمن عَجيبِ ما صَحَّ عندي من مَغازيهِ أنَّه أغَارَ يوماً ، فغَنمَ غَنيمَةً كثيرَة ، واجْتمَعَ عَليه من الرُّومِ أكثرُ من ألفِ فارسٍ ، فقَالَ لأصْحابه وكانوا ثَلاثَ مئةِ فارس : ما تَرَونَ ؟ فقالوا : نَشغَلُهم بترْكِ الغَنيمَة قالَ : ألَمْ يَقُلِ القَائلُ : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾[1] فقالَ له ابنُ مُورين : يا رَئيسُ ، اللهُ قالَ هٰذا! فقالَ : اللهَ يَقولُ هٰذا وتَقعُدُونَ عن لِقائهِم ؟! قالَ : فثَبَتُوا ، فهَزَمُوا الرُّومَ .

وفي سَنَةِ سَبعٍ وعِشرينَ وخَمسَةِ مئة سارَ ابنُ رُذْمير ، فنازَلَ مَدينَةَ إفراغة[2] وبها ابنُ مَرْدَنيش ، وطالَ الحِصَارُ ، فكَتَبُوا إلىٰ أميرِ الْمُسلمين ابنِ تاشفينَ ليُغيثَهم ، فكَتَبَ إلى ابنِه تَاشَفينَ بن عَليٍّ وإلى الأميرِ يَحْيَى ابنِ غانيَة بإغاثَتِهم ، وإدْخالِ الْميرَةِ إليهم ، فتَهيَّأَ لنَجدَتِهم أرْبَعةُ آلافٍ ، فما وَصَلوا إلىٰ إفراغة إلاَّ وقد فَنِيَ ما بها ، ولَمْ يَبْقَ لابنِ مَرْدَنيشَ سِوَىٰ حِصانٌ فذبَحَه لَهم ، فحَصلَ لكُلٍّ واحدٍ أوقيَة أوقيَة .

قالَ اليَسَعُ : فحدَّثني الْملكُ الْمُجاهِدُ ابنُ عِياض حَديثَ هٰذه الغَزاة قالَ : لَمَّا وَصلَ أبو زَكريّا يَحْيَىٰ بنُ غانيَة مَدينَةَ زَيْتونَة ، خَرجْتُ إليه من لارِدَةَ مع فُرسَاني ، فقالَ : أشيروا عليَّ ، فقُلتُ : الصَّوابُ جَمعُ جُندِ الأنْدَلُسِ تَحتَ رَايَةٍ وَاحِدَة ، وهِلالُ وسُليمُ تَحتَ رَايَةٍ أُخْرَىٰ ، ويَتقدَّمُ الزُّبَيرُ بنُ عُمَرَ بأهْلِ الْمَغرِبِ وبالدَّوابِّ التي تَحمِلُ الأقْوَاتَ ، مَعَهم الطُّبُولُ والرَّاياتُ ، ونَبقَىٰ نَحنُ والعَرَبُ كَميناً عن يَمينِ الجَيشِ ويَساره فإذا أبْصَرَ اللَّعينُ الرَّاياتِ والطُّبُولَ والزَّمْرَ حَملَ عليه ، فنكرُّ عليه من الجِهتَينِ قالَ : فصَلَّينا الصُّبحَ في لَيلَةِ سَبعٍ وعِشْرينَ من رَمَضانَ سَنَةَ سَبعٍ وعِشرينَ وخَمسٍ مئة ، وأبْصرَ اللَّعينُ الجَيشَ وقد اسْتراحَ من جِراحَاتِه وكانَ عَسْكرُه إذ ذاكَ أرْبَعةً وعِشرينَ ألْفَ فارس سِوَىٰ أتْباعِهم ، فقَصَدوا الطُّبُولَ ، فانْكَسَروا وتَفرَّقوا ـ يَعني الْمُسلمينَ ـ فأتَينا الرُّومَ عن أيْمانِهم ، ونَزَلَ النَّصْرُ وعَملَ السَّيفُ في الرُّوم حتَّىٰ بَقِيَ ابنُ رُذْمير في نَحْو أرْبَع مئة فارِس ، فلَجؤوا إلىٰ حِصْنٍ لهم ، وباتَ الْمُسلمُونَ عليه ، ثم هَلكَ غَمّاً ، وأصَابَه

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٥ .

(٢) مدينة بالأنْدَلُس من أعمال ماردة ، كثيرة الزيتون .

مَرضٌ ؛ ماتَ بعدَ خَمسةَ عَشرَ يَوماً من هَزيمَتِه فلا رَحمَهُ الله[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الشَّيخ عبدِ القادِر الجيلانيّ ، قالَ الجُبَّائيُّ ، قالَ ليَ الشَيخُ عبدُ القادِرْ الجيلانيُّ : وتَردُ عليَّ الأثْقالُ التي لوْ وُضِعَت على الجِبالِ تَفسَّخَت فأضَعُ جَنبي على الأرضِ ، وأقولُ : إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً ، ثم أرفَعُ رأسي وقد انفَرَجَتْ عنِّي[2] .

* * *

(١) انظر السير : (أبو عبد الله بنُ مَرْدَنيش) ٢٠/ ٢٣٢ـ ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤٥ .

(٢) انظر السير : (الشَيخُ عبدُ القادِرِ الجيلانيُّ) ٢٠/ ٤٣٩ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٧٥ .

صِفَاتٌ تُطْلَبُ بقَدر

الحَذَر

الحَذَرُ لا يَمْنَعُ القَدَر :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمام الناصر لدين اللهِ العَبَّاسيِّ : نَقَلَ العَدلُ شَمسُ الدين الجَزَريُّ في « تاريخه » ، عن أبيه قالَ : سَمعتُ الْمُؤيِّدَ ابنَ الْعَلْقَميَّ الوَزيرَ يقولُ : إنَّ الْمَاءَ الذي يَشرَبُه الإمامُ الناصرُ كانَ تَجيءُ به الدَّوابُّ من فَوقِ بَغدادَ بسَبعَةِ فَراسِخَ ويُغْلَىٰ سَبعَ غَلواتٍ ثم يُحبَسُ في الأوْعيَة أُسبُوعاً ثم يَشرَبُ منه ، وما ماتَ حتَّىٰ سُقِيَ الْمُرَقِّدَ ثلاثَ مِرار وشُقَّ ذَكَرُه ، وأُخرِجَ منه الحَصَىٰ .

وقالَ ابنُ الأثير : بَقِيَ الناصِرُ ثلاثَ سِنينَ عاطِلاً عن الحَرَكَة بالكُلّيَّة وقد ذَهَبت إحْدَىٰ عَينَيه ، وفي الآخِرِ أصابَه دُوسُنطاريا عِشرينَ يَوماً وماتَ[1] .

الحُزْن

١ـ حُزْنُ العُلَمَاء العاملين :

قالَ إبْراهيمُ بنُ عيسَى اليَشْكُريُّ : ما رَأيتُ أحَداً أطْوَلَ حُزْناً من الحَسَنِ البَصْريِّ ، ما رَأيتُه إلاَّ حَسِبتُه حَديثَ عَهدٍ بمُصيبَة[2] .

وقالَ مُسْلمُ بنُ إبْراهيمَ : حدَّثَنا إياسُ بنُ أبي تَميمَة : شَهدتُ الحَسَنَ في جنازَةِ أبي رَجاء علىٰ بَغْلَة ، والفَرَزْدَقُ إلىٰ جَنبه علىٰ بَعير ، فقالَ له الفَرَزدَقُ : قد اسْتَشْرَفَنا النَّاسُ ، يَقولونَ : خَيرُ النَّاسِ وشَرُّ النَّاسِ ، قالَ : يا أبا فِراس ، كَمْ من أشْعَثَ أغْبَر ، ذي طِمْرَينِ ، خَيرٌ منِّي ، وكَمْ من شَيخٍ مُشْرِكٍ أنتَ خَيرٌ منه ، ما أعْدَدْتَ للمَوْتِ ؟

---

(١) انظر السير : (النَّاصِرُ لدينِ الله العَبَّاسيّ) ٢٢/ ١٩٢ـ ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١٦٨٦ .

(٢) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٧/٥٦٠ .

قالَ : شَهادَةُ أنْ لا إلَـه إلاَّ الله قالَ : إنَّ مَعَها شُروطاً ، فإيَّاكَ وقَذفُ الْمُحْصَنَة ، قالَ : هَلْ من تَوْبَةٍ قالَ : نعَم[١] .

وعن علقَمةَ بنِ مَرْثَد في ذِكْر الثَّمانيَة من التَّابعين ، قالَ : وأمَّا الحَسَنُ فمَا رَأينا أحَداً أطْوَلَ حُزْناً منه ، ما كُنَّا نَراهُ إلاَّ حَديثَ عَهْد بمُصيبَة ، ثم قالَ : نَضحَكُ ولا نَدري لَعلَّ اللهَ قد اطَّلعَ علىٰ بَعضِ أعْمالِنَا وقالَ : لا أقْبلُ منكُم شَيئاً ، وَيْحَكَ يا ابنَ آدمَ ، هَلْ بمُحارَبَةِ الله ـ يَعْني قُوَّة ـ واللهِ لقَد رَأيتُ أقْواماً كانَت الدُّنيا أهْوَن علىٰ أحَدِهم من التُّرابِ تَحتَ قَدمَيه ، ولقد رَأيتُ أقْواماً يُمْسِي أحدُهم ولا يَجدُ عندَه إلاَّ قُوتاً فيَقولُ : لا أجْعَلُ هـٰذا كلَّه في بَطْني فيَتصدَّقُ ببَعضِه ولعَلَّه أجْوَعُ إليه مِمَّنْ يَتصدَّقُ به عليه[٢] .

قالَ أبو صالِح كاتِبُ اللَّيثِ : حدَّثني يَحْيَىٰ بنُ أيُّوبَ أنَّ رَجُلَين تَآخَيا فتَعاهَدا : إنْ ماتَ أحَدُهما قبلَ الآخَر أنْ يُخبرَه ما وَجدَ ، فماتَ أحَدُهما ، فرآه الآخَرُ في النَّوم ، فسَألَه عن الحَسَنِ البَصْريِّ ؟ قالَ : ذاكَ مَلكٌ في الجَنَّة لا يُعْصَىٰ ، قالَ : فابنُ سِيرينَ ؟ قالَ : ذاكَ فيما شاءَ اشْتَهَىٰ ، شَتَّان ما بَينهما ، قالَ : فبأيِّ شَيءٍ أدْرَكَ الحَسَنُ ؟ قالَ : بشِدَّة الخَوفِ والحُزْن[٣] .

وكانَ الحَكمُ بنُ حَجْل ، صَديقاً لابنِ سِيرينَ ، فحَزن على ابنِ سِيرينَ حتَّىٰ كان يُعادُ ، ثم قالَ : رَأيتُه في الْمَنامِ في حالِ كَذا وكَذا ، فسَألتُه لَمَّا سَرَّني : ما فَعلَ الحَسَنُ ؟ قال : رُفِعَ فَوْقي سَبعينَ دَرَجَةً ، قُلتُ : بمَ ؟ فقد كُنَّا نَرَىٰ أنَّك فَوقَه قالَ ؟ بطُولِ الحُزْن .

وقد كانَ الأوْزاعيُّ أشارَ عليه يَحْيَىٰ بنُ أبي كَثير ، أنْ يَرتَحلَ إلى البَصْرَة لِلُقيِّ محمَّدِ بنِ سِيرينَ ، فأتىٰ فوَجدَه في مَرضِ الْمَوتِ ، فعادَه ولَمْ يَسمَعْ منه ، رَحمَهُ اللهُ

---

(١) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٢ .

(٢) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٢ .

(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/٦٠٦ـ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٧١ .

تَعالَىٰ ، وبَلغَني أَنَّ اسمَ أُمِّه صَفيَّةُ ، مَوْلاةٌ لأبي بَكر الصِّدِّيق[1] .

وعن حُصَينِ الوَزَّانِ قالَ : لَوْ قُسِّمَ بثُّ[2] عبدِ الوَاحدِ بنِ زَيْد علىٰ أَهْلِ البَصْرَة لوَسِعَهم وكانَ يَقومُ إلىٰ مِحْرابِه كأنَّه رجلٌ مُخاطَب[3] .

٢ـ الحُزْنُ الزَّائد المُبَالَغ فيه مَنْهيٌّ عنه :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ إمامِ الحَرَمَينِ : تُوفِّيَ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبعينَ وأَرْبَع مئة ، ودُفنَ في دارِه ، ثم نُقلَ بعد سِنينَ إلىٰ مَقبرَةِ الحُسَينِ فدُفنَ بجَنبِ والدِه ، وكَسَروا منبَرَه ، وغُلِّقَت الأسْواقُ ، ورُثيَ بقَصائدَ وكانَ له نَحوٌ من أَرْبَع مئة تِلميذٍ ، كَسَروا مَحابِرَهم وأَقْلامَهم ، وأَقامُوا حَوْلاً ، ووُضعَت الْمَناديلُ عن الرُّؤوسِ عاماً ، بحيثُ ما اجْتَرأ أَحَدٌ علىٰ سَترِ رأسِه ، وكانت الطلبَةُ يَطوفُونَ في البَلَدِ نائحينَ عَليه ، مُبالِغينَ في الصِّياحِ والجَزَع .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا كان من زِيِّ الأعاجِمِ لا من فِعلِ العُلَمَاء الْمُتَّبعين[4] .

٣ـ تَصْحيحُ الذهَبيُّ لمُبالَغَة أَحَد السَّلَف :

قالَ محمَّدُ بنُ يَحْيَى النِّيسَابُوريُّ ، حينَ بَلغَه وَفاةُ أحمَد ، يَقولُ : يَنبَغي لكُلِّ أَهْلِ دارٍ ببَغدادَ أَنْ يُقيمُوا عَليه النِّياحَةَ في دُورِهم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : تَكلَّمَ الذُّهْليُّ بمُقتَضَى الحُزْن لا بمُقْتَضَى الشَّرْع .

لَمَّا ماتَ سَعيدُ بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، جاءَ إبْراهيمُ الحَربيُّ إلىٰ عبدِ اللهِ ابنِ أحمَد ، فقامَ إليه عبدُ الله ، فقالَ : تَقومُ إليَّ ؟ قالَ : والله لَوْ رآكَ أبي ، لَقامَ إليكَ ، فقالَ

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/٦٠٦ـ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٧١ .

(٢) البَثُّ : الحُزْنُ والغَمُّ الذي تُفضي به إلىٰ صاحبك ، قالَ ابنُ الأثير : البَثُّ في الأصل شدَّة الحُزن ، والمرضُ الشديد ، كأنَّه من شدَّته يبثُّه صاحبه.

(٣) انظر السير : (عبدُ الواحِد بنُ زَيْد) ٧/١٧٨ـ١٨٠ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩١ .

(٤) انظر السير : (إمامُ الحَرَمَين) ١٨/٤٦٨ـ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣٤ .

إبْراهيمُ : واللهِ لَوْ رَأى ابنُ عُيَيْنَةَ أباكَ ، لَقامَ إليه .

وقد أثنَىٰ علىٰ أبي عبدِ الله جَماعَةٌ من أولياء الله ، وتَبرَّكوا به رَوَىٰ ذلك ابنُ الجَوْزيِّ ، وشَيخُ الإسْلام ولَمْ يَصحَّ سَندُ بَعضِ ذلك[1] .

٤ـ حُزْنُ البَهَائم على الصَّالحين :

قالَ الْمُؤيَّدُ في « تاريخه » أُهدِيَ للشَّيخِ أبي القاسِم عبدِ الكَريم القُشَيْري فَرسٌ ، فرَكبَه نَحواً من عِشرينَ سَنةً ، فلمَّا ماتَ الشَّيخُ لم يأكُلْ الفَرسُ شَيئاً ، وماتَ بعدَ أسْبوعٍ[2] .

الدَّهَاءُ والمَكر

١ـ دُهَاةُ العَرَب :

عن الشعبي قال : دهاة العرب أربعة : مُعاوِيَةُ ، وعَمْرٌو ، والْمُغِيرَةُ ، وزِيَادٌ ، فأمَّا مُعاوِيَةُ فللأنَاةِ والحِلمِ ، وأمَّا عَمْرٌو فلِلمُعْضِلاتِ ، والْمُغِيرَةُ للمُبادَهَة ، وأمَّا زِيَادٌ فللصَّغيرِ والكَبير[3] .

٢ـ صُوَرٌ على الدَّهَاء والمَكر :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أميرِ المؤمنين عُمرَ بنِ الخَطَّابِ ، بعدَ فَتْحِ تُسْتَر ، فقال عُمرُ : الحَمدُ لله الذي أذَلَّ هـٰذا وشيعَتَه بالإسْلام ، ثمَّ قالَ للوَفْد تَكلَّموا ، فقال أنَسُ بنُ مالك : الحَمدُ لله الذي أنْجزَ وَعْدَه وأعزَّ دينَه وخَذلَ مَنْ حادَّه ، وأوْرثَنا أرْضَهم وديارَهم ، وأفاءَ علينا أبناءَهم وأمْوالَهم ، فبَكىٰ عُمرُ ثم قال للهُرمُزان : كيفَ رأيتَ صَنيعَ الله بكم ؟ فلَمْ يُجِبْه ، قالَ : ما لَكَ لا تَتكلَّم ؟ قال : أكلامُ حَيٍّ أمْ كلامُ ميِّت ؟ قال : أوَلَسْتَ حَياً ؟ فاسْتَسْقى الهُرمُزان ، فقال عُمرُ : لا يُجْمَعُ عليكَ القَتلُ

---

(١) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٢٧ .
(٢) انظر السير : (القُشَيْريُّ) ١٨/ ٢٢٧ـ ٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٨ .
(٣) انظر السير : (عَمْرو بنُ العَاص) ٣/ ٥٤ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٥/٣٣٣ .

والعَطشُ ، فأتَوْهُ بماءٍ فأمْسَكه ، فقال عُمرُ : اشْربْ لا بأْسَ عليك ، فرَمىٰ بالإناءِ وقال : يا مَعْشرَ العَرب كُنتم وأنتم علىٰ غَير دينٍ نَسْتعبدُكم ونَقْتلُكم وكُنتم أسْوأَ الأُمَمِ عندنا حالاً ، فلمَّا كانَ الله مَعكم لـمْ يَكنْ لأحَد بالله طاقَة ، فأمَرَ عُمرُ بقَتلِه ، فقال : أوَلـمْ تؤَمِّنِّي ؟! قال : وكيف ؟ قال : قُلتَ لي : تَكلَّم لا بأسَ عليكَ ، وقُلتَ : اشْرَب لا أقتُلك حتىٰ تَشربَه ، فقال الزُّبَيرُ وأنسُ : صَدقَ ، فقال عُمرُ : قاتَله الله أخَذَ أماناً وأنا لا أشْعرُ ، فنَزَعَ ما كان عليه ، فقال عُمرُ لسُراقَةَ بنِ مالك بنِ جَعْشَم ـ وكان أسْوَدَ نَحيفاً ـ : إلْبَسْ سوارَي الهُرمُزان ، فلَبسَهما ولبسَ كِسْوتَه[١] .

فلمَّا انتهَيْنا إليه ـ يَعني إلىٰ عُمَر بالهُرْمُزان ـ قال : تَكلَّم ، قال : كَلامُ حَيٍّ أو كَلامُ مَيّت ؟ قال : تَكلَّم فلا بأسَ ، قال : إنَّا وإيّاكم مَعشَر العَرب ما خَلى الله بيننا وبينكم ، كُنَّا نَغصِبُكم ونَقْتلُكم ونفعَلُ ، فلمَّا كان الله معكم لَمْ يكُنْ لنا بكُم يَدان ، قال : يا أنَس ما تقولُ ؟ قُلتُ : يا أميرَ المؤمنين تَركتُ بَعدي عَدداً كثيراً وشَوْكَةً شَديدة فإنْ تَقتُلْه يَيْأس القَومُ من الحَياة ويكُون أشَدَّ لشَوْكَتهم ، قال : فأنا أَسْتَحْيي قاتلَ البَراء ومجْزَأة بنَ ثَور!! فلمَّا أحْسَسْتُ بقَتلِه قُلتُ : لَيسَ إلىٰ قَتلِه سَبيل ، قد قُلتَ له : تَكلَّم بلا بأس ، قال : لتأتيَنِّي بمَنْ يَشْهدُ به غَيرُك ، فلَقيتُ الزُّبَيْرَ فشَهِدَ معي ، فأمْسَكَ عنه عُمرُ ، وأسْلَمَ الهُرمُزانُ ، وفَرضَ له عُمرُ ، وأقامَ بالمَدينة[٢] .

وقال ابنُ جَرير في وَقْعَة نَهاوَنْد : لمَّا انتَهى النُّعْمانُ إلىٰ نَهاوَنْد في جيشه طرَحوا له حَسَكَ[٣] الحَديد ، فبَعثَ عُيوناً فساروا لا يَعلمون بالحَسَك فزَجَر بعضُهم فرَسَه وقد دَخلَ في حافِره حَسَكةٌ ، فلَمْ يَبْرَحْ ، فنزلَ فإذا الحَسَك ، فأقْبلَ بها ، وأخْبرَ النُّعْمانَ ، فقال النُّعْمانُ : ما تَرونَ ؟ فقالوا : تَقهْقَر حتىٰ يَروا أنَّك هاربٌ فيَخرُجُوا في طلَبك ، فتأخَّرَ النُّعْمانُ ، وكَنسَت الأعاجِمُ الحَسَكَ وخَرجُوا في طلَبه فعَطفَ عليهم النُّعْمانُ وعبَّأَ كَتائبَه وخَطبَ النَّاسَ وقال : إنْ أُصِبتُ فعلَيكم حُذَيْفَة ، فإنْ أُصِيبَ فعليكم جَرير

(١) انظر السير : (عُمرُ بن الخطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٥٨ .
(٢) انظر السير : (عمر بن الخطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٧٢ .
(٣) قال صاحب النزهة : الحَسَك ، هو الشَّرَك.

البجليّ ، وإنْ أُصِيبَ فعليكم قَيْسُ بنُ مَكْشوح ، فوَجدَ المُغيرَةُ في نفْسِه إذْ لَمْ يَسْتَخْلِفْهُ ، قال : وخَرجَت الأعاجِمُ وقد شَدُّوا أنفُسَهم في السَّلاسِلِ لِئَلاَّ يَفرُّوا ، وحَملَ عليهم المسلمون ، فرُمِيَ النُّعْمانُ بسَهمٍ فقُتِلَ ، ولفَّهُ أخُوهُ سُويدُ بنُ مُقَرِّن في ثَوبِه وكَتَمَ قَتلَه حتىٰ فَتحَ اللهُ تعالىٰ عليهم ، ودَفعَ الرَّايةَ إلىٰ حُذَيْفَة .

وَقَتل اللهُ ذا الحَاجِب[1] يَعني مقدمَهم ، وافْتُتِحَت نَهاوَنْدُ ، ولم يكُنْ للأعاجِم بعد ذلك جَماعة[2] .

عن زَيدِ بنِ أَسْلم ، عن أبيه ، أنَّ عُمَرَ اسْتعمَلَ الْمُغيرَةَ بنَ شُعْبَة على البَحْرَين ، فكَرِهُوهُ ، فعَزلَه عُمَرُ ، فخَافُوا أنْ يَرُدَّه فقالَ دِهْقَانُهم : إنْ فَعلتُم ما آمُركُم لَمْ يَرُدَّه علينا قالوا : مُرْنا قالَ : تَجْمَعونَ مئةَ ألْفٍ حتَّىٰ أذْهبَ بها إلىٰ عُمَرَ ، فأقُولُ : إنَّ الْمُغيرة اخْتانَ هـٰذا ، فدَفَعه إليَّ قالَ : فجَمَعوا له مئةَ ألفٍ ، وأتَىٰ عُمَرَ ، فقالَ ذلك فدَعَا الْمُغيرَةَ فسَألَه ، قالَ : كَذبَ أصْلحَكَ اللهُ ، إنَّما كانَت مِئتَي ألفٍ ، قالَ : فمَا حَملَكَ علىٰ هـٰذا ؟ قالَ : العِيالُ والحاجَة قالَ عُمَرُ للعِلْج : ما تَقولُ ؟ قالَ : لا والله لأصْدُقنَّك ما دَفعَ إليَّ قَليلاً ولا كَثيراً فقالَ عُمَرُ للمُغيرَة : ما أَردَتَ إلىٰ هـٰذا ؟ قالَ : الخَبيثُ كَذبَ عليَّ فأحْببتُ أن أُخْزيَه[3] .

وعن الشَّعْبيِّ : سَمعتُ قَبيصَةَ بنَ جابِرِ يَقولُ : صَحبتُ الْمُغيرَةَ بنَ شُعْبَة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب ، لا يُخْرَجُ من باب منها إلا بمَكْرٍ لخَرجَ من أبوابِها كُلِّها[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ قَيْسِ بنِ سَعْد : وجود قَيسٍ يُضرَبُ به المثل ، وكذلك دهاؤه .

عن قَيْسِ بنِ سَعْد قالَ : لَوْلا أنِّي سَمعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقولُ : « الْمَكرُ وَالْخَديعَةُ فِي النَّارِ » لكُنتُ من أمْكَر هـٰذه الأمَّة .

---

(١) ذا الحاجب : هو مردانشاه المُلقب ببهمن ، وسُمي ذا الحاجب لأنه كان يعضب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبراً ، ويُقال إن اسمه رُسْتم.

(٢) انظر السير : (عمر بن الخطَّاب) ، وانظر النزهة : ٣/٧٤ .

(٣) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٤ .

(٤) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٥ .

وقالَ ابنُ عُيَيْنَة : حدَّثني عَمرٌو قالَ : قال قَيْسٌ : لَوْلا الإسْلامُ لَمَكَرتُ مَكْراً لا تُطيقُه العَرَب .

وقالَ عَوْفُ عن محمَّد : كانَ محمَّدُ بنُ أبي بَكر ، ومحمَّدُ بنُ أبي حُذَيفَة بنِ عُتبَة من أشَدِّهم علىٰ عُثمانَ ، فأمَّرَ عَليٌّ قَيْسَ بنَ سَعْد علىٰ مِصْرَ ، وكان حازِماً فنُبِّئتُ أنَّه كانَ يَقولُ : لَوْلا أنَّ الْمَكرَ فُجورٌ ، لَمَكَرتُ مَكْراً تَضطربُ منه أهلُ الشَّام بينهم فكَتبَ معاويَةُ وعَمرٌو إليه يَدعُوانِه إلىٰ مُبايَعتِهما ، فكَتبَ إليهما كتاباً فيه غلظ ، فكتَبا إليه بكتابٍ فيه عُنفٌ ، فكَتبَ إليهما بكتابٍ فيه لينٌ ، فلمَّا قرآه ، عَلِمَا أنَّهما لا يَدانِ لهما بمَكرِه ، فأذاعا بالشَّام أنَّه قد تابَعَنا ، فبَلغَ ذلك عَليّاً ، فقالَ له أصحابُه : أدْرِكْ مِصْرَ فإنَّ قَيْساً قد بايَعَ مُعاويَة ، فبَعثَ محمَّدَ بنَ أبي بَكر ، ومحمَّدَ بنَ أبي حُذَيْفَة إلىٰ مِصْرَ ، وأمَّرَ ابنَ أبي بَكر ، فلمَّا قَدِما علىٰ قَيْسٍ بنَزْعِه ، عَلِمَ أنَّ عَليّاً قد خُدِعَ فقالَ لِمُحمَّد : يا ابنَ أخي احْذَرْ ، يَعني أهلَ مِصْرَ ، فإنَّه سَيُسْلِمُونَكُما ، فتُقْتَلان ، فكانَ كَمَا قالَ.

تُوفِّيَ قَيْسٌ في آخِرِ خِلافَةِ مُعاويَة[1] .

العِتَاب

تَرْك العِتَاب أوْلَىٰ :

عن الأحْنَفِ بنِ قَيْس ، قالَ : العِتابُ مفتاح الثُّقالَىٰ ، والعِتابُ خَيرٌ من الحِقْدِ[2] .

وعن أبي يَعقُوبَ الْمَدنيِّ ، قالَ : كانَ بين حَسَنِ بنِ حَسَن وبينَ ابنِ عَمِّه عَليِّ بنِ الحُسَين شَيءٌ ، فمَا تَركَ حَسَنٌ شَيئاً إلاَّ قالَه ، وعَليٌّ سَاكِتٌ ، فذَهبَ حَسَنٌ ، فلمَّا كانَ في اللَّيلِ ، أتاهُ عَليٌّ ، فخَرجَ ، فقالَ عَليٌّ : يا ابنَ عَمِّي إنْ كُنتَ صَادِقاً فغَفَرَ اللهُ لي وإنْ كُنتَ كاذِباً ، فغَفَرَ اللهُ لكَ ، السَّلامُ عَليكَ قالَ : فالْتَزمَه حَسَنٌ ، وبَكَىٰ حتَّىٰ رَثَىٰ له[3] .

---

(١) انظر السير : (قَيْسُ بنُ سَعْد) ٣/ ١٠٢ـ ١١٢ النزهة : ٣/٣٤٥ .

(٢) انظر السير : (الأحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٨/٤٥٢ .

(٣) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٨/٥١٩ .

الغَضَب

١ـ صُورَةٌ علىٰ تَرْك الغَضَب لله :

عن سِماكِ بنِ الفَضْل ، قالَ : كنا عند عُرْوَةَ بنِ محمَّد الأمير ، وإلىٰ جنبه وَهْبُ بنُ مُنَبِّه ، فجاءَ قَومٌ فشَكَوا عامِلَهم وذَكروا منه شَيئاً قَبيحاً ، فتَناوَلَ وَهْبٌ عَصاً كانت في يَدِ عُرْوَة فضَربَ بها رَأسَ العامِلِ حتَّىٰ سالَ الدَّمُ ، فضَحِكَ عُرْوَةُ واسْتَلقَىٰ وقالَ : يَعيبُ عَلينا وَهْبٌ الغَضبَ وهو يَغْضَبُ قالَ : وما لي لا أَغْضَبُ وقد غَضِبَ الذي خَلقَ الأَحْلامَ ، يَقولُ تَعالَىٰ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[1] ،[2] .

٢ـ مَنْ كان لا يَغْضَب :

رُوِيَ عن القَعْنَبِيِّ ، قالَ : كانَ ابنُ عَوْن لا يَغضَبُ فإذا أَغْضَبَهُ رَجلٌ قالَ : بارَكَ اللهُ فيك[3] .

وكانَ ـ فيما حدَّثني بَعضُ أَصْحابنا ـ لابنِ عَوْن ناقَةٌ يَغزُو عَليها ويَحُجُّ ، وكان بها مُعْجَباً قالَ : فأمَرَ غُلاماً له يَسْتَقي عَليها ، فجاءَ بها وقد ضَربَها علىٰ وَجْهِها ، فسالَت عَينُها علىٰ خَدِّها ، فقُلنا : إنْ كانَ من ابنِ عَوْن شَيءٌ فاليَومَ! قالَ : فلَمْ يَلبَثْ أنْ نزَلَ ، فلمَّا نَظرَ إلى النَّاقَةِ قالَ : سُبحانَ الله ، أَفَلا غَيرَ الوَجْه ، بارَكَ اللهُ فيكَ اخرُجْ عَنِّي ، اشْهَدُوا أنَّه حُرٌّ[4] .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٥٥

(٢) انظر السير : (وَهْبُ بنُ مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/ ٥٥٣ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْن) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/ ٦٥٦ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْن) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٢/ ٦٥٨ .

الفَخْر

١ـ الفَخْرُ في غَير مَوْضِعه :

قال أبو العباس بنُ عُقْدَة : دق ابن وَارَة على ابنِ كُرَيْب ، فقالَ : مَنْ ؟ قالَ : ابنُ وَارَة ، أبو الحَديثِ وأمُّه[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الأبِيوَرْدِيِّ[2] : هو ريَّانٌ من العُلوم ، موصُوفٌ بالدِّين والوَرَع ، إلاَّ أنه تَيَّاهٌ مُعجَبٌ بنَفسِه ، قد قَتلَه حُبُّ السُّؤدُدِ وكان جَميلاً لَبَّاساً له هَيئَةٌ ورُوَاءٌ ، وكان يَفتَخرُ ، ويَكتبُ اسمَه : العَبْشَميُّ الْمُعاوي ، يُقالُ : إنَّه كَتبَ رُقعَةً إلى الخَليفَة الْمُسْتَظهِرِ بالله ، وكَتبَ : الْمَمْلُوكُ الْمُعاوي ، فحَكَّ الْمُسْتَظهِرُ الميمَ ، فصارَ : العَاوِي ، ورَدَّ الرُّقعَةَ إليه .

قالَ حمَّادٌ الحَرَّانيُّ : سَمعتُ السِّلفِيَّ يَقُولُ : كان الأبِيوَرْدِيُّ ـ والله ـ من أهْلِ الدِّين والخَير والصَّلاح والثِّقَة ، قالَ لي : والله ما نمتُ في بَيتٍ فيه كتابُ الله ، ولا حَديثُ رَسُولِ الله احْتراماً لَهما أنْ يبدُوَ منِّي شَيءٌ لا يَجوزُ .

قالَ عبدُ الغافِر في « السياق » : ظَهرَ أمْرُه ، وعَلا قَدرُه ، وحَصلَ له من السُّلطانِ مَكانَة ونعمَة ، ثم كانَ يَرْشُحُ من كَلامِه نَوعُ تَشَبُّثٍ بالخِلافَة ودَعوَة إلى اتِّباع فَضلِه ، وادِّعاء اسْتحقاقِ الإمَامَة ، تَبِيضُ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ في رأسه وتُفَرِّخُ ، فاضْطرَّه الحالُ إلىٰ مُفارَقَة بَغدادَ ، ورَجعَ إلىٰ هَمَذانَ ، فأقَام بها يُدَرِّسُ ويُفيدُ ويُصَنِّفُ مُدَّة .

تُوفِّيَ الأبْيوَرْدِيُّ بأصْبَهَانَ مَسْموماً سَنةَ سَبعٍ وخَمسٍ مئة ، كَهْلاً[3] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ وَارَة) ١٣/٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٤٨ .

(٢) نسبة إلىٰ أبْيوَرْدِ ، ويقال لها : أباورد ، وباورد ، وهي من بلاد خراسان بين سرخس ونسا ، وقد فتحها المسلمون سنة إحدىٰ وثلاثين بقيادة عبد الله بن عامر بن كرير ، ويُقال : الأحْنَف بن قَيس .

(٣) انظر السير : (الأبْيوَرْدِيُّ) ١٩/ ٢٨٣ـ ٢٩٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٧٧ .

٢ـ شِعْرٌ في الفَخْر :

قالَ الصُّوليُّ : حدَّثنا أحمَدُ بنُ يَحيَىٰ أنَّ الشَّعْبيَّ قالَ : أفْخَرُ بيتٍ قِيلَ قَولُ الأنْصارِ يَومَ بَدْرٍ[(١)] :

وببئـرِ بـدرٍ إذْ يَـرُدُّ وجـوهَهـمْ   جبـريـلُ تحـتَ لِـوائِنـا ومحمـدُ

ثم قالَ الصُّوليُّ : أفْخَرُ منه قَولُ الحَسَنِ بنِ هانِيء في عَليِّ بنِ مُوسَى الرِّضَىٰ[(٢)] :

قيلَ لي أنتَ واحدُ الناسِ في كُـ   ـلِّ كـلامٍ مـنَ المقـالِ بـديـهِ

لـكَ فـي جـوهـرِ الكـلامِ بـديـعٌ   يُثْمِـرُ الـدرُّ فـي يَـدَيْ مجتنيـهِ

فعـلامَ تـركـتَ مـدحَ ابـنِ مـوسى   بِـالخصـالِ التـي تجمَّعـنَ فيـهِ

قلـتُ لِا أهتـدي لمـدحِ إمـامٍ   كـانَ جبـريـلُ خـادمـاً لأبيـهِ

٣ـ عَدَمُ الفَخْر بالأعْمال الصَّالحَة :

قالَ يَحيَىٰ بنُ مَعين : ما رَأيتُ مثلَ أحمَد بنِ حَنْبَل ، صَحِبْناه خَمسينَ سَنةً ما افْتَخرَ عَلينا بشَيء مِمَّا كانَ فيه من الخَير[(٣)] .

٤ـ الفَخْرُ بالعُلَمَاء والعُبَّاد :

وقالَ قَتادَة ، عن أنَسٍ ، قالَ : افتَخرَ الحيَّان من الأنْصارِ ، فقالَت الأوْسُ : مِنَّا غَسيلُ الْمَلائِكَة : حَنْظَلَةُ بنُ الرَّاهِب ، ومِنَّا مَنْ اهْتَزَّ له العَرشُ : سَعدٌ ، ومِنَّا مَنْ حَمَته الدَّبَر[(٤)] : عاصِمُ بنُ أبي الأقْلَح ، ومِنَّا مَنْ أُجيزَتْ شَهادَتُه بشَهادَتَين : خُزَيْمَةُ بنُ ثابِت[(٥)] .

---

(١) انظر السير : (عَليُّ الرِّضَىٰ) ٩/ ٣٨٧ـ٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣١

(٢) انظر السير : (عَليُّ الرِّضَىٰ) ٩/ ٣٨٧ـ٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣١

(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٩ .

(٤) الدَّبر : النَّحل والزنابير.

(٥) انظر السير : (خُزَيْمَةُ بنُ ثابِت) ٢/ ٤٨٥ـ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٤ .

وقالَ رَجاءُ بنُ حَيوَة : إنْ يَفخَرْ عَليْنا أهلُ الْمَدينَة بعَابِدِهم ابنِ عُمَر ، فإنَّا نفخَرُ عَليهم بعَابِدِنا ابنِ مُحَيْريز[1] .

قالَ ضَمرَة : سَمعتُ مَالكاً يَقولُ : إنَّما كانَت العِراقُ تَجيشُ عَلينا بالدَّراهِم والثِّياب ، ثم صارَت تَجيشُ عَلينا بسُفْيانَ الثَّوْريِّ ، وكانَ سُفْيانُ يَقولُ : مَالِكٌ لَيسَ له حِفظٌ[2] .

وكانَ اللَّيْثُ بنُ سَعْد رَحمَه الله فَقيهَ مِصْرَ ، ومُحدِّثَها ، ومُحْتَشِمَها ، ورَئيسَها ، ومَنْ يَفتَخِرُ بوُجودِه الإقْليمُ ، بحَيثُ إنَّ مُتَولي مِصْرَ وقاضِيَها وناظِرَها ، منْ تَحتِ أوامِرِه ، ويَرجِعُونَ إلىٰ رَأيه ومَشُورَتِه ، ولقد أرادَه الْمَنْصُورُ علىٰ أنْ يَنوبَ له على الإقْليمِ ، فاسْتَعفَىٰ من ذلك[3] .

المِزاحُ والضَّحِك

١ـ المِزاحُ بقَصْد الاسْتهْزاء لا خَيرَ فيه :

عن عبدِ الجَليلِ بنِ الحَسَن ، قالَ : كانَ أحمدُ بنُ الْمُعَذَّل في مَجلِسِ أبي عاصِم فمَزَحَ أبو عاصِم يُخجلُ أحمَدَ ، فقالَ : يا أبا عاصِم ، إنَّ الله خَلقكَ جداً فَلا تَهزِلَنَّ ، فإنَّ الْمُستهزِىءَ جاهِلٌ قالَ تَعالَىٰ : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[4] .

فخَجلَ أبو عاصِم ثم كانَ يُقعِدُ أحمدَ بنَ الْمُعَذَّل إلىٰ جَنبِه[5] .

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ مُحَيْريز) ٤/ ٤٩٤ـ ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٥٣٩ .
(٢) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٩ .
(٣) انظر السير : (اللَّيْثُ بنُ سَعْد) ٨/ ١٣٦ـ ١٦٣ ، وانظر النزهة : ٧/٧٣٨ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٦٧ .
(٥) انظر السير : (أحمدُ بنُ الْمُعَذَّل) ١١/ ٥١٩ـ ٥٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٤ .

٢ـ المِزاحُ والضَّحِكُ الجِبلِّيان لا يُنقَدان :

عن عيسَىٰ بنِ محمَّد : أنَّ سُفيانَ الثَّوريَّ كانَ يَضحَكُ حتَّىٰ يَسْتَلقِيَ ويَمُدُّ رِجْلَيْه[١] .

وذَكرَ أبو الوَليد الباجي في كتابِ « فرق الفُقهاء » له : حدَّثنا أبو عبد الله محمَّدُ بنُ عَليّ الوَرَّاق ـ وكانَ ثِقةً مُتقناً ـ أنَّه شاهَدَ أبا عبدِ الله الصُّوريَّ ، وكانَ فيه حُسنُ خُلُق ومِزاحٌ وضَحكٌ ، لَمْ يَكُنْ وَراء ذلك إلاَّ الخَيرُ والدِّينُ ، ولكنَّه كانَ شَيئاً جُبلَ عليه ، ولَمْ يَكُنْ في ذلكَ بالخَارِقِ للعَادَة ، فقَرأ يَوماً جُزءاً علىٰ أبي العَبَّاسِ الرَّازي ، وعَنَّ له أمرٌ ضَحَّكَه ، وكانَ بالحَضرَةِ جَماعَةٌ من أَهلِ بَلدِه ، فأنكَروا عليه ، وقالُوا : هـٰذا لا يَصلُحُ ، ولا يَليقُ بعِلمِكَ وتَقدُّمِكَ أنْ تَقرأ حَديثَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنتَ تَضحَكُ وكثَّروا عليه ، وقالُوا : شُيوخُ بَلدِنا لا يَرْضَونَ بهـٰذا فقالَ : ما في بَلدِكُم شَيخٌ إلاَّ يَجبُ أنْ يَقعُدَ بينَ يَدَيَّ ويَقتَدي بي ، ودَليلُ ذلك أنِّي قد صِرتُ مَعَكم علىٰ غَير مَوْعِد ، فانْظُروا إلىٰ أيِّ حَديثٍ شِئتُم من حَديثِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، اقْرَؤوا إسْنادَه لأقْرأَ مَتنَه أو اقْرؤوا مَتنَه حتَّىٰ أُخْبِرَكم بإسْنادِه ، ثم قالَ الباجيُّ : لَزِمتُ الصُّوريَّ ثلاثَة أعْوامٍ ، فمَا رَأيته تَعرَّضَ لِفَتوَىٰ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : كانَ من أئمَّةِ السُّنَّة وله شِعرٌ رائقٌ .

ماتَ الصُّوريُّ سنةَ إحْدَىٰ وأربَعينَ وأرْبَع مئة[٢] .

٣ـ من العُلَماء مَنْ كان يَكرَهُ المِزاحَ :

رَوَى الْمَرُّوذيُّ عن جَعْفَرِ بنِ مَيْمُونَ حكايَةً تَدلُّ علىٰ أنَّ يَزيدَ بنَ هارُونَ كانَ صَاحِبَ مِزاحٍ ، وكانَ يَتأدَّبُ بحُضُورِ الإمَامِ[٣] ، ولا يُمازِحُه[٤] .

---

(١) انظر السير : (سُفيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٠ .

(٢) انظر السير : (الصُّوريُّ) ١٧/ ٦٢٧ـ ٦٣١ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٦٩ .

(٣) يقصد أحمدَ بنَ حَنبَل .

(٤) انظر السير : (يَزيدُ بنُ هارون) ٩/ ٣٥٨ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٠ .

وقالَ الطَّبَرانيُّ : حدَّثنا الْمَعْمَريُّ ، سَمعتُ خَلفَ بنَ سَالِم يَقُولُ : كُنَّا في مَجلِسِ يَزيدِ بنِ هَارُونَ ، فمَزَحَ مع مُسْتَمليه ، فتَنَحْنَحَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل ، فقالَ يَزيدُ : مَنْ الْمُتَنَحْنِحُ ؟ فقيلَ له : أحمَدُ بنُ حَنْبَل ، فضَربَ يَزيدُ علىٰ جَبينِه وقالَ : ألا أعْلَمْتُمُوني أنَّ أحمَدَ هَا هُنا حتَّىٰ لا أمْزَح[1] .

وقالَ الْمَرُّوذيُّ : سَمعتُ جَعْفَرَ بنَ مَيْمُونَ بنَ الأصْبغ ، سَمعتُ أبي يَقُولُ : كُنَّا عندَ يَزيدَ بنِ هارُون ، وكانَ عندَه الْمُعَيْطيُّ ، وأبو خَيْثَمَة ، وأحمَدُ ابنُ حَنْبَل ، وكانت في يَزيدَ رَحِمَهُ اللهُ ، مُداعَبَة ، فذَاكَرَه الْمُعَيْطيُّ بشَيء فقالَ له يَزيدُ : فقَدتُك ، فتَنَحْنَحَ أحمَدُ فالْتَفتَ إليه ، فقالَ : مَنْ ذَا ؟ قالوا : أحمَدُ بنُ حَنْبَل ، فقالَ : ألا أعْلَمتُموني أنَّه ها هُنا ؟[2] .

وقالَ أحمدُ بنُ سِنان القَطَّان : ما رَأيتُ يَزيدَ لأحَدٍ أشَدَّ تَعْظيماً منه لأحمَدَ بنِ حَنْبَل ، ولا أكرَمَ أحَداً مثلَه ، كانَ يُقعِدُه إلىٰ جَنبِه ويُوَقِّرُه ، ولا يُمازِحُه[3] .

٤ـ مَنْ كُرِهَ من العُلَماء لأجْلِ المِزاح :

قالَ الخَطيبُ : وكانَ في أبي سَهْل القَطَّان مِزَاحٌ ودُعابَة ، سَمعتُ البَرْقانيَّ يَقُولُ : كَرهُوهُ لِمزَاحٍ فيه ، وهو صَدوقٌ .

وقالَ محمدُ بنُ الصُّوريِّ : سَمعتُ عليَّ بنَ نَصْر بمِصْرَ يَقولُ : كُنَّا يوماً بين يَدي أبي سهل بن زياد ، فأخذ شخصٌ سِكِّيناً كانت بينَ يَديه ، فجعَلَ يَنظُرُ فيها ، فقالَ : ما لَكَ ولَها ؟ أتُريدُ أن تَسْرِقَها كما سَرَقْتُها أنا ؟ هـٰذه سِكِّينُ البَغَويِّ سَرَقْتُها منه .

تُوفِّيَ أبو سَهْل سنةَ خمسينَ وثلاثِ مئة ، وكان مَوْلدُه في سنةِ تِسْعٍ وخَمسينَ ومئتين[4] .

---

(١) انظر السير : (يَزيدُ بنُ هارون) ٩/٣٥٨ـ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٠ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٢٥ .
(٣) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٢٥ .
(٤) انظر السير : (أبو سَهْل القَطَّان) ١٥/٥٢١ـ٥٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٧ .

٥ـ شِعْرٌ في البُعْدِ عن المِزاح الزَّائد :

قالَ جَعْفَرُ بنُ عَوْن : سَمعتُ مِسْعَراً يُوصِي وَلَدَه كِداماً[١] :

إنـي منحتُـكَ يـا كِـدامُ نصيحتـي	فـاسمـعْ مقـالَ أبٍ عليـكَ شَفيـقِ
أمَّـا المُـزاحـةُ والمِـراءُ فَـدَعْهُمَـا	خُلُقـانِ لا أرضـاهُمـا لصـديـقِ
إنـي بلَـوْتُهُمـا فلـمْ أحمـدْهُمـا	لمجـاورٍ جـاراً ولا لـرفيـقِ
والجهـلُ يُـزْري بـالفتىٰ فـي قـومـهِ	وعُـرُوقـهُ فـي النـاس أيُّ عُـروقِ

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وهـٰذانِ البَيْتانِ أظُنُّهما لابنِ المُبارَك :

مـنْ كـانَ مُلتمِسـاً جليسـاً صـالحـاً	فلْيـاتِ حَلْقَـةَ مِسعـرِ بـنِ كِـدامِ
فيهـا السكينـةُ والـوقـارُ وأهلُهـا	أهـلُ العفـافِ وعِليـةُ الأقـوامِ

٦ـ صُورَتان للمِزاح :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عن أبي رافع قالَ : ورُبَّما أتَىٰ أبُو هُرَيْرَة الصِّبْيانَ ، وهم يَلعَبُونَ باللَّيلِ لُعبَةَ الأعْرابِ فلا يَشعُرُونَ ، حتَّىٰ يُلقِي نَفسَه بينَهم ، ويَضرِبُ برِجلَيْه ، فيَفزَعُ الصِّبْيانُ ، فيَفِرُّونَ ورُبَّما دَعاني إلىٰ عَشَائِه ، فيَقُولُ : دَعِ العُراقَ[٢] للأميرِ فأنْظُرُ فإذا هو ثَرِيدَةٌ بزَيْت[٣] .

وقالَ قَبيصَةُ : كانَ سُفْيانُ الثَّوريُّ مَزَّاحاً ، كُنتُ أتَأخَّرُ خَلفَه ، مَخافَةَ أنْ يُحَيِّرَني بمِزاحِه[٤] .

٧ـ ضَابطٌ في الضَّحِك والتَّبَسُّم :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يَحْيَىٰ بنِ حمَّاد : الضَّحِكُ اليَسيرُ والتَّبَسُّمُ أفْضَلُ وعدم ذلكَ من مَشايخِ العِلمِ علىٰ قسْمَين :

---

(١) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٠ .

(٢) العُراق : العَظمُ الذي أُخذَ عنه معظم اللَّحم ، أو الغِذْرةُ من اللَّحْم .

(٣) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/ ٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/٣١٣ .

(٤) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١١/٦٩٩ .

أَحَدهما : يَكونُ فاضِلاً لِمَنْ تَركَه أدباً وخَوفاً من الله ، وحُزْناً علىٰ نَفسِه الْمِسْكينَة .

والثاني : مَذْمومٌ لِمَنْ فَعلَه حُمْقاً وكِبْراً وتَصنُّعاً ، كمَا أنَّ مَنْ أكثَرَ الضَّحِكَ اسْتُخِفَّ به ، ولا رَيبَ أنَّ الضَّحِكَ في الشَّبابِ أخَفُّ منه وأعْذَر في الشُّيوخ[1] .

أمّا التبسُّمُ وطَلاقَةُ الوَجْه فأرْفَعُ من ذلك كُلِّه ، قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ » ، وقالَ جَريرٌ : مَا رآني رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلاَّ تَبَسَّمَ فهَـٰذا هو خُلُقُ الإسْلام ، فأعْلَى الْمَقامَات مَنْ كانَ بَكّاءً باللَّيلِ ، بَسّاماً بالنَّهارِ[2] .

بَقِيَ هنا شَيءٌ : يَنبَغي لِمَنْ كانَ ضَحُوكاً بسَّاماً أنْ يُقصرَ من ذلك ، ويَلومُ نَفسَه حتَّىٰ لا تَمَجَّه الأنْفُسُ ، ويَنبَغي لِمَنْ كانَ عَبُوساً مُنقَبِضاً أنْ يَتبسَّمَ ، ويُحسِّنَ خُلقَه ، ويَمقُتُ نَفسَه علىٰ رَداءَة خُلقِه ، وكُلُّ انْحِرافٍ عن الاعْتِدالِ فمَذمُومٌ ، ولا بُدَّ للنَّفسِ من مُجاهَدَة وتأديبٍ[3] .

النَّدَم

قالَ ابنُ الْمَديني : سَمعتُ سُفْيانَ يَقُولُ : جاءَ ابنُ جُرمُوزٍ إلىٰ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْر ـ يَعني لَمَّا وَلِيَ إمْرَةَ العِراقِ لأخيه الخَليفَة عبدِ الله بنِ الزُّبَيْر ـ فقالَ : أقِدْني بالزُّبَيْر ، فكتَبَ في ذلك يُشاوِرُ ابنَ الزُّبَيْر ، فجاءَه الخَبرُ : أنا أقْتُلُ ابنَ جُرْمُوز بالزُّبَيْرِ ؟ ولا بِشِسْعِ نَعلِه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أكَلَ الْمُعتَّرُ يَدَيه نَدماً علىٰ قَتلِه ، واستَغفَرَ ، لا كقَاتِلِ طَلْحَة ، وقَاتِلِ عُثْمان ، وقَاتِلِ عَليٍّ[4] .

---

(١) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ حمَّاد) ١٠/ ١٣٩ـ ١٤١ ، وانظر النزهة : ٧/٨٥٨ .
(٢) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ حمَّاد) ١٠/ ١٣٩ـ ١٤١ ، وانظر النزهة : ١/٨٥٩ .
(٣) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ حمَّاد) ١٠/ ١٣٩ـ ١٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٨٥٩ .
(٤) انظر السير : (الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام) ١/ ٤١ـ ٦٧ ، وانظر النزهة : ١/١٢٩ .

وعن عَلقمَةَ بنِ وائل بنِ حُجْرِ بنِ سَعْد الحَضْرَميِّ ، عن أبيه : أنَّه وَفدَ علىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فأقْطَعَه أرْضاً ، وأرْسَلَ مَعه مُعاويَةَ بنَ أبي سُفْيانَ لِيُعرِّفَه بها .

قالَ : فقالَ لي مُعاويَةُ : أرْدفْني خَلْفَك قُلتُ : إنَّكَ لا تَكونُ من أرْدافِ الْمُلوكِ قالَ : أعْطِنِي نَعْلَك فقُلتُ : انتَعِلْ ظِلَّ النَّاقَة .

قالَ : فلمَّا اسْتُخلِفَ ، أتيتُه ، فأقْعَدَني مَعَه على السَّريرِ ، فذَكَّرَني الحَديثَ فقُلتُ في نَفسِي : لَيْتَني كُنتُ حَملتُه بَينَ يَديَّ[1] .

عن أبي قِلابَة : قالَ لي مُسْلمُ بنُ يَسار : إنِّي أحْمَدُ اللهَ إليكَ ، أنِّي لَمْ أرْمِ بسَهْم ولَمْ أضْرِبْ فيها بسَيفٍ ، قُلتُ له : فكَيفَ بمَنْ رآكَ بينَ الصَّفَّينِ فقالَ : هـٰذا مُسْلمُ بنُ يَسار لَنْ يُقاتلَ إلاَّ علىٰ حَقٍّ ، فقَاتلَ حتَّىٰ قُتلَ ؟ فبَكَىٰ واللهِ حتَّىٰ وَدِدْتُ أنَّ الأرضَ انْشقَّت فدَخلتُ فيها[2] .

وقالَ أيُّوبُ السَّخْتيانيُّ : وفي القُرَّاء الذَّين خَرجُوا مع ابنِ الأشْعَث ، لا أعْلَمُ أحداً منهم قُتلَ ، إلاَّ رُغِبَ له عن مَصْرَعِه أو نَجا إلاَّ نَدِمَ علىٰ ما كانَ منه[3] .

التَّزْكيَة والمَدْح

١ـ ضَوابط للتَّزْكيَة والمَدْح :

عن أنَسِ بنِ مالِك ، قالَ : بَعَثني أبو موسَى الأشْعَريُّ إلىٰ عُمَرَ ، فقالَ لي : كَيفَ تَركتَ الأشْعَريَّ ؟ قُلتُ: تَركتُه يُعلِّمُ النَّاسَ القُرآنَ فقالَ: أما إنَّه كَيِّسٌ! ولا تُسْمِعْها إيَّاه[4] .

وعن سَعيدِ بنِ العَاصِ قالَ : القُلوبُ تَتغَيَّرُ ، فلا يَنبَغي للمَرءِ أنْ يَكونَ مادِحاً اليَومَ ذامَّاً غداً .

---

(١) انظر السير : (وَائلُ بنُ حُجْر بنُ سَعْد) ٢/ ٥٧٢ـ ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٢/٣٠٦ .
(٢) انظر السير : (مُسلم بن يَسار) ٥/ ٥١٠ـ ٥١٤ ، وانظر النزهة : ٢/٥٤٨ .
(٣) انظر السير : (مُسلم بن يَسار) ٥/ ٥١٠ـ ٥١٤ ، وانظر النزهة : ٣/٥٤٨ .
(٤) انظر السير : (أبو موسَى الأشْعَريُّ) ٢/ ٣٨٠ـ ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٥/٢٨٠ .

قالَ الزُّبَيرُ بنُ بَكَّار : تُوفِّيَ سَعيدُ بنُ العَاصِ بقَصرِه بالعَرصَة علىٰ ثلاثَةِ أمْيالٍ من الْمَدينَة ، وحُملَ إلى البَقيعِ في سَنَةِ تِسعٍ وخَمسين[1] .

قالَ محمَّدُ بنُ يُوسُفُ الفِرْيابي : كُنتُ في مَجلِسٍ فيه الأوْزاعيُّ وسَعيدُ بنُ عبد العَزيز ، وسُلَيْمانُ الخَوَّاصُ ، فذَكرَ الأوْزاعيُّ الزُّهَّادَ ، فقالَ : ما نزيدُ أنْ نُريدَ مثل هَؤلاء ، فقالَ سَعيدٌ : ما رَأيتُ أزْهَدَ من سُلَيْمانَ الخَوَّاص ، وما شَعَرَ أنَّه في الْمَجلِسِ ، فقَنَّعَ سُليمانُ رَأسَه ، وقَامَ ، فأقْبلَ الأوْزَاعيُّ علىٰ سَعيدٍ ، وقالَ : وَيْحَكَ لا تَعقِلُ ما يَخرُجُ من رَأسِك! تُؤذِي جَليسَنا تُزكِّيه في وَجهِه[2] .

٢ـ كراهيَة الصَّالحين للمَدْح :

عن نافعٍ أو غَيرِه ، أنَّ رَجُلاً قالَ لابنِ عُمَرَ : يا خَيرَ النَّاسِ وابنَ خَيرِ النَّاسِ فقالَ : ما أنا بخَيرِ النَّاسِ ، ولا ابن خيرَ النَّاسِ ، ولَكنِّي عبدٌ من عبادِ الله ، أرْجُو الله ، وأخافُه ، واللهِ لَنْ تَزالوا بالرَّجُلِ حتَّىٰ تُهْلِكوه[3] .

٣ـ الاعْتِدالُ في المَدْح والذَّمِّ واجبٌ :

قالَ مالكُ بنُ دينار : مُذْ عَرفتُ النَّاسَ لَمْ أفْرَحْ بمَدْحِهم ، ولَمْ أكْرَه ذَمَّهم لأنَّ حامدَهم مُفرِّطٌ ، وذامَّهم مُفرِّطٌ ، إذا تَعلَّمَ العالمُ العِلْمَ للعَمَلِ كَسَرَه ، وإذا تَعلَّمَه لغَير العِلْمِ ، زادَه فَخْراً[4] .

٤ـ التَّحْذيرُ من مَدْح النَّفْس :

عن الإمامِ مَالِك قالَ : إنَّ الرَّجُلَ إذا ذَهبَ يَمدَحُ نَفسَه ، ذَهبَ بَهاؤُه[5] .

---

(١) انظر السير : (سَعيد بن العَاص) ٣/ ٤٤٤ـ٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٦/٤٠٦ .
(٢) انظر السير : (سُلَيمان الخَوَّاص) ٨/ ١٧٨ـ١٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤٢ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٧٣ .
(٤) انظر السير : (مالك بن دينار) ٥/ ٣٦٢ـ٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠٩ .
(٥) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/ ٤٨ـ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٧٣٦ .

٥ـ خَوفُ السَّلَف من كونِ المَدْح والثَّناء اسْتدْراجاً :

قالَ الْمَرُّوذيُّ : قُلتُ لأبي عبدِ اللهِ أحمَد بنِ حَنْبَل : ما أكثَرَ الدَّاعي لَكَ! قالَ : أخافُ أنْ يَكُونَ هـٰذا اسْتدراجاً بأيِّ شَيءٍ هـٰذا ؟ وقُلتُ له : قَدِمَ رَجلٌ من طَرْسُوسَ ، فقالَ : كُنَّا في بِلادِ الرُّومِ في الغَزوِ إذا هَدَأَ اللَّيلُ ، رَفعوا أصْوَاتَهم بالدُّعاءِ ، ادْعُوا لأبي عبدِ الله ، وكُنَّا نَمُدُّ الْمِنْجَنيقَ ونَرْمي عن أبي عبدِ الله ولَقَد رُميَ عنه بحَجرٍ ، والعِلْجُ على الحِصنِ مُتَترِّسٌ بدَرَقَة فذَهبَ برَأسِه وبالدَّرَقَة ، قالَ : فتَغيَّرَ وَجهُ أبي عبدِ الله وقالَ : لَيَته لا يَكونُ اسْتِدراجاً قُلتُ : كلاَّ[١] .

وقالَ خُرسانيٌّ للإمام أحمدَ بنِ حَنْبَل الحَمدُ لله الذي رَأيتُك ، قالَ : اقْعُد ، أيُّ شَيءٍ ذا ؟ مَنْ أنا ؟[٢] .

وعن رَجلٍ قالَ : رَأيتُ أثَرَ الغَمِّ في وَجْه أبي عبدِ الله أحمد بنِ حَنْبَل ، وقد أثنَىٰ عليه شَخصٌ ، وقيلَ له : جَزاكَ اللهُ عن الإسْلامِ خَيراً ، قالَ : بَلْ جَزَى اللهُ الإسْلامَ عنِّي خَيراً مَنْ أنا ومَا أنا!! ؟ .

قالَ إبْراهيمُ الحَرْبيُّ : كانَ أحمدُ بنُ حَنْبَل يُجيبُ في العُرْسِ والخِتانِ ، ويأكُلُ وذَكرَ غَيرُه أنَّ أحمدَ رُبَّما اسْتَعْفَىٰ من الإجابَة ، وكانَ إنْ رَأىٰ إناءَ فضَّة أو مُنْكَراً خرج ، وكان يُحبُّ الخُمولَ والانْزِواءَ عن النَّاسِ ، ويَعودُ المَريضَ وكان يَكرَهُ الْمَشيَ في الأسْواقِ ، ويُؤثِرُ الوَحْدَةَ[٣] .

٦ـ لو سَألكَ إنْسانٌ هلْ رأيتَ مثلَ نَفْسِكَ ؟ فبماذا تُجيبُ ؟

قالَ رَجاءُ بنُ محمَّد الْمُعَدَّل : قُلتُ للدَّارَقُطْنيِّ : رَأيتَ مثلَ نَفسِك ؟ فقالَ : قالَ اللهُ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[٤] فألْحَحْتُ عليه فقالَ : لَمْ أرَ أحداً جمعَ ما جَمعتُ ،

---

(١) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر ٦/٩٢٧ .

(٢) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر ٤/٩٣٠ .

(٣) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر ٥/٩٣٠ .

(٤) سورة النجم ، الآية : ٣٢ .

وقالَ أبو ذَرْ : قُلتُ لأبي عبدِ الله الحَاكِم : هلْ رَأيتَ مثلَ الدَّارَقُطْنيِّ ؟ فقالَ : هو ما رَأىٰ مثلَ نفسِه ، فكيفَ أنا ؟[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الحافِظِ بنِ عَساكِر ، قالَ عنه أبو الْمَواهِب : وأنا كُنتُ أُذاكِرُه في خَلوَاتِه عن الحُفَّاظِ الذين لَقيَهم فقالَ : أمَّا ببَغْدادَ ، فأبو عامِرِ العَبْدَريُّ ، وأمَّا بأصْبَهانَ ، فأبُو نَصْر اليُونارتي ، لكنَّ إسْماعيلَ الحافظَ كانَ أشْهَرَ منه ، فقُلتُ له : فعَلىٰ هـٰذا ما رَأىٰ سَيِّدُنا مثلَ نَفسِه فقالَ : لا تَقُلْ هـٰذا ، قالَ اللهُ تَعالَىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[2] قُلتُ : فقد قالَ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[3] فقالَ : نعَم لَوْ قالَ قائلٌ : إنَّ عَينَيَّ لَمْ تَرَ مثلِي لَصَدَق[4] .

٧ـ ثَنَاءُ العُلَماء على البُخَاري :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي عبدِ الله البُخاريِّ : قالَ أبو جَعْفَر : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ جَعْفَر يَقُولُ : لَوْ قَدرتُ أنْ أزيدَ في عُمرِ مُحمَّدِ بنِ إسْماعيلَ من عُمْري لَفعَلتُ ، فإنَّ مَوْتِي يَكُونُ مَوتَ رَجُلٍ واحِدٍ ومَوتُه ذَهَابُ العِلمِ .

وقالَ محمَّدٌ : حدَّثني محمَّدُ بنُ إسْماعيلَ ، قالَ : كُنتُ إذا دَخَلتُ علىٰ سُلَيْمانَ بنَ حَرْب يَقُولُ : بيِّنْ لنا غَلطَ شُعْبَة .

قالَ وسَمعتُه يَقُولُ : اجْتَمعَ أصْحابُ الحَديثِ ، فسَألُوني أنْ أكلِّمَ إسْماعيلَ بنَ أبي أُوَيْس لِيَزيدَهُم في القِراءَة ، ففَعلتُ ، فدَعَا إسْماعيلُ الجاريَة ، وأمَرَها أنْ تُخرِجَ صُرَّةَ دَنانير ، وقالَ : يا أبا عبد الله ، فرِّقْها عَليهم قُلتُ : إنَّما أرَادُوا الحَديثَ قالَ : قد أجَبتُك إلىٰ ما طَلبتَ من الزِّيادَة ، غَيرَ أنِّي أُحِبُّ أنْ يُضَمَّ هَـٰذا إلىٰ ذَاكَ لِيَظهَرَ أثَرُك فيهم .

وقالَ محمَّدُ بنُ أبي حاتم : سَمعتُ حاشِدَ بنَ عبد الله يَقُولُ : قالَ لي أبو مُصْعَب

---

(١) انظر السير : (الدَّارَقُطْنيُّ) ١٦/ ٤٤٩ـ ٤٦١ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٠٤ .
(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٢ .
(٣) سورة الضحى ، الآية : ١١ .
(٤) انظر السير : (ابنُ عَساكِر) ٢٠/ ٥٥٤ـ ٥٧١ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٨٤ .

الزُّهْريُّ : محمَّدُ بنُ إسْماعيلَ أَفْقَهُ عندَنا وأَبْصَرُ بالحَديثِ من أحمَد بنِ حَنْبَل فقيلَ له : جاوَزْتَ الحَدَّ فقالَ للرجُلِ : لَوْ أَدْرَكتَ مَالِكاً ونَظَرتَ إلىٰ وَجْهِه ووَجْهِ محمَّدِ بنِ إسْماعيلَ ، لقُلتَ : كِلاهُما واحدٌ في الفِقْه والحَديثِ .

قالَ : وسَمعتُ حاشِدَ بنَ إسْماعيلَ يَقولُ : سَمعتُ إسْحاقَ بنَ رَاهَوَيْه يَقُولُ : اكْتُبوا عن هـٰذا الشَّابِّ ـ يَعني البُخاريَّ ـ فلَوْ كانَ في زَمَنِ الحَسَن لاحْتَاجَ إليه النَّاسُ لِمَعرِفَتِه بالحَديثِ وفِقهِه .

وعن عبدِ الله بنِ أحمَد بنِ حَنْبَل ، سَمعتُ أبي يَقُولُ : انتُهَى الحِفظُ إلىٰ أرْبَعة من أهْلِ خُراسَان : أبو زُرْعَة الرَّازي ، ومحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ البُخاري ، وعبدُ الله بنُ عبدِ الرحمـٰن السَّمَرقَنْدي ، والحَسَنُ بنُ شُجاع البَلْخي .

قالَ ابنُ الأشْعَث : فحَكيتُ هـٰذا لِمُحمَّدِ بنِ عَقيل البَلْخي ، فأَطْرَىٰ ذِكرَ ابنِ شُجاع ، فقُلتُ له : لِمَ لَمْ يَشْتهِرْ ؟ قال : لأنَّه لَمْ يُمَتَّعْ بالعُمرِ .

وقالَ محمَّدٌ : حدَّثني جَعفَرُ بنُ محمَّد الفِرَبْري قالَ : خَرجَ رَجلٌ من أصْحابِ عبدِ الله بنِ مُنير ، رَحمَهُ اللهُ إلىٰ بُخارَىٰ في حاجَةٍ له فلمَّا رَجَعَ قالَ له ابنُ مُنير : لَقيتَ أبا عبد الله ؟ قالَ : لا ، فَطَردَه وقالَ : ما فيكَ بعدَ هـٰذا خَيرٌ ، إذ قَدِمتَ بُخارَىٰ ولَمْ تَصِرْ إلىٰ أبي عبدِ الله محمَّدِ بنِ إسْماعيل .

عن قُتَيبَة بنِ سَعيد أنَّه قالَ : رُحِلَ إليَّ من شَرقِ الأرضِ وغَربِها ، فمَا رَحلَ إليَّ مثلُ محمَّدِ بنِ إسْماعيل ، فقالَ مهيارُ : صَدقَ أنا رَأيتُه مع يَحْيَىٰ بنِ مَعين ، وهما يَخْتَلِفان جَميعاً إلىٰ محمَّدِ بنِ إسْماعيلَ ، فرَأيتُ يَحْيَىٰ يَنْقادُ له في الْمَعرِفَة .

وعن قُتَيبَة قالَ : لَوْ كانَ محمَّدٌ في الصَّحابَة لَكَانَ آيَةً .

وقالَ محمَّدُ بنُ يُوسُف الهَمَذاني : كُنَّا عندَ قُتَيبَة بن سَعيد ، فجاءَ رَجلٌ شَعرانيٌّ يُقالُ له : أبو يَعْقوب ، فسَألَه عن محمَّدِ بنِ إسْماعيل ، فنَكَّسَ رَأْسَه ، ثم رَفَعَه إلى السَّماءِ ، فقالَ : يا هَؤلاء ، نَظَرتُ في الحَديثِ ونَظَرتُ في الرَّأي ، وجالَستُ الفُقَهَاءَ والزُّهَّادَ والعُبَّادَ ، ما رَأيتُ منذُ عَقلتُ مثلَ محمَّدِ بنِ إسْماعيل .

قالَ الحاكِمُ : سَمعتُ محمَّدَ بنَ يَعْقوبَ الحافِظَ يَقُولُ : سَمعتُ أبي يَقُولُ : رَأيت

مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاج بين يدي البُخاريِّ يَسألُهُ سُؤالَ الصَّبيِّ[١] .

ثم قالَ : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ أحمَد الشَّيْباني الْمُعَدَّل ، سَمعتُ أحمَدَ ابنَ حَمْدونَ يَقُولُ : رَأيتُ محمَّدَ بنَ إسْماعيل في جِنازَة سَعيدِ بنِ مَرْوانَ ومحمَّدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْليُّ يَسألُه عن الأسَامي والكُنَىٰ والعِلَلِ ، ومحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ يَمرُّ فيه مثلَ السَّهْمِ ، كأنَّه يَقرأُ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٢] .

وقالَ محمَّدُ بنُ حَمْدونَ بنِ رُسْتُم : سَمعتُ مُسْلِمَ بنَ الحَجَّاج ، وجاءَ إلى البُخاريِّ فقالَ : دَعْني أُقَبِّلُ رِجلَيْكَ يا أُسْتاذَ الأُسْتاذِين ، وسَيِّدَ الْمُحَدِّثين ، وطَبيبَ الحَديثِ في عِلله .

وقالَ أبو عَليّ صالحُ بنُ محمَّد جَزَرَة : كانَ مُحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ البُخاريُّ يَجلِسُ ببَغْدادَ ، وكُنتُ أسْتَمْلِي له ، ويَجتَمِعُ في مَجلِسِه أكْثَرُ من عِشْرينَ ألْفاً[٣] .

قال خالدُ بنُ عبدِ الله المَرْوَزِيُّ ، سَمعتُ أبا سَهْل محمَّدَ بنَ أحمَدَ المَرْوزِيَّ ، سَمعتُ أبا زَيْد المَرْوزِيَّ الفَقيهَ يَقُولُ : كُنتُ نائماً بين الرُّكْنِ والمَقَام فرَأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا أبا زَيْد ، إلىٰ مَتىٰ تَدْرُسُ كتابَ الشَّافعي ، ولا تَدرُسُ كتابي ؟ فقُلتُ : يا رسُولَ الله ، وما كتابُك ؟ قالَ : « جامِعُ مُحمَّد بن إسْماعيل »[٤] .

٨ـ ثَناءُ عالمٍ علىٰ آخرَ مع تَدابُرِهما :

قيلَ : إنَّ أبا نُعَيم الحافِظَ ذُكِرَ له ابنُ مَنْدَة ، فقالَ : كانَ جَبلاً من الجِبالِ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : فهَـٰذا يَقولُه أبو نُعَيم مع الوَحْشَة الشَّديدَةِ التي بَينَه وبَينَه[٥] ،[٦] .

---

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٣/ ثَناء العُلماء عليه .
(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٥/ ١ .
(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٥/ ٢ .
(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٥/ ٣ .
(٥) وهي بسبب الخلاف المتأجج بين العُلماء وقتئذ حول قضية اللفظ بالقُرآن، أهو مَخْلوقٌ أو غيرُ مَخْلوقٍ.
(٦) انظر السير : (ابنُ مَنْدَة) ١٧/ ٢٨ـ ٤٣ ، وانظر النزهة : ١٣٢١/ ٢ .

٩ـ تَوْجيهُ الثَّناءِ وِجْهَةً صَحيحَة :

قال أبو المَليح : قال رجلٌ لمَيْمونَ بنِ مِهْران : يا أبا أيوب! ما يَزالُ النَّاسُ بخَيرٍ ما أبقاكَ الله لهم ، قال : أَقْبِلْ علىٰ شأنِكَ ، ما يَزالُ النَّاسُ بخَير ما اتَّقَوا ربَّهُم[١] .

قالَ ابنُ عُيَيْنَة : قالَ رَجلٌ لعُمَرَ بنِ عبدِ العَزيز : جَزاكَ اللهُ عن الإسْلامِ خَيراً ، قالَ : بَلْ جَزَى اللهُ الإسْلامَ عنِّي خَيراً .

ماتَ سَنَةَ إحْدَىٰ ومئة[٢] .

وعن فُضَيلِ بنِ عِياض قالَ : قيلَ لسُلَيْمانَ التَّيميِّ : أنْتَ أَنْتَ ومَنْ مثلُك ؟! قالَ : لا تَقُولوا هـٰكذا لا أَدْري ما يَبدو لي من رَبِّي عزَّ وجلَّ سَمعتُ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾[٣] ،[٤] .

١٠ـ نَمَاذج من تَزْكيَة السَّلَف بَعْضهم بَعْضاً :

قالَ الشَّعْبيُّ : أهلُ بَيتٍ خُلقوا للجَنَّة عَلقَمَةُ والأسْوَدُ وعبدُ الرحمَـٰن[٥] .

رَوَىٰ عطاءُ بنُ أبي رَباح عن ابنِ عَبَّاس قالَ : إنِّي لأَظُنُّ طاوُوساً من أهْلِ الجَنَّة[٦] .

وعن سُفْيانَ الثَّوري ، قالَ : وهلْ كانَ في الدُّنيا مثل قَتادَة[٧] .

وقالَ سُلَيْمانُ التَّيميُّ : ما أَحَدٌ أُحِبُّ أنْ أَلْقَى اللهَ بمثلِ صَحيفَتِه مثل محمَّدِ بنِ واسع[٨] .

وقالَ وَكيعٌ : شَكُّ مِسْعَر كَيَقينِ غَيرِه .

---

(١) انظر السير : (مَيْمونُ بن مِهْران) ٥/ ٧١ـ٧٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٢ .
(٢) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٢ .
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٧ .
(٤) انظر السير : (سُلَيْمانُ بنُ طَرْخان) ٦/ ١٩٥ـ٢٠٢ ، وانظر النزهة : ١٠/٦٤١ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بن الأسْوَد) ٥/١١ـ١٢ ، وانظر النزهة : ٨/٥٧٥ .
(٦) انظر السير : (طاوُوس) ٥/٣٨ـ٤٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٧٧ .
(٧) انظر السير : (قَتادَة) ٥/٢٦٩ـ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٣ .
(٨) انظر السير : (محمد بن واسع) ٦/١١٩ـ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٣٨ .

ورُوِيَ عن الحَسَنِ بنِ عُمارَة قال : إنْ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ إلاَّ مِثلُ مِسْعَر ، إنَّ أهْلَ الجَنَّة لَقليل[1] .

وقالَ يَحْيَىٰ بنُ مَعين : شُعْبَةُ إمَامُ الْمُتَّقين ، وقالَ أبو زَيْد الأنْصاريُّ : هلْ العُلَماءُ إلاَّ شُعْبةٌ من شُعْبَة[2] .

وقالَ البَراءُ بنُ رتيم : سَمعتُ يُونُسَ بنَ عُبَيد يَقُولُ : ما رَأيتُ أفْضَلَ من سُفْيانَ فقيلَ له : فقد رَأيتَ سَعيدَ بنَ جُبَير ، وإبْراهيمَ ، وعَطاءَ ، ومُجاهِداً ، وتَقُولُ هـٰذا ؟! قالَ : هو ما أقُولُ ، ما رَأيتُ أفْضَلَ من سُفْيانَ .

وقالَ عَبَّاسُ الدُّوريُّ : رَأيتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين ، لا يُقدِّمُ علىٰ سُفْيانَ أحَداً في زَمانِه ، في الفِقْه والحَديثِ والزُّهْدِ وكُلِّ شَيء[3] .

وعن ابنِ الْمُبارَك قالَ : ما نُعِتَ لي أحَدٌ ، فرَأيْتُه إلاَّ وَجدتُه دُونَ نَعتِه ، إلاَّ سُفْيانَ الثَّوري .

وقالَ ابنُ عَرْعَرَة : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ سَعيد يقولُ : سُفْيانُ أثْبَتُ من شُعْبَة ، وأعْلَمُ بالرِّجالِ[4] .

وقالَ بِشْرٌ الحَافي : كانَ الثَّوريُّ عندَنا إمَامَ النَّاسِ وعنه قالَ : سُفْيانُ في زَمانِه كأبي بَكر وعُمَرَ في زَمانِهِما[5] .

وعن شُعَيبِ بنِ حَرْب قالَ : إنِّي لأحْسَبُ أنَّه يُجاءُ غَداً بسُفْيانَ حُجَّةً من الله علىٰ خَلقِه يَقُولُ لهم : لَمْ تدرِكُوا نبيَّكم ، قد رَأيتُم سُفْيانَ .

قالَ شُعْبَةُ : إنَّ سُفْيانَ سَادَ النَّاسَ بالوَرَع والعِلمِ[6] .

---

(١) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٩ .
(٢) انظر السير : (شُعْبَة) ٧/ ٢٠٢ـ٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٦/٦٩٣ .
(٣) انظر السير : (سُفْيان الثَّوري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩٥ .
(٤) انظر السير : (سُفْيان الثَّوري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٩٥ .
(٥) انظر السير : (سُفْيان الثَّوري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٩٥ .
(٦) انظر السير : (سُفْيان الثَّوري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٨/٦٩٥ .

وقالَ أبو نُعَيم : سَمعتُ سُفْيانَ يَقُولُ : كانَ إبْراهيمُ بنُ أدْهَم يُشبِهُ إبْراهيمَ الخَليلَ ولَوْ كانَ في الصَّحابَة ، لَكانَ رَجُلاً فاضِلاً[1] .

وقالَ ابنُ عُيَيْنَة : نَظَرتُ في أمْرِ الصَّحابَة ، وأمْرِ عبدِ الله بنِ الْمُبارَك فما رَأيتُ لهم عَليه فَضْلاً إلاَّ بصُحْبَتِهم النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وغَزوِهِم مَعه[2] .

ورَوَىٰ أحمَدُ بنُ أبي الحَواريِّ عن الهَيْثم بنِ جَميل ، سَمعتُ شَريكاً يَقُولُ : لَمْ يَزَلْ لِكُلِّ قَومٍ حُجَّة في أهْلِ زَمانِهم ، وإنَّ فُضَيْلَ بنَ عِياض حُجَّةٌ لأهلِ زَمانِه ، فقامَ فَتىً من مَجلِسِ الهَيْثم ، فلمَّا تَوارَىٰ ، قالَ الهَيْثَمُ : إنْ عاشَ هـٰذا الفَتَىٰ يَكونُ حُجَّة لأهلِ زَمانِه قيلَ : مَنْ كانَ الفَتَى ؟ قالَ : أحمَدُ بنُ حَنْبَل[3] .

قالَ الإمَامُ الشَّافعيُّ : لَوْلا مَالِكٌ وسُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة ، لَذَهَبَ عِلمُ الحِجَازِ .

وارْتَحلَ سُفيانُ ولَقيَ خَلقاً كَثيراً ما لَقِيَهم مَالِكٌ ، وهما نَظيرانِ في الإتْقَانِ ، ولكنَّ مالكاً أجَلُّ وأعْلَىٰ ، فعندَه نافِعٌ ، وسَعيدٌ المقْبُريّ .

قالَ حَرمَلةُ : سَمعتُ الشَّافعيَّ يَقُولُ : ما رَأيتُ أحَداً فيه من آلَةِ العِلمِ ما في سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة ، وما رَأيتُ أكفَّ عن الفُتيا منه قالَ : وما رَأيتُ أحداً أحْسَنَ تَفسيراً للحَديثِ منه .

قالَ عبدُ الله بنُ وَهْب : لا أعْلمُ أحَداً أعْلمَ بتَفسيرِ القُرآنِ من ابنِ عُيَيْنَة .

وقالَ : أحمَدُ بنُ حَنْبَل أعْلَمُ بالسُّننِ من سُفْيانَ .

وعن البُوَيطيِّ ، سَمعتُ الشَّافعيَّ يَقُولُ : أصُولُ الأحْكام نَيِّفٌ وخَمس مئة حَديث ، كلُها عندَ مَالِك إلاَّ ثَلاثينَ حَديثاً ، وكلُّها عندَ ابنِ عُيَيْنَة إلاَّ سِتَّة أحَاديث .

وقالَ ابنُ الْمَديني : قالَ لي يَحْيى القَطَّان ما بَقيَ من مُعلِّميَّ أحَدٌ غيرُ سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة ، وهو إمامٌ منذُ أرْبَعينَ سَنةً[4] .

---

(١) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٧٠٨/ ١ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن المبارك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٦٧/ ٢ .

(٣) انظر السير : (الفُضيل بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٣/ ٢ .

(٤) انظر السير : (سُفيانُ بن عُيَيْنَة) ٨/ ٤٥٤ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٧٨٣/ ١ .

وقالَ نُعَيمُ بنُ حَمَّاد : ما رَأيتُ أحَداً أجْمَعَ لِمُتَفرِّقٍ من سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة[١] .

وقالَ أبو داوُدَ الطَّيالسيُّ : تُوفِّيَ أبو إسْحاقَ الفَزاري ولَيسَ علىٰ وَجه الأرضِ أحَدٌ أفْضَلَ منه[٢] .

وعن سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة ، قالَ : والله ما رَأيتُ أحداً أقَدِّمُه علىٰ أبي إسْحاقَ الفَزاري[٣] .

وعن مَالك : أنَّه ذُكرَ عندَه عبدُ الرحمَـٰن بنُ القاسِم ، فقالَ : عافَاه الله ، مَثلُه كمَثلِ جِرابٍ مَمْلوء مِسْكاً[٤] .

وقالَ بِشْرُ بنُ مُوسَىٰ : سَمعتُ أحمَدَ بنَ حَنْبَل يَقولُ : ما رَأيتُ قَطُّ مثلَ وَكيعٍ في العِلمِ والحِفظِ والإسْنادِ والأبْوابِ مع خُشوعٍ ووَرَع .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يَقُولُ هـٰذا أحمَدُ مع تَحرِّيه ووَرَعِه وقد شَاهَد الكِبارَ مثلَ هُشَيم ، وابنِ عُيَيْنَة ، ويَحْيَى القَطَّان ، وأبي يُوسُف القاضي وأمثالِهم[٥] .

وقالَ مَروانُ بنُ محمَّد الطَّاطَرِيّ : ما رَأيتُ فيمَن رَأيتُ أخْشَعَ من وَكيع ، وما وُصِفَ لي أحَدٌ قَطُّ إلاَّ رَأيتُه دُونَ الصِّفَة إلاَّ وَكيعاً ، رَأيتُه فَوقَ ما وُصِفَ لي[٦] .

وقالَ إسْماعيلُ بنُ شَدَّاد : قالَ لنا سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة : ما فَعلَ ذلك الحَبرُ الذي فيكُم ببَغْدادَ ؟ قُلنا : مَنْ هو ؟ قالَ : أبو مَحْفوظ مَعْروفٌ قُلنا : بخَير ، قالَ : لا يَزالُ أهلُ تلكَ الْمَدينَة بخَير ما بَقِيَ فيهم[٧] .

قالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل : ما رَأيتُ أفضَلَ من حُسَينٍ الجُعْفي .

---

(١) انظر السير : (سُفيانُ بن عُيَيْنَة) ٨/ ٤٥٤ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٧٨٤/ ٢ .
(٢) انظر السير : (أبو إسْحاق الفَزاري) ٨/ ٥٣٩ـ ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٧٩٠/ ٣ .
(٣) انظر السير : (أبو إسْحاق الفَزاري) ٨/ ٥٣٩ـ ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٧٩٠/ ٤ .
(٤) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن القاسم) ٩/ ١٢٠ـ ١٢٥ ، وانظر النزهة : ٨٠٥/ ٤ .
(٥) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٨٠٩/ ٤ .
(٦) انظر السير : (وَكيع) ٩/ ١٤٠ـ ١٦٨ ، وانظر النزهة : ٨١١/ ٤ .
(٧) انظر السير : (مَعْروف الكرْخي) ٩/ ٣٣٩ـ ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٢٦/ ٣ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يُريدُ بالفَضلِ التَّقْوَىٰ والتألُّه ، هَـٰذا عُرْفُ الْمُتَقدِّمين[1] .

وقالَ قُتَيبَةُ : قيلَ لِسُفيانَ بن عُيَيْنَة : قَدِمَ حُسَينٌ الجُعْفيُّ ، فوَثبَ قائماً ، وقالَ : قَدِمَ أفْضَلُ رَجُلٍ يَكُونُ قَطُّ[2] .

وقالَ وَكيعُ بنُ الجَرَّاح : إنْ كانَ يُدفَعُ بأحَد في زَمانِنا ، فبأبي داوُد الحَفَريِّ .

وقالَ عليُّ بنُ الْمَديني : لا أعْلَمُني رَأيتُ بالكُوفَة أعْبَدَ منه[3] .

وعن الحُنَيْنيِّ قالَ : كُنَّا عندَ مَالِك ، فقَدِمَ ابنُ قَعْنَب من سَفَر ، فقالَ مَالِكٌ : قُوموا بنا إلىٰ خَيرِ أهْلِ الأرْض[4] .

قالَ إبْراهيمُ الحَربيُّ : ما أخْرَجَتْ بغدادُ أتَمَّ عَقْلاً من بِشْرِ بن الحَارِث ، ولا أحفَظَ لِلسَانِه ، كانَ في كُلِّ شَعرَةٍ منه عَقلٌ ، وَطِىءَ النَّاسُ عَقِبَه خَمسينَ سَنةً ، ما عُرِفَ له غِيبةٌ لِمُسلِم ، ما رَأيتُ أفْضَلَ منه[5] .

وقيل لأحمَد : ماتَ بِشرُ بنُ الحَارِث : قالَ : مَاتَ واللهِ وما لَه نَظيرٌ إلاَّ عامِرُ بنُ عبد قَيْس ، فإنَّ عامِراً ماتَ ولَمْ يَترُكْ شَيئاً ثم قالَ أحمَدُ : لَوْ تَزوَّج[6] .

وقالَ إبْراهيمُ الحَربيُّ : لَوْ قُسِّمَ عَقلُ بِشْر علىٰ أهْلِ بَغدَادَ ، صاروا عُقَلاء[7] .

وقالَ أبو العَبَّاس ثَعْلَبٌ : لَوْ كانَ أبو عُبَيد في بَني إسْرائيلَ ، لكانَ عَجَباً[8] .

وقالَ إبْراهيمُ بنُ محمَّد النسَّاج : سَمعتُ إبْراهيمَ الحَربيَّ يَقُولُ : أدْركتُ ثَلاثةً تَعجزُ النِّساءُ أنْ يَلِدْنَ مِثلَهم : رَأيتُ أبا عُبَيد ، ما مَثَّلتُه إلاَّ بجَبلٍ نُفِخَ فيه رُوحٌ ، ورَأيتُ بِشْرَ بنَ الحَارِث ، ما شَبَّهتُه إلاَّ برجُل عُجِنَ من قَرْنِه إلىٰ قَدَمِه عَقْلاً ، ورَأيتُ أحمَدَ بنَ

---

(١) انظر السير : (الحُسَينُ بنُ عَليّ الجُعفي) ٩/ ٣٩٧ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٨٣٣/ ١ .
(٢) انظر السير : (الحُسَينُ بنُ عَليّ الجُعفي) ٩/ ٣٩٧ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٨٣٣/ ٢ .
(٣) انظر السير : (الحَفَريّ) ٩/ ٤١٥ـ ٤١٧ ، وانظر النزهة : ٨٣٤/ ٢ .
(٤) انظر السير : (القَعْنَبيُّ) ١٠/ ٢٥٧ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٨٧٥/ ٥ .
(٥) انظر السير : (بِشْر بن الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٥/ ٨ .
(٦) انظر السير : (بِشْر بن الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٦/ ٧ .
(٧) انظر السير : (بِشْر بن الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٦/ ٨ .
(٨) انظر السير : (أبو عُبَيد) ١٠/ ٤٩٠ـ ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٨٨٧/ ٦ .

حَنْبَل ، فرَأيتُ كأنَّ اللهَ قد جَمعَ له عِلمَ الأوَّلينَ ، فمِنْ كُلِّ صنف يَقولُ ما يَشاءُ ، ويُمْسِكُ ما يَشاءُ[1] .

وعن يَحْيَىٰ بنِ يَحْيَى التَّميمِيِّ ، قالَ : إنْ لَمْ يَكُنْ أحمَدُ بنُ حَرْب من الأبْدَالِ ، فلا أدْري مَنْ هم ؟!![2] .

قالَ عبدُ الرَّزَّاق : ما رَأيتُ أحَداً أفْقَه ولا أوْرَع من أحمَد بنِ حَنْبَل .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : قالَ هَـٰذا وقد رَأىٰ مثلَ الثَّوري وَمالِك وابنِ جُرَيج[3] .

وقالَ قُتَيبَة : خَيرُ أهْلِ زَمانِنا ابنُ الْمُبَارَك ، ثم هـٰذا الشَّابُّ ، يَعني : أحمَدَ بنَ حَنْبَل ، وإذا رَأيتَ رَجُلاً يُحبُّ أحمدَ ، فاعْلَم أنَّه صاحِبُ سُنَّة ولَوْ أدْرَكَ عَصرَ الثَّوري ، والأوْزاعي ، واللَّيث ، لكانَ هو الْمُقدَّم عَليهم فقيلَ لقُتَيبَة : يُضَمُّ أحمَدُ إلى التَّابعين ؟ قالَ : إلىٰ كِبارِ التَّابعين[4] .

وقالَ حَرْمَلةُ : سَمعتُ الشَّافعيَّ يَقُولُ : خَرجتُ من بَغْدادَ فمَا خَلَّفتُ بها رَجُلاً أفضَلَ ، ولا أعْلَمَ ، ولا أفْقَهَ ، ولا أتْقَىٰ من أحمَد بنِ حَنْبَل[5] .

ورُوِيَ عن إسْحاقَ بنِ راهَوَيْه ، قالَ : أحمَدُ حُجَّةٌ بينَ الله وبينَ خَلقِه[6] .

عن محمَّدِ بنِ يَحْيَى الصَّفَّار ، قالَ : لَوْ كانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ في الأحْياءِ لاحْتاجَ إلىٰ إسْحاقَ بن رَاهَوَيْه في أشْيَاءَ كَثيرَة[7] .

وقالَ حَنْبَلُ : سَمعتُ أبا عبدِ الله ، وسُئِلَ عن إسْحاقَ بن رَاهَوَيْه ، قالَ : مثل إسْحاقَ يُسأَلُ عَنه ؟! إسْحَاقُ عندَنا إمَامٌ[8] .

---

(١) انظر السير : (أبو عُبَيْد) ١٠/ ٤٩٠-٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٧ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حَرْب) ١١/ ٣٢-٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٩٠٦ .
(٣) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٢٥ .
(٤) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٥ .
(٥) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٦/٩٢٥ .
(٦) انظر السير : (أحمد بن حَنْبَل) ١١/ ١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٧/٩٢٥ .
(٧) انظر السير : (إسْحاق بن راهَوَيْه) ١١/ ٣٥٨-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٢ .
(٨) انظر السير : (إسْحاق بن راهَوَيْه) ١١/ ٣٥٨-٣٨٣ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٣ .

وقالَ إمامُ الأئمَّة ابنُ خُزَيْمَة : واللهِ لَوْ كانَ إسْحاقُ في التَّابعينَ لأقَرُّوا له بحِفظِه وعِلمِه وفِقهِه[1] .

قالَ أبو عبد الله الحاكِم : كانَ محمدُ بنُ أسْلَم من الأبْدَالِ الْمُتَتبِّعينَ للآثارِ[2] .

وقالَ فيه محمَّدُ بنُ رَافع : دَخلتُ علىٰ محمَّدِ بنِ أسْلَم ، فمَا شَبَّهتُه إلاَّ بأصْحابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم[3] .

وقالَ الحاكِمُ : قامَ محمَّدُ بنُ أسْلَم مَقامَ وَكيع ، وأفْضلَ من مَقامِه لِزُهْدِه ووَرَعِه وتَتبُّعه للأثَر[4] .

قالَ محمَّدُ بنُ القاسِم : وسَمعتُ أبا يَعْقوب الْمَرُوزيَّ ببَغدادَ ، وقُلتُ له : قد صَحبتَ محمَّدَ بنَ أسْلَم ، وأحمَدَ بنَ حَنْبَل ، أيُّهما كانَ أرْجَحَ وأكبَرَ وأبْصَرَ بالدِّين ؟ فقالَ يا أبا عبدِ الله : لِمَ تَقُولُ هـٰذا ؟ إذا ذَكرتَ مُحمَّداً في أرْبَعةِ أشْياءَ ، فلا تَقْرِنْ معه أحَداً : البَصَر بالدِّين ، واتِّبَاع الأثَر ، والزُّهْد في الدُّنيا ، وفَصاحَته بالقُرآنِ والنَّحْو ، ثم قالَ لي : نَظرَ أحمدُ في كتابِ « الرَّدِّ على الجَهْميَّة » لابنِ أسْلَم ، فتَعجَّبَ منه[5] .

عن أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، قالَ : ما كانَ بالشَّامِ مُنذُ أرْبَعينَ سَنةً مثلُ محمَّدِ بنِ عَوْف .

ماتَ ابنُ عَوْف في سنةِ اثنَتينِ وسَبعينَ ومئتينِ ، رَحمَه الله[6] .

قال إبراهيمُ بنُ عَفَّانَ البَزَّار : كُنتُ عندَ أبي عبدِ الله البُخَاريّ فجَرَىٰ ذِكرُ أبي إسْحَاقَ السُّرْماريّ ، فقال : ما نَعْلَمُ في الإسْلام مِثْلَه فخَرَجْتُ فإذا أُحَيْدُ رَئيسُ المُطَّوِّعَة ، فأخْبَرتُه ، فغَضِبَ ودَخَلَ على البُخَاريّ ، وسَألَه فقال ما كذا قُلتُ ، بل : ما بَلَغَنا أنَّه كان في الإسْلامِ ولا في الجَاهِليَّةِ مِثلُه .

---

(١) انظر السير : (إسْحاق بن راهَوَيْه) ١١/ ٣٥٨ـ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٣ .
(٢) انظر السير : (محمدُ بنُ أسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٢ .
(٣) انظر السير : (محمدُ بنُ أسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٢ .
(٤) انظر السير : (محمدُ بنُ أسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٢ .
(٥) انظر السير : (محمدُ بنُ أسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٤/٩٩٢ .
(٦) انظر السير : (محمد بن عَوْف) ١٢/ ٦١٣ـ٦١٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٤٠ .

وقالَ ابنُه أبو صَفْوَان : دَخَلتُ علىٰ أبي يوماً وهو يَأكُلُ وحْدَه ، فرَأَيْتُ في مائِدَتِه عُصْفُوراً يأكُلُ معَه ، فلمَّا رَآنِي طَارَ[1] .

عن محمَّدِ بنِ إبْراهيمَ الْمُقرِىء ، سَمعتُ فَضْلَكَ الصَّائغَ يَقولُ : دَخلتُ على الرَّبيع بمِصْرَ ، فقالَ : من أينَ ؟ قُلتُ : من الرّيِّ قالَ : تَركتَ أبا زُرْعَةَ الرَّازي وجئتَ ؟ إنَّ أبا زُرْعَة آيةٌ ، وإنَّ اللهَ إذا جَعلَ إنساناً آيَةً ، أبَانَه من شَكلِه ، حتَّىٰ لا يَكونَ له ثانٍ[2] .

وقالَ الحافظُ موسَىٰ بنُ هارُون : خُلِقَ أبو داوُد في الدُّنيا للحَديث ، وفي الآخِرَة للجَنَّة[3] .

وعن عَلقَمَة ، قالَ : كانَ عبدُ الله بنُ مَسْعُود يُشَبَّهُ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في هَدْيه ودَلِّه وكانَ عَلقَمَةُ يُشَبَّهُ بعَبدِ الله في ذلك .

قالَ جَريرُ بنُ عبد الحَميد : وكانَ إبْراهيمُ النَّخَعي يُشَبَّهُ بعَلقَمَة في ذلك ، وكانَ مَنْصُورُ يُشَبَّهُ بإبْراهيمَ .

وقيلَ : كانَ سُفيانُ الثَّوري يُشَبَّهُ بمَنْصُور ، وكان وَكيعُ يُشَبَّهُ بسُفْيانَ ، وكانَ أحمَدُ يُشَبَّهُ بوَكيع ، وكانَ أبو دَاوُد يُشَبَّهُ بأحمَد[4] .

قالَ أبو الحَسَن عَليُّ بنُ إبْراهيمَ الرَّازي الخَطيبُ في تَرجَمَة عَملَها لابنِ أبي حاتم : وكانَ بَحْراً لا تُكدِّرُه الدِّلاء .

وقالَ عنه أبو يَعْلى الخَليلي : أخَذَ أبو محمَّد علمَ أبيه ، وأبي زُرْعَة ، وكانَ بَحْراً في العُلومِ ومَعرِفَة الرِّجال صَنَّفَ في الفِقهِ ، وفي اخْتِلافِ الصَّحابَة والتَّابِعينَ وعُلمَاءِ الأمْصَارِ قالَ : وكانَ زاهِداً ، يُعَدُّ من الأبْدَال .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : له كتابٌ نَفيسٌ في « الجَرْحِ والتَّعْديل » ، أرْبَع مُجلَّدات ، وكتابُ « الرَّدّ على الجَهْميَّة » ، مُجلَّدٌ ضَخمٌ ، انْتخبت منه ، وله « تَفسيرٌ »

---

(١) انظر السير : (أحمد بن إسحاق السّرماري) ١٣/ ٣٧ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٩ .

(٢) انظر السير : (أبو زُرْعَة الرَّازي) ١٣/ ٦٥ـ ٨٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٥٢ .

(٣) انظر السير : (أبو داوُد) ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٠ .

(٤) انظر السير : (أبو داوُد) ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧١ .

كَبيرٌ في عِدَّة مُجلَّدات ، عامَّتُه آثارٌ بأسانيدِه ، من أحْسَنِ التَّفاسِير ، وله كتابُ « العِلَل » ، مُجلَّد كَبير[1] .

قالَ أبو الفَضْل الجَارُودي : كانَ عُثْمَانُ بنُ سَعيد الدَّارِميُّ إماماً يُقْتَدَىٰ به في حَياتِه وبعدَ مَمَاتِه[2] .

قالَ محمَّدُ بنُ سَهْل الطُّوسي : سَمعتُ الرَّبيعَ بنَ سُلَيْمانَ وقالَ لنا : هلْ تَعرِفُونَ ابنَ خُزَيْمَة ؟ قُلنَا : نعَم قالَ : اسْتَفَدنا منه أكثرَ مِمَّا اسْتَفادَ مِنَّا[3] .

وقالَ الحافِظُ أبو عَليٍّ النِّيسابُوريُّ : لَمْ أرَ أحَداً مثلَ ابنِ خُزَيْمَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يَقُولُ مثلَ هَـٰذا وقد رَأى النَّسَائي[4] .

وسُئِلَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ أبي حاتمٍ عن أبي بَكر بنِ خُزَيْمَة ، فقالَ : وَيْحَكم! هو يُسألُ عَنَّا ولا نُسألُ عنه! هو إمامٌ يُقتَدَىٰ به[5] .

وقالَ الصِّبْغيُّ : شَمائلُ الصَّحابَة والتَّابِعينَ ، أخَذَها مَالكٌ الإمَامُ عنهم ، وأخَذَها عن مَالِك يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَى التَّميميُّ ، وأخَذَها عن يَحْيَىٰ محمَّدُ بنُ نَصر الْمَروَزِيُّ ، وأخَذَها عن ابنِ نَصْر أبو عَليٍّ الثَّقَفيُّ .

قالَ الحاكِمُ : وسَمعتُ أبا العَبَّاس الزَّاهِدَ يَقُولُ : كانَ أبو عَليٍّ في عَصْرِه حُجَّةُ الله علىٰ خَلقِه[6] .

سُئِلَ عبدُ الله بنُ مَنازل الزَّاهِدُ عن القِرْمِيسِنِيِّ فقالَ : هو حُجَّةُ الله على الفُقَراءِ وأهْلِ الْمُعامَلاتِ والآدَابِ[7] .

---

(١) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن أبي حاتم) ١٣/ ٢٦٣ـ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٧٨ .
(٢) انظر السير : (الدَّارمِيّ) ١٣/ ٣١٩ـ٣٢٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٩٢ .
(٣) انظر السير : (ابنُ خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥ـ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٦٠ .
(٤) انظر السير : (ابنُ خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥ـ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ١/١١٦١ .
(٥) انظر السير : (ابنُ خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥ـ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٢ .
(٦) انظر السير : (أبو عَليّ الثَّقَفِيّ) ١٥/ ٢٨٠ـ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٢٧ .
(٧) انظر السير : (القِرْمِيسِنِيُّ) ١٥/ ٣٩٢ـ٣٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٣٩ .

وقالَ أبو بَكر بنُ إسْحاقَ : صَحبتُ عَليَّ بنَ حَمْشَاذ في الحَضَر والسَّفَر ، فما أعْلمُ أنَّ الْمَلائكَةَ كَتبَتْ عليه خَطيئَة[1] .

وقالَ عبدُ الْمُحْسِن الشِّيحيُّ التَّاجِرُ : ما رَأيتُ مثلَ الصُّوريِّ! كانَ كأنَّه شُعلَةُ نارٍ ، بِلِسانٍ كالحُسَامِ القَاطِع[2] .

وقالَ أبو سَعد السَّمْعانيُّ : كانَ الدَّاوُديُّ وَجْهَ مَشَايخ خُراسان فَضْلاً عن ناحيته والْمَعرُوفَ في أصْلِه وفَضلِه وطَريقَتِه ، له قَدمٌ في التَّقوىٰ رَاسِخٌ ، يَستَحقُّ أنْ يُطوىٰ للتَّبرُّكِ به فَراسِخُ فَضلُه في الفُنُونِ مَشْهُور ، وذِكرُه في الكُتبِ مَسْطُور ، وأيَّامُه غُرَر ، وكَلامُه دُرَر[3] .

وقالَ أبو الحَسَن البَاخَرْزيُّ في « الدمية » في حَقِّ إمَامِ الحَرَمَين أبي الْمَعَالي الجُوَينيِّ : الفِقهُ فِقْهُ الشَّافعيِّ ، والأدَبُ أدَبُ الأصْمَعيِّ ، وفي الوَعْظِ الحَسَنِ الحَسَنُ البَصْريُّ ، وكَيفَ ما هو فهُو إمامُ كُلِّ إمامٍ ، والْمُسْتَعلِي بهِمَّتِه علىٰ كُلِّ هَامّ ، والفائِزُ بالظَّفَر علىٰ إرْغَامِ كُلِّ ضِرْغَام ، وإنْ تَصَدَّرَ للفِقهِ ، فالْمُزَنيُّ من مُزْنَتِه ، وإذا تَكلَّمَ فالأشْعَريُّ شَعْرةٌ من وَفْرَته[4] .

١١ ـ شِعْرٌ في المَدْح :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عليِّ بنِ الحُسَينِ بنِ عَليِّ بن أبي طالب : قد اشْتَهرَت قَصيدَةُ الفَرَزْدَق ـ وهي سَمَاعنا ـ أنَّ هِشامَ بنَ عبدِ الْمَلكِ حَجَّ قُبَيلَ وِلايَتِه الخِلافَة ، فكانَ إذا أرَادَ اسْتلام الحَجَر زُوحِمَ عليه ، وإذا دَنا عليُّ بنُ الحُسَين من الحَجَر تَفرَّقُوا عنه إجْلالاً له ، فوَجَمَ لها هِشَامٌ وقالَ : مَنْ هَـٰذا ؟ فمَا أعْرِفُه ، فأنْشَأ الفَرَزْدَقُ يَقُولُ :

هـٰذا الَّذي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ

هَـٰذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمِ ... هـٰذا التَّقيُّ النَّقِيُّ الطاهِرُ العَلَمُ

---

(١) انظر السير : (عَليُّ بنُ حَمْشاذ) ١٥/٣٩٨ـ ٤٠٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٤١ .

(٢) انظر السير : (الصُّوريُّ) ١٧/ ٦٢٧ـ ٦٣١ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٦٩ .

(٣) انظر السير : (الدَّاوُديُّ) ١٨/ ٢٢٢ـ ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٥ .

(٤) انظر السير : (إمامُ الحَرَمَيْن) ١٨/٤٦٨ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٣٤ .

إذا رأتْـهُ قـريـشٌ قـالَ قـائِلُهـا ... إلـىٰ مكـارمِ هـٰذا ينتهـي الكـرمُ
يكـادُ يمسِكُـهُ عِـرفـانُ راحتِـهِ ... رُكْـنُ الحطيـمِ إذا مـا جـاءَ يستلِـمُ
هـٰذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهِلَهُ ... بجـدِّهِ أنبيـاءُ اللهِ قَـدْ خُتِمـوا

وهي قَصيدَةٌ طَويلَةٌ قالَ : فأمَرَ هِشامٌ بحَبسِ الفَرَزْدَق ، فحُبسَ بعُسفَانَ ، وبَعثَ إليه عليُّ بنُ الحُسَين باثنَي عَشرَ ألفَ دِرْهَم وقالَ : أعْذِرْ أبا فِراس فرَدَّها وقَالَ : ما قُلتُ إلاَّ غَضَباً لله ولِرَسُوله ، فردَّها إليه ، وقالَ : بِحَقِّي عَليكَ لَمَا قَبلتَهَا ، فقد عَلمَ اللهُ نيَّتَك ورأىٰ مَكانَك فقبَلَها .

ماتَ عَليُّ بنُ الحُسَيْنِ سَنةَ أرْبع وتسعين .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : قَبرُه بالبَقيعِ ، ولا بَقيَّةَ للحُسَينِ إلاَّ من قِبَل ابنِه زَينِ العَابدين[1] .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ يَعْقُوب الحَضْرَميِّ ، أحَدِ القُرَّاء العَشْرَة : قالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل : هو صَدوقٌ .

وقالَ محمَّدُ بنُ أحمَد العِجليُّ يَمدَحُ يَعقُوبَ[2] :

أبُـوهُ مـن القُـرَّاءِ كَـانَ وَجَـدُّهُ ... وَيَعْقُوبُ فِي القرّاءِ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّي
تَفَـرُّدُهُ مَحْـضُ الصَّـوابِ وَوَجْهُـهُ ... فَمَـنْ مِثْلُـهُ في وَقْتِـهِ وإلَـى الْحَشْرِ

وقال أبو تَمَّام في المُعْتَصِم أو ابنِه :

إقْـدَامُ عمـرٍو فـي سَمـاحَـةِ حَـاتِـمٍ ... في حِلْمِ أَحْنَف في ذَكَاءِ إيَاسِ[3]

ورَوىٰ محمَّدُ بنُ عبدِ الْمَلِك التَّاريخيُّ ، قالَ : أنْشَدَني ابنُ أبي طاهِر لنَفسِه في الزُّبَيْرِ بنِ بَكار[4] :

---

(١) انظر السير : (عَليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٥٢٠/ ٤ .
(٢) انظر السير : (يَعْقوبُ الحَضْرَميّ) ١٠/ ١٦٩ـ ١٧٤ ، وانظر النزهة : ٨٦٣/ ١ .
(٣) انظر السير : (أبو تمّام) ١١/ ٦٣ـ ٦٩ ، وانظر النزهة : ٩٠٩/ ٤ .
(٤) انظر السير : (الزُّبَيْر بن بكار) ١٢/ ٣٠٨ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ١٠٠٤/ ١ .

مـــا قَـــالَ « لا » إلاَّ فـــي تَشَهُّـــدِهِ   ولا جَـرَىٰ لَفْظُهُ إلاَّ عَلَىٰ « نَعَـمِ »
بَيْـنَ الْحَـوَارِيِّ والصِّـدِّيـقِ نِسْبَتُـهُ   وَقَـدْ جَـرَىٰ وَرَسُـولُ اللهِ فـي رَحِـمِ

ولابن الرُّوميِّ النَّظْمُ العَجيب ، والتَّوْليدُ الغَريب ، رتَّبَ شِعْرَه الصُّوليُّ ، وكانَ رَأساً في الهِجاءِ وفي الْمَديحِ ، وهو القائلُ[1] :

آراؤُكـم وَوُجُـوهُكُـم وَسُيُـوفُكـم   فـي الحَـادِثَـاتِ إذَا دَجَـوْنَ نُجُـومُ
مِنْهـا مَعَـالِـمُ لِلْهُـدَىٰ وَمَصَـابِـحٌ   تَجْلُو الدُّجَىٰ وَالأُخْرَياتُ رُجُومُ

ولليَشْكُريِّ في أبي عُمَرَ الزَّاهِد قَصيدَةٌ منها :

فَلَوْ أَنَّنِي أقْسَمْتُ مَا كُنْتُ كَاذِباً   بِـأَنْ لَـمْ يَـرَ الـرَّاؤُونَ حَبْـراً يُعَـادِلُـهْ
إِذَا قُلْـتَ شَـارَفْنَـا أَوَاخِـرَ عِلْمِـهِ   تَفَجَّـرَ حَتَّـىٰ قُلْـتَ هـٰذي أَوَائِلُـهْ

ماتَ أبو عُمَر سَنَةَ خَمسٍ وأَرْبَعينَ وثَلاثِ مئة[2] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ « كافُور » صاحِبِ مِصْرَ ، يَقُولُ الْمُتَنَبِّي :

قَـوَاصِـدُ كَـافُـورٍ تَـوَارِكُ غَيْـرِهِ   وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
فَجَـاءَتْ بِنَـا إِنْسَـانَ عَيْـنِ زَمَـانِـهِ   وخَلَّـتْ بَيَـاضـاً خَلْفَهَـا وَمَـآقِيَـا

فأقامَ عندَه أرْبَع سِنينَ ، ونالَه مالٌ جَزيلٌ ، ثم هَجَاه لآمَةً وكُفْراً لِنعمَتِه وهَربَ على البَرِّيَّة[3] .

وقالَ العِمَادُ في مَدحِ صَلاحِ الدِّين[4] :

وللنَّـاسِ بـالملِـكِ النَّـاصِـرِ الصَّـلا   حِ صَـــلاحٌ ونَصْـــرٌ كَبِيـــرْ
هـوَ الشَّمـسُ أَفْـلاكُـهُ فِـي البـلا   دِ ومَطْلِعُـهُ سَـرْجُـهُ والسَّـريـرْ
إذ مَـا سَطَـا أوْ حَبَـا واحْتَبَـىٰ   فَمَـا اللَّيْـثُ مَـنْ حَـاتِـمٌ مَـا ثبيـرْ

---

(١) انظر السير : (ابنُ الرُّوميّ) ١٣/ ٤٩٥ـ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/١١١١ .
(٢) انظر السير : (أبو عُمَر الزَّاهِد) ١٥/ ٥٠٨ـ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٦ .
(٣) انظر السير : (كافُور) ١٦/ ١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٨٤ .
(٤) انظر السير : (صَلاحُ الدِّينِ وبَنُوه) ٢١/ ٢٧٨ـ٢٩١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٢٢ .

١٢ـ نموذجَان من تَزْكية السَّلَف بَعْضهم بَعْضاً في وُجوهِهِم :

عن عُمَرَ بنِ عبد الله ، قالَ سَعيدُ بنُ الْمُسَيِّبِ لِقَتَادَة : ما كُنتُ أَظُنُّ أنَّ اللهَ خَلقَ مِثْلَكَ[١] .

قالَ محمَّدُ بنُ يُوسُفَ الفِرْيابي : كُنتُ في مَجلِسٍ فيه الأوْزاعيُّ وسَعيدُ بنُ عبد العَزيز ، وسُلَيْمانُ الخَوَّاصُ ، فذَكرَ الأوْزاعيُّ الزُّهَّادَ ، فقالَ : ما نزيدُ أنْ نُريدَ مثل هَؤلاء ، فقالَ سَعيدُ : ما رَأيتُ أزْهَدَ من سُلَيْمانَ الخَوَّاص ، وما شَعَرَ أنَّه في الْمَجلِسِ ، فقَنَّعَ سُليمانُ رَأسَه ، وقَامَ ، فأقْبلَ الأوْزاعيُّ علىٰ سَعيدٍ ، وقالَ : وَيْحَكَ لا تَعقِلُ ما يَخرُجُ من رَأسِك ! تُؤذِي جَليسَنا تُزكِّيه في وَجهِه[٢] .

١٣ـ رُؤىٰ فيها تَزْكيَة لعَدد من الفُضَلاء :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مَنصورِ بنِ الْمُعْتَمِر : وحكايَةُ أبي بَكر الباغندي الحافظ مَشهُورَة ، سَمعناها في مُعجَم الغَسَّاني ، أنَّه كانَ ينتخبُ علىٰ شَيخٍ ، فكانَ يَقُولُ له : كَمْ تُضْجِرُني ؟ أنتَ أكثرُ حَديثاً منِّي وأحفَظُ ، فقالَ : إنِّي قد جِئتُ إلى الحَديثِ ، بحَسْبِكَ أنِّي رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، فلَمْ أسْألْه الدُّعاءَ ، وإنَّما قُلتُ : يا رَسُولَ الله أيُّما أثْبَتُ في الحَديثِ مَنْصُورٌ أو الأعْمَش فقالَ : مَنْصُورٌ مَنْصُورٌ[٣] .

وعن محمَّدِ بنِ فَضَاء ، قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ فقالَ : زُورُوا ابنَ عون فإنَّه يُحبُّ اللهَ ورَسُولَه أو إنَّ اللهَ يُحبُّه ورَسُولَه[٤] .

وقالَ الحَكمُ بنُ مُوسَىٰ : حدَّثنا الوَليدُ بنُ مُسلِم قالَ : ما كُنتُ أحْرِصُ على السَّماعِ من الأوْزاعيِّ حتَّىٰ رَأيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ والأوْزاعيُّ إلىٰ جَنبه

---

(١) انظر السير : (قَتادَة) ٥/ ٢٦٩ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٦٠٢/ ٩ .

(٢) انظر السير : (سُلَيْمانُ الخَوَّاص) ٨/ ١٧٨ـ ١٧٩ ، وانظر النزهة : ٧٤٢/ ٤ .

(٣) انظر السير : (منصور بن المُعْتَمِر) ٥/ ٤٠٢ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٦١٨/ ١ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٦٥٨/ ٢ .

فقُلتُ : يا رَسُولَ الله! عَمَّنْ أحْمِلُ العِلمَ ؟ قالَ : عن هَـٰذا وأشارَ إلى الأوْزاعيِّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كان الأوْزاعيُّ كَبيرَ الشَّأنِ(١) .

وقالَ محمَّدُ بنُ رُمْح : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقُلتُ : يا رسُولَ اللهِ ، إنَّ مَالكاً واللَّيثَ يَختَلِفانِ ، فبأيِّهما آخُذُ ؟ قالَ : مَالِكٌ ، مَالِكٌ(٢) .

وقالَ أبو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ : سَمعتُ الحُسَينَ بنَ عبدش وكانَ ثقَةً ، سَمعتُ محمَّدَ بنَ أسْلم يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ ، فقُلتُ : عَمَّنْ أكتُبُ ؟ فقالَ : عن يَحْيَىٰ بنِ يَحْيَىٰ .

قالَ خُشْنَامُ بنُ سَعيد : سَمعتُ أحمدَ بنَ حَنْبَل يَقُولُ : كانَ يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ عندي إماماً ، ولَوْ كانَت عندي نَفَقةٌ ، لَرَحلتُ إليه(٣) .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ أحْمَدَ بنِ حَنْبَل : وذَكرَ شَيخُ الإسْلامِ بإسنادٍ طَويلٍ عن محمَّد بنِ يَحْيَى الرَّملي قاضي دِمَشْقَ قالَ : دَخَلتُ العِراقَ والحِجازَ ، وكَتَبتُ ، فمن كَثرَة الاختلافِ لَمْ أدرِ بأيِّها آخُذ ، فقُلتُ : اللَّهُمَّ اهْدِني ، فنِمتُ ، فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وقد أسْنَدَ ظَهرَه إلى الكَعبَةِ ، وعن يَمينِه الشَّافِعيُّ ، وأحمَدُ بنُ حَنْبَل ، وهو يَتَبَسَّمُ إليهما فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ، بم آخُذ ؟ فأوْمَأ إلى الشَّافِعيِّ وأحمَد وقالَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ ﴾(٤) ،(٥) .

وعن محمَّدِ بنِ عَليِّ بنِ الهَيْثَم الفَسَويِّ ، قالَ : لَمَّا قَدمَ حَمْدونُ البَرْذَعيُّ علىٰ أبي زُرْعَة ، لكتابَة الحَديثِ ، دَخلَ ، فرَأىٰ في دَاره أوَانِيَ وفُرُشاً كَثيرَة ، وكانَ ذلكَ لأخيه ، قالَ : فهَمَّ أنْ يَرجِعَ ولا يَكتُب ، فلمَّا كانَ من اللَّيلِ ، رَأىٰ كأنَّه علىٰ شَطِّ بِرْكَة ، ورَأىٰ ظِلَّ شَخصٍ في الْمَاءِ ، فقالَ : أنتَ الذي زَهدتَ في أبي زُرْعَة ؟ أما

(١) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/١٠٧ـ١٣٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٨٣ .
(٢) انظر السير : (مالك الإمام) ٨/٤٨ـ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٦/٧٢٩ .
(٣) انظر السير : (يَحْيَى بن يَحْيَىٰ) ١٠/٥١٢ـ٥١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٩ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٨٩ .
(٥) انظر السير : (أحْمَد بن حَنْبَل) ١١/١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥١ .

عَلمتَ أنَّ أحمَدَ بنَ حَنْبَل كانَ من الأبْدَالِ ، فلمَّا ماتَ أبْدَلَ اللهُ مَكانَه أبا زُرْعَة[1] .

ورُويَ عن محمَّدِ بنِ نَصْر الْمَرْوزيِّ أنَّه قالَ : لَمْ يَكُنْ لي حُسْنُ رَأيٍ في الشَّافعيِّ ، فبَينا أنا قاعِدٌ في مَسجِدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، أغْفَيتُ ، فرَأيتُ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم ، في الْمَنامِ فقُلتُ : يا رَسُولَ الله! أكتبُ رأيَ الشَّافعيِّ ؟ فَطَأطَأَ رَأسَه شِبهَ الغَضْبانِ وقالَ : تَقُولُ رَأي ؟ لَيسَ هو بالرَّأي ، هو رَدٌّ علىٰ مَنْ خالَف سُنَّتي فخَرجتُ في أثرِ هـٰذه الرُّؤيا إلىٰ مِصْرَ ، فكتَبتُ كُتبَ الشَّافعيِّ[2] .

وقيلَ للصَّاحِبِ إسْماعيلَ بنِ عَبَّاد : أنتَ رَجلٌ مُعتَزليٌّ وابنُ الْمُقرِىء مُحدِّثٌ ، وأنتَ تُحبُّه! قالَ : لأنَّه كانَ صَديقَ وَالِدي ، وقد قيلَ : مَوَدَّة الآباءِ قَرابَةُ الأبْناءِ ، ولأنِّي كُنتُ نائماً فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ يَقُولُ لي : أنتَ نائمٌ ووَليٌّ من أوْلياءِ اللهِ علىٰ بابِك ؟! فانتَبهتُ ودَعَوتُ وقُلتُ : مَنْ بالبَابِ ؟ فقالَ : أبو بَكر بنُ الْمُقرِىء[3] .

وقالَ أبو نَصْر عَليُّ بنُ هِبَة الله بنِ مَاكُولا ، قالَ : رَأيتُ كأنِّي أسْألُ عن حالِ الدَّارَقُطْني في الآخِرَة ، فقيلَ لي : ذاكَ يُدعَىٰ في الجَنَّة : الإمَام[4] .

وقالَ أبو محمَّد الجَوْهَريّ : سَمعتُ أخي الحُسَينَ يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ ، فقُلتُ : يا رَسُولَ الله قد اختلفَتْ عليَّ المَذاهِبُ ، فقالَ : عَليكَ بابنِ بَطَّة فأصْبَحتُ ولَبستُ ثيابي ، ثم أصْعَدتُ إلىٰ عُكبرا ، فدخلتُ وابنُ بطَّة في الْمَسجِدِ فلمّا رآني قالَ لي : صَدقَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، صَدقَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وكان مُسْتجابَ الدَّعْوَة .

---

(١) انظر السير : (أبو زُرْعَة الرَّازي) ١٣/ ٦٥ـ ٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٣ .
(٢) انظر السير : (محمد بن نصر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٦ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الْمُقرىء) ١٦/ ٣٩٨ـ ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠١ .
(٤) انظر السير : (الدَّارَقُطْني) ١٦/ ٤٤٩ـ ٤٦١ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠٥ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لابنِ بَطَّة مع فَضلِه أوْهامٌ وغَلطٌ[1] .

وقال السَّمْعانيُّ : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ محمد بنِ الرِّضا العَلويّ يقول : سَمعتُ خالي أبا طالب بنَ طَباطبا يقولُ : كنتُ أشْتُمُ أبداً عبدَ الرحمَـٰن بنَ مَنْدَه ، فسافرتُ إلىٰ جَرْباذَقان[2] ، فرأيتُ أميرَ المؤمنين عُمرَ في النَّومِ ويدُه في يد رجلٍ عليه جُبَّةٌ زَرْقاء ، وفي عَيْنَيه نكتةٌ ، فسَلمتُ عليه فلم يرُدَّ عليَّ ، وقال: تَشتُمُ هـٰذا ؟! فقيلَ لي في المَنامِ : هـٰذا عُمرُ وهـٰذا عبدُ الرحمَـٰن بنُ مَندَه فانتبَهتُ ، ثم رجعتُ إلىٰ أصْبَهان ، وقَصَدتُ عبدَ الرحمَـٰن ، فلمَّا دخَلتُ عليه ، صادَفتُه كما رأيتُه في النَّوم ، فلمَّا سَلَّمتُ عليه قالَ : وعليكَ السَّلامُ يا أبا طَالِب وقَبلَها ما رآني ، ولا رَأيتُه ، فقالَ لي قبلَ أن أُكلِّمَه : شيءٌ حَرَّمَه الله ورسُوله يَجوزُ لنا أن نُحِلَّه ؟ فقلتُ : اجْعَلني في حِلٍّ ، وناشَدْتُه اللهَ وقَبَّلتُ عَيْنَيْه ، فقال : جعلتُكَ في حِلٍّ فيما يَرجعُ إليَّ .

وعن صاعد بنِ سيّار ، سَمعتُ الإمام أبا إسماعيلَ الأنصاريَّ يقولُ في عبدِ الرحمَـٰن بنِ مَنده : كانت مَضرَّته أكثرَ من مَنْفَعَته في الإسْلام .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أطْلقَ عِباراتٍ بَدَّعَه بَعضُهم بها ، اللهُ يُسامحُه ، وكان زَاعِراً علىٰ مَنْ خالَفَه ، فيه خارجيّةٌ ، وله مَحاسِنُ ، وهو في تَواليفِه حاطِبُ ليلٍ ، يَرْوي الغَثَّ والسَّمين ، ويَنظِمُ رَديءِ الخَرزِ مع الدُّرِّ الثَمين .

ماتَ سَنة سَبعين وأربع مئة ، وشَيَّعَه عالَمٌ لا يُحْصَوْن[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ ناصِر : أنبَؤونا عن ابنِ النَّجّار قالَ : قَرأتُ بخَطِّ ابنِ ناصِر السَّلاميِّ وأخْبَرنيه عنه سَماعاً يَحْيَىٰ بنُ الحُسَين قالَ : بَقيتُ سِنينَ لا أدخُلُ مَسجِدَ أبي مَنْصُور الخَيَّاط ، واشْتَغلتُ بالأدَبِ على التَّبريزيِّ ، فجِئتُ يوماً لأقْرأَ الحَديثَ على الخَيَّاطِ ، فقالَ : يا بُنيَّ ، تَركتَ قراءَةَ القُرآن ، واشْتَغلتَ بغَيرِه ؟! عُدْ ،

---

(١) انظر السير : (ابن بَطَّة) ١٦/ ٥٢٩ـ٥٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣١٤ .

(٢) بلدة قريبة من هَمَذان .

(٣) انظر السير : (ابنُ مَنده) ١٨/ ٣٤٩ـ ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٠ .

واقرأ عليَّ لِيَكُونَ لكَ إسْنادٌ ، فصَعدتُ إليه في سَنة اثنتَين وتِسْعينَ ، وكُنتُ أقُولُ كَثيراً : اللّهُمَّ بيِّن لي أيُّ الْمَذاهِبِ خَيرٌ ، وكُنتُ مِراراً قد مَضَيتُ إلى القَيْروانيِّ الْمُتكلِّم في كتابِ « التَّمْهيد » للباقِلاَّني وكأنَّ مَنْ يَردُّني عن ذلك قالَ : فرَأيتُ في الْمَنامِ كأنِّي قد دَخلتُ الْمَسجدَ إلى الشَّيخِ أبي مَنْصُور ، وبجَنبه رَجلٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ورِداءٌ علىٰ عَمامَتِه يُشبهُ الثِّيابَ الرِّيفيَّة ، دُريُّ اللَّونِ ، عليه نُورٌ وبَهاءٌ ، فسَلَّمتُ وجَلَستُ بين أيْديهما ، ووَقَع في نَفسي للرَّجُلِ هَيبَة وأنَّه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا جَلستُ الْتَفتَ إليَّ ، فقالَ لي : عَليكَ بمَذهَبِ هٰذا الشَّيخ ، عَليكَ بمَذهَبِ هٰذا الشَّيخ ثَلاثَ مرَّاتٍ ، فانتُبَهتُ مَرْعُوباً ، وجِسْمي يَرجُفُ ، فقَصَصْتُ ذلكَ علىٰ وَالِدَتي ، وبكَّرتُ إلى الشَّيخِ لأقْرأ عَليه ، فقَصَصْتُ عليه الرُّؤيا ، فقالَ : يا وَلَدي ، ما مَذْهَبُ الشَّافعي إلاَّ حَسَنٌ ، ولا أقُولُ لك : اترُكْه ، ولكنْ لا تَعتَقد اعتِقَادَ الأشْعَريِّ فقُلتُ : ما أُريدُ أنْ أكُونَ نِصْفَين ، وأنا أُشْهِدُكَ ، وأُشهدُ الجَماعَةَ أنَّني منذُ اليَومَ علىٰ مَذهَبِ أحمَد بنِ حَنْبَل في الأصُولِ والفُروع فقالَ لي : وفقَّك الله ثم أخَذتُ في سَماع كُتب أحمَدَ ومَسائله والتَّفقُّه علىٰ مَذْهَبه .

قالَ ابنُ الجَوْزيِّ وغَيرُه : تُوفِّيَ ابنُ ناصِر سَنَةَ خَمسين وخَمسِ مئة[1] .

ثمَّ قالَ ابنُ الجَوْزيِّ : حدَّثني الفَقيهُ أبو بَكر بنُ الحُصَري ، قالَ : رَأيتُ ابنَ ناصِر في النَّومِ ، فقُلتُ له : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : غَفرَ لي ، وقالَ لي : قد غَفرتُ لِعَشرَة من أصْحَابِ الحَديثِ في زَمانِك لأنَّكَ رَئيسُهم وسَيِّدُهم[2] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ ناصِر) ٢٠/ ٢٦٥ـ ٢٧١ ، وانظر النزهة : ١٥٥١/١ .

(٢) انظر السير : (ابنُ ناصِر) ٢٠/ ٢٦٥ـ ٢٧١ ، وانظر النزهة : ١٥٥١/٢ .

الأَخْلاقُ السَّيِّئَة

١ـ وَصْفُ الإنْسَان ذي الأخْلاق السَّيِّئَة :

عن أبي حازِم الْمَخْزوميِّ الزَّاهِدِ ، قالَ : السَّيءُ الخُلق أشْقَى النَّاسِ به نَفسُه التي بين جَنبَيْه ، هي منه في بَلاءٍ ، ثم زَوْجَتُه ، ثم وَلَدُه ، حتَّىٰ إنَّه لَيَدخُلُ بيَتَه ، وإنَّهم لَفِي سُرُورٍ ، فيَسْمَعُونَ صَوتَه فيَنفِرُونَ عنه ، فَرَقاً منه ، وحتَّىٰ إنَّ دَابَّتَه تَحيدُ مِمَّا يَرميها بالحِجارَة ، وإنَّ كلبَه لَيَراه فيَنزو على الجِدارِ ، حتَّىٰ إنَّ قِطَّه لَيَفِرُّ منه[١] .

٢ـ جُملةٌ من الأخْلاق السَّيِّئَة :

عن فَضَالَة بنِ عُبَيد قالَ : ثَلاثٌ من الفَواقِر ، إمامٌ إنْ أحْسَنتَ لَمْ يَشكُر ، وإنْ أسَأتَ لَمْ يَغْفِر ، وجارٌ إنْ رَأىٰ حَسَنةً دَفنَها ، وإنْ رَأىٰ سَيِّئةً أفْشَاها ، وزَوْجةٌ إنْ حَضَرْتَ آذَتْكَ ، وإنْ غِبْتَ خَانَتكَ في نَفسِها وفي مَالِك[٢] .

٣ـ الاسْتخفاف وعاقِبته :

عن عبدِ الله بنِ الْمُبارَك قالَ : مَنْ اسْتَخفَّ بالعُلمَاء ، ذَهَبَت آخِرَتُه ، ومَنْ اسْتَخفَّ بالأُمَراء ، ذَهَبَت دُنْياه ، ومن اسْتَخفَّ بالإخْوَانِ ذَهَبَت مروءته[٣] .

٤ـ البُخْل :

قالَ أبو طَالِب بنِ عبدِ السَّميع كانَ من ألْفاظِ الْمُسْتَظْهِرِ باللهِ العَبَّاسيِّ : شُحُّ الْمَرْءِ بِفِلْسِهِ مِنْ دَنَاءَةِ نَفْسِه[٤] .

---

(١) انظر السير : (أبو حازم) ٦/ ٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٤/٦٣٧ .
(٢) انظر السير : (فَضَالَة بن عُبَيْد) ٣/ ١١٣ـ١١٧ ، وانظر النزهة : ٣/٣٤٧ .
(٣) انظر السير : (عبد الله بن المُبَارَك) ٨/ ٣٧٨ـ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٩/٧٦٩ .
(٤) انظر السير : (الْمُسْتَظْهِر بالله) ١٩/ ٣٩٦ـ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٨٩ .

٥ـ الثَّلب والعَيْب :

قالَ السَّمْعانيُّ : سَمعتُ عليَّ بنَ طِراد يَقُولُ : ضَاعَ حِمَارٌ لِسَوَادِيٍّ بباب الأزَجِ ، فتَطلَّبَه ، فقالَ له عَزيزيٌّ : خُذِ الْمِقْوَد ، وشُدَّه في رَقَبَةِ مَنْ أرَدْتَ من أهْلِ الْمَحِلَّة ، فإنَّهم مثل ما تَطلُبُه .

قالَ ابنُ سُكَّرة : كان شَيْذَلَةُ شَيخُ الوُعَّاظ وكان مُتزَهِّداً مُتَقلِّلاً لَمْ يكن يدري ما الحديث ، وكان شافِعيّاً .

قال الإمامُ الذهَبيُّ : ماتَ سَنةَ أرْبَع وتسعينَ وأرْبَع مئة[1] .

وفي « الْمُنْتَظِم » (٩/ ١٢٦) : وقال يوماً بحضرة نَقيب النُّقَباء طرَّاد : لَوْ حَلفَ إنْسانٌ أنَّه لا يَرىٰ إنْساناً ، فرأىٰ أهْلَ باب الأزَجِ لَمْ يَحْنَثْ ، فقالَ النَّقيبُ : أيُّها الثَّالِبُ ، مَنْ عاشَرَ قَوْماً أرْبَعينَ يَوْماً كانَ منهم[2] .

وفي طبقات السُبكيّ (٥/ ٧٣٢) نقلاً عن شَهدَة بنتِ أحمد بن الفَرَج الإبري قالت : سمعتُ القاضي الإمامَ عزيزي بن عبد الملك من لفظه سَنَةَ تسعين وأربع مئة يقولُ : اللَّهُمَّ يا واسِعَ المَغفِرة ، ويا باسِطَ اليَدَيْنِ بالرَّحْمَةِ افعَلْ بي ما أنتَ أهلُه ، إلَـٰهي أذْنَبتُ في بعضِ الأوقاتِ ، وآمَنْتُ بكَ في كُلِّ الأوقاتِ ، فكَيْفَ يَغلِبُ بعضُ عُمرِي مُذنِباً جَمِيعَ عُمرِي مُؤمِناً إلَـٰهي لو سَألتَنِي حَسَنَاتِي لجَعَلتُها لكَ مع شِدَّةِ حاجَتِي إليها وأنا عَبدٌ ، فكَيْفَ لا أرْجُو أنْ تَهَبَ لي سَيئاتِي مع غِنَاكَ عنها وأنتَ رَبٌّ ، فيا مَنْ أعْطَانِي خَيْرَ ما في خَزَائِنِه ، وهو الإيمانُ به قبلَ السُّؤالِ لا تَمنَعْنا أوسَعَ ما في خَزَائِنِك وهو العَفْوُ مع السُّؤالِ ، إلَـٰهي حُجَّتي حاجَتِي ، وعُدَّتِي فاقَتِي فارْحَمْنِي إلَـٰهي كيف أمتَنِعُ بالذَّنبِ من الدُّعاءِ ولا أراكَ تَمنَعُ مع الذَّنبِ من العَطَاء ، فإنْ غَفَرتَ فخيرُ راحِمٍ أنتَ وإنْ عَذَّبتَ فغيرُ ظالمٍ أنتَ إلَـٰهي أسألُكَ تَذَلُّلاً فأعْطِنِي تَفَضُّلاً[3] .

---

(١) انظر السير : (شَيْذَلَه) ١٩/ ١٧٤ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٧٢ .

(٢) انظر السير : (شَيْذَلَه) ١٩/ ١٧٤ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ١٤٧٢/ هامش (٢) .

(٣) انظر السير : (شَيْذَلَه) ١٩/ ١٧٤ـ ١٧٥ ، وانظر النزهة : ١٤٧٢/ هامش (٣) .

٦ـ الحُمْق :

عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه ، قالَ : الأحْمَقُ إذا تكلَّمَ فَضَحَه حُمقُه ، وإذا سَكتَ فَضَحَه عِيُّه ، وإذا عَملَ أفْسَدَ ، وإذا تَرَكَ أَضاعَ ، ولا عِلمُه يُعينُه ، ولا عِلمُ غَيرِه يَنفعُه ، تَوَدُّ أمُّه أنَّها ثَكلَته ، وامْرأتُه لَوْ عَدِمَته ، ويَتَمنَّىٰ جارُه منه الوَحْدَة ، ويَجِدُ جَليسُه منه الوَحْشَة[1] .

٧ـ السُّخْرِيَة :

قال عبدُ الله بنُ مَسْعُود : لَوْ سَخِرْتُ من كَلبٍ ، لَخَشيتُ أنْ أكُونَ كلباً ، وإنِّي لأكْرَهُ أنْ أرَى الرَّجُلَ فارِغاً لَيسَ في عَمَلِ آخِرَةٍ ولا دُنْيا[2] .

٨ـ السِّعَايَة والوِشَايَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ فَخْرِ الْمُلْك : رُفِعَت إليه سِعايَةٌ برَجُل ، فوَقَّع فيها : السِّعايَةُ قَبيحَةٌ ، ولو كانت صَحيحَةً ومَعاذَ الله أنْ نَقبَلَ من مَهْتوكٍ في مَسْتُورٍ ، ولَوْلا أنَّك في خُفَارَةِ شَيْبِكَ ، لعَامَلناكَ بما يُشبهُ مَقالَك ، ويَرْدَعُ أمْثالَك ، فاكْتُم هـٰذا العَيبَ ، واتَّقِ مَنْ يَعْلَمُ الغَيبَ فأخَذَها فُقَهاءُ الْمَكاتِبِ ، وعَلَّموها الصِّغارَ[3] .

٩ـ الشَّتْمُ والسَّبُّ :

قالَ عليُّ بنُ الْمَديني ، سَمعتُ سُفْيانَ بنَ عُيَيْنَة يَقُولُ : كانَ ابنُ عباس الْمَنْتُوف يقع في عُمَرَ بنِ ذَرٍّ ويَشتُمه ، فلَقيَهُ عُمَرُ ، فقالَ : يا هـٰذا لا تُفرِطْ في شَتْمِنا ، وأبْقِ للصُّلحِ مَوْضِعاً ، فإنَّا لا نُكافِىء مَنْ عَصَى اللهَ فينا بأكثرَ من أنْ نُطيعَ اللهَ فيه[4] .

---

(١) انظر السير : (وَهْب بن مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٥ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بن مَسْعود) ١/ ٤٦١ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٩٧ .
(٣) انظر السير : (فَخْر الْمُلْك) ١٧/ ٢٨٢ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٤٢ .
(٤) انظر السير : (عُمَرُ بنُ ذَر) ٦/ ٣٨٥ـ ٣٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/٦٦١ .

١٠ـ الطَّمَع :

قالَ عبدُ اللهِ بنُ الْمُعْتَزِّ باللهِ العَبَّاسيّ : رُبَّما أَوْرَدَ الطَّمَعُ ولَمْ يُصْدِرْ[١] .

وقالَ الزُّبَيْرُ بنُ عبدِ الوَاحِد : سَمعتُ بُناناً الحَمَّالَ يَقولُ :

الحُـــرُّ عَبْـــدٌ مَـــا طَمِـــع والعَبْـــدُ حُـــرٌّ مَـــا قَنِـــع[٢]

١١ـ الطَّيْش :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ الله بنِ الْمُقَفَّع : وكان ابنُ المُقَفَّع مع سِعَة فَضْلِه ، وفَرْطِ ذَكائه فيه طَيشٌ فكان يقولُ عن سُفْيانَ المُهَلَّبِيِّ : ابنُ المُغْتَلمَة فأمَرَ له بتَنُّورٍ فسُجِر ثم قَطَع أرْبَعتَه ورَماهَا في التَّنُّور وهو يَنظُر وعاشَ ستاً وثلاثين سنةً وأهْلكَ في سنة خمس وأربعين ومائة وقيلَ بعدَ الأرْبَعين واسمُ أبيه ذادوَيْه ، قد وَلِيَ خَراجَ فارس للحَجَّاج ، فخانَ ، فعَذَّبه الحَجَّاجُ : فتَقفَّعَت يدُه وقيلَ : بل كانَ يَعملُ قِفَاعَ الخُوص وهي كالقُفَّة[٣] .

وقيلَ : إنَّ والي البَصْرة سُفْيانَ بنَ مُعاويَة بنِ يَزيد بنِ المُهَلَّب قال يوماً : ما نَدمتُ علىٰ سُكوتٍ قَطُّ فقالَ ابنُ المُقفَّع : فالخَرْسُ زَينٌ لك وقالَ له مرَّة : ما تَقولُ في رَجلٍ ماتَ عن زَوْجٍ وزَوْجتِه ؟ فأحْنَقَه .

قال الأصْمَعيُّ : صنَّفَ ابنُ المُقفَّع « الدُّرَّةَ اليَتيمَة » التي ما صُنِّفَ مثلُها[٤] .

١٢ـ ظَنُّ المُسيءِ نفسَه مُحْسِناً :

عن الفُضَيْلِ بنِ عِياض قالَ : يا مِسْكينُ أنتَ مُسيءٌ وتَرَىٰ أنَّك مُحسِنٌ ، وأنتَ جَاهِلٌ وتَرَىٰ أنَّكَ عَالِمٌ ، وتَبخَلُ وتَرَىٰ أنَّكَ كَريمٌ ، وأحْمَقُ وتَرَىٰ أنَّكَ عاقِلٌ ، أجَلُكَ قَصيرٌ ، وأمَلُكَ طَويلٌ .

---

(١) انظر السير : (عبدُ اللهِ بنُ الْمُعْتَزِّ بالله) ١٤/ ٤٢ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٨ .
(٢) انظر السير : (بُنَانُ الحَمَّال) ١٤/ ٤٨٨ـ ٤٩٠ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٩ .
(٣) انظر السير : (عبد الله بن المُقفَّع) ٦/ ٢٠٨ـ ٢٠٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٢ .
(٤) انظر السير : (عبد الله بن المُقفَّع) ٦/ ٢٠٨ـ ٢٠٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٤٣ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إي واللهِ ، صَدقَ ، وأنتَ ظَالِمٌ وتَرَىٰ أنَّكَ مَظْلومٌ ، وآكِلٌ للحَرَام وتَرَىٰ أنَّكَ مُتورِّعٌ ، وفاسِقٌ وتَعتَقِدُ أنَّكَ عَدلٌ ، وطَالِبُ العِلمِ للدُّنيا وتَرَىٰ أنَّكَ تَطلُبُه للهِ(١) .

١٣ـ المَلَل :

رَوىٰ موسىٰ بنُ عليٍّ ، عن أبيه ، سَمعَ عَمْرَو بنَ العَاصِ يَقُولُ : لا أمَلُّ ثَوْبِي مَا وَسِعَني ، ولا أمَلُّ زَوْجَتي مَا أحْسَنَتْ عِشْرَتي ، ولا أمَلُّ دابَّتي مَا حَمَلتْني ، إنَّ الْمِلالَ من سَيِّءِ الأخْلاقِ(٢) .

١٤ـ تَعْليلُ الذهبيِّ لما يمكن أن يُوصَفَ بسُوء الخُلُق :

قالَ عَمرُو بنُ زرارة النَّيْسابوريُّ : صَحِبتُ ابنَ عُلَيَّة أرْبَعَ عَشرَة سَنة ، فما رَأيتُه تَبسَّم فيها(٣) .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ما في هـٰذا مَدحٌ ، ولكنَّه مُؤذِنٌ بخَشْيَةٍ وحُزنٍ(٤) .

١٥ـ رَدُّ الذهبيِّ علىٰ بَعْض السَّلَفِ أخْلاقاً سَيِّئة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ عُلَيَّة : وكانَ فَقِيهاً ، إمَاماً ، مُفْتياً ، من أئمَّة الحَديثِ ، وكانَ يَقولُ : مَنْ قالَ ابنَ عُلَيَّة ، فقَد اغْتابَني(٥) .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا سُوءُ خُلقٍ ـ رَحمَهُ اللهُ ـ شَيءٌ قد غَلبَ عَليه ، فمَا الحيلَةُ ؟ قد دَعا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم غيرَ واحدٍ من الصَّحابَة بأسْمائهم مُضَافاً إلى الأُمِّ ، الزُّبَيْرُ بنُ صَفيَّة ، وعمَّارُ بنُ سُمَيَّة(٦) .

---

(١) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٩/ ٤ .
(٢) انظر السير : (عَمرو بنُ العَاص) ٣/ ٥٤ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٣٣٣/ ٤ .
(٣) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٣/ ٤ .
(٤) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٣/ ٥ .
(٥) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٣/ ٢ .
(٦) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٣/ ٣ .

وقالَ داودُ بنُ الحُسَين البَيْهَقيُّ : كُنَّا نَختَلِفُ إلىٰ عَمرِو بنِ زُرارَة فخَرجَ عَلينا يَوماً فضَحِكَ رَجُلٌ ، فقَالَ عَمرٌو : هَبِ التَّحَرُّجَ ، أَلَيسَ التُّقى ؟ هَبِ التُّقَىٰ ، أليسَ الحَياء ؟ ثم قامَ ودَخلَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : قد يُقالُ للزَّعِرِ الأخْلاقِ : هَبِ حُسْنَ الخُلُق ذَهَبَ ، أَلَيسَ الحِلْمُ ؟ وهَبِ الحِلْمَ ذَهَبَ ، أَلَيْسَ العَفْوُ ؟[1] .

* * *

(١) انظر السير : (عَمْرو بنُ زُرارَة) ١١/ ٤٠٦ـ٤٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥٤ .

آفاتٌ مُتنوِّعَةٌ في القَلب واللِّسَان

(١) الأذِيَّة

(أ) مَنْ قَتلَه الله قبلَ أنْ يُؤْذي النَّاسَ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ العَزيزِ ، عُثْمانِ بنِ السُّلطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُوب : نَقَلتُ من خَطِّ الضِّياءِ الحافِظِ ، قالَ : خَرجَ إلى الصَّيدِ ، فجاءَته كُتبٌ من دِمَشْقَ في أذيَّة أصْحابِنا الحَنابِلَة ـ يَعني في فِتْنَة الحافِظِ عبدِ الغَنيّ ـ فقالَ : إذا رَجَعنا من هـٰذه السَّفْرَة ، كلُّ مَنْ كانَ يَقولُ بمَقالَتِهم أخْرَجْناهُ من بَلَدِنا ، قالَ : فرَماهُ فَرَسٌ ، ووَقَعَ عليه ، فخَسَفَ صَدرَه ، كذا حدَّثني يُوسُفُ بنُ الطُّفَيْل ، وهو الذي غَسَّلَه .

وقالَ الْمُنْذِريُّ : عاشَ ثَمانياً وعِشْرينَ سَنةً ماتَ سَنَةَ خَمسٍ وتِسْعينَ وخَمسِ مئه[1] .

(ب) قَوْلٌ يَحُثُّ على البُعْد عن الأذِيَّة :

قالَ فَيْضُ بنُ إسْحاقَ : قالَ الفُضَيْلُ بنُ عِياض : والله ما يَحِلُّ لَكَ أنْ تُؤذِي كَلباً ولا خِنْزيراً بغَيرِ حَقٍّ ، فكَيفَ تُؤذِي مُسْلِماً[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (العَزيز) ٢١/ ٢٩١ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٢٤ .

(٢) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٤ .

(٢) الجِدَالُ والمِراء

(أ) شِعْرٌ في الحَثِّ على البُعْد عن المِراءِ :

قالَ جَعْفَرُ بنُ عَوْن : سَمعتُ مِسْعَراً يُوصِي وَلَدَه كِداماً[١] :

إنِّـي مَنَحْتُـكَ يَـا كِـدَامُ نَصِيحَتِـي ... فَـاسْمَـعْ مَقَـالَ أَبٍ عَلَيْـكَ شَفِيـقِ

أَمَّـا الْمُـزَاحَـةُ والمِـرَاءُ فَـدَعْهُمـا ... خُلُقَـانِ لا أَرْضَـاهُمَـا لِصَـدِيـقِ

إنِّـي بَلَـوْتُهُمَـا فَلَـمْ أَحْمَـدْهُمَـا ... لِمُجَـاوِرٍ جَـاراً ولا لِـرَفِيـقِ

والجَهْـل يُـزرْي بـالفَتَـىٰ فـي قَـوْمِـهِ ... وعُـرُوقُـهُ فـي النَّـاسِ أيُّ عُـرُوقِ

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وهٰذانِ البَيْتانِ أظُنُّهما لابنِ الْمُبارَك :

مَـنْ كَـانَ مُلْتَمِسـاً جَلِيسـاً صَـالِحـاً ... فَلْيَـأْتِ حَلْقَـةَ مِسْعَـرِ بْـنِ كِـدَامِ

فيهـا السَّكِينَـةُ والـوَقَـارُ وأَهْلُهَـا ... أَهْـلُ العفَـاف وعِلْيَـةُ الأَقْـوامِ

(ب) أقْوالٌ بَليغَة تَحُثُّ على البُعْدِ عن المِراءِ والجِدَالِ :

عن خالدِ بنِ يَزيدِ بنِ مُعاويَة قالَ : إذا كانَ الرَّجُلُ لَجُوجاً ، مُمَارياً ، مُعجَباً برأيه ، فقد تمَّت خَسارَتُه .

قيلَ : تُوفِّيَ سَنَةَ أرْبَعٍ أو خَمسٍ وثَمانينَ[٢] .

وعن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه قالَ : دَعِ الْمِراءَ والْجَدَلَ ، فإنَّه لَنْ يُعْجِزَ أحدَ رَجُلَين : رَجلٌ هو أَعْلَمُ منكَ ، فكَيفَ تُعادي وتُجادِلُ مَنْ هو أعلَمُ منكَ ؟ ورجلٌ أنتَ أعلَمُ منه ، فكَيفَ تُعادي وتُجادِلُ مَنْ أنت أعلَمُ منه ولا يُطيعُك ؟[٣] .

---

(١) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٦٩٠/ ٤ .

(٢) انظر السير : (خالد ابن الخَليفَة يَزيد) ٤/ ٣٨٢ـ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٥ .

(٣) انظر السير : (وَهْب بن مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٤ .

ورَوَى الأَوْزاعِيُّ عن عَبْدَةَ بنِ أبي لُبابَةَ قالَ : إذا رَأيتَ الرَّجُلَ لَجُوجاً مُمارياً مُعْجَباً برَأيه ، فقد تَمَّتْ خَسارَتُه[1] .

وعن يَحْيَىٰ بنِ أبي كَثير قالَ : قالَ سُليْمانُ عليه السلام : يا بُنَيَّ إيَّاكَ والْمِراءَ ، فإنَّه لَيسَ فيه مَنْفعَةٌ ، وهو يُورِثُ العَداوَةَ بين الإخْوانِ[2] .

وعن مَنْصورِ بنِ أبي مُزاحِم ، حدَّثنا عَنْبَسَةُ الخَثْعَميُّ ، وكان من الأخيار ، سَمعتُ جَعْفَرَ بنَ مُحمَّد يَقولُ : إيَّاكُم والخُصومَةُ في الدِّينِ ، فإنَّها تشغلُ القَلبَ ، وتُورِثُ النِّفاقَ[3] .

وقال الوَليدُ بنُ مَزْيَد : سَمعتُ الأوْزاعيَّ يَقولُ : إذا أرادَ اللهُ بِقَوْمٍ شرّاً فَتحَ عَليهِم الجَدَلَ ومَنَعَهُم العَمَلَ[4] .

وعن الإمامِ مَالكٍ قالَ : الجِدالُ في الدِّينِ يُنشيءُ الْمِراءَ ، ويَذهَبُ بنُورِ العِلْمِ من القَلبِ ويُقَسِّي ، ويُورِثُ الضِّغنَ[5] .

وعن مَعْروفٍ الكرْخيِّ قالَ : إذا أرادَ اللهُ بعَبدٍ شرّاً ، أغْلقَ عنه بابَ العَمَل ، وفَتحَ عَليه بابَ الجَدَل[6] .

وقال الرَّبيعُ : سَمعتُ الشَّافعيَّ يَقولُ : الْمِراءُ في الدِّينِ يُقَسِّي القَلبَ ، ويُورِثُ الضَّغائِنَ[7] .

(ج) الصَّالِحونَ بَعيدُون عن المِرَاءِ :

عن أبي الجَوْزاء أنَّه قالَ : ما ماريتُ أحداً قَطُّ[8] .

---

(١) انظر السير : (عَبْدَة بن أبي لُبابَة) ٥/ ٢٢٩ـ ٢٣٠ ، وانظر النزهة : ٦/٥٩٧ .
(٢) انظر السير : (يَحْيَى بن أبي كثير) ٦/ ٣٢٧ـ ٣٣١ ، وانظر النزهة : ٤/٦٢٧ .
(٣) انظر السير : (جَعْفَر بن محمَّد) ٦/ ٢٥٥ـ ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٨ .
(٤) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٨/٦٨٣ .
(٥) انظر السير : (مالِك الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٣٥ .
(٦) انظر السير : (مَعْروفُ الكرْخيُّ) ٩/ ٣٣٩ـ ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٤/٨٢٦ .
(٧) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٦/٨٤٦ .
(٨) انظر السير : (أبو الجَوْزاء) ٤/ ٣٧٢ـ ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/٥١٢ .

٣ـ الجَهْل

(أ) مِنْ صِفَاتِ الجَاهِلِ :

عن مُحمَّدِ بنِ مَنْصُور قالَ : يُعرَفُ الجاهِلُ بالغَضَبِ في غَيرِ شَيءٍ ، وإفْشَاءِ السِّرِّ ، والثِّقَةَ بكُلِّ أحَد ، والعِظَةِ في غَيرِ مَوْضِعها .

ماتَ رَحمَهُ اللهُ سَنةَ أرْبَع وخَمسينَ ومئتَين ، وعاشَ ثَمانياً وثَمانينَ سَنةً[١] .

(ب) جَهْلُ أَهْلِ الجَاهِليَّة :

قالَ حَجَّاجُ بنُ أبي زَيْنَب ، سَمعتُ أبا عُثْمَانَ النَّهْديَّ يَقُولُ : كُنَّا في الجَاهِليَّة نَعبُدُ حَجَراً ، فسَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي : يا أهْلَ الرِّحَالِ ، إنَّ رَبَّكم قد هَلكَ ، فالْتَمِسُوا رَبّاً ، فخَرَجنا علىٰ كُلِّ صَعبٍ وذَلُولٍ ، فبَينا نَحنُ كَذلكَ إذْ سَمعْنا مُنادِياً ينُادِي : إنَّا قد وَجَدنا رَبَّكم أو شِبْهَه ، فجِئنا فإذا حَجَرٌ فنَحَرْنا عليه الجُزُرَ[٢] .

وعن أبي عُثْمَانَ النَّهْديّ قالَ : رَأيتُ يَغُوثَ صَنماً من رصَاصٍ يُحمَلُ علىٰ جَمَلٍ أجْرَد ، فإذا بَلغَ وَادِياً ، بَرَكَ فيه ، وقالُوا : قد رَضِيَ لكم رَبُّكم هٰذا الوَادِي .

وقالَ أبو حبيب الْمَرْوَزيُّ : سَمعتُ أبا عُثْمَانَ النَّهْديَّ يَقُولُ : حَجَجْتُ في الجَاهِليَّة حَجَّتين[٣] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ أبي رَجَاء العُطَارديّ ، قالَ أبو الحارِث الكَرْمانيُّ ، وكانَ ثِقَةً ، قالَ : سَمعتُ أبا رجاء يقولُ : أدْرَكتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وأنا شَابٌّ أمْرَد ، ولَمْ أرَ ناساً كانوا أضَلَّ من العَرَب ، كانوا يَجيئون بالشَّاةِ البَيْضاء فيَعبُدونَها ، فيَختلِسُها الذِّئبُ ، فيَأخُذُونَ أُخْرىٰ مَكانَها يَعبُدُونَها ، وإذا رَأوا صَخرَةً حَسَنَةً ، جَاؤُوا بها ،

---

(١) انظر السير : (محمّد بن مَنْصور) ١٢/٢١٢ـ٢١٤ ، وانظر النزهة : ٦/٩٩٤ .

(٢) انظر السير : (أبو عُثْمان النَّهْديّ) ٤/١٧٥ـ١٧٨ ، وانظر النزهة : ٢/٤٧١ .

(٣) انظر السير : (أبو عُثْمان النَّهْديّ) ٤/١٧٥ـ١٧٨ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧١ .

وصَلُّوا إليها ، فإذا رَأَوْا أَحْسَنَ منها رَمَوْها ، فبُعثَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أَرْعَى الإبلَ علىٰ أهْلي ، فلمَّا سَمعنا بخُروجه لَحِقْنا بمُسَيْلِمَةَ[(١)] .

وعن وَهْبِ بنِ جَرير ، عن أبيه ، سَمعتُ أبا رَجَاء يَقُولُ : بَلَغَنا أمْرُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ونَحنُ علىٰ مَاءٍ لنا يُقالُ لَه سَند فانْطَلَقْنا نَحوَ الشَّجرَةِ هاربينَ بعِيالِنا ، فبَيْنا أنا أسُوقُ القَوْمَ ، إذْ وَجَدتُ كُراعَ ظَبي ، فأخَذتُه فأتَيتُ الْمَرأةَ فقُلتُ : هَلْ عِندَك شَعيرٌ ؟ فقالَت : قد كانَ في وِعاءٍ لنا عامَ أوَّلٍ شَيءٌ من شَعيرٍ ، فما أدْري بَقِيَ منه شَيءٌ أمْ لا فأخَذتُه فنَفضتُه فاسْتَخرَجتُ منه مِلءَ كَفٍّ من شَعيرٍ ، ورَضَختُه بين حَجَرَين ، وألقيتُه والكُراعَ في بُرمَةٍ لنا ، ثم قُمتُ إلىٰ بَعيرٍ ، ففَصَدتُه إناءً من دَمٍ ، وأوْقَدتُ تَحتَه ، ثم أخَذتُ عُوداً فلَبَكْتُه به لَبْكاً شَديداً حتَّىٰ أنْضَجتُه ، ثم أكَلنا .

فقالَ له رَجلٌ : وكيفَ طَعمُ الدَّمِ ؟ قالَ : حُلْوٌ[(٢)] .

* * *

(١) انظر السير : (أبو رَجاء العُطَارديّ) ٤/ ٢٥٣_٢٥٧ ، وانظر النزهة : ٤٩١/ ٢ .

(٢) انظر السير : (أبو رَجاء العُطَارديّ) ٤/ ٢٥٣_٢٥٧ ، وانظر النزهة : ٤٩١/ ٤ .

٤ـ الحَسَد

(أ) صُورٌ من الحَسَد :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمام أحمَد بنِ حَرْب : رَغبَ النَّاسُ في سَماعِ كتُبه ، ثم إنَّ أمَّه ماتَت سنةَ عشرين ومئتين فحَجَّ ، وعاوَدَ الغَزْوَ ، وخرَجَ إلىٰ بلادِ التُّرْك ، وافْتَتحَ فَتْحاً عظيماً غُبطَ به ، فسَعىٰ به الأعداءُ إلى ابنِ طاهِر ، فأحْضَرَه ، ولمْ يأذَنْ له في الجُلوسِ وقالَ : أتَخْرُجُ وتَجمَعُ إلىٰ نفسِك هـٰذا الجَمْع ، وتُخالِفُ أعْوانَ السُّلطانِ ؟ ثمَّ إنَّ ابنَ طاهِر عَرَفَ صِدقَه ، فترَكَه ، فسَارَ ، وجاوَرَ بمَكة وكان تَنْتَحِلُه الكرَّاميَّةُ ، وتُعظِّمُه لأنَّه أسْتاذُ محمَّدِ بن كرَّام ، ولكنَّه سَليمُ الاعْتِقادِ بحَمدِ الله[1] .

قالَ الخَلاَّل : بُلينا بقَوم جُهَّال ، يَظنُّونَ أنَّهم عُلمَاء فإذَا ذَكَرْنا فَضَائلَ أبي عبدِ الله أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، يُخرِجُهُم الحَسَدُ ، إلىٰ أنْ قالَ بَعضُهم فيما أخْبَرَني ثقةٌ عنه : أحمَدُ بنُ حَنْبَل نَبيُّهم .

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَد : سَمعتُ أبي يَقولُ : رُبَّما أردتُ البُكورَ في الحَديثِ ، فتأخذُ أمِّي بثَوْبي وتَقولُ : حتَّىٰ يُؤذِّنَ الْمُؤذِّنُ[2] .

(ب) صُورٌ من الحَسَد بين العُلَماء :

عن الرَّبيع بنِ سُليْمانَ قالَ : كانَ البُوَيْطيُّ حينَ مَرِضَ الشَّافِعيُّ بمِصْرَ هو وابنُ عبد الحَكَم والْمُزَنِيُّ ، فتَنازَعوا الحَلقَةَ ، فبَلَغَ ذلكَ الشَّافِعيَّ ، فقالَ : الحَلقَةُ للبُوَيْطيِّ فلِهَـٰذا اعتزلَ ابنُ عبد الحَكَم الشَّافعيَّ وأصْحابَه ، وكانَت أعْظَمَ حَلقَةٍ في الْمَسْجِد ، فكانَ البُوَيْطيُّ يَصُومُ ، ويَتلُو غَالباً في اليَومِ واللَّيلَة خَتمَةً مع صَنائع الْمَعرُوفِ إلى النَّاسِ[3] .

---

(١) انظر السير : (أحمد بن حَرْب) ١١/ ٣٢ـ٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٩٠٦ .

(٢) انظر السير : (أحمَد بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٥ .

(٣) انظر السير : (البُوَيْطيُّ) ١٢/٥٨ـ٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨١ .

فسُعيَ بالبُوَيْطيِّ حتىٰ كتبَ فيه ابنُ أبي دُواد إلىٰ وَالي مِصْرَ ، فامْتَحَنَه ، فلم يُجِبْ ، وكان الوَالي حَسَنَ الرَّأي فيه ، فقالَ له : قُلْ فيما بَيْني وبَيْنَك ، قال : إنَّه يَقْتَدي بي مئةُ ألفٍ ، ولا يَدْرُونَ المَعْنىٰ ، قال : وقد كان أُمِرَ أنْ يُحْمَلَ إلىٰ بَغْداد في أرْبَعينَ رَطل حَديد[1] .

قالَ الرَّبيعُ : وكانَ الْمُزَنيُّ مِمَّنْ سَعَىٰ بالبُوَيْطيِّ وحَرْمَلَة[2] .

قال الحاكِمُ أبو عبدِ الله : سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ حامِدٍ البَزَّازَ قال : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ مُحمَّد بنِ جابرٍ يقُولُ : سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ يَحْيىٰ قال لنا لمَّا وَرَدَ مُحمَّدُ بنُ إسْماعيل البُخاريُّ نيسابُورَ : اذْهَبُوا إلىٰ هـٰذا الرجُلِ الصَّالِحِ فاسْمَعوا منْه ، فذَهَبَ النَّاسُ إليه ، وأقْبَلُوا على السَّماع منه ، حتّىٰ ظَهَرَ الخَلَلُ في مَجْلِسِ مُحمَّدِ بنِ يَحْيَىٰ ، فحَسَدَه بعد ذلكَ وتَكَلَّمَ فيه[3] .

وقال الحاكِمُ : حَدَّثنا طاهِرُ بنُ مُحمَّد الوَرَّاق ، سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ شاذِل يقولُ : لمَّا وَقَعَ بينَ مُحمَّدِ بنِ يَحْيَىٰ والبُخاريِّ ، دَخَلْتُ على البُخاريِّ فقُلتُ : يا أبا عبدَ اللهِ أَيش الحيلَةُ لنا فيما بَيْنَكَ وبينَ مُحمَّد بنِ يَحْيَىٰ كُلُّ مَنْ يَخْتلِفُ إلَيْكَ يُطْرَدُ ؟ ، فقال : كَمْ يَعْتَرِي مُحمَّدَ بنَ يَحْيَى الحَسَدُ في العِلْمِ والعِلْمُ رِزْقُ الله يُعْطِيهِ مَنْ يَشاءُ فقُلتُ : هـٰذه المَسْأَلَةُ التي تُحْكَىٰ عَنْكَ ؟ قال : يا بُنيَّ ، هـٰذه مَسْأَلةٌ مَشْؤومَةٌ ، رَأيْتُ أحْمَدَ بنَ حَنْبلَ وما نالَهُ في هـٰذه المَسْأَلَة ، وجَعلتُ علىٰ نَفْسِي أن لا أتَكَلَّمَ فيها[4] .

وقال مُحمَّدُ بنُ نَصْر المَرْوزيُّ : سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ صالِح بنِ هانِىء : سَمعتُ أحمَدَ بنَ سَلَمَةَ يقُولُ : دَخَلتُ على البُخاريِّ ، فقُلتُ : يا أبا عبدَ الله ، هـٰذا رَجلٌ مَقبولٌ بخُراسانَ خُصُوصاً في هـٰذه المَدينَةِ ، وقد لَجَّ في هـٰذا الحَديثِ حتىٰ لا يَقْدِرُ أحَدٌ منَّا أنْ يُكلِّمَهُ فيه ، فمَا تَرَى ؟ فقَبَضَ علىٰ لِحْيَتِه ، ثمَّ قال : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) انظر السير : (البُوَيْطي) ١٢/ ٥٨ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٩٨٢/ ١ .

(٢) انظر السير : (البُوَيْطيُّ) ١٢/ ٥٨ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٩٨٢/ ٢ .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٧/ ٢ .

(٤) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٧/ ٣ .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1] اللَّهمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أنِّي لَمْ أُرِدِ المُقامَ بنيسَابُورَ أَشَراً ولا بَطَراً ، ولا طَلَباً للرِّئاسَةِ ، وإنَّما أَبَتْ عليَّ نَفسِي في الرُّجوعِ إلىٰ وَطَنِي لغَلَبَةِ المُخالِفينَ وقد قَصَدَنِي هٰذا الرجُلُ حَسَداً لما آتاني اللهُ لا غَيْر ، ثمَّ قال لي : يا أحمدُ إنِّي خارِجٌ غداً لِتَتَخَلَّصُوا من حَدِيثِه لأَجْلِي .

قال : فأخْبَرتُ جَماعَةَ أصْحابِنا ، فوالله ما شَيَّعه غَيري كُنتُ معهُ حين خَرَجَ من البَلَدِ ، وأقامَ علىٰ بَابِ البَلَدِ ثَلاثَةَ أيَّامٍ لإصْلاحِ أمْرِه[2] .

(ج) سَبَبُ الحَسَد بين العُلَماء :

رَوَى البَيْهَقيُّ ، قال الإمامُ أحمَدُ لِمَنْ حَولَه : اعْلَموا رَحِمَكُم اللهُ تَعالَىٰ أنَّ الرَّجُلَ مِنْ أهْلِ العِلمِ إذا مَنَحَهُ اللهُ شَيئاً من العِلمِ ، وحَرَمَه قُرَناءه وأشْكَالَه ، حَسَدُوه فرَمَوْه بما لَيسَ فيه ، وبئسَت الخَصْلةُ في أهْلِ العِلم[3] .

(د) مَنْ نُصِحَ فلَمْ يَنْتَصِحْ ظانّاً أنَّ ناصِحَه حاسِدٌ :

قالَ أحمَدُ بنُ عُبَيد : شاوَرَني يَعقوبُ بنُ السِّكِّيت[4] في مُنادمَة الْمُتَوكل ، فنَهيتُه فحَملَ قَولي على الحَسَد ، ولَمْ يَنْتَهِ[5] .

ويُرْوَىٰ أنَّ الْمُتَوكل نَظَرَ إلى ابْنَيْه الْمُعْتَزِّ والْمُؤيَّد ، فقالَ لابنِ السِّكِّيتِ : مَنْ أَحَبَّ إليكَ : هُما أو الحَسَنُ والحُسَين ؟[6] فقالَ : بَلْ قَنْبَر ، فأمَرَ الأتْراكَ فدَاسوا بَطنَه فمات

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٤٤ .

(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠١٨ .

(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥١/ هامش (١) .

(٤) قالَ ابنُ خلِّكان : عُرِفَ بذلك لأنه كان كثير السُّكوت ، طويل الصَّمت ، وكل ما كان علىٰ وزن « فِعِّيل » أو « فِعْليل » فإنه مكسور الأول .

(٥) انظر السير : (ابنُ السِّكِّيت) ١٢/ ١٦ـ ١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٧٥ .

(٦) الخبر بألفاظ مختلفة في « وَفَيات الأعيان » ٦/ ٣٩٧ـ ٣٩٨ ، وفي « النجوم الزاهرة » ٢/ ٣١٨ ، واللفظ فيه : مَنْ أحبُّ إليك ، أنا وولداي الْمُؤيَّد والْمُعْتَزُّ أم عَليٌّ والحَسَنُ والحُسَينُ ؟ ؟ فقال : والله إنَّ شَعْرَةً من قَنْبَرٍ خادِمِ عَليٍّ خَيرٌ منك ومن وَلَدَيْك .

بعدَ يَومٍ وقيلَ : حُملَ ميتاً في بسَاطٍ ، وكانَ في الْمُتَوَكل نَصْبٌ[١] ، نَسألُ اللهَ العَفوَ ، ماتَ سَنةَ أرْبَع وأرْبَعينَ ومِئتَين[٢] .

(هـ) الحَسَدُ المُفْضي إلى القَتْل :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الأبَّار ، أبي عبدِ الله محمَّد بنِ عبدِ الله الأنْدَلُسيِّ : انتُقلَ من الأنْدَلُسِ عندَ اسْتيلاءِ النَّصارىٰ ، فنَزَلَ تُونُسَ مُدَّة ، فبَلَغَني أنَّ بَعضَ أعْدائه شَغبَ عَليه عندَ مَلكِ تُونُسَ ، بأنَّه عَملَ تاريخاً وتَكلَّمَ في جَماعَةٍ ، وقالُوا : هو فُضُوليٌّ يَتَكلَّمُ في الكِبَارِ ، فأُخذَ ، فلمَّا أحسَّ بالتَّلَفِ قالَ لغُلامِه : خُذِ البَغْلَةَ لكَ ، وامْضِ حَيثُ شِئتَ ، فلمَّا أُدخِلَ ، أمَرَ الْمَلكُ بقَتلِه ، فنَعوذُ باللهِ من شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ[٣] .

* * *

---

(١) أهل النصب هم المتديِّنون ببغضة عليٍّ رضي الله عنه ، لأنهم نَصَبوا له : أي عادوه .

(٢) انظر السير : (ابنُ السِّكِّيت) ١٢/١٦-١٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٧٥ .

(٣) انظر السير : (ابنُ الأبَّار) ٢٣/٣٣٦-٣٣٩ ، وانظر النزهة : ١/١٧٣٩ .

٥ـ الخِيَانَة

(أ) صُوَرٌ على الخِيَانَة :

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : كانَ عُمارَةُ بنُ عَليّ بن زَيْدانَ الحَكَميُّ شَديدَ التَّعَصُّب للسُّنَّة أديباً ماهِراً ، رائجاً في الدَّولَة ، ثم تَملَّكَ صَلاحُ الدِّين ، فامْتَدحَه ، ثم إنَّه شَرعَ في اتِّفاقٍ مع رُؤسَاء في إعَادَة دَولَة العُبَيْديِّين ، فنُقِلَ أمْرُهم إلىٰ صَلاحِ الدِّين ، فشَنَقَ عُمَارَةَ في سَنَةِ تِسعٍ وسِتِّينَ وخَمسِ مئة[1] .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ محمّدِ بنِ يُوسُف بنِ هُود حِينَما خَلُصَت الأنْدلُسُ كُلُّها له وقاتَلَ بها المُوَحِدِّينَ ثم جَهَّزَ الخَلقَ للقاءِ الإفْرَنْج فلمَّا تَراءَى الجَمْعانِ وَقَعتِ الهَزِيمَةُ للمُسلِمين أقْبَحَ هَزيمَة ورَجَعَ ابنُ هُود في أسْوَإِ حَالٍ ، ثم قالَ الذهبيُّ : قامَ عليه شُعَيْبُ بنُ هلالة بلَبْلَة ، فصَالَحَ ابنُ هُود الأذْفُونَش علىٰ مُحاصَرَةِ لَبْلَة ومُعاوَنَتِه علىٰ أنْ يُعْطيه قُرْطُبَة ، واتَّفَقَا علىٰ ذلكَ ، وقالَ لَهُ : لا يَسُوغُ أنْ يدخُلَها الفِرَنْجُ على البَديهَة ، وإنَّما تُهمِلُ أمْرَها ، وتُخْلِيها من حَرَسٍ ، ووَجِّهْ أنْتَ الفِرَنْجَ يَتَعَلَّقُونَ بأسْوارِها باللَّيلِ ويَغْدُونَ بها ، ففَعَلُوا كذلكَ ووَجَّهَ ابنُ هُود إلىٰ والِيهِ بقُرْطُبَة فأعْلَمَه بذلكَ ، وأَمَرَهُ بضِياعِها من حَيِّز الشَّرقيَّة فجاءَ الفِرَنْجُ ، فوَجَدُوهُ خالياً ، فجَعَلُوا السَّلالِمَ واسْتَوَوا على السُّورِ فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله[2] .

وكانت قُرْطُبَةُ مَدينَتَيْن : إحْداهُما الشَّرقيَّة والأخْرَى المَدينَةُ العُظْمَىٰ ، فقامَتِ الصَّيْحَةُ والنَّاسُ في صَلاةِ الفَجْرِ ، فرَكِبَ الجُنْدُ وقالوا للوَالِي : اخْرُجْ بِنَا للمُلْتَقَىٰ ، فقالَ : اصْبرُوا حتّىٰ يَضْحَى النَّهارُ ، فلمَّا أضْحَىٰ رَكِبَ وخَرَجَ مَعَهُم ، فلمَّا أشْرَفَ على الفِرَنْج قالَ : ارْجِعُوا حتّىٰ ألْبَسَ سِلاحِي!! ، فرَجَعَ بهم وهُم يُصَدِّقونَه ، وذا أمرٌ قد دُبِّرَ بلَيلٍ ، فدَخَلَ الفِرَنْجُ علىٰ إثْرِهم ، وانتَشَرُوا ، وهَرَبَ النَّاسُ إلى البَلَدِ ، وقُتِلَ خَلْقٌ

---

(١) انظر السير : (عُمارَة) ٢٠/ ٥٩٢ـ ٥٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٨٧ .

(٢) انظر السير : (محمد بن يوسف بن هود) ٢٣/ ٢٠ـ ٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٧١١ .

من الشُّيُوخِ والوِلْدانِ والنِّسْوانِ ، ونُهِبَ للنَّاسِ ما لا يُحْصَىٰ ، وانْحَصَرَتِ المَدينَةُ العُظْمَىٰ بالخَلْقِ فحاصَرَهُم الفِرَنْجُ شُهوراً ، وقاتَلُوهم أشَدَّ القِتَال ، وعُدِمَ أهلُها الأقْواتَ ، ومَاتَ خَلقٌ كثيرٌ جُوعاً ، ثُمَّ اتَّفَقَ رأيُهُم مع أذفُونْشَ ـ لَعَنَه الله ـ علىٰ أنْ يسَلِّمُوها ويَخْرُجُوا بأمْتِعَتِهِم كُلِّها ، ففَعَلَ ، ووَفَّىٰ لهُم ووَصَلَهم إلىٰ مَأمَنِهِم في سَنَةِ أربَعٍ وثلاثينَ وسِتِّ مِئَة .

قالَ الإمامُ الذهَبِيُّ : ولَمْ يُمَتَّعْ بَعدَها ابنُ هُود ، بَلْ أخَذَهُ اللهُ في سَنَةِ خَمسٍ فكانَتْ دَولَتُه تِسعَةَ أعْوامٍ وتِسعَةَ أشْهرٍ وتِسعَةَ أيّامٍ ، وهَلَكَ بالمريّة جَهَزَ عليه مَنْ غَمَّهُ وهو نائمٌ ، وحُمِلَ إلىٰ مُرسيةَ فدُفِنَ هُناكَ ، ولَمْ يَمُتْ حتىٰ قَوِيَ أمْرُ المُوَحِّدينَ وقَامَ بَعدَهُ مُحمّدُ بنُ يُوسُف بنِ نَصْر بنِ الأحْمَر ، ودَامَ المُلكُ في ذُرِيَّتِه[1] .

(ب) عَدّ ابنُ سِيرين الخُروجَ اليَوْميَّ من السِّجْن ثمَّ العَوْدة إليه بدون إذْن السُّلْطان خِيانَة :

قالَ قُرَيشُ بنُ أنَس : حدَّثنا عبدُ الحَميدُ بنِ عبدِ الله بنِ مُسلِم بنِ يَسار ، أنَّ السَّجَّانَ قالَ لابنِ سِيرينَ : إذا كانَ اللَّيلُ فاذْهَبْ إلىٰ أهْلِكَ ، فإذَا أصْبَحتَ فتَعالَ قالَ : لا واللهِ ، لا أكُونُ لكَ عَوْناً علىٰ خِيانَةِ السُّلطانِ[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (محمد بن يوسف بن هود) ٢٣/ ٢٠ـ ٢٢ ، وانظر النزهة : ١/١٧١٢ .
(٢) انظر السير : (محمّدُ بنُ سِيرين) ٤/ ٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٨/٥٦٩ .

٦ ـ الرِّياء

(أ) أقْوالٌ بَليغَةٌ في الرِّياء :

رَوَى الأوزاعيُّ : عن عَبْدَة بن أبي لُبابة قال : أقْرَبُ النَّاسِ إلى الرِّياءِ آمَنُهم منه

وقالَ رَجاءُ بنُ أبي سَلمَة : سَمعتُ عَبْدَةَ يَقولُ : لَوَدِدْتُ أنَّ حظِّي من أهلِ الزَّمانِ أنَّهم لا يَسألُوني عن شَيءٍ ، ولا أسْألُهم ، إنَّهم يتكاثَرون بالْمَسائلِ كمَا يَتكَاثَرُ أهلُ الدَّراهِم بالدَّراهِم .

ماتَ عَبْدَةُ في حُدود سَنَةِ سَبعٍ وعِشرينَ ومِئَة[١] .

وقالَ الفَيْضُ : قالَ ليَ الفُضَيلُ : لَوْ قيلَ لك : يا مُرائي ، غَضبتَ وشقَّ عَليكَ ، وعَسَىٰ ما قيلَ لك حَقٌّ ، تَزَيَّنتَ للدُّنيا وتَصنَّعتَ ، وقَصَّرتَ ثِيابَك ، وحسَّنتَ سَمتَك ، وكَفَفْتَ أذاكَ حتَّىٰ يُقالَ : أبو فُلان عابدٌ ، ما أحْسَنَ سَمْتَه ، فيُكرِمونَك ويَنظرونَك ، ويَقصِدونَك ، ويُهْدونَ إليكَ ، مثل الدرهم السُّتُّوق[٢] لا يعرفُه كلُّ أحَد ، فإذا قُشرَ ، قُشرَ عن نُحاس[٣] .

وقالَ أبو بَكْر الرَّازي : سَمعتُ أبا عَليٍّ الثَّقَفيَّ يَقولُ : تَركُ الرِّياءِ للرِّياءِ أقْبَحُ من الرِّياءِ وكانَ كَثيراً ما يَتكلَّمُ في رُؤيَة عَيبِ الأفْعالِ[٤] .

(ب) مِنْ دَقائق الرِّياء :

عن بِشرِ بنِ الحارِث قالَ : قد يَكونُ الرجُلُ مُرائياً بعدَ مَوتِه ، يُحبُّ أنْ يَكْثُرَ الخَلقُ في جنازَتِه[٥] .

---

(١) انظر السير : (عَبْدَة بن أبي لُبابَة) ٥/ ٢٢٩ـ ٢٣٠ ، وانظر النزهة : ٨/٥٩٧ .

(٢) هو الرديء الزيّف الذي لا خير فيه .

(٣) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٩/٧٧٨ .

(٤) انظر السير : (أبو عَليّ الثَّقَفيُّ) ١٥/ ٢٨٠ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٢٨ .

(٥) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٦ .

(ج) دَواءُ الرِّياء :

وعن عُبيدِ الله بن أبي جَعْفَر ، قالَ : إذا كانَ الْمَرءُ يُحدِّثُ في مَجلسٍ فأعْجَبَه الحَديثُ ، فليُمْسِكْ وإذا كانَ ساكتاً ، فأعْجَبَه السُّكوتُ فليَتَحدَّثْ[١] .

(د) الخَوْفُ والتَّحْذيرُ من الرِّياء :

قالَ محمدُ بنُ زياد : رَأيتُ أبا أُمامَة أتَىٰ علىٰ رَجلٍ في الْمَسجِدِ ، وهو ساجِدٌ يَبكي ، ويَدعُو ، فقالَ : أنتَ أنتَ! لَوْ كانَ هـٰذا في بَيتِك[٢] .

وعن العِرْباضِ بنِ سارِيَة ، قالَ : لَوْلا أنْ يُقالَ : فَعلَ أبو نَجيح لألْحَقتُ مالي سُبْلَةً ، ثم لَحقتُ وَادياً من أوْدِيَةِ لُبنانَ عَبدتُ الله حتَّىٰ أموتَ[٣] .

وعن عبدِ الرحمَـٰن بنِ يَزيد ، قُلنا لعَلْقَمَةَ : لَوْ صَلَّيتَ في الْمَسجِدِ وجَلسنا مَعكَ فتُسألُ ، قالَ : أكرَهُ أنْ يُقالَ : هـٰذا عَلْقَمَةُ[٤] .

وعن أبي بَكْر بنِ عيَّاش ، عن عاصِم قالَ : كانَ أبو وَائل إذا صَلَّىٰ في بَيتِه يَنشِجُ نَشيجاً ، ولَوْ جُعلَت له الدُّنيا علىٰ أنْ يَفعَله وأحدٌ يَراهُ ، ما فَعلَه[٥] .

وعن الأعْمَشِ ، قالَ : كانَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ أبي لَيْلَىٰ يُصلِّي ، فإذا دَخلَ الدَّاخِلُ ، نامَ علىٰ فِراشِه .

وقال ثابتٌ : كانَ ابنُ أبي لَيْلَىٰ إذا صَلَّى الصُّبحَ نَشرَ الْمُصحَفَ ، وقَرأَ حتَّىٰ تَطلُعَ الشَّمسُ .

قُتلَ بوَقْعَة الجَماجِم سَنَةَ اثنَتين وثَمانينَ[٦] .

---

(١) انظر السير : (عُبَيد الله بن أبي جَعْفَر) ٦/ ٨ـ ١٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٢٥ .
(٢) انظر السير : (أبو أُمامَة البَاهِليُّ) ٣/ ٣٥٩ـ ٣٦٣ ، وانظر النزهة : ٣/٣٩٣ .
(٣) انظر السير : (العِرْباضُ بنُ سارِيَة) ٣/ ٤١٩ـ ٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٢/٤٠٥ .
(٤) انظر السير : (عَلْقَمَة) ٤/ ٥٣ـ ٦١ ، وانظر النزهة : ٥/٤٤٣ .
(٥) انظر السير : (شَقيقُ بنُ سَلمَة) ٤/ ١٦١ـ ١٦٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٦٩ .
(٦) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بنُ أبي لَيلَىٰ) ٤/ ٢٦٢ـ ٢٦٧ ، وانظر النزهة : ٦/٤٩٤ .

وقالَ رَجاءُ بنُ أبي سَلمَة ، نَظرَ رَجاءُ بنُ حَيْوَة إلىٰ رَجلٍ يَنْعَسُ بعدَ الصُّبحِ فقالَ : انتَبه لا يَظنُّونَ أنَّ ذا عن سَهَر[1] .

وعن حمَّادِ بنِ زَيْد ، قالَ : كانَ أيُّوبُ السَّخْتيانِيُّ في مَجلِسٍ فجاءَتهُ عَبرَةٌ فجَعلَ يَمْتَخِطُ ويَقولُ : ما أشَدَّ الزُّكامَ .

وقالَ أبو حاتم وسُئلَ عن أيُّوبَ فقالَ : ثِقةٌ ، لا يُسألُ عن مثلِه[2] .

وعن ابنِ عُيَيْنَة قالَ : بَكَىٰ رَبيعَةُ بنُ فَرُّوخ يَوماً ، فقيلَ : ما يُبكِيكَ ؟ قالَ : رياءٌ حاضِرٌ ، وشَهْوَةٌ خَفيَّةٌ ، والنَّاسُ عندَ عُلمَائهم كصِبْيَانٍ في حُجُورِ أُمَّهاتِهم ، إنْ أمَرُوهم ائتَمَروا ، وإنْ نَهَوْهُم ، انتَهوا ؟![3] .

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحَوَاري : حدَّثنا أبو عبدِ الله الأنْطاكيُّ قالَ : اجْتَمعَ الفُضَيلُ والثَّوريُّ ، فتَذاكَرا ، فرَقَّ سُفْيانُ وبَكَىٰ ، ثم قالَ : أرْجُو أنْ يَكُونَ هـٰذا الْمَجلِسُ عَلينا رَحمَةً وبرَكةً ، فقالَ له الفُضَيلُ : لَكنِّي يا أبا عبدِ الله أخافُ أنْ لا يَكونَ أضَرَّ عَلينا منه ألَسْتَ تَخلَّصْتَ إلىٰ أحْسَنِ حَديثِك ، وتَخلَّصْتُ أنا إلىٰ أحْسَنِ حَديثي ، فتَزيَّنتَ لي وتَزيَّنتُ لكَ ؟ فبَكَىٰ سُفيانُ ، وقالَ : أحْيَيْتَني أحْياكَ الله[4] .

وقيلَ : إنَّ مُحمَّدَ بنَ الحَسَنِ بنَ فَرْقَد الشَّيْبانيُّ ، صاحِبِ أبي حَنيفَة ، لَمَّا احْتُضرَ ، قيلَ له : أتَبْكي مع العِلمِ ؟ قالَ : أرَأيتَ إنْ أوْقفَني اللهُ وقالَ : يا محمَّدُ ، ما أقْدَمَكَ الرَّيَّ ؟ الجِهادُ في سَبيلي ، أمْ ابْتِغاءَ مَرْضاتي ؟ ماذا أقُولُ .

قالَ الإمامُ الذَّهَبيُّ : تُوفِّيَ إلىٰ رَحمَة الله سَنةَ تِسعٍ وثَمانينَ ومئة بالرَّيِّ[5] .

وعن عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ مَهْدي قالَ : كُنتُ أجلِسُ يَومَ الجُمُعَة ، فإذا كَثُرَ النَّاسُ ،

---

(1) انظر السير : (رَجاءُ بنُ حَيْوَة) ٤/٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ٥٥٨/ ٥ .
(2) انظر السير : (أيُّوبُ السَّخْتيانيّ) ٦/ ١٥ـ ٢٦ ، وانظر النزهة : ٦٢٦/ ٩ .
(3) انظر السير : (رَبيعَة) ٦/ ٨٩ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٦٣٥/ ٢ .
(4) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٨/ ٨ .
(5) انظر السير : (محمَّد بن الحَسَن) ٩/ ١٣٤ـ ١٣٦ ، وانظر النزهة : ٨٠٨/ ٢ .

فرِحْتُ ، وإذا قلُّوا ، حَزِنْتُ ، فسَألتُ بِشْرَ بنَ مَنْصُور ، فقالَ : هـٰذا مَجلِسُ سُوءٍ ، فلا تَعُدْ إليه ، فمَا عُدتُ إليه[1] .

وقالَ الرَّبيعُ : سَمعتُ الشَّافِعيَّ يَقولُ : وَدِدْتُ أنَّ النَّاسَ تَعلَّموا هـٰذا العِلمَ ـ يَعني كُتُبَه ـ علىٰ أنْ لا يُنسَبَ إليَّ منه شَيءٌ[2] .

وعن حَمزَةَ بنِ دهقان قال : قلتُ لبشرِ بنِ الحَارث : أُحِبُّ أنْ أخْلُوَ معَكَ قال : إذا شِئتَ فيكُونُ يوماً فرأيتُه قد دَخَلَ قُبَّةً ، فَصَلىٰ فيها أربعَ ركعاتٍ لا أُحسِنُ أصلي مثلها ، فسمعتُه يقولُ في سُجودِه : اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلمُ فوقَ عَرشِك أنَّ الذُّلَّ أَحبُّ إليك من الشَّرفِ ، اللَّهمَّ إنَّكَ تَعلمُ فوقَ عَرشِك أنَّ الفقْرَ أَحبُّ إليك من الغِنىٰ ، اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعلمُ فوقَ عَرشِك أنِّي لا أُوثِرُ علىٰ حُبِّكَ شيئاً ، فلمَّا سَمعتُه ، أخَذَنِي الشَّهيقُ والبُكاءُ ، فقال : اللَّهُمَّ أنت تَعلمُ أنِّي لَو أعلمُ أنَّ هـٰذا ها هُنا لَم أتَكَلَّم[3] .

عن سُحْنونَ قالَ : كانَ بَعضُ مَنْ مَضىٰ يُريدُ أنْ يَتكلَّمَ بالكَلِمَة ولَوْ تكلَّمَ بها لانْتَفعَ بها خَلقٌ كثيرٌ ، فيَحْبِسُها ، ولا يَتكلَّمُ بها مَخافَةَ الْمُباهَاةِ[4] .

وقالَ أبو يَعقُوبُ الْمَروزيُّ صَحبتُ محمَّدَ بنَ أَسْلمَ أكثر من عِشرينَ سَنةً لَمْ أرَهُ يُصلِّي حَيثُ أرَاهُ رَكعَتَينِ من التَّطوُّع إلاَّ يومَ الجُمُعَة وسَمعتُه كَذا وكَذا مرَّةً يَحلفُ : لَوْ قَدِرتُ أنْ أتطوَّعَ حَيثُ لا يَراني مَلَكايَ لَفَعلتُ خَوْفاً من الرِّياءِ وكانَ يَدخُلُ بيتاً له ، ويُغلِقُ بابَه ، ولَمْ أدْرِ ما يَصْنَعُ حتَّىٰ سَمعتُ ابْناً له صَغيراً يَحْكي بُكاءَه ، فنَهَتهُ أمُّه ، فقُلتُ لها : ما هَـٰذا ؟ قالَت : إنَّ أبا الحَسَن يَدخُلُ هَـٰذا البَيتَ ، فيَقرأُ ويَبكي ، فيَسمَعُه الصَّبيُّ ، فيَحكيه ، وكانَ إذا أرَادَ أنْ يَخرُجَ ، غَسلَ وَجهَه ، واكْتَحلَ ، فلا يُرَىٰ عليه أثَرُ البُكاء ، وكانَ يَصِلُ قَوماً ويَكْسُوهُم ، ويَقولُ للرَّسُولِ : انْظُر أنْ لا يَعلَموا مَنْ بَعثَه[5] .

---

(١) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن مَهْدي) ٩/ ١٩٢ـ ٢٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨١٧ .
(٢) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٨٤٧ .
(٣) انظر السير : (بشر بن الحارث) ١٠/٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٦/٨٨٦ .
(٤) انظر السير : (سُحْنُون) ١٢/ ٦٣ـ ٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٣ .
(٥) انظر السير : (محمَّد بن أَسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٦/٩٩٢ .

(هـ) ضَوابطٌ للرِّياء :

وعن ابنِ بُرَيْدَة ، عن أبيه ، قالَ : شَهدتُ خَيْبَرَ ، وكُنتُ فيمَنْ صَعدَ الثُّلمَة ، فقاتَلتُ حتَّىٰ رُئيَ مَكاني ، وعليَّ ثَوبٌ أحْمَر ، فمَا أعْلَمُ أنِّي رَكبتُ في الإسْلامِ ذَنْباً أعْظَمَ عليَّ منه ـ أي الشُّهْرَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقبّاً : بلَىٰ ، جُهَّالُ زَمانِنا يَعدُّونَ اليَومَ مثلَ هـٰذا الفِعلَ من أعْظَمِ الجِهادِ ، وبِكلِّ حالٍ فالأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ ، ولَعلَّ بُرَيْدَة رضي الله عنه بإزرائه علىٰ نَفسِه ، يَصيرُ له عَملُه طاعَةً وجِهاداً! وكَذلكَ يَقعُ في العَمَلِ الصَّالح ، رُبَّما افْتَخرَ به الغِرُّ ونَوَّهَ به ، فيَتحَوَّلُ إلىٰ ديوانِ الرِّياء قالَ اللهُ تَعالَىٰ : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[1] . تُوفِّيَ بُرَيْدَةُ سَنةَ اثنَتينِ وستِّينَ[2] .

قال محمَّدُ بنُ عَبْدَوَيه : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : تَرْكُ العَمَلِ من أجْلِ النَّاسِ رِياءٌ والعَمَلُ من أجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ ، والإخْلاصُ أنْ يُعافِيَكَ اللهُ عنهما[3] .

وقالَ فَيضُ بنُ وثيق : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : إنِ اسْتَطعتَ أنْ لا تَكونَ مُحدِّثاً ولا قارِئاً ، ولا مُتكلِّماً ، إنْ كُنتَ بَليغاً ، قالوا : ما أبْلَغَه ، وأحْسَنَ حَديثَه ، وأحْسَنَ صَوْتَه ! فيُعجِبُكَ ذلك ، فتَنْتَفخُ ، وإنْ لَمْ تَكُنْ بَليغاً ، ولا حَسَنَ الصَّوتِ ، قالوا : لَيسَ يُحسِنُ يُحدِّث ، ولَيسَ صَوتُه بحَسَنٍ ، أحْزَنَكَ ذلك ، وشَقَّ عَليكَ ، فتكونُ مُرائياً ، وإذا جَلستَ ، فتَكلَّمتَ ، فلَمْ تُبالِ مَنْ ذَمَّكَ ومَنْ مَدَحَك ، فتكلَّم[4] .

(و) قاعِدَةٌ في الرِّياء :

قالَ إبْراهيمُ بنُ الأشْعَث : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : مَنْ أحَبَّ أنْ يُذكَر لَمْ يُذكَر ، ومَنْ كَرِهَ أنْ يُذكَر ذُكِرَ[5] .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٣ .
(٢) انظر السير : (بُرَيْدَة بنُ الحُصَيب) ٢/ ٤٦٩ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٤/٢٩١ .
(٣) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٤ .
(٤) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٧ .
(٥) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٧ .

٧ـ العُجْب

(أ) تَعْريفُ العُجْب :

قالَ أبو وَهْب الْمَرْوَزِيُّ : سَألتُ ابنَ الْمُبارَك : ما الكِبْرُ ؟ قالَ : أنْ تَزْدَري النَّاسَ فسَألتُه عن العُجْبِ ؟ قالَ : أنْ تَرَىٰ أنَّ عِندَكَ شَيئاً لَيسَ عندَ غَيرِك ، لا أعْلَمُ في الْمُصَلِّينَ شَيئاً شَراً من العُجْبِ[١] .

(ب) مَنْ كان مُعْجَباً بنفسِه من العُلَماء :

ابنُ وَارَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : محمَّدُ بنُ مُسلِم بنِ عُثْمانَ ، الحافِظُ ، الإمَامُ الْمُجوِّدُ ، أبو عبدِ الله بنُ وَارَة الرَّازي ، أَحَدُ الأعْلام .

ارتَحلَ إلى الآفَاق ، وكانَ يُضرَبُ به المثَلُ في الحِفظِ ، علىٰ حُمقٍ فيه وتِيهٍ وكانَ مَولدُه في حُدودِ عام تِسعينَ ومئة .

قالَ النَّسائيُّ : هو ثِقةٌ ، صاحِبُ حَديث .

وقالَ عبدُ الْمُؤمِن بنُ أحمَد : كانَ أبو زُرْعَة لا يَقومُ لأحَدٍ ، ولا يُجلِسُ أحَداً في مَكانِه ، إلاَّ ابَن وَارَة .

قالَ أبو جَعْفَرٍ الطَّحاويُّ : ثَلاثَةٌ من عُلمَاءِ الزَّمانِ بالحَديثِ ، اتَّفَقوا بالرَّيِّ ، لَمْ يكن في الأرضِ مثلُ÷هم في وَقتِهم ، فذَكرَ ابنَ وَارَة ، وأبا حاتم ، وأبا زُرعَة[٢] .

وعن عبدِ الرحمَـٰن بنِ خِراش ، قالَ : كانَ ابنُ وَارَة من أهلِ هـٰذا الشَّأنِ الْمُتقنينَ الأُمَناء ، كُنتُ لَيلَةً عندَه ، فذَكرَ أبا إسْحاقَ السَّبيعيَّ ، فذَكرَ شُيوخَه ، فذَكرَ في طَلْقٍ واحدٍ سَبعينَ ومئتَين من شُيوخِه ، ثم قالَ : كانَ غايَةً ، شَيئاً عَجَباً[٣] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ المبارَك) ٨/٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٩/٧٦٩ .

(٢) انظر السير : (ابنُ وَارَة) ١٣/٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٤٧ .

(٣) انظر السير : (ابنُ وَارَة) ١٣/٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٧/١٠٤٧ .

قال عُثمانُ بنُ خُرَّزاذ : سَمعتُ الشَّاذَكُونيَّ يقولُ : جاءَني محمَّدُ ابنُ مُسْلم فقَعدَ يَتقعَّرُ[1] في كَلامِه ، فقلتُ له : مِنْ أيِّ بلدٍ أنتَ ؟ قال : مِنْ أهْلِ الرَّيِّ ، ألَمْ يأتِكَ خَبري ؟ ألَمْ تَسمَعْ بنَبَئي ؟ أنا ذُو الرِّحْلَتين قُلتُ : مَنْ رَوَىٰ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكمَةً » فقالَ : حدَّثَني بعضُ أصْحابِنا قلتُ : مَنْ ؟ قال : أبو نُعَيم وقَبِيْصَة قلتُ : يا غُلامُ! ائتِنِي بالدِّرَّة ، فأتاني بها ، فأمَرتُه ، فضَربَه بها خَمسينَ ، قلتُ : أنتَ تَخرجُ من عِندي ، ما آمَنُ أن تقولَ : حَدَّثني بَعضُ غِلْمانِنا[2] .

قال زَكريّا السَّاجي : جاءَ ابنُ وَارَة إلىٰ كُرَيْب ، وكان في ابنِ وَارة بأوٌ[3] فقال لأبي كُرَيْب : ألَمْ يَبْلُغْك خَبري ؟ ألَمْ يأتِكَ نَبَئي ، أنا ذو الرِّحْلَتين ، أنا محمَّدُ بنُ مُسْلم بنِ وَارَة فقال : وَارَة ؟!! وما أدْراكَ ما وَارَة ؟ قُمْ ، فواللهِ لا حَدَّثْتُك ، ولا حَدَّثْتُ قَوماً أنت فيهم[4] .

قالَ أبو العَبَّاسِ بنُ عُقدَة : دقَّ ابنُ وَارَة على ابنِ كُرَيْب ، فقالَ : مَنْ ؟ قالَ : ابنُ وَارَة ، أبو الحَديثِ وأُمُّه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : الصَّوابُ في وَفاتِه أنَّها في سَنةِ سَبعينَ ومئتَين[5] .

وقالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : كان ابنُ كامل مُتساهِلاً ، رُبَّما حدَّثَ من حِفظِه بما لَيسَ في كِتابِه ، وأهْلكَه العُجبُ ، كانَ يَختارُ لنَفسه ، ولا يُقلِّدُ أحداً .

تُوفِّيَ سَنةَ خَمسينَ وثلاثِ مئة ، وله تِسْعونَ سَنةً[6] .

وقالَ الدَّارَقُطْنِيُّ أيضاً : كانَ ابنُ كامِل لا يَعُدُّ لأحَدٍ من الفُقَهاءِ وَزْناً ، أمْلَىٰ كتاباً في السُّنَنِ ، وتَكلَّمَ على الأخْبار[7] .

---

(١) التقعير : أن يتكلم بأقصىٰ قعر فمه .
(٢) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/٢٨ـ٣٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٨ .
(٣) البأوُ : الكِبرُ والتِّيه .
(٤) انظر السير : (ابنُ وَارَة) ١٣/٢٨ـ٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٤٨ .
(٥) انظر السير : (ابنُ وَارَة) ١٣/٢٨ـ٣٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٤٨ .
(٦) انظر السير : (ابنُ كامِل) ١٥/٥٤٤ـ٥٤٦ ، وانظر النزهة : ١/١٢٥٨ .
(٧) انظر السير : (ابنُ كامِل) ١٥/٥٤٤ـ٥٤٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٥٨ .

قال ابنُ الذَّهَبيِّ : كانَ ابنُ كامِلٍ من بُحورِ العِلمِ فأخْمَلَه العُجبُ[١] .

(ج) **العُجْبُ بَلاءٌ** :

قالَ أبو القاسِمِ القُشَيْريُّ : كانَ يُوسُفُ بنُ الحُسَين نَسيجَ وَحدِه في إسْقاطِ التَّصنُّع يُقالُ : كَتبَ إلى الجُنَيدِ : لا أذاقَكَ اللهُ طَعمَ نَفسِك ، فإنْ ذُقتَها لا تُفلِح[٢] .

وخَطبَ مُنْذِرُ بنُ سَعيد يَوماً فأعْجَبته نَفسُه ، فقالَ : حتَّىٰ مَتَىٰ أعِظُ ولا أتَّعِظُ وأزْجُرُ ولا أزْدَجِرُ ، أدُلُّ على الطَّريقِ الْمُستَدلِّينَ وأبْقَىٰ مُقيماً مع الحَائرينَ ، كلاَّ إنَّ هَـٰذا لَهُوَ البَلاءُ الْمُبينُ ، اللَّهُمَّ فرَغِّبْني لِمَا خَلقْتَني لَه ، ولا تَشْغَلني بما تَكفَّلتَ لي به[٣] .

* * *

---

(١) انظر السير : (ابنُ كامِل) ١٥/ ٥٤٤ـ٥٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٥٨ .

(٢) انظر السير : (يُوسُفُ بنُ الحُسَين) ١٤/٢٤٨ـ٢٥١ ، وانظر النزهة : ٦/١١٤٧ .

(٣) انظر السير : (مُنْذِرُ بنُ سَعيد البَلُّوطيُّ) ١٦/ ١٧٣ـ١٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٧٩ .

٨ـ الغِيبَة

(أ) الخَوْفُ من الغِيبَة :

قالَ جَريرُ بنُ حازِمٍ : كُنتُ عند محمَّدِ بنِ سِيرينَ فذَكَرَ رجُلاً ، فقالَ : ذاكَ الأَسْوَدُ ، ثم قالَ : إنَّا لله ، إنِّي اغْتَبتُه[1] .

وقالَ محمَّدُ بنُ أبي حاتم : سَمعتُ أبا عبدِ الله البُخاري يَقولُ لأبي معشَر الضَّرير : اجْعَلنِي في حِلٍّ يا أبا معشر ، فقالَ : من أيِّ شَيءٍ ؟ قالَ : رَوَيتُ يَوماً حَديثاً فنَظَرتُ إليك ، وقد أُعجِبتَ به ، وأنَت تُحرِّكُ رَأسَكَ ويَدَكَ ، فتَبسَّمتُ من ذلكَ قالَ : أنتَ في حِلٍّ ، رَحمَكَ الله يا أبا عبدِ الله[2] .

(ب) عِلاجُ الغِيبَة :

قالَ ابنُ أبي حاتم : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا حَرْمَلةُ : سَمعتُ ابنَ وَهْب يَقولُ : نَذَرتُ أنِّي كُلَّما اغْتَبتُ إنْساناً أنْ أَصُومَ يَوماً ، فأَجْهَدَني ، فكُنتُ أَغْتابُ وأَصُومُ ، فنَوَيتُ أنِّي كُلَّما اغْتَبتُ إنْساناً أنْ أتَصدَّقَ بدِرْهم ، فمِنْ حُبِّ الدَّراهم تَركتُ الغِيْبَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هَكذا والله كانَ العُلماءُ وهٰذا ثَمرةُ العِلمِ النَّافع ، وعبدُ الله حُجَّةٌ مُطلقاً ، وحَديثُه كَثيرٌ في الصِّحاح ، وفي دَواوين الإسْلام ، وحَسبُك بالنَّسائيِّ وتَعنُّتِه في النَّقْد حَيثُ يَقولُ : وابنُ وَهْب ثِقةٌ ، ما أعلَمُه رَوَىٰ عن الثِّقاتِ حَديثاً مُنْكَراً[3] .

(ج) تَحْذيرُ العُلَماءِ النَّاسَ ومَنْعُهم من الغِيبَة :

عن مُسلمِ البَطين ، عن سَعيدِ بنِ جُبَير أنَّه كانَ لا يَدَعُ أَحَداً يَغتَابُ عندَه[4] .

---

(١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٦/٥٦٩ .
(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريُّ) ١٢/٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٤/١٠١٦ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ وَهْب) ٩/٢٢٣ـ ٢٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٨١٩ .
(٤) انظر السير : (سَعيدُ بنُ جُبَيْر) ٤/٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٢/٥٠٧ .

عن ابنِ عَوْن ، قالَ : كانوا إذا ذَكَروا عندَ محمَّدِ بنِ سِيرينَ رَجُلاً بسَيِّئة ذَكرَه هو بأحْسَن ما يَعلم وجاءَه ناسٌ فقالوا : إنَّا نِلْنا منكَ فاجْعَلنا في حِلٍّ ، قالَ : لا أُحِلُّ لَكُم شَيئاً حَرَّمَه اللهُ .

ماتَ محمَّدُ بنُ سِيرينَ بعدَ الحَسَنِ البَصْريِّ بمئة يَومٍ ، سَنَةَ عشْر ومئة[1] .

وقيلَ : اغْتابَ رَجلٌ عندَ مَعْروفٍ الكَرْخيّ فقالَ : اذْكُر القُطنَ إذا وُضعَ علىٰ عَينَيْك[2] .

(د) الغِيبَة مُضَيِّعَةٌ للحَسَناتِ :

عن جَعْفَرِ بنِ محمَّد : إذا بَلَغَكَ عن أخيكَ ما يَسوؤُك ، فلا تَغْتَمَّ فإنَّه إنْ كانَ كمَا يَقولُ كانَت عُقوبَةً عُجِّلَت ، وإنْ كانَ علىٰ غَيرِ ما يَقولُ كانت حَسَنَةً لَمْ تَعمَلْها[3] .

ورُويَ عن ابنِ مَهْديٍّ قالَ : لَوْلا أنِّي أكْرَهُ أنْ يُعْصَى اللهُ ، لَتَمنَّيتُ أنْ لا يَبقَىٰ أحَدٌ في الْمِصْرِ إلاَّ اغْتابَني! أيُّ شَيءٍ أهْنأ من حَسَنَةٍ يَجدُها الرجُلُ في صَحيفَتِه لَمْ يَعمَلْ بها!! ؟[4] .

(هـ) مَنْ لَمْ يَغْتَبْ أحداً قَطّ :

قالَ البُخاريُّ : سَمعتُ أبا عاصِم الضَّحَّاكَ بنَ مَخْلَد يَقولُ : منذ عَقلتُ أنَّ الغِيبَةَ حَرامٌ ما اغْتَبتُ أحَداً قَطُّ[5] .

وقالَ بَكرُ بنُ مُنير : سَمعتُ أبا عبدِ الله البُخاريَّ يَقولُ : أرْجُو أنْ ألقَى اللهَ ولا يُحاسِبُني أنِّي اغْتَبتُ أحداً[6] .

---

(١) انظر السير : (محمد بن سيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧١ .
(٢) انظر السير : (مَعْروف الكَرْخيّ) ٩/٣٣٩ـ ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٦/٨٢٦ .
(٣) انظر السير : (جَعْفَر بنُ محمَّد) ٦/ ٢٥٥ـ ٢٧٠ ، وانظر النزهة : ٥/٦٤٨ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بنُ مَهْديّ) ٩/ ١٩٢ـ ٢٠٩ ، وانظر النزهة : ١/٨١٧ .
(٥) انظر السير : (أبو عاصم) ٩/ ٤٨٠ـ ٤٨٥ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٦ .
(٦) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٥/١٠١٥ .

وقالَ محمَّدُ بنُ أبي حاتم الوَرَّاق : سَمعتُ أبا عبدِ الله البُخاريَّ يَقولُ : ما اغْتَبتُ أحداً قَطُّ منذُ عَلمتُ أنَّ الغِيبَةَ تَضُرُّ أهلَها قالَ : وكانَ أبو عبدِ الله يُصلِّي في وَقتِ السَّحَر ثَلاثَ عَشرَةَ رَكعَةً ، وكانَ لا يُوقِظُني في كُلِّ ما يَقومُ فقُلتُ : أرَاكَ تَحمِلُ علىٰ نَفسِك ، ولَمْ تُوقِظْني قالَ أنتَ شَابٌّ ، ولا أحِبُّ أنْ أُفْسِدَ عَليكَ نَومَك[1] .

(و) قد يَخْتَلِطُ الجَرْحُ بالغِيبَة :

جاءَ في تَرجَمَةِ إسْماعيلِ بنِ إبْراهيمَ ، الْمَعروفِ بابنِ عُلَيَّة : ذكره الإمامُ الذهَبيُّ في « الْمِيزَانِ » وتَعقَّبه بقولِه : إمامَةُ إسماعيلَ وَثيقة لا نزاعَ فيها ، وقد بَدَتْ منه هَفوَةٌ وتابَ ، فكانَ ماذا ؟ إنِّي أخافُ الله لا يَكونُ ذِكرُنا له من الغِيبَة ، وأمَّا القُرآنُ ، فقد قالَ عبدُ الصَّمَد بنُ يَزيد بنِ مَرْدَوَيْه : سَمعتُ ابنَ عُلَيَّة يَقولُ : القُرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوق[2] .

وقالَ السَّمْعانيُّ : كانَ ابن ناصِر يُحبُّ أنْ يَقعَ في النَّاسِ ، فرَدَّ ابنُ الجَوْزيِّ هـٰذا ، وقَبَّحَه ، وقالَ : صاحِبُ الحَديثِ يَجْرَحُ ويُعَدِّلُ ، أفَلا تُفرِّقُ يا هـٰذا بينَ الجَرحِ والغِيْبَة ؟! ثم قالَ : وهو قد احْتجَّ بكَلامِ ابنِ ناصِر في كَثيرٍ من التَّراجِمِ في « الذَّيل » له ، ثم بالَغ ابنُ الجَوْزيّ في الحَطِّ علىٰ أبي سَعْد كذلك ، ولا رَيبَ أنَّ ابنَ ناصِر يَتعسَّفُ في الحَطِّ علىٰ جَماعَة من الشُّيوخ ، وأبو سَعْد أعْلَمُ بالتَّاريخِ ، وأحْفَظُ من ابنِ الجَوْزيِّ ومن ابنِ ناصِر ، وهـٰذا قَولُه في ابنِ ناصِر في « الذَّيل » قالَ : هو ثِقةٌ حافِظٌ دَيِّنٌ مُتْقِنٌ ثَبتٌ لُغَويٌّ ، عارِفٌ بالْمُتونِ والأسانيدِ ، كَثيرَ الصَّلاةِ والتِّلاوَة غيرَ أنَّه يُحبُّ أنْ يَقعَ في النَّاسِ ، وهو صَحيحُ القِراءَة والنَّقلِ[3] .

(ز) رُؤْيَا فيها تَحْذيرٌ من الغِيبَة :

وقال السَّمْعانيُّ : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ محمد بنِ الرِّضا العَلويّ يقول : سَمعتُ خالي أبا طالب بنَ طَباطبا يقولُ : كنتُ أَشْتُمُ أبداً عبدَ الرحمـٰن ابنَ مَنْدَه ، فسافرتُ إلىٰ

---

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠١٦ .

(٢) انظر السير : (ابنُ عُلَيَّة) ٩/ ١٠٧ـ ١٢٠ ، وانظر النزهة : ٨٠٤/ هامش (١) .

(٣) انظر السير : (ابنُ ناصِر) ٢٠/ ٢٦٥ـ ٢٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٥٠ .

جَرْباذَقان[1] ، فرأيتُ أميرَ المؤمنين عُمرَ في النَّومِ ويدُه في يد رجلٍ عليه جُبَّةٌ زَرْقاء ، وفي عَيْنَيه نكتةٌ ، فسَلمتُ عليه فلم يرُدَّ عليَّ ، وقال تَشتُمُ هـٰذا فقيلَ لي في المَنامِ : هـٰذا عُمرُ وهـٰذا عبدُ الرحمَـٰن بنُ مَنْدَه فانتبَهتُ ، ثم رجعتُ إلىٰ أصْبَهان ، وقَصَدتُ عبدَ الرحمَـٰن ، فلمَّا دخَلتُ عليه ، صادَفتُه كما رأيتُه في النَّوم ، فلمَّا سَلَّمتُ عليه قالَ : وعليكَ السَّلامُ يا أبا طَالِب وقَبْلَها ما رآني ولا رَأيتُه ، فقالَ لي قبلَ أن أُكلِّمَه : شيءٌ حَرَّمَه الله ورسُوله يَجوزُ لنا أن نُحِلَّه ؟ فقلتُ : اجْعَلني في حِلٍّ ، وناشَدْتُه اللهَ وقَبَّلتُ عَيْنَيْه ، فقال : جعلتُكَ في حِلٍّ فيما يَرجعُ إليَّ .

وعن صاعد بنِ سيّار ، سَمعتُ الإمام أبا إسماعيلَ الأنصاريَّ يقولُ في عبدِ الرحمَـٰن بنِ مَنده : كانت مَضَرَّته أكثرَ من مَنْفَعَته في الإسْلام .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أطْلقَ عِباراتٍ بَدَّعَه بَعضُهم بها ، اللهُ يُسامحُه ، وكان زَاعِراً علىٰ مَنْ خالَفَه ، فيه خارجيّةٌ ، وله مَحاسِنُ ، وهو في تَواليفِه حاطِبُ ليلٍ ، يَرْوي الغَثَّ والسَّمين ، ويَنظِمُ رَديء الخَرَزِ مع الدُّرِّ الثَمين .

ماتَ سَنة سَبعين وأربع مئة ، وشَيَّعَه عالَمٌ لا يُحْصَوْن[2] .

* * *

(١) بلدة قريبة من هَمَذان .
(٢) انظر السير : (ابنُ مَندَه) ١٨/ ٣٤٩ـ ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٠ .

٩ـ الفُضُول

(أ) البُعْدُ عن الفضُول من أخْلاق الصَّالحين :

قالَ زَيدُ بنُ أسْلَم : دُخِلَ علىٰ أبي دُجانَةَ الأنصاري وهو مَريضٌ ، وكانَ وَجهُه يَتهَلَّلُ فقيلَ له : ما لِوَجهِكَ يَتهلَّلُ ؟ فقالَ : ما من عَملٍ شَيء أوْثَق عندي من اثْنَتين : كُنتُ لا أتَكلَّمُ فيما لا يَعنيني ، والأخرَىٰ فكان قَلبي للمُسلمينَ سَليماً[1] .

وقيلَ : إنَّ رَجلاً قالَ للأحْنَفِ بنِ قَيْس : بِمَ سُدتَ ؟ وأرادَ أنْ يَعيبَه : قالَ الأحْنَفُ : بتَركي مِنْ ما لا يَعنيني ، كمَا عَناكَ مِنْ أمْري ما لا يَعنيكَ[2] .

(ب) عَاقِبَةُ الفُضُول :

عن سَهلِ بنِ عبدِ الله : مَنْ تَكلَّمَ فيما لا يَعنيه حُرمَ الصِّدقَ ، ومَنْ اشْتَغلَ بالفُضُولِ حُرمَ الوَرَعَ ، ومَنْ ظَنَّ السُّوءَ حُرمَ اليَقينَ ، ومَنْ حُرمَ هـٰذه الثَّلاثَة هَلَكَ[3] .

* * *

---

(١) انظر السير : (أبو دُجانَة الأنصاري) ١/٢٤٣ـ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٤ .

(٢) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/٨٦ـ٩٧ ، وأنظر النزهة : ٢/٤٥٢ .

(٣) انظر السير : (سَهْلُ بنُ عبد الله) ١٣/٣٣٠ـ٣٣٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٩٣ .

١٠ ـ الكِبْر

(أ) تَعْريفُ الكِبْر :

قالَ أبو وَهْب الْمَرْوَزيُّ : سَألتُ ابنَ الْمُبارَك : ما الكِبْرُ ؟ قالَ : أنْ تَزْدَري النَّاسَ فسَألتُه عن العُجْبِ ؟ قالَ : أنْ تَرَىٰ أنَّ عِندَكَ شَيئاً لَيسَ عندَ غَيرِك ، لا أعْلَمُ في الْمُصَلِّينَ شَيئاً شَراً من العُجْبِ[١] .

(ب) عَاقِبَةُ الكِبْر :

عن محمَّدِ بنِ عَليِّ بنِ الحُسَينِ قالَ : ما دَخلَ قَلبَ امْرِىءٍ من الكِبْرِ شَيءٌ إلاَّ نَقُصَ من عَقلِه مِقدارُ ذلك[٢] .

(ج) دَواءُ الكِبْر :

قالَ الأحْنَفُ بنُ قَيْس : عَجبتُ لِمَنْ يَجري في مَجرَى البَوْلِ مرَّتَين كَيفَ يَتكَبَّر ! ![٣] .

وكانَ يَزيدُ بنُ الْمُهَلَّب ذا تِيهٍ وكِبْرٍ ، رآه مُطَرِّفُ بنُ الشِّخِّير يَسحَبُ حُلَّتَه ، فقالَ له : إنَّ هـٰذه مِشيَةٌ يُبغِضُها اللهُ ، قالَ : أوما تَعرِفُني ؟ قال : بَلَىٰ ، أوَّلك نُطفَةٌ مَذِرَة ، وآخِرُكَ جيفَةٌ قَذِرَة ، وأنتَ بينَ ذلكَ تَحمِلُ العَذِرَة[٤] .

وعن الأصْمَعيِّ عن أبيه ، قالَ : مَرَّ الْمُهَلَّبُ علىٰ مالِكِ بنِ دِينار مُتَبَختِراً ، فقالَ : أما عَلمتَ أنَّها مِشيَةٌ يَكرَهُها اللهُ إلاَّ بينَ الصَّفَّينِ ؟ فقالَ الْمُهَلَّبُ : أمَا تَعرِفُني ؟ قالَ : بَلَىٰ ، أوَّلك نُطفَةٌ مَذِرَة ، وآخِرُكَ جيفَةٌ قَذِرَة ، وأنتَ بينَ ذلكَ تَحمِلُ العَذِرَة فانكَسَرَ ، وقالَ : الآنَ عَرَفتَني حَقَّ الْمَعرِفَة[٥] .

---

(١) انظر السير : (عبد الله بن المبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٩/٧٦٩ .

(٢) انظر السير : (أبو جَعْفَر الباقِر) ٤/ ٤٠١ـ ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٣ .

(٣) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥١ .

(٤) انظر السير : (يَزيدُ بنُ الْمُهَلَّب) ٤/ ٥٠٣ـ ٥٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٥٤٥ .

(٥) انظر السير : (مالِك بن دينار) ٥/ ٣٦٢ـ ٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٦/٦٠٩ .

(د) الخَوْفُ من الكبْرِ والخُيَلاءِ :

عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن عَمرِو بنِ الأسْوَد العَنْسيِّ ، أنَّه كانَ إذا خَرجَ من الْمَسجِدِ قَبضَ بيَمينه علىٰ شِمالِه ، فسُئلَ عن ذلك ، فقالَ : مَخافَةَ أنْ تُنافِقَ يَدَيَّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يُمسِكُها خَوفاً من أنْ يَخطِرَ بيَدِه في مِشْيَتِه ، فإنَّ ذلكَ من الخُيَلاء[1] .

وعن عبدِ الله بنِ أبي سُليْمانَ ، قالَ : كانَ عَليُّ بنُ الحُسَين إذا مَشَىٰ لا تُجاوِزُ يَدُه فَخِذَيه ولا يَخْطِرُ بها ، وإذا قَامَ إلى الصَّلاةِ ، أَخَذَتهُ رِعْدَةٌ ، فقيلَ له ، فقالَ : تدرُونَ بينَ يَدَي مَنْ أقُومُ ومَنْ أُناجي .

وعنه ، أنَّه كانَ إذا تَوضَّأ اصْفَرَّ[2] .

وقالَ يَحْيَى السَّيبانيُّ : قالَ لنا ابنُ مُحَيْريز : إنِّي أُحدِّثُكم ، فلا تَقولُوا : حدَّثنا ابنُ مُحَيْريز ، إنِّي أَخْشَىٰ أنْ يَصْرَعَني ذلكَ القَولُ مَصْرَعاً يَسُوؤُني[3] .

وقالَ أيُّوبُ العَطَّار : سَمعتُ بِشْرَ بنَ الحارِث ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقولُ حدَّثنا حَمَّادُ بنُ زَيْد ، ثم قالَ : أسْتَغفرُ اللهَ ، إنَّ لِذِكرِ الإسْنادِ في القَلبِ خُيَلاء .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لا أعْلَمُ بينَ العُلَماءِ نِزاعاً في أنَّ حَمَّادَ بنَ زَيْد من أئمَّة السَّلفِ ، ومِنْ أتْقَنِ الحُفَّاظِ وأعْدَلِهم ، وأعْدَمِهم غَلطاً ، علىٰ سِعَةِ ما رَوَىٰ ، رَحِمَهُ اللهُ[4] .

وعن ابنِ عُيَيْنَةَ قالَ : مَنْ كانت مَعصيتُه في الشَّهْوَة فارْجُ له ، ومَنْ كانت مَعصيتُه في الكِبْرِ ، فاخْشَ عليه ، فإنَّ آدَمَ عَصَىٰ مُشْتَهياً ، فغُفِرَ له ، وإبْليسُ عَصَىٰ مُتكَبِّراً فلُعِنَ[5] .

---

(١) انظر السير : (عَمْرُو بن الأسْوَد) ٤/ ٧٩ـ ٨١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٤٨ .

(٢) انظر السير : (عليُّ بنُ الحُسَين) ٤/ ٣٨٦ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٨ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ مُحَيْريز) ٤/ ٤٩٤ـ ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٧/٥٣٩ .

(٤) انظر السير : (حَمَّادُ بنُ زَيْد) ٧/ ٤٥٦ـ ٤٦٦ ، وانظر النزهة : ١/٧١٧ .

(٥) انظر السير : (سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة) ٨/ ٤٥٤ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٨٣ .

(هـ) دُخُولُ العُجْبِ والكبْرِ في أهْل العِلْم :

قالَ قُطبَةُ بنُ العَلاء : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : آفَةُ القُرَّاءِ العُجْبُ وللفُضَيلِ رَحمَهُ اللهُ مَواعِظُ ، وقَدمٌ في التَّقْوَىٰ رَاسِخٌ .

وكانَ يَعيشُ من صِلَة ابنِ الْمُبارَك ونَحوِه من أهْلِ الخَيرِ ، ويَمتَنعُ من جَوائزِ الْمُلوكِ[1] .

(و) مِنْ دَقائق الكبْرِ التي يَذْكرُها الصَّالحون علىٰ سَبيلِ تَعْليم النُّفُوسِ التَّوَاضُعَ :

قالَ أبو يَزيد البَسْطامي : ما دَامَ العَبدُ يَظُنُّ أنَّ في النَّاسِ مَنْ هو شَرٌّ منه ، فهو مُتكَبِّرٌ[2] .

(ز) كبْرُ بَعْضِ العُلَماء :

جاءَ في تَرجَمَةِ أحمدِ بنِ صالِح : ذكرَه النَّسائيُّ يوماً ، فرَمَاهُ ، وأسَاءَ الثَّناءَ عَليه[3] .

قالَ ابنُ يُونُس : لَمْ يَكنْ عندَنا ـ بحَمِد الله ـ كما قالَ النَّسائيُّ ولَمْ يكن له آفَةٌ غيرُ الكِبْرِ[4] .

وقالَ ابنُ عَدي : سَمعتُ عبدَ الله بنَ محمَّد بنِ سَلْم الْمَقدِسيَّ يَقولُ : قَدمتُ مِصْرَ فبَدأتُ بحَرمَلَةَ ، فكَتبتُ عنه كتابَ عَمرِو بنِ الحارِث ، ويُونُسَ بنِ يَزيد والفَوائدَ ، ثم ذَهبتُ إلىٰ أحَمدَ بنِ صالِح فلَمْ يُحدِّثْني ، فحَملتُ كتابَ يَونُسَ ، فخَرَّقتُه بينَ يَدَيه ـ أُرْضيه بذلك ولَيتَني لَمْ أخَرِّقْه ـ فلَمْ يَرْضَ ، ولَمْ يُحدِّثْني .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : نَعوذُ بالله من هَـٰذه الأخْلاقِ صَدَقَ أبو سَعيد بنُ يُونُس

---

(١) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧٩ .
(٢) انظر السير : (أبو يَزيد البَسْطامي) ١٣/ ٨٦ـ ٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٥ .
(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٩٨٩ .
(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ ١٧٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٠ .

حيثُ يَقولُ : لَمْ يَكُنْ له آفَةٌ غَيرُ الكِبْر ، فلَوْ قُدحَ في عَدالَتِه بذلك ، فإنَّه إثْمٌ كَبيرٌ[1] .

ابنُ وَارَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : محمَّدُ بنُ مُسلِم بنِ عُثْمانَ ، الحافِظُ ، الإمَامُ الْمُجوِّدُ ، أبو عبدِ الله بنُ وَارَة الرَّازي ، أحَدُ الأعْلام .

ارتَحلَ إلى الآفَاق ، وكانَ يُضرَبُ به المثَلُ في الحِفظِ ، علىٰ حُمقٍ فيه وتِيهٍ وكانَ مَولدُه في حُدودِ عامِ تِسعينَ ومئة .

قالَ النَّسائيُّ : هو ثِقةٌ ، صاحِبُ حَديث .

وقالَ عبدُ الْمُؤمِن بنُ أحمَد : كانَ أبو زُرْعَة لا يَقومُ لأحَدٍ ، ولا يُجلِسُ أحَداً في مَكانِه ، إلاَّ ابنَ وَارَة .

قالَ أبو جَعْفَرَ الطَّحاويُّ : ثَلاثَةٌ من عُلمَاءِ الزَّمانِ بالحَديثِ ، اتَّفَقوا بالرَّيِّ ، لَمْ يكن في الأرضِ مثلَهم في وَقتِهم ، فذَكرَ ابنَ وَارَة ، وأبا حاتم ، وأبا زُرعَة[2] .

وعن عبدِ الرحمَـٰن بنِ خِراش ، قالَ : كانَ ابنُ وَارَة من أهلِ هـٰذا الشَّأنِ الْمُتقِنينَ الأُمَناء ، كُنتُ لَيلَةً عندَه ، فذَكرَ أبا إسْحاقَ السَّبيعيَّ ، فذَكرَ شُيوخَه ، فذَكرَ في طَلْقٍ واحدٍ سَبعينَ ومئتَين من شُيوخِه ، ثم قالَ : كانَ غايَةً ، شَيئاً عَجَباً[3] .

قال عُثمانُ بنُ خُرَّزاذ : سَمعتُ الشَّاذَكُونيَّ يقولُ : جاءَني محمَّدُ بنُ مُسْلم فقَعدَ يَتَقعَّرُ[4] في كَلامِه ، فقلتُ له : مِنْ أيِّ بلدٍ أنتَ ؟ قال : مِنْ أهْلِ الرَّيِّ ، ألَمْ يأتِكَ خَبري ؟ ألَمْ تَسمَعْ بنبَئي ؟ أنا ذُو الرِّحْلَتين قُلتُ : مَنْ رَوَىٰ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكمَةً » فقالَ : حدَّثَني بعضُ أصْحابِنا قلتُ : مَنْ ؟ قال : أبو نُعَيم وقَبيْصَة قلتُ : يا غُلامُ! ائتِني بالدِّرَّة ، فأتاني بها ، فأمَرتُه ، فضَربَه بها

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ صالح) ١٢/ ١٦٠ـ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٥/٩٩٠ .

(٢) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/ ٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٤٧ .

(٣) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/ ٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٧/١٠٤٧ .

(٤) التقعير : أن يتكلم بأقصىٰ قعر فمه .

خَمسينَ ، قلتُ : أنتَ تَخرُجُ من عِندي ، ما آمَنُ أن تقولَ : حَدَّثني بَعضُ غِلْمانِنا[1] .

قال زَكريّا السَّاجي : جاءَ ابنُ وَارَة إلىٰ كُرَيْب ، وكان في ابنِ وَارَة بأوٌ[2] فقال لأبي كُرَيْب : أَلَمْ يَبْلُغْك خَبري ؟ أَلَمْ يأتِكَ نبَئي ، أنا ذو الرِّحْلَتين ، أنا محمَّدُ بنُ مُسْلم بنِ وَارَة فقال : وَارَة ؟!! وما أدْراكَ ما وَارَة ؟ قُمْ ، فواللهِ لا حَدَّثْتُك ، ولا حَدَّثْتُ قَوماً أنت فيهم[3] .

قالَ أبو العَبَّاسِ بنُ عُقدَة : دقَّ ابنُ وَارَة على ابنِ كُرَيْب ، فقالَ : مَنْ ؟ قالَ : ابنُ وَارَة ، أبو الحَديثِ وأُمُّه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : الصَّوابُ في وَفاتِه أنَّها في سَنَةِ سَبعينَ ومئتَين[4] .

* * *

---

(١) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/ ٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ١٠٤٨/ ١ .

(٢) البأوُ : الكِبرُ والتِّيه .

(٣) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/ ٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ١٠٤٨/ ٢ .

(٤) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/ ٢٨ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ١٠٤٨/ ٣ .

١١ـ الكذِب

(أ) الدَّعَاوَى الكاذِبَة :

قالَ ابنُ نُقطَة : كانَ ابنُ دِحْيَةَ مَوْصُوفاً بالْمَعرِفَة والفَضْلِ ولَمْ أرَهُ ، إلاَّ أنَّه كانَ يَدَّعي أشْياءَ لا حَقيقَةَ لها ، ذَكرَ لي أبو القاسِم بنُ عبدِ السَّلام ، ثِقَةٌ ، فقالَ : نَزلَ عندَنا ابنُ دِحْيَة فكانَ يَقولُ : أحْفَظُ « صَحيحَ مُسْلِم » و« التِّرْمِذيِّ » قالَ : فأخَذتُ خَمسَةَ أحَاديث من « التِّرْمِذيِّ » وخَمسَةً من « الْمُسْنَد » وخَمْسَةً من الْمَوْضُوعاتِ فجَعلتُها في جُزءٍ ، ثم عَرضتُ عليه حَديثاً من التِّرْمِذيِّ ، فقالَ : لَيسَ بصَحيح ، وآخَرَ فقالَ : لا أعْرِفُه ، ولَمْ يَعرِفْ منها شَيئاً !![1] .

(ب) كفىٰ فَساداً وكذِباً الكلامُ بكلِّ ما يُسْمَع :

قالَ ابنُ وَهْب : سَمعتُ مَالِكاً يَقولُ : أعْلمْ أنَّه فَسادٌ عَظيمٌ أنْ يَتكلَّمَ الإنْسانُ بكُلِّ ما يَسمَعُ[2] .

(ج) « زَعَمُوا » كنيَةُ الكذِب :

عن شُرَيح قالَ : « زَعَمُوا » ، كُنْيَةُ الكَذِبْ[3] .

(د) كراهِيَةُ الكذِب :

قالَ ابنُ عُيَيْنَة : قالَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله : ما يَسُرُّني أنِّي كَذَبتُ كِذْبَةً وأنَّ ليَ الدُّنيا وما فيها[4] .

(هـ) جَرَيانُ الكذِبِ على الألْسِنَة :

عن عاصِمٍ : عن أبي العَالِيَة ، قالَ : أنْتُم أكثَرُ صَلاةً وصِياماً مِمَّنْ كانَ قَبلَكُم ، ولكنَّ الكَذِبَ قد جَرَىٰ علىٰ أَلْسِنَتِكم[5] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ دِحْيَة) ٢٢/٣٨٩ـ٣٩٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٠٦ .

(٢) انظر السير : (مالِكُ الإمَام) ٨/٤٨ـ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٨ .

(٣) انظر السير : (شُرَيحُ القاضي) ٤/١٠٠ـ١٠١ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٦ .

(٤) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله) ٤/١٨٧ـ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٦ .

(٥) انظر السير : (أبو العَالِيَة) ٤/٢٠٧ـ٢١٣ ، وانظر النزهة : ٥/٤٧٩ .

١٢ـ النِّفَاق

(أ) مِنْ صِفَاتِ المُنَافِق :

قالَ الوَليدُ بنُ مَزْيَد : سَمعتُ الأوْزَاعِيَّ يَقولُ : إنَّ الْمُؤمِنَ يَقولُ قَليلاً ، ويَعمَلُ كَثيراً ، وإنَّ الْمُنافِقَ يَتكلَّمُ كَثيراً ، ويَعمَلُ قَليلاً[١] .

وعن شَقيقٍ قالَ : مَثلُ الْمُؤمِنِ مَثلُ مَنْ غَرسَ نَخلَةً يَخافُ أنْ تَحمِلَ شَوْكاً ، ومَثلُ الْمُنافِقِ مَثلُ مَنْ زَرَعَ شَوْكاً يَطمَعُ أنْ يَحمِلَ تَمْراً ، هَيْهات[٢] .

(ب) الخَوْفُ من النِّفَاق العَمَلي :

رَوَىٰ أبو حَيَّانَ عن إبْراهيمَ بنِ يَزيد قالَ : ما عَرَضتُ قَوْلي علىٰ عَمَلي إلاَّ خِفتُ أنْ أكُونَ مُكَذَّباً[٣] .

(ج) مِنْ صُوَر النِّفَاق العَمَلي :

عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه ، قالَ : إذا سَمعتَ مَنْ يَمدَحُك بما لَيسَ فيكَ ، فلا تَأمَنْهُ أنْ يَذُمَّكَ بمَا لَيسَ فيكَ[٤] .

ومِنْ كَلامِ الخَرَّازِ : كُلُّ باطِنٍ يُخَالِفُهُ ظَاهِرٌ فهُوَ بَاطِلٌ[٥] .

* * *

---

(١) انظر السير : (الأوْزاعِيُّ) ٧/١٠٧ـ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٤ .
(٢) انظر السير : (شَقيق) ٩/٣١٣ـ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٧/٨٢٣ .
(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ يَزيد) ٥/٦٠ـ ٦٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٨٠ .
(٤) انظر السير : (وَهْبُ بنُ مُنَبِّه) ٤/٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٨/٥٥٤ .
(٥) انظر السير : (الخَرَّاز) ١٣/٤١٩ـ ٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٩٧ .

الحُبُّ والعِشْق

١ـ قصَصُ الحُبِّ :

عن ابنِ عبَّاس : أنَّ زَوْجَ بَريرة كان عَبداً أسْوَدَ ، يُسمَّىٰ : مُغيثاً ، فقَضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيها أرْبَع قَضيات : أنَّ مَواليها اشْتَرطُوا الوَلاءَ ، فقضىٰ أنَّ الوَلاءَ لمَنْ أعْتَقَ ، وخُيِّرَتْ فاخْتارَت نفسَها ، فأمَرَ النبيُّ أنْ تَعْتدَّ فكُنتُ أراهُ يَتَّبعُها في سِكَكِ المَدينَة ، يَعْصِرُ عَينَيه عليها .

قالَ : وتُصُدِّقَ عليها بصَدقَة ، فأهْدَت منها إلىٰ عائشَةَ ، فذُكرَ ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ » .

وعن ابنِ سِيرينَ : أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم خَيَّرَ بَريرَةَ فكلَّمَها فيه فقَالَت : يا رَسُولَ الله ، أشَيءٌ واجِبٌ ؟ قالَ : « لا ، إنَّمَا أَشْفَعُ لَهُ »[(١)] .

عن عِكْرِمَةَ ، قالَ : ذُكرَ زَوجُ بَريرَةَ عندَ ابنِ عبَّاس ، فقالَ : ذاكَ مُغيثٌ ، عَبدُ بَني فُلان ، قد رَأيتُه يَبكي خَلفَها يَتْبَعُها في الطَّريقِ .

فأمَّا الجاريَةُ التي في حَديثِ الإفْكِ ، التي سُئلَت عمَّا تَعلَمُ عن عائشة ، فأُخْرىٰ غَيرُ بَريرَة[(٢)] .

وقد هَوِيَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ أبي بَكر الصِّدِّيق ابنَةَ الجُوديِّ ، وتَغزَّلَ فيها بقَولِه :

---

(١) ابن سعد (٨/٢٥٩) ، ورجاله ثقات ، لكنه مرسل ، وأخرج البخاري في « صحيحه » (٩/٣٥٩) في الطلاق : « باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بَريرَة » عن طريق محمد بن سلام ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن زوج بَريرَة كان عبداً يُقال له « مغيث » كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ، ودموعه تسيل علىٰ لحيته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس : « يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثاً » ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ رَاجَعْتَهُ » قالت : يا رَسولَ الله تأمُرُني ؟ قالَ صلى الله عليه وسلم : « « إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ » قالت : فلا حاجَة لي فيه .

(٢) انظر السير : (بَريرَة مَوْلاةُ أمِّ المؤمنين عائشَة) ٢/٢٩٧ـ٣٠٤ ، وانظر النزهة : ٢/٢٦٣ .

تَـذَكَّـرْتُ لَيْلَـىٰ وَالسَّمـاوَةُ دُونَهـا ... فمَـا لابْنَـةِ الجُـودِيِّ لَيْلَـىٰ وَمَـا لِيَـا

وأَنَّـىٰ تُعَـاطِـي قَلْبَـه حـارِثِيَّـةٌ ... تَدَمَّنُ بصرىٰ[1] أَوْ تَحُلُّ الجَوَابِيَا

وأَنَّـىٰ تُـلاَقِيهَـا بَلَـىٰ وَلَعَلَّهَـا ... إنِ النَّـاسُ حَجُّـوا قـابـلاً أَنْ تُـوَافِيَـا

فقالَ عُمَرُ لأميرِ عَسْكرِه : إنْ ظَفرتَ بهٰذه عنوَة ، فادْفَعها إلى ابنِ أبي بَكر ، فظَفرَ بها ، فدَفعَها إليه فأُعْجِبَ بها ، وآثَرها علىٰ نِسائه ، حتَّىٰ شَكوْنَه إلىٰ عائشَة ، فقالَت له : لَقد أفْرَطتَ فقالَ : واللهِ إنِّي لأرشُفُ من ثَنَاياها حَبَّ الرُّمَّان فأصابَها وَجَعٌ فسَقَطَت أسْنانَها ، فجَفَاها ، حتَّىٰ شَكَتهُ إلىٰ عائشَة فكلَّمَته قالَ : فجَهَّزَها إلىٰ أهْلِها وكانَت من بَنَاتِ الْمُلوكِ[2] .

ذَكرَ الزُّبَيرُ بنُ بكَّار أنَّ عُبَيدَ الله بنَ أبي مُلَيْكَة عن أبيه عن جَدِّه قالَ : دَخلَ ابنُ أبي عَمَّار وهو يَومئذ فَقيهُ أهلِ الحِجازِ علىٰ نَخَّاس فعَرضَ عليه جارِيَةً فعَلقَ بها وأخَذَه أمْرٌ عَظيمٌ ولَمْ يَكنْ مَعه مِقْدارُ ثَمنِها فمَشَىٰ إليه عَطاءٌ وطَاوُوسٌ ومُجاهِدٌ يَعْذُلونَه وبَلَغَ خَبرُه عبدَ الله فاشْتَراها بأرْبَعينَ ألْفاً وزَيَّنَها وحَلاَّها ثم طَلَبَ ابنَ أبي عَمَّار فقَالَ : ما فَعلَ حُبُّكَ فُلانَة ؟ قالَ : هي التي هامَ قَلبي بذِكْرِها والنَّفْسُ مَشْغُولَةٌ بها فقالَ : يا جارِيَة أخْرجيها فأخْرَجَتْها تَرفُلُ في الحُلِيِّ والحُلَلِ ، فقالَ شَأنُك بها بارَكَ اللهُ لكَ فيها فقالَ : تَفَضَّلتَ بشَيءٍ ما يَتفضَّلُ به إلاَّ الله فلمَّا وَلَّىٰ بها قالَ يا غُلامُ احْملْ مَعه مئةَ ألفِ دِرهَم فقالَ : لَئنْ واللهِ وُعِدْنا نَعيمَ الآخِرَة فقد عَجَّلتَ نَعيمَ الدُّنيا[3] .

الْمَجْنون :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : قَيسُ بنُ الْمُلَوَّح ، من بَني عامِرِ بنِ صَعْصَعَة ، الذي قَتَله الحُبُّ في لَيْلَىٰ بنتِ مَهْدي العَامِريَّة[4] .

---

(١) قوله (تَدمَّنُ بُصْرَىٰ) أي : تَغشاها وتلزمها .

(٢) انظر السير : (عبدُ الرحمٰن بن أبي بَكر الصِّدِّيق) ٢/ ٤٧١ـ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٢ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/٤٥٦ـ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٩ .

(٤) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٢٩ .

قد أنْكَرَ بَعضُهُم لَيْلَىٰ والمَجْنونَ ، وهـٰذا دَفعٌ بالصَّدر ، فما مَنْ لَمْ يَعْلَمْ حُجَّة علىٰ مَنْ عِندَه عِلمٌ ، ولا المُثْبِتِ كالنَّافي ، لكنْ إذا كان المُثْبِتُ لشَيءٍ شِبْهَ خُرافَة ، والنَّافي لَيسَ غَرضُه دَفعَ الحَقِّ ، فهُنا النَّافي مُقدَّمٌ ، وهُنا تَقعُ المُكابَرَة وتُسْكَبُ العَبْرةُ ، فقيلَ : إنَّ المَجْنونَ عَلِقَ لَيْلَىٰ عَلاقَةَ الصِّبَا وكانا يَرْعَيان البَهْمَ[1] . ، [2] .

ألا تَسْمَعْ قَولَه وما أفْحَلَ شِعْرَه :

تَعلَّقْــتُ لَيْلَــىٰ وَهْــيَ ذَاتُ ذُؤَابَــةٍ وَلَمْ يَبْدُ لْلأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنا إلَى اليَومِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ البَهْمُ

فاشتَدَّ شَغَفُه بها حتَّىٰ وُسْوسَ وتَخبَّلَ في عَقلِه[3] .

قالَ أبو عُبَيدَة : تَزايَدَ به الأمْرُ حتَّىٰ فَقَدَ عَقلَه ، فكانَ لا يُؤْويه رَحْلٌ ولا يَعلُوهُ ثَوبٌ إلاَّ مَزَّقَه ، ويُقالُ : إنَّ قَومَ لَيْلَىٰ شَكَوا الْمَجْنُونَ إلى السُّلطَانِ ، فأَهْدَرَ دَمَه ، وتَرحَّلَ قَومُها بهَا .

فجاءَ وبَقِيَ يَتمَرَّغُ في الْمَحِلَّة ، ويَقولُ[4] :

أَيَا حَرَجات[5] الحيِّ حيث تحمَّلوا بِــذي سلــم[6] لا جــادكُــنَّ ربيــعُ
وخيماتُكَ اللاتي بِمُنْعَرجِ اللِّوى بَلِيــنَ بِلَــىً لــم تَبْلَهُــنَّ رُبُــوعُ

وقيلَ : إنَّ قَومَه حَجُّوا به لِيَزورَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ويَدعُو حتَّىٰ إذا كانَ بِمِنَىٰ سَمعَ نداءً : يا لَيْلَىٰ ، فغُشيَ عليه وجَزعَتْ هي لِفِراقِه وضَنِيتْ ، وشِعرُه كَثيرٌ من أرَقِّ شَيءٍ وأعْذَبِه ، وكانَ في دَولَةِ يَزيدَ وابنِ الزُّبَيْر[7] .

---

(١) البُهْم : جمع بَهْمة ، وهو الصغير من الضأن ، الذكر والأنثىٰ في ذلك سواء .
(٢) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ ٧ ، وانظر النزهة : ٤٢٩/ ٢ .
(٣) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ ٧ ، وانظر النزهة : ٤٢٩/ ٣ .
(٤) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ ٧ ، وانظر النزهة : ٤٢٩/ ٤ .
(٥) حرجات : جمع حرجة ، وهي الغيضة الملتفة الشجر ، أو الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الأيدي .
(٦) ذو سلم : موضع بالحجاز .
(٧) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ ٧ ، وانظر النزهة : ٤٣٠/ ١ .

جَميلُ بنُ عَبدِ الله :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : ابنُ مَعْمَر أبو عَمْرٍو العُذْريُّ الشَّاعِرُ البَليغُ ، صاحِبُ بُثَيْنَة .

وما أحْلَى اسْتِهْلالَه حيثُ يَقولُ :

ألا أيهــا النُّــوَّام ويحكُــمْ هبُّــوا   أسائلكمُ هل يقتُلُ الرَّجُلَ الحبُّ

ويُحكَىٰ عنه تَصَوُّنٌ ودينٌ وعِفَّةٌ .

يُقالُ : ماتَ سَنَةَ اثنتَينِ وثَمانينَ وقيلَ : بَلْ عاشَ حتَّىٰ وَفَدَ علىٰ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيز.

ونَظْمُه في الذُّروَة ، يُذكَرُ مع كُثَيِّرِ عَزَّة والفَرَزْدَق[1] .

٢ـ شِعْرٌ في الحُبِّ والغَزَل :

وقد هَوِيَ عبدُ الرحمَـٰن بنُ أبي بَكر الصِّدِّيق ابنَةَ الجُوديِّ ، وتَغَزَّلَ فيها بقَولِه :

تـذكـرتُ ليلـىٰ والسمـاوةُ دونَهـا   فمـا لابنِة الجـوديِّ ليلـىٰ ومـا ليـا

وأنـىٰ تُعـاطـي قلبَـهُ حـارثيـةٌ   تدمَّن بصرىٰ[2] أو تحلُّ الجَوابيا

وأنَّـىٰ تُـلاقيهـا بلـىٰ ولعلهـا   إنِ النـاسُ حجُّوا قـابـلاً أنْ تُـوافيـا

فقالَ عُمَرُ لأميرِ عَسْكرِه : إنْ ظَفرتَ بهـٰذه عنوَة ، فادْفَعها إلى ابنِ أبي بَكر ، فظَفرَ بها ، فدَفَعها إليه فأُعْجِبَ بها ، وآثَرها علىٰ نِسائه ، حتَّىٰ شَكوْنَه إلىٰ عائشَة ، فقالَت له : لَقد أفرَطتَ فقالَ : والله إنِّي لأرشُفُ من ثنَاياها حَبَّ الرُّمَّان فأصابَها وَجَعٌ فسَقَطَت أسْنانَها ، فجَفَاها ، حتَّىٰ شَكَتهُ إلىٰ عائشَة فكلَّمَته قالَ : فجَهَّزَها إلىٰ أهْلِها وكانَت من بَناتِ الْمُلوكِ[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ قَيْسِ بنِ الْمُلَوَّح : ألا تَسْمَعْ قَولَه وما أفْحَلَ شِعْرَه :

---

(١) انظر السير : (جَميلُ بنُ عبد الله) ٤/ ١٨١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٧٢ .

(٢) قوله: (تَدمَّنُ بُصْرَىٰ) أي : تَغشاها وتلزمها .

(٣) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بن أبي بَكر الصِّدِّيق) ٢/ ٤٧١ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٢٩٢ .

تعلَّقــتُ ليلــىٰ وهــي ذاتُ ذؤابــةٍ ولم يبدُ للأترابِ من ثديها حجمُ
صغيرَيْنِ نرعى البَهْم يا ليتَ أننا إلى اليوم لم نكبُرْ ولم تكبُرِ البَهْمُ

فاشتَدَّ شَغَفُه بها حتَّىٰ وُسْوسَ وتَخبَّلَ في عَقلِه[١] .

قالَ أبو عُبَيدَة : تَزايَدَ به الأمْرُ حتَّىٰ فقَدَ عَقلَه ، فكانَ لا يُؤْويه رَحْلٌ ولا يَعلُوهُ ثَوبٌ إلاَّ مَزَّقَه ، ويُقالُ : إنَّ قَومَ لَيْلَىٰ شَكَوا الْمَجْنُونَ إلى السُّلطَانِ ، فأَهْدَرَ دَمَه ، وتَرحَّلَ قَومُها بهَا .

فجاءَ وبَقِيَ يَتمَرَّغُ في الْمَحِلَّة ، ويَقولُ [٢] :

أيا حرجات[٣] الحيِّ حيث تحمَّلوا بــذي سلــم[٤] لا جــادكُــنَّ ربيــعُ
وخيماتك اللاتي بمنْعَرَج اللِّوى بَلِيــنَ بِلــىً لــم تَبْلَهُــنَّ رُبــوعُ

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : ابنُ مَعْمَر أبو عَمْرٍو العُذْريُّ الشَّاعِرُ البَليغُ ، صاحِبُ بُثَيْنَة .

وما أَحْلَى اسْتِهْلالَه حيثُ يَقولُ :

ألا أيُّهــا النُّــوَامُ وَيحكــمْ هُبُّــوا أُسائِلكُمْ : هَلْ يقتلُ الرجلَ الحبُّ

ويُحكَىٰ عنه تَصَوُّنٌ ودينٌ وعِفَّةٌ .

يُقالُ: ماتَ سَنةَ اثنتَينِ وثَمانينَ وقيلَ : بَلْ عاشَ حتَّىٰ وَفَدَ علىٰ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ. ونَظمُه في الذُّروَة ، يُذكَرُ مع كُثَيِّرِ عَزَّة والفَرَزْدَق[٥] .

وقالَ الْمُرْسي :

أَبُثُّكَ ما في القلبِ من لَوْعةِ الحبِّ وما قدْ جَنَتْ تِلكَ اللِّحاظ علىٰ لُبِّي

---

(١) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٢٩ .
(٢) حرجات : جمع حرجة ، وهي الغيضة الملتفة الشجر ، أو الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الأيدي .
(٣) ذو سلم : موضع بالحجاز .
(٤) انظر السير : (الْمَجْنون) ٤/ ٥ـ٧ ، وانظر النزهة : ٤/٤٢٩ .
(٥) انظر السير : (جَميلُ بنُ عبد الله) ٤/ ١٨١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٧٢ .

أعــارتْنــيَ السُّقْــمَ التــي بجُفــونِهــا　　ولكنْ غدا سُقْمي على سُقْمِها يُربي

قــالَ الإمــامُ الـذهَبـيُّ مُعقِّبـاً : ولَـه أبْيـاتٌ رَقيقَـةٌ هَكَـذا ، وكـانَ بَحْـرَ مَعـارِف ، رَحمَهُ الله[1] .

٣ـ شِعْرٌ في فَقْدِ الأَحِبَّة :

قالَ أبو الفَضْل بنُ الْمَأمُون : أنْشَدَنا أبو عَليٍّ بنُ مُقْلَة لنَفسِه[2] :

إذا أتـــى المـــوتُ لميقـــاتِـــهِ　　فَخَـــلٍّ عَـــنْ قـــولِ الأطبـــاءِ
وإنْ مضـــىٰ مَـــنْ أنـــتَ صـــبٌّ بـــهِ　　فـــالصبـــرُ مِـــنْ فِعْـــلِ الألِبَّـــاءِ
مـــا مَـــرَّ شـــيءٌ ببنـــي آدمٍ　　أمـــرُّ مِـــنْ فَقْـــدِ الأحبـــاءِ

٤ـ صُورٌ من العِشْقِ المُحَرَّم :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الطَّائعِ لله العَبَّاسيِّ : وجَرَت وَقْعَةٌ بينَ عِزِّ الدَّولَة ، وعَضُدِ الدَّولَة ، أُسِرَ فيها مَمْلوكٌ أمْرَدُ لِعِزِّ الدَّولَةِ فجُنَّ عليه ، وأخَذَ في البُكاءِ ، وتَركَ الأكْلَ وتَذلَّلَ في طَلبِه ، فصَارَ ضُحْكَةً وبَذَلَ جَاريَتَينِ عَوَّادَتَينِ في فِدَائِه[3] .

* * *

---

(١) انظر السير : (الْمُرْسِي) ٢٣/ ٣١٢ـ٣١٨ ، وانظر النزهة : ١/١٧٣٨ .
(٢) انظر السير : (ابنُ مُقْلة) ١٥/ ٢٢٤ـ ٢٣٠ ، وانظر النزهة : ١/١٢٢٣
(٣) انظر السير : (الطَّائع لله) ١٥/١١٨ـ١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١١٩١ .

أخْبارُ النِّساء

١ـ مِثالٌ علىٰ مُكثِ النِّساء في بُيوتِهنَّ وعَدمِ الخُروج إلاَّ لحَاجَة :

قالَ مَهْدي بنُ مَيْمُون : مَكَثَت حَفْصَةُ بنتُ سِيرينَ ثَلاثينَ سَنةً لا تَخرُجُ من مُصَلاَّها إلاَّ لِقائلَةٍ أو قَضاءِ حاجَة[١] .

٢ـ الحاكمُ بأمْر الله فرضَ على النِّساء الإقَامة الجَبريَّة في البُيوت :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحاكِمِ العُبَيْديِّ ، صاحِبِ مِصْرَ : ومَنعَ النِّساءَ من الخُروجِ من البُيوتِ ، فأحْسَنَ ، وأبْطَلَ عَملَ الخِفافِ لهُنَّ جُملَة ، وما زِلْنَ مَمْنوعاتٍ من الخُروجِ سَبعَ سِنينَ وسَبعَةَ أشْهُر[٢] .

٣ـ الحُرَّةُ لا تَزْني :

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ العَزيزِ بالله العُبَيْديِّ ، صاحِبِ مِصْر : وفي سَنة سِتٍّ وسِتِّينَ وثَلاثِ مئة حَجَّت جَميلةُ بنتُ ناصِرِ الدَّولَة ، صاحِبِ المَوْصِل فممَّا كانَ مَعَها أرْبَعُ مئَة مَحْمَل فكانت لا يُدْرَىٰ في أي مَحْمَل هي وأعْتَقَت خَمسَ مئَة نَفْس ونثَرَت على الكَعْبَة عَشرَةَ آلاف مِثْقال وسَقَت جَميعَ الوَفْدِ سَوِيقَ السُّكَّر والثَّلْج ، كذا قالَ الثَّعالبيُّ ، وخَلعَت وكَسَت خَمسينَ ألفاً ولقد خَطبَها السُّلْطانُ عَضُد الدَّولَة فأبَتْ فحَنَقَ لذلك ، ثم تمَكَّنَ منها فأفْقَرَها وعَذَّبَها ، ثم ألْزَمَها أنْ تَعقدَ في الحانَة لتحصلَ من الفاحشَة ما تُؤدِّي ، فمَرَّتْ معَ الأعْوانِ ، فقَذَفَتْ نَفْسَها في دِجْلَةَ ، فغَرقَت ، عَفَا اللهُ عَنها .

وفي سنة سِتٍّ وثَمانينَ في رَمضَانَ ماتَ العَزيزُ ببُلْبيسَ في حمَّام من القُولَنج ، وعُمرُه اثنَتان وأرْبَعون سَنةً وأشْهُر وقامَ ابنُه الحاكِمُ الزِّنْديقُ[٣] .

---

(١) انظر السير : (حَفصَة بنتُ سِيرين) ٤/٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٤٦ .

(٢) انظر السير : (الحاكم) ١٥/١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٠٨ .

(٣) انظر السير : (العَزيزُ بالله) ١٥/١٦٧ـ ١٧٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٠٧ .

٤ـ مِنْ أخْبار الجَواري :

(أ) جَوارٍ يَحْفَظْنَ القُرآنَ :

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ زُبَيْدَة بنتِ جَعْفَر الْمَنْصور ، زَوجَة هَارونَ الرَّشيد : كانَ في قَصْرِها من الجَواري نَحوٌ من مئة جاريَة كُلُّهنَّ يَحفَظنَ القُرآنَ[١] .

(ب) أخْبارُهُنَّ مع مَواليهِنَّ العُلَماء :

قالَ أبو العَبَّاسِ الأزْهَريُّ : سَمعتُ خادِمَةَ محمَّد بنِ يَحْيَى الذُّهْليِّ ، وهو على السَّريرِ يُغَسَّل ، تَقولُ : خَدَمتُه ثَلاثينَ سَنةً ، وكُنتُ أضَعُ له الْمَاءَ ، فمَا رَأيتُ سَاقَه قَطُّ ، وأنا مِلكٌ له[٢] .

وقالَ خَيثَمةُ بنُ سُليمانَ : مَازَحَ العَبَّاسُ بنُ الوَليد يَوماً جَاريَةً له فدَفعَتهُ فوَقَعَ ، فانْكسَرَت رِجلُه ، فلَمْ يُحدِّثْنا عِشرينَ يَوماً فكُنَّا نَلْقَى الجاريَةَ ، ونَقولُ : حَسْبُكِ اللهُ كمَا كَسَرتِ رِجْلَ الشَّيخِ ، وحَبَستِنَا عن الحَديثِ[٣] .

٥ـ مَواقِفُ عَظيمَةٌ لِنساءٍ عَظيماتٍ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي بَكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، في وَقْعَة مَرْج الصفر : وقالَ سَعيدُ بنُ عَبدِ العَزيزِ : الْتَقَوا على النَّهْرِ عندَ الطَّاحُونَة ، فقُتلَت الرُّومُ يومَئذٍ حتَّىٰ جَرَى النَّهْرُ وطَحنَت طاحُونتَها بدِمائهم ، فأنْزِلَ النَّصْرُ .

وقَتلَت يَومئذٍ أمُّ حَكيم سَبعَةً من الرُّومِ بِعَمودِ فُسْطاطِها[٤] .

ورُوِيَ أنَّ نائلَةَ بنتَ الفَرافِصَة ، زَوْجَةَ عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه كانَت مَليحَةَ الثَّغْرِ ، فكَسَرَت ثَنايَاها بحَجَرٍ ، وقالَت : والله لا يَجْتَلِيكُنَّ أحَدٌ بعدَ عُثْمانَ ، فلمَّا

---

(١) انظر السير : (زُبَيْدَة) ١٠/ ٢٤١ ، وانظر النزهة : ١/٨٧٣ .
(٢) انظر السير : (الذُّهْليُّ وابنُه) ١٢/ ٢٧٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٠٠ .
(٣) انظر السير : (البَيْروتيُّ) ١٢/ ٤٧١ـ ٤٧٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٢٢ .
(٤) انظر السير : (أبو بَكر الصِّدِّيق) ، وانظر النزهة : ١/٤٣ .

قَدِمَت علىٰ مُعاويَةَ الشَّامَ خَطَبَها ، فأبَتْ[1] .

وعن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قالَ : خَطَبَ أبو طَلْحَة أمَّ سُلَيم ، فقالَت : أمَا إنِّي فيكَ لرَاغِبَة ، وما مِثلُكَ يُرَدُّ ، ولَكنَّكَ كافِرٌ ، فإنْ تُسْلِمْ فذَلكَ مَهْري ، لا أسْألُكَ غيرَه فأسْلَمَ ، وتزوَّجَها .

قالَ ثابتٌ : فما سَمِعنا بمَهْرٍ كانَ قَطُّ أكْرَمَ من مَهْرِ أُمِّ سُلَيم : الإسْلامُ[2] .

قالتَ عائشَةُ : أوَّلُ ما بُدىء به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الوَحْي الرُّؤيا الصَّالِحَة إلىٰ أنْ قالَت : فقالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[3] قالَت : فرَجَعَ بها تَرجُفُ بَوادِرُه[4] حتَّىٰ دَخلَ علىٰ خَديجَة ، فقالَ : « زَمِّلُونِي » فزَمَّلوه حتَّىٰ ذَهبَ عنه الرَّوْعُ ، فقالَ : « مَا لِي يَا خَديجَة ؟ » وأخْبَرَها الخبرَ وقالَ : « قَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي » فقالَت لَه : كَلاَّ ، أبْشِرْ ، فواللهِ لا يُخْزيكَ اللهُ أبداً ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحَديثَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتُعينُ عَلىٰ نَوائبِ الحَقِّ وانْطَلقَتْ به إلى ابنِ عَمِّها وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلِ بنِ أَسَد ، وكانَ امْرأً تنصَّرَ في الجَاهليَّة ، وكانَ يَكتُبُ الخَطَّ العَربيَّ ، وكتَبَ بالعَربيَّة من الإنْجيل ما شاءَ اللهُ أنْ يَكتُبَ ، وكانَ شَيخاً قد عَمِيَ فقالَت : اسْمَعْ من ابنِ أخيك ما يَقولُ : فقالَ : يا ابنَ أخي ، ما تَرَى ؟ فأخْبَرَه فقالَ : هَـٰذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علىٰ مُوسَى الحديث[5] ، [6] .

شَهِدَتْ أُمُّ عُمَارَة لَيْلَةَ العَقَبَةِ ، وشَهِدَتْ أُحُداً ، والحُدَيْبِيَة ، ويومَ حُنَيْنٍ ، ويومَ اليَمَامَة وجاهَدتْ ، وفَعَلَتْ الأفاعِيلَ ، وقُطعَت يدُها في الجِهَادِ .

---

(١) انظر السير : (عُثْمانُ بنُ عَفَّان) ، وانظر النزهة : ٨٠/ ١ .
(٢) انظر السير : (أبو طَلْحَة الأنْصاريّ) ٢/ ٢٧ـ ٣٤ ، وانظر النزهة : ٢١٣/ ٥ .
(٣) سورة العلق ، الآية : ١ .
(٤) جمع بادرة ، وهي لحمة بين المنكب والعنق .
(٥) وتَمامُه : ليتَني فيها جذعاً ، ليتَني أكونُ حيّاً إذ يُخرجُك قَومُك ، قالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أوَمُخْرجيَّ هُم!! ؟ » قال ورقَةُ : نعم ، لم يأتِ رجلٌ بما جئت به إلاَّ أوذيَ ، وإن يُدركني يومُك أنْصُرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشَب ورقَةُ أن تُوفِّيَ ، وفَتر الوَحيُ .
(٦) انظر السير : (خَديجَة أمُّ المؤمنين) ٢/ ١٠٩ـ ١١٧ ، وانظر النزهة : ٢٢٧/ ٤ .

وكان ضَمْرَةُ بنُ سَعِيدٍ المَازِنِيّ يُحَدِّثُ عن جَدَّتِه ، وكانت قد شَهِدَتْ أُحُداً ، قالت : سَمعتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « لَمُقَامُ نَسِيبَةَ بنت كعْبٍ اليومَ خَيرٌ مِنْ مُقَامِ فُلان وفُلان » .

وكانت تَرَاهَا تُقَاتِلُ أَشَدَّ ما يكونُ القِتَالُ ، وإنَّها لحَاجِزَةٌ ثَوْبَها علىٰ وَسَطِهَا حتىٰ جُرِحَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحاً ، وكانت تقولُ : إنِّي لأنْظُرُ إلى ابنِ قَمِئَة وهو يَضْرِبُها علىٰ عَاتِقِها ، وكان أعْظَمَ جِرَاحِهَا ، فدَاوَتْهُ سَنَةً ثم نادَىٰ مُنَادِي رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ حَمْراءِ الأَسَد فشَدَّتْ عليها ثِيَابَها ، فما اسْتَطَاعَتْ من نَزْفِ الدَّمِ رَضِيَ الله عنها وأَرْضاها ورَحِمَها .

وعن عُمَارَةَ بنِ غزيّة قال : قالَتْ أُمُّ عُمَارَة : رَأَيتُنِي ، وانْكَشَفَ النَّاسُ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فما بَقِيَ إلاَّ نُفَيْرٌ ما يُتِمُّونَ عَشرة ، وأنا وابْنَايَ وزَوْجِي بينَ يَدَيْهِ نَذُبُّ عنه ، والنَّاسُ يَمُرُّونَ به مُنْهَزِمِينَ ، ورَآنِي ولا تُرْسَ مَعِي ، فرَأىٰ رَجُلاً مُوَلِّياً ومعه تُرْسٌ ، فقال : « أَلْقِ تُرْسَكَ إلىٰ مَنْ يُقَاتِلُ » فألْقَاهُ فأَخَذْتُه فجعَلتُ أَتَرَّسُ به عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وإنَّما فَعَلَ بنا الأفَاعِيلَ أصْحابُ الخَيْلِ ، لَوْ كانُوا رَجَّالةً مِثلَنا أَصَبْناهم إنْ شَاءَ اللهُ ، فيُقْبِلُ رَجلٌ علىٰ فَرَسِه يَضْرِبُنِي ، وتَرَّسْتُ له ، فلَمْ يَصْنَعْ شَيئاً ، فأَضْرِبُ عُرقوبَ فَرَسِه ، فوَقَعَ علىٰ ظَهْرِه فجعَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَصِيحُ : « يا ابْنَ أُمِّ عُمَارَةَ ، أُمَّكَ! أُمَّكَ! » ، قالت : فعَاوَنَنِي عليه ، حتىٰ أَوْرَدْتُه شعوب[١] .

وعن مُحمَّدِ بنِ يَحْيَىٰ بنِ حَبَّان قال : جُرِحَتْ أُمُّ عُمَارَة بأُحُدٍ اثْنَي عَشرَ جُرْحاً ، وقُطِعَتْ يَدُها يومَ اليَمَامَةِ ، وجُرِحَتْ يومَ اليَمَامَةِ سِوَىٰ يدِها أَحَدَ عَشَرَ جُرْحاً ، فقَدِمَتِ المدينَةَ وبها الجِرَاحَةُ ، فلقد رُئِيَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وهوَ خَلِيفَةٌ ، يأتِيهَا يَسْأَلُ عنها[٢] .

---

(١) شعوب : من أسماء المنيّة .

(٢) انظر السير : (أم عُمارة) ٢/٢٧٨ـ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/٢٥٨ .

وعن أسماءَ بنتِ الصِّدِّيقِ ، قالَت : لَمَّا تَوجَّه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من مَكةَ حَمَلَ أبُو بَكر مَعَه جَميعَ مالِه ـ خَمسَةَ آلافٍ ، أو سِتَّةَ آلافٍ ـ فأتاني جَدِّي أبو قُحافَة وقد عَمِيَ ، فقالَ : إنَّ هـٰذا قد فَجعَكم بمَالِه ونَفسِه فقُلتُ : كلاَّ ، قد تَركَ لنا خَيراً كَثيراً .

فعَمدْتُ إلىٰ أحْجَارٍ ، فجَعَلْتُهنَّ في كوَّةِ البَيتِ ، وغَطَّيتُ عليها بثَوبٍ ، ثم أخَذتُ بيَدِه ، ووَضَعتُها على الثَّوْبِ ، فقُلتُ : هـٰذا تَركَه لنا فقالَ : أمَّا إذ تَركَ لكم هـٰذا ، فنَعَم[1] .

جَاءَ في تَرجَمَةِ أُمِّ سُلَيم (الغُمَيْصَاء) : قال الذَّهَبيُّ : شَهِدَتْ حُنَيْناً ، وأُحُداً من أَفَاضِلِ النِّساء .

وعن أَنَسٍ : أنَّ أُمَّ سُلَيم اتَّخَذتْ خِنْجَراً يومَ حُنَين ، فقال أبو طَلْحَة : يا رسُولَ الله هـٰذه أُمِّ سُلَيم معها خِنْجَرٌ! فقالت : يا رسُولَ الله ، إنْ دَنَا مِنِّي مُشْرِكٌ بَقَرْتُ بَطْنَهُ .

وعن إسْحاقَ بنِ عبدِ الله ، عن جَدَّتِهِ أُمِّ سُلَيم : أنَّها آمَنَتْ برسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فجاء أبو يُونُس ، وكان غائِباً ، فقال : أَصَبَوْتِ ؟ فقالَت : ما صَبَوْتُ ، ولكنِّي آمَنْتُ! وجَعَلَتْ تُلَقِّنُ أَنَساً : قُلْ : لا إلـٰهَ إلاَّ الله ، قُلْ : أشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً رسُولُ الله ، ففَعَلَ فيقُولُ لهَا أبُوهُ : لا تُفْسِدِي عليَّ ابنِي ، فتقُولُ : إنِّي لا أُفْسِدُه!

فخَرَجَ مَالِكٌ ، فلَقِيَهُ عَدُوٌّ له فقَتَلَهُ فقالت : لا جَرَمَ ، لا أَفْطِمُ أَنَساً حتىٰ يَدَعَ الثَّدْيَ ، ولا أتَزَوَّجُ حتىٰ يأمُرَني أَنَسٌ فخَطَبَها أبو طَلْحَةَ ، وهو يَومَئِذٍ مُشْرِكٌ ، فأبَتْ[2] .

وعن أنَسٍ ، قالَ : خَطبَ أبو طَلْحَة أُمَّ سُلَيم ، فقالَت : إنَّه لا يَنْبَغي أنْ أتزوَّج مُشركاً ، أمَا تَعلمُ يا أبا طَلْحَة أنَّ آلِهَتكم يَنْحَتُها عبدُ آلِ فُلان ، وأنَّكم لَوْ أشْعَلتُم فيها

(١) انظر السير : (أسماءُ بنتُ أبي بَكر) ٢/ ٢٨٧ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/٢٦١ .
(٢) انظر السير : (أم سُليم الغُميصاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ١/٤٦٢ .

ناراً لاحْتَرقَت ؟ قالَ : فانْصَرفَ وفي قَلبه ذَلكَ ثم أتَاها وقالَ : الذي عَرَضْتِ عليَّ قد قَبلتُ قالَ : فمَا كانَ لهَا مَهْرٌ إلاَّ الإسْلام[1] .

وعن أنَسٍ ، قالَ : حدَّثتني أُمُّ حِرام بنتُ مِلْحان : أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ في بَيتِها يَوماً ، فاسْتَيقَظَ وهو يَضحَكُ فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ما أضْحَكَك ؟ قالَ صلى الله عليه وسلم : « عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ هَـٰذَا الْبَحْرِ ، كالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ » قُلتُ : يا رَسُولَ الله ، ادْعُ اللهَ أنْ يَجعَلَني منهم قالَ صلى الله عليه وسلم : « أنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ » .

فتَزوَّجَها عُبادَةُ بنُ الصَّامِتْ ، فغزَا بها في البَحْرِ ، فحَمَلَها مَعَه فلمَّا رَجَعُوا قُرِّبَتْ لها بَغْلَةٌ لِتَركَبَها فصَرعَتْها ، فدَقَّتْ عُنُقَها ، فمَاتَتْ رَضيَ اللهُ عنها .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : يُقالُ هـٰذه غَزوَةُ قُبرُس[2] في خِلافَة عُثْمانَ رضي الله عنه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : إنَّ قَبرَها تَزورُه الفِرَنْجُ[3] .

وقال حَمَّادُ بنُ سَلَمَة : أخْبَرَنا ثابتٌ : أنَّ صِلَةَ بنَ أشْيَم كان في الغَزْوِ ، ومعَه ابنُه ، فقال : أيّ بُنَي! تقَدَّم ، فقَاتِل حتىٰ أَحْتَسِبَك ، فحَمَلَ ، فقَاتَلَ حتىٰ قُتِلَ ، ثم تَقَدَّمَ صِلَةُ ، فقُتِلَ ، فاجْتَمعَ النِّساءُ عند امْرَأتِه مُعاذَة ، فقالت : مَرْحَباً إنْ كنْتُنَّ جِئتُنَّ لتُهَنِّئْنَنِي ، وإنْ كنْتُنَّ جِئتُنَّ لغيرِ ذلك فارْجِعْنَ[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مُعاذَة ، زَوجَة صِلَة بنِ أشْيَم : ولَمَّا اسْتُشهِدَ زَوجُها صِلَةُ وابنُها في بعضِ الحُروبِ ، اجْتَمعَ النِّساءُ عندَها فقالَتْ : مَرحباً بِكُنَّ إنْ كُنْتُنَّ جِئتُنَّ للهَناءِ ، وإنْ كُنْتُنَّ جِئتُنَّ لغَيرِ ذلك فارْجِعْنَ[5] .

---

(١) انظر السير : (أم سُليم الغُميصاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٦٢ .

(٢) هي الجزيرة المعروفة إلى اليوم باسم « قبرص » ، وكان أمير ذلك الجَيش معاوية بن أبي سفيان ، ومعه أبو ذر وأبو الدَّرْداء ، وغيرهما من الصحابة ، وذلك سنة سبع وعشرين .

(٣) انظر السير : (أمُّ حِرام) ٢/٣١٦ـ ٣١٧ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٧ .

(٤) انظر السير : (صِلة بن أشيم) ٣/ ٤٩٧ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٢/٦١٤ .

(٥) انظر السير : (مُعاذَة) ٤/٥٠٨ـ ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٦/٥٤٦ .

٦ـ النِّسَاءُ فِتْنَة :

عن سَعيدِ بنِ الْمُسَيِّب ، قالَ : ما أَيِسَ الشَّيطَانُ من شَيءٍ إلاَّ أتَاهُ من قِبَل النِّسَاء[١] .

وعن عَطاءِ بنِ أبي رَباح قالَ : لَوْ ائتُمِنتُ علىٰ بَيتِ مَالٍ لَكُنتُ أميناً ، ولا آمَنُ نَفسِي علىٰ أمَةٍ شَوْهَاء .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : صَدَقَ رَحمَهُ اللهُ ففي الحَديثِ « أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ ، فَإنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ » .

ماتَ عَطاءٌ سَنةَ خَمسَ عَشرَة ومئة[٢] .

وقالَ ابنُ الْمَاجِشُونَ وآخَرُ : إنَّ يَزيدَ بنَ عبدِ الْمَلكِ قالَ : واللهِ ما عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ بأَحْوَجَ إلى الله منِّي ، فأقامَ أرْبَعين يَوماً يَسيرُ بسِيرَتِه ، فتَلطَّفَت حَبابَةُ وغَنَّتْهُ أبْياتاً ، فقالَ للخادِمِ : وَيْحَكَ! قُلْ لِصَاحِبِ الشُّرَطِ يُصلِّي بالنَّاسِ[٣] .

وهيَ التي أَحَبَّ يَوماً الخُلوَةَ مَعها ، فحَذفَها بِعنَبَةٍ ، وهي تَضحَكُ ، فوَقَعَت في فيها فشَرِقَت ، فماتَت ، وبَقِيَت عندَه حتَّىٰ أرْوَحَت واغْتَمَّ لها ، ثم زارَ قَبرَها وقالَ :

فإنْ تَسْلُ عنك النفسُ أو تدعِ الصِّبا ... فباليأسِ تسلو عنكِ لا بالتَجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ زارني فهو قائلٌ ... من أجلكِ هٰذا هامَةُ اليومِ أوْ غَدِ

ثم رَجعَ ، فما خَرجَ إلا على النَّعْشِ ، وقيلَ : عاشَ بعدَها خَمسةَ عَشرَ يَوماً .

وكانَت بَديعَةَ الحُسْنِ مُجيدَةً للغِناءِ ، لامَهُ أخُوهُ مَسْلَمَةُ من شَغَفِهِ بها ، وتَرْكِه مَصَالِحَ الْمُسْلمينَ ، فما أَفاد .

وكانَ لا يَصلُح للإمَامَة ، مَصرُوفَ الهِمَّة إلى اللَّهْوِ والغَواني .

---

(١) انظر السير : (سَعيدُ بنُ الْمُسَيِّب) ٤/ ٢١٧ـ ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ١/ ٤٨٧ .

(٢) انظر السير : (عَطاءُ بنُ أبي رَباح) ٥/ ٧٨ـ ٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/ ٥٨٣ .

(٣) انظر السير : (يَزيدُ بنُ عبد الْمَلك) ٥/ ١٥٠ـ ١٥٢ ، وانظر النزهة : ٢/ ٥٩٣ .

ماتَ لخَمسٍ بَقينَ من شَعْبانَ سَنةَ خَمسٍ ومئة ، فكانَتْ دَوْلَتُه أرْبَعَة أعْوامٍ وشَهْراً ، وعَهدَ بالخِلافَة إلىٰ أخيه هِشامٍ ، ثم من بَعدِهِ لِوَلَدِه الوَليدِ بنِ يَزيد ، ذَاكَ الفُوَيْسِق ، وخلَّفَ أحدَ عَشرَ ابْناً[1] .

٧ـ التَّعلُّقُ بهنَّ مَشْغَلةٌ عن التَّرَقِّي :

قالَ خَلفُ بنُ تَميم : سَمعتُ سُفْيَانَ الثَّوْريَّ يقَولُ : مَنْ أحَبَّ أفْخاذَ النِّساءِ لَمْ يُفلِحْ[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (يَزيدُ بنُ عبد الْمَلك) ٥/ ١٥٠ـ ١٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٣ .

(٢) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٦٩٧ .

الزَّواج

١ـ حِرْصُ السَّلَف على الزَّواج :

وعن طاوُوسَ قالَ : لا يَتمُّ نُسُك الشَّابِّ حتَّىٰ يَتزَوَّجَ[١] .

وعن إبْراهيمَ بنِ مَيْسَرَةَ قالَ : قالَ لي طَاوُوسُ : تَزَوَّجْ أو لأقُولَنَّ لك ما قالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لأبي الزَّوائدِ : ما يَمْنَعُكَ من النِّكَاحِ إلاَّ عَجزٌ أو فُجُورٌ[٢] .

قالَ أحمَدُ بنُ حَنبَل : لَوْ كانَ بِشْرُ بنُ الحارِث تَزَوَّجَ لتَمَّ أمْرُه[٣] .

وقيلَ لأحمَد بنِ حَنْبَل : ماتَ بِشرٌ قالَ : ماتَ واللهِ وما له نَظيرٌ ، إلاَّ عامِرُ بنُ عَبدِ قَيْس فإنَّ عامِراً ماتَ ولَمْ يَترُكْ شَيئاً ثم قالَ أحمَدُ : لَوْ تَزوَّج[٤] .

٢ـ من أسْباب عَدَم زَواج بعض العُلَماء :

قالَ محمدُ بنُ طاهِر : سَألتُ الحافِظَ أبا إسْحاقَ الحَبَّال عن أبي نَصْر السِّجْزيِّ ، وأبي عبدِ الله الصُّوري ، أيُّهما أحْفَظُ ؟ فقالَ : كان السِّجْزيُّ أحْفَظُ من خَمسينَ مثل الصُّوريِّ ثم قالَ إسْحاقُ : كُنتُ يَوماً عند أبي نَصْر السِّجْزيِّ ، فدُقَّ البابُ ، فقُمتُ ففَتَحتُ ، فدَخلَت امْرأةٌ ، وأخْرَجَت كيساً فيه ألفُ دينار ، فوَضَعَته بينَ يَدي الشَّيخِ ، وقالَت : أنفِقْها كمَا تَرَى! قالَ : ما المَقصُودُ ؟ قالَت : تَتزوَّجُني ولا حاجَةَ لي في الزَّوجِ ، لكنْ لأخْدُمَك فأمَرَها بأخْذِ الكيسِ ، وأنْ تَنصَرِفَ ، فلمَّا انْصَرَفَت ، قالَ : خَرجتُ من سِجِسْتانَ بنيَّةِ طَلَبِ العِلمِ ، ومتىٰ تَزوَّجتُ ، سَقطَ عنِّي هـٰذا الاسمُ ، وما أوثِرُ علىٰ ثَوابِ طَلَبِ العِلمِ شَيئاً[٥] .

---

(١) انظر السير : (طاوُوس) ٥/٣٨ـ٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٥٧٩ .
(٢) انظر السير : (طاوُوس) ٥/٣٨ـ٤٩ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٩ .
(٣) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/٤٦٩ـ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٥ .
(٤) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/٤٦٩ـ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٧/٨٨٦ .
(٥) انظر السير : (أبو نَصْر السِّجْزيّ) ١٧/٦٥٤ـ٦٥٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٧٢ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كأنَّه يُريدُ متَىٰ تزوَّجَ للذَّهَب ، نَقُصَ أجْرُه ، وإلاَّ فلَوْ تَزَوَّجَ في الجُملَة ، لكَانَ أفْضَل ، ولَمَا قَدحَ ذلك في طَلبه العِلم ، بلْ يَكونُ قد عَمِلَ بمُقتَضَى العِلمِ ، لكنَّه كانَ غَريباً ، فخَافَ العَيْلَةَ ، وأنْ يَتفرَّقَ عَليه حَالُه عن الطَّلب .

تُوفِّيَ أبو نَصْر بمَكةَ سَنةَ أرْبَع وأرْبَعينَ وأرْبَع مئة[1] .

٣ـ الزَّوْجُ الصَّالح :

عن ثابتِ بنِ عُبَيد ، قالَ : كانَ زَيْدُ بنُ ثابت من أفْكَهِ النَّاسِ في أهْلِه وأزْمَتِه عندَ القَومِ[2] .

وقالَ شُرَيْحٌ القاضي[3] :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهم ... فشَلَّتْ يميني حينَ أضربُ زينبا

وزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لَمْ تُبْقِ منهنَّ كوكبا

قالَ عَبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حَنْبَل : كانَ أبي إذا أَتى البَيتَ من الْمَسجِدِ ، ضَربَ برِجلِه حتَّىٰ يَسْمَعوا صَوتَ نَعلِه ، ورُبَّما تَنَحْنَحَ لِيَعْلَموا به[4] .

قالَ الخَلاَّلُ : سَمعتُ الْمَرْوذيَّ ، سَمعتُ أبا عبدِ الله ، ذَكرَ أهْلَه فترحَّمَ عَليها ، وقالَ : مَكَثْنا عِشرينَ سَنةً ، ما اخْتَلَفْنا في كَلمَة وما عَلمْنا أحمَدَ تَزوَّجَ ثالثةً[5] .

٤ـ الزَّوْجَةُ الصَّالحَة :

عن الشَّعبيِّ قال : لَمَّا مَرِضَتْ فاطمةُ الزَّهْراءُ ، أتَىٰ أبو بكر رضي الله عنه فاسْتَأْذَنَ ، فقالَ عليٌّ : يا فاطمةُ ، هٰذا أبو بكر يَسْتَأْذِنُ عليكِ ، فقالت : أتُحِبُّ أنْ آذَنَ له قال : نعَمْ .

---

(١) انظر السير : (أبو نَصْر السِّجْزيّ) ١٧/ ٦٥٤ـ ٦٥٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٧٢ .

(٢) انظر السير : (زَيْد بنُ ثابت) ٢/ ٤٢٦ـ ٤٤١ ، وانظر النزهة : ٦/٢٨٧ .

(٣) انظر السير : (شُرَيْحُ القاضي) ٤/ ١٠٠ـ ١٠١ ، وانظر النزهة : ٥/ ٤٥٧

(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/ ٩٤٧ .

(٥) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/ ٩٤٨ .

قال الذهبيُّ : عَمِلَتْ السُّنَّةَ رَضي الله عنها ، فَلَمْ تَأذَنْ في بيتِ زَوْجِهَا إلاَّ بِأَمْرِه .

قال : فأذِنَتْ له ، فدَخَلَ عليها يَتَرَضَّاها ، وقال : والله ما تَرَكْتُ الدَّارَ والمالَ والأهلَ والعَشِيرَةَ إلاَّ ابتِغاءَ مَرْضاةِ اللهِ ورَسُولِه ومَرْضاتِكُم أَهْلَ البَيْتِ .

قال : ثُمَّ تَرَضَّاها حتَّىٰ رَضِيَتْ[1] .

تُوفِّيَتْ رضيَ اللهُ عنها بعدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بخَمْسَةِ شُهور أو نحوها ، وعاشَتْ أربَعَاً أو خَمْسَاً وعشرينَ سنةً[2] .

قالَ حُمَيدٌ : قالَ أنَس : ثَقلَ ابنٌ لأمِّ سُلَيم الغُمَيْصاء ، فخَرجَ أبو طَلْحَة إلى الْمَسجِدِ ، فتُوفِّيَ الغُلامُ فهَيَّأتْ أُمُّ سُلَيم أمْرَه ، وقالَت : لا تُخْبِروهُ .

فرَجَعَ ، وقد سَيَّرَت له عَشاءَه ، فتَعَشَّىٰ ، ثم أصابَ من أهْلِه فلمَّا كانَ آخِرَ اللَّيلِ ، قالَتْ : يا أبا طَلْحَة ، أَلَمْ تَرَ إلىٰ آلِ أبي فُلان اسْتَعارُوا عَارِيَةً ، فمَنَعُوها ، وطُلِبَتْ منهم ، فَشَقَّ عليهم فقالَ : ما أنْصَفُوا قالَت : فإنَّ ابْنَكَ كانَ عارِيَةً من الله ، فقَبَضَه فاسْتَرجَعَ ، وحَمِدَ اللهَ فلمَّا أصْبَحَ غَدا إلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا رآهُ ، قالَ : « بَارَكَ اللهُ لَكمَا في لَيْلَتِكمَا » .

فحَمَلت بعَبدِ اللهِ بنِ أبي طَلْحَة ، فوَلَدَت لَيلاً ، فأرْسَلَت به معي ، وأخَذتُ تَمْرات عَجوَة ، فانتُهيتُ به إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يَهْنأ أباعِرَ له ، ويَسِمُهَا فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ، وَلَدَت أمُّ سُلَيم اللَّيلَة .

فمَضَغَ بَعضَ التَّمرات بريقِه ، فأوجَرَه إياه ، فتَلَمَّظَ الصَّبيُّ ، فقالَ : « حِبُّ الأنْصَارِ التَّمْرُ » فقُلتُ : سَمِّه يا رَسُولَ الله قالَ : « هو عَبدُ الله » .

عن عَبايَة بنِ رِفاعَة ، قالَ : كانَت أمُّ أنَس تَحْتَ أبي طَلْحَة فذَكرَ نَحْوَه وفيه : فقالَ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٧) وإسناده صحيح ، لكنه مرسل ، وذكره الحافظ في الفتح (٦/ ١٣٩) ونسبه إلى البيهقي ، وقال : وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح .

(٢) انظر السير : (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٣/ ٢٨٠ـ ٣٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٢٢٩ .

رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا فِي لَيْلَتِهِمَا » .

قالَ عَبايَةُ : فلَقَد رَأيتُ لذلك الغُلام سَبعَ بَنين ، كلُّهم قد خَتَمَ القُرآنَ[1] .

وعن أبي بَكر بنِ عبدِ الله بنِ أبي جَهْم ، قالَ : دَخلتُ علىٰ فاطِمَة بنتِ قَيْس ، وقد طلَّقَها زَوْجُها الحَديث فلمَّا حلَّتْ ، قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « هَلْ ذَكَرَكِ أَحَدٌ ؟ » قالَت : نعَم ، مُعاويَةُ وأبو الجَهْم فقالَ صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَشَدِيدُ الْخُلُقِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ ، لا مَالَ لَهُ وَلَكِنْ أُنْكِحُكِ أُسَامَةَ » فقُلتُ : أسامة ! ! ـ تَهاوُناً بأُسَامَة ـ ثم قُلتُ : سَمْعاً وطَاعَةً لله ولِرَسُولِه فزَوَّجَنيه ، فكَرَّمَني اللهُ بأبي زَيْد[2] ، وشَرَّفَني اللهُ ، ورَفَعَني به[3] .

وكانَت مُعَاذَةُ بنتُ عبدِ الله زَوْجَةُ صِلَةَ بنِ أشْيَم تَقولُ : واللهِ ما أُحِبُّ البَقاءَ إلاَّ لأتَقرَّبَ إلىٰ رَبِّي بالوَسائلِ ، لَعلَّه يَجمَعُ بَيني وبَينَ أبي الشَّعْثاء وابنِه في الجَنَّة .

كانَت وَفاتُها سَنةَ ثَلاثٍ وثَمانينَ[4] .

قالَ الخَلاَّلُ : سَمعتُ الْمَرْوذيَّ ، سَمعتُ أبا عبدِ الله ، ذَكرَ أهْلَه فترَحَّمَ عَليها ، وقالَ : مَكَثْنا عِشرينَ سَنةً ، ما اخْتَلفْنا في كَلمَة وما عَلمْنا أحمَدَ تَزوَّجَ ثالثةً[5] .

٥ـ مَنْ أرادَت أنْ تكونَ لِزَوْجِها في الآخِرَة :

عن جُبَيرِ بنِ نُفَير ، عن أُمِّ الدَّرْداءِ ، أنَّها قالَت لأبي الدَّرْداء عندَ الْمَوْتِ : إنَّك خَطَبْتَني إلىٰ أبَوَيَّ في الدُّنيا فأنْكَحُوكَ ، وأنا أخْطُبُكَ إلىٰ نَفسِكَ في الآخِرَة ، قالَ : فلا تَنْكِحِينَ بَعْدي فخَطَبَها مُعاويَةُ فأخْبَرَتْه بالذي كانَ فقالَ : عَليكِ بالصِّيامِ[6] .

---

(١) انظر السير : (أمُّ سُلَيم الغُمَيْصاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ٦/٢٦٥ .

(٢) أبو زَيْد : كنية أسامة .

(٣) انظر السير : (أسامَة بنُ زَيْد) ٢/ ٤٩٦ـ ٥٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٢٩٧ .

(٤) انظر السير : (مُعاذَة) ٤/ ٥٠٨ـ ٥٠٩ ، وانظر النزهة : ٧/٥٤٦ .

(٥) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/ ٩٤٨ .

(٦) انظر السير : (أُمُّ الدَّرْداء) ٤/ ٢٧٧ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٤٩٧ .

٦ـ حالُ الرَّجُل مع الزَّوْجَة الواحِدَة والزَّوْجَتَين :

عن ابنِ وَهْبٍ حدَّثنا مَالِكٌ قالَ : كانَ الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة نَكَّاحاً للنِّساءِ ويَقولُ : صاحِبُ الواحِدَة إنْ مَرِضَتْ مَرِض ، وإنْ حاضَتْ حَاض ، وصاحِبُ الْمَرْأتَينِ بينَ نَارَيْنِ تُشْعَلانِ ، وكانَ يَنْكِحُ أرْبَعاً جَميعاً ويُطَلِّقُهُنَّ جَميعاً[١] .

٧ـ صُوَرٌ من غَيْرَة النِّساء :

وعن عبدِ الله البَهيِّ ، قالَ : قالَت عائشَةُ : كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا ذَكرَ خَديجَةَ لَمْ يَكدْ يَسأمُ من ثَناءٍ عليها واسْتِغفارٍ لها ، فذَكرَها يَوماً ، فحَمَلتْني الغَيْرَةُ ، فقُلتُ : لقَد عوَّضَكَ اللهُ من كَبيرَةِ السِّنِّ قالَت : فرَأيتُه غَضِبَ غَضباً أُسْقِطْتُ في خَلَدي[٢] ، وقُلتُ في نَفسِي : اللَّهُمَّ إنْ أذْهَبتَ غَضَبَ رَسُولِك عنِّي لَمْ أعُدْ أذْكُرُها بسُوءٍ فلمَّا رَأى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ما لَقيتُ ، قالَ : « كيْفَ قُلْتِ ؟ وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إذْ كذَّبَنِي النَّاسُ ، وآوَتْنِي إذْ رَفَضَنِي النَّاسُ ، وَرُزِقْتُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحُرِمْتُمُوهُ مِنِّي » قالَت : فغَدا ورَاحَ عليَّ بها شَهْراً[٣] .

عن عائشَةَ : أنَّ نِساءَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم كُنَّ حِزْبَينِ ، فحِزْبٌ منه عائشَةُ وحَفْصَةُ وصَفيَّةُ وسَوْدَةُ ، والحِزْبُ الآخَرُ أمُّ سَلَمَةَ وسَائرُ أزْواجِه وكانوا الْمُسلمونَ قد عَلموا حُبَّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عائشَةَ ، فإذا كانت عندَ أحَدِهم هَديَّة يُريدُ أنْ يُهْديَها إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أخَّرَها ، حتَّىٰ إذا كانَ في بَيتِ عائشَة بَعثَ بها إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم في بَيتِ عائشَة فتكلَّم حِزبُ أمِّ سَلمَة فقُلنَ لها : كلِّمي رَسُولَ الله يُكلِّمُ النَّاسَ ، فيَقولُ : مَنْ أرادَ أنْ يُهْديَ إلىٰ رَسُولِ الله هَديَّة فليُهْدِ إليه حَيثُ كانَ من نِسائِه فكلَّمَتهُ أمُّ سَلمَة بما قُلنَ فلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيئاً فسَألْنَهَا فقالَتْ : ما قالَ لي شَيئاً فقُلنَ : كلِّميه قالَت : فكلَّمْتُه حينَ دارَ إليها فلَمْ يَقُلْ لهَا شَيئا فسَألْنَها

---

(١) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٣٢٥/ ٥ .

(٢) الخَلَدُ : البال والقلب والنفس .

(٣) انظر السير : (خَديجَةُ أمُّ الْمؤمنين) ٢/ ١٠٩ـ ١١٧ ، وانظر النزهة : ٢٢٦/ ٥ .

فقالَت : ما قالَ لي شَيئاً فقُلنَ لها : كلِّميه فدارَ إليها فكلَّمَتْه فقالَ لهَا : « لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إلاَّ عَائِشَةَ » فقالَت : أَتُوبُ إلى الله من أذاكَ يا رَسُولَ الله .

ثم إنَّهُنَّ دَعَوْنَ فاطِمَةَ بنتَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فأَرْسَلتْ إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، تَقولُ : إنَّ نِساءَكَ يَنْشُدنكَ العَدلَ في بنتِ أبي بَكر فكلَّمَتْه ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « يَا بُنَيَّةُ ، أَلا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ؟ » قالَت : بَلَىٰ فرَجَعَتْ إليهِنَّ وأخْبَرَتهُنَّ فقُلنَ : ارْجِعِي إليه ، فأبَتْ أنْ تَرجِعَ فأَرْسَلنَ زَيْنَبَ بنتَ جَحْشٍ فأَتَتْه فأغْلَظَتْ ، وقالَت : إنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ العَدْلَ في ابنَةِ أبي قُحَافَة فرَفَعَتْ صَوْتَها حتَّىٰ تَناوَلَت عائشَةَ ، وهي قاعِدَةٌ ، فسَبَّتْها ، حتَّىٰ إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لَيَنظُرُ إلىٰ عائشَةَ هَلْ تَتكلَّمُ قالَ : فتكلَّمَتْ عائشَةُ تَرُدُّ علىٰ زَيْنَبَ حتَّىٰ أَسْكَتَتْها فنَظرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ عائشَةَ ، وقالَ : إنَّها ابنَةُ أبي بَكر .

عن أبي مُوسَىٰ ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قالَ : « كَمُلَ مِنْ الرِّجَالِ كثِيرٌ وَلَمْ يَكمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إلاَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ »[١] .

وقالَت عائشَةُ : ما غِرْتُ على امْرأةٍ ما غِرْتُ علىٰ خَديجَةَ من كَثْرَةِ ما كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَذكُرُها .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وهَـٰذا من أَعْجَبِ شَيء أنْ تَغارَ رَضِيَ اللهُ عَنها من امْرأة عَجوزٍ تُوفِّيَت قَبلَ تَزوُّجِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بعائشَةَ بمُدَيدَة ، ثم يَحميها اللهُ من الغَيْرَة من عدَّة نِسْوَةٍ يُشارِكْنَها في النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فهَـٰذا من أَلْطَافِ الله بها وبالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، لِئلاَّ يَتكدَّرَ عَيشُهما ، ولَعلَّه إنَّما خَفَّفَ أَمْرَ الغيْرَة عَليها حُبُّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لهَا ومَيلُه إليها فرَضِيَ اللهُ عَنها وأَرْضَاها[٢] .

وعن عائشَةَ ، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ إذا خَرجَ ، أَقْرَعَ بينَ نِسائِه ،

---

(١) انظر السير : (عائشة أمُّ الْمؤمنينَ) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٣٢ .

(٢) انظر السير : (عائشة أمُّ الْمؤمنينَ) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ١/٢٣٩ .

فطارَت القُرْعَةُ لعائشَةَ وحَفْصَةَ ، وكانَ إذا كانَ باللَّيلِ ، سارَ مع عائشَةَ يَتحدَّثُ فقالَت حَفْصَةُ : ألا تَرْكَبينَ اللَّيلَةَ بَعيري ، وأرْكَبُ بَعيرَكِ تَنْظُرينَ وأنْظُرُ فقالَتْ : بَلَىٰ فرَكِبتُ فجاءَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ جَمَلِ عائشَةَ ، وعَليه حَفْصَةُ ، فسَلَّمَ عَليها ، ثم سارَ حتَّىٰ نزَلوا ، وافْتَقَدَتْه عائشَةُ فلمَّا نَزَلوا ، جَعَلتْ رِجْلَيْها بينَ الإذْخَرِ وتَقولُ : يا رَبِّ ، سَلِّطْ عَليَّ عَقْرَباً أو حَيَّةً تلدَغْني ، رَسُولُك ولا أسْتَطيعُ أنْ أقُولَ له شَيئاً أخرَجه مُسلِمٌ[١] .

وعن عَطاء ، سَمعَ عُبَيدَ بنَ عُمَير يَقولُ : سَمعتُ عائشَةَ تَزعُمُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يَمكُثُ عندَ زَيْنَبَ بنتِ جَحْش ، ويَشْرَبُ عندَها عَسَلاً فتَواصَيْتُ أنا وحَفْصَةُ أنَّ أيَّتُنا ما دَخلَ عَليها ، فلتَقُلْ : إنِّي أجدُ مِنْكَ رِيحَ مَغافِير[٢] أكَلْتَ مَغافِيرَ! فدَخلَ علىٰ إحْداهُما ، فقالَت له ذَلكَ قالَ : بلْ شَربتُ عَسَلاً عندَ زَيْنَبَ ، ولَنْ أعُودَ له فنَزلَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾[٣] إلىٰ قوله ﴿ إِن تَتُوبَآ ﴾ ـ يَعْني حَفْصَةَ وعَائشَةَ ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ ﴾ قَولُه : « بلْ شَربْتُ عَسَلاً »[٤] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمُعِزِّ : السُّلطَانُ الْمَلكُ الْمُعِزُّ عِزُّ الدُّنيا والدِّين أَيْبَكُ التُّرْكُمانيُّ الصَّالِحِيُّ الجَاشنْكير صاحبُ مِصْرَ لَمَّا قَتَلوا الْمُعَظَّمَ خَطَبُوا لأُمِّ خَليل أيَّاماً بالسَّلْطَنَة ، وكانَ الْمُعِزُّ أكبرَ الصَّالِحِيَّة ، وكانَ دَيِّناً عاقِلاً ، تَارِكاً للشُّربِ ، مَلَّكُوهُ وتَزوَّجَ بأُمِّ خَليل[٥] .

وكان في الْمُعِزِّ تُؤدَة ومُداراةٌ ، بنَىٰ مَدرسَةً كَبيرَةً ، ثم إنَّه خَطبَ ابنَةَ بَدر الدِّين صاحِبِ الْمَوْصِل ، فغارَت أمُّ خَليل فقَتلَتْه في حمَّام ، وَثبَ عَليه سنجرُ الجُوجري وخادمٌ ، فأمْسَكوا علىٰ بَيْضِهِ فتَلفَ ، وقُطِعَت هي نِصْفَين ، وقيلَ : بَلْ خُنِقَت ولَمْ

---

(١) انظر السير : (عائشة أمُّ الْمؤمنينَ) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٤١ .

(٢) المغافير : صمغ شبيه بالناطف ينضحه الغرفط ، فيوضع في ثوب ، ثم ينضح بالماء فيُشرب ، وله ريحٌ منكرة .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ١ .

(٤) انظر السير : (زَيْنَبُ أمُّ الْمؤمنين) ٢/ ٢١١ـ ٢١٨ ، وانظر النزهة : ٣/ ٢٤٨ .

(٥) انظر السير : (الْمُعِزُّ) ٢٣/١٩٨ـ ٢٠٠ ، وانظر النزهة : ١/١٧٢٨ .

تُوسط ، ورُميَت مَهْتُوكَة ، وصُلبَ الجُوجري والخدَّامُ[1] .

وكانَت شَجرُ الدُّرِّ أُمُّ خَليل أُمَّ وَلدٍ للصَّالحِ ذَاتَ حُسْنٍ وظُرْفٍ ودَهَاءٍ وعَقْلٍ ، ونالَت من العِزِّ والجَاه ما لَمْ تَنلْهُ امْرأةٌ في عَصْرِها ، وكانَ مَماليكُ الصَّالح يَخضَعُونَ لَها فمَلَّكوها بعدَ قَتلِ الْمُعظَّم أزْيَدَ من شَهْرَين ، وكانَ الْمُعزُّ لا يَقطَعُ أمراً دُونَها ولَهَا عَليه صَوْلَة ، وكانت جَرئيةً وَقِحَةً قَتلَت وَزيرَها الأسْعَدَ ، ودافَعَ مَماليكُ الصَّالح عن شَجر الدُّرِّ ، فلَمْ تُقتَل إلاَّ بعدَ اثنينِ وعِشرينَ يَوماً ، فقُتلَت ورُميَت مَهْتوكَة وكانت حَسَنَةَ السِّيرَة ، لكن هَلكَت بالغَيرةِ وكانَ الخُطَباءُ يَقُولونَ : (واحْفَظ اللَّهُمَّ الحُرمَةَ الصَّالِحَة مَلِكَةَ الْمُسلمينَ عِصْمَةَ الدُّنيا والدِّين أمَّ خَليل الْمُسْتَعصِمَة صاحِبَة السُّلطان الْمَلك الصَّالح)[2] .

٨ـ اخْتيارُ الزَّوْجِ الصَّالح للبَنَاتِ ضَرورَة :

قالَ أبو الْمَليحِ : جاءَ رَجلٌ إلىٰ مَيْمُونَ بنِ مِهْرانَ يَخطُبُ بِنتَه ، فقالَ : لا أرْضَاهَا لَكَ ، قالَ : ولِمَ ؟ قالَ : لأنَّها تُحبُّ الحُلِيَّ والحُلَلَ ، قالَ : فعندي من هٰذا ما تُريد ، قالَ : الآنَ لا أرْضَاكَ لَهَا[3] .

٩ـ مَنْ قُيِّدَ من العُلَماء بالزَّواج :

قالَ أحمَدُ العِجليُّ : لَمَّا دَخلَ مَعْمَرُ بنُ راشد صَنْعاءَ كَرِهوا أنْ يَخرُجَ من بَينِ أظْهُرِهم فقالَ لهم رَجلٌ : قَيِّدُوه قالَ : فزَوَّجُوهُ[4] .

١٠ـ كثْرَةُ الزَّواج :

عن الْمُغيرَةَ بنِ شُعْبَة قالَ : لقد تَزوَّجتُ سَبعينَ امْرأةً أو أكْثَر .

وعن ابنِ الْمُبارَك قالَ : كانَ تَحتَ الْمُغيرَة بنِ شُعْبَة أرْبَع نِسْوَة قالَ : فَصَفَّهُنَّ بينَ

---

(١) انظر السير : (الْمُعزُّ) ٢٣/١٩٨ـ ٢٠٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٢٨ .

(٢) انظر السير : (الْمُعزُّ) ٢٣/١٩٨ـ ٢٠٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٢٩ .

(٣) انظر السير : (مَيمونُ بنُ مِهْران) ٥/ ٧١ـ ٧٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٨٢ .

(٤) انظر السير : (مَعْمَرُ بنُ راشِد) ٧/ ٥ـ ١٨ ، وانظر النزهة : ٥/٦٧١ .

يَدَيه وقالَ : أنتُنَّ حَسَناتِ الأخْلاقِ ، طَويلاتِ الأعْناقِ ، ولَكنِّي رَجُلٌ مِطْلاقٌ ، فأنتُنَّ الطُّلاَّق[1] .

عن ابنِ وَهْبٍ حدَّثنا مَالِكٌ قالَ : كانَ الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة نَكَّاحاً للنِّساءِ ويَقولُ : صاحِبُ الواحِدَة إنْ مَرِضَتْ مَرِض ، وإنْ حاضَتْ حَاض ، وصاحِبُ الْمَرْأتَين بينَ نَارَيْنِ تُشْعَلانِ ، وكانَ يَنْكِحُ أرْبَعاً جَميعاً ويُطَلِّقُهُنَّ جَميعاً[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحَسَنِ بنِ عَليٍّ بنِ أبي طالِب : وقد كان هذا الإمَامُ سَيِّداً وَسيماً جَميلاً ، عاقِلاً ، رَزيناً ، جَواداً مُمَدَّحاً ، خَيِّراً ، دَيِّناً ، وَرِعاً ، مُحْتَشِماً ، كَبيرَ الشَّأنِ وكانَ مِنْكَاحاً مِطْلاقاً ، تزَوَّجَ نَحواً من سَبعينَ امْرأةً ، وقَلَّما كانَ يُفارِقُه أرْبَعُ ضَرائر[3] .

وعن جَعْفَر الصَّادِق ، أنَّ عَليّاً قالَ : يا أهْلَ الكُوفَة لا تُزَوِّجُوا الحَسَنَ ، فإنَّه مِطْلاقٌ ، فقالَ رَجلٌ : والله لَنُزَوِّجَنَّه ، فمَا رَضِيَ أمْسَك ، ومَا كَرِهَ طَلَّق[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ النَّسائيِّ : وكانَ نَضِرَ الوَجْه مع كِبَر السِّنِّ ، يُؤثِرُ لِبَاسَ البُرُودِ النُّوبيَّة والخُضر ، ويُكثِرُ الاسْتِمْتاعَ ، لَه أرْبَعُ زَوْجاتٍ ، فكانَ يَقْسِمُ لَهُنَّ ، ولا يَخْلو مع ذلك من سَرِيَّة ، وكانَ يُكثِرُ أكلَ الدُّيوكِ ، تُشْتَرَىٰ لَه وتُسَمَّنُ وتُخْصَىٰ[5] .

١١ـ كثْرَةُ الجِمَاع :

عن مُجَاهِد : قالَ ابنُ عُمَرَ : لقد أُعْطيتُ من الجِمَاعِ شَيئاً ما أعْلَمُ أحَداً أُعْطِيَه إلاَّ أنْ يَكُونَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم[6] .

---

(١) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٣٢٥/ ٤ .
(٢) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١ـ ٣٢ ، وانظر النزهة : ٣٢٥/ ٥ .
(٣) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣٧٩/ ٢ .
(٤) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣٧٩/ ٣ .
(٥) انظر السير : (النَّسائيُّ) ١٤/ ١٢٥ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ١١٣٧/ ٢ .
(٦) انظر السير : (عبد الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٣٧٠/ ٥ .

وعن ابنِ عُمَرَ ، قالَ : إنِّي لأظُنُّ قُسِمَ لي منه مَا لَمْ يُقْسَمْ لأحَدٍ إلاَّ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وقيلَ : كانَ ابنُ عُمَرَ يُفْطِرُ أوّلَ شَيءٍ على الوَطْءِ[١] .

١٢ـ أخْبارُ بَعْضِ الزِّيجَات :

قالَ محمَّدُ بنُ عَمرو : عن أبي سَلمَة : أنَّ جُبَيْرَ بنَ مُطْعِم تَزَوَّجَ امْرأةً ، فسَمَّىٰ لها صَداقَها ، ثم طَلَّقها قبلَ الدُّخولِ ، فتَلا هـٰذه الآيَةَ : ﴿ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾[٢] فقالَ : أنا أحَقُّ بالعَفْوِ منها فسَلَّمَ إليها الصَّداقَ كامِلاً .

تُوفِّيَ جُبَيْرُ بنُ مُطعِم سَنَةَ تِسعٍ وخَمسينَ[٣] .

قالَ ابنُ سِيرينَ : تَزوَّجَ الحَسَنُ امْرأةً فأرسَلَ إليها مئةَ جارِيَة مع كُلِّ جارِيَة ألفُ دِرْهَم[٤] .

عن عبدِ الله بنِ أبي بَكر بنِ حَزْم ، قالَ : خَطبَ سَعيدُ بنُ العاص أُمَّ كُلثُوم بنتَ عليٍّ بعدَ عُمَرَ ، وبَعثَ إليها بمئة ألفٍ ، فدَخلَ عَليها أخُوها الحُسَينُ ، وقالَ : لا تَزوَّجيه فقالَ الحَسَنُ : أنا أُزَوِّجُه واتَّعدوا لذلكَ فحَضَروا ، فقالَ سَعيدٌ : وأينَ أبو عبدِ الله ؟ فقالَ الحَسَنُ : سَأكْفيكَ قالَ : فلَعلَّ أبا عبدِ الله كَرِهَ هـٰذا ، قالَ : نَعَم قالَ : لا أدْخُلُ في شَيءٍ يَكرَهُهُ ، ورَجَعَ ، ولَمْ يَأخُذْ من الْمَالِ شَيئاً[٥] .

وقالَ عاصِمُ بنُ كُلَيب : تَزوَّجَ سُوَيدُ بنُ غَفَلَة بِكْراً وهو ابنُ مئةٍ وسِتَّ عَشرَةَ سَنَةً[٦] .

وقال أبو بكرِ بنُ أبي داوُدَ : كانت بنْتُ سَعيد بنِ المُسَيِّب قد خَطَبَها عبدُ المَلِكِ لابْنِهِ الوَلِيدِ ، فأبَىٰ عليه فلَمْ يَزَلْ يَحْتالُ عبدُ المَلِكِ عليه حتىٰ ضَرَبَهُ مِئَةَ سَوْطٍ في يومٍ

---

(١) انظر السير : (عبد الله بنُ عُمَر) ٣/ ٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٧٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٧ .
(٣) انظر السير : (جُبَيْرُ بنُ مُطعِم) ٣/ ٩٥ـ٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٤٢ .
(٤) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بن أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/٣٧٩ .
(٥) انظر السير : (سَعيدُ بنُ العَاص) ٣/ ٤٤٤ـ٤٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٦ .
(٦) انظر السير : (سُوَيْدُ بنُ غَفَلَة) ٤/ ٦٩ـ٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/٤٤٦ .

باردٍ ، وصَبَّ عليه جَرَّةَ ماءٍ ، وألْبَسَهُ جُبَّةَ صُوفٍ .

وعن ابنِ أبي وَدَاعَةَ ـ يَعنِي كَثِيراً ـ قال : كُنتُ أُجالِسُ سَعيدَ بنَ المُسَيِّبِ ، ففقَدَنِي أيَّاماً ، فلمَّا جِئْتُهُ قال : أيْنَ كُنتَ ؟ قُلتُ : تُوفِّيَتْ أهْلِي فاشْتَغَلْتُ بها ، فقال : ألا أخْبَرْتَنا فشَهِدْناها ، ثمَّ قال : هَلْ اسْتَحْدَثْتَ امرأةً ؟ فقُلتُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، ومَنْ يُزَوِّجُنِي وما أمْلِكُ إلاَّ دِرْهَمَيْنِ أو ثلاثة ؟!! ، قال : أنا، فقُلتُ : وتَفْعَلُ ؟!! قال : نَعَمْ ، ثمَّ تَحَمَّدَ ، وصَلَّىٰ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وزَوَّجَنِي علىٰ دِرْهَمَيْنِ ـ أوْ قال : ثلاثة ـ فقُمتُ وما أدْرِي ما أصْنَعُ من الفَرَحِ فصِرتُ إلىٰ مَنْزِلِي وجَعَلْتُ أتفكَّرُ فيمَنْ أسْتَدِينُ .

فصَلَّيْتُ المَغْرِبَ ، ورَجَعْتُ إلىٰ مَنْزِلِي ، وكُنتُ وَحْدِي صائِماً ، فقَدَّمْتُ عَشَائِي أُفْطِرُ ، وكان خُبْزاً وزَيْتاً ، فإذا بابي يُقْرَعُ ، فقُلتُ : مَنْ هـٰذا ؟ فقال : سَعيدٌ ، فأفْكَرْتُ في كُلِّ مَنْ اسْمُه سَعيدٌ إلاَّ ابنَ المُسَيِّبِ ، فإنَّه لَمْ يُرَ أرْبَعِينَ سَنةً إلاَّ بينَ بَيْتِهِ والمَسْجِدَ ، فخَرَجْتُ ، فإذا سَعيدٌ ، فظَنَنْتُ أنَّه قد بَدَا لَهُ ، فقُلتُ : يا أبا مُحمَّدٍ ألا أرْسَلتَ إليَّ فآتِيكَ ؟ قال : لا ، أنْتَ أحَقُّ أنْ تُؤتَىٰ ، إنَّكَ كُنتَ رجُلاً عَزَباً فتزَوَّجْتَ ، فكَرِهْتُ أنْ تَبيتَ اللَّيلَةَ وَحْدَكَ ، وهـٰذه امرأتُكَ ، فإذا هي قائِمةٌ من خَلْفِهِ في طُولِهِ ، ثمَّ أخَذَ بيَدِها فدَفَعَها في البَابِ ، ورَدَّ البَابَ ، فسَقَطَتِ المَرأةُ من الحَيَاءِ ، فاسْتَوْثَقْتُ من البابِ ثمَّ وَضَعْتُ القَصْعَةَ في ظِلِّ السِّراجِ لكي لا تَرَاهُ ، ثمَّ صَعَدْتُ إلى السَّطحِ فرَمَيْتُ الجِيرانَ ، فجَاؤُونِي فقالوا : ما شَأنُكَ ؟!! فأخْبَرْتُهُم ونزَلُوا إليها ، وبَلَغَ أُمِّي ، فجاءَتْ وقالت : وَجْهِي من وَجْهِكَ حَرامٌ إنْ مَسَسْتَهَا قبلَ أنْ أُصْلِحَها إلىٰ ثلاثةِ أيَّامٍ ، فأقَمْتُ ثلاثاً ثمَّ دَخَلْتُ بها ، فإذا هي من أجْمَلِ النَّاسِ ، وأحْفَظِ النَّاسِ لكتابِ اللهِ ، وأعْلَمِهم بسُنَّةِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وأعْرَفِهم بحَقِّ زَوْجٍ فمَكَثْتُ شَهراً لا آتِي سَعيدَ بنَ المُسَيِّبِ ثم أتَيْتُهُ وهو في حَلْقَته ، فسَلَّمتُ ، فرَدَّ علَيَّ السَّلامَ ولَمْ يُكلِّمْنِي حتىٰ تَقَوَّضَ المَجْلِسُ ، فلمَّا لَمْ يَبْقَ غَيري قال : ماحالُ الإنسانِ ؟ قُلتُ : خَيراً يا أبا مُحمَّد ، علىٰ ما يُحِبُّ الصَدِيقُ ، ويَكْرَهُ العدُوُّ قال : إنْ رابَكَ شَيء فالعَصَا فانْصَرَفْتُ إلىٰ مَنْزِلِي ، فوَجَّهَ إليَّ بعِشرينَ ألفِ دِرْهم .

قال أبو بَكر بنُ أبي داوُد : ابنُ أبي وَداعَة هو كثير بن المطلب بن أبي وَداعَة .

قال الذهبيُّ : هو سَهميٌّ مَكِّيٌّ ، رَوَىٰ عن أبيه الْمُطَّلِب أحد مُسْلمَة الفَتح[1] .

ولما تَمهَّدت البلادُ لطُغْرُلْبَك خَطبَ بنتَ الخَليفَة القَائِم ، فتَأَلَّمَ القائمُ ، واسْتَعْفَىٰ فلَمْ يُعْفَ ، فزَوجَّه بها ، ثم قدِمَ طُغْرُلْبَك بغدادَ للعُرْس .

وكانت له يَدٌ عَظيمَةٌ على القَائِم في إعادَة الخِلافَة إليه ، وقَطْع خُطبَة المِصْريِّين التي أقامَها البَسَاسيريُّ[2] .

ثم نفَّذ طُغْرُلْبَك مئة ألف دينار برَسْم نَقْل الجَهَاز ، فعُملَ العُرسُ في صَفَر سَنَةَ خَمسَة وخَمسينَ وأرْبَع مئة ، وأُجلسَت علىٰ سَرير مُذَهَّب ، ودَخلَ السُّلطانُ إلىٰ بَينَ يَدَيْها ، فقَبَّلَ الأرْضَ ، ولمْ يَكْشِفْ المنْديلَ عن وَجْهها ، وقدَّم تُحَفاً سَنيَّة ، وخَدَمَ وانصرف ، ثُم بَعثَ إليها عِقْدَين مُجَوْهَرَين ، وقِطَعة ياقُوتٍ عَظيمَة ، ثم دَخلَ من الغَدِ ، فقبَّل الأرْضَ ، وجلسَ علىٰ سَريرٍ إلىٰ جانِبها ساعَةً ، وخَرَجَ وبَعثَ لها فَرَجيَّةَ نَسيجٍ مُكَلَّلَةً بالجَوْهَر ومِخْنَقَةً ـ أي قِلادَة ـ مُثَمَّنَةً ، وسُرَّ بها هٰذا والخَليفَةُ في ألمٍ وحُزْنٍ وكَظْمٍ ، فأمَّا غيرُه من الخُلفاء الضُّعفاء فَودُّه لو زَوَّجَ بنتَه بأمير عُتَقاءِ السُّلطان ، ثم إنَّ طُغرُلْبَك خَلا بها ، ولم يُمَتَّع بنَعيم الدنيا ، بلْ ماتَ في رَمضانَ من السَّنة بالريِّ سَنةَ خَمسٍ وخَمسينَ وأرْبَع مئة ، وحُملَ إلىٰ مَرْوَ ، فدُفِنَ عند أخيه وقِيلَ : بلْ دُفِنَ بالريِّ ، وعاشَت الزَّوْجَة الخَليفَتيَّة إلىٰ سَنةِ ستٍّ وتسْعينَ وأرْبَع مئة ، وصارَ مُلكُه من بعده إلى ابنِ أخيه السُّلطانُ ألْب آرْسلان[3] .

* * *

---

(1) انظر السير : (سعيد بن المسيب) ٤/٢١٧ـ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٨٥ .
(2) انظر السير : (طُغْرُلْبَك) ١٨/١٠٧ـ١١١ ، وانظر النزهة : ١/١٣٨٩ .
(3) انظر السير : (طُغْرُلْبَك) ١٨/١٠٧ـ١١١ ، وانظر النزهة : ١/١٣٩٠ .

عِنايَةُ الوَالدين بالأبْنَاء

١ـ السَّعْيُ على العِيال :

قالَ عبدُ العَزيزِ بنِ أبي رَوَّاد : قُلتُ لِعِكْرِمَة : تَركْتَ الحَرَمَينِ ، وجِئتَ إلىٰ خُراسَانَ ؟!!

قالَ : أسْعَىٰ علىٰ بَنَاتي[1] .

٢ـ فَضْلُ الصَّبْرِ على البَنَات :

قالَ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي الوَرْد : قالَ لي مُؤذِّنُ بِشْرِ بنِ الحارِث : رَأيتُ بِشْراً رَحمَهُ اللهُ في الْمَنامِ ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : غَفَرَ لي .

قُلتُ : ما فُعِلَ بأحمَدَ بنِ حَنْبَل ؟ قالَ : غُفِرَ له فقُلتُ : ما فُعِلَ بأبي نَصْر التَّمَّار ؟ قالَ : هَيْهاتَ ، ذاكَ في عِلِّيينَ ، فقُلتُ : بمَاذا نالَ ما لَمْ تَنالاهُ ؟ فقالَ : بِفَقْرِهِ وصَبرِهِ علىٰ بُنَيَّاتِه[2] .

٣ـ مُعامَلَةُ الآباء للأبْنَاء :

وعن عائشَةَ أُمِّ الْمُؤمنينَ قالَت : ما رَأيتُ أحَداً كانَ أشْبَهَ كَلاماً وحَديثاً برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم من فاطِمَةَ ، وكانَت إذا دَخَلَت عَليه قامَ إليها ، فقَبَّلَها ، ورَحَّبَ بها ، وكذلك كانَت هي تَصنَعُ به[3] .

وعن مَسْروقٍ : حدَّثَتني عائشَةُ قالَت : كُنَّا أزْوَاجَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم اجْتَمَعْنا عندَه ، لَمْ يُغادِرْ مِنهُنَّ وَاحدَة فجاءَت فاطِمَةُ تَمشي ما تُخْطىءُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ

---

(١) انظر السير : (عِكْرِمَة) ٥/ ١٢ـ ٣٦ ، وانظر النزهة : ٩/٥٧٦ .

(٢) انظر السير : (أبو نَصْر التَّمَّار) ١٠/ ٥٧١ـ ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٦/٨٩٤ .

(٣) انظر السير : (فاطِمَةُ بنتُ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم) ١١٨/٢ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٣/٢٣٠ .

رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فلمَّا رآها ، رَحَّبَ بها ، قالَ : « مَرْحَباً بِابْنَتِي » ثم أقْعَدَها عن يَمينِه أو عن يَسارِه ثم سارَّها فبَكَتْ ، ثم سارَّها الثانِيَةَ ، فضَحِكَت ، فلمَّا قامَ ، قُلتُ لهَا : خَصَّك رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بالسِّرِّ وأنْتِ تَبْكِينَ ، عَزَمْتُ عَليك بما لي عَليك من حَقٍّ لَمَا أخْبَرتِنِي مِمَّ ضَحِكْتِ ؟ ومِمَّ بَكَيْتِ ؟ قالَتْ : ما كُنتُ لأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فلمَّا تُوفِّيَ ، قُلتُ لها : عَزمتُ عَليك بما لي عَليكِ من حَقٍّ لَمَا أخْبَرتني قالَت : أمَّا الآنَ فنعَم ، في المرَّة الأولىٰ حدَّثني « أنَّ جبْريلَ كانَ يُعَارِضُهُ بالقُرآنِ كلَّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ فِي هَـٰذِه السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنِّي لا أَحْسَبُ ذَلِكَ إلاَّ عِنْدَ اقْتِرَابِ أَجَلِي ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي ، فَنِعْمَ السَّلَفُ لَكِ أَنَا » فبَكَيتُ فلمَّا رَأىٰ جَزَعِي ، قالَ صلى الله عليه وسلم : « أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ ؟ » قالَت : فضَحِكتُ أخْرَجَه البُخاريُّ[1] .

قالَ أبو عُمَرَ الدِّمَشْقيُّ : سَمعتُ ابنَ الجَلاَّءِ يَقولُ : قُلتُ لأبَوَيَّ : أُحِبُّ أنْ تَهَباني لله قالا : قد فَعَلنا فغِبتُ عَنهم مُدَّة ، ثم جِئتُ فدَقَقتُ البابَ فقالَ أبي : مَنْ ذَا ؟ قُلتُ : وَلَدُك ، قالَ : قد كانَ لي وَلَدٌ وَهَبْناهُ لله ، وما فَتَحَ لي[2] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الصُّعْلُوكيِّ ، قالَ الحاكمُ : كانَ أبُوهُ يُجِلُّه ويَقولُ : سَهْلٌ وَالِدٌ[3] .

٤ـ تَعْليمُ الأبْنَاء وتَرْبِيتِهم :

عن أبي الحَوْراء ، قُلتُ للحَسَنِ بنِ عَليٍّ ما تَذكُرُ من رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالَ : أذكُرُ أنِّي أخَذتُ تَمرَةً من تَمْرِ الصَّدَقَة ، فجَعلتُها في فِيَّ ، فنَزَعَها رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بلُعابِها ، فجَعَلَها في التَّمرِ ، فقيلَ : يا رَسُولَ الله!

---

(١) انظر السير : (فاطِمَةُ بنتُ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم) ٢/١١٨ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٢٣٠ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الجَلاَّء) ١٤/٢٥١ـ ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٤٨ .

(٣) انظر السير : (الصُّعْلُوكيُّ) ١٧/٢٠٧ـ ٢٠٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٣٧ .

وما كانَ عَليكَ من هٰذه التَّمْرَة لهَٰذا الصَّبيِّ ؟ قالَ : « إنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ » قالَ : وكاَن صلى الله عليه وسلم يَقولُ : « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لا يَرِيبُك فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأنِينَةٌ ، وَالكذِبَ رِيبَةٌ » وكانَ يعُلِّمُنا هٰذا الدُّعاءَ « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ » الحديث[1] .

وقالَ سَعيدُ بنُ عفير : حَدَّثنا يَعقوبُ ، عن ابيه أنَّ عبدَ العَزيزِ بنَ مَرْوانَ بَعثَ ابنه عُمَرَ إلى الْمَدينَة يَتأدَّبُ بها ، وكَتبَ إلىٰ صالحِ بنِ كَيْسانَ يَتعاهَدُه ، وكان يُلزِمُه الصَّلَوات ، فأبْطأ يَوماً عن الصَّلاةِ ، فقالَ : ما حَبَسَك ؟ قالَ : كانت مُرَجِّلَتي تُسَكِّنُ شَعْري ، فقالَ : بَلغَ من تَسْكينِ شَعْرِكَ أنْ تُؤثِرَه على الصَّلاةِ ، وكَتبَ بذلك إلىٰ والِدِه ، فبَعثَ عبدُ العَزيزِ رَسُولاً إليه فما كلَّمَه حتىٰ حَلقَ شَعْرَه .

وقال أبو مُسْهر : وَلِيَ عُمَرُ الْمَدينَةَ في إمْرَةِ الوَليدِ من سَنةِ سِتٍّ وثَمانينَ إلىٰ سَنةِ ثَلاثٍ وتِسْعين[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ سُفْيانَ الثَّوريّ : وُلِدَ سَنةَ سَبعٍ وتِسعينَ اتِّفاقاً ، وطَلبَ العِلمَ وهو حَدَثٌ باعْتِناء وَالِدِه الْمُحدِّثِ الصَّادِقِ : سَعيدِ بنِ مَسْرُوق الثَّوْريّ[3] .

وعن سُفْيانَ الثَّوريّ : يَنْبَغي للرَّجُلِ أنْ يُكرِهَ وَلدَه على العِلمِ ، فإنَّه مَسْؤُولٌ عنه[4] .

عَليُّ بنُ الفُضَيْل مع أبيه :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : من كِبَارِ الأوْلِياءِ ، وماتَ قبلَ وَالِدِه .

خَرجَ هو وأبُوهُ من الضَّعْفِ الغَالِبِ على الزُّهَّادِ والصُّوفيَّة ، وعُدَّا في الثِّقَاتِ إجْماعاً .

---

(١) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/٣٧٧ .
(٢) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٦ .
(٣) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوريّ) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٩٥ .
(٤) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوريّ) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٦٩٩ .

وكانَ عَليٌّ قانِتاً لله ، خاشِعاً ، وَجِلاً ، رَبَّانيّاً ، كَبيرَ الشَّأنِ[١] .

وقالَ الخَطيبُ : مَاتَ عَليُّ بنُ الفُضَيل قبلَ أبيه بمُدَّة من آيَةٍ سَمِعَها تُقرَأُ ، فغُشِيَ عليه ، وتُوفِّيَ في الحَالِ[٢] .

قال إبراهيمُ بنُ الحارث العُبّادي : حدَّثنا عبدُ الرحمَـٰن بنُ عفَّان ، حدَّثنا أبو بَكْر بن عيّاش قال : صلَّيتُ خَلفَ فُضَيل بنِ عِياض المغربَ وابنُه عليٌّ إلىٰ جانبي فقرأ : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾[٣] فلمَّا قالَ : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾[٤] سَقطَ عليٌّ علىٰ وَجهِه مَغْشيّاً عليه[٥] .

وقالَ ابنُ أبي الدُّنيا : حدَّثني عبدُ الصَّمَد بنُ يَزيد ، عن فُضَيلِ بنِ عِياض قالَ : بَكَىٰ عَليٌّ ابني ، فقلْتُ : يا بُنَيَّ ما يُبكِيكَ ؟ قالَ : أخافُ ألاَّ تَجْمَعَنا القيامَةُ[٦] .

وقالَ ابنُ الْمُبارَك للفُضَيلِ بنِ عِياض : يا أبا عَليّ ما أَحْسَنَ حَالَ مَنْ انقَطعَ إلى الله ، فسَمعَ ذلكَ عَليٌّ ابني ، فسَقطَ مَغْشيّاً عليه[٧] .

وعن محمدِ بنِ ناجية قال : صلَّيتُ خَلفَ الفُضَيل بنِ عِياض ، فقرأ : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾[٨] في الصُّبحِ فلمَّا بَلغَ إلىٰ قَولِه : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾[٩] غَلبَه البُكاءُ فسَقطَ ابنُه عَليٌّ مَغْشياً عليه[١٠] .

وعن عبدِ الصَّمَد بنِ يَزيد ، سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : أَشْرَفتُ لَيلَةً علىٰ عَليٍّ ، وهو

---

(١) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ١ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ٢ .
(٣) سورة التكاثر ، الآية : ١ .
(٤) سورة التكاثر ، الآية : ٦ .
(٥) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ٣ .
(٦) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ٤ .
(٧) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ٥ .
(٨) سورة الحاقّة ، الآية : ١ .
(٩) سورة الحاقّة ، الآية : ٣٠ .
(١٠) انظر السير : (عليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٠/ ٦ .

في صَحْن الدَّار ، وهو يَقولُ : النَّار ، ومَتَى الخَلاصُ من النَّارِ ؟ وقالَ لي : يا أبَتِ سَلِ الذي وَهبَني لكَ في الدُّنيا أنْ يَهبَني لكَ في الآخِرَة ، ثم قالَ : لَمْ يَزَلْ مُنْكَسِرَ القَلْبِ حَزيناً ، ثُمَّ بَكَى الفُضَيلُ ، ثُمَّ قالَ : كانَ يُسَاعِدُني على الحُزْنِ والبُكَاءِ ، يا ثَمَرَةَ قَلبي ، شَكَرَ اللهُ لكَ ما قَدْ عَلِمَه فيكَ[1] .

وعن الفُضَيلِ قالَ : اللَّهُمَّ إنِّي اجْتَهَدتُ أنْ أُؤدِّبَ عَليّاً ، فلَمْ أقْدِر علَىٰ تَأديبه فأدِّبْهُ أنتَ لي[2] .

وقالَ أبو سُلَيمان الدَّاراني : كانَ عَليُّ بنُ الفُضَيل لا يَستطيعُ أنْ يَقرأ ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾[3] ولا تُقْرأ عليه[4] .

وعن مُحمَّدِ بن أبي عُثمانَ قالَ : كانَ عَليُّ بنُ الفُضَيل عند سُفْيانَ ابنِ عُيَيْنَة ، فحَدَّثَ بحَديثٍ فيه ذِكْرُ النَّار ، فشَهِقَ عَليٌّ شَهقَةً ، ووَقعَ ، فالْتَفتَ سُفْيانُ فقالَ : لَوْ عَلمتُ أنَّك ها هُنا ما حدَّثتُ به ، فمَا أفاقَ إلاَّ بعدَ ما شَاءَ اللهُ[5] .

وبالإسْنادِ عن فُضَيل : كانَت لنَا شَاةٌ بالكُوفَة ، أكَلَتْ شَيئاً يَسيراً من عَلَفِ أميرٍ ، فمَا شَرِبَ لَها عَليٌّ ابني لَبناً بعدُ[6] .

وعن الفُضَيلِ قَالَ : أهْدَىٰ لَنَا ابنُ الْمُبارَك شاةً فكانَ ابْني لا يَشرَبُ منها ، فقُلْتُ له في ذلك فقالَ : إنَّها قد رَعَت بالعِراقِ[7] .

وقال عليُّ بنُ محمّد المِصْري ، سَمعتُ أبا سَعيد الخَرَّاز ، سَمعتُ إبراهيمَ بنَ بشَّار يقولُ : الآيةُ التي ماتَ فيها عليُّ بنُ الفُضَيل ، في الأنْعام : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ

---

(١) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ١ .
(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ٢ .
(٣) سورة القارعة ، الآية : ١ .
(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ٣ .
(٥) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ٤ .
(٦) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ٥ .
(٧) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧٨١/ ٦ .

﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾[1] مع هـٰذا المَوْضع ماتَ وكنتُ فيمَن صلَّىٰ عليه ، رحمَه الله[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ماتَ الفُضَيْلُ سَنةَ ستٍّ وثَمانينَ ومئة ، وله نيِّفٌ وثمانونَ سَنةً ، وهو حُجَّةٌ كَبيرُ القَدْرِ ، ولا عِبْرَةَ بما نقَلَه أحمَدُ بنُ أبي خَيْثَمَة ، سَمعتُ قُطبَةَ بنَ العَلاء يَقولُ : تَركتُ حَديثَ فُضَيْلِ بنِ عِياض لأنه رَوَىٰ أحاديث أَزْرَىٰ علىٰ عُثمانَ بنِ عفَّان[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : فلا نَسمَعُ قَولَ قُطبَة ، لَيتَه اشتَغلَ بحالِه ، فقد قالَ البُخاريُّ : فيه نَظَر ، وقالَ النَّسائيُّ وغَيرُه : ضَعيفٌ وأيضاً فالرجلُ صاحِبُ سُنَّة واتِّباع .

قالَ أحمَدُ بنُ أبي خَيْثَمَة : حدَّثنا عبدُ الصَّمَد بنُ يَزيد الصَّائغ ، قالَ : ذُكرَ عند الفُضَيل ـ وأنا أَسْمعُ ـ الصَّحابَة ، فقالَ : اتَّبعوا فقد كُفيتم : أبو بَكر وعُمَر وعُثْمان وعَليٌّ ، رَضيَ اللهُ عَنهم[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إذا كانَ كُبَراءُ السَّابقين الأوَّلينَ قد تَكلَّم فيهم الرَّوافِضُ والخَوارجُ ، ومثل الفُضَيل يُتكلَّم فيه ، فمَنِ الذي يَسلَمُ من ألْسِنَة النَّاسِ ، لكن إذا ثَبتَت إمَامَةُ الرجُلِ وفَضلُه ، لَمْ يَضرُّه ما قيلَ فيه ، وإنَّما الكَلامُ في العُلماءِ مُفتقِرٌ إلىٰ وَزنٍ بالعَدلِ والوَرَع[5] .

وأمَّا قَولُ ابنِ مَهْدي : لَمْ يَكنْ بالحافِظ ، فمَعناه : لَمْ يَكنْ في عِلمِ الحَديث كَهـٰؤلاء الحُفَّاظ البُحُور ، كشُعبَة ، ومَالِك ، وسُفْيان ، وحمَّاد ، وابن المُبارَك ، ونُظرائِهم ، لكنَّه ثَبتٌ قيِّمٌ بما نَقَلَ ، ما أُخذَ عَليه في حَديث فيما عَلمتُ ، وهل يُرادُ من العِلمِ إلاَّ ما انتَهىٰ إليه الفُضَيلُ رَحمَةُ الله عَليه[6] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٧ .

(٢) انظر السير : (عليُّ بن الفُضَيل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٧٨١ .

(٣) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٨/٧٨١ .

(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفَضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٧٨٢ .

(٥) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفَضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٧٨٢ .

(٦) انظر السير : (عَليُّ بنُ الفُضَيْل) ٨/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٨٢ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ الرحمَـٰن بنِ بشْر : واعْتَنَى به أبوهُ ، وارْتَحل به ، ولَقِيَ الكِبَارَ ، وطَالَ عُمرُه ، وتَفرَّد[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الأصَمِّ : محمَّدُ بنُ يَعقُوب بنِ يُوسُف ، الإمامُ الْمُحدِّثُ مُسْندُ العَصر ، رِحْلةُ الوَقت ، أبو العَبَّاس الأُمَويُّ مَوْلاهم ، السِّنانيُّ ، الْمَعْقِليُّ النِّيسَابُوريُّ الأصَمُّ ، وَلَدُ الْمُحدِّث الحافِظِ أبي الفَضْل الوَرَّاق ، وقد ارْتَحلَ بابنِه أبي العَبَّاس إلى الآفاقِ ، وسَمَّعَه الكُتبَ الكِبارَ .

وحدَّثَ بكِتابِ « الأمِّ » للشَّافِعيِّ عن الرَّبيعِ ، وطالَ عُمرُه وبَعُدَ صِيتُه ، وتَزاحَمَ عليه الطَّلَبَةُ وجَميعُ ما حدَّثَ به إنَّما رَواهُ من لَفظِه فإنَّ الصَّمَمَ لَحِقَهُ وهو شَابٌّ له بِضعٌ وعِشرُونَ سَنةً ، بعدَ رُجُوعِه من الرِّحْلة ثم تَزايَدَ به ، واسْتَحكَمَ بحَيثُ إنَّه لا يَسمَعُ نَهيقَ الحِمَارِ وقد حدَّثَ في الإسْلام سِتاً وسَبعينَ سَنةً .

قالَ الحاكِمُ: كانَ يَكرَهُ أنْ يُقالَ له : الأصَمُّ ، فكانَ إمامُنا أبو بَكر ابنُ إسْحاقَ الصِّبْغيُّ ، يَقولُ : الْمَعْقِليُّ ، قالَ : وكانَ مُحدِّثَ عَصرِه ، ولَمْ يَختَلِفْ أَحَدٌ في صِدقِه وصِحَّةِ سَماعَاتِه ، وضَبطِ أبيه يَعقُوبَ الوَرَّاق لها ، وكانَ يَرجعُ إلىٰ حُسْنِ مَذْهَب وتَديُّنٍ وبَلَغَني أنَّه أذَّنَ سَبعينَ سَنةً في مَسجدِه قالَ : وكانَ حَسَنَ الخُلق ، سَخيَّ النَّفسِ ، ورُبَّما كانَ يَحتاجُ إلى الشَّيءِ لِمَعاشِه فيُوَرِّقُ ، ويَأكُلُ من كَسبِ يَدِه ، وهـٰذا الذي يُعابُ به من أنَّه كانَ يَأخُذُ على الحَديثِ ، إنَّما كانَ يَعيبُه به مَنْ لا يَعرِفُه ، فإنَّه كانَ يَكرَهُ ذلك أشَدَّ الكَراهَة ولا يُناقِشُ أحَداً فيه ، إنَّما كانَ وَرَّاقُهُ وابنُه يَطلُبان النَّاسَ بذلك ، فيَكرَهُ هو ذلك ، ولا يَقدِرُ علىٰ مُخالَفَتِهما سَمعَ منه : الآباءُ والأبْناءُ والأحْفادُ ، وكَفَاهُ شَرَفاً أنْ يُحدِّثَ طُولَ تِلكَ السِّنينَ ، ولا يَجدَ أحَدٌ فيه مَغْمَزاً بحُجَّة ، وما رَأينا الرِّحْلةَ في بِلادٍ من بِلادِ الإسْلامِ أكثَرَ منها إليه ، فقد رَأيتُ جَماعَةً من أهْلِ الأنْدَلُسِ وجَماعَةً من أهْلِ طراز[2] وإسْبيجابَ علىٰ بابِه ، وكذا جَماعَة من أهْلِ فارِس سَمعتُه غيرَ مرَّة يقولُ وُلِدتُ سَنةَ سَبعٍ وأرْبَعينَ ومئتَين[3] .

---

(١) انظر السير : (عبد الرحمَـٰن بن بشْر) ١٢/ ٣٤٠ـ ٣٤٤ ، وانظر النزهة : ١٠٠٦/ ٤ .

(٢) بلد قريب من إسْبيجاب ، من ثغور الترك ، في أقصىٰ بلاد الشاش مما يلي تركستان .

(٣) انظر السير : (الأصَمُّ) ١٥/ ٤٥٢ـ ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ١٢٤٨/ ١ .

وقالَ يوسُفُ بنُ أحمدَ الشِّيرازيُّ في « أرْبَعين البُلْدان » له : لَمَّا رَحلتُ إلىٰ شَيخِنا رُحْلَةِ الدُّنيا ومُسْنِدِ العصر أبي الوَقت ، قدَّر الله لي الوُصولَ إليه في آخِرِ بلادِ كرمانَ ، فسَلمتُ عليه ، وقبَّلتُه ، وجَلستُ بينَ يَديه فقالَ لي : ما أقْدَمَك إلىٰ هـٰذه البلادِ ؟ قُلتُ كانَ قَصدي إليكَ ، ومُعَوِّلي بعد الله عَليكَ ، وقد كَتَبتُ ما وقعَ إليَّ من حَديثك بقَلَمي ، وسَعيتُ إليك بقَدَمي ، لأدْرِكَ بَرَكَةَ أنْفاسِك ، وأحْظَىٰ بعُلُوِّ إسْنادِك ، فقالَ : وفقَّكَ اللهُ وإيَّانا لِمَرْضاتِه ، وجَعلَ سَعيَنا له وقَصْدَنا إليه ، لَوْ كُنتَ عَرفْتَني حَقَّ مَعْرفَتي لَمَا سلَّمْتَ عليَّ ، ولا جَلَسْتَ بين يديَّ ، ثم بَكَىٰ بكاءً طويلاً ، وأبْكَىٰ مَنْ حَضَرَه ، ثم قالَ : اللَّهُمَّ اسْتُرْنا بسِتْرِك الجَميلِ ، واجْعَل تَحتَ السِّتْرِ ما تَرضَىٰ به عنَّا ، يا وَلدي تَعلمُ أنِّي رَحلتُ أيضاً لسَماعِ « الصَّحيح » ماشياً مع وَالِدي من هَرَاةَ إلى الدَّاووديِّ بـ « بُوشَنْج » وليَ دون عَشر سنين ، فكانَ وَالِدي يَضعُ علىٰ يَديَّ حَجَرين ويقولُ احْمِلْهما ، فكُنتُ من خَوْفه أحفَظُهما بيَديَّ ، وأمْشي وهو يَتأمَّلُني ، فإذا رآني قد عَييتُ أمرَني أن أُلْقيَ حَجَراً واحداً ، فأُلْقي ويَخِفُّ عنِّي ، فأمشي إلىٰ أنْ يَتبينَ له تَعَبي ، فيَقولُ لي : هَلْ عَييتَ ؟ فأخافُه ، وأقُولُ : لا فيَقولُ : لِمَ تُقَصِّرْ في المَشْيِ ؟ فأُسْرِعُ بين يَديْه ساعةً ، ثم أعْجَزُ ، فيَأخُذُ الآخَرَ فيُلقيه ، فأمشي حتَّىٰ أعْطَب ، فحينئذ كانَ يَأخُذني ويَحمِلُني ، وكُنَّا نَلتَقي جَماعَةً من الفَلاَّحينَ وغَيرَهم ، فيَقولون : يا شَيخُ عيسَىٰ ، ادْفَع إلينا هـٰذا الطِّفْلَ نُركِبُه وإيَّاكَ إلىٰ بُوشَنْج ، فيَقولُ : مَعاذَ الله أنْ نَركَبَ في طَلَبِ أحاديثِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بلْ نَمشِي ، وإذا عَجزَ أرْكَبتُه علىٰ رَأسي إجْلالاً لحَديثِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ورَجاءَ ثَوابِه فكانَ ثَمرَةُ ذلكَ من حُسْنِ نِيَّتِه أنِّي انْتَفَعتُ بسَماعِ هـٰذا الكِتاب وغَيرِه ، ولَمْ يَبْقَ من أقْراني أحَدٌ سِوايَ ، حتَّىٰ صارَت الوُفُودُ تَرحَلُ إليَّ من الأمْصارِ ثم أشارَ إلىٰ صاحِبنا عبدِ الباقي بنِ عبدِ الجَبَّار الهَرَويِّ أنْ يُقدِّمَ ليَ حَلواءَ ، فقُلْتُ : يا سَيِّدي ، قِراءَتي لجُزءِ أبي الجَهْم أحَبُّ إليَّ من أكْلِ الحَلْواء ، فتبسَّمَ ، وقالَ : إذا دَخلَ الطَّعامُ خَرجَ الكَلامُ ، وقَدَّمَ لنا صَحْناً فيه حَلْواءُ الفانيذ ، فأكَلنا ، وأخرَجتُ الجُزءَ ، وسَألتُه إحْضَارَ الأصْلِ ، فأحْضَرَه ، وقالَ : لا تَخَفْ ولا تَحرِصْ ، فإنِّي قد قَبرتُ مِمَّنْ سَمعَ عليَّ خَلقاً كثيراً ، فسَلِ اللهَ

السَّلامَةَ ، فقَرأتُ الجُزءَ ، وسُرِرْتُ به ، ويَسَّر اللهُ سَماعَ « الصَّحيحِ » وغَيرِه مِراراً[1] .

وقالَ ابنُ نُقْطَة : حدَّثنا أبو الطَّاهِر بنُ الأنْمَاطِيُّ بدِمَشْقَ ، قالَ : حدَّثني حَنْبَلُ بنُ عبدِ الله قالَ : لَمَّا وُلدتُ ، مَضَىٰ أبي إلى الشَّيخ عبدِ القادِر الجِيَليِّ ، وقالَ له : قد وُلِدَ لي ابنٌ ما أُسَمِّيهِ ؟ قالَ : سَمِّه حَنْبَل ، وإذا كَبرَ سَمِّعْهُ « مُسْنَدَ » أحمَدَ بن حَنْبَل ، قالَ : فسَمَّاني كما أمَرَه ، فلمَّا كَبرتُ سَمَّعَني « الْمُسْنَدَ » ، وكانَ هـٰذا من بَرَكة مَشورَةِ الشَّيخ .

وقالَ ابنُ الدُّبَيْثِيِّ : كانَ حَنْبَلُ دَلَّالاً في بَيع الأمْلاك ، سُئلَ عن مَوْلِدِه فذَكرَ ما يَدلُّ علىٰ أنَّه في سَنةِ عَشرٍ وخَمسٍ مئة أوْ إحْدَىٰ عَشرَة ، إلىٰ أنْ قالَ : وتُوفِّيَ سَنةَ أرْبَع وسِتٍّ مئة .

وقالَ ابنُ الأنْمَاطِيِّ : سَمعتُ منه جَميعَ « الْمُسْنَد » ببَغْدادَ أكثرُه بِقراءَتي عليه ، في نَيِّفٍ وعشرينَ مَجْلساً ، ولَمَّا فَرَغتُ أخَذتُ أُرَغِّبُه في السَّفرِ إلى الشَّامِ فقُلتُ : يَحصُلُ لك مالٌ ويُقبلُ عَليكَ وُجُوهُ النَّاسِ ورُؤساؤُهم ، فقالَ : دَعْني ، فواللهِ ما أُسافِرُ لأجْلِهِم ، ولا لِمَا يَحصُلُ منهم ، وإنَّما أُسَافِرُ خِدمَةً لرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أرْوِي أحَاديثَه في بَلدٍ لا تُروَىٰ فيه .

قالَ ابنُ الأنْمَاطيّ : اجْتَمعَ له جَماعَةٌ لا نَعلَمُها اجْتمَعَت في مَجلِسِ سَماعٍ قبلَ هـٰذا بدِمَشْقَ ، بَلْ لَمْ تَجتَمعْ مثلُها لأحَدٍ مِمَّنْ رَوَىٰ « الْمُسْنَد »[2] .

٥ـ حَالُ أبٍ وابنٍ عَالِمَين :

وقالَ الحاكمُ : سَمعتُ أبا عَليٍّ محمَّدَ بنِ أحمَدَ بن زَيْد الْمُعدَّل يَقولُ : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ الذُّهْليِّ يَقولُ : دَخلتُ علىٰ أبي في الصَّيفِ الصائف وَقتَ القائلَة وهو في بَيتِ كُتبه ، وبينَ يَدَيه السِّراجُ ، وهو يُصنِّفُ ، فقُلتُ : يا أبتِ هـٰذا وَقتُ الصَّلاةِ ، ودُخانُ هـٰذا السِّراج بالنَّهارِ ، فلو نفَّسْتَ عن نَفسِك قالَ : يا بُنَي ، تَقولُ لي هـٰذا ، وأنا مع

---

(١) انظر السير : (أبو الوقت) ٢٠/ ٣٠٣ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٥٣ .

(٢) انظر السير : (حَنْبَل) ٢١/ ٤٣١ـ ٤٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٤١ .

رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وأصْحابه والتَّابعينَ!![1] .

وقالَ أبو إسْحاقَ الْمُزَكِّي : حدَّثني أبو عَليّ الحَسَنُ بنُ محمَّد وغَيرُه أنَّ محمَّدَ بنَ يَحْيى الذُّهْليَّ وابنَه يَحْيى اخْتَلفَا في مَسْأَلَةٍ فقالَ أحَدُهما للآخَر : اجْعَلْ بَيْنَنا حَكَماً ، فرَضِيَا بابنِ خُزَيْمَة ، فقَضَىٰ لِيَحْيَىٰ علىٰ أبيه[2] .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ الأصَمِّ : محمَّدُ بنُ يَعقُوب بنُ يُوسُف ، الإمامُ الْمُحدِّثُ مُسْندُ العَصر ، رحْلةُ الوَقت ، أبو العَبَّاس الأُمَويُّ مَوْلاهم ، السِّنانيُّ ، الْمَعْقِليُّ النِّيسَابُوريُّ الأصَمُّ ، وَلَدُ الْمُحدِّث الحافظِ أبي الفَضْل الوَرَّاق ، وقد ارْتَحلَ بابنِه أبي العَبَّاس إلى الآفاقِ ، وسَمَّعَه الكُتُبَ الكِبارَ .

وحدَّثَ بكِتابِ « الأمِّ » للشَّافِعيِّ عن الرَّبيع ، وطالَ عُمرُه وبَعُدَ صِيتُه ، وتَزاحَمَ عليه الطَّلَبَةُ وجَميعُ ما حدَّثَ به إنَّما رَواهُ من لَفظِه فإنَّ الصَّمَمَ لَحِقَهُ وهو شَابٌّ له بِضعٌ وعِشرُونَ سَنَةً ، بعدَ رُجُوعِه من الرِّحْلة ثم تَزايَدَ به ، واسْتَحكَمَ بحَيثُ إنَّه لا يَسمَعُ نَهيقَ الحِمَارِ وقد حدَّثَ في الإسْلام سِتاً وسَبعينَ سَنَةً .

قالَ الحاكِمُ : كانَ يَكرَهُ أنْ يُقالَ له : الأصَمُّ ، فكانَ إمامُنا أبو بَكر ابنُ إسْحاقَ الصِّبْغيُّ ، يَقولُ : الْمَعْقِليُّ ، قالَ : وكانَ مُحدِّثَ عَصرِه ، ولَمْ يَختَلِفْ أحَدٌ في صِدقِه وصِحَّةِ سَماعَاتِه ، وضَبطِ أبيه يَعقُوبَ الوَرَّاق لها ، وكانَ يَرجعُ إلىٰ حُسْنِ مَذْهَب وتَديُّنٍ وبَلَغني أنَّه أذَّنَ سَبعينَ سَنَةً في مَسجِدِه قالَ : وكانَ حَسَنَ الخُلق ، سَخيَّ النَّفسِ ، ورُبَّما كانَ يَحتاجُ إلى الشَّيءِ لِمَعاشِه فيُوَرِّقُ ، ويَأكُلُ من كَسبِ يَدِه ، وهٰذا الذي يُعابُ به من أنَّه كانَ يَأخُذُ على الحَديثِ ، إنَّما كانَ يَعيبُه به مَنْ لا يَعرِفُه ، فإنَّه كانَ يَكرَهُ ذلك أشَدَّ الكَراهَة ولا يُناقِشُ أحَداً فيه ، إنَّما كانَ وَرَّاقُهُ وابنُه يَطلُبان النَّاسَ بذلك ، فيَكرَهُ هو ذلك ، ولا يَقدِرُ علىٰ مُخالَفَتهما سَمعَ منه : الآباءُ والأبْناءُ والأحْفادُ ، وكَفَاهُ شَرَفاً أنْ يُحدِّثَ طُولَ تِلكَ السِّنينَ ، ولا يَجدَ أحَدٌ فيه مَغْمَزاً بحُجَّة ، وما رَأينا الرِّحْلَةَ في بِلادٍ من بِلادِ الإسْلامِ أكثَرَ منها إليه ، فقد رَأيتُ جماعَةً من أهْلِ الأنْدَلُسِ وجَماعَةً من أهْلِ

---

(١) انظر السير : (الذُّهْليُّ وابنُه) ١٢/ ٢٧٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ١٠٠٠/ ٣ .

(٢) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ محمَّد بنِ يَحْيَى الذُّهْليُّ) ١٢/ ٢٨٥ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ١٠٠١/ ٤ .

طراز[١] وإسْبيجابَ علىٰ بابه ، وكذا جَماعَة من أهْلِ فارِس سَمعتُه غيرَ مرَّة يقولُ وُلِدتُ سَنةَ سَبعٍ وأرْبَعينَ ومئتَين[٢] .

٦ـ مَنْ مَنَعَ ابنَه من التَّعْليم ثم ظَهَر له خَطَؤه :

قالَ إبْراهيمُ الحَربيُّ : كانَ وَالِدُ هُشَيم صاحِبُ صِحْنَاءَ وكَامَخٍ[٣] ، فكانَ يَمنَعُ هُشَيْماً من الطَّلبِ ، فكَتبَ العِلمَ حتَّىٰ ناظَرَ أبا شَيْبَةَ القاضي ، وجَالَسَه في الفِقْه قالَ : فمَرِضَ هُشَيْمُ ، فجاءَ أبو شَيْبَةَ يَعُودُه ، فمَضَىٰ رَجُلٌ إلىٰ بَشير ، فقالَ : الْحَقْ ابْنَكَ ، فقد جاءَ القاضي يَعودُه ، فجاءَ فوَجدَ القاضي في دارِه ، فقالَ : متَىٰ أمَّلتُ أنا هٰذا ، قد كُنتُ يا بُنَيَّ أمْنَعُكَ ، أمَّا اليَومَ فَلا بَقيتُ أمْنَعُك[٤] .

٧ـ حُبُّ الآباء للأبْنَاء :

قالَ أُسَامَةُ : كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَأخُذُني والحَسَنَ ويَقولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا »[٥] .

وعن عَدِيِّ بن ثابت ، عن البَرَاء ، قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم للحَسَنِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ » .

وفي ذلك عدَّةُ أحاديثَ ، فهو مُتَواتِر[٦] .

وعن يَعْلىٰ بنِ مُرَّة ، قالَ : جاءَ الحَسَنُ والحُسَين يَسْعَيانِ إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فجاءَ أَحَدُهما قبلَ الآخَر ، فجَعلَ يدَه في رَقبَتِه ، ثم ضَمَّه إلىٰ إبطِه ، ثم قبَّلَ هٰذا ، ثم قبَّلَ هٰذا ، وقالَ صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا » ، ثم قالَ

---

(١) بلد قريب من إسْبيجاب ، من ثغور الترك ، في أقصىٰ بلاد الشاش مما يلي تركستان .

(٢) انظر السير : (الأصَمُّ) ١٥/ ٤٥٢ـ ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ١/١٢٤٨ .

(٣) الصِّحْناء : بكسر الصَّاد : إدامٌ يُتَّخَذُ من السمك يمد ويقصَر ، والكامَخ : ما يؤتدمُ به ، أو المخلَّلات المشهية والكلمتان معرَّبَتان .

(٤) انظر السير : (هُشَيْمُ) ٨/ ٢٨٧ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٦/٧٥٨ .

(٥) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٧٨ .

(٦) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٧٨ .

صلى الله عليه وسلم : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ الوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ »[1] .

وعن حُسَينِ بنِ وَاقِد : حدَّثني عبدُ الله بنُ بُرَيْدَة ، عن أبيه قالَ : كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخطُبُ ، فأقْبَلَ الحَسَنُ والحُسَينُ ، عَليهما قَميصَانِ أحْمَرانِ يَعْثُرَانِ ويَقُومَانِ ، فنزَلَ صلى الله عليه وسلم فأخَذَهُما ، فوَضَعَهُما بينَ يَدَيه ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « صَدَقَ اللهُ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2] رَأيْتُ هَـٰذَينِ ، فَلَمْ أَصْبِرْ » ثم أخَذَ في خُطبَتِه[3] .

٨ـ ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[4] :

قالَ سِبطُ الجَوْزيِّ : كانَ الأشْرَفُ يَحضُرُ مَجالِسي بحرَّانَ ، وبخِلاطَ ، ودِمَشْقَ وكان مَلِكاً عَفيفاً ، قالَ لي : ما مَدَدتُ عَينيَّ إلىٰ حَريمِ أحَد ولا ذَكَر ولا أنْثىٰ جاءَتني عَجوزٌ من عندِ بنتِ صاحِبِ خِلاط شَاه أرْمَن بأنَّ الحاجِبَ عَليّاً أخَذَ لها ضَيْعَةً فكَتَبتُ بإطْلاقِها ، فقالَت العَجوزُ : تُريدُ أنْ تَحضُرَ بينَ يَدك ، فقُلتُ : باسْمِ الله ، فجاءَت بها فلَمْ أرَ أحْسَنَ من قَوامِها ولا أحْسَنَ من شَكْلِها ، فقُمتُ لها ، وقُلتُ : أنْتِ في هـٰذا البَلَدِ وأنا لا أدْري ؟ فسَفرَت عن وَجْهٍ أضاءَت منه الغُرفَة ، وقُلتُ : لا ، اسْتَتِري فقالَت : ماتَ أبي واسْتَولَىٰ على المَدينَة بكتمر ، ثم أخَذَ الحاجِبُ قَرْيَتي وبَقيتُ أعيشُ من عَمَلِ النَّقْش وفي دارٍ بالكِراء فبَكَيتُ لها ، وأمَرْتُ لها بدارٍ وقِماشٍ ، فقالَت العَجوزُ : يا خَوَنْد ألا تَحظَى الليلةَ بك ؟ فوَقَعَ في قَلْبي تَغيُّرُ الزَّمانِ وأنَّ خِلاطَ يَملِكُها غَيري ، وتَحْتاجُ بنتي أنْ تَقْعُدَ هـٰذه القَعْدَة ، فقُلتُ : مَعاذَ الله ، ما هـٰذا من شِيمَتي فقامَت الشَّابَّةُ باكيَةً تَقولُ : صَانَ اللهُ عَواقِبَك[5] .

---

(١) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٣٧٩ .
(٢) سورة التغابُن ، الآية : ١٥ .
(٣) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عَليّ بنُ أبي طالب) ٣/ ٢٤٥ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٣٨٠ .
(٤) سورة النساء ، الآية : ٩ .
(٥) انظر السير : (الأشْرَف) ٢٢/ ١٢٢ـ١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٧٣ .

٩ـ مَنْ سَمَّى ابنَه اسماً صالحاً رَجاءَ السَّعْد :

رُويَ عن شُعْبَةَ ، قالَ : سَمَّيتُ ابْني سَعْداً ، فمَا سَعِدَ ولا أفْلَحَ(١) .

١٠ـ تَوْطينُ النَّفْسِ على الصَّبْر عند فَقْد الأبْنَاء :

وقال الشيخُ عبدُ القادِر الجيلاني : إذا وُلدَ لي ولدٌ أخذْتُه علىٰ يَديَّ ، وأقولُ : هٰذا مَيّتٌ ، فأُخْرِجُه من قَلْبي ، فإذا ماتَ لم يُؤثِّر عندي مَوْتُه شيئاً(٢) .

١١ـ حَالُ الآباء عند فَقْد الأبْنَاء :

قالَ سُفْيانُ الثَّوْريُّ : اشْتَكىٰ بَعضُ أوْلادِ أبي جَعْفَرِ البَاقِر ، فجَزِعَ عَليه ، ثم أُخْبِرَ بمَوْتِه ، فسُرِّيَ عَنه فقيلَ له في ذلك فقالَ : نَدْعُو اللهَ فيما نُحِبُّ ، فإذا وَقَعَ ما نَكرَهُ ، لَمْ نُخالِف اللهَ فيما أَحبَّ(٣) .

وعن ابنِ عُيَيْنَة قالَ : لَمَّا ماتَ ذَرُّ بنُ عُمَرَ قَعَدَ عُمَرُ علىٰ شَفيرِ قَبرِه ، وهو يَقولُ : يا بُنَيَّ ، شَغَلَني الحُزْنُ لَكَ ، عن الحُزْنِ عَليكَ ، فلَيتَ شِعْري ، ما قُلتَ ، ومَا قِيلَ لَكَ ؟ اللَّهُمَّ إنَّكَ أمَرْتَه بطَاعَتِكَ وببرِّي فقد وَهَبتُ له ما قَصَّرَ فيه من حَقِّي ، فهَبْ له ما قَصَّرَ فيه من حَقِّكَ وقيلَ : إنَّه قالَ : انْطَلَقْنا وتَركْناكَ ، ولَوْ أقَمْنَا ما نَفَعْنَاكَ ، فنَسْتَودِعُكَ أرْحَمَ الرَّاحِمينَ .

تُوفِّيَ عُمَرُ بنُ ذَر في سَنةِ ثَلاثٍ وخَمسينَ ومئة ، وكانَ ثِقَةً ، إنْ شاءَ اللهُ ، كَثيرَ الحَديثِ(٤) .

١٢ـ تَطْمينُ الرَّجُلِ أوْلادَه حالَ المَوْت إلىٰ وُجُودِ ما يَكفيهم بعدَه :

وقيلَ : إنَّ الْمُعْتَضِدَ لَمَّا نَفَّذَ إلى الحَرْبيِّ بالعَشرَةِ آلافِ فرَدَّها ، فقِيلَ له : ففَرِّقْهَا ، فأبَىٰ ، ثم لَمَّا مَرِضَ سَيَّرَ إليه الْمُعْتَضِدُ ألفَ دينارٍ ، فلَمْ يَقبلْها ، فخاصَمَته بِنتُه ،

---

(١) انظر السير : (شُعْبَة) ٧/٢٠٢ـ٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٤ .

(٢) انظر السير : (الشيخ عبد القادر الجيلاني) ٢٠/٤٣٩ـ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٧٥ .

(٣) انظر السير : (أبو جَعْفَر البَاقِر) ٤/٤٠١ـ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٣ .

(٤) انظر السير : (عُمَرُ بنُ ذَر) ٦/٣٨٥ـ٣٩٠ ، وانظر النزهة : ١/٦٦١ .

فقالَ : أتَخْشَينَ إذا مِتُّ الفقرَ ؟ قالَت : نَعم قالَ : في تِلكَ الزَّاوِيَة اثنا عَشرَ ألفَ جُزءٍ حَديثيَّة ولُغَويَّة وغيرُ ذلك كَتَبتُها بخَطِّي ، فبِيعي منها كُلَّ يوم جُزءاً بدِرْهَم وأنْفِقيه .

تُوفِّيَ سَنةَ خَمسٍ وثَمانينَ ومئتين ، وكانَت جنازَته مَشْهودَةً ، وقَبرُه يُزارُ ببَغْدادَ[1] .

١٣ـ واحدٌ من العُلَماء لمْ يرَ ابْنَتَه أبداً ، ورَدُّ الذهبيِّ عليه :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الحُطَيْئة : وحَكَىٰ لنا شُجاعٌ أنَّ أبا العَبَّاسِ ابنَ الحُطَيْئة وُلِدَت له بِنتٌ ، فلمَّا كَبِرَت أقْرَأها بالسَّبْعِ ، وقَرَأتْ عَليه « الصَّحيحَين » وغَيرَ ذلك ، وكَتبَت الكَثيرَ وتَعلَّمَت عَليه كَثيراً من العِلمِ ، ولَمْ يَنظُرْ إليها قَطُّ ، فسَألتُ شُجاعاً : أكانَ ذلكَ عن قَصْدٍ ؟ فقالَ : كانَ في أوَّلِ العُمرِ اتِّفاقاً ، لأنَّه كانَ يَشتَغلُ بالإقْراءِ إلى المَغرِبِ ، ثم يَدخُلُ بَيتَه وهي في مَهْدِها ، وتَمادَى الحَالُ إلىٰ أن كَبرَت ، فصارَت عادَةً ، وزَوَّجها ودَخَلت بَيتَها والأمْرُ علىٰ ذلك ، ولَمْ يَنظُرْ إليها قَطُّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لا مَدْحَ في مثل هَـٰذا ، بَلِ السُّنَّةُ بخِلافِه ، فقد كانَ سَيِّدُ البَشَرِ صلى الله عليه وسلم يَحملُ أُمَامَةَ بنتَ ابْنَتِه وهو في الصَّلاةِ .

تُوفِّيَ ابنُ الحُطَيْئة رَحمَه الله سَنةَ ستِّينَ وخَمسِ مئة ، وقَبرُه بالقَرافَة ظاهرٌ يُزارُ[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (إبْراهيمُ الحَرْبيُّ) ١٣/٣٥٦ـ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٥ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الحُطَيْئة) ٢٠/٣٤٤ـ٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٦٠ .

بِرُّ الوَالِدَيْن

١ـ كيفَ يُصيبُ الإنْسانُ البِرَّ :

يَقولُ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه أصَابَ البِرَّ : السَّخاءُ والصَّبرُ على الأذَىٰ ، وطِيبُ الكَلامِ[١] .

٢ـ مَنْ بَرَّكَ فقد أَوْثَقَكَ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحَكيمِ التِّرْمِذيِّ : ومن كلامِه : لَيسَ في الدُّنيا حِملٌ أثْقَلَ من البِرِّ ، فمَنْ بَرَّكَ فقْد أوْثَقَك ، ومَنْ جَفَاكَ فقَد أطْلَقَكَ[٢] .

٣ـ قَواعِدٌ في بِرِّ الوَالدَين :

عن عُرْوَةَ قالَ : ما بَرَّ وَالِدَه مَنْ شَدَّ الطَّرْفَ إليه[٣] .

وقالَ هِشامُ بنُ حسَّان : حدَّثَتني حَفْصَةُ بنتُ سِيرينَ قالَت : كانَت وَالِدَةُ محمَّدِ بنِ سِيرينَ حِجازيَّةً ، وكانَ يُعجِبُها الصِّبْغُ ، وكانَ محمَّدُ إذا اشْتَرَىٰ لها ثَوْباً اشْتَرَىٰ أَلْيَنَ ما يَجِدُ ، فإذا كانَ عِيدٌ ، صَبغَ لها ثياباً ، وما رَأيتُه رافِعاً صَوتَه عَليها ، كانَ إذا كَلَّمها كالْمُصْغي إليها[٤] .

وعن ابنِ عَوْن ، أنَّ محمَّدَ بنَ سِيرينَ كانَ إذا كانَ عندَ أُمِّه لَوْ رآه رَجلٌ لا يَعرِفُه ، ظَنَّ أنَّه به مَرَضاً من خَفضِ كَلامِه عندَها[٥] .

---

(١) انظر السير : (وَهْبُ بنُ مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٥٤ .
(٢) انظر السير : (الحَكيم) ١٣/ ٤٣٩ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/١١٠٠ .
(٣) انظر السير : (عُرْوَة) ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٢/٥٥٢٨ .
(٤) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٧٠ .
(٥) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٧١ .

٤ـ عاقِبَةُ البِرِّ بالوَالِدَين الجَنَّةُ ـ إنْ شَاءَ الله :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ حارِثَةَ بنِ النُّعْمان : وهو الذي يَقولُ فيه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « دَخَلتُ الْجَنَّةَ ، فَسَمِعْتُ قِرَاءَةً ، فَقُلْتُ : مَنْ هَـٰذَا ؟ قِيلَ : حَارِثَةُ »! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كذَاكمُ الْبِرُّ » وكان بَرّاً بأُمِّه ، رضي الله عنه[1] .

عن يُونُسَ بنِ عُبَيْد قالَ : يُرْجَىٰ للرَّهِقِ بالبِرِّ الجَنَّةَ ، ويُخافُ على الْمُتَألِّه بالعُقُوقِ النَّار[2] .

٥ـ دُعَاءُ الوَالدَين مُسْتَجابٌ ـ إنْ شَاءَ الله :

قالَ سَهلُ بنُ بِشْر : حدَّثنا سُلَيمُ بنُ أيُّوبَ أنَّه كانَ في صِغَره بالرِّيِّ ، وله نَحوٌ من عَشر سِنينَ ، فحَضَرَ بَعضُ الشُّيوخ وهو يُلَقِّنُ قالَ : فقالَ لي : تَقدَّمْ فاقْرأ فجَهِدتُ أنْ أقْرأَ الفاتِحَةَ ، فلَمْ أقْدِرْ علىٰ ذلك لانْغِلاقِ لِساني فقالَ : لكَ وَالِدَةٌ ؟ قُلتُ : نَعَم قالَ : قُلْ لَها تَدعُو لَكَ أنْ يَرزُقَكَ اللهُ قِراءَةَ القُرآنِ والعِلمَ قُلتُ : نَعَم فرَجَعتُ ، فسَألتُها الدُّعاءَ فدَعَتْ لي ، ثم إنِّي كَبِرْتُ ، ودَخَلتُ بَغدادَ ، قَرأتُ بها العَربيَّةَ والفِقْهَ ، ثم عُدتُ إلى الرِّيِّ ، فبَيْنا أنا في الجَامِعِ أُقابِلُ « مُخْتَصَرَ » الْمُزَنِيِّ ، وإذا الشَّيخُ قد حَضَرَ وسلَّمَ علينا وهو لا يَعرفُني ، فسَمِعَ مُقابَلتَنا ، وهو لا يَعلَمُ ماذا نَقولُ ، ثم قالَ : مَتىٰ يُتعلَّمُ مثلُ هـٰذا ؟ فأرَدتُ أنْ أقولَ : إنْ كانَت لكَ وَالِدَةٌ ، فقُلْ لَها تَدعُو لكَ فاسْتَحْيَيْتُ[3] .

٦ـ صُوَرٌ لبرِّ الوَالدَين :

عن محمَّدِ بنِ الْمُنْكَدِر ، أنَّه كانَ يَضَعُ خَدَّه على الأرْضِ ، ثم يَقولُ لأُمِّه : قُومي ضَعي قَدَمَك علىٰ خَدِّي[4] .

---

(١) انظر السير : (حارِثَةُ بنُ النُّعْمان) ٢/ ٣٧٨ـ ٣٨٠ ، وانظر النزهة : ٢/٢٧٧ .

(٢) انظر السير : (يُونُسُ بنُ عُبَيد) ٦/ ٢٨٨ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٢ .

(٣) انظر السير : (سُلَيمُ بن أيُّوب) ١٧/ ٦٤٥ـ ٦٤٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٧١ .

(٤) انظر السير : (محمَّد بنُ الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٦٠٨ .

وقالَ سَعيدُ بنُ عامِر : قالَ ابنُ الْمُنْكَدِر : باتَ أخي عُمَرُ يُصلِّي ، وبِتُّ أَغْمِزُ قَدَمَ أُمِّي ، وما أُحِبُّ أَنَّ لَيْلَتِي بلَيْلَتِه[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مَنْصورِ بنِ الْمُعْتَمِر : حدَّثَنا الأخْنَسيُّ ، سَمعتُ أبا بَكر يَقولُ : كُنتُ مع مَنْصورٍ جالِساً في مَنزِله ، فتَصيحُ به أُمُّه ، وكانَت فَظَّةً عليه ، فتَقولُ : يا مَنْصورُ يُريدُكَ ابنُ هُبَيْرَةَ على القَضَاءِ فتَأبَىٰ ، وهو واضِعٌ لِحْيَتَه علىٰ صَدرِه ، ما يَرفَعُ طَرفَه إليها[2] .

وقيلَ : إنَّ كَهْمَسَ أرادَ قتلَ عقرَبٍ ، فدَخلَتْ في جُحْرٍ فأَدْخَلَ أصَابِعَه خلفَها فضَربَته فقيلَ له : قالَ : خِفْتُ أَنْ تَخرُجَ ، فتَجيءُ إلىٰ أُمِّي تَلْدَغُها[3] .

وعن ابنِ عَوْنٍ : أنَّ أُمَّه نادَتْه فأجَابَها ، فعَلا صَوتُه صَوْتَها فأعْتَقَ رَقبَتَين .

قالَ قرةُ بنُ خالد : كُنَّا نَعجَبُ من وَرَع محمَّدِ بنِ سِيرينَ فأنْسَاناهُ ابنُ عَوْن[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ بُنْدار : وجَمعَ حَديثَ البَصْرَةِ ، ولَمْ يَرْحَلْ ، بِرّاً بأُمِّه ، ثم رَحَلَ بَعدَها[5] .

وقالَ عبدُ الله بنُ جَعْفَر بنِ خَاقَانَ الْمَرْوزيُّ : سَمعتُ بُنْداراً يَقولُ : أَردتُ الخُروجَ ـ يَعني : الرِّحْلَةَ ـ فمَنَعَتني أُمِّي ، فأطَعْتُها فبُورِكَ لي فيه[6] .

وقالَ جَعْفَرٌ الخلديُّ : كانَ الأبَّارُ من أزْهَدِ النَّاسِ ، اسْتأذَنَ أُمَّه في الرِّحْلَة إلىٰ قُتَيْبَةَ ، فلَمْ تَأذَنْ له ، ثم ماتَتْ ، فخَرجَ إلىٰ خُراسَانَ ، ثم وَصَلَ إلىٰ بَلْخَ وقد ماتَ قُتَيْبَةُ ، فكانوا يُعزُّونَه علىٰ هـٰذا ، فقالَ : هـٰذا ثَمرَةُ العِلمِ ، إنِّي اختَرتُ رِضا الوَالِدَة[7] .

---

(١) انظر السير : (محمَّد بنُ الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ١/٦٠٩ .
(٢) انظر السير : (مَنْصورُ بنُ الْمُعْتَمِر) ٥/ ٤٠٢ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٥/٦١٧ .
(٣) انظر السير : (كَهْمَس) ٦/ ٣١٦ـ ٣١٧ ، وانظر النزهة : ٦/٦٥٣ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَوْن) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٦/٦٥٦ .
(٥) انظر السير : (بُنْدار) ١٢/ ١٤٤ـ ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٩ .
(٦) انظر السير : (بُنْدار) ١٢/ ١٤٤ـ ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٨٩ .
(٧) انظر السير : (الأبَّار) ١٣/ ٤٤٣ـ ٤٤٤ ، وانظر النزهة : ٢/١١٠١ .

وقالَ ابنُ النَّجّار : قَرأتُ بخَطِّ مَعْمَرَ بنِ الفاخر في « مُعْجَمِه » أَخْبَرَني أبو القاسِم الحافِظُ إمْلاءً بِمِنَىٰ وكان من أَحْفَظِ مَنْ رَأيتُ وكان شَيخُنا إسْماعيلُ بنُ محمَّد الإمَامُ يُفَضِّلُه علىٰ جَميع مَنْ لَقيناهم ، قَدِمَ أَصْبَهانَ ونزَلَ في دَاري ، وما رَأيتُ شَابّاً أَحْفَظَ ولا أَوْرَعَ ولا أَتْقَنَ منه وكانَ فَقيهاً أديباً سُنِّياً ، سألتُه عن تأخُّرِه عن الرِّحْلَة إلىٰ أَصْبَهَانَ قالَ : اسْتأذَنتُ أُمِّي في الرِّحْلَة إليها ، فمَا أَذِنَتْ[1] .

* * *

(١) انظر السير : (ابنُ عَسَاكر) ٢٠/٥٥٤ـ ٥٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٨٥ .

الدُّنْيا

١ـ أقْوالٌ تُحَذِّرُ من الاغْتِرارِ بالدُّنْيا وتَحُثُّ على العَمَلِ للآخِرَة :

عن ابنِ الحَنَفيَّةَ : إنَّ اللهَ جَعَلَ الجَنَّةَ ثَمَناً لأنْفُسِكُم فلا تَبيعُوها بغَيرِها[١] .

قالَ إبراهيمُ بنُ أدْهَم : مَنْ طَلَبَ العِلمَ لله ، كانَ الخُمولُ أحَبَّ إليه من التَّطاوُل ، والله ما الحَياةُ بثِقَةٍ ، فيُرجَىٰ نومُها ، ولا الْمَنيَّةُ بعُذْر ، فيُؤمَنُ عُذرُها ، ففيمَ التَّفْريطُ والتَّقْصيرُ والاتِّكَالُ والإبْطَاءُ ؟ قد رَضينا من أعْمالِنا بالْمَعَاني ، ومِنْ طَلبِ التَّوْبَة بالتَّواني ، ومِنْ العَيشِ البَاقي بالعَيشِ الفَاني[٢] .

وقالَ سَلْمُ بنُ عبدِ الله الخُراسَانيُّ : سَمعتُ الفُضَيلَ يَقولُ : إنَّما أمْسُ مَثَلٌ ، واليَومُ عَمَلٌ ، وغَداً أمَلٌ[٣] .

ومن كلامِ أبي مُعاويَةَ الأسْوَد : مَنْ كانَت الدُّنيا هَمَّه ، طالَ غَداً غَمُّه ، ومن خَافَ ما بَينَ يَدَيه ، ضَاقَ به ذَرْعُه . وله مَوَاعِظُ وحِكَم[٤] .

ومِمَّا رَواهُ الْمُعافَىٰ بنُ عِمْرانَ : عن سُفْيانَ ، عن حَجَّاجِ بنِ فُرافِصَة عن بُدَيل ، قالَ : مَنْ عَرَفَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ، أحَبَّه ، ومَنْ أبْصَرَ الدُّنيا زَهِدَ فيها ، والْمُؤمِنُ لا يَلْهُو حتَّىٰ يَغْفُل ، فإذا تَذكَّرَ حَزِنَ[٥] .

وعن بِشْرِ بنِ الحارِث أنَّه قالَ : أمْسُ قد مَاتَ ، واليَومُ في السِّياقِ ، وغَداً لَمْ يُولَدْ[٦] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ الحَنَفيَّة) ٤/ ١١٠ـ ١٢٩ ، وانظر النزهة : ٤٥٨/ ٧ .
(٢) انظر السير : (إبْراهيم بن أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٧٠٨/ ١٠ .
(٣) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٤/ ٤ .
(٤) انظر السير : (أبو مُعاويَة الأسْوَد) ٩/ ٧٨ـ ٧٩ ، وانظر النزهة : ٨٠٠/ ١ .
(٥) انظر السير : (الْمُعَافَىٰ) ٩/ ٨٠ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٨٠١/ ١ .
(٦) انظر السير : (بِشْرُ بنُ الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ٨٨٦/ ١ .

ومن كَلامِ ابنِ الجَوْزِيِّ : ما اجْتَمَعَ لامْرِئٍ أمَلُه ، إلاَّ وَسَعَىٰ في تَفْرِيطِه أجَلُه[1] .

٢ـ حَالُ الدُّنْيا :

وبَلَغَنا أنَّ الثَّوْرِيَّ كان كَثِيراً ما يَتَمثَّلُ بأبْياتِ عِمْرانَ هٰذه :

أرىٰ أشقيـاءَ النـاسِ لا يسـأمـونها ... علـىٰ أنَّهـم فيهـا عُـراةٌ وجُـوَّعُ

أراهـا وإنْ كـانـت تُحَـبُّ فـإنها ... سَحـابـةُ صَيْـفٍ عـن قليـلٍ تَقَشَّـعُ

كركبٍ قَضَوا حاجاتِهم وتَرَحَّلوا ... طـريقُهُـم بـادي العـلامـةِ مَهْيَـعُ

تُوفِّيَ عِمْرانُ ابنُ حِطَّان سَنَةَ أرْبعٍ وثَمانين[2] .

وقال ابنُ الأعْرابيّ : كان أبو رَجَاء العَطاردي عابداً ، كثيرَ الصلاةِ وتلاوةِ القرآن ، كان يقولُ : ما آسَىٰ علىٰ شيء من الدنيا إلاَّ أنْ أُعَفِّرَ في التُّراب وجهي كلَّ يومٍ خَمسَ مرات[3] .

وعن سَعيدِ بنِ جُبَيْر قالَ : إنَّما الدُّنيا جمع من جُمَع الآخِرَة[4] .

وعن أبي جَعْفَر الباقِر ، قالَ : مَنْ دَخلَ قَلبَه ما في خالِصِ دينِ الله ، شَغلَه عمَّا سِوَاه ، ما الدُّنيا ، وما عَسَىٰ أنْ تكون ، هَلْ هو إلاَّ مَرْكَبٌ رَكِبتَه أو ثَوْبٌ لَبِسْتَه ، أو امْرَأةٌ أصَبْتَها[5] .

ورَوَى ابنُ عُيَيْنَة عن أبي حازِمٍ قالَ : اشْتدَّتْ مُؤنَةُ الدِّينِ والدُّنيا ، قيلَ : وكَيفَ ؟ قالَ : أمَّا الدِّينُ ، فلا تَجِدُ عَليه أعْواناً ، وأمَّا الدُّنيا فلا تَمُدُّ يَدَكَ إلىٰ شَيءٍ منها إلاَّ وَجَدتَ فاجِراً قد سَبَقَكَ إليه[6] .

---

(١) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٨/١٦٣٤ .
(٢) انظر السير : (عِمْران بن حِطَّان) ٤/ ٢١٤ـ ٢١٦ ، وانظر النزهة : ٦/٤٨١ .
(٣) انظر السير : (أبو رجاء العطاردي) ٤/ ٢٥٣ـ ٢٥٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٤ .
(٤) انظر السير : (سَعيد بنُ جُبَيْر) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٨/٥٠٦ .
(٥) انظر السير : (أبو جَعْفَر الباقِر) ٤/ ٤٠١ـ ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٢ .
(٦) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/ ٩٦ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٦ .

وعن أبي حازِمٍ ، قالَ : ما أحْبَبْتَ أنْ يَكُونَ مَعكَ في الآخِرَة ، فاتْرُكهُ اليومَ وقالَ : انظُر كُلَّ عَملٍ كَرِهْتَ المَوتَ من أجْلِه ، فاتْرُكْهُ ثم لا يَضُرُّكَ متىٰ مِتَّ[1] .

وعنه أيضاً ، قالَ : ما الدُّنيا ؟ ما مَضىٰ منها فحُلمٌ ، وما بَقِيَ منها فأمَانيُّ[2] .

وعنه أيضاً ، قالَ : وَجدتُ الدُّنيا شَيئَين : فشَيئاً هو لي ، وشَيئاً لغَيري فأمَّا ما كانَ لغَيري ، فلَوْ طلَبتُه بحيلَة السَّماوات والأرْض لَمْ أصِلْ إليه فيُمْنَعُ رِزْقُ غَيري منِّي كَما يُمْنَعُ رِزْقي من غَيري[3] .

وعن ابنِ السَّمَّاك : الدُّنيا كلُّها قَليلٌ ، والذي بَقِيَ منها قَليلٌ ، والذي لك من البَاقي قَليلٌ ، ولَمْ يَبْقَ من قَليلِكَ إلاَّ قَليلٌ ، وقد أصْبَحتَ في دَارِ العَزَاءِ ، وغَداً تَصيرُ إلىٰ دَارِ الجَزَاءِ ، فاشْتَرِ نَفسَكَ لَعلَّكَ تَنْجُو .

تُوفِّيَ ابنُ السَّمَّاك سَنةَ ثَلاثٍ وثَمانينَ ومئة ، وقد أسَنَّ[4] .

وعن عَليِّ بنِ مُوسَى الرِّضَىٰ ، عن أبيه ، قالَ : إذا أقْبَلَت الدُّنيا علىٰ إنْسانٍ ، أعْطَتْهُ مَحَاسِنَ غَيرِه ، وإذا أدْبَرَتْ عَنهُ ، سَلبَتهُ مَحَاسِنَ نَفسِه[5] .

وقالَ أبو عَليٍّ الثَّقَفيُّ : أُفٍّ مِنْ أشْغَالِ الدُّنيا إذا أقْبلَت ، وأُفٍّ مِنْ حَسَراتِها إذا أدْبَرَت العاقِلُ لا يَرْكَنُ إلىٰ شَيءٍ ، إنْ أقْبَلَ كانَ شُغْلاً وإنْ أدْبَرَ كان حَسْرةً[6] .

٣ـ قَوْلٌ جَميلٌ في أمْر الدُّنْيا :

عن ابنِ الحَنفيَّةِ ، قالَ : مَنْ كَرُمَتْ عليه نَفسُه لَمْ يَكُنْ للدُّنيا عندَه قَدْرٌ[7] .

عن خالِدِ بنِ مَعْدانَ ، قالَ : ما مِنْ آدَميٍّ إلاَّ ولَه أرْبَعُ أعْيُن : عَيْنانِ في رَأسِه يُبصِرُ

---

(١) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/ ٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٦ .
(٢) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/ ٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٣/٦٣٧ .
(٣) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/ ٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٧ .
(٤) انظر السير : (ابنُ السَّمَّاك) ٨/ ٣٢٨ـ ٣٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٧٦٢ .
(٥) انظر السير : (عَليٌّ الرِّضَىٰ) ٩/ ٣٨٧ـ ٣٩٣ ، وانظر النزهة : ١/٨٣١ .
(٦) انظر السير : (أبو عَليٍّ الثَّقَفيُّ) ١٥/ ٢٨٠ـ ٢٨٣ ، وانظر النزهة : ٥/١٢٢٧ .
(٧) انظر السير : (ابنُ الحَنَفيَّة) ٤/ ١١٠ـ ١٢٩ ، وانظر النزهة : ٦/٤٥٨ .

بهما أمْرَ الدُّنيا ، وعَيْنانِ في قَلْبه يُبصِرُ بهما أمْرَ الآخِرَة ، فإذا أرادَ اللهُ بعَبدٍ خَيْراً ، فَتَح عَيْنَيه اللَّتَينِ في قَلبِه ، فأبْصَرَ بهما ما وُعِدَ بالغَيبِ ، فأمِنَ الغَيبَ بالغَيبِ[1] .

٤ـ حَالُ السَّلَف مع الدُّنْيا :

رَوَى الثَّوريُّ : قالَ إبْراهيمُ التَّيْميُّ : كَمْ بَينَكم وبَينَ القَومِ! أقْبَلَتْ عَليهم الدُّنيا فهَرَبُوا ، وأدْبَرَتْ عَنكُم ، فاتَّبَعْتُمُوها[2] .

وقالَ خالدُ بنُ خِدَاش : سَمعَتْ رَابعَةُ العَدَويَّة صالِحاً الْمُرِّيَّ يَذكُرُ الدُّنيا في قِصَصِه ، فنادَتْه : يا صالِحُ ، مَنْ أحَبَّ شَيئاً أكْثَرَ مِنْ ذِكْرِه[3] .

وعن بِشْرِ بنِ صالح العَتكي ، قالَ : اسْتأذَنَ نَاسٌ علىٰ رابِعَةَ ومَعَهم سُفْيانُ الثَّوريُّ فتَذاكَروا عِندَها سَاعَة ، وذَكَروا شَيئاً من الدُّنيا ، فلمَّا قامُوا قالَت لِخادِمَتِها : إذا جاءَ هـٰذا الشَّيخُ وأصْحابُه ، فلا تَأذَني لَهُم ، فإنِّي رَأيتُهم يُحِبُّونَ الدُّنيا[4] .

عن ابنِ حَفْصُونَ ، قالَ : قُلتُ لأبي وَهْب : تَعلَمُ أنِّي كَبيرُ الدَّارِ فاسْكُنْ مَعي ، وأخْدمُكَ وأُشارِكُكَ في الحُلوِ والْمُرِّ ، قالَ : لا أفْعَلُ ، إنِّي طَلَّقتُ الدُّنيا بالأمْسِ ، أفَأُراجِعُها اليَومَ ؟ فالْمُطَلِّقُ إنَّما يُطَلِّقُ الْمَرأةَ بَعدَ سُوءِ خُلُقِها ، وقِلَّةِ خَيْرِها ، ولَيسَ في العَقْلِ الرُّجُوعُ إلىٰ مَكْرُوهٍ ، وفي الحَديثِ « لا يُلْدَغُ مُؤْمِنٌ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ »[5] .

٥ـ التَّحَرُّرُ من عَلائقِ الدُّنْيا :

قالَ ثابتٌ : جاءَ رَجلٌ إلىٰ صِلَةَ بنِ أَشْيَم بنَعْي أخيه ، فقالَ له : ادْنُ فكُلْ فقَد نُعيَ إليَّ أخي مُنذُ حين ، قالَ تَعالَىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[6] ،[7] .

---

(١) انظر السير : (خالِدُ بنُ مَعْدان) ٤/ ٥٣٦ـ ٥٤١ ، وانظر النزهة : ٢/ ٥٥٢ .
(٢) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ يَزيد) ٥/ ٦٠ـ ٦٢ ، وانظر النزهة : ٣/ ٥٨٠ .
(٣) انظر السير : (رابِعَةُ العَدَويَّة) ٨/ ٢٤١ـ ٢٤٣ ، وانظر النزهة : ٢/ ٧٤٧ .
(٤) انظر السير : (رابِعَةُ العَدَويَّة) ٨/ ٢٤١ـ ٢٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/ ٧٤٧ .
(٥) انظر السير : (أبو وَهْب) ١٥/ ٥٠٦ـ ٥٠٨ ، وانظر النزهة : ٣/ ١٢٥٤ .
(٦) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .
(٧) انظر السير : (صِلَةُ بن أَشْيَم) ٣/ ٤٩٧ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/ ٤١٦

وقالَ بِلالُ بنُ سَعْد : وُشِيَ بعامِرِ بن عبدِ قَيْس إلىٰ زِيادٍ ، فقالوا : ها هُنا رَجلٌ قيلَ له : ما إبْراهِيمُ عليه السلام خَيراً مِنْكَ فسَكَتَ ، وقد تَرَكَ النِّساءَ .

فكَتَبَ فيه إلىٰ عُثْمانَ ، فكَتبَ إليه : انْفِه إلى الشَّامِ علىٰ قَتَبٍ[1] فلمَّا جاءَه الكِتابُ ، أرْسَلَ إلىٰ عامِر ، فقالَ : أنتَ قيلَ لكَ : ما إبْراهِيمُ عليه السلام خَيراً مِنْكَ فسَكَتَّ ؟ قالَ : أمَا واللهِ ما سُكُوتي إلاَّ تعَجُّبٌ ، ولَوَدِدْتُ أنِّي غُبارُ قَدَمَيْه قالَ : وتَرَكْتَ النِّساءَ ؟ قالَ : واللهِ ما تَركْتُهنَّ إلاَّ أنِّي قد عَلمتُ أنَّه يَجيءُ الوَلدُ وتشَعَّبُ في الدُّنيا ، فأحْبَبْتُ التَّخلِّي .

فأجْلاهُ علىٰ قَتَبٍ إلى الشَّامِ ، فأنْزَلَه مُعاويَةُ مَعه في الخَضْراء[2] وبَعثَ إليه بجَاريَةٍ ، وأمَرَها أنْ تُعْلِمَه ما حَالُه فكانَ يَخرُجُ من السَّحَر ، فلا تَراهُ إلاَّ بَعدَ العَتْمَة فيَبعَثُ مُعاويَةُ إليه بطَعَامٍ ، فلا يَعْرِضُ له ، ويَجيءُ بِكِسَرٍ ، فيَبلُّها ويَأكُلُ ، ثم يَقومُ إلىٰ أنْ يَسمَعَ النِّداءَ فيَخرُجُ ، فكتَبَ مُعاويَةُ إلىٰ عُثْمانَ يَذكُرُ حالَه ، فكَتبَ : اجْعَلْهُ أوَّلَ داخِلٍ وآخِرَ خارِجٍ ، ومُرْ له بعَشَرَةٍ من الرَّقيقِ ، وعَشرَةٍ من الظَّهْرِ ، فأحْضَرَه وأخْبرَه قالَ : إنَّ عَليَّ شَيْطاناً قد غَلَبَني ، فكَيفَ أجْمَعُ عَليَّ عَشرَةً وكانَت له بَغلَةٌ[3] .

٦ـ حُبُّ الدُّنْيا والسُّرورُ بها :

عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه ، أنَّ عِيسَىٰ عليه السلام قالَ لِلحَوارِيِّينَ : أشَدُّكم جَزَعاً على الْمُصيبَة ، أشَدُّكم حُبّاً للدُّنيا[4] .

وعن سُفْيانَ الثَّوْريِّ : مَنْ سُرَّ بالدُّنيا ، نُزِعَ خَوفُ الآخِرَةِ من قَلبِه[5] .

وعن سُحْنُونَ قالَ : مُحِبُّ الدُّنيا أعْمَىٰ ، لَمْ يُنَوِّرْهُ العِلمُ[6] .

---

(١) القَتَب : الرحل الصغير علىٰ قدر سَنام البَعير .
(٢) الخَضْراء : هي دار الإمارَة بدِمَشْقَ ، بناها مُعاويَة .
(٣) انظر السير : (عامِرُ بنُ عَبد قَيْس) ٤/ ١٥ـ١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٤٣٣ .
(٤) انظر السير : (وَهْبُ بنُ مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ١٠/ ٥٥٤ .
(٥) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٩٩ .
(٦) انظر السير : (سُحْنُون) ١٢/ ٦٣ـ٦٩ ، وانظر النزهة : ٩/٩٨٢ .

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحَواريِّ : مَنْ نَظرَ إلى الدُّنيا نَظَرَ إرادَةٍ وحُبٍّ ، أخْرَجَ اللهُ نُورَ اليَقينِ والزُّهْدِ من قَلبه[١] .

ومن كَلامِ أبي عُثْمانَ الحِيري : سُرُورُكَ بالدُّنيا أذْهَبَ سُرُورُكَ باللهِ عن قَلبِك[٢] .

٧ـ تَقْديمُ أمْرِ الآخِرَة علىٰ أمُور الدُّنْيا :

قالَ ابنُ بَشْكُوالَ : كانَ الطُّرْطُوشيُّ إماماً عالِماً ، زَاهِداً وَرِعاً ، دَيِّناً مُتَواضِعاً مُتَقَشِّفاً مُتَقَلِّلاً من الدُّنيا ، راضياً باليَسيرِ أخْبَرَنا عنه القاضي أبو بَكر ابنُ العَرَبي ، ووَصَفَه بالعِلمِ ، والفَضْلِ ، والزُّهْدِ ، والإقْبَالِ علىٰ ما يَعنيهِ قالَ لي : إذا عَرَضَ لك أمْرُ دُنيا وأمْرُ آخِرَة ، فبَادِرْ بأمْرِ الآخِرَةِ يَحْصُلْ لَكَ أمْرُ الدُّنيا والأُخْرَىٰ .

وقالَ إبْراهيمُ بنُ مَهْدي : كانَ شَيخُنا أبو بَكر زُهْدُه وعِبادَتُه أكثرُ من عِلمِه ، وحَكَىٰ بَعضُ العُلماء أنَّ أبا بَكر الطُّرْطُوشيُّ أنْجبَ عليه نحوٌ من مِئتَي فَقيهٍ مُفتي[٣] .

٨ـ قَولٌ بَليغٌ في تَرْكِ الدُّنْيا :

عن الْمُحاسَبيِّ قالَ : تَركُ الدُّنيا مع ذِكْرِها صِفَةُ الزَّاهِدينَ ، وتَرْكُها مع نِسْيانِها صِفَةُ العَارِفينَ[٤] .

٩ـ اسْتِواءُ الدُّنْيا في أعْيُنِ الصَّالحين :

عن الرِّفاعيِّ أنَّه قالَ : لَوْ أنَّ عن يَميني جَماعَةً يُرَوِّحُوني بمَراوِحِ النَّدِّ والطِّيبِ وهم أقْرَبُ النَّاسِ إليَّ ، وعن يَسَاري مِثلَهم يَقْرِضُونَ لَحْمِي بمَقَارِيضَ وهم أبْغَضُ النَّاسِ إليَّ ، ما زَادَ هَؤُلاءِ عِندِي ، ولا نَقُصَ هَؤُلاءِ عِندِي بِمَا فَعَلوهُ ، ثم تَلا : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[٥] ،[٦] .

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ أبي الحَواريِّ) ١٢/ ٨٥ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ٥/٩٨٥ .

(٢) انظر السير : (أبو عُثمان الحِيري) ١٤/ ٦٢ـ ٦٦ ، وانظر النزهة : ١/١١٣١ .

(٣) انظر السير : (الطُّرْطُوشيُّ) ١٩/ ٤٩٠ـ ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٠٠ .

(٤) انظر السير : (الْمُحاسَبيُّ) ١٢/ ١١٠ـ ١١٢ ، وانظر النزهة : ٤/٩٨٨ .

(٥) سورة الحديد ، الآية : ٢٣ .

(٦) انظر السير : (الرِّفاعِيُّ) ٢١/ ٧٧ـ ٨٠ ، وانظر النزهة : ٥/١٦٠١

١٠ـ أخبارٌ تُحَذِّرُ من الاغْتِرار بالدُّنْيا :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ البَرْمَكيِّ : كانَ خالدٌ من رِجالِ العِلمِ ، تَوصَّلَ إلىٰ أعْلَى الْمَراتِبِ في دَولَةِ أبي جَعْفَر ، ثم كانَ ابنُه يَحْيَىٰ كامِلَ السُّؤدُدِ ، جَليلَ الْمِقْدار ، بحَيثُ إنَّ الْمَهْديَّ ضَمَّ إليه وَلدَهُ الرَّشيدَ ، فأحْسَنَ تَربيتَه وأدَّبَه ، فلمَّا أفْضَتِ الخِلافَةُ إلى الرَّشيدِ ، رَدَّ إلىٰ يَحْيَىٰ مَقاليدَ الأمُورِ ، ورَفَعَ مَحلَّه ، وكانَ يُخاطِبُه يا أبي ، فكان من أعْظَم الوُزَراءِ ، ونَشأ له أوْلادٌ صَارُوا مُلُوكاً ، ولا سِيَّما جَعْفَر ، وما أدْراكَ ما جَعْفَر ؟ له نبأٌ عَجيبٌ ، وشأنٌ غَريبٌ ، بَقِيَ في الارْتِقاءِ في رُتبَةٍ ، شَرِكَ الخَليفَةَ في أمْوالِه ولَذَّاته وتَصرُّفِه في الْمَمالِك ، ثم انْقَلبَ الدَّسْتُ في يَومٍ فقُتلَ ، وسُجنَ أبُوهُ وإخْوَتُه إلى الْمَماتِ ، فما أجْهَلَ مَنْ يَغْتَرُّ بالدُّنيا!![1] .

وقالَ الأصْمَعيُّ : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ خالد يَقولُ : الدُّنيا دُوَلٌ ، والْمَالُ عَاريَةٌ ، ولَنَا بمَنْ قَبلَنا أُسْوَةٌ ، وفينا لِمَنْ بَعدَنا عِبْرَةٌ[2] .

قيلَ : إنَّ ولداً لِيَحْيَىٰ قالَ له وهُم في القُيودِ : يا أبَتِ بَعدَ الأمْرِ والنَّهْي والأمْوَالِ صِرْنا إلىٰ هَـٰذا ؟ قالَ : يا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ غَفَلْنا عنها لَمْ يَغْفُلِ اللهُ عنها .

ماتَ يَحْيَىٰ مَسْجوناً بالرَّقَّة سَنةَ تِسْعينَ ومئة عن سَبعينَ سَنةً[3] .

فأمَّا جَعْفَرٌ ، فكانَ من مِلاحِ زَمانِه ، كانَ وَسيماً أبيَضَ جَميلاً فَصيحاً مُفوَّهاً ، أديباً ، عَذْبَ العِبارَة ، حاتِميَّ السَّخاءِ ، وكانَ لَعَّاباً غارِقاً في لَذَّاتِ دُنياه ، وَلِيَ نيابَةَ دِمَشْقَ ، فقَدِمَها في سَنةِ ثَمانينَ ومئة ، فكانَ يَسْتَخلِفُ عليها ، ويُلازِمُ هارُونَ ، وكانَ يَقولُ : إذا أقْبَلت الدُّنيا عَليكَ ، فأعْطِ ، فإنَّها لا تَفْنَىٰ ، وإذا أدْبَرَت ، فأعْطِ فإنَّها لا تَبْقَىٰ .

وقد اخْتُلِفَ في سَبَبِ مَصْرَعِ جَعْفَرٍ علىٰ أقْوالٍ[4] .

---

(١) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ٧٩٧/ ٢ .
(٢) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ٧٩٧/ ٣ .
(٣) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ٧٩٧/ ٤ .
(٤) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ٧٩٨/ ١ .

وسُئِلَ سَعيدُ بنُ سَالِم عن ذَنْبِ البَرَامِكَة ، فقالَ : ما كانَ منهم بَعضُ ما يُوجِبُ ما فَعلَ الرَّشيدُ ، لكنْ طَالَتْ أيَّامُهُم ، وكُلُّ طَويلٍ يُمَلُّ[1] .

وفي تاريخِ ابنِ خَلِّكانَ : أنَّ الرَّشيدَ دَعا ياسِراً غُلامَه ، فقالَ : قد انتُخَبْتُكَ لأمْرٍ لَمْ أرَ لَه الأمينَ ولا الْمَأمُونَ ، فحَقِّقْ ظَنِّي قالَ : لَوْ أمَرتَني بقَتلِ نَفسي ، لَفَعلتُ قالَ : ائتِني برأسِ جَعْفَر ، فوَجَمَ لها ، قالَ : وَيْلَك مَا لَك ؟ قالَ : الأمْرُ عَظيمٌ ، لَيْتَني مِتُّ قَبلَ هَـٰذا .

قالَ : امْضِ ، وَيْلَك ، فمَضَىٰ ، فأتَىٰ جَعْفَراً ، فقالَ : يا ياسِرُ سَرَرْتَنِي بإقْبَالِكَ لكن سُؤْتَني بدُخُولِكَ بلا إذْنٍ قالَ : الأمْرُ وَراءَ ذَلكَ يا جَعْفَرُ ، قد أُمِرتُ بكَذَا ، قالَ الْمِسْكِينُ - وأقْبَلَ يُقبِّلُ قَدَمَه ، وقالَ : دَعْني أدْخُلُ وأُوصِي قالَ : لا سَبيلَ إلىٰ ذَلك ، فأوْصِ فقالَ : لي عَليكَ حَقٌّ ، فارْجِعْ إلىٰ أميرِ الْمُؤمنينَ وقُلْ : قَتَلتُه ، فإنْ نَدِمَ ، كانَتْ حَيَاتي عَلَىٰ يَدِك قالَ : لا أقْدِرُ ، قالَ : فأتي مَعَكَ إلىٰ مُخَيِّمه وأسْمَعُ كَلامَه ، وقَولَك له قالَ : أمَّا هـٰذا ، فنَعَم وذَهَبَ به ، فلمَّا دَخَلَ ياسِرٌ ، قالَ : ما وَراءَك ؟ فذَكَرَ له قَولَ جَعْفَر ، فشَتَمَه ، وقالَ : لَئنْ راجَعْتَني ، لأقَدِّمَنَّكَ قَبلَه فخَرجَ ، وضَرَبَ عُنُقَه ، وأتاهُ برَأسِه ، فقالَ : يا ياسِرُ جِئني ، بفُلانٍ وفُلان ، فلمَّا أتاهُ بهما ، قالَ : اضْرِبَا عُنُقَه ، فإنِّي لا أقْدِرُ أرَىٰ قاتِلَ جعْفَر[2] .

١١ـ رُؤىٰ في حَال الدُّنْيا :

عن العَلاءِ بنِ زِياد قالَ : رَأيتُ النَّاسَ في النَّوْم ، يَتْبَعونَ شَيئاً فتَبِعْتُه ، فإذا عَجُوزٌ كَبيرَةٌ هَتْماءُ عَوْراءُ ، عَليها من كُلِّ حِلْيَة وزِينَة فقُلتُ : ما أنْتِ ؟ قالَت : أنا الدُّنيا قُلتُ : أسْألُ اللهَ أنْ يُبَغِّضَكِ إليَّ ، قالَت : نَعَم ، إنْ أبْغَضْتَ الدَّراهِمَ[3] .

قالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة : قالَ لي أبو بَكر بنُ عَيَّاش : رَأيتُ الدُّنيا في النَّوْمِ عَجُوزاً مُشَوَّهَة[4] .

---

(١) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ٧٩٨/ ٢ .
(٢) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ٧٩٨/ ٣ .
(٣) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤٧٨/ ٣ .
(٤) انظر السير : (أبو بَكر بنُ عَيَّاش) ٨/ ٤٩٥ـ ٥٠٨ ، وانظر النزهة : ٧٨٧/ ٧ .

١٢ـ شِعْرٌ في التَّحْذير من الغَفْلَة :

ومما روي لعُمَرَ بنِ عبدِ العَزيز[١] :

أَيَقْظَانُ أَنْتَ اليَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمُ ... وكَيْفَ يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرانُ هَائِمُ

فلَوْ كُنْتَ يَقْظَانَ الغَدَاةَ لَخَرَّقَتْ ... مَدَامِعَ عَيْنَيْك الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ

تُسَرُّ بمَا يَبْلَىٰ وتَفْرَحُ بالْمُنى ... كَما اغْتَرَّ باللذَّاتِ في اليَوْمِ حَالِمُ

نَهَارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَىٰ لَكَ لازِمُ

وسَعْيُكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كَذلِكَ في الدُّنْيا تَعيشُ البَهَائِمُ

ومِمَّا كانَ مِسْعَر يُنشِدُه له أو لِغَيرِه[٢] :

نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والردىٰ لكَ لازِمُ

وتَتعبُ فيما سوفَ تكرهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ العاضِد العُبَيْديّ : وكان وَزيرَ طَلائع بنِ رُزِّيك مَليحَ النَّظْمِ ، قَويَّ الرَّفْضِ ، جَواداً شُجاعاً ، يناظِرُ على الإمامَة والقَدَر ، وعَمِلَ قَبلَ مَوْتِه بثَلاثِ لَيالٍ :[٣] .

نحنُ في غفلةٍ ونومٍ وللمو ... تِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ

قدْ رَحَلنا إلى الحِمَام سنينا ... ليتَ شِعري متىٰ يكونُ الحِمامُ

وقالَ الحافِظُ ابنُ عَسَاكِر :

أيا نفسُ وَيْحَكِ جاءَ المشيبْ ... فما ذا التصابي وما ذا الغزلْ

تولىٰ شبابي كأنْ لَمْ يكنْ ... وجاءَ مشيبي كأنْ لم يَزَلْ

كأني بنفسي علىٰ غِرَّةٍ ... وخطبُ المُنونِ بها قدْ نَزَلْ

فيا ليتَ شِعريَ ممَّن أكونْ ... وما قدَّرَ اللهُ لي في الأزَلْ

---

(١) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩١ .

(٢) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٨٩ .

(٣) انظر السير : (العاضِد) ١٥/ ٢٠٧ـ٢١٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢١٩ .

تُوفِّيَ الحافِظُ ابنُ عَسَاكِر سَنَةَ إحْدَىٰ وسَبعينَ وخَمسٍ مئة ، وحَضَره السُّلطانُ صَلاحُ الدِّين[1] .

وقالَ أبو عبدِ الله ابنُ الدُّبَيْثي في « تاريخِه » : أنْشَدَني ابنُ الجَوْزيّ بوَاسِطَ لِنَفْسِه[2] :

يا ساكنَ الدنيا تأهبْ وانتظرْ يومَ الفراقْ
وأعِدَّ زاداً للرحيل فسوفَ يُحْدىٰ بالرفاقْ
وابكِ الذنوبَ بأدمعٍ تَنْهَلُّ من سُحْبِ المآقْ
يا مَنْ أضاعَ زمانَهُ أرضيتَ ما يفنىٰ بِباقْ

ومن إنْشاءِ ابنِ الدَّهَّان[3] :

أيها المغرورُ بالدنيا انتبهْ إنها حالٌ ستفنىٰ وتَحُولْ
واجتهدْ في نَيْلِ مُلْكٍ دائمٍ أيُّ خيرٍ في نعيمٍ سيزولْ
لو عَقَلنا ما ضحكنا لحظةً غيرَ أنَّا فُقِدَتْ مِنَّا العُقولْ

١٣ـ شِعْرٌ في التَّحْذيرِ من الاغْتِرار بالدُّنْيا :

قالَ أبو العَتاهِيَة[4] :

قولا لمن يرتجي الحياةَ أمَا في جعفرٍ عِبرةٌ ويحياهُ
كانا وزيرَيْ خليفةِ الله ها رونَ هما ما هما وزيراهُ
فذلكمْ جَعْفَرٌ بِرُمَّتِهِ في حالقٍ رأسَه ونصفاهُ
والشيخُ يحيى الوزيرُ أصبحَ قَدْ نحّاهُ عنْ نفسِهِ وأقصاهُ
شتَّتَ بَعْدَ الجميعِ شملَهُمُ فأصبحوا في البلادِ قد تاهوا

---

(١) انظر السير : (ابنُ عَساكر) ٢٠/ ٥٥٤ـ ٥٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨٥ .
(٢) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٧/١٦٣٤ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الدَّهان) ٢٢/ ٨٦ـ ٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٦٧ .
(٤) انظر السير : (البَرْمَكِيُّ) ٩/ ٥٩ـ ٧١ ، وانظر النزهة : ١/٧٩٩ .

كــذلــكَ مــن يُسْخِــط الإلــهَ بمــا / يُــرضــي بــهِ العبــدَ يَجْــزِهِ اللهُ
سبحــانَ مــن دانــتِ الملــوكُ لــهُ / نشهـــدُ أن لا إلـٰــه إلا هـــوْ
طــوبــىٰ لمــنْ تــابَ قبــلَ عثــرتِــه / فتــابَ قبــلَ المتــابِ طــوبــاهُ

وقالَ الشَّاعِرُ[1] :

ما الناسُ إلاَّ معَ الدنيا وصاحِبها / وكيفمـا انقلبـتْ يـومـاً بـهِ انقلبـوا
يعظِّمـون أخـا الـدنيـا فـإنْ وثبـتْ / يـومـاً عليـهِ بمـا لا يشتهـي وثبـوا

١٤ـ عِبْرَةٌ وعِظَةٌ في حَال الدُّنْيا :

قالَ الحاكِمُ : سَمعتُ الأصَمَّ ، وقد خَرَجَ ونَحنُ في مَسجِدِه ، وقد امْتَلأت السِّكَّةُ من النَّاسِ سَنةَ أرْبَع وأرْبَعينَ وثَلاثِ مئة وكانَ يُمْلِي عَشيّة كُلِّ إثْنَينِ من أصُولِه فلمَّا نَظَرَ إلىٰ كَثرَةِ النَّاسِ والغُرَباءِ وقد قامُوا يَحمِلُونَه علىٰ عَواتِقِهم من بابِ دَارِه إلىٰ مَسْجِدِه ، بَكَىٰ طَويلاً ، ثم قالَ : كأنِّي بهـٰذِه السِّكَّة لا يَدخُلُها أحَدٌ مِنْكُم ، فإنِّي لا أسْمَعُ وقد ضَعُفَ البَصَرُ ، وحانَ الرَّحيلُ ، فما كانَ إلاَّ بعدَ شَهر أو أقَلَّ منه حتَّىٰ كُفَّ بَصَرُه ، وانقَطَعَت الرِّحْلَةُ ، وانْصَرفَ الغُرَباءُ ، فرَجَع أمْرُه إلىٰ أنَّه كانَ يُنَاوَلُ قَلماً فيَعلَمُ أنَّهم يَطلبُونَ الرِّوَايَةَ ، فيَقُولُ حدَّثنا الرَّبيعُ ، وكانَ يَحفَظُ أرْبَعةَ عَشرَ حَديثاً ، وسَبعَ حِكاياتٍ ، فيَرويها وصارَ بأسْوَأ حالٍ حتَّىٰ تُوفِّيَ[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (الذُّهْليُّ وابنُه) ١٢/ ٢٧٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ١٠٠٠/٥ .
(٢) انظر السير : (الأصَمُّ) ١٥/ ٤٥٢ـ ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ١٢٤٩/٢ .

العُمْر

(أ) فائدَةُ طُول العُمْر :

قالَ عُمَرُ بنُ ذَر : كَتبَ سَعيدُ بنُ جُبَيْر إلىٰ أبي كتاباً أوْصَاهُ بتقوَى الله وقالَ : إنَّ بَقاءَ المسلم كُلَّ يومٍ غَنيمَةٌ ، فذَكَرَ الفَرائضَ والصَّلوَاتِ وما يَرزُقُه اللهُ من ذِكْرِه[1] .

(ب) أكمَلُ ما يَكون الإنْسَانُ عند الأرْبَعين :

قالَ الخَليلُ بنُ أحمَدَ الفَراهيدي : أكمَلُ ما يَكونُ الإنْسَانُ عَقْلاً وذِهْناً عند الأرْبَعين[2] .

* * *

(١) انظر السير : (سَعيدُ بنُ جُبَير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/٥٠٦ .

(٢) انظر السير : (الخَليل) ٧/ ٤٢٩ـ ٤٣١ ، وانظر النزهة : ٢/٧١٣ .

الوَعْظُ والوُعَّاظ

١ـ مِنْ آدابِ الوَعْظ :

عن عَطاءٍ قالَ : دَخلتُ أنا وعُبَيْدُ بنُ عُمَير علىٰ عائشَةَ فقالَت له : خَفِّفْ فإنَّ الذِّكْرَ ثَقيلٌ ، تَعني إذا وَعَظْتَ[١] .

٢ـ مَراتِبُ النَّاس في التَّأثُّر بالوَعْظ :

وقالَ أبو زُرْعَة : أمْلَىٰ عليَّ أحمَدُ بنُ عاصِم الحَكيمُ الأنْطاكيُّ : النَّاسُ ثلاثُ طَبَقاتٍ : مَطْبوعٌ غالبٌ وهم المؤمنون ، فإذا غَفلوا ذَكروا ، ومَطْبوعٌ مَغلوبٌ فإذا بُصِّروا أبْصَروا ورَجَعوا بقُوَّة العَقل ، ومَطْبوعٌ مَغلوبٌ غيرُ ذي طِباع ولا سَبيلَ إلىٰ رَدِّ هٰذا بالْمَواعِظِ[٢] .

٣ـ تَفَاوُت تأثير الوعَّاظ :

قالَ حمَّادُ بنُ زَيد : سَمعتُ أيُّوبَ يَقولُ : كانَ الحَسَنُ يَتكلَّمُ بكَلامٍ كأنَّه الدُّرُّ ، فتَكلَّمَ قَومٌ من بَعدِه بكَلامٍ يَخرُجُ من أفْوَاهِهِم كأنَّه القَيْءُ .

وقالَ أبو عَمرُو بنُ العَلاء : مَا رَأيتُ أفْصَحَ من الحَسَنِ والحَجَّاج[٣] .

قالَ الدُّقِيُّ : ما رَأيتُ شَيْخاً أَهْيَبَ من ابنِ الجَلاَّء ، مع أنِّي لَقيتُ ثَلاثَ مئة شيخ ، فسَمعْتُه يقولُ : ما جَلا أبي شَيئاً قطُّ ، ولكنَّه كانَ يَعِظُ ، فيَقَعُ كَلامُه في القُلوبِ ، فسُمِّيَ جَلاَّءَ القُلوب .

قالَ مُحمَّدُ بنُ عليِّ بن الجُلندي : سُئِلَ ابنُ الجَلاَّء عن الْمَحبَّة فسَمعْتُه يقولُ : مَا لي ولِلْمَحبَّة ؟ أنا أُريدُ أتعَلَّم التَّوْبَة[٤] .

---

(١) انظر السير : (عُبَيْدُ بنُ عُمَير) ٤/١٥٦ـ١٥٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٦٧ .
(٢) انظر السير : (الأنْطَاكيُّ) ١١/٤٠٩ـ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥٥ .
(٣) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٦١ .
(٤) انظر السير : (ابنُ الجَلاَّء) ١٤/٢٥١ـ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٤٨ .

٤ـ مَنْ مَاتَ من الوَعْظ :

وعن رَجُلٍ قالَ : وَعَظَ عبدُ الوَاحِدِ بنُ زَيد ، فنَادَىٰ رَجلٌ : كُفَّ ، فقد كَشَفتَ قِناعَ قَلبي فمَا الْتَفتَ ، ومَرَّ في الْموعِظَة ، فحَشْرَجَ الرَّجُلُ ، وماتَ فشَهِدتُ جنازَتَه[١] .

وقالَ مِسْمَعُ بنُ عاصِم : شَهِدتُ عبدَ الوَاحِدِ يَعِظُ ، فمَاتَ في الْمَجلِسِ أرْبَعةٌ[٢] .

قالَ العَبَّاسُ السَّرَّاجُ : حدَّثنا أحمَدُ بنُ مُوسَى الأنْصاريُّ قالَ : قالَ مَنْصورُ بنُ عَمَّار : حَجَجتُ ، فبِتُّ بالكُوفَة ، فخَرَجتُ في الظَّلماء ، فإذا بصارِخٍ يَقولُ : إلَـٰهي وعزَّتِك ما أرَدتُ بمَعْصيَتي مُخالَفَتَك ، وعَصَيتُ وما أنا بنَكالِكَ جاهِلٌ ، ولكنْ خَطيئَةٌ أعانَني عليها شَقائي ، وغرَّني سَترُك ، فالآنَ مَنْ يُنقِذُني ، فتَلَوْتُ هـٰذه الآيَةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[٣] قالَ : فسَمعتُ دكْدكَةً ، فلمَّا كانَ من الغَدِ ، مرَرتُ هُناك ، فإذا بجَنازَةٍ ، وعَجوزٌ تَقولُ : مَرَّ البارِحَةَ رَجلٌ تَلا آيَة فتَفَطَّرت مَرارَتُه ، فوَقَعَ مَيِّتاً[٤] .

وذَكرَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ الفَضْلِ البَلْخِيِّ ، المَعْروفِ بوَاعِظِ بَلْخ ، وقيلَ : إنَّه وَعَظَ يَوماً ، فماتَ في الْمَجلِسِ أرْبَعةُ أنْفُس[٥] .

٥ـ مَنْ مات من الوعَّاظ من شدَّة وَعْظِه :

قالَ عبدُ الغافِر في « تاريخِه » : حَكَى الثِّقاتُ أنَّ أبا عُثْمانَ الصَّابُونيَّ كانَ يَعِظُ ، فدُفِعَ إليه كتابٌ وَرَدَ من بُخارَىٰ ، مُشتَمِلٌ علىٰ ذِكرِ وَباءٍ عَظيمٍ بها لِيَدعُوَ لهم ، ووُصِفَ في الكِتابِ أنَّ رَجُلاً أعطَىٰ خَبَّازاً دِرْهَماً ، فكانَ يَزِنُ ، والصانعُ يَخبزُ ، والْمُشْتَري واقِفٌ ، فماتَ ثَلاثَتُهم في ساعَة .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الوَاحد بنُ زَيد) ٧/ ١٧٨ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ٣/٦٩١ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الوَاحد بنُ زَيد) ٧/ ١٧٨ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ٤/٦٩١ .
(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .
(٤) انظر السير : (مَنْصورُ بنُ عَمَّار) ٩/ ٩٣ـ ٩٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨٠١ .
(٥) انظر السير : (واعِظُ بَلْخ) ١٤/ ٥٢٣ـ ٥٢٦ ، وانظر النزهة : ٤/١١٧١ .

فلمَّا قَرأ الكتابَ هَالَه ذلكَ ، واسْتَقرأ من القارِىء ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[1] الآيات ونَظائرَها وبَالَغَ في التَّخْويفِ والتَّحْذيرِ ، وأثَّرَ ذلكَ فيه وتَغيَّرَ ، وغَلبَه وَجَعُ البَطنِ وأُنزِلَ من الْمِنْبَرِ يَصيحُ من الوَجَعِ ، فحُملَ إلىٰ حَمَّامٍ ، فبَقِيَ إلىٰ قَريبِ الْمَغربِ يَتقلَّبُ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، وبَقيَ أسْبُوعاً لا يَنفعُه عِلاجٌ ، فأوْصَىٰ ، ووَدَّعَ أوْلادَه ، وماتَ[2] .

٦ـ الواعِظُ المُحْتاج إلىٰ وَعْظ :

وقالَ أبو زُرْعَة : أمْلَىٰ عليَّ أحمَدُ بنُ عاصِم الحَكيمُ الأنْطاكيُّ : النَّاسُ ثلاثُ طَبَقاتٍ : مَطْبوعٌ غالبٌ وهم المؤمنون ، فإذا غَفلوا ذَكروا ، ومَطْبوعٌ مَغلوبٌ فإذا بُصِّروا أبْصَروا ورَجَعوا بقُوَّة العَقل ، ومَطْبوعٌ مَغلوبٌ غيرُ ذي طِباع ولا سَبيلَ إلىٰ رَدِّ هـٰذا بالْمَواعِظِ[3] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : فمَا الظَّنُّ إذا كانَ وَاعِظُ النَّاسِ من هـٰذا الضرب عَبْدَ بَطنِه وشَهْوَتِه ، وله قَلبٌ عَريٌّ من الحُزْنِ والخَوْفِ ، فإنِ انْضافَ إلىٰ ذلك فِسْقٌ مَكينٌ ، أو انْحِلالٌ من الدِّينِ ، فقد خابَ وخَسِرَ ، ولا بُدَّ أن يَفْضَحَه اللهُ تَعالَىٰ[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي مَنْصُور العَبَّادي : وَاعِظٌ باهِرٌ حُلوُ الإشارَة ، رَشيقُ العِبارَة ، إلاَّ أنَّه قَليلُ الدِّين .

وكانَ يُضرَبُ بحُسْنِ وَعْظِه الْمَثلُ[5] .

قالَ أبو سَعْد السَّمْعانيُّ : لَمْ يَكُنِ العبَّاديُّ بثِقَة ، رَأيتُ رسالَةً بخَطِّه جَمَعَها في إباحَةِ شُرْبِ الخَمْرِ .

قالَ ابنُ الجَوْزي : له كَلماتٌ جيِّدَةٌ ، وكتَبوا عنه من وَعْظِه مُجلَّداتٍ ذَهبَ لِيُصْلحَ

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٥ .
(٢) انظر السير : (الصَّابُونيُّ) ١٨/ ٤٠ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ١/١٣٨٥ .
(٣) انظر السير : (الأنْطَاكيُّ) ١١/ ٤٠٩ـ ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥٥ .
(٤) انظر السير : (الأنْطَاكيُّ) ١١/ ٤٠٩ـ ٤١٠ ، وانظر النزهة : ٥/٩٥٥ .
(٥) انظر السير : (العبَّادي) ٢٠/ ٢٣١ـ ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٤٤ .

بينَ مَلكٍ وكَبيرٍ ، فحَصُلَ له منهما مَالٌ كَثيرٌ ، وماتَ بعَسْكر مُكرم سَنةَ سَبعٍ وأربَعينَ وخَمسٍ مئة[1] .

وقيلَ : كانَ يُخِلُّ بالصَّلاةِ لَيلَةَ حُضُوره السَّماعَ ، وذَكرَ لَيلَةً مَناقِبَ عَليٍّ رضي الله عنه ، وأنَّ الشَّمسَ رُدَّتْ لَه ، فاتَّفَقَ أنَّ الشَّمسَ غَابَتْ بالغَيمِ ، فعَملَ أبْياتاً وهي :

لا تغـربـي يـا شمـسُ حتـىٰ ينتهـي	مَـدْحـي لآلِ المصطفـىٰ ولِنجْلِـه
واثنـي عنـانَـكِ إنْ أردتِ ثنـاءَهـم	أنسيـتِ إذ كـان الـوقـوفُ لأجلـهِ
إن كـانَ للمـولـىٰ وقـوفُـكِ فليكـنْ	هـٰـذا الـوقـوفُ لخيلـه ولِـرَجْلِـهِ

قالَ : فطَلَعَت الشَّمسُ من تَحتِ الغَيمِ ، فلا يُدرَىٰ ما رُمِيَ عَليه من الثِّيابِ والأمْوَالِ .

عاشَ سِتّاً وخَمسينَ سَنةً ، والله يُسامِحُه[2] .

٧ـ وَعْظُ العُلمَاء المُلوكَ والأُمَراءَ والوُزَراءَ :

(وستجدُ غيرَها في عَلاقة العُلمَاء بالأُمَراء)

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ السَّمَّاك : وقيلَ : وَعَظَ مرَّةً ، فقالَ : يا أميرَ الْمُؤمنينَ ، إنَّ لك بينَ يَدَي الله مَقاماً ، وإنَّه لك من مَقامِكَ مُنْصَرَفاً ، فانْظُرْ إلىٰ أينَ تَكونُ ، فبَكَى الرَّشيدُ كَثيراً[3] .

وعن عَليِّ بنِ حَرْب ، عن أبيه قالَ : مَضَى الرَّشيدُ علىٰ حِمَارٍ ، ومَعَه غُلامٌ إلى العُمَريِّ ، فوَعَظَه ، فبَكَىٰ ، وغُشِيَ عليه[4] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ زَكريّا الغَلابي ، حدَّثنا أبو عُمرَ الجَرْميُّ النَّحْويُّ ، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ الرَّبيع ، قالَ : حَجَّ أميرُ المؤمنين ـ يَعْني هارُونَ الرَّشيدَ ـ فقالَ لي : وَيْحَك ، قَد حَكَّ

---

(١) انظر السير : (العبَّادي) ٢٠/ ٢٣١ـ ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ١٥٤٤/ ٣ .
(٢) انظر السير : (العبَّادي) ٢٠/ ٢٣١ـ ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ١٥٤٤/ ٥ .
(٣) انظر السير : (ابنُ السَّمَّاك) ٨/ ٣٢٨ـ ٣٣٠ ، وانظر النزهة : ٧٦١/ ٥ .
(٤) انظر السير : (العُمَريُّ) ٨/ ٣٧٣ـ ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٧٦٤/ ٨ .

في نَفسي شَيءٌ ، فانْظُر لي رَجُلاً أَسْأَلُه فقُلتُ : ها هُنا سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة ، فقالَ : امْضِ بنا إليه ، فأتَيناهُ ، فقرَعْنا بابَه ، فقالَ : مَنْ ذا ؟ فقُلتُ : أجِبْ أميرَ المؤمنين .

فخَرجَ مُسْرِعاً ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، لَوْ أرْسَلتَ إليَّ أتَيتُك فقالَ : خُذْ لِما جِئتُك له ، فحَدَّثَه ساعَةً ، ثم قالَ له : عَليكَ دَينٌ قالَ : نَعَم فقالَ لي : اقْضِ دَيْنَه ، فلمَّا خَرجْنا قالَ : ما أغْنَىٰ عنِّي صاحبُك شَيئاً ، قُلتُ : ها هُنا عبدُ الرَّزَّاق قالَ : امْضِ بنا إليه ، فأتَيْناهُ ، فقَرَعْتُ البابَ فخَرَجَ وحادَثَه ساعَةً ، ثم قالَ : عَليكَ دَينٌ ؟ قالَ : نَعَم قالَ : يا أبا عبَّاس ، اقْضِ دَيْنَه ، فلمَّا خَرجْنا قالَ : مَا أغْنَىٰ عَنِّي صاحبُكَ شَيئاً ، انظُر لي رَجُلاً أسألُه ، قُلتُ : ها هُنا الفُضَيلُ بنُ عِياض ، قالَ : امْضِ بنا إليه ، فأتَيْناه ، فإذَا هو قائمٌ يُصلِّي ، يَتْلو آيةً يُرَدِّدُها ، فقالَ : اقْرَعِ البابَ ، فقَرعْتُ ، فقال : مَنْ هَـٰذا ؟ قلتُ أجِبْ أميرَ المؤمنين ، قالَ : ما لي ولأميرِ المؤمنينَ ؟ قُلتُ سُبْحانَ الله ، أما عَليكَ طَاعَةٌ ، فنزَلَ ، ففتَحَ البابَ ، ثمَّ ارْتَقىٰ إلى الغُرْفَة ، فأطْفَأَ السِّراجَ ثمَّ الْتَجأَ إلىٰ زاويةٍ ، فدَخَلنا ، فجَعَلْنا نَجولُ عليه بأيْدينا ، فسَبَقَتْ كفُّ هارُونَ قَبْلي إليه ، فقالَ : يا لَها من كَفٍّ ، ما ألْيَنَها إنْ نَجَتْ غداً من عَذابِ الله ، فقُلتُ في نَفسي : لَيُكَلِّمَنَّه اللَّيلةَ بكَلامٍ نَقيٍّ من قَلبٍ تَقيٍّ ، فقالَ له : خُذ لِما جِئناكَ له ، رَحمَك الله ، فقالَ : إنَّ عُمرَ بنَ عبدِ العَزيزِ لَمَّا وَليَ الخِلافَةَ دَعا سالِمَ بنَ عبدِ الله ، ومحمَّدَ بنَ كعْبٍ ، ورَجاءَ بنَ حَيْوَة ، فقالَ لهم : إنِّي قد ابْتُليتُ بهَـٰذا البَلاء فأشيروا عليَّ ، فعَدَّ الخِلافَةَ بلاءً وعَدَدْتَها أنتَ وأصْحابُكَ نِعْمَة ، فقالَ له سَالمٌ : إنْ أرَدْتَ النَّجاةَ ، فصُم الدُّنيا ، وليَكُنْ إفْطارَكَ منها الْمَوْتُ ، وقالَ ابنُ كعْب : إنْ أرَدْتَ النَّجاةَ من عَذابِ الله ، فلْيَكُنْ كَبيرُ المسلمينَ عندَكَ أباً ، وأوْسَطُهم أخاً ، وأصْغَرُهم وَلَداً ، فوَقِّرْ أباك ، وأكْرِمْ أخاكَ ، وتَحَنَّنْ علىٰ وَلَدِك .

وقال له رَجاءٌ : إنْ أرَدْتَ النَّجاةَ من عَذابِ الله ، فأحِبَّ للمسلمينَ ما تُحبُّ لِنَفْسِك ، واكْرَه لهم ما تَكْرَهُ لِنَفْسِك ، ثم مُتْ إذا شِئتَ ، وإنِّي أقولُ لكَ هَـٰذا وإنِّي أخافُ عليكَ أشدَّ الخَوْفِ يوماً تَزِلُّ فيه الأقْدامُ ، فهلْ مَعكَ رَحِمَكَ الله مَنْ يُشيرُ عليك بمثلِ هـٰذا ، فبَكَىٰ هارُونُ بُكاءً شَديداً حتّىٰ غُشيَ عليه ، فقُلتُ له : ارْفُقْ بأميرِ

المؤمنين ، فقالَ : يا بنَ أُمِّ الرَّبيع ، تَقْتُلُه أنتَ وأصْحابُك ، وأرْفُقُ به أنا ؟!! ، ثمَّ أفَاقَ فقالَ له : زِدْني رَحِمَكَ اللهُ قلتُ : بَلَغني أنَّ عامِلاً لِعُمَرَ بن عبدِ العزيز شُكيَ إليه ، فكتبَ إليه : يا أخي أُذَكِّرُكَ طُولَ سَهر أَهْلِ النَّارِ في النَّارِ مع خُلودِ الأبَد ، وإيَّاكَ أنْ يُنْصَرَفَ بك من عند الله ، فيَكونُ آخرَ العَهْدِ وانْقِطاعِ الرَّجَاءِ ، فلمَّا قرأ الكتابَ طَوَى البلادَ حتّىٰ قدِمَ عليه ، فقالَ : خَلَعْتَ قَلبي بكتابِك ، لا أعُودُ إلىٰ وِلايَة حتَّىٰ ألقَى الله ، فبَكَىٰ هارُونُ بُكاءً شَديداً ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ : إنَّ العبَّاسَ عمَّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم جاءَ إليه فقالَ : أمِّرْني ، فقال له : « إنَّ الإمَارَةَ حَسْرَةٌ ونَدَامَةٌ يَوْمَ القِيامَةِ ، فَإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَكونَ أَميراً فَافْعَلْ » فبَكَىٰ هارُونُ ، وقالَ : زِدْني قالَ : يا حَسَنَ الوَجْه أنتَ الذي يَسألُكَ اللهُ عن هـٰذا الخَلقِ يَومَ القِيامَة ، فإنِ اسْتطَعْتَ أنْ تَقي هـٰذا الوَجْهَ من النَّارِ فافْعَلْ ، وإيّاك أنْ تُصْبِحَ وتُمْسي وفي قَلبك غِشٌّ لأحَدٍ من رَعيَّتِك ، فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشَّاً لَمْ يَرُحْ رَائحَةَ الجَنَّةِ » فبَكَىٰ هارُونُ وقالَ له : عَليكَ دَيْنٌ ؟ قالَ نَعَم : دَينٌ لِرَبِّي ، لم يُحاسِبْني عَليه ، فالوَيلُ لي إنْ ساءَلَني ، والوَيلُ لي إنْ ناقَشَني ، والوَيْلُ لي إنْ لَمْ أُلْهَم حُجَّتي ، قالَ : إنَّما أعْنِي من دَينِ العِبادِ ، قالَ : إنَّ رَبِّي لَمْ يأمُرني بهـٰذا ، أمَرَني أنْ أُصدِّقَ وَعْدَه ، وأُطيعَ أمْرَه ، فقالَ عزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ، فقالَ : هـٰذه ألْفُ دينار خُذْها ، فأنْفِقْها علىٰ عِيالِك ، وتَقوَّ بها علىٰ عِبادَة رَبِّك ، فقالَ : سُبْحانَ الله أنا أدُلك علىٰ طريقِ النَّجاةِ وأنتَ تُكافِئُني بِمِثلِ هـٰذا!! سَلَّمَك الله ووَفَّقَكَ ، ثم صَمتَ ، فلمْ يُكلِّمْنا ، فخَرَجْنا ، فقالَ هارُونُ : أبا عبَّاس ، إذا دَلَلْتَني ، فدُلَّني علىٰ مثلِ هـٰذا ، هـٰذا سيِّدُ المسلمينَ ، فدَخَلَت عَليه امرأةٌ من نِسائه فقالَت : قد تَرىٰ ما نَحنُ فيه من الضِّيقِ ، فلَوْ قَبِلْتَ هـٰذا المالَ قالَ : إنَّما مَثَلي ومَثَلُكم كمثلِ قومٍ لهم بَعيرٌ يأكُلونَ من كَسْبه ، فلمَّا كَبرَ نَحَروهُ ، فأكَلوا لَحْمَه ، فلمَّا سَمعَ هارونُ هـٰذا الكَلامَ قال : نَدخُلُ فعَسَىٰ أنْ يَقبَلَ المالَ ، فلمَّا عَلمَ الفُضَيلُ ، خَرجَ فجَلسَ في السَّطْحِ علىٰ بابِ الغُرْفَة ، فجاء هارونُ ، فجلسَ إلىٰ جَنبه يُكلِّمُه فلا يُجيبُه ، فبينا نحنُ كذلك إذ

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

خَرجَت جاريَةٌ سَوْداء ، فقالَت : يا هـٰذا قد آذيتَ الشَّيخَ منذُ اللَّيلَة ، فانْصرِفْ ، فانْصَرَفْنا[1] .

وقالَ محمَّدُ بنُ عبدِ الله الأنْباري : سَمعتُ فُضَيْلاً يَقولُ : لَمَّا قَدِمَ هَارُونُ الرَّشيدُ إلىٰ مَكةَ قَعدَ في الحِجْرِ هو ووَلَدُه ، وقَومٌ من الهَاشِميِّينَ ، وأَحْضَرُوا الْمَشايخَ ، فبَعَثوا إليَّ فأَرَدتُ أنْ لا أذْهَب ، فاسْتَشَرتُ جاري ، فقالَ : اذْهَبْ لَعلَّه يُريدُ أنْ تَعِظَه ، فدَخلتُ الْمَسجدَ ، فلمَّا صِرْتُ إلى الحِجْرِ ، قُلتُ لأدْنَاهُم : أَيُّكُمْ أميرُ الْمُؤمنيَن ؟ فأشَارَ إليه ، فقُلتُ : السَّلامُ عَليكم يا أميرَ الْمُؤمنينَ ورَحمَةُ الله وبَركاتُه ، فرَدَّ عليَّ ، وقالَ : اقْعُدْ ، ثم قالَ : إنَّما دَعَوْناكَ لِتُحدِّثَنا بشَيءٍ ، وتَعِظَنا ، فأَقْبَلتُ عليه ، فقُلتُ : يا حَسَنَ الوَجْهِ ، حِسَابُ الخَلقِ كُلُّهُم عَليكَ فجَعلَ يَبْكي ويَشْهَقُ ، فرَدَدتُ عَليه وهو يَبْكي ، حتَّىٰ جاءَ الخادِمُ فحَمَلُوني وأَخْرَجُوني ، وقالَ : اذْهَبْ بِسَلامٍ[2] .

وقال أبو الثَّناء شُكْر العَضُدي : لَمَّا دَخلَ عَضُد الدَّولة بغدادَ وقد هَلكَ أهلُها قَتلاً وخَوفاً وجُوعاً للفِتن التي اتَّصلَت بينَ السُّنَّة والشِّيعَة ، فقال : آفة هـٰؤلاء القُصَّاصُ ، فمَنعَهم ، قال : مَنْ خالَفَ أباحَ دَمَه ، فعَرفَ ابنُ سَمعونَ ، فجَلسَ علىٰ كُرسيِّه فأمَرَني مَولايَ ، فأَحْضَرتُه ، فدَخلَ رجلٌ عليه نورٌ ، قال شُكْرٌ : فجلسَ إلىٰ جَنبي غير مُكْترِث ، فقلتُ : إنَّ هـٰذا المَلك جَبَّارٌ عَظيمٌ ، ما أُوثِرُ لكَ مُخالَفتَه ، وإنِّي مُوصلُكَ إليه ، فقَبِّل الأرضَ وتلَطَّف له واسْتعِن بالله عليه ، فقال : الخَلقُ والأمرُ لله فمَضيتُ به إلىٰ حُجرةٍ قد جَلسَ فيها المَلكُ وَحدَه ، فأَوْقفتُه ثم دَخلتُ أَسْتأذِنُ ، فإذا هو إلىٰ جانبي ، وحوَّلَ وَجهَه إلىٰ دارِ عِزِّ الدَّولَة ثم تَلا : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾[3] ثم حوَّلَ وَجهَه وقَرأَ : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4] ثم أخذَ في وَعْظِه فأتىٰ بالعَجَب ، فدَمِعَت عَينُ المَلك ، وما رَأيتُ ذلك منه قَطُّ وشركَ كُمَّه علىٰ وَجهِه ، فلمَّا خرجَ أبو الحُسَين رَحمَه الله ، قالَ المَلكُ :

---

(١) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٨/٧٧٤ .

(٢) انظر السير : (الفُضَيلُ بن عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٨/٧٧٩ .

(٣) سورة هود ، الآية : ١٠٢ .

(٤) سورة يونس ، الآية : ١٠٢ .

اذْهَبْ بثَلاثَة آلاف دِرْهَم وعَشرَة أثْوابٍ من الخزانَة فإنِ امْتَنعَ فقُلْ له : فَرِّقْها في أصْحابِك ، وإنْ قَبِلَها فجِئْني برأسِه ، ففَعَلتُ فقال : إنَّ ثيابي هٰذه فُصِّلَت من نحو أربَعين سَنة ألْبَسُها يومَ خُروجي وأطْويها عند رُجُوعي ، وفيها مُتعَةٌ وبَقيَّةٌ ، ونَفَقتي من أُجْرَةِ دارٍ خَلَّفَها أبي ، فما أصْنَعُ بهٰذا ؟ قُلتُ : فَرِّقْها علىٰ أصْحابِك قال : ما في أصْحابي فَقيرٌ فعُدتُ فأخْبَرتُه ، فقال : الحَمدُ لله الذي سَلَّمَه منَّا وسَلَّمَنا منه[1] .

وقالَ أبو القاسِم عبدُ الله بنِ عَليّ ، أخُو نِظَامِ الْمُلكِ : دَخَلَ أخي نِظَامُ الْمُلكِ علىٰ أبي الحَسَنِ الدَّاوُوديِّ فقَعدَ بينَ يَدَيه ، وتَواضَعَ له ، فقالَ لأخي : أيُّها الرَّجُل! إنَّكَ سَلَّطَكَ اللهُ علىٰ عِبادِه ، فانْظُرْ كَيفَ تُجيبُه إذا سَألَكَ عَنهُم[2] .

٨ـ المَشْهُورون بالوَعْظ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ القُشَيْريِّ : ذَكرَهُ أبو الحَسَن البَاخَرْزيُّ في كتاب « دُمْيَة القَصْر » وقالَ : لَوْ قَرعَ الصَّخْرَ بسَوطِ تَحذيرِه لذَابَ ، ولَوْ رُبطَ إبْليسُ في مَجْلسِه لتَابَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : مَاتَ أبُوه وهو طِفلٌ ، فدُفِعَ إلى الأديبِ أبي القاسِم اليَمَنيّ فقَرأ عليه الآدَابَ ثم دَخلَ نيسَابُورَ من قَريَتِه ، فاتَّفَقَ حُضورُه مَجلِسَ أبي عَليٍّ الدَّقَّاق ، فوَقَعَ في شَبكَتِه ، وقَصُرَ أمَلُه ، فأقْبلَ عليه أبو عَليٍّ وأشارَ عليه بطَلَبِ العِلمِ ، فمَضَىٰ إلىٰ حَلقَةِ الطُّوسيِّ .

وانتَقلَ إلى ابنِ فُورَك ، فتَقدَّمَ في الكَلام ، ونَظَرَ في تَصانيفِ ابنِ البَاقِلاَّني ولَمَّا تُوفِّيَ حَمُوهُ أبو عَليٍّ تَردَّدَ إلى السُّلَميِّ ، وعاشَرَه ، وصارَ شَيخَ خُراسَانَ في التَّصوُّفِ ، ولَزِمَ الْمُجاهَداتِ وتَخرَّجَ به الْمُريدُونَ[3] .

وكانَ عَديمَ النَّظيرِ في السُّلوكِ والتَّذْكيرِ ، لَطيفَ العِبارَة ، طَيِّبَ الأخْلاقِ ، غوَّاصاً

---

(١) انظر السير : (ابن سَمْعون) ١٦/ ٥٠٥ـ ٥١١ ، وانظر النزهة : ١٣١٠/٥ .
(٢) انظر السير : (الدَّاوُوديُّ) ١٨/ ٢٢٢ـ ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ١٤٠٦/٣ .
(٣) انظر السير : (القُشَيْريُّ) ١٨/ ٢٢٧ـ ٢٣٣ ، وانظر النزهة : ١٤٠٧/١ .

على الْمَعَاني ، صَنَّفَ كتابَ « نَحو القُلوب » وكتابَ « لَطَائفِ الإشَارَاتِ » .

وقالَ أبو بكر الخَطيبُ : كَتَبنا عَنه ، وكانَ ثِقةً ، وكانَ حَسَنَ الوَعْظِ ، مَليحَ الإشَارَة ، يَعرِفُ الأصُولَ علىٰ مَذْهَبِ الأشْعَريِّ ، والفُرُوعَ علىٰ مَذْهَبِ الشَّافِعيِّ(١) .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أَبي الفَرَج ابنِ الجَوْزيِّ : كانَ رَأساً في التَّذكيرِ بِلا مُدافَعَة ، يَقولُ النَّظْمَ الرَّائقَ ، والنَّثرَ الفائقَ بَديهاً ، ويُسهِبُ ، ويُعْجِبُ ، ويُطْرِبُ ، ويُطْنِبُ ، لَمْ يَأتِ قبلَه ولا بَعدَه مثلُه ، فهو حامِلُ لَواءِ الوَعْظِ ، والقَيِّمُ بفُنُونِه ، مع الشَّكلِ الحَسَن ، والصَّوْتِ الطيِّبِ ، والوَقْعِ في النُّفوسِ ، وحُسْنِ السِّيرَة ، وكانَ بَحْراً في التَّفْسيرِ ، عَلاَّمةً في السِّيَرِ والتَّاريخِ ، مَوْصُوفاً بحُسنِ الحَديثِ ، ومَعرِفَةِ فُنُونه ، فَقيهاً ، عَليماً بالإجْمَاعِ والاخْتِلافِ ، جَيِّدَ الْمُشارَكَة في الطِّبِّ ، ذا تَفنُّنٍ وفَهْمٍ وذَكاءٍ وحِفْظٍ واسْتِحضارٍ ، وإكْبابٍ على الجَمْعِ والتَّصْنيفِ ، مع التَّصَوُّن ، والتَّجَمُّل ، وحُسْنِ الشَّارَة ، ورَشَاقَةِ العِبارَة ، ولُطْفِ الشَّمائلِ ، والأَوْصَافِ الحَميدَة ، والحُرمَة الوَافِرَة عندَ الخَاصِّ والعَامِّ ، وما عَرَفتُ أَحداً صَنَّفَ ما صَنَّفَ .

وأقاربُه كانوا تُجَّاراً في النُّحَاسِ ، فرُبَّما كَتَبَ اسْمَه في السَّمَاعِ عبد الرحمَـٰن بنُ عَليٍّ الصَّفَّار(٢) .

وأحَبَّ الوَعْظَ ، ولَهجَ به وهو مُراهِقٌ ، فوَعَظَ النَّاسَ وهو صَبيٌّ ، ثم مَا زَالَ نافِقَ السُّوقِ مُعَظَّماً مُتَغَالَياً فيه ، مُزْدَحَماً عليه ، مَضْرُوباً برَوْنَقِ وَعْظِهِ الْمَثَل ، كمَالُه في ازْديادٍ واشْتِهارٍ ، إلىٰ أنْ ماتَ رَحمَهُ اللهُ وسامَحَه ، فلَيْتَه لَمْ يَخُضْ في التَّأويلِ ، ولا خَالَفَ إمَامَه(٣) .

وكانَ ابنُ الجَوْزي ذا حَظٍّ عَظيمٍ وصِيتٍ بَعيدٍ في الوَعْظِ ، يَحضُرُ مَجالِسَه الْمُلوكُ والوُزَراءُ وبَعضُ الخُلَفاء والأئمَّةُ والكُبَراءُ ، لا يَكادُ الْمَجلِسُ يَنْقُصُ عن أُلوفٍ كَثيرَةٍ ،

---

(١) انظر السير : (القُشَيْريُّ) ١٨/٢٢٧ـ٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٠٧ .

(٢) انظر السير : (أبو الفرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٢ .

(٣) انظر السير : (أبو الفرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦٣٣ .

حتَّىٰ قِيلَ في بَعضِ مَجالِسِه : حُزِرَ الجمعُ بمِئةِ أَلْفٍ ولا رَيبَ أنَّ هـٰذا مَا وَقَع ، ولَوْ وَقَع ، لَمَا قَدِرَ أَنْ يُسمِعَهم ، ولا الْمَكانُ يَسَعُهم[١] .

٩ـ القُصَّاصُ الوُعَّاظ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ صالِح الْمُريِّ : الزَّاهِدُ الخَاشِعُ ، وَاعِظُ البَصْرَة ، أبو بِشْر بنُ بَشير القاصّ[٢] .

وقالَ عَفَّانُ : كانَ شَديدَ الخَوفِ من الله ، كأنَّه ثَكْلَىٰ إذا قَصَّ .

وقالَ ابنُ عَدِي : قاصٌّ ، حَسَنُ الصَّوْتِ ، عامَّةُ أَحاديثِه مُنْكَرَةٌ ، أُتِيَ من قلَّة مَعْرفَتِه بالأَسَانيدِ ، وعِندِي أنَّه لا يَتعمَّدُ .

وقيلَ : لَمَّا سَمعَهُ سُفيانُ الثَّوريُّ قالَ : ما هـٰذا قَاصٌّ ، هـٰذا نَذيرٌ[٣] .

١٠ـ مَواعِظُ مُتفرِّقَة :

عن عبدِ الله بنِ مُرَّة ، أنَّ أبا الدَّرْداء قالَ : اعْبُد اللهَ كأنَّك تَراهُ ، وعُدَّ نَفسَكَ في الْمَوْتَىٰ ، وإيَّاكَ ودَعْوَةَ الْمَظلُوم ، واعْلَمْ أنَّ قَليلاً يُغنيكَ خيرٌ من كَثيرٍ يُلهيكَ ، وأنَّ البرَّ لا يَبْلَىٰ ، وأنَّ الإثْمَ لا يُنسَىٰ[٤] .

وقالَ سَلاَّمُ بنُ مِسْكين : حدَّثنا قَتادَة : أنَّ شَدَّادَ بنَ أَوس خَطبَ ، فقالَ : أيُّها النَّاسُ ، إنَّ الدُّنيا أجَلٌ حاضِرٌ ، يَأكُلُ منها البرُّ والفَاجِرُ ، وإنَّ الآخِرَةَ أجَلٌ مُسْتأخَرٌ ، يَحكُمُ فيها مَلكٌ قادِرٌ ، ألا وإنَّ الخَيرَ كُلَّه بحَذافيرِه في الجَنَّة ، وإنَّ الشَّرَّ كُلَّه بحَذافيرِه في النَّار[٥] .

وعن مَيْمُونَ بنِ مَيْسَرَة ، قالَ : كانت لأبي هُرَيْرَةَ صَيْحَتانِ في كُلِّ يَومٍ : أوَّلَ النَّهارِ

---

(١) انظر السير : (أبو الفرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٣ .
(٢) انظر السير : (صالح الْمُرِّيُّ) ٨/ ٤٦ـ ٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٧٢٥ .
(٣) انظر السير : (صالح الْمُرِّيُّ) ٨/ ٤٦ـ ٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٢٥ .
(٤) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٧/٢٧٢ .
(٥) انظر السير : (شَدَّادُ بنُ أَوْس) ٢/ ٤٦٠ـ ٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٦/٢٩٠ .

وآخِرَه يَقولُ : ذَهَبَ اللَّيلُ ، وجاءَ النَّهارُ ، وعُرِضَ آلُ فِرْعَوْنَ على النَّارِ فلا يَسمَعُهُ أحَدٌ إلاَّ اسْتَعاذَ باللهِ من النَّار[1] .

وقالَ حَزْمٌ القُطَعيُّ : سَمعتُ الحَسَنَ يَقولُ : كانَ أبو هُرَيْرَةَ إذا مَرَّتْ به جَنازَةٌ ، قالَ : اغْدُوا فإنَّا رَائِحُونَ ، ورُوحُوا فإنَّا غَادُونَ[2] .

عن الْمُعَلَّىٰ بنِ زِياد ، قالَ : كانَ هَرِمُ بنُ حَيَّان يَخرُجُ في بَعضِ اللَّيلِ ويُنادِي بأعْلَىٰ صَوْتِه : عَجبتُ من الجَنَّةِ كَيفَ نامَ طالِبُها ؟ وعَجبتُ من النَّار كَيفَ نامَ هَارِبُها ؟ ثم يَقولُ : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾[3] ،[4] .

عن الأحْنَفِ بنِ قَيْس قالَ : رَأسُ الأدبِ آلَةُ الْمَنْطِقِ ، لا خَيرَ في قَولٍ بلا فِعلٍ ، ولا في مَنظَرٍ بلا مَخْبَر ، ولا في مَالٍ بلا جُودٍ ، ولا في صَديقٍ بلا وَفاءٍ ، ولا في فِقْهٍ بلا وَرَعٍ ، ولا في صَدَقةٍ إلا بنيَّة ، ولا في حَياةٍ إلاَّ بصِحَّةٍ وأمْنٍ[5] .

وعن أبي جَعْفَر الباقِر ، مُحمَّدِ بنِ عَليٍّ بنِ الحُسَينِ ، قالَ : اذْكُروا من عَظَمَة الله ما شِئتُم ، ولا تَذكُرونَ منه شَيئاً إلاَّ وهيَ أعْظَمُ منه ، واذْكُروا من النَّار ما شِئتُم ، ولا تَذكُرونَ منها شَيئاً إلاَّ وهيَ أشَدُّ منه ، واذْكُروا من الجَنَّة ما شِئتُم ، ولا تَذكُرون منها شَيئاً إلاَّ وهيَ أفْضَل[6] .

قالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه : طُوبَىٰ لِمَنْ شَغلَهُ عَيبُه عن عَيبِ أخيه ، طُوبَىٰ لِمَنْ تَواضَعَ لله من غَيرِ مَسْكَنَة ، طُوبَىٰ لِمَنْ تَصدَّقَ من مَالٍ جَمَعَه من غَيرِ مَعْصِيَة ، طُوبَىٰ لأهْلِ الضُّرِّ وأهْلِ الْمَسْكَنَة ، طُوبَىٰ لِمَنْ جالَسَ أهْلَ العِلمِ والحِلمِ ، طُوبَىٰ لِمَن اقْتَدَىٰ بأهْلِ العِلمِ والحِلمِ والخَشْيَة ، طُوبَىٰ لِمَنْ وَسِعَتهُ السُّنَّةُ فلَمْ يَعْدُها[7] .

---

(١) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٣١٢ .
(٢) انظر السير : (أبو هُرَيْرَة) ٢/٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣١٣ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٩٧ .
(٤) انظر السير : (هَرِمُ بنُ حَيَّان) ٤/ ٤٨ـ ٥٠ ، وانظر النزهة : ٢/٤٤٠ .
(٥) انظر السير : (الأحْنَف بن قَيْس) ٤/ ٨٦ـ ٩٧ ، وانظر النزهة : ٧/٤٥٢ .
(٦) انظر السير : (أبو جَعْفَر الباقِر) ٤/ ٤٠١ـ ٤٠٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٢٢ .
(٧) انظر السير : (وَهْبُ بنُ مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٥ .

وقالَ مَطرٌ الوَرَّاق : لَمَّا ظَهرَ الحَسَنُ البَصْريُّ جاءَ كأنَّما كانَ في الآخِرَة ، فهو يُخبرُ عَمَّا عَايَنَ[1] .

وعن الحَسَنِ قالَ : ابنَ آدم ، إنَّما أنتَ أيَّامٌ كلَّما ذَهَبَ يومٌ ، ذَهَبَ بَعضُك[2] .

وقالَ عبدُ الرحمَـٰنِ بنُ يَزيد بنِ تَميم : سَمعتُ بِلالَ بنَ سَعْد يَقولُ : يا أَهْلَ التُّقى! إنَّكم لَمْ تُخْلَقُوا للفَناءِ ، وإنَّما تُنْقَلونَ من دارٍ إلىٰ دارٍ ، كَمَا نُقلتُم من الأَصْلابِ إلى الأَرْحَامِ ، ومن الأرْحَامِ إلَى الدُّنيا ، ومن الدُّنيا إلى القُبُورِ ، ومن القُبُورِ إلى الْمَوْقِفِ ، ومن الْمَوْقِفِ إلى الخُلُودِ في جَنَّةٍ أو نَارٍ[3] .

وكـانَ بِـلالُ بـنُ سَعْـد يَقـولُ : لا تَنظُـرْ إلـىٰ صِغَـرِ الخَطيئـة ، ولكـنِ انْظُـرْ مَـنْ عَصَيْتَ[4] .

عن عبدِ العَزيز بنِ يَزيد الأيْلي قالَ : حَجَّ سُليمانُ بنُ عبد الْمَلِك ، ومعه عُمرُ بنُ عبد العَزيز ، فأصابَهم بَرْقٌ ورَعْدٌ حتىٰ كادَت تَنْخَلع قُلوبُهم ، فقالَ سُليمانُ : يا أبا حَفْص! هلْ رَأيتَ مثلَ هـٰذه اللَّيلَة قَطُّ ، أو سَمعتَ بها ؟ قالَ : يا أميرَ المؤمنين! هـٰذا صَوْتُ رَحْمَةِ الله ، فكيف لَوْ سَمعتَ صَوتَ عَذابِ الله![5] .

عن حَفصِ بنِ عُمرَ بنِ أبي الزُّبَيْر ، قالَ : كَتبَ عُمرُ بنُ عبدِ العَزيز إلىٰ أبي بَكْر بنِ حَزْم : أنْ أَدِقَّ قَلَمَكَ ، وقارِبْ بين أَسْطُرِكَ ، فإنِّي أكْرَه أنْ أُخْرِجَ من أمْوالِ المسلمينَ ما لا يَنْتَفعونَ به[6] .

عن عَوْنِ بنِ الْمُعْتَمِر أنَّ عُمرَ بنَ عبدِ العَزيزِ قالَ لامرأتِه : عندَكِ دِرْهَمٌ أشْتَري به عِنباً ؟ قالَت : لا ، قالَ : فعِندَكِ فُلوسٌ ؟ قالَت كلاًّ ، أنتَ أميرُ المؤمنينَ ولا تَقدِرُ

---

(١) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٠ .
(٢) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريّ) ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٦٣ .
(٣) انظر السير : (بلالُ بنُ سَعْد) ٥/ ٩٠ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٤ .
(٤) انظر السير : (بلالُ بنُ سَعْد) ٥/ ٩٠ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٨٤ .
(٥) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٨٧ .
(٦) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٩٠ .

علىٰ دِرْهَم ، قالَ : هـٰذا أهْوَنُ من مُعالَجَة الأغْلالِ في جهَنَّم[1] .

قالَ يَحْيىٰ بنُ حَمْزَة : حدَّثنا عَمرُو بنُ مُهاجر أنَّ عُمرَ بنَ عبدِ العَزيز كان تُسْرَجُ عليه الشَّمعَةُ ما كانَ في حَوائجِ المسلمينَ ، فإذا فَرغَ ، أطْفأها وأسْرَجَ سِراجَه[2] .

وقالَ مَالِكٌ : أُتيَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيز بعَنبرَة ، فأمْسَك علىٰ أنفِه مَخافَةَ أنْ يَجدَ ريحَها ، وعَنه : أنَّه سَدَّ أنفَه وقد أُحْضِرَ مِسْكٌ من الخَزائن[3] .

وعن عَمروِ بنِ مُهاجر قالَ : اشْتَهَىٰ عُمرُ بنُ عبدِ العَزيز تُفَّاحاً ، فأهْدَىٰ له رَجلٌ من أهْلِ بَيْتِه تُفَّاحاً ، فقالَ : ما أطْيَبَ ريحَه وأحْسَنَه! وقالَ : ارْفَعهُ ياغُلامُ للذي أتَىٰ به ، وأقرِ مَوْلاكَ السَّلامَ ، وقُلْ له : إنَّ هَديَّتَكَ وَقَعت عندنا بحيثُ تُحبُّ ، فقُلتُ : يا أميرَ المؤمنين! ابنُ عَمِّك ، ورَجلٌ من أهْلِ بَيتِك ، وقد بَلَغَكَ أنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يَأكُلُ الهَديَّةَ ، قالَ : وَيْحَكَ! إنَّ الهَديَّةَ كانت له هَديَّةً ، وهي اليومَ لنا رِشْوَةٌ[4] .

وعن ابنِ شُبْرُمَةَ قال : مَنْ بالَغَ في الخُصُومَة أثِمَ ، ومَنْ قَصَّرَ فيها خَصِم ولا يُطيقُ الحَقَّ مَنْ بالَىٰ علىٰ مَنْ دارَ الأمْرُ .

ورَوَى ابنُ المُبارَك عن ابنِ شُبْرُمَةَ قالَ : عَجِبتُ للنَّاسِ يَحْتَمونَ من الطَّعامِ مَخافَةَ الدَّاء ولايَحْتَمونَ من الذُّنوبِ مَخافَةَ النَّار[5] .

وعن الهقل بن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس ؛ تقووا بهـٰذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، فإنكم في دارِ الثواء فيها قليل ، وأنتم مرتحلون وخلائف بعد القرون الذين استقالوا من الدنيا زهرتها ، كانوا أطولَ منكم أعماراً ، وأجدَّ أجساماً ، وأعظم آثاراً ، فجددوا

---

(١) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩٠ .
(٢) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٥٩٠ .
(٣) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٥٩٠ .
(٤) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٩١ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الله بنُ شُبْرُمَة) ٦/ ٣٤٧ـ٣٤٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٥٦ .

الجبال وجابوا[1] الصُّخُورَ ، ونقَّبوا في البِلادِ مُؤيَّدينَ ببَطشٍ شَديدٍ ، وأجْسَامٍ كالعِمَادِ ، فمَا لَبثَتِ الأيَّامُ واللَّيالي أنْ طوَت مُدَّتَهم ، وعفَتْ آثارَهم ، وأخْوَتْ مَنازِلَهم ، وأنْسَتْ ذِكرَهم ، فما تُحِسُّ منهم مِنْ أحَدٍ ولا تَسْمَعُ لهم رِكْزاً[2] . »[3] .

وقالَ الأصْمَعيُّ : رَكِبَ جَعْفَرُ بنُ سُليْمانَ في زِيٍّ عَجيبٍ من التَّجمُّلِ ، وكانَ بالبَصْرَةِ فَقيهٌ صالحٌ غُلِبَ علىٰ عَقلِه ، فخَرجَ إلىٰ طَريقِ جَعْفَرٍ ، فقالَ له : يا جَعْفَرُ انْظر أيَّ رَجُلٍ تَكونُ إذا خَرَجتَ من قَبرِكَ ، وحُمِلتَ على الصِّراطِ ، وهـٰذا الجَمعُ والزِّيُّ لا يُساوي غَداً حَبَّة ، ولا يُغْنونَ عَنكَ من الله شَيئاً ، إنَّك تَموتُ وَحْدَكَ ، وتَدخُلُ قَبرَكَ وَحْدَكَ ، وتَقِفُ بَينَ يَدي الله وَحْدَكَ ، وتُحاسَبُ وَحْدَكَ ، فانْظُرْ لِنَفْسِكَ ، فقد نَصَحتُك[4] .

وعن ابنِ السَّمَّاكِ : قالَ : هِمَّةُ العاقِلِ في النَّجاةِ والهَرَبِ ، وهِمَّةُ الأحْمَق في اللَّهْو والطَّربِ عَجَباً لعَينٍ تَلذُّ بالرُّقادِ ، وَملكُ الْمَوتِ معها على الوِسَاد ، حتَّىٰ مَتىٰ يُبلِّغُنا الوُّعَاظُ أعْلامَ الآخِرَة ، حتَّىٰ كأنَّ النُّفُوسَ عَليها وَاقِفَة ، والعُيُونُ ناظِرَة ، أفَلا مُنْتَبهٌ من نَوْمَتِه ، أو مُسْتَيقِظٌ من غَفْلتِه ، ومُفيقٌ من سَكْرَتِه ، وخائفٌ من صَرْعَتِه ، كَدْحاً للدُّنيا كَدْحاً ، أمَا تَجْعَلُ للآخِرَةِ مِنكَ حَظّاً ، أُقسِمُ بالله ، لَوْ رَأيتَ القِيامَةَ تَخفِقُ بأهْوالِها ، والنَّارَ مُشْرِفَةً علىٰ آلِهَا ، وقد وُضعَ الكِتابُ ، وجِيءَ بالنَّبيِّينَ والشُّهداءِ ، لَسَرَّكَ أنْ يَكُونَ لكَ في ذلكَ الجَمْع مَنْزِلَةٌ ، أبَعْدَ الدُّنيا دارُ مُعْتَمَلٍ ، أم إلىٰ غَيرِ الآخِرَة مُنتَقَل ؟ هَيهَاتَ ولكن صُمَّت الآذانُ عن الْمَواعِظِ ، وذَهلَت القُلوبُ عن الْمَنافِع ، فلا الوَاعِظُ يَنتَفِعُ ولا السَّامِعُ يَنتَفِعُ[5] .

وقالَ محمَّدُ بنُ حَرْب الْمَكيُّ : قَدِمَ العُمَريُّ ، فاجْتَمَعنا إليه ، فلمَّا نَظَرَ إلى القُصُورِ الْمُحْدِقَة بالكَعْبَة صاحَ : يا أصْحَابَ القُصورِ الْمُشَيَّدَة ، اذْكُروا ظُلمَةَ القُبورِ

---

(١) جابوا الصُّخورَ : نقَبوها ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر : ٩] .

(٢) الرِّكْز : الصَّوت الخَفي ، قال الله تعالىٰ : ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم : ٩٨] .

(٣) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/١٠٧ـ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/٦٨٢ .

(٤) انظر السير : (جَعْفَرُ بنُ سُليْمان) ٨/٢٣٩ـ٢٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٦ .

(٥) انظر السير : (ابنُ السَّمَّاك) ٨/٣٢٨ـ٣٣٠ ، وانظر النزهة : ٧/٧٦١ .

الْمُوحِشَة ، يا أَهْلَ التَّنعُّمِ والتَّلذُّذِ اذْكُروا الدُّودَ والصَّديدَ ، وبَلاءَ الأجْسَامِ في التُّرابِ ، ثم غَلَبَتهُ عَينُه ، فقام[1] .

وعن الفُضَيلِ بنِ عِياض قالَ : كَفَىٰ بالله مُحِباً وبالقُرآنِ مُؤنِساً ، وبالْمَوْتِ وَاعِظاً ، وبِخَشْيَةِ الله عِلْماً ، وبالاغْتِرارِ جَهْلاً[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مَنْصورِ بنِ عَمَّار : وَعَظَ بالعِراقِ والشَّام ومِصْرَ ، وبَعُدَ صِيتُه ، وتَزاحَمَ عَليه الخَلقُ ، وكانَ يَنْطَوي علىٰ زُهْدٍ وتَألُّه وخَشْيَة ، ولِوَعْظِهِ وَقْعٌ في النُّفُوس[3] .

وقالَ أحمَدُ بنُ أبي الحَواري : سَمعتُ أحمَدَ بنَ عاصِم ، يَقولُ : أَصْلِحْ فيما بَقِيَ ، يُغْفَر لكَ ما مَضَىٰ ، ما أَغْبطُ إلاَّ مَنْ عَرَفَ مَوْلاه[4] .

وقالَ الحُسَينُ بنُ محمَّد الفَقيهُ : سَمعتُ محمَّدَ بنَ يَحْيَىٰ يَقولُ : تَقَدَّمَ رَجلٌ إلىٰ عَالِمٍ ، فقالَ : عَلِّمْني وأَوْجِزْ ، قالَ : لأوجِزَنَّ لَك ، أمَّا لآخِرَتك : فإنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إلىٰ نَبيٍّ من أنْبيائِه : قُلْ لِقَوْمِكَ : لَوْ كانَتِ الْمَعْصيَةُ في بَيتٍ من بُيُوتِ الجَنَّة لأوْصَلَتْ إليه الخَرابَ[5] .

وقالَ إبراهيمُ بن فاتِك : سَمعتُ أبا يَعْقوبَ ، يَقولُ : الدُّنيا بَحرٌ ، والآخِرَةُ ساحِلٌ والْمَركبُ التَّقْوَىٰ ، والنَّاسُ سَفْرٌ[6] .

قال الجُبَّائيُّ : كان الشيخُ عبدُ القادر يقولُ : الخَلْقُ حِجابُك عن نَفْسِك ، ونَفْسُكَ حِجابُك عن ربِّك .

عاش الشيخُ عبدُ القادر تسعين سنة ، وانتَقلَ إلى الله سنةَ إحْدىٰ وستّين وخَمس

---

(١) انظر السير : (العُمَريُّ) ٨/ ٣٧٣ـ٣٧٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٥٦ .
(٢) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٩ .
(٣) انظر السير : (مَنْصورُ بنُ عَمَّار) ٩/ ٩٣ـ٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٨٠١ .
(٤) انظر السير : (الأنْطاكِيُّ) ١١/ ٤٠٩ـ٤١٠ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٥ .
(٥) انظر السير : (الذُّهْليُّ وابنُه) ١٢/ ٢٧٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٠٠ .
(٦) انظر السير : (النَّهْرَجوريُّ) ١٥/ ٢٣٢ـ ٢٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٢٤ .

مئة ، وشَيَّعَه خلقٌ لا يُحْصَون ، ودُفِنَ بمدرَسَته رحمه اللهُ تعالىٰ .

وفي الجُملة الشيخُ عبدُ القادر كَبير الشأن ، وعليه مآخذُ في بعض أقوالِه ودَعاويه ، واللهُ المَوْعِدُ ، وبعضُ ذلك مَكْذوبٌ عليه[1] .

ومن غُرَرِ أَلْفَاظِ أبي الفَرَج ابنِ الجَوْزِيِّ : عَقارِبُ الْمَنايَا تَلسَعُ ، وخَدَرانُ جِسمِ الآمَالِ يَمْنَعُ ، ومَاءُ الحَياةِ في إناءِ العُمْرِ يَرْشَحُ[2] .

١١ـ شِعْرُ الوَعْظ :

ومن شِعرِ عُمرَ بنِ عبدِ العَزيز[3] :

مَنْ كانَ حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتَهُ ... أوِ الغبارُ يخافُ الشَّينَ والشَّعَثَا

ويألفُ الظِّلَّ كَيْ تبقىٰ بشاشَتُه ... فسوفَ يسكنُ يوماً راغماً جَدَثا

في قعرِ مظلمةٍ غَبْراءَ موحشةٍ ... يطيلُ في قعرها تحت الثرى اللَّبثَا

تجهزي بجَهازٍ تبلغين به ... يا نفسُ قبلَ الردىٰ لمْ تخلقي عَبَثا

قالَ أبو العَبَّاس السَّرَّاج : أنْشَدَني يَعقُوبُ بنُ محمَّد لابنِ الْمُبارَك[4] :

أبإذنٍ نزلتَ بي يا مشيبُ ... أيُّ عيشٍ وقدْ نزلتَ يطيبُ

وكفى الشيبُ واعظاً غيرَ أني ... آملُ العيشَ والمماتُ قريبُ

كم أنادي الشبابَ إذْ بانَ مني ... وندائي مولِّياً ما يجيبُ

قالَ بَعضُهم كُنَّا جُلوساً عندَ الفُضَيْلِ بنِ عِياض ، فقُلنا له : كَمْ سِنُّك ؟ فقالَ[5] :

بلغتُ الثمانينَ أوْ جُزْتُها ... فماذا أؤملُ أو أنتظرْ

علتني السِّنونُ فأبلينني ... فدقّ العظام وكلَّ البصرْ

---

(١) انظر السير : (الشيخ عبد القادر الجيلاني) ٢٠/ ٤٣٩ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٧٦ .

(٢) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٣٣ .

(٣) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩١ .

(٤) انظر السير : (عبد الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٠ .

(٥) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧/٧٧٩ .

قالَ الرَّبيعُ بنُ سُلَيْمانَ[1] :

صبراً جميلاً ما أسرعَ الفَرجا — من صدقَ اللهَ في الأمورِ نجا

من خشيَ اللهَ لمن ينلْه أذى — ومن رجا الله كانَ حيثُ رجا

وقالَ الدَّاوُودِيُّ[2] :

يا شاربَ الخمرِ اغتنمْ توبةً — قبلَ التفافِ الساقِ بالساقِ

الموتُ سلطانٌ لهُ سطوةٌ — يأتي على المسقيِّ والساقي

* * *

(١) انظر السير : (الرَّبيعُ بنُ سُلَيْمانَ) ١٢/ ٥٨٧ـ ٥٩١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٣٧ .

(٢) انظر السير : (الدَّاوُودِيُّ) ١٨/ ٢٢٢ـ ٢٢٦ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٠٦ .

العَلاقَةُ مع الله

١ـ عَدَمُ أَمْنِ مَكرِه سُبْحانَه :

أَتَىٰ رجلٌ العَلاءَ بنَ زِياد ، فقالَ : أتاني آتٍ في مَنامي فقالَ : ائْتِ العَلاءَ بنَ زِياد ، فقُلْ له : لِمَ تَبْكي !! ؟ قد غُفِرَ لك .

قالَ : فبَكىٰ ، وقالَ : الآنَ حين لا أهْدَأ[١] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ : رُؤِيَ العَلاءُ بنُ زِياد أنَّه من أهْلِ الجَنَّة ، فمَكثَ ثَلاثاً لا ترق له دَمْعَة ، ولا يَكتَحِلُ بنَومٍ ، ولا يَذوقُ طَعاماً فأتاه الحَسَنُ فقالَ : أيْ أخي ، أَتَقتُلُ نَفسَك أنْ بُشِّرْتَ بالجَنَّة! فازدادَ بُكاءً ، فلَمْ يُفارِقْه حتَّىٰ أمْسَىٰ وكانَ صائماً ، فطَعِمَ شَيئاً[٢] .

وقالَ عَطاءٌ الخَفَّاف : ما لَقيتُ سُفْيانَ الثَّوْريَّ إلاَّ باكياً ، فقُلتُ مَا شَأنُك ؟ قالَ : أَتخَوَّفُ أنْ أكُونَ في أُمِّ الكتابِ شَقيّاً[٣] .

قيلَ : كانَ نَقشُ خاتَم الجُنَيدِ : إنْ كُنتَ تَأمَلُهُ فَلا تَأْمَنْهُ .

وعنه : أُعْطيَ أهْلُ بَغدادَ الشَّطحَ والعِبارَة وأهْلُ خُراسَانَ القَلبَ والسَّخاءَ ، وأهْلُ البَصْرَة الزُّهْدَ والقَناعَة ، وأهْلُ الشَّامِ الحِلمَ والسَّلامَة ، وأهْلُ الحِجَازِ الصَّبرَ والإنَابَة[٤] .

٢ـ تَعْظِيمُه سُبْحانَه :

وقال إبراهيمُ بنُ الأشْعَث : ما رَأيتُ أحَداً كان اللهُ في صَدرِه أعظَمَ من الفُضَيل ، كان إذا ذُكِرَ اللهُ ، أو ذُكرَ عندَه ، أو سَمعَ القُرآنَ ، ظَهرَ به من الخَوفِ والحُزْن ،

---

(١) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .
(٢) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .
(٣) انظر السير : (سُفْيان الثَّوْري) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٥/٦٩٨ .
(٤) انظر السير : (الجُنَيْد) ١٤/ ٦٦ـ٧٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣٣ .

وفاضَت عَيناهُ ، وبَكىٰ حتىٰ يَرحمُه من يَحضُره ، وكان دائمَ الحُزْن ، شَديدَ الفِكْرَة ، ما رَأيتُ رجلاً يريدُ اللهَ بعِلمِهِ وعَملِه ، وأَخْذِهِ وعَطائِه ، ومَنْعِه وبَذْلِه ، وبُغْضِه وحُبِّه ، وخِصَالِه كلِّها غَيرَه ، كنَّا إذا خَرجْنا معه في جِنازَة لا يَزالُ يَعظُ ويُذَكِّرُ ويَبكي كأنَّه مُودِّعٌ أَصْحابَه ، ذاهبٌ إلى الآخِرَة ، حتىٰ يَبلُغَ المَقابرَ ، فيَجلِسُ مَكانَه بينَ المَوْتَىٰ من الحُزنِ والبكاء حتىٰ يقومَ وكأنَّه رَجعَ من الآخِرَة يُخبرُ عنها[١] .

٣ـ الانْكسارُ بين يَدَيْه سُبْحانَه والتَّذَلُّلُ له :

عن غِيلانَ بنِ جَرير قالَ : حَبسَ السُّلطانُ ابنَ أخي مُطَرِّف فَلبسَ مُطَرِّفٌ خُلْقانَ ثيابِه ، وأَخذَ عُكَّازاً وقالَ : أَسْتَكينُ لِرَبِّي لَعلَّه أنْ يُشَفِّعَني في ابنِ أخي[٢] .

أَتَىٰ رجلٌ العَلاءَ بنَ زِياد ، فقالَ : أَتاني آتٍ في مَنامي فقالَ : ائْتِ العَلاءَ بنَ زِياد ، فقُلْ له : لِمَ تَبْكي !! ؟ قد غُفِرَ لك .

قالَ : فبَكىٰ ، وقالَ : الآنَ حين لا أَهْدَأ[٣] .

وكانَ الأَعْمَشُ يَقولُ : حدَّثني يَحْيَىٰ بنُ وَثَّاب وَكُنتُ إذا رَأيتُه قد جَثا ، قُلتُ : هٰذا وُقفَ للحِسَابِ فيَقُولُ : أيْ رَبِّ ، أَذْنَبتُ كَذا ، فعَفَوْتَ عنِّي ، فَلا أَعُودُ ، وأَذْنَبتُ كَذا ، فعَفَوْتَ عنِّي ، فَلا أَعُودُ[٤] .

وقال الْمُنْكَدِرُ بنُ مُحمَّد : كانَ أبي يَحُجُّ بوَلدِه ، فقيلَ له : لِمَ تَحُجَّ بِهَؤلاء ؟ قالَ : أَعْرِضُهم لله[٥] .

٤ـ الرِّضَا بقَضَائه :

(وسَتجدُ غَيرَها في فهْرس الصَّبْر والابْتِلاء)

عن الرَّبيعِ بنِ أبي صالِح ، قالَ : دَخلتُ علىٰ سَعيدِ بنِ جُبَيْر حين جيءَ به إلى

---

(١) انظر السير : (الفُضَيل بن عياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٧٣ .

(٢) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبد الله) ٤/ ١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ١٠/٤٧٦ .

(٣) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٧ .

(٤) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ وَثَّاب) ٤/ ٣٧٩ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/٥١٤ .

(٥) انظر السير : (محمَّدُ بنُ الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٧/٦٠٨ .

الحَجَّاج ، فبَكَى رَجلٌ ، فقالَ سَعيدُ : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : لِمَا أصابَك ، قالَ : فَلا تَبْكِ ، كانَ في عِلمِ الله أنْ يَكُونَ هـٰذا ، ثم تَلا : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1] ،[2] .

٥ـ الأُنْسُ به سُبْحانَه :

وقالَ أبو عِمْرانَ الجَوْني : قيلَ لعامِرِ بنِ عبدِ قَيْس : إنَّك تَبيتُ خارجاً ، أمَا تَخافُ الأسَدَ ؟ قالَ : إنِّي لأسْتَحي من رَبِّي أنْ أخافَ شَيئاً دُونَه وهَبطَ وَادياً به عابدٌ حَبَشيٌّ ، فانْفَرَدَ يُصلِّي في ناحية ، والحَبَشيُّ في ناحيَة أرْبَعينَ يَوماً لا يَجتمعان إلاَّ في فَريضَة[3] .

٦ـ الثِّقَةُ به سُبْحانَه :

وكان كثيرٌ من أصْحابِهِ يقُولونَ له : إنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقَعُ فيك ، فيقُولُ : ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[4] ويَتْلُو أيْضاً : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[5] ،[6] .

وكان هِجِّيراه من اللَّيلِ[7] إذا أتَيْتُه في آخِرِ مَقْدَمِه من العِراقِ : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ الآية[8] ،[9]

وقال الذهبيُّ في تَرجمَة أبي عُثمان الحِيَري : ذكرَ الحاكمُ أخبارَ أبي عُثمان في خمسٍ وعشرين ورَقَة في غُضون ذلك من كلامِه في التَّوكلِ واليَقين والرِّضَا ، قال

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٢ .

(٢) انظر السير : (سَعيدُ بنُ جُبَير) ٤/ ٣٢١ـ ٣٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/٥٠٧ .

(٣) انظر السير : (عامِر بن عبد قَيْس) ٤/ ١٥ـ ١٩ ، وانظر النزهة : ١/٤٣٤ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٧٦ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .

(٦) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٩/ .

(٧) أي كلامه ودأبه وشأنه ، وفي حديث عُمَر رضي الله عنه : ما له هجِّيرىٰ غيرها ، أي : الدأب والعادة والدَّيْدَن .

(٨) سورة آل عمران ، الآية ١٦٠ .

(٩) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠١٩/ ٤ .

الحاكمُ : وسَمعتُ أبي يقولُ : لمَّا قَتلَ أحمدُ بنُ عبد الله الخُجُستاني ـ الذي اسْتولَىٰ علىٰ البلادِ ـ الإمامَ حيكانَ بنَ الذهليّ ، أخذَ في الظُّلمِ والعَسفِ ، وأمرَ بحَرْبَةٍ رُكزَت علىٰ رأس المربّعة[1] ، وجمعَ الأعْيانَ ، وحلفَ : إنْ لمْ يَصُبُّوا الدَّراهمَ حتىٰ يغيبَ رأسُ الحَرْبَة ، فقد أحلُّوا دماءَهم ، فكانوا يَقتَسِمون الغرامَة بينهم ، فخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألفَ درهم ، فلم يكنْ يَقدرُ إلاَّ علىٰ ثلاثة آلاف دراهم ، فحملها إلىٰ أبي عُثمان وقال : قد حلف هـٰذا كما بلَغَكَ ، ووالله لا أهْتَدي إلاَّ إلىٰ هـٰذه قال : تأذَنُ لي أن أفعَل فيها ما يَنفَعُك ؟ قال : ففرَّقَها أبو عُثمان ، وقال للتاجر : امكُثْ عِندي ، وما زالَ أبو عُثمان يَتردَّدُ بين السِّكَّةِ والمَسْجدِ ليلَته حتىٰ أصْبَحَ ، وأذَّنَ المؤذِّنُ ، ثم قال لخادِمه : اذْهبْ إلى السُّوق ، وانظُرْ ماذا تَسْمَع ، فذَهبَ ، ورجَعَ فقال : لم أرَ شَيئاً ، قال : اذْهَبْ مرّةً أُخْرَىٰ ، وهو في مُناجاتِه يقول : وحَقِّكَ لا أقَمتُ ما لم تُفرِّجْ عن المَكْروبين ، قال : فأتىٰ خادمُه الفَرغانيُّ يقول : وكَفَى اللهُ المؤمنينَ القِتالَ ، شُقَّ بَطنُ أحمدَ بنَ عبد الله ، فأخذَ أبو عُثمانَ في الإقامَة .

قال الذهبيُّ : بمثلِ هـٰذا يَعْظُمُ مَشايخُ الوَقت .

قال أبو الحُسَين أحمدُ بن أبي عُثمان : تُوفيَ أبي سَنَةَ ثمان وتسعين ومئتين ، وصلَّىٰ عليه الأميرُ أبو صالح[2] .

وجاء في تَرجمة عليِّ بنِ أبي طاهِر قال الذَّهبيُّ : وثَّقَه الخَليليُّ ، قال : سَمعتُ الحَسنَ بنَ أحمد بنَ صالح يَحْكي عن سُليمانَ بنِ يَزيد : أنَّ عليَّ بنَ أبي طاهر لمَّا رَحلَ إلى الشَّام ، وكَتبَ الحَديثَ جَعلَ كُتبَه في صُندوقٍ ، وقَيَّرَه ورَكبَ البَحرَ ، فاضْطَربَت السَّفينَةُ وماجت ، فألْقَى الصُندوقَ في البَحرِ ، ثم سَكنَتِ السَّفينَةُ ، فلمَّا خَرجَ منها أقامَ على السَّاحلِ ثلاثاً يَدعُو الله ، ثم سَجدَ في اللَّيلَة الثَّالِثَة ، وقال : إنْ كان طَلَبي ذلك لوَجْهك وحبِّ رسُولِك ، فأغِثْني بردِّ ذلك ، فرفعَ رأسَه ، فإذا بالصُّندوقِ مُلقَىٰ عندَه ،

---

(١) في « اللِّسان » والمربعة : خشبية قصيرة يرفع بها العِدلُ ، وقال الأزهريُّ : هي عَصاةٌ تُحمَلُ بها الأثقال حتىٰ تُوضَع علىٰ ظهر الدواب

(٢) انظر السير : (أبو عُثمان الحِيري) ١٤/ ٦٢ـ٦٦ ، وانظر النزهة : ١١٣١/ ٥ .

فقَدِمَ ، وأقامَ بُرْهَة ، ثم قَصَدوه لسَماع الحَديثِ فامْتَنَع منه وقال فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، في مَنامي ، ومَعه عليٌّ رضي الله عنه ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يا عَليُّ مَنْ عامَلَ اللهُ بما عامَلَكَ به علىٰ شَطِّ البَحْر ؟!! ، لا تَمتَنِعْ من رِوايَة أحاديثي » قال : فقُلتُ : قد تُبتُ إلى الله ، فدَعا لي وحَثَّني على الرِّوايَة .

ماتَ عليُّ بنُ أبي طاهِر سنة نيّف وتسعين ومئتين ، رَحمَه الله[1] .

٧ـ دَرَجاتُ العَلاقَة مع الله :

عن يَحْيَىٰ بنِ مُعاذ : الدَّرَجاتُ سَبعٌ : التَّوْبَة ، ثم الزُّهْد ، ثم الرِّضَا ، ثم الخَوْف ، ثم الشَّوْقُ ، ثم الْمَحبَّة ، ثم الْمَعرِفَة[2] .

٨ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[3] :

قال مُحمَّدُ بنُ أبي حاتِمٍ : وسَمعتُهُ يقولُ : لَمْ يَكُنْ يَتعرَّضُ لنا قَطُّ أحَدٌ من أفْناءِ النَّاسِ إلاَّ رُمِيَ بقارِعَةٍ ، ولَمْ يَسْلَمْ ، وكُلَّما حَدَّثَ الجُهَّالُ أنفُسَهم أنْ يَمْكُروا بنا رَأيتُ من لَيْلَتِي في المَنام ناراً تُوقَدُ ثمَّ تُطْفَأُ من غَيرِ أنْ يُنْتَفَعُ بها ، فأتأوَّلُ قولَه تعالَىٰ : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾[4] ،[5] .

قال الحاكِمُ : سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ العبَّاسِ الضَّبِّيِّ يقولُ : سَمعتُ أبا بَكرِ بنَ أبي عَمْرو الحافِظَ البُخاريّ يقُولُ : كان سَببُ مُنافَرَةِ أبي عبدِ الله أنَّ خالدَ بنَ أحمدَ الذُّهليَّ الأمير خليفة الطاهرية ببُخارَىٰ سَألَ أنْ يَحْضُرَ مَنزلَه ، فيَقرأَ « الجامِعَ » و« التَّاريخَ » علىٰ أوْلادِهِ ، فامْتَنَعَ عن الحُضورِ عنده ، فراسَلَه بأن يَعْقدَ مَجْلِساً لأوْلادِه ، لا يَحْضُرُه غَيرُهم ، فامْتَنَعَ ، وقال : لا أخُصُّ أحَداً ، فاسْتَعانَ الأميرُ

---

(١) انظر السير : (عليُّ بن أبي طاهر) ١٤/ ٨٧ـ٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/١١٣٥ .
(٢) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مُعاذ) ١٣/ ١٥ـ١٦ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٤٧ .
(٣) سورة الحج ، الآية : ٣٨ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .
(٥) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٩ .

بحُريثِ بنِ أبي الوَرْقاء وغيرِه حتّىٰ تكلَّموا في مَذْهَبه ونَفَاهُ عن البَلَدِ ، فدَعا عَليهِم ، فلَمْ يَأْتِ إلاَّ شَهرٌ حتّىٰ وَرَدَ أمْرُ الطاهريَّة ، بأنْ يُنادَىٰ علىٰ خالدٍ في البَلَدِ ، فنُودِيَ عليهِ علىٰ أتَانٍ ، وأمَّا حُريثٌ ، فإنَّه ابْتُلِيَ بأهْلِهِ ، فرَأىٰ فيها ما يَجلُّ عن الوَصْفِ ، وأمَّا فُلانٌ ، فابْتُلِيَ بأولادِهِ ، وأَرَاهُ اللهُ فيهم البَلايَا .

وقال الحاكِمُ : حَدَّثنا خَلَفُ بنُ مُحمَّد ، حَدَّثنا سَهْلُ بنُ شاذَوَيْه قال : كان مُحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ يَسْكُنُ سِكَّةَ الدَّهْقانِ ، وكان جَماعَةٌ يَخْتلِفُونَ إليه يُظْهِرونَ شِعارَ أهْلِ الحَديثِ من إفْرادِ الإقامَةِ ورَفْعِ الأَيْدِي في الصَّلاةِ ، وغَيرِ ذلكَ فقال حُريثُ بنُ أبي الوَرْقاء وغَيرُه : هـٰذا رَجلٌ مُشْغِبٌ ، وهو يُفْسِدُ علينا هـٰذه المَدينَةِ ، وقد أخْرَجَهُ مُحمَّدُ بنُ يَحْيَىٰ من نِيسابُورَ ، وهو إمامُ أهْلِ الحَديثِ ، فاحْتَجُّوا عليه بابنِ يَحْيَىٰ ، واسْتَعانُوا عليه بالسُّلطانِ في نَفْيِهِ من البَلَدِ ، فأُخْرِجَ ، وكان مُحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ وَرِعاً ، يَتَجَنَّبُ السُّلطانَ ولا يَدْخُلُ عليهم[1] .

قال الذهبيُّ : خالد بن أحمد الأمير ، قال الحاكمُ : له ببُخارَىٰ آثارٌ مَحْمودةٌ كلُّها ، إلاَّ مَوْجدَته على البُخاريِّ ، فإنَّها زَلَّةٌ ، وسببٌ لزَوالِ مُلْكِه[2] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ عَبْدوس ، وقيلَ : أتاه رجلٌ ، فقال : ما تقولُ في الإيمانِ ؟ قال : أنا مؤمنٌ فقال : عندَ الله ؟ قال : أمَّا عند اللهِ فلا أقْطَعُ لنَفسِي بذلك ، لأني لا أدْري بمَ يُخْتَمُ لي ، فبَصَقَ الرجلُ في وجْهه ، فعَمِيَ من وَقْتِهِ الرَّجُلُ[3] .

٩ـ الإقْبَالُ على الله وفائدَتُه :

قالَ قَتادَة : كانَ هَرِمُ بنُ حَيَّانَ يَقولُ : ما أقْبَلَ عَبدٌ بقَلبِهِ إلى الله ، إلاَّ أقْبَلَ اللهُ بقُلوبِ الْمُؤمنينَ إليه ، حتَّىٰ يَرزُقَه وُدَّهم[4] .

---

(١) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٧/١٠١٩ .
(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢٠ .
(٣) انظر السير : (ابن عَبْدوس) ١٣/ ٦٣ـ ٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥١ .
(٤) انظر السير : (هَرِمُ بنُ حَيَّان) ٤/ ٤٨ـ ٥٠ ، وانظر النزهة : ١/٤٤١ .

١٠ـ الثَّنَاءُ على الله :

رَوَىٰ عبدُ الرزَّاقِ بنُ هَمَّامَ ، عن أبيه ، قالَ : رَأيتُ وَهْباً إذا قامَ في الوترِ قالَ : لكَ الحَمدُ السَّرْمَدُ ، حَمْداً لا يُحْصيه العَدَدُ ، ولا يَقطَعُه الأبَدُ ، كما يَنبَغي لكَ أنْ تُحْمَدَ ، وكما أنتَ له أهلٌ ، وكما هو لك عَلينا حَقٌّ[1] .

١١ـ التَّعَلُّق به سُبْحانَه :

وعن أبي بِشْر قالَ : كان كُرْزُ بنُ وَبَرَةَ الحَارِثِيُّ من أعْبَدِ النَّاسِ ، وكانَ قد امْتَنعَ من الطَّعامِ ، حتىٰ لَمْ يُوجَد عليه من اللَّحْم ، إلاَّ بقَدرِ ما يُوجَدُ على العُصْفور ، وكان يَطوي أيَّاماً كثيرة ، وكانَ إذا دَخلَ في الصَّلاة لا يَرفَعُ طَرْفَه يَميناً ولا شِمالاً ، وكانَ من الْمُحِبِّينَ الْمُخْبِتين لله ، قد وَلِهَ من ذلك فرُبَّما كُلِّمَ فيُجيبُ بعد مُدَّة من شِدَّة تَعلُّق قلبه بالله ، واشْتِياقِهِ إليه[2] .

قالَ الجُنَيْدُ : شَيءٌ يُروَىٰ عن أبي سُلَيْمانَ ، أنا أسْتَحسِنُه كَثيراً : مَنِ اشْتَغلَ بنَفسِه شُغِلَ عن النَّاسِ ، ومَنِ اشْتَغلَ بربِّه شُغِلَ عن نَفسِه وعن النَّاسِ[3] .

١٢ـ الشَّكوَىٰ له سُبْحانَه :

قالَ الأصْمَعِيُّ : نَظرَ الفُضَيْلُ إلىٰ رَجُلٍ يَشكُو إلىٰ رَجُلٍ ، فقالَ : يا هَـٰذا تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إلىٰ مَنْ لا يَرْحَمُك[4] .

وعن شَقيقٍ ، قالَ : مَنْ شَكَىٰ مُصيبَةً إلىٰ غَيرِ اللهِ ، لَمْ يَجِدْ حَلاوَةَ الطَّاعَة[5] .

وقيلَ : إنَّ أبا حَفْص النِّيسَابُوريّ دَخلَ علىٰ مَريضٍ ، فقالَ المريض : آه ، فقالَ

---

(١) انظر السير : (وَهْبُ بنُ مُنَبِّه) ٤/ ٥٤٤ـ٥٥٧ ، وانظر النزهة : ٥٥٣/ ٢ .
(٢) انظر السير : (كُرز) ٦/ ٨٤ـ٨٦ ، وانظر النزهة : ٦٣٣/ ٥ .
(٣) انظر السير : (أبو سُلَيْمانَ الدَّاراني) ١٠/ ١٨٢ـ١٨٦ ، وانظر النزهة : ٨٦٥/ ٤ .
(٤) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧/٧٧٨ .
(٥) انظر السير : (شَقيق) ٩/ ٣١٣ـ٣١٦ ، وانظر النزهة : ١/٨٢٤ .

أبـو حَفْـص : : مِمَّـن ؟ قـالَ : فكَيـفَ أقُـولُ ؟ قـالَ : لا يَكُـنْ أنِينُـكَ شَكْـوَىٰ ، ولا سُكُوتُكَ تَجَلُّداً ، ولكن بينَ ذلك[1] .

وكانَ إبْراهيمُ الحَربيُّ يَقولُ : فَرْدُ عَقِبي[2] صَحيحٌ والآخَرُ مَقطوعٌ ، ولا أُحَدِّثُ نَفسي أنّي أُصْلِحُها ، ولا شَكَوتُ إلىٰ أهْلِي وأقَارِبي حُمَّىٰ أجدُها ، لا يَغمُّ الرجلُ نفسَه وعيالَه ، ولي عَشرُ سنينَ أبْصِرُ بفَرْدِ عَين ، ما أخْبَرتُ به أحَداً ، وأفْنَيتُ من عُمري ثَلاثينَ سَنةً برَغيفَين ، إنْ جاءَتْني بهما أُمِّي أو أُخْتي ، وإلاَّ بَقيتُ جائعاً إلى اللَّيْلَة الثانيَة ، وأفْنَيتُ ثَلاثينَ سَنةً برَغيفٍ في اليومِ واللَّيلَة ، إنْ جاءَتْني امْرأتي أو بَناتي به وإلاَّ بَقيتُ جائعاً ، والآنَ آكُلُ نِصْفَ رَغيفٍ ، وأرْبَع عَشرَةَ تَمْرةً ، وقامَ إفْطَاري في رَمضانَ هـٰذا بدِرْهَم ودَانِقَيْن ونِصْف[3] .

١٣ـ تَقْديمُ رِضَاه :

عن أبي حازم ، قالَ : شَيئانِ إذا عَمِلتَ بهما أصَبتَ خَيرَ الدُّنيا والآخِرَة لا أطوِّل عليكَ ، قيلَ : ما هُما ؟ قالَ : تَحْمِلُ ما تَكرَهُ إذا أحَبَّهُ اللهُ ، وتَتْرُكُ ما تُحِبُّ إذا كَرِهَهُ اللهُ[4] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ مُطَرِّف ، حدَّثنا أبو حازم قالَ : لا يُحسِنُ عَبدٌ فيما بَينَه وبينَ اللهِ ، إلاَّ أحْسَنَ ما بَينَه وبينَ العِباد ، ولا يُعوِّرُ ما بَينَه وبينَ اللهِ إلاَّ عوَّر فيما بينَه وبينَ العِباد[5] .

وقالَ أيضاً : لَمُصانعَةُ وَجْه واحدٍ أيْسَرُ من مُصَانعَةِ الوُجُوهِ كلِّها إنَّكَ إذا صانَعْتَه مَالَت الوُجُوهُ كلُّها إليكَ ، وإذا اسْتَفْسَدتَ ما بينَه ، شَنِئَتْكَ الوُجُوهُ كلُّها[6] .

---

(١) انظر السير : (أبو حَفْص النِّسابوريُّ) ١٢/ ٥١٠ـ٥١٣ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٢٥ .
(٢) العَقِبُ هنا : النَّعْل ، علىٰ سَبيل المجاز
(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ الحَرْبيّ) ١٣/٣٥٦ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٩٥ .
(٤) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٨/٦٣٦ .
(٥) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٧ .
(٦) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/٩٦ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٨/٦٣٧ .

١٤ـ الافْتِقَارُ إليه سُبْحانَه :

قالَ أبو حَفْص النَّيسابُوري : أَحْسَنُ ما يَتَوَسَّلُ به العَبْدُ إلىٰ مَوْلاه الافْتِقارُ إليه ومُلازَمَةُ السُّنَّة ، وطَلَبُ القُوتِ من حِلِّه .

تُوفِّيَ الأُسْتاذُ أبو حَفْص النِّيسابوري سَنَةَ أَرْبَع وسِتِّينَ ومئتَين ، رحمَةُ الله عليه[١] .

١٥ـ رِضَا الله غَايَة :

عن مُحمَّدِ بنِ وَاسِع قالَ : طُوبىٰ لِمَنْ وَجدَ عَشاءً ، ولَمْ يَجِدْ غَداءً ، ووَجَدَ غَداءً ولَمْ يَجِدْ عَشاءً ، واللهُ عَنه رَاضٍ[٢] .

وعن سُفْيانَ الثَّوْريِّ ، قال : احْذَرْ سَخَطَ الله في ثَلاثٍ : احْذَرْ أنْ تُقَصِّرَ فيما أمَرَك ، واحْذَرْ أنْ يَراكَ وأنتَ لا تَرْضَىٰ بما قَسَمَ لك ، وأنْ تَطلُبَ شَيئاً من الدُّنيا فلا تَجدُه ، أنْ تَسْخَطَ علىٰ رَبِّك[٣] .

١٦ـ عَوْنُه سُبْحانَه للعَبد وتَوْفيقِه :

قالَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله : إنَّما وَجدتُ العَبدَ مُلقَىٰ بينَ رَبِّه وبينَ الشَّيطانِ ، فإنْ اسْتَشْلاهُ رَبُّه واسْتَنقَذَهُ نَجا ، وإنْ تَرَكَه والشَّيطَانَ ذَهبَ به[٤] .

وقالَ مُطَرِّفُ : لَوْ أُخرِجَ قَلبي فجُعلَ في يَساري وجيءَ بالخَيرِ ، فجُعلَ في يَميني ما اسْتَطعتُ أنْ أُولِجَ قَلبي منه شَيئاً حتَّىٰ يَكونَ اللهُ يَضعُه[٥] .

وقالَ الوَخْشيُّ يوماً : رَحلتُ ، وقاسَيتُ الذُّلَّ والْمَشَاقَّ ، ورَجَعتُ إلىٰ وَخْشَ وما عَرَفَ أحَدٌ قَدْري ، فقُلتُ : أَمُوتُ ولا يَنْتَشِرُ ذِكْري ، ولا يَتَرحَّمُ أحدٌ عليَّ ، فسَهَّلَ اللهُ ، ووَفَّقَ نِظامَ الْمُلكِ حتَّىٰ بَنَىٰ هـٰذه المدرَسَةَ وأجْلَسَني فيها أُحَدِّث ، لقد

---

(١) انظر السير : (أبو حَفْص النَّسابوريُّ) ١٢/ ٥١٠ـ ٥١٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢٦ .

(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٤/ ٦٣٨ .

(٣) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ١/ ٦٩٧ .

(٤) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله) ٤/ ١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٥/ ٤٧٥ .

(٥) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله) ٤/ ١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٦/ ٤٧٥ .

كُنتُ بعَسْقَلانَ أَسْمَعُ من ابنِ مُصَحِّح ، وبَقيتُ أياماً بلا أكْل ، فقَعدتُ بقُربِ خَبَّاز لأشَمَّ رَائحَةَ الخُبزِ وأتَقَوَّىٰ بها[1] .

١٧ـ حُبُّه سُبْحانَه :

قالَ إبْراهيمُ بنُ الأشْعَث : سَمعتُ الفُضَيْلَ يَقولُ في مَرضِه : ارْحَمني بحُبِّي إيَّاكَ فلَيسَ شَيءٌ أحَبَّ إليَّ منْكَ[2] .

١٨ـ رُؤْيَةُ المُسَبِّب ومُراعَاةُ الأسْباب :

قالَ الكَتَّانيُّ : سَمعتُ أبا سَعيد الخَرَّازَ يَقولُ : مَنْ ظَنَّ أنَّه يَصِلُ بغَير بَذْلِ الْمَجْهُودِ فهو مُتَمَنٍّ ، ومَنْ ظَنَّ أنَّه يَصِلُ ببَذْلِ الْمَجْهُودِ فهو مُتَعَنٍّ[3] .

وقالَ بُنانٌ الحَمَّالُ : رُؤيَةُ الأسْبابِ على الدَّوامِ قاطِعَةٌ عن مُشاهَدَة الْمُسَبِّب ، والإعْراضُ عن الأسْبابِ جُملَةً يُؤدِّي بصاحبِه إلىٰ رُكُوبِ الباطِل[4] .

١٩ـ مُتفرِّقَات في العَلاقَة مع الله :

عن مَعْروفٍ الكَرْخيِّ ، قالَ : مَنْ كَابَرَ اللهَ ، صَرَعَه ، ومَنْ نازَعَه ، قَمَعَه ، ومَنْ مَاكَرَه خَدَعَه ، ومَنْ تَوكَّلَ عليه مَنَعَه ، ومَنْ تَواضَعَ له ، رَفَعَه ، كَلامُ العَبدِ فيما لا يَعنيه خُذْلانٌ من الله[5] .

وعن أحْمدَ بنِ أبي الحَواريِّ ، قالَ : كُنتُ أسْمَعُ وَكيعاً يَبتَدِىءُ قبلَ أنْ يُحدِّثَ فيَقُولُ : ما هُنالكَ إلاَّ عَفوُه ، ولا نَعيشُ إلاَّ في سِتْرِه ، ولَوْ كَشَفَ الغِطاءَ لكَشَفَ عن أمْرٍ عَظيمٍ[6] .

---

(١) انظر السير : (الوَخْشيُّ) ١٨/ ٣٦٥ـ ٣٦٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٣ .
(٢) انظر السير : (الفُضَيْلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٨ .
(٣) انظر السير : (الخَرَّاز) ١٣/ ٤١٩ـ ٤٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٩٧ .
(٤) انظر السير : (بُنانُ الحَمَّال) ١٤/ ٤٨٨ـ ٤٩٠ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٩ .
(٥) انظر السير : (مَعْروف الكَرْخيّ) ٩/ ٣٣٩ـ ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٨/٨٢٦ .
(٦) انظر السير : (أحمَدُ بنُ أبي الحَواريِّ) ١٢/ ٨٥ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ٢/٩٨٧ .

وعن ابنِ سَمْعُونَ ، أنَّه سَمعَ البَرْبَهاريَّ يَقولُ : رَأيتُ بالشَّامِ رَاهِباً في صَوْمَعَة حَولَه رُهْبانٌ يَتَمَسَّحونَ بالصَّوْمَعَة ، فقُلتُ لِحَدَثٍ منهم : بأيِّ شَيءٍ أُعْطِيَ هـٰذا ؟ قالَ : سُبْحَانَ الله مَتَىٰ رَأيتَ اللهَ يُعطِي شَيئاً علىٰ شَيءٍ ؟ قُلتُ : هـٰذا يَحتاجُ إلىٰ إيضاح ، فقد يُعْطي اللهُ عَبدَه بِلا شَيءٍ ، وقد يُعطيه علىٰ شَيءٍ ، لكنَّ الشَّيءَ الذي يُعطيه اللهُ عَبدَه ، ثم يُثيبُه عَليه هو منه أيضاً قالَ تَعالَىٰ : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1] .

عاشَ البَرْبَهاريُّ سَبْعاً وسَبعينَ سَنةً ، وكانَ في آخِرِ عُمرِه قد تَزوَّجَ بجاريَة[2] .

* * *

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٣ .

(٢) انظر السير : (البَرْبَهاريُّ) ١٥/ ٩٠ـ٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٨٦ .

من مَظَاهِرِ حُسْنِ العَلاقَة مع الله

١ـ الاسْتِسْقَاء

صُوَرٌ من اسْتِسْقاء الصَّالحين :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ العَبَّاسِ بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : وثَبتَ من حَديثِ أنَس : أنَّ عُمَرَ اسْتَسْقَىٰ فقالَ : اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا إذا قَحطْنا علىٰ عَهدِ نَبيِّك تَوَسَّلنا به ، وإنا نَسْتَسْقي إليكَ بعَمِّ نَبيِّكَ العَبَّاسِ .

وفي ذلك يَقولُ عَبَّاسُ بنُ عُقْبَة بنِ أبي لَهَبِ[١] :

بعمـي سقـى اللهُ الحجـازَ وأهلَـهُ ... عشيـةَ يستسقـي بشيبتـهِ عمـر

توجَّهَ بالعباسِ في الجَدْب راغباً ... إليه فمـا إنْ رامَ حتىٰ أتـى المطر

ومِنّـا رسـولُ اللهِ فينـا تـراثُـهُ ... فهـلْ فـوقَ هـٰذا للمُفـاخِـرِ مفتَخَر

وعن ثابتٍ البُنَانيِّ قالَ : جاءَ قَيِّمُ أرضِ أنَسِ بنِ مَالِك فقالَ : عَطِشَتْ أرْضُوكَ ، فتَردَّىٰ أنَسٌ ، ثم خَرجَ إلى البَرِيَّة ، ثم صَلَّىٰ ، ودَعَا ، فثارَت سَحابَةٌ ، وغَشِيَتْ أرضَه ومَطَرَت ، حتَّىٰ مَلأت صِهْريجَه وذلك في الصَّيفِ ، فأرْسَلَ بَعضَ أهلِه ، فقالَ : انْظُرْ أينَ بَلغَت ؟ فإذا هي لَمْ تَعدُ أرْضَه إلاَّ يَسيراً[٢] .

عن سُلَيم بنِ عامِر قالَ : خَرجَ مُعاويَةُ يَسْتَسْقِي ، فلمَّا قَعدَ على الْمِنْبَرِ ، قالَ : أينَ يَزيدُ بنُ الأَسْوَد ؟ فنادَاهُ النَّاسُ ، فأقْبَلَ يَتخَطَّاهم فأمَرَهُ مُعاويَةُ ، فصَعدَ الْمِنبَرَ ، فقالَ مُعاويَةُ : اللَّهُمَّ إنَّا نَستَشفِعُ إليكَ بِخَيرِنا وأفْضَلِنا يَزيدِ بنِ الأسْوَدِ ، يا يَزيدُ ارْفَعْ يَدَيك إلى الله ، فرَفَعَ يَدَيه ورَفَعَ النَّاسُ فمَا كانَ بأوْشَك منْ أنْ ثارَت سَحابَةٌ كالتُّرسِ ، وهَبَّت رِيحٌ فسُقِينَا حتَّىٰ كادَ النَّاسُ أنْ لا يَبلُغوا مَنازِلَهم[٣] .

---

(١) انظر السير : (العَبَّاس) ٢/٧٨ـ١٠٣ ، وانظر النزهة : ١/٢٢٣ .

(٢) انظر السير : (أنَسُ بنُ مَالِك) ٣/٣٩٥ـ٤٠٦ ، وانظر النزهة : ١/٤٠١ .

(٣) انظر السير : (الجُرَشيُّ) ٤/١٣٦ـ١٣٧ ، وانظر النزهة : ٣/٤٦٢ .

وقالَ الأوْزاعِيُّ : خَرجوا يَسْتَسْقُونَ بدِمَشْقَ ، وفيهم بِلالُ بنُ سَعْد ، فقامَ فقالَ : يا مَعْشَرَ مَنْ حضَرَ! أَلَسْتُم مُقرِّينَ بالإساءَة ؟ قُلنا : نَعَم ، قالَ : اللَّهُمَّ إنَّكَ قُلتَ : ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[1] وقد أقْرَرْنا بالإساءَة ، فاعْفُ عَنَّا واسْقِنَا قالَ : فسُقِينا يومَئذ[2] .

وقالَ ابنُ الْمُنْكَدِر : إنِّي لَلَيلَةٌ مُواجِهٌ هـٰذا الْمِنبَرَ في جَوفِ اللَّيلِ أدْعُو ، إذا إنْسَانٌ عندَ أسْطُوانَة مُقَنِّعٌ رَأسَه ، فأسْمَعُه يَقولُ : أي رَبِّ إنَّ القَحْطَ قد اشْتَدَّ علىٰ عِبادِك ، وإنِّي مُقسِمٌ عَليكَ يا رَبِّ إلاَّ سَقَيْتَهم ، قالَ : فما كانَ إلاَّ ساعَةً إذا سَحابَةٌ قد أقْبَلت ، ثم أرْسَلَها اللهُ ، وكانَ عَزيزاً على ابنِ الْمُنْكَدِرِ أنْ يَخْفَىٰ عليه أحَدٌ من أَهلِ الخَيرِ ، فقالَ : هـٰذا بالْمَدينَةِ ولا أعْرِفُه!! فلمَّا سَلَّمَ الإمامُ ، تَقنَّعَ وانْصَرَف ، وأتْبَعَه ، ولَمْ يَجلِسْ للقَاص حتَّىٰ أتَىٰ دَارَ أنَسٍ ، فدَخلَ مَوْضِعاً ، ففَتَحَ ودَخلَ قالَ : ورَجَعتُ ، فلمَّا سَبَّحتُ أتيتُه فقُلتُ : أدْخُلُ ؟ قالَ : ادْخُل فإذا هو يَنجِرُ أقْداحاً ، فقُلتُ : كَيفَ أصْبَحتَ ؟ أصْلَحَكَ اللهُ ، قالَ : فاسْتَشْهَرَهَا وأعْظَمَهَا مِنِّي ، فلمَّا رَأيتُ ذلكَ ، قُلتُ : إنِّي سَمعتُ إقْسَامَكَ البَارِحَة على الله ، يا أخي هَلْ لكَ في نَفَقَةٍ تُغنيكَ عن هـٰذا ، وتُفَرِّغُكَ لِمَا تُريدُ من الآخِرَة ، قالَ : لا ، ولَكِنْ غيرُ ذلكَ ، لا تَذْكُرْني لأحَدٍ ، ولا تَذْكُرْ هـٰذا لأحَدٍ حتَّىٰ أمُوتَ ، ولا تَأتِني يا ابنَ الْمُنْكَدِر ، فإنَّك إنْ تَأتِني شَهَرْتَني للنَّاسِ ، فقُلتُ : إنِّي أُحِبُّ أنْ ألْقَاكَ ، قالَ : الْقَنِي في الْمَسجِدِ ، قالَ : وكانَ فارِسياً ، فمَا ذَكرَ ذلكَ ابنُ الْمُنْكَدِر لأحَدٍ حتَّىٰ ماتَ الرَّجُلُ قالَ ابنُ وَهْبٍ : بَلَغني أنَّه انْتَقلَ من تِلكَ الدَّارِ ، فلَمْ يُرَ ، ولَمْ يُدْرَ أينَ ذَهَبَ فقالَ أهْلُ تِلكَ الدَّار : اللهُ بَينَنا وبينَ ابنِ الْمُنْكَدِر ، أخْرَجَ عَنَّا الرجُلَ الصَّالح[3] .

وكان أيُّوب السَّخْتياني في طَريقِ مكّة ، فأصابَ الناسَ عَطَشٌ شَديدٌ حتّىٰ خافُوا فقال أيُّوبُ : أتَكتُمونَ عليَّ ؟ قالوا : نَعَم فدوَّرَ رِداءَه ودَعا ، فنَبعَ الماءُ ، وسَقَوا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩١ .
(٢) انظر السير : (بلالُ بنُ سَعْد) ٥/ ٩٠ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٥/٥٨٤ .
(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ الْمُنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٨ .

الجِمالَ ، ورَوَوا ، ثم أمرَّ يَدَه على المَوْضِع فصار كما كان .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : اتَّفَقوا علىٰ أنَّه تُوفِّيَ سَنَةَ إحْدَىٰ وثَلاثين ومئة بالبَصْرَة زَمَنَ الطَّاعُونِ وله ثَلاثٌ وسِتُّونَ سَنةً[1] .

قالَ ابنُ مَسْروق : حدَّثنا يَعقوبُ ابنُ أخي مَعْروفٍ الكَرْخيِّ ، أنَّ مَعْروفاً اسْتَسقَىٰ لهم في يَومٍ حارٍّ ، فما اسْتَتَمُّوا رَفعَ ثِيابِهم حتَّىٰ مُطِرُوا .

وقد استُجيبَ دُعاءُ مَعْروفٍ في غَيرِ قَضيَّة ، وأفْرَدَ الإمامُ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزيّ مَناقِبَ مَعْروفٍ في أرْبَعَةِ كَراريسَ[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أحمدَ بنِ حَرْب : وقيلَ إنَّه استَسْقَىٰ لهم بِبُخارَىٰ ، فما انْصَرَفوا إلاَّ يَخوضونَ في الْمَطَر رَحمَةُ الله عليه ماتَ سَنَةَ أرْبَع وثَلاثينَ ومئتين ، وقد قارَبَ الستِّينَ[3] .

وقالَ أبو عَليٍّ الغَسَّانيُّ : أخْبَرَنا أبو الفَتْحِ نَصْرُ بنُ الحَسَن السكتيُّ السَّمَرْقَنديُّ ، قالَ : قَحطَ الْمَطَرُ عندَنا بسَمَرْقَنْدَ في بَعضِ الأعْوَامِ ، فاسْتَسْقَى النَّاسُ مِراراً ، فلَمْ يُسْقَوا ، فأتَىٰ رَجلٌ صالِحٌ مَعرُوفٌ بالصَّلاحِ إلىٰ قاضي سَمَرْقَنْدَ ، فقالَ له : إنِّي رَأيتُ رأياً أعرِضُه عَليكَ قالَ : وما هو ؟ قالَ : أرَىٰ أنْ تَخرُجَ ويَخرُجَ النَّاسُ مَعَكَ إلىٰ قَبرِ الإمامِ مُحمَّدِ بنِ إسْمَاعيلَ البُخارِيّ ، وقَبرُه بخَرْتَنْكَ ونَسْتَسْقِي عندَه ، فعَسَى اللهُ أنْ يَسْقِيَنا ، قالَ : فقالَ القاضي : نِعْمَ ما رَأيتَ ! فَخَرَجَ القاضي والنَّاسُ معه ، واسْتَسْقَى القاضي بالنَّاسِ ، وبَكَى النَّاسُ عندَ القَبرِ ، وتَشَفَّعُوا بصاحِبه ، فأرْسَلَ اللهُ تَعالَى السَّماءَ بمَاءٍ عَظيمٍ غَزيرٍ ، أقامَ النَّاسُ من أجلِه بخَرْتَنْكَ سَبعَةَ أيَّامٍ أو نَحْوَها ، لا يَستَطيعُ أحَدٌ الوُصُولَ إلىٰ سَمَرْقَنْدَ من كَثرَةِ الْمَطَر وغَزارَتِه ، وبينَ خَرْتَنْكَ وسَمَرْقَنْدَ نَحوَ ثَلاثَةِ أمْيَال[4] .

---

(١) انظر السير : (أيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ) ٦/ ١٥ـ٢٦ ، وانظر النزهة : ٦٢٦/ ١٣ .
(٢) انظر السير : (مَعْروف الكَرْخيّ) ٩/ ٣٣٩ـ٣٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٢٧/ ١ .
(٣) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَرْب) ١١/ ٣٢ـ٣٥ ، وانظر النزهة : ٩٠٦/ ٥ .
(٤) انظر السير : (أبو عبدِ الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١٠٢١/ ٣ .

وقالَ الحَسَنُ بنُ مُحمَّد : قَحطَ النَّاسُ في بَعضِ السِّنينَ آخِرَ مُدَّة النَّاصِر ، فأمَرَ القاضي مُنْذِرَ بنَ سَعيد بالبُرُوزِ إلى الاسْتِسْقاءِ بالنَّاسِ ، فصَامَ أيّاماً وتَأهَّبَ ، واجْتَمعَ الخَلقُ في مُصَلَّى الرَّبَضِ وصَعَدَ النَّاصِرُ في أعْلَىٰ قَصْرِه لِيُشاهِدَ الجَمْعَ ، فأبْطَأَ مُنْذِرٌ ثم خَرجَ راجِلاً مُتَخَشِّعاً ، وقامَ لِيَخْطُبَ فلمَّا رَأى الحَالَ بَكَىٰ ونَشَجَ وافْتَتحَ خُطبَتَه بأنْ قالَ : سَلامٌ عَليكم ، ثم سَكتَ شِبهَ الحَسيرِ ، ولَمْ يَكُنْ من عادَتِه ، فنَظَرَ النَّاسُ بَعضُهُم إلىٰ بَعضٍ لا يَدْرُونَ ما عَرَاهُ ، ثم انْدَفَعَ فقالَ : سَلامٌ عَليكم ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[1] اسْتَغفِرُوا رَبَّكُم وتُوبُوا إليه ، وتَقرَّبوا بالأعْمَالِ الصَّالِحَة لَدَيه ، فضَجَّ النَّاسُ بالبُكَاءِ ، وجَأرُوا بالدُّعاءِ والتَّضرُّع وخَطَبَ فأبْلَغَ ، فلَمْ يَنفَضَّ القَومُ حتَّىٰ نَزلَ غَيثٌ عَظيمٌ[2] .

واسْتَسْقَىٰ مُنْذِرُ بنُ سَعيد مرَّةً ، فقالَ يَهتِفُ بالخَلقِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[3] فهيَّجَ الخَلقَ على البُكاءِ[4] .

وقالَ الحَسَنُ بنُ مُحمَّد : وسَمعتُ مَنْ يَذكُرُ أنَّ رَسُولَ النَّاسِ جاءَه للاسْتِسْقاءِ ، فقالَ لِلرَّسُولِ : ها أنا سائِرٌ ، فلَيْتَ شِعْري ما الذي يَصْنَعُه الخَليفَةُ في يَوْمِنا هـٰذا ؟ فقالَ : ما رَأيتُه قَطُّ أخْشَعَ منه في يَومِه هـٰذا ، إنَّه مُنْفَرِدٌ بنَفسِه ، لابِسٌ أخْشَنَ الثِّيابِ ، مُفْتَرِشٌ التُّرابَ ، قد عَلا نَحيبُه واعْتِرافُه بذُنُوبِه ، يَقُولُ : رَبِّ هـٰذه ناصِيَتي بيَدِك ، أتُراكَ تُعَذِّبُ الرَّعيَّةَ ، وأنْتَ أحْكَمُ الحاكِمينَ وأعْدَلُهم ، أنْ يَفُوتَك مِنِّي شَيءٌ ، فتَهَلَّلَ مُنْذِرُ بنُ سَعيد ، وقالَ : يا غُلامُ احْمِلْ المِمْطَرَةَ مَعَك ، إذا خَشَعَ جَبَّارُ الأرْضِ رَحِمَ جَبَّارُ السَّماءِ[5] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٤ .
(٢) انظر السير : (مُنْذِرُ بنُ سَعيد) ١٦/ ١٧٣ـ ١٧٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٧٨ .
(٣) سورة فاطر ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .
(٤) انظر السير : (مُنْذِرُ بنُ سَعيد) ١٦/ ١٧٣ـ ١٧٨ ، وانظر النزهة : ١/١٢٧٩ .
(٥) انظر السير : (مُنْذِرُ بنُ سَعيد) ١٦/ ١٧٣ـ ١٧٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٧٩ .

وعن الرَّبيعِ بنِ سَالِمٍ يَقولُ : صَادَفَ وَقتُ وَفاةِ الْحُجْرِيِّ قَحْطٌ ، فلمَّا وُضِعَت جنازَتُه ، تَوَسَّلُوا به إلى الله ، فسُقُوا ، وما اخْتَلفَ النَّاسُ إلىٰ قَبرِه مُدَّةَ الأُسْبُوعِ إلاَّ في الوَحْلِ وكانَ ابنُ حُبَيْش شَيخُنا كَثيراً ما يَقُولُ : لَمْ تُخْرِجِ الْمَرِيَّةُ أفْضَلَ منه ، وكانَ زَماناً يُخبرُ أنَّه يَمُوتُ في الْمُحَرَّمِ لِرُؤْيا رآها ، فكانَ كُلَّ سَنةٍ يَتهَيَّأ[1] .

وقد اسْتَسْقَى الشَّيخُ أبو عُمَرَ مُحمَّدُ بنُ قُدامَة مَرَّةً بالْمَغَارَةِ فحِينَئذٍ نَزَلَ غَيثٌ أجْرَى الأوْدِيَة[2] .

* * *

(١) انظر السير : (الحَجْريُّ) ٢١/٢٥١ـ٢٥٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦١٦ .

(٢) انظر السير : (الشَّيخُ أبو عُمَر) ٢٢/٥ـ٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٢ .

٢ـ الالتِجَاء حَالَ التَّهْديد إلى الله

(وسَتجدُ غَيرَ ذلك في فهْرس الدُّعاء في : أدْعيَة مُجرَّبَة في كشْف الضُّرّ)

ماذا يَفْعَلُ مَنْ هُدِّد ؟

عن الحَسَنِ بنِ محمَّدِ بنِ الحَنفيَّة قالَ : لَمْ يبايع أبي الحَجَّاجَ ، لَما قَتلَ ابنَ الزُّبَيْر بَعثَ الحَجَّاجُ إليه أنْ قد قُتلَ عَدوُّ الله ، فقالَ : إذا بايَعَ النَّاسُ بايَعتُ قالَ : والله لأقْتُلنَّك قالَ : إنَّ لله في كُلِّ يوم ثَلاث مئة وستِّينَ نَظرَة[1] ، في كُلِّ لَحظَة ثَلاث مئة وسِتُّونَ قَضيَّة ، فلَعلَّه أنْ يَكْفينَاكَ في قَضيَّةٍ من قَضاياه ، وكَتبَ الحَجَّاجُ فيه إلىٰ عبدِ الْمَلكِ بذلك ، فأعْجَبَ عبدَ المَلكِ قَولُه ، وكَتبَ بمِثلِها إلىٰ طاغِيَةِ الرُّومِ وذلك أنَّ صاحِبَ الرُّومِ كَتبَ إلىٰ عبدِ المَلكِ يَتهَدَّدُه بأنَّه قد جَمَعَ له جُموعاً كَثيرةً وكَتبَ إلى الحَجَّاجِ : قد عَرَفنا أنَّ محمَّداً لَيسَ عندَه خِلافٌ ، فارْفُقْ به فسَيُبايعُكَ فلمَّا اجْتَمعَ النَّاسُ علىٰ عبدِ المَلكِ ، وبايَعَ له ابنُ عُمَرَ قالَ ابنُ عُمَرَ لِمُحمَّدٍ : ما بَقِيَ شَيءٌ فبَايعْ فكَتبَ بالبَيْعَةِ إلىٰ عبدِ الْمَلكِ وهي : « أمَّا بَعدُ ، فإنِّي لَمَّا رَأيتُ الأُمَّةَ قد اخْتَلفَتْ اعْتَزلْتُهم ، فلَمَّا أفضَى الأمْرُ إليكَ وبايَعَكَ النَّاسُ ، كُنتُ كرَجُلٍ منهم ، فقد بايَعتُك وبايَعتُ الحَجَّاجَ لكَ ، ونَحنُ نُحِبُّ أنْ تُؤمِّننا ، وتُعْطِيَنا مِيثَاقاً على الوَفاءِ فإنَّ الغَدْرَ لا خَيرَ فيه » .

فكَتبَ إليه عبدُ الْمَلكِ : إنَّك عِندَنا مَحمودٌ ، أنْتَ أحَبُّ إلينا وأقْرَبُ بنا رَحِماً من ابنِ الزُّبَيْر ، فلَكَ ذِمَّةُ اللهِ ورَسُولِه أنْ لا تُهَاجَ ولا أحَدٌ من أصْحابِكَ بشَيءٍ[2] .

وقِيلَ : تَهدَّدَ عبدُ المَلكِ بنُ مَرْوانَ خَالداً ابنَ الخَليفَة يَزيد وسَطَا عَليه ، فقالَ : أتُهَدِّدُني ويَدُ اللهِ فَوْقَكَ مَانِعَةٌ ، وعَطَاؤُهُ دُونَكَ مَبْذُولٌ[3] .

---

(١) عند ابن سعد : (لحظة) .

(٢) انظر السير : (ابنُ الحَنَفيَّة) ٤/ ١١٠ـ ١٢٩ ، وانظر النزهة : ٣/٤٦١ .

(٣) انظر السير : (خالدُ بنُ الخَليفَة يَزيد) ٤/ ٣٨٢ـ ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ٤/٥١٥ .

٣ ـ التَّوْبَة

١ ـ الحَثُّ على التَّوْبَة :

عن طَلْقِ بنِ حَبيبٍ ، قالَ : إنَّ حُقُوقَ الله أعْظَمُ مِنْ أنْ يَقُومَ بها العِبَادُ ، وإنَّ نِعَمَ الله أكثرُ مِنْ أنْ تُحْصَىٰ ، ولَكنْ أصْبِحُوا تائبِينَ ، وأمْسُوا تائبِينَ .

قالَ أبو حاتم : طَلْقٌ صَدوقٌ ، يَرَى الإرْجاءَ(١) .

٢ ـ مِنْ عَلامات التَّوْبَة :

عن عُمَرَ بنِ ذَر قالَ : كُلُّ حُزْنٍ يَبْلَىٰ إلاَّ حُزْنُ التَّائبِ عن ذُنوبِه(٢) .

وعن شَقيقٍ ، قالَ : عَلامَةُ التَّوْبَة البُكَاءُ علىٰ مَا سَلَفَ ، والخَوْفُ من الوُقُوعِ في الذَّنبِ ، وهُجْرانُ إخْوَانِ السُّوءِ ، ومُلازَمَةُ الأخْيَارِ(٣) .

٣ ـ كلمَةٌ جَميلَةٌ في التَّوْبَة :

رَوَىٰ أبو الْمَليحِ ، عن مَيْمُونَ ، قالَ : مَنْ أسَاءَ سِرّاً فليَتُبْ سِرّاً ، ومَنْ أسَاءَ عَلانيَةً ، فليَتُبْ عَلانيَةً ، فإنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُونَ ولا يَغْفِرُونَ ، والله يَغْفِرُ ولا يُعَيِّرُ(٤) .

٤ ـ صُوَرٌ من التَّوْبَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ زاذانَ : وقالَ ابنُ عَدي : تابَ علىٰ يَدِ ابنِ مَسْعود وعن أبي هاشم الرُّمَّانيِّ قالَ : قالَ زاذانُ : كُنتُ غُلاماً حَسنَ الصَّوْتِ ، وعندَنا نَبيذٌ وأنا أُغَنِّيهم ، فمَرَّ ابنُ مَسْعود فدَخلَ فضَربَ الباطيَةَ(٥) ، بَدَّدَها وكَسَرَ الطُّنبورَ ، ثم قالَ : لَوْ كانَ ما يُسمَعُ من حُسْنِ صَوتِك يا غُلامُ بالقُرآنِ كُنتَ أنتَ ، ثم مَضَىٰ فقُلتُ

---

(١) انظر السير : (طَلْقُ بنُ حَبيب العَنزيُّ) ٤/ ٦٠١ـ ٦٠٣ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٧ .

(٢) انظر السير : (عُمرُ بنُ ذَر) ٦/ ٣٨٥ـ ٣٩٠ ، وانظر النزهة : ٦/٦٦٠ .

(٣) انظر السير : (شَقيق) ٩/٣١٣ـ ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٩/٨٢٣ .

(٤) انظر السير : (مَيْمُونُ بنُ مِهْران) ٥/ ٧١ـ ٧٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٨٢ .

(٥) الباطيَةُ : هو كلُّ إناء يُجعَلُ فيه الخَمر.

لأصْحابي : مَنْ هـٰذا ؟ قالوا : هـٰذا ابنُ مَسْعود ، فألْقَىٰ في نَفسِي التَّوبَة ، فسَعيتُ أبْكِي ، وأخَذتُ بثَوبِه ، فأقْبَلَ عليَّ فاعْتَنَقَني وبكَىٰ وقالَ : مَرْحَباً بمَنْ أحَبَّه اللهُ ، اجْلِسْ ، ثم دَخَلَ وأخْرَجَ لي تَمْراً[1] .

وعن يُونُسَ البَلْخيِّ ، قالَ : كانَ إبْراهيمُ بنُ أدْهَمَ من الأشْرافِ ، وكانَ أبُوهُ كَثيرَ الْمَالِ والخَدَم ، والْمَراكِب والجَنائب والبُزَّاة[2] فبَيْنا إبْراهيمُ في الصَّيدِ علىٰ فَرَسه يُركِضُه ، إذا هو بصَوتٍ من فَوقِه : يا إبْراهيمُ ما هـٰذا العَبثُ ؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[3] اتَّقِ اللهَ ، عَليكَ بالزَّادِ لِيَومِ الفَاقَة ، فنزَلَ عن دَابَّتِه ، ورَفَضَ الدُّنيا .

قالَ خَلفُ بنُ تَميم : سَمعتُ إبْراهيمَ يَقولُ : رآني ابنُ عَجْلانَ ، فاسْتَقبَلَ القِبلَةَ سَاجِداً ، وقالَ سَجدتُ لله شُكْراً حينَ رَأيتُك[4] .

قالَ السَّرَّاجُ : سَمعتُ إبْراهيمَ بنَ بَشَار يَقُولُ : قُلتُ لإبْراهيمَ بنِ أدْهَمَ : كَيفَ كانَ بَدءُ أمْرِك ؟ قالَ : غَيرُ ذا أوْلَىٰ بك قالَ : قُلتُ : أخْبرْني لَعلَّ اللهَ أنْ يَنْفَعَنا به يَوماً قالَ : كانَ أبي من الْمُلوكِ الْمَياسير ، وحُبِّبَ إلينا الصَّيدُ فرَكبتُ ، فثارَ أرْنَبٌ أو ثَعلَبٌ فحَرَّكتُ فَرَسي ، فسَمعتُ نِداءً من وَرَائي : لَيسَ لِذَا خُلِقْتَ ولا بِذَا أُمِرْتَ ، فوَقَفتُ أنْظُرُ يَمْنَةً ويَسْرَةً ، فلَمْ أرَ أحَداً ، فقُلتُ : لَعَنَ اللهُ إبْليسَ ، ثم حَرَّكتُ فَرَسي ، فأسْمَعُ نِداءً أجْهَر من ذلك : يا إبْراهيمُ! لَيسَ لِذَا خُلِقْتَ ولا بِذَا أُمِرْتَ ، فوَقَفتُ أنْظُرُ فلا أرَىٰ أحَداً فقُلتُ : لَعَنَ اللهُ إبْليسَ ، فأسْمَعُ نِداءً من قَرَبُوس[5] سَرْجي بذَاكَ ، فقُلتُ : أُنبِهْتُ ، أُنْبِهْتُ ، جاءَني نَذيرٌ ، واللهِ لا عَصَيتُ اللهَ بعدَ يَومي ما عَصَمَني اللهُ ، فرَجَعتُ إلىٰ أهْلي ، فخَلَّيتُ فَرَسي ، ثم جِئتُ إلىٰ رُعاةٍ لأبي ، فأخَذتُ جُبَّة وكِسَاءً ، وألْقَيتُ ثيابي إليه ثم أقْبَلتُ إلى العِراقِ ، فعَمِلتُ بها أيّاماً ، فلَمْ يَصْفُ لي منها الحَلالُ فقيلَ

---

(١) انظر السير : (زاذان) ٤/ ٢٨٠ـ ٢٨١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٩٨ .
(٢) البُزاة : جمع البازي ، وهو ضَربٌ من الصُّقور.
(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .
(٤) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٧٠٧ .
(٥) القَرَبُوس : هو حنْو السرج ، قال الأزهري : وللسرج قربوسان ، فأما القربوس المقدَّم ، ففيه العَضُدان ، وهما رجلا السرج ، ويُقالُ لهما حنواه ، والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخَّرَة ، وهما حنواه.

لي : عَليكَ بالشَّام فذكرَ حِكايَةَ نِظارَتِه الرُّمَّانَ ، وقالَ الخادِمُ له : أَنْتَ تَأْكُلُ فاكِهَتَنا ، ولا تَعرفُ الحُلوَ من الحَامِضِ ؟ قُلتُ : واللهِ ما ذُقتُها فقالَ : أَتُراكَ لَوْ أَنَّك إبْراهيمُ بنُ أدْهَم ، فانْصَرفَ ، فلمَّا كانَ من الغَدِ ذَكَر صِفَتي في الْمَسجِدِ ، فعَرَفَني بَعضُ النَّاسِ ، فجاءَ الخَادِمُ ومَعه عُنقٌ[1] من النَّاسِ فاخْتَفَيتُ خَلفَ الشَّجَرِ والنَّاسُ دَاخِلُونَ ، فاخْتَلَطتُ مَعَهم وأنا هَاربٌ .

تُوفِّيَ سَنةَ اثنَتَينِ وسِتِّينَ ومئة ، وقَبرُه يُزار[2] .

وعن الفَضْلِ بنِ مُوسَىٰ ، قالَ : كانَ الفُضَيْلُ بنُ عِياض شاطِراً يَقطَعُ الطَّريقَ بينَ أَبِيوَرْدَ وسَرْخَس ، وكانَ سَببُ تَوبَتِه أنَّه عَشِقَ جارِيَةً ، فبَينا هو يَرْتَقي الجُدْرانَ إليها ، إذْ سَمعَ تَالياً يَتلُو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾[3] فلمَّا سَمعَها ، قالَ : بَلَىٰ ، يا رَبِّ ، قد آنَ ، فرَجَعَ ، فآواهُ اللَّيلُ إلىٰ خَرِبَة ، فإذا فيها سَابِلَةٌ ، فقالَ بَعضُهم : نَرْحَلُ ، وقالَ بَعضُهم : حتَّىٰ نُصبحَ فإنَّ فُضَيْلاً عَلى الطَّريقِ يَقْطَعُ عَلينا .

قالَ : ففَكَّرتُ ، وقُلتُ : أنا أَسْعَىٰ باللَّيلِ في الْمَعاصي ، وقَومٌ من الْمُسْلِمينَ ها هُنا ، يَخافُوني ، وما أرَى اللهَ ساقَني إليهم إلاَّ لأَرْتَدِعَ ، اللَّهُمَّ إنِّي قد تُبتُ إليكَ ، وجَعلتُ تَوْبَتي مُجاوَرَةَ البَيتِ الحَرام[4] .

قال يوسُفُ بنُ الحُسين الرَّازيّ : حَضرْتُ ذا النُّونِ فقيل له : يا أَبا الفيض ، ما كان سَببُ تَوبَتِكَ ؟ قال : نِمتُ في الصحراء ، ففتحت عَينَيَّ فإذا قُنْبُرَةٌ[5] عَمياءُ سقطتْ من وكْر ، فانشقت الأرضُ ، فخرجَ سُكُرُّجَتان فأكَلَت وشَرِبَت فقلتُ : حَسبي ، فتُبتُ ولَزِمتُ البابَ إلىٰ أن قَبِلَني[6] .

---

(١) العُنقُ : الجَماعَة من الناس الرؤساء .

(٢) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٩ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

(٤) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧٢ .

(٥) القُنْبُرة والقُنْبَرَة والقُبَّرَة والقُنْبُراء والقُنْبَراء : عصفورة من فصيلة القُبَّريات ، ورتبة الجواثم المخروطية المناقير ، سُمر في أعلاها ضاربة إلىٰ بياض في أسفلها ، وعلىٰ صدرها بقعة سوداء ، دائمة التغريد .

(٦) انظر السير : (ذو النون المصري) ١١/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٧ .

المَرَض

١ـ المُمْرِضُ الحَقيقيُّ :

قالَ أبو إسْحاقَ السَّبيعي : خَرَجَتْ قُرْحَةٌ بِإبْهَامِ شُرَيْح ، فقيلَ : ألا أرَيْتَها طَبيباً ؟ قالَ : هو الذي أخْرَجَها[1] .

٢ـ بَعضُ السَّلَف كانوا لا يَتَداوَوْنَ مع عِلْمِهم بجَواز التَّداوي :

قالَ سُفيانُ الثَّوريُّ : وقيلَ للرَّبيعِ بنِ خُثَيم لَوْ تَداوَيتَ ، قالَ : ذَكرتُ عَاداً وثَموداً وأصْحَابَ الرَّسِّ ، وقُروناً بينَ ذَلكَ كَثيراً ، كانت فيهم أوْجاعٌ ، وكانَت لهم أطِبَّاءُ ، فما بَقِيَ الْمُداوِي ولا الْمُداوَىٰ إلاَّ وقد فَنِيَ[2] .

٣ـ العَدْوَىٰ وضَابِطُهَا :

قال الذهبيُّ في تَرْجَمة مُعَيْقِيب بنِ أبي فاطمَة الدَّوْسيّ : له هجرةٌ إلى الحَبشَة ، وقيل : إنَّه قَدم مع جَعفرٍ ليالي خَيْبَر ، وكان مُبْتَلىٰ بالجُذام .

عن محمود بن لُبَيد ، قال : أمَّرَني يَحْيَىٰ بنُ الحَكَم علىٰ جُرَش ، فقَدمتُها فحَدَّثوني أنَّ عبدَ الله بنَ جَعْفَر حَدَّثهم : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لصاحب هـٰذا الوَجَع ـ الجُذام ـ « اتَّقُوهُ كمَا يُتَّقَى السَّبُعُ ، إذا هَبَطَ وَادِياً فاهْبطُوا غَيْرَه » .

فقَدمتُ المدينةَ ، فسَألتُ عبدَ الله بنَ جَعفر فقال : كَذبُوا والله!! ما حَدَّثْتُهم هـٰذا ، ولقد رأيتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب يُؤتَىٰ بالإناء فيه الماءُ فيُعطيه مُعَيْقيباً ـ وكان رجُلاً قد أسْرعَ فيه ذاكَ الدَّاءُ ـ فيَشربُ منه ، ويُناوِلُه عُمَرَ ، فيَضعُ فَمَه مَوْضعَ فَمِه ، حتىٰ يَشرَبَ منه ، فعَرفتُ أنَّه يَفعلُه فِراراً من العَدْوَىٰ .

وكان يَطلب الطِّبَّ من كلِّ من سُمع له بطِبٍّ ، حتىٰ قَدم علينا رجلان من أهل

---

(١) انظر السير : (شُرَيحُ القاضي) ٤/ ١٠٠ـ ١٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٧ .

(٢) انظر السير : (الرَّبيعُ بنُ خُثَيم) ٤/٢٥٨ـ ٢٦٢ ، وانظر النزهة : ٧/٤٩٣ .

اليَمن ، فقال هل عندكما من طبٍّ لهٰذا الرجل الصالح ؟ فقالا : أمَّا شيءٌ يُذهبُه ، فلا نَقدرُ عليه ، ولكنَّا سنُداويه دواءً يُوقِفُه ، فلا يَزيد فقال عُمرُ : عافيَةٌ عَظيمة فقالا : هل تُنْبتُ أرضُك الحَنْظَل ؟ قال : نعم قالا : فاجْمَعْ لنا منه ، فأمرَ ، فجُمعَ له ملءُ مِكتَلَيْنِ عظيمَين فشَقَّا كل واحدة نصفين ، ثم أضْجَعا مُعَيقِيباً ، وأخذَ كلٌّ واحدٍ منهما برِجلٍ ، ثم جَعلا يُدلِّكان بُطونَ قدميه بالحَنْظلة ، حتىٰ إذا مُحقت ، أخذا أخرىٰ ، حتىٰ إذا رأيا مُعَيقيباً يَتنخَمُه أخضراً مُرّاً أرْسلاه ثم قالا لعُمرَ : لا يَزيدُ وَجَعُه بعد هـٰذا أبداً قال : فوالله ما زالَ مُعَيقيباً مُتماسكاً ، لا يزيدُ وَجَعُه حتىٰ مات .

عاشَ مُعَيقيبٌ إلىٰ خلافة عثمان رضي الله عنه .

والفِرارُ من المَجذوم ، وتَركُ مُؤاكلته جائزٌ ، لكن لِيَكُن ذلك بحيث لا يكادُ يَشْعرُ المَجذوم ، فإنَّ ذلك يُحْزِنُه ، ومَن واكَله ـ ثِقَةً بالله ، وتَوكُّلاً عليه ـ فهو مؤمن[1] .

٤ـ ماذا يَقُولُ المَريضُ :

قالَ إبْراهيمُ بنُ الأشْعَث : سَمعتُ الفُضَيلَ بنَ عِياض يَقولُ وهو يَشْتَكي : مَسَّنيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحَمُ الرَّاحِمين[2] .

* * *

(١) انظر السير : (مُعَيْقيب بن أبي فاطمة الدوسيّ) ٢/ ٤٩١ـ٤٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٢٩٤ .
(٢) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٨ .

المَوْت

١ـ فَائِدَةُ الإكثَار من ذِكرِ المَوْت :

عن أبي الدَّرْداء ، قالَ : مَنْ أكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ قلَّ فَرَحُه ، وقلَّ حَسَدُه[1] .

٢ـ حَالُ السَّلَف مع ذِكرِ المَوْت :

عن زُهَير الأقْطَع : كانَ مُحمَّدُ بنُ سِيرينَ إذا ذَكرَ الْمَوْتَ ، ماتَ كُلُّ عُضْوٍ فيه علىٰ حِدَة .

قالَ مُحمَّدُ بنُ جَرير الطَّبَرِيُّ : كانَ ابنُ سِيرينَ فَقيهاً ، عالِماً ، وَرِعاً ، أديباً ، كَثيرَ الحَديثِ ، صَدوقاً ، شَهِدَ له أهْلُ العِلمِ والفَضلِ بذَلك ، وهو حُجَّةٌ[2] .

وقالَ الأوْزاعِيُّ : مَنْ أكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ ، كَفاهُ اليَسيرُ ، ومَنْ عَرَفَ أنَّ مَنطِقَه من عَمَلِه ، قَلَّ كَلامُه[3] .

وقالَ قَبيصَةُ : ما جَلَستُ مع سُفْيانَ مَجلِساً إلاَّ ذَكَرْتُ الْمَوْتَ ، ما رأيتُ أحَداً كانَ أكثَرَ ذِكْراً لِلْمَوْتِ منه[4] .

وقالَ أبو نُعَيم : كانَ سُفْيانُ إذا ذَكَر الْمَوْتَ لَمْ يُنتَفَعْ به أيّاماً[5] .

قالَ عَبدُ الله بنُ الْمُبارَك : كانَ محمَّدُ بنُ النَّضْر إذا ذَكرَ الْمَوْتَ اضطَرَبَت مَفاصِلُه[6] .

---

(١) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٦/٢٧٣ .
(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/ ٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٤/٥٦٨ .
(٣) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٤/٦٨٢ .
(٤) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٩/٦٩٥ .
(٥) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوْريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٧٠٠ .
(٦) انظر السير : (محمَّدُ بنُ النَّضر) ٨/ ١٧٥ـ ١٧٦ ، وانظر النزهة : ١/٧٤٢ .

٣ـ اسْتعْدادُ السَّلَف للمَوْت :

قالَ مُوسَى التَّيْميُّ : ما رأيتُ أحَداً أجْمَعَ للدِّينِ والْمَمْلَكةِ والشَّرَفِ من عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ أبانَ بنِ عُثْمانَ بنِ عَفَّان ، وقيلَ كان يَشتَري أهلَ البَيتِ فيَكْسُوهم ويُعْتِقُهم ، ويَقُولُ : أسْتَعينُ بهم علىٰ غَمَراتِ الْمَوْتِ ، فماتَ وهو نائمٌ في مَسْجِدِه وقيلَ : كانَ كَثيرَ العِبادَة والتَّأَلُّه رآهُ عَليُّ بنُ عبدِ الله بنِ عبَّاس فأعْجَبَه نُسُكُه وهَدْيُه ، فاقْتَدَىٰ به في الخَيْر[١] .

وعن أبي حازِم ، قالَ : ما أحْبَبْتَ أنْ يَكُونَ مَعكَ في الآخِرَة ، فاتْرُكهُ اليومَ وقالَ : انْظُر كُلَّ عَملٍ كَرِهْتَ الْموتَ من أجْلِه ، فاتْرُكْهُ ثم لا يَضُرُّكَ متَىٰ مِتَّ[٢] .

٤ـ تَنْغِيصُ المَوْتِ علىٰ أهْلِ الدُّنْيا :

عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ الله ، قالَ : إنَّ هـٰذا الْمَوْتَ قد أفْسَدَ علىٰ أهْلِ النَّعيمِ نَعيمَهم ، فاطْلبوا نَعيماً لا مَوْتَ فيه[٣] .

قالَ مُبارَكُ بنُ فَضالَة : سَمعتُ الحَسَنَ يَقولُ : فَضَحَ الْمَوْتُ الدُّنيا ، فلَمْ يَتْرُك فيها لِذي لُبٍّ فَرَحاً .

ورَوَىٰ ثابتٌ عنه ، قال : ضَحِكُ الْمؤمنِ غَفلَةٌ من قَلبِه[٤] .

٥ـ مُحِبُّ الدُّنْيا كارِهٌ للمَوْت :

وعن بِشْرِ بنِ الحارِث : لَيسَ أحَدٌ يُحبُّ الدُّنيا إلاَّ لَمْ يُحبَّ الْموتَ ، ومَنْ زَهدَ فيها ، أحَبَّ لِقاءَ مَوْلاه .

وعنه : ما اتَّقَى اللهَ مَنْ أحَبَّ الشُّهْرَة[٥] .

---

(١) انظر السير : (عبد الرحمَـٰن بن أبَان) ٥/ ١٠ـ ١١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٧٥ .
(٢) انظر السير : (أبو حازم) ٦/ ٩٦ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦/٦٣٦ .
(٣) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبد الله) ٤/ ١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٧/٤٧٥ .
(٤) انظر السير : (الحَسَنُ البَصريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٦٣ .
(٥) انظر السير : (بِشْر بن الحارث) ١٠/ ٤٦٩ـ ٤٧٧ ، وانظر النزهة : ١٠/٨٨٦ .

٦ـ تَمَنِّي المَوْت عندَ الضُّرِّ :

قالَ مُبارَكُ بنُ فَضَالَة : دَخلتُ علىٰ ثابتِ بنِ أسْلَم ، فقالَ : يا إخْوَتاه ، لَمْ أقدِرْ أنْ أُصلِّي البَارِحَةَ كمَا كُنتُ أُصلِّي ، ولَمْ أقدِرْ أنْ أصُومَ ، ولا أنْزِلَ إلىٰ أصْحابي فأذْكُر مَعهم اللَّهُمَّ إذ حَبسْتَني عن ذلك لا تَدعْني في الدُّنيا ساعةً[1] .

وقالَ ابنُ عَدي : سَمعتُ عبدَ القُدُّوسِ بنَ عبدِ الجَبَّار السَّمَرْقَنديَّ يَقُولُ : جاءَ مُحمَّدُ بنُ إسْماعيلَ إلىٰ خَرْتَنْك[2] ، وكانَ له بها أقْرِباءُ فنَزلَ عندهم ، فسَمعتُه لَيلَةً يَدعُو ، وقد فَرغَ من صَلاةِ اللَّيلِ : اللَّهُمَّ إنَّه قد ضاقَت عليَّ الأرْضُ بما رَحُبَت ، فاقْبِضْني إليكَ فمَا تَمَّ الشَّهرُ حتَّىٰ ماتَ وقَبرُه بخَرْتَنْك[3] .

٧ـ رَجَاء رَحْمَة الله حَالَة نُزُول المَوْت هو الأوْلَىٰ :

قالَ إبْراهيمُ بنُ الأشْعَث : سَمعتُ الفُضَيْلَ بنَ عِياض يَقُولُ : الخَوفُ أفْضَلُ من الرَّجاءِ ما دامَ الرَّجُلُ صَحيحاً ، فإذا نَزَلَ به الْمَوْتُ فالرَّجَاءُ أفْضَل[4] .

٨ـ الخَوْفُ من المَوْتِ قَتْلاً لَيسَ عَيْباً :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الفَخَّار : أُريدَ على الرُّسليَّة إلىٰ أُمراء البَرْبَر ، فأبَىٰ ، وقالَ : بي جَفاءٌ وأخَافُ أنْ أُوذَىٰ فقالَ الوَزيرُ : ورَجُلٌ صالحٌ يَخافُ الْمَوْتَ! فقالَ : إنْ أَخَفْهُ ، فقد خافَه أنْبياءُ الله ، هـٰذا مُوسَىٰ قد حَكَى اللهُ عنه : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[5] ، [6] .

---

(١) انظر السير : (ثابتُ بنُ أسْلَم) ٥/ ٢٢٠ـ ٢٢٥ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٧ .

(٢) قرية علىٰ فَرسَخين من سَمَرْقَند .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٢٠ .

(٤) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٢/٧٧٧ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : ٢١ .

(٦) انظر السير : (ابنُ الفَخَّار) ١٧/ ٣٧٢ـ ٣٧٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٤٥ .

٩ـ شِعْرٌ في المَوْتِ :

قالَ مُحمَّدُ بنُ العَبَّاس السلطي : سَمعتُ محمَّدَ بنَ أسْلَم يُنشِدُ :

إن الطبيـبَ بطبِّـهِ ودوائِـه	لا يستطيـعُ دِفـاعَ مقـدورٍ أتـى
مـا للطبيـبِ يمـوتُ بـالـداءِ الـذي	قـد كـانَ يُبـري مثلَـهُ فيمـا مضـى
هلـك المـداوي والمـداوىٰ والـذي	جلبَ الدواءَ وباعهُ ومنِ اشترى

ماتَ محمَّدُ بنُ أسْلَم سَنةَ اثنَتَينِ وأرْبَعينَ ومئتينِ بنيسَابُورَ[١] .

١٠ـ حُسْنُ الخَاتِمَة :

عن يَزيدَ بنِ أبي حَبيب ، قالَ : لَمَّا احْتُضِرَ ابنُ سَرْح وهو بالرَّمْلَة ، وكانَ خَرَجَ إليها فاراً من الفِتْنَة فجعَلَ يَقُولُ من اللَّيلِ : آصْبَحتُم ؟ فيَقُولُونَ : لا فلَمَّا كانَ عندَ الصُّبحِ ، قالَ : يا هِشامُ! إنِّي لأجدُ بَرْدَ الصُّبحِ فانْظُرْ ، ثم قالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَاتِمَةَ عَمَلي الصُّبحَ ، فتَوَضَّأ ، ثم صَلَّىٰ ، فقرأَ في الأولَىٰ بأُمِّ القُرآنِ والعَادياتِ ، وفي الأُخْرَىٰ بأُمِّ القُرآنِ وسُورَةً وسَلَّمَ عن يَمينِه ، وذَهَبَ يُسَلِّمُ عن يَسارِه فقُبِضَ رضي الله عنه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الأصَحُّ وَفاته في خِلافَةِ عَليٍّ رضي الله عنه[٢] .

وقالَ يُونُسُ بنُ مُحمَّد الْمُؤدِّبُ : ماتَ حمَّادُ بنُ سَلَمَة في الصَّلاةِ في الْمَسْجِدِ[٣] .

وتُوفِّيَ ابنُ الإسْمَاعيليِّ سَنةَ ستٍّ وتِسْعينَ وثَلاثِ مئة فتُوفِّيَ إكْراماً من الله له في صَلاةِ الْمغربِ وهو يَقرَأُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٤] ففَاضَتْ نَفسُه رَحمَهُ الله[٥] .

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ أسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ١٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٣ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ سَعْد بنُ أبي السَّرْح) ٣/ ٣٣ـ٣٦ ، وانظر النزهة : ٤/٣٢٦ .
(٣) انظر السير : (حمَّادُ بنُ سَلَمَة) ٦/ ٤٤٤ـ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٤/٧١٥ .
(٤) سورة الفاتحة ، الآية : ٥ .
(٥) انظر السير : (ابنُ الإسْماعيلي) ١٧/ ٨٧ـ٨٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٢٤ .

وحَكَى الفَقيهُ نَصْرُ المصيصيُّ عن شَيخِه الفَقيهِ نَصْرِ بنِ إبْراهيمَ بنِ نَصْر النَّابُلسِيِّ ، أنَّه قَبلَ مَوْتِه بلَحْظَة سَمعَهُ وهو يَقُولُ : يا سَيِّدي أمْهِلُوني ، أنا مَأمُورٌ وأنتُم مَأمُورُونَ ، ثم سَمعتُ الْمُؤذِّنَ بِالْعَصْرِ ، فقُلتُ : يا سَيِّدي الْمُؤذِّنُ يُؤَذِّنُ ، فقالَ : أجْلِسْني ، فأجْلَسْتُه فأحْرَمَ بالصَّلاةِ ، ووَضَعَ يدَه على الأُخْرَىٰ وصَلَّىٰ ، ثم تُوفِّيَ من ساعَتِه ، رَحمَهُ اللهُ[1] .

جاءَ في تَرجَمَةِ الزَّبيديِّ ، قالَ ابنُ عَساكر : قالَ وَلَدُه إسْماعيلُ : كانَ أبي في كُلِّ يومٍ ولَيلَة من أيَّامِ مَرَضِه يَقُولُ : الله الله ، نَحواً من خَمسَةَ عَشرَ ألفَ مَرَّة ، فمَا زَالَ يَقُولُها حتَّىٰ طَفِىءَ .

وقالَ ابنُ شَافِع ، كانَ له في عِلمِ العَربيَّة والأُصُولِ حَظٌّ وَافِرٌ ، وصَنَّفَ في فُنُونِ العِلمِ نَحْواً من مئة مُصَنَّف ولَمْ يُضَيِّع شَيئاً من عُمرِه .

تُوفِّيَ سَنةَ خَمسٍ وخَمسينَ وخَمسِ مئة ، رَحمَهُ اللهُ[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحافِظِ عبدِ الغَني الْمَقْدِسيِّ : قالَ الحافِظُ الضِّياءُ : سَمعتُ أبا مُوسَىٰ يَقُولُ : مَرِضَ أبي في رَبيع الأوَّل مَرَضاً شَديداً مَنعَه من الكَلامِ والقِيامِ ، واشْتدَّ سِتَّةَ عَشرَ يَوماً ، وكُنتُ أسْألُه كَثيراً : ما يَشْتَهي ؟ فيَقُولُ : أشْتَهِي الجَنَّةَ ، أشْتَهِي رَحْمَةَ الله ، لا يَزيدُ علىٰ ذلك ، فجِئتُه بماءٍ حارٍّ فمَدَّ يَدَه فوَضأتُه وَقتَ الفَجْرِ ، فقالَ : يا عبدَ الله قُمْ صَلِّ بِنا وخَفِّفْ ، فصَلَّيتُ بالجَماعَة وصلَّىٰ جالِساً ، ثم جَلستُ عندَ رَأسِه ، فقالَ : اقْرأ (يس) ، فقَرأتُها ، وجَعلَ يَدعُو وأنا أُؤَمِّنُ ، فقُلتُ : هنا دَواءٌ تَشرَبُه ، قالَ : يا بُنَيَّ ما بَقِيَ إلاَّ الْمَوْتُ ، فقُلتُ : ما تَشْتَهِي شَيئاً ؟ قالَ : أشْتَهِي النَّظَرَ إلىٰ وَجهِ الله سُبحانَه ، فقُلتُ : ما أنتَ عَنِّي براضٍ ؟ قالَ : بَلَىٰ والله ، فقُلتُ : ما تُوصِي بشَيءٍ ؟ قالَ : ما لي علىٰ أحَدٍ شَيءٌ ، ولا لأحَدٍ عَليَّ شَيءٌ ، قُلتُ : تُوصيني ؟ قالَ : أُوصيكَ بتَقوَى الله والْمُحافَظَة علىٰ طاعَتِه ، فجاءَ جَماعَةٌ يَعُودُونَه ، فسَلَّموا ، فرَدَّ عَليهم ، وجَعلوا يَتحدَّثونَ ، فقالَ : ما هَـٰذا ؟ اذْكُروا الله ،

---

(١) انظر السير : (الفَقيهُ نَصْر) ١٩/١٣٦ـ١٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٧١ .

(٢) انظر السير : (الزَّبيديُّ) ٢٠/٣١٦ـ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٥٥ .

قُولوا : لا إلَـهَ إلاَّ الله ، فلمَّا قامُوا جَعَلَ يَذكُرُ اللهَ بشَفَتيه ، ويُشيرُ بعَينَيه ، فقُمتُ لأناولَ رَجُلاً كتاباً من جانِبِ الْمَسْجِد فرَجَعتُ وقد خَرجَت رُوحُه ، رَحمَهُ اللهُ ، وذلكَ يَومَ الإثنينِ الثالِث والعِشرين من رَبيع الأوَّل سَنةَ سِتِّ مئة ، وبَقِيَ لَيلَةَ الثُّلاثاءِ في الْمَسْجِد واجْتَمعَ الخَلقُ من الغَدِ فدَفنَّاه بالقَرافَة .

قالَ الضِّياءُ : تزوَّجَ الحافِظُ بخَالَتي رَابِعَة ابنَة خالَة الشَّيخ أحمَد بنِ مُحمَّد بنِ قُدامَة ، فهي أُمُّ أوْلادِه مُحمَّد وعبد الله وعبد الرحمَـٰن وفاطِمَة ، ثم تَسرَّىٰ بمِصْرَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أوْلادُهُ عُلَماءُ[1] .

١١ـ رُؤْيَا تَدُلُّ علىٰ سُوءِ الخَاتِمَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يَعْقوبِ بنِ إسْحاق الأشْعَثيِّ الكِنْديِّ ، الفَيلَسوف : وقال عبدُ الرَّحمـٰن بنُ يَحيَىٰ بنُ خاقان : رَأيتُه في النوم ، فقلتُ : ما فعلَ اللهُ بك ؟ قال : ما هو إلاَّ أنْ رآني فقال : ﴿ انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[2] ،[3]

١٢ـ مِنْ مَشَاهِد الاحْتِضَار :

وقالَ سَعيدُ بنُ عبدِ العَزيز : لَمَّا احتُضِرَ بِلالٌ قالَ : غَداً نَلقَى الأحِبَّة مُحمَّداً وحِزبَه ، قالَ : تَقولُ امْرأتُه ، وا وَيْلاه!! ، فقال : وافَرَحاه!![4] .

وعن أبي الزِّنادِ : أنَّ خالِدَ بنَ الوَليد لَمَّا احتُضِرَ بَكَىٰ وقالَ : لَقيتُ كَذا وكَذا زَحْفاً ، وما في جَسَدي شِبرٌ إلاَّ وفيه ضَربَةٌ بسَيفٍ ، أو رَميَةٌ بسَهْمٍ ، وها أنا أمُوتُ علىٰ فِراشي حَتفَ أنْفِي كمَا يَموتُ العِيرُ[5] فلا نامَتْ أعْينُ الجُبَناء[6] .

وعن أبي ظَبيَة قالَ : مَرِضَ عبدُ الله بنُ مَسْعود فعَادَه عُثْمانُ ، وقالَ : ما تَشْتَكي ؟

---

(١) انظر السير : (عبدُ الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٥٢ .

(٢) سورة المرسلات ، الآية : ٢٩ .

(٣) انظر السير : (يعقوب بن إسحاق) ١٢/ ٣٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٠٦

(٤) انظر السير : (بِلالُ بنُ أبي رَباح) ١/ ٣٤٧ـ ٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٥/١٧٦ .

(٥) العِيرُ : الحِمار.

(٦) انظر السير : (خالِدُ بنُ الوَليد) ١/ ٣٦٦ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٩/١٧٩ .

قالَ : ذُنُوبي ، قالَ : فمَا تَشْتَهي ؟ قالَ : رَحمَةَ رَبِّي قالَ : ألا آمُرُ لكَ بطَبيب ؟ قالَ : الطَّبيبُ أمْرَضَنِي ، قالَ : ألا آمُرُ لكَ بعَطاءٍ ؟ قالَ : لا حَاجَةَ لي فيه[1] .

وعن أَنَس قالَ : دَخلَ سَعدٌ وابنُ مَسْعُود علَىٰ سَلْمانَ عندَ الْمَوتِ ، فبَكَىٰ فقيلَ له : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : عَهدٌ عَهِدَه إلينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لَمْ نَحْفَظْه قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنْ الدُّنْيَا كزَادِ الرَّاكِبِ » وأمَّا أنتَ يا سَعدُ فاتَّقِ اللهَ في حُكمِكَ إذا حَكمتَ ، وفي قَسْمِكَ إذا قَسَمْتَ ، وعندَ هَمِّكَ إذا هَمَمتَ .

قالَ ثابتٌ : فبَلَغَني أنَّه ما تَرَكَ إلاَّ بضعَةً وعِشرينَ دِرْهَماً نُفَيْقَة كانت عندَه[2] .

عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : لَمَّا مَرِضَ سَلمانُ ، خَرجَ سَعدٌ من الكُوفَةِ يَعُودُه ، فقَدِمَ ، فوَافَقَه وهو في الْمَوتِ يَبْكي ، فسَلَّمَ وجَلسَ ، وقالَ : ما يُبكيكَ يا أخي ؟ ألا تَذكُرُ صُحْبَةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تَذكُرُ الْمَشَاهِدَ الصَّالِحَة ؟

قالَ : واللهِ ما يُبْكيني وَاحِدَةٌ من اثنَتين : ما أبْكي حُبّاً بالدُّنيا ولا كَراهيَةً لِلقاءِ الله قالَ سَعدٌ : فما يُبْكيكَ بعدَ ثَمانينَ ؟ قالَ : يُبْكيني أنَّ خَليلي صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إليَّ عَهْداً قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنْ الدُّنْيَا كزَادِ الرَّاكِبِ » وإنَّا قد خَشينا أنَّا قد تَعدَّينا .

رَواهُ بَعضُهم عن ثابت ، فقالَ : عن أبي عُثْمانَ ، وإرْسَالُه أشْبَه قالَه أبو حاتم ، وهـٰذا يُوضِّحُ لكَ أنَّه من أبْناء الثَّمانينَ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ : وقد ذَكرتُ في تاريخي الكَبير أنَّه عاشَ مِئتَين وخَمسينَ سَنَةً ، وأنا السَّاعَةَ لا أرْتَضي ذلكَ ولا أُصَحِّحُه[3] .

وعن ابنِ أبي مُلَيكَة : أنَّ ذَكْوانَ أبا عَمرو حدَّثه قالَ : جاءَ ابنُ عبَّاس رَضي الله عَنهما يَستأذنُ علىٰ عائشَة ، وهي في الْمَوْتِ قالَ : فجئتُ وعندَ رَأسِها عبدُ الله ابنُ أخيها عبدِ الرحمَـٰن ، فقُلتُ : هـٰذا ابنُ عَبَّاس يَستأذِنُ قالَت : دَعْني من ابنِ عَبَّاس ،

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ مَسْعود) ١/ ٤٧١ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ٩/١٩٧ .
(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٢٠٥ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٢٠٥ .

لا حاجَةَ لي به ، ولا بتَزْكيَتِه فقالَ عبدُ الله : يا أُمَّه ، إنَّ ابنَ عَبَّاس من صَالِحي بَنيكِ ، يُوَدِّعُك ويُسَلِّمُ عَليكِ قالَت : فائذَنْ له إنْ شِئتَ قالَ : فجاءَ ابنُ عَبَّاس ، فلمَّا قَعدَ ، قالَ : أبْشِري ، فوَالله ما بَينَكِ وبينَ أنْ تُفارِقي كُلَّ نَصَبٍ ، وتَلْقَيْ مُحمَّداً صلى الله عليه وسلم والأَحِبَّة ، إلاَّ أنْ تُفارِقَ رُوحُكِ جَسَدَكِ .

قالَت : إيهاً ، يا ابنَ عَبَّاس! قالَ : كُنتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ـ يَعني إليه ـ ولَمْ يَكُنْ يُحبُّ إلاَّ طَيِّباً ، سَقَطَت قِلادَتُك لَيلَةَ الأبْواء ، وأصْبَحَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ليَلْتَقِطَها ، فأَصْبَحَ النَّاسُ لَيسَ مَعَهم مَاءٌ ، فأنْزَلَ اللهُ ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[1] فكانَ ذلكَ من سَببِك ، وما أنْزَلَ اللهُ بهٰذه الأُمَّة من الرُّخْصَة ، ثم أنْزَلَ اللهُ تعالَىٰ بَراءَتك من فَوقِ سَبعِ سَماوَات ، فأَصْبَحَ لَيسَ مَسجدٌ من مَساجِدَ يُذكَرُ فيها اللهُ إلاَّ بَراءَتُك تُتلَىٰ في آناءِ اللَّيلِ والنَّهارِ قالَت : دَعْني عَنكَ يا ابنَ عَبَّاس ، فوَالله لَوَدِدْتُ أنِّي كُنتُ نَسْياً مَنْسياً[2] .

وعن ابنِ أبي مُلَيكَة ، قالَ : قالَت عائشَةُ : تُوفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم في بَيتي ، وفي يَومي ولَيلَتي ، وبينَ سَحْري ونَحْري ودَخلَ عبدُ الرحمٰن بنُ أبي بَكر ، ومَعه سِواكٌ رَطبٌ ، فنظَرَ إليه ، حتَّىٰ ظَنَنتُ أنَّه يُريدُه ، فأخَذتُه ، فمَضَغْتُه ونَفَضتُه وطَيَّبْتُه ، ثم دَفَعتُه إليه ، فاسْتَنَّ به كأَحْسَنِ ما رَأيتُه مُسْتَنّاً قَطُّ ، ثم ذَهَبَ يَرفَعهُ إليَّ ، فسَقَطَتْ يَدُه ، فأخَذتُ أدْعُو له بِدُعاءٍ كانَ يَدعُو به له جِبْرِيلُ ، وكانَ هو يَدعُو به إذا مَرِضَ ، فلَمْ يَدعُ به في مَرَضِه ذاكَ فرَفَعَ بَصرَه إلى السَّماءِ ، وقالَ : « الرَّفيقُ الأعْلَىٰ » وفاضَتْ نَفسُه ، فالحَمدُ لله الذي جَمعَ بينَ ريقي وريقِه في آخِرِ يَومٍ من الدُّنيا . هٰذا حَديثٌ صَحيحٌ .

تُوفِّيَتْ سَنةَ سَبعٍ وخَمسين[3] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

(٢) انظر السير : (عائشَةُ أمُّ الْمؤمنينَ) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٣/٢٤٢ .

(٣) انظر السير : (عائشَةُ أمُّ الْمؤمنينَ) ٢/ ١٣٥ـ ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٦/٢٤٤ .

وقالَت أُمُّ الدَّرْداء : لَمَّا احْتُضِرَ أَبُو الدَّرْداءِ ، جعلَ يَقولُ : مَنْ يَعمَلُ لِمِثْلِ يَومي هـٰذا ؟ مَنْ يَعمَلُ لِمِثْلِ مَضْجَعِي هـٰذا ؟

ماتَ أبو الدَّرْداء سَنةَ اثْنَتين وثَلاثينَ[١] .

عن الحَسَنِ قالَ : لَمَّا حضَرَ حُذَيْفَةَ الْمَوتُ ، قالَ : حَبيبٌ جاءَ عَلَىٰ فَاقَه ، لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ! أَلَيسَ بَعدي ما أعلم! الحَمدُ لله الذي سَبقَ بي الفِتْنَةَ! قادَتها وعلوجَها[٢] .

عن النَّزَّالِ بنِ سَبْرَةَ ، قالَ : قُلتُ لأبي مَسْعودٍ الأنْصاريِّ : ماذا قالَ حُذَيْفَةُ عند مَوْته ؟ قالَ : لَمَّا كانَ عندَ السَّحَر : قالَ : أعُوذُ بالله من صَباحٍ إلى النَّارِ ، ثَلاثاً ثم قالَ : اشْتَرُوا لي ثَوْبَينِ أبْيَضَينِ ، فإنَّهُما لَنْ يُترَكَا عَليَّ إلاَّ قَليلاً حتَّىٰ أُبَدَّلَ بهما خَيْراً منهما ، أو أُسْلبَهما سَلباً قَبيحاً[٣] .

وعن سَلمِ بنِ بَشير أنَّ أبا هُرَيْرَةَ بَكَىٰ في مَرَضِه : فقِيلَ : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : ما أبْكِي عَلَىٰ دُنْياكُم هـٰذه ، ولَكنْ عَلَىٰ بُعدِ سَفَري ، وقِلَّةِ زَادِي ، وأنِّي أمْسَيتُ في صُعُودٍ ومَهْبَطُه علىٰ جَنَّةٍ أو نَارٍ ، فلا أدْري أيُّهما يُؤخَذُ بي .

وعن هِشامِ بنِ عُرْوَة : أنَّ عائشَةَ ، وأبا هُرَيْرَةَ ، ماتا في سَنةِ سَبعٍ وخَمْسينَ ، قبلَ مُعاويَةَ بسَنتَينِ .

وذَكرتُه في « تَذْكِرَة الحُفَّاظ » ، فهو رَأْسٌ في القُرآنِ ، وفي السُّنَّة ، وفي الفِقْهِ .

وفي « سُنَنِ النَّسائي » : أنَّ أبا هُرَيْرَةَ دَعا لِنفسِه : اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ عِلْماً لا يُنْسَىٰ فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « آمِين »[٤] .

وعن عُيَيْنَة بنِ عبدِ الرحمَـٰن ، عن أبيه قالَ : لَمَّا اشْتَكَىٰ أبو بَكْرَةَ ، عَرضَ عليه بَنُوهُ أنْ يَأتُوهُ بطَبيبٍ ، فأبَىٰ ، فلمَّا نزَلَ به الْمَوْتُ ، قالَ : أينَ طَبيبُكُم ؟ لِيَرُدَّها إنْ كانَ صَادِقاً[٥] .

---

(١) انظر السير : (أبو الدَّرْداء) ٢/ ٣٣٥ـ ٣٥٣ ، وانظر النزهة : ٣/٢٧٣ .

(٢) انظر السير : (حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَان) ٢/ ٣٦١ـ ٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٤/٢٧٦ .

(٣) انظر السير : (حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَان) ٢/ ٣٦١ـ ٣٦٩ ، وانظر النزهة : ٥/٢٧٦ .

(٤) انظر السير : (أبو هُرَيْرَةَ) ٢/٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ٤/٣١٥ .

(٥) انظر السير : (أبو بَكرة الثَّقفيُّ الطَّائفيُّ) ٣/ ٥ـ ١٠ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢٠ .

عن يَزيدَ بنِ أبي حَبيب ، قالَ : لَمَّا احْتُضِرَ ابنُ سَرْح وهو بالرَّمْلَة ، وكانَ خَرَجَ إليها فاراً من الفِتْنَة فجعَلَ يَقُولُ من اللَّيلِ : آصْبَحتُم ؟ فيَقُولُونَ : لا فلَمَّا كانَ عندَ الصُّبحِ ، قالَ : يا هِشامُ! إنِّي لأجدُ بَرْدَ الصُّبحِ فانْظُرْ ، ثم قالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَاتِمَةَ عَمَلي الصُّبحَ ، فتَوَضَّأ ، ثم صَلَّىٰ ، فقرَأ في الأولَىٰ بأُمِّ القُرآنِ والعَادياتِ ، وفي الأُخْرَىٰ بأُمِّ القُرآنِ وسُورَةٍ وسَلَّمَ عن يَمينِه ، وذَهَبَ يُسَلِّمُ عن يَسارِه فقُبِضَ رضي الله عنه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الأصَحُّ وَفاتُه في خِلافَةِ عَليٍّ رضي الله عنه[١] .

وقيلَ : إنَّه دُخِلَ علىٰ حَكيم بنِ حِزام عندَ الْمَوْتِ وهو يَقُولُ : لا إلَـٰهَ إلاَّ الله قد كُنتُ أخْشَاكَ ، وأنا اليَومَ أرْجُوكَ[٢] .

وعن عَوانَةَ بنِ الحَكَم ، قالَ : قالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ ، عَجَباً لِمَنْ نَزَلَ به الْمَوْتُ ، وعَقلُه معه كَيفَ لا يَصِفُه ؟ فلمَّا نَزَلَ به الْمَوْتُ ، ذَكَّرَه ابنُه بقَولِه ، وقالَ : صِفْهُ قالَ : يا بُنَيَّ! الْمَوْتُ أجَلُّ مِنْ أنْ يُوصَفَ ، ولكن سَأصِفُ لكَ ، أجِدُني كأنَّ جِبالَ رَضْوَىٰ علىٰ عُنُقِي ، وكأنَّ في جَوْفِي الشَّوْكُ ، وأجِدُنِي كأنَّ نَفَسِي يَخرجُ من إبْرَة[٣] .

وقالَ أبو نَوْفَل بنُ أبي عَقْرَب : جَزِعَ عَمْرُو بنُ العَاصِ عندَ الْمَوْتِ جَزَعاً شَديداً ، فقالَ ابنُه عبدُ الله : ما هَـٰذا الجَزَعُ ، وقد كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُدْنيكَ ويَسْتَعمِلُكَ! قالَ : أي بُنَيَّ! قد كانَ ذلكَ ، وسَأُخبِرُكَ ، إي والله ما أدْرِي أحُبّاً كانَ أمْ تألُّفاً ، ولكنْ أشْهَدُ علىٰ رَجُلَينِ أنَّه فارَقَ الدُّنيا وهو يُحِبُّهما ابنُ سُمَيَّة ، وابنُ أُمِّ عَبد فلمَّا جَدَّ به ، وَضَعَ يَدَه مَوْضِعَ الأغْلالِ من ذَقَنِه ، وقالَ اللَّهُمَّ أمَرْتَنا فتَركْنا ، ونَهَيْتَنا فرَكِبْنا ، ولا يَسَعُنا إلاَّ مَغفِرَتُك ، فكانَت تِلكَ هَجِّيراهُ حتَّىٰ ماتَ[٤] .

وقالَ أبو عَمْرِو بنُ العَلاءِ : لَمَّا احْتُضِرَ مُعاوِيَةُ ، قِيلَ له : ألا تُوصِي ؟ فقالَ :

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ سَعْد) ٣/ ٣٣ـ ٣٦ ، وانظر النزهة : ٣٢٦/ ٤ .
(٢) انظر السير : (حَكيمُ بنُ حِزام) ٣/ ٤٤ـ ٥١ ، وانظر النزهة : ٣٣١/ ٣ .
(٣) انظر السير : (عَمْرُو بنُ العَاص) ٣/ ٥٤ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٣٣٧/ ١ .
(٤) انظر السير : (عَمْرُو بنُ العَاص) ٣/ ٥٤ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٣٣٧/ ٢ .

اللَّهُمَّ أَقِلِ العَثرَةَ واعْفُ عن الزَّلَّة ، وتَجاوَزْ بحِلمِكَ عن جَهْلِ مَنْ لَمْ يَرجُ غَيرَك ، فما وَرَاءَكَ مَذْهَب ، وقالَ :

هو الموتُ لا منجىٰ منَ الموتِ والذي نحـاذرُ بعـدَ المـوتِ أدهـىٰ وأفظـعُ

ماتَ مُعاويَةُ سَنةَ سِتِّينَ ، وعاشَ سَبعاً وسَبعينَ سَنةً[1] .

وقالَ قَتادَة : لَمَّا احْتُضِرَ عامِرُ بنُ عَبدِ قَيْس بَكَىٰ ، فقيلَ : ما يُبكِيكَ ؟ قالَ : ما أَبْكِي جَزَعاً من الْمَوْتِ ، ولا حِرْصاً على الدُّنيا ، ولَكِنْ أبْكِي علىٰ ظَمَأ الهَوَاجِر ، وقِيَامِ اللَّيلِ .

وقيلَ تُوفِّيَ زَمنَ مُعاويَةَ[2] .

وعن علقَمَةَ بنِ مَرْثَد قالَ : كانَ الأَسْوَدُ يَجْتَهِدُ في العِبَادَة ، ويَصُومُ حتَّىٰ يَخضَرَّ ويَصْفَرَّ ، فلمَّا احْتُضِرَ بَكَىٰ ، فقيلَ له : ما هَـٰذا الجَزَع ؟ فقالَ : ما لي لا أَجْزَعُ ، والله لَوْ أُتِيتُ بالْمَغْفِرَةِ من الله لأهَمَّني الحَياءُ منه مِمَّا قد صَنعتُ ، إنَّ الرجُلَ لَيَكُونُ بَينَه وبَينَ آخَرَ الذَّنبُ الصَّغيرُ فيَعْفُو عَنه ، فلا يَزَالُ مُسْتَحياً منه[3] .

وقالَ ابنُ أبي مُلَيْكَة : شَهِدتُ عبدَ العَزيزِ بنَ مَرْوانَ عندَ الْمَوْتِ يَقُولُ : يا لَيْتَني لَمْ أَكُنْ شَيئاً ، يا لَيْتَني كَهَـٰذا الْمَاءِ الجَاري[4] .

وقيلَ : قالَ : هاتوا كَفَني ، أُفٍّ لَكَ ما أقْصَرَ طَويلَك وأقَلَّ كَثيرَك[5] .

وعن حَمَّادِ بنِ مُوسَىٰ قالَ : لَمَّا احْتُضِرَ عبدُ العَزيزِ ، أَتَاهُ البَشيرُ يُبَشِّرُهُ بمَالِهِ الوَاصِل في العام فقالَ : ما لك ؟ قالَ : هَـٰذه ثَلاثة مئة مُدِيٍّ من ذَهَب قالَ : ما لي ولَه ، لَوَدِدْتُ أنَّه كانَ بَعْراً حائلاً بنَجْد .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا قَولُ كُلِّ مَلكٍ كَثيرِ الأمْوالِ ، فهلاَّ يُبادِرُ ببَذْلِه .

---

(١) انظر السير : (مُعاويَةُ بنُ أبي سُفْيان) ٣/ ١١٩ـ ١٦٢ ، وانظر النزهة : ١/٣٥٧ .
(٢) انظر السير : (عامِرُ بنُ عَبدِ قَيْس) ٤/ ١٥ـ ١٩ ، وانظر النزهة : ٥/٤٣٤ .
(٣) انظر السير : (الأَسْوَدُ بنُ يَزيد) ٤/ ٥٠ـ ٥٣ ، وانظر النزهة : ٧/٤٤١ .
(٤) انظر السير : (عبدُ العَزيز بنُ مَرْوان) ٤/ ٢٤٩ـ ٢٥١ ، وانظر النزهة : ٧/٤٩٠ .
(٥) انظر السير : (عبدُ العَزيز بنُ مَرْوان) ٤/ ٢٤٩ـ ٢٥١ ، وانظر النزهة : ٨/٤٩٠ .

ماتَ عبدُ العَزيزِ بنُ مَرْوانَ سَنةَ خَمسٍ وثَمانين .

وقد كان ماتَ قَبلَه ابنُه أصبَغ بسِتَّةَ عَشرَ يَوماً فحَزِنَ عَليه ومَرِضَ وماتَ بحُلْوانَ[1] ، وعاشَ أخُوهُ عبدُ الْمَلكِ بَعدَه ، فلمَّا جاءَه نَعيُه عَقدَ بوِلايَةِ العَهْدِ لابْنَيْه : الوَليد ثم سُلَيْمان[2] .

وقيلَ : إنَّ إبْراهيمَ النَّخعيَّ لَمَّا احْتُضِرَ ، جَزِعَ جَزَعاً شَديداً ، فقيلَ له في ذلك ، فقالَ : وأيُّ خَطَرٍ أعْظَم مِمَّا أنا فيه ، أتَوَقَّعُ رَسُولاً يَرِدُ عَليَّ من رَبِّي إمَّا بالجَنَّةِ وإمَّا بالنَّارِ ، واللهِ لَوَدِدتُ أنَّها تَلَجْلَجُ في حَلقِي إلىٰ يوم القِيامَة[3] .

ويُروَىٰ أنَّ الحَسَنَ البَصْريَّ أُغْمِيَ عليه ثم أفَاقَ إفاقَةً فقالَ : لَقَد نَبَّهْتُمُوني مِنْ جَنَّاتٍ وعُيونٍ ، ومَقَامٍ كَريم[4] .

وعن الحَكَمِ أنَّ عبدَ الرحمَـٰن بنَ الأسْوَدِ لَمَّا احْتُضِرَ ، بَكَىٰ ، فقيلَ له ؟ فقَالَ : أسَفاً على الصَّلاةِ والصَّوْمِ ، ولَمْ يَزَلْ يَتلُو حتَّىٰ ماتَ[5] .

وعن عبدِ الْمَجيدِ بن عبدِ العَزيزِ بنِ أبي رَوَّاد ، عن أبيه ، عن نافِعٍ ، أنَّه لَمَّا احْتُضِرَ بَكَىٰ ، فقيلَ : ما يُبكِيكَ ؟ قالَ : ذَكَرتُ سَعْداً وضَغْطَةَ القَبرِ .

تُوفِّيَ سَنةَ سَبعَ عَشرَةَ ومائة[6] .

وقالَ الْمُغيرَةُ بنُ حَكيم : قُلتُ لفاطِمَةَ بنتِ عبدِ الملك : كُنتُ أسْمَعُ عُمرَ بنَ عبدِ العَزيز في مَرَضِه يَقولُ : اللَّهُمَّ أخْفِ عليهم أمْري ولَوْ ساعَة ، قَالت : قُلتُ له : ألا أخْرُجُ عَنْكَ ، فإنَّكَ لَمْ تَنَمْ ، فخَرجتُ ، فجَعلتُ أسْمَعُه يَقولُ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[7] مِراراً ثم أطْرَقَ فلَبِثْتُ

---

(١) مدينةٌ صغيرةٌ أنشأها علىٰ بَريدٍ فَوقَ مِصْر .
(٢) انظر السير : (عبدُ العَزيز بنُ مَرْوان) ٤/ ٢٤٩ـ ٢٥١ ، وانظر النزهة : ٩/٤٩٠ .
(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ النَّخعيُّ) ٤/ ٥٢٠ـ ٥٢٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٤٩ .
(٤) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٥٦٤ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بنُ الأسْوَد) ٥/ ١١ـ ١٢ ، وانظر النزهة : ٧/٥٧٥ .
(٦) انظر السير : (نافع) ٥/ ٩٥ـ ١٠١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٨٥ .
(٧) سورة القصص ، الآية : ٨٣ .

طَويلاً لا يُسمَعُ له حِسٌّ ، فقُلتُ لوَصيفٍ : وَيْحكَ انْظُرْ ، فلمَّا دَخلَ ، صَاحَ ، فدَخلتُ فوَجَدتُه مَيِّتاً ، وقد أقْبَلَ بوَجهِه على القِبلَة ، ووَضعَ إحْدَىٰ يَديه علىٰ فيه ، والأُخْرَىٰ علىٰ عَينَيه[1] .

وقال مُصْعَبٌ : سَمعَ عامرُ بنُ عبد الله المُؤَذِّنَ ، وهو يَجُودُ بنفسِه ، فقال : خُذوا بِيَدي فقيل : إنَّكَ عَليل قال : أسمعُ داعي الله فلا أُجيبُهُ ، فأَخَذُوا بيده ، فدخل مع الإمام في المغرب فرَكَعَ ركعةً ثم مات[2] .

وقالَ أبو بَكر بنُ عيَّاش : دَخلتُ علىٰ عاصِمِ بنِ أبي النَّجُودِ وهو في الْمَوْتِ فقَرأ : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾[3] بكَسرِ الرَّاء وهي لُغَةٌ لِهُذَيل[4] .

وقالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ : عُدتُ هَارُونَ بنَ رِئاب ، وهو يَجُودُ بنَفسِه ، فما فَقَدتُ وَجهَ رَجُلٍ فَاضِلٍ إلاَّ رَأَيتُه عندَه فقالَ مُحمَّدُ بنُ وَاسِع : كَيفَ تَجدُك ؟ فقَالَ : هُوَ ذَا أَخُوكُم ، يُذهَبُ به إلى النَّارِ ، أو يَعفُو اللهُ قيلَ عاشَ ثَلاثاً وثَمانينَ سَنةً[5] .

وقالَ حَزمُ القُطَعِيُّ : دَخلنا علىٰ مَالِكِ بنِ دِينار وهو يَكيدُ بنَفسِه ، فرَفعَ طَرْفَه ثم قالَ : اللَّهُمَّ إنَّك تَعلمُ أنِّي لَمْ أكُنْ أحِبُّ البَقاءَ لِبَطْنٍ ولا فَرْجٍ[6] .

وعن مُحمَّدِ بنِ مُطَرِّف ، قالَ : دَخلنا علىٰ أبي حازِمِ الأعْرَج ، لَمَّا حَضرَهُ الْمَوْتُ ، فقُلنا : كَيفَ تَجِدُك ؟ قالَ : أجِدُني بخَيرٍ ، راجياً لله حَسَنَ الظَّنِّ به ، إنَّه والله ما يَسْتَوي مَنْ غَدا أو رَاحَ يَعْمُرُ عقدَ الآخِرَة لنَفسِه فيُقدِّمُها أمامَه قبلَ أنْ يَنزلَ به الْمَوْتُ حتَّىٰ يقدَمَ عَليها ، فيَقومُ لها وتَقومُ له ، ومَنْ غَدا أو راحَ في عقد الدُّنيا يَعْمُرها لِغَيرِه ، ويَرجِعُ إلى الآخِرَة لا حَظَّ له فيها ولا نَصيب[7] .

---

(١) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٥٩٢/ ٢ .
(٢) انظر السير : (عامر) ٥/ ٢١٩ـ ٢٢٠ ، وانظر النزهة : ٥٩٦/ ٣ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٦٢ .
(٤) انظر السير : (عاصِم بن أبي النَّجُود) ٥/ ٢٥٦ـ ٢٦١ ، وانظر النزهة : ٥٩٩/ ٧ .
(٥) انظر السير : (هَارونُ بنُ رِئاب) ٥/ ٢٦٣ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٦٠٠/ ٥ .
(٦) انظر السير : (مالكُ بنُ دينَار) ٥/ ٣٦٢ـ ٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٦٠٩/ ٧ .
(٧) انظر السير : (أبو حازِم) ٦/ ٩٦ـ ١٠٣ ، وانظر النزهة : ٦٣٧/ ٥ .

وقالَ حَزمُ القُطَعِيُّ : قالَ ابنُ واسعٍ وهو في الْمَوْتِ : يا إخْوَتاه ، تَدرُونَ أينَ يُذهَبُ بي ؟ واللهِ إلى النَّارِ ، أو يَعْفُوَ اللهُ عَنِّي[1] .

وقالَ مُعْتَمرُ بنُ سُليْمانَ بنِ طَرْخان : قالَ لي أبي عندَ مَوْتِه ، : يا مُعْتَمِرُ حدِّثني بالرُّخَصِ لَعلِّي أَلْقَى اللهَ تَعالَىٰ وأنا حَسَنُ الظَّنِّ به[2] .

وقالَ بَكَّارُ بنُ مُحمَّد : سَقطَ ابنُ عون وأُصيبَت رِجلُه فتَعلَّلَ وماتَ فحَضَرتُ وَفاتَه ، فكانَ حينَ قُبِضَ مُوَجِّهاً يَذكُرُ اللهَ تَعالَىٰ حتَّىٰ غَرْغَر فقالَت عَمَّتي : اقْرَأ عندَه سُورَةَ ﴿يس﴾ فقرَأتُها وماتَ في السَّحَر وما قَدِرْنا أنْ نُصلِّيَ عَليه حتَّىٰ وَضَعناه في مِحْرابِ الْمُصَلَّىٰ غَلبَنا النَّاسُ عَليه .

ماتَ في سَنةِ إحْدَىٰ وخَمسينَ ومئة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : عاشَ خَمْساً وثَمانينَ سَنةً[3] .

وعن الْمَدائنِيِّ : أنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا احْتُضِرَ قالَ : اللَّهُمَّ إنِّي قد ارْتَكبتُ عَظائمَ جُرأةً منِّي عَليكَ ، وقد أطَعتُكَ في أحَبِّ الأشْياءِ إليكَ ، شَهادَةِ أنْ لا إلَـٰهَ إلاَّ الله ، مَنّاً مِنْكَ لا مَنّاً عَليكَ ، ثم ماتَ .

عاشَ أرْبَعاً وسِتِّينَ سَنةً .

قالَ الصُّوليُّ : دُفِنَ بينَ الحُجونِ وبئر مَيْمونَ في ذي الحِجَّة سَنةَ ثَمانٍ وخَمسينَ ومئة[4] .

وعن ابنِ مَهْدي ، قالَ : مَرِضَ سُفْيانُ الثَّوريُّ بالبَطَن ، فتَوَضَّأ تِلكَ اللَّيلَة سِتِّينَ مَرَّةً ، حتَّىٰ إذا عايَنَ الأمْرَ ، نَزَلَ عن فِراشِه ، فوَضَعَ خَدَّه بالأرْضِ ، وقالَ : يا عبدَ الرحمَـٰن : ما أشَدَّ الْمَوْتَ ، ولَمَّا ماتَ غَمَّضْتُه ، وجاءَ النَّاسُ في جَوفِ اللَّيلِ ، وعَلِمُوا[5] .

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ واسِع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٧/٦٣٨ .
(٢) انظر السير : (سُليْمانُ بنُ طَرْخان) ٦/ ١٩٥ـ ٢٠٢ ، وانظر النزهة : ٨/٦٤١ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عون) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/٦٥٨ .
(٤) انظر السير : (الْمَنْصُور) ٧/ ٨٣ـ ٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/٦٧٨ .
(٥) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٦/٧٠٠ .

وقالَ عبدُ الرحمَـٰن : كانَ سُفْيانُ يَتمَنَّى الْمَوْتَ لِيَسلَمَ من هَؤلاء ، فلمَّا مَرِضَ كَرِهَه ، وقالَ لي : اقْرأ عليَّ ﴿يس﴾ فإنَّه يُقالُ : يُخَفِّفُ عن الْمَريضِ فقَرأتُ ، فمَا فَرغتُ حتَّىٰ طُفِيءَ .

وقيل أُخرجَ بجنازَته علىٰ أهْلِ البَصْرَة بَغتةً ، فشَهدَه الخَلقُ ، وصلَّىٰ عليه عبدُ الرحمَـٰن بنُ عبد الْمَلِك بنُ أبجر الكوفيُّ ، بوَصيَّةٍ من سُفْيانَ لِصَلاحِه .

ماتَ سَنةَ إحْدَىٰ وستِّينَ ومئة[1] .

قالَ الحَسَنُ بنُ صالح : قالَ لي أخي ـ وكُنتُ أُصلِّي ـ يا أخي اسْقِني قالَ : فلمَّا قَضَيتُ صَلاتي ، أتيتُه بمَاءٍ ، فقالَ : قد شَربْتُ السَّاعَةَ ، قُلتُ : مَنْ سَقاكَ ولَيسَ في الغُرفَةِ غَيري وغَيرُك ؟ قالَ : أتَاني السَّاعَةَ جبْريلُ بمَاءٍ ، فسَقاني وقالَ : أنْتَ وأخُوكَ وأُمُّك مع الذين أنْعَمَ اللهُ عَليهم ، وخَرَجَتْ نَفسُه[2] .

وقال عبدُ الله بنُ مُوسَىٰ : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ صالح يَقُولُ : لَمَّا احْتُضِرَ أخي ، رَفَعَ بَصرَه ، ثم قالَ : ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[3] ثم خَرَجَت نَفسُه ، فنَظَرْنا ، فإذا ثُقبٌ في جَنبه قد وَصَلَ إلىٰ جَوْفِه ، وما عَلِمَ به أحَدٌ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وكانا مُقرِءينِ مُجوِّدَينِ للأداءِ ، تَلا عليٌّ علىٰ عاصِم ، ثم علىٰ حَمْزَة ، وتَصدَّر للإقْراء .

ولِعَليٍّ حَديثٌ واحدٌ في « صَحيح مُسْلم » في حُسْنِ الخُلُق .

ماتَ سَنةَ أرْبَع وخَمسين ومئة ، ولم يَدْخُلْ عليٌّ في رأيِ أخيه من تَرْكِ الجُمُعَة ولا غَيرِه[4] .

---

(١) انظر السير : (سُفْيانُ الثَّوريُّ) ٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٧/٧٠٠ .

(٢) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ صالح) ٧/ ٣٦١ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٩

(٤) انظر السير : (عَليُّ بنُ صالح بنِ حَي) ٧/ ٣٧١ـ ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٦/٧٠٤ .

وقالَ أبو داوُدَ الطَّيالِسيُّ : حَضرتُ داوُدَ الطَّائيَّ ، فمَا رَأيتُ أَشَدَّ نَزْعاً منه[1] .

وقالَ إسْماعيلُ بنُ أبي أُوَيس : مَرِضَ مَالِكٌ ، فسَأَلتُ بَعضَ أَهْلِنا عَمَّا قالَ عندَ الْمَوْتِ ، قالوا : تَشهَّدَ ، ثم قالَ : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[2] ، وتُوفِّيَ[3] .

وقالَ أحمَدُ بنُ عبدِ الله العِجْليُّ : حدَّثني أبي قالَ : لَمَّا احْتُضِرَ ابنُ الْمُبارَك ، جَعلَ رَجلٌ يُلَقِّنُه ، قُلْ : لا إلَـهَ إلاَّ الله ، فأكْثَرَ عَليه ، فقالَ له : لَسْتَ تُحْسِنُ ، وأخَافُ أنْ تُؤذي مُسْلِماً بَعْدي ، إذا لَقَّنتَني ، فقُلتُ : لا إلَـهَ إلاَّ الله ، ثم لَمْ أُحْدِثْ كَلاماً بَعدَها ، فدَعْني ، فإذا أَحْدَثْتُ كَلاماً ، فلَقِّنِّي حتَّىٰ تَكُونَ آخِرَ كَلامي[4] .

وعن ابنِ خُزَيْمَةَ وغَيرِه ، حدَّثنا الْمُزَنيُّ قالَ : دَخلتُ على الشَّافِعيِّ في مَرَضِه الذي ماتَ فيه ، فقُلتُ : يا أبا عبدِ الله ، كيفَ أصْبَحتَ ؟ فرَفَعَ رَأْسَه ، وقالَ : أَصْبَحتُ من الدُّنيا راحلاً ، ولإخْوَاني مُفَارِقاً ، ولِسُوْءِ عَمَلي مُلاقياً ، وعلى الله وَارِداً ، ما أَدْري رُوحي تَصيرُ إلىٰ جَنَّةٍ فأُهَنِّيها أَوْ إلىٰ نارٍ فأُعَزِّيها ، ثم بَكَىٰ ، وأَنْشَأ يَقُولُ[5] :

ولما قسا قلبي وضاقتْ مَذاهبي	جعلتُ رجائي دونَ عفوِك سُلما
تعاظمني ذنبي فلمَّا قرنتُهُ	بعفوكَ ربي كان عفوكَ أعظما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لمْ تزلْ	تجودُ وتعفو منةً وتكرُّما
ولولاكَ لمْ يغوىٰ بإبليسَ عابدٌ	فكيفَ وقدْ أغوىٰ صفيَّك آدما
وإني لآتي الذنبَ أعرفُ قدرَهُ	وأعلمُ أنَّ الله يعفُو ترحُّما

وقالَ زرقانُ بنُ أبي دَاوُدَ : لَمَّا احْتُضِرَ الوَاثِقُ ، رَدَّدَ هَـٰذينِ البَيْتَينِ :

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مشتركٌ	لا سوقةٌ منهم يبقىٰ ولا مَلِكُ
ما ضرَّ أهلَ قليلٍ في تفرُّقهم	وليسَ يُغني عنِ الأملاكِ ما مَلكوا

---

(١) انظر السير : (داوُدُ الطَّائيُّ) ٧/ ٤٢٢ـ ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٧١٢/ ٥ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤ .

(٣) انظر السير : (مَالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٧٣٧/ ٤ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٧٧١/ ٣ .

(٥) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٨٥٢/ ٣ .

ثم أَمَرَ بالبُسُط ، فطُويَت ، وأَلْصَقَ خَدَّه بالتُّرابِ ، وجَعَلَ يَقُولُ : يا مَنْ لا يَزُولُ مُلكه ، ارْحَمْ مَنْ قد زَالَ مُلكه[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ زَكريّا بنِ عَديّ : وقيلَ : إنَّه لَمَّا احْتُضِرَ قالَ : اللَّهـمَّ إنِّي إلَيكَ مُشْتاقٌ[2] .

وقد كانَ أحمَدُ بنُ خضْرَوَيْه مُعمَّراً ، فإنَّ السُّلَميَّ رَوَىٰ عن مَنْصُورِ بنِ عبدِ الله ، سَمعَ مُحمَّد بن حامِد ، قالَ : كُنتُ عندَ ابنِ خضْرَوَيه وهو يَنْزِعُ ، فسُئلَ عن شَيءٍ فقالَ : باباً كُنتُ أقْرَعُه منذُ خَمسٍ وتِسْعينَ سَنة ، السَّاعَةُ يُفتَحُ لا أدري يُفتَحُ بالسَّعادَة أم بالشَّقاء[3] .

وقالَ أبو جَعْفَرٍ محمَّدُ بنُ عَليّ ، وَرَّاقُ أبي زُرْعَة : حَضَرْنا أبا زُرْعَة بماشهرانَ وهو في السَّوْقِ ، وعندَه أبو حاتم ، وابنُ وَارَة ، والْمُنذِرُ ابنُ شاذانَ ، وغَيرُهم ، فذَكَرُوا حَديثَ التَّلْقينَ : « لَقِّنُوا مَوْتَاكمْ : لا إلَـٰهَ إلاَّ الله » ، واسْتَحيوا من أبي زُرْعَة أنْ يُلَقِّنوهُ ، فقالوا : تَعالوا نَذْكُر الحَديثَ فقالَ ابنُ وَارَة : حدَّثنا أبو عاصِم ، حدَّثنا عبدُ الحَميد ابنُ جَعْفَر ، عن صالِح ، وجَعَلَ يَقُولُ : ابنُ أبي ، ولم يُجاوِزْهُ وقالَ أبو حاتِم : حدَّثنا بندارُ ، حدثنا أبو عاصم ، عن عبد الحَميد بنِ جَعْفَر عن صالح ، ولَمْ يُجاوِزْ ، والباقُونَ سَكتوا ، فقالَ أبو زُرْعَة وهو في السَّوْقِ : حدَّثنا بندارُ ، حدَّثنا أبو عاصِم ، حدَّثنا عبدُ الحَميد ، عن صالح بنِ أبي عُرَيب ، عن كَثيرِ بنِ مُرَّة ، عن مُعاذِ بنِ جَبَل ، قالَ : قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كانَ آخِرُ كلامِهِ : لا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ » وتُوفِّيَ ، رَحمَهُ الله[4] .

وقالَ أبو بَكر العطويُّ : كُنتُ عندَ الجُنَيْد لَمَّا احْتُضِرَ ، فخَتَمَ القُرآنَ ثم ابْتَدأ سُورَةَ البَقَرَة ، فتَلا سَبعينَ آيَةً ومَاتَ[5] .

---

(١) انظر السير : (الوَاثِقُ بالله) ١٠/ ٣٠٦ـ٣١٤ ، وانظر النزهة : ٨٨١/ ٢ .
(٢) انظر السير : (زَكريّا بنُ عَديّ) ١٠/ ٤٤٢ـ٤٤٥ ، وانظر النزهة : ٨٨٢/ ١ .
(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ خِضْرَوَيْه) ١١/ ٤٨٧ـ٤٨٩ ، وانظر النزهة : ٩٦١/ ٤ .
(٤) انظر السير : (أبو زُرْعَةَ الرَّازي) ١٣/ ٦٥ـ٨٥ ، وانظر النزهة : ١٠٥٢/ ٣ .
(٥) انظر السير : (النُّوريُّ) ١٤/ ٧٠ـ٧٧ ، وانظر النزهة : ١١٣٥/ ٢ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ جَرير الطَّبَريِّ : وحَضَرَ وَقتَ مَوْتِه جماعَةٌ منهم : أبو بَكر بنُ كامِلٍ ، فقيلَ له قَبلَ خُروجِ رُوحِه : يا أبا جَعْفَر! أنْتَ الحُجَّة فيما بَيَنَنا وبينَ الله فيما نَدينُ به ، فهلْ من شَيءٍ تُوصينا به من أمْرِ دِيننا ، وبيِّنَةٍ لنا نَرجُو بها السَّلامَةَ في معادِنا ؟ فقالَ : الذي أدينُ اللهَ به وأُوصيكُم هو ما ثَبَتٌّ في كُتُبي فاعْمَلوا به وعَليه ، وكَلاماً هٰذا مَعناه ، وأكثرَ من التَّشَهُّد وذِكرِ الله عَزَّ وجَلَّ ، ومَسحَ يدَه علىٰ وَجْهِه ، وغَمَّضَ بَصَرَه بيَدِه وبَسَطَها وقد فارَقَتْ رُوحُه الدُّنيا[1] .

وقالَ الخَطيبُ : سَمعتُ ابنَ الفَضْلِ القَطَّانَ يَقُولُ : حَضَرتُ النَّقَّاشَ وهو يَجُودُ بنَفسِه في ثالِثِ شَوَّال سَنةَ إحْدَىٰ وخَمسينَ وثَلاثِ مئة ، فنادَىٰ بأعْلَىٰ صَوْتِه ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[2] يُرَدِّدُها ثَلاثاً ثم خَرَجَت نَفسُه رَحمَهُ الله[3] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ المغفَّليِّ : قالَ الحَاكِمُ : سمعتُ ابنَه بِشْراً يَقُولُ : آخِرُ كَلِمَةٍ تَكلَّمَ بها أنْ قَبضَ علىٰ لِحْيَتِه ورَفعَ يَدَه اليُمْنَىٰ إلى السَّماءِ ، وقالَ : ارْحَمْ شَيْبَةَ شَيخٍ جاءَكَ بتَوفيقِكَ على الفِطْرَة .

تُوفِّيَ سَنةَ سِتٍّ وخَمسينَ وثَلاثِ مئة[4] .

نُقلَ أنَّه لَمَّا احْتُضِرَ ما انْطَلَقَ لِسَانُه إلاَّ بقَولِهِ تَعالَىٰ : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾[5] وماتَ بعِلَّة الصَّرَعِ ، وكان شِيعيّاً جَلْداً أظْهَرَ بالنَّجَفِ قَبْراً زَعَمَ أنَّه قبرُ الإمام عَليٍّ رضي الله عنه ، وبَنَىٰ عليه المَشْهَدَ ، وأقامَ شِعارَ الرَّفْضِ ، ومأتَمَ عَاشُوراءَ ، والاعْتِزالَ.

تَملَّكَ العِراقَ خَمسَةَ أعْوامٍ ونِصْفاً ، وما تلقىٰ خليفة ملكاً من قُدومِه قَبلَه .

ماتَ سَنةَ اثْنَتَين وسَبعينَ وثَلاثِ مئَة ببَغْدادَ وعُملَ في تابُوت ، ونُقِلَ فدُفِنَ بمَشْهَدِ

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/١١٥٢ .
(٢) سورة الصافات ، الآية : ٦١ .
(٣) انظر السير : (النَّقَّاش) ١٥/ ٥٧٣ـ ٥٧٦ ، وانظر النزهة : ١٢٦١ .
(٤) انظر السير : (المغفَّليُّ) ١٦/ ١٨١ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٢٨٢ .
(٥) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

النَّجَفِ ، وعاشَ ثمانياً وأرْبَعينَ سَنةً وقامَ بعدَه ابنُه صَمْصَامُ الدَّولَة وحَلفُوا له ، وقلَّدَه الطَّائعُ[1] .

وقالَ الباطِرْقانيُّ : وكُنتُ مع أبي عبدِ الله محمَّدِ بنِ مَنْدَه في اللَّيلَةِ التي تُوفِّيَ فيها ، ففي آخِرِ نَفَسِه قالَ واحِدٌ مِنَّا : لا إلَـٰهَ إلاَّ الله ـ يُريدُ تلقينَه ـ فأشارَ بيَدِه إليه دَفْعَتَينِ ثلاثة أيْ اسْكُتْ يُقالُ لي مِثلُ هـٰذا!! ؟

ماتَ ابنُ مَنْدَةَ سَنةَ خَمْسٍ وتِسْعينَ وثَلاثِ مئة .

وما عَلِمتُ بَيْتاً في الرُّواةِ مثلَ بَيتِ بَني مَنْدَة ، بَقِيَت الرِّوايَةُ فيهم من خِلافَةِ الْمُعْتَصِمِ وإلىٰ بَعد الثَّلاثينَ وسِتِّ مئة[2] .

عن عليِّ بنِ أحمَدَ الحافِظ ، أخْبَرَني أبو الوَليدُ بنُ الفَرَضيّ قال : تَعَلقْتُ بأسْتارِ الكَعْبَة ، وسَألتُ اللهَ تَعالَى الشَهادَةَ ، ثُمَّ فَكَّرْتُ في هَوْلِ القَتْلِ فنَدِمْتُ ، وهَمَمْتُ أنْ أرْجِعَ ، فأسْتَقِيلَ الله ذلك ، فاسْتَحْيَيْتُ قال الحَافِظُ عليٌّ : فأخْبَرَني مَنْ رَآهُ بيْنَ القَتْلىٰ ، ودَنَا منه ، فسَمِعَه يقولُ بصَوتٍ ضَعِيفٍ : « لا يُكلَمُ أحَدٌ في سَبيلِ اللهِ ـ واللهُ أعْلَمُ بمَنْ يُكْلَمُ في سَبيلِه ـ إلاَّ جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وجُرْحُه يَثْعَبُ دَمَاً ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ » كأنَّه يُعِيدُ علىٰ نَفسِه الحَديثَ ، ثُمَّ قَضَىٰ علىٰ إثْرِ ذلك رَحِمَه الله[3] .

وقالَ يُوسُفُ بنُ أحمَدَ الشِّيرازيُّ لَمْ أزَلْ في صُحبَة شَيخِنا أبي الوَقْت وخِدمته إلىٰ أنْ تُوفِّيَ ببَغْدادَ ، قالَ لي : تَدفِنُني تَحتَ أقْدامِ مَشَايخِنا بالشُّونيزيَّة ، ولَمَّا احْتُضِرَ سَنَدتُه إلىٰ صَدْري ، وكانَ مُسْتَهْتِراً بالذِّكْرِ فدَخلَ عَليه مُحمَّدُ بنُ القاسِم الصُّوفيُّ ، وأكَبَّ عليه ، وقالَ : يا سَيِّدي ، قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كانَ آخِرُ كلامِهِ لا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » فرَفَعَ طَرْفَه إليه ، وتَلا ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي

---

(١) انظر السير : (عَضُد الدَّولَة) ١٦/ ٢٤٩ـ ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ١/١٢٩٣ .

(٢) انظر السير : (ابنُ مَنْدَة) ١٧/ ٢٨ـ ٤٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٢٢ .

(٣) انظر السير : (ابن الفَرضيّ) ١٧/ ١٧٧ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٣٣ .

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[١] فدهَشَ إليه هو ومَنْ حَضَرَ من الأصْحاب ، ولَمْ يَزَلْ يَقرأ حتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ وقالَ : الله الله ، وتُوفِّيَ وهو جالسٌ على السجَّادَة ، سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمسينَ وخَمسِ مئة[٢] .

وذَكَرَ أبو جَعفَر القُرطبيُّ إمامُ الكلاَّسةِ[٣] : إنَّني انتَهيتُ في القراءةِ إلىٰ قولِه تعَالَىٰ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[٤] ، فسَمعتُ صَلاحَ الدِّين وهو يقول : صَحِيح وكان ذِهْنُه قبلَ ذلك غَائِباً[٥] ، ثمَّ ماتَ ، وارْتَفَعَتِ الأصْواتُ بالبُكاءِ ، وعَظُمَ الضَّجيجُ ، حتىٰ إنَّ العاقِلَ ليُخَيَّلُ له أنَّ الدُّنْيا كُلَّها تَصيحُ صَوْتاً واحداً ، وغَشِيَ النَّاسَ ما شَغَلَهم عن الصَّلاةِ عليه ، وتَأَسَّفَ النَّاسُ عليه حتى الفِرَنْجُ لما كان من صِدْقِ وَفائِه[٦] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ العِمَاد : وحُكيَ عنه أنَّه لَمَّا جاءَه الْمَوْتُ جَعلَ يَقُولُ : يا حَيُّ يا قَيُّومُ لا إلَـهَ إلاَّ أنْتَ برَحْمَتِكَ أسْتَغيثُ ، واسْتَقبَلَ القِبلَةَ وتَشَهَّد[٧] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ عَساكِر : وقالَ أبو شامَة : أخْبَرَني مَنْ حَضَرَه قالَ : صلَّى الظُّهرَ ، وجَعلَ يَسألُ عن العَصْرِ ، وتَوضَّأ ثم تَشَهَّدَ وهو جالِسٌ ، وقالَ : رَضِيتُ بالله رَبَّاً وبالإسْلام دِيناً ، وبمحمَّدٍ نَبياً ، لَقَّنَنِي اللهُ حُجَّتي وأقَالَني عَثْرَتي ورَحِمَ غُرْبَتي ثم قالَ : وعَلَيكُم السَّلامُ ، فعَلِمْنا أنَّه حَضَرت الْمَلائِكَة ثم انْقَلَبَ مَيِّتاً[٨] .

---

(١) سورة يس ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧

(٢) انظر السير : (أبو الوَقْت) ٢٠/٣٠٣ـ٣١١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٥٤ .

(٣) كان الشيخ أبو جعفر قد استُدعي ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة عند حضور الوفاة ، وتوفي أبو جعفر هـٰذا سنة ٥٩٦ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ٢٢ .

(٥) وتمام الخبر أن القاضي الفاضل جاءه عند أذان الصبح ، وكان في آخر رمق ، فلما قرأ القارىء ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة : الآية : ١٢٩] تبسَّم ، وتهلَّل وجهُه وأسلمَ روحَه لربِّه سبحانه .

(٦) انظر السير : (صلاح الدين وبنوه) ٢١/٢٧٨ـ٢٩١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٢٣ .

(٧) انظر السير : (العِمَادُ) ٢٢/٤٧ـ٥٢ ، وانظر النزهة : ١/١٦٦٦ .

(٨) انظر السير : (ابنُ عَساكِر) ٢٢/١٨٧ـ١٩٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٨٤ .

١٣ـ الحُزْنُ علىٰ مَوْت الصَّالحين :

قالَ هِشامُ بنُ حَسَّان : كُنَّا عندَ مُحمَّدِ بنِ سِيرينَ عَشيَّةَ يَومِ الخَميس ، فدَخَلَ عليه رَجُلٌ بعدَ العَصرِ فقالَ : ماتَ الحَسَنُ البَصْريُّ ، فتَرَحَّمَ عليه مُحمَّدٌ وتَغيَّرَ لَوْنُه وأمْسَكَ عن الكَلامِ ، فمَا تَكلَّم حتَّىٰ غرُبَت الشَّمسُ ، وأمْسَكَ القَومُ عنه مِمَّا رَأوا من وَجْدِه عليه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وما عَاشَ مُحمَّدُ بنُ سِيرينَ بعدَ الحَسَنِ إلاَّ مئةَ يَومٍ .

ماتَ الحَسَنُ في سَنةِ عَشرٍ ومئة .

عاشَ نَحْواً من ثَمانٍ وثَمانينَ سَنةً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ماتَ في أوَّلِ رَجَب ، وكانت جنازَتُه مَشْهُودَةً ، صَلُّوا عليه عَقيبَ الجُمُعَة بالبَصْرَة ، فشَيَّعَه الخَلقُ ، وازْدَحمُوا عليه ، حتَّىٰ إنَّ صَلاةَ العَصْرِ لَمْ تُقَمْ في الجامع[1] .

وقالَ إسْحاقُ بنُ أحمَدَ بنِ خَلَف : كُنَّا عندَ محمَّدِ بنِ إسْماعيلَ البُخاريِّ فوَرَدَ عليه كتابٌ فيه نَعيُ عبدِ الله بنِ عبد الرحمَـٰن الدَّارميِّ ، فنَكَّسَ رَأسَه ، ثم رَفَعَ واسْتَرجَعَ وجَعلَ تَسيلُ دُموعُه علىٰ خَدَّيه ، ثم أنْشَأ يَقُولُ[2] :

إنْ تبـقَ تفجـعُ بـالأحبـةِ كلهـم وفنـاءُ نفسِـك لا أبـا لـكَ أفجـعُ

وقيلَ كانَ ابنُ داوُدَ خَصْماً لابنِ سُرَيْج في الْمُناظَرَة ، كانَا يَترادَّانِ في الكُتُب فلمَّا بَلغَ ابنَ سُرَيْج مَوْتُ مُحمَّدِ بنِ داوُدَ ، حَزِنَ له ، ونَحَّىٰ مَخادَّه ، وجَلسَ للتَّعْزِيَة ، وقالَ : ما آسَىٰ إلاَّ علىٰ تُرابٍ يَأكُلُ لِسَانَ مُحمَّدِ بنِ داوُد .

قالَ أبو إسْحاقَ ـ رَحمَهُ اللهُ ـ : وأما داوُد : فقامَ بنَقلِ فِقهِه جَماعَةٌ من أصْحابِه ، منهم : ابنُه أبو بَكر محمَّدٌ ، وكان فَقيهاً أديباً شاعِراً ظَريفاً ، وكانَ يُناظِرُ إمامَ

---

(١) انظر السير : (الحَسَنُ البَصْريُّ) ٤/ ٥٦٣ـ ٥٨٨ ، وانظر النزهة : ٦/٥٦٣ .

(٢) انظر السير : (الدَّارِميُّ) ١٢/ ٢٢٤ـ ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٧ .

أصْحابِنَا ، أبا العَبَّاسِ بنِ سُرَيْج ، وخَلفَ أبَاهُ في حَلقَتِه وسَمعتُ شَيخَنا القاضي أبا الطيب الطَّبَريَّ يَقُولُ : سَمعتُ أبا العَبَّاس الخُضَريَّ قالَ : كنت جالساً عند أبي بكر محمدِ بن داود ، فجاءته امرأةٌ ، فقالتْ : ما تَقُولُ في رجلٍ له زَوجةٌ ، لا هو يُمسكها ، ولا هو يُطَلِّقُها ؟ فقال أبو بكر : اخْتَلَفَ في ذلك أهلُ العلمِ ، فقالَ قائلون : تُؤمر بالصَّبْرِ والاحتساب ، وتبْعَثُ على الطَّلَبِ والاكتسابِ . وقال قائلون : يُؤمر بالإِنْفاق ، وإلاّ حُمِل على الطَّلاَق . فَلَم تفهم المرأة قوله ، فأعادتْ سُؤالها عَلَيه ، فقال : يا هـٰذه قد أَجَبْتُكِ . . . ولستُ بسُلطان [فأمضي ، ولا قاضٍ] فأقضي ، ولا زَوْجٍ فأرضي ، فانْصَرِفي[1] .

١٤ـ صُوَرٌ من جَنائزِ الصَّالحين :

قالَ العَبَّاسُ بنُ الوَليد : وحدَّثني سالِمُ بنُ الْمُنذر قالَ : لَمَّا سَمعتُ الضَّجَّة بوَفَاةِ الأوْزاعيِّ خَرجتُ ، فأوَّل مَنْ رَأيتُ نَصْرانيّاً ، قد ذَرَّ علىٰ رَأسه الرَّمادَ فلَمْ يَزَلِ الْمُسلِمُونَ من أَهْلِ بَيْرُوتَ يَعْرِفُونَ لَه ذَلكَ ، وخَرَجْنا في جِنازَته أرْبَعةَ أمَمٍ : فحَمَلَه الْمُسلِمُونَ ، وخَرَجَت اليَهُودُ في ناحِيَة ، والنَّصارىٰ في ناحِيَة ، والقِبْطُ في ناحِيَة .

ماتَ سَنةَ سَبعٍ وخَمسينَ ومئة[2] .

وقالَ حَسَنُ بنُ بِشْر حَضَرتُ جِنازَةَ داوُدَ الطَّائي فحُمِلَ علىٰ سَريرَيْن أو ثَلاثَة تَكَسَّرُ من الزِّحَامِ[3] .

ومَناقِبُ دَاوُدَ كَثيرةٌ ، كانَ رَأساً في العِلمِ والعَمَلِ ، ولَمْ يُسمَع بمِثْلِ جِنازَته ، حتَّىٰ قيلَ : باتَ النَّاسُ ثَلاثَ لَيالٍ مَخَافَةَ أنْ يَفُوتَهم شُهوده .

ماتَ سَنةَ اثنتَين وسِتِّينَ ومئة ولَمْ يُخلِّفْ بالكُوفَة أحَداً مثلَه[4] .

وقالَ خَالدُ بنُ عبدِ السَّلامِ الصَّرفيُّ : شَهدتُ جِنازَةَ اللَّيثِ بنِ سَعْد مع وَالِدي ، فمَا

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ داوُد) ١٣/ ١٠٩ـ ١١٦ ، وانظر النزهة : ١٠٦١/ ٢ .
(٢) انظر السير : (الأَوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٦٨٤/ ٤ .
(٣) انظر السير : (دَاوُد الطَّائي) ٧/ ٤٢٢ـ ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٧١٢/ ٦ .
(٤) انظر السير : (دَاوُد الطَّائي) ٧/ ٤٢٢ـ ٤٢٥ ، وانظر النزهة : ٧١٢/ ٧ .

رَأيتُ جِنازَةً قطُّ أعْظَمَ منها ، رَأيتُ النَّاسَ كُلَّهم عَليهم الحُزْنُ ، وهم يُعزِّي بَعضُهم بَعضاً ، ويَبكُونَ ، فقُلتُ : يا أبَتِ ، كأنَّ كُلَّ واحِدٍ من النَّاسِ صاحِبُ هـٰذه الجِنَازَة ، فقالَ : يا بُنَيَّ ، لا تَرَىٰ مثلَه أبَداً[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ الإمام أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، قالَ الخَلاَّلُ : سَمعتُ عبدَ الوَهَّاب الوَرَّاقَ ، يَقُولُ : ما بَلغَنا أنَّ جَمْعاً في الجاهِليَّة ولا الإسْلام مثلَه ـ يَعنِي : مَنْ شَهِدَ جِنازَةَ الإمامِ أحمَدَ بنِ حَنْبَل ـ حتَّىٰ بَلغَنا أنَّ الْمَوضِعَ مُسِحَ وحُزِرَ على الصَّحيحِ ، فإذا هو نَحوٌ من ألفِ ألفٍ وحَزَرْنا على القُبورِ نَحواً من سِتِّينَ ألفَ امْرأة ، وفَتحَ النَّاسُ أبْوابَ الْمَنازِلِ في الشَّوارِعِ والدُّروبِ ، يُنادُونَ مَنْ أرادَ الوُضُوءَ[2] .

وقالَ الخَلاَّلُ : سَمعتُ عبدَ الوَهَّاب الوَرَّاقَ ، يَقُولُ : أظْهَرَ النَّاسُ في جِنازَة أحمَدَ بنِ حَنْبَل السُّنَّةَ والطَّعْنَ علىٰ أهْلِ البِدَعِ ، فسَرَّ اللهُ الْمُسلِمينَ بذلكَ علىٰ ما عندَهم من الْمُصيبَةِ لَما رَأوا من العِزِّ وعُلوِّ الإسْلامِ ، وكَبْتِ أهْلِ الزَّيغِ ، ولَزِمَ بَعضُ النَّاسِ القَبرَ ، وبَاتُوا عندَه ، وجَعلَ النِّساءُ يَأتينَ حتَّىٰ مُنِعْنَ ، وسَمعتُ الْمَرُّوذيَّ يَقُولُ عن عَليِّ بنِ مهْروَيه ، عن خالَتِه ، قالَت : ما صَلَّوا ببَغْدادَ في مَسجِدِ العَصْرَ يَومَ وَفاةِ أحمَد ، وقِيلَ : إنَّ الرَّحْمَةَ دامَت على القَبرِ أيّاماً[3] .

وتُوفِّيَ بَكارُ بنُ قُتَيبَةَ سَنةَ سَبعين ومئتين وقيلَ : شَيَّعَه خَلقٌ عَظيمٌ أكثرُ مِمَّنْ يَشهَدُ صَلاةَ العِيدِ رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : عاشَ تِسْعاً وثمانين سَنَةً[4] .

وقالَ محمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ الشِّخِّير : كانَ ابنُ أبي داوُدَ السِّجِسْتانيُّ زَاهِداً ناسِكاً ، صلَّىٰ عَليه يَومَ ماتَ نَحوٌ من ثَلاثِ مئةِ ألْفِ إنْسان ، وأكثرُ

قالَ : وماتَ سَنَةَ ستَّ عَشرَة وثلاثِ مئة ، وخلَّفَ ثَلاثَة بَنِينَ ، وخَمسَ بَناتٍ ،

---

(١) انظر السير : (اللَّيثُ بنُ سَعْد) ٨/ ١٣٦ـ١٦٣ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤٠ .
(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٠ .
(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٠ .
(٤) انظر السير : (بَكارُ بنُ قُتَيبَة) ١٢/ ٥٩٩ـ٦٠٥ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٣٩ .

وعاشَ سَبْعاً وثَمانينَ سَنةً ، وصُلِّيَ عليه ثَمانينَ مرَّةً[١] .

وقالَ ابنُ كامِلٍ : ماتَ غُلامُ خَليل سَنةَ خَمسٍ وسَبعينَ ومِئتَين ، وغُلِّقَت الأسْواقُ ، وخَرجَ الرِّجالُ والنِّساءُ للصَّلاةِ عَليه ، ثم حُملَ في تابُوتٍ إلى البَصْرَة وبُنِيَت عليه قُبَّة قالَ : وكانَ فَصيحاً مُعْرِباً يَحفَظُ عِلماً كَثيراً ، ويَخضِبُ بالحِنَّاءِ ، ويَقتَاتُ بالبَاقلاَّ صرفاً[٢] .

وذُكِرَ عن أبي الشَّيخِ ، قالَ : حَضَرتُ جِنازَةَ أبي بَكر بنِ أبي عاصِم وشَهِدَها مِئتا ألفٍ من بَينِ راكِبٍ وراجِلٍ ، ما عَدا رَجُلاً كانَ يَتوَلَّى القَضاءَ ، فحُرِمَ شُهودَ جِنازَتَه ، وكانَ يَرَىٰ رَأيَ جَهْم[٣] .

وقالَ أحمَدُ بنُ كامِلٍ : تُوفِّيَ ابنُ جَرير سَنةَ عَشرَ وثَلاثِ مئة ودُفِنَ في داره برَحْبَة يَعْقوبَ ، يَعني ببَغدادَ ، وشَيَّعَه مَنْ لا يُحْصيهِم إلاَّ اللهُ تَعالَىٰ ، وصُلِّيَ علىٰ قَبرِه عدَّة شُهورٍ لَيلاً ونَهاراً ، إلىٰ أنْ قالَ : ورَثاهُ خَلقٌ من الأدَباء وأهْلِ الدِّين[٤] .

تُوفِّيَ بُنانُ سَنةَ سِتَّ عَشرَةَ وثَلاثِ مئة وخَرجَ في جِنازَتِه أكثرُ أهْلِ مِصْرَ ، وكانَ شَيئاً عجباً من ازْدِحامِ الخَلائق[٥] .

وعاشَ ابنُ خَفيف خَمساً وتِسْعينَ سَنةً ، وازْدَحَمَ الخَلقُ علىٰ سَريرِه ، وكانَ أمْراً عَجيباً ، وقيلَ : إنَّهم صَلَّوا عَليه نَحْواً من مئةِ مَرَّة[٦] .

وقد كانَ لعَبدِ الغَنيِّ بنِ سَعيد جِنازَةٌ عَظيمَةٌ تَحدَّثَ بها النَّاسُ ، ونُودِيَ أمَامَها : هٰذا نافي الكَذبِ عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم .

تُوفِّيَ سَنةَ تسعٍ وأرْبَع مئة[٧] .

---

(١) انظر السير : (أبو بكر) ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٠٧٣ .
(٢) انظر السير : (غُلامُ خَليل) ١٣/ ٢٨٢ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٠٨٤ .
(٣) انظر السير : (ابنُ أبي عاصِم) ١٣/ ٤٣٠ـ ٤٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٩ .
(٤) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٢/١١٥٤ .
(٥) انظر السير : (بُنَانُ الحَمَّال) ١٤/ ٤٨٨ـ ٤٩٠ ، وانظر النزهة : ٥/١١٦٩ .
(٦) انظر السير : (ابنُ خَفيف) ١٦/ ٣٤٢ـ ٣٤٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٩٩ .
(٧) انظر السير : (عَبدُ الغَني بنُ سَعيد) ١٧/ ٢٦٨ـ ٢٧٣ ، وانظر النزهة : ١/١٣٤١ .

وأوْصَى الخَطيبُ بأنْ يُتَصَدَّقَ بجَميعِ ثِيابِه ، وشَيَّعَه الفُقَهاءُ والخَلقُ وحَملُوهُ إلىٰ جامعِ الْمَنْصُورِ ، وكانَ بينَ يَدَي الجِنازَة جَماعَةٌ ينادُونَ : هَـٰذا الذي كانَ يَذُبُّ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الكَذبَ ، هـٰذا الذي كانَ يَحفَظُ حَديثَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وخُتِمَ علىٰ قَبرِه عِدَّة خَتماتٍ[1] .

وعن عَليِّ بنِ الأيْسَرِ العُكْبَرِيِّ ، قالَ : لَمْ أرَ أكثرَ خَلقاً من جِنازَةِ أبي مَنْصُور الخَيَّاط رآها يَهوديٌّ ، فاهْتَالَ لَها وأسْلَمَ[2] .

وعن عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ الخُجَنْدِيِّ قالَ : لَمَّا ماتَ مُوسَى الْمَدينيُّ لَمْ يَكادُوا أنْ يَفْرَغُوا منه ، حتَّىٰ جاءَ مَطرٌ عَظيمٌ في الحَرِّ الشَّديدِ ، وكانَ الماءُ قَليلاً بأصْبَهانَ فما انْفَصلَ أحَدٌ عن الْمَكانِ مع كَثْرَةِ الخَلقِ إلاَّ قَليلاً ، وكانَ قد ذَكَرَ في آخِرِ إمْلاءٍ أمْلاهُ : أنَّه مَتَىٰ مَاتَ مَنْ له مَنزِلَةٌ عندَ الله ، فإنَّ اللهَ يَبعَثُ سَحاباً يومَ مَوتِه عَلامَةً للمَغْفِرَة له ، ولِمَنْ صَلَّىٰ عَليه .

سَمعتُ شَيْخَنا العَلاَّمَة أبا العَبَّاس بنَ عبدِ الحَليم[3] يُثْني علىٰ حِفظِ أبي مُوسَىٰ ويُقدِّمُه على الحافِظِ ابنِ عَساكِر باعْتِبارِ تَصانيفِه ونَفْعِها .

تُوفِّيَ أبو مُوسَىٰ في سَنةِ إحْدَىٰ وثَمانينَ وخَمسِ مئة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كان حافِظَ الْمَشْرِق في زَمانِه[4] .

جاء في ترجمة ابن الجَوْزيِّ ، قال الذهبيُّ : قال سِبْطُه أبو المُظفَّر : تُوفِّيَ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزي ليلة الثالث عَشرَ من رَمضانَ سنة سَبعٍ وتسعين وخَمسِ مئة ، وغُلِّقَت الأسْواقُ ، وجاءَ الخَلقُ ، وصَلَّىٰ عليه ابنُه أبو القاسم عليٌّ اتِّفاقاً ، لأنَّ الأعْيانَ لمْ يَقدِروا من الوُصولِ إليه ، ثم ذَهبوا به إلىٰ جامع المَنْصُور ، فصلَّوا عليه ، وضاقَ بالنَّاس ، وكان يوماً مَشْهوداً ، فلمْ يَصلْ إلىٰ حُفْرَتِه بمَقْبَرَةِ أحمَدَ إلىٰ وَقتِ صَلاةِ

---

(١) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٤١٤ .
(٢) انظر السير : (الخَيَّاط) ١٩/ ٢٢٢ـ٢٢٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٧٣ .
(٣) هو شَيخُ الإسلام ابنُ تَيْميَة .
(٤) انظر السير : (أبو مُوسَى الْمَدينيُّ) ٢١/ ١٥٢ـ١٥٩ ، وانظر النزهة : ١/١٦٠٥ .

الجُمُعَة ، وكان في تمُّوز ، وأفْطَرَ الخَلقُ ، ورَمَوا نُفوسَهم في الماء إلىٰ أن قال : وما وَصلَ إلىٰ حُفْرتِه من الكَفَنِ إلاَّ قَليلٌ ، كذا قال ، والعُهْدةُ عليه[1] ، وأُنزِلَ في الحُفرَةِ ، والمُؤذِّنُ يقولُ : اللهُ أكبَر ، وحَزنَ عليه الخَلقُ ، وباتوا عند قَبرِه طُولَ شَهرِ رَمضانَ يَختِمونَ الخَتَمات ، بالشَّمْعِ والقَناديلِ ، ورآهُ في تلك اللَّيلَةِ المُحَدِّثُ أحمدُ بنُ سَلمان السُّكَّر في النَّوم ، وهو علىٰ مِنْبَرٍ من ياقُوت ، وهو جالسٌ في مِقْعَد صِدْقٍ والمَلائكَةُ بين يَديْه[2] وأَصْبَحنا يومَ السَّبت عملنا العزاء ، وتكلَّمْتُ فيه ، وحَضرَ خَلقٌ عَظيمٌ ، وعُمِلَتْ فيه المَراثي[3] .

وقالَ الضِّياءُ : تُوفِّيَ العِمَادُ رَحمَةُ اللهِ عَليه سَنةَ أرْبَع عَشرَةَ وستٍّ مئة ، وكانَ صَلَّى الْمَغرِبَ بالجَامِعِ وكانَ صَائماً ، فذَهبَ إلى البَيتِ وأفْطَرَ علىٰ شَيءٍ يَسيرٍ ، ولَمَّا أُخرجَت جِنازَتُه اجْتَمعَ خَلقٌ فما رَأيتُ الجامِعَ إلاَّ كأنَّه يَومَ الجُمُعَة من كَثرَةِ الخَلقِ ، وكانَ الوَالي يَطرُدُ الخَلقَ عنه وازْدَحموا حتَّىٰ كادَ بَعضُ النَّاسِ أنْ يَهلَك ، وما رَأيتُ جِنازَةً قطُّ أكثَرَ خَلقاً منها[4] .

١٥ـ مِنْ أسْباب مَوْت بَعْض العُلَماء والكبَراء :

قالَ العَبَّاسُ بنُ الوَليد بنِ مَزيد : سَمعتُ عُقبَةَ بنَ عَلقَمَة قالَ : سَببُ مَوْتِ الأوْزاعيِّ أنَّه اخْتَضبَ ، ودَخلَ الحَمَّامَ الذي في مَنزِله ، وأدْخَلت مَعه امْرأتُه كانُوناً فيه فَحمٌ لِئلا يُصيبَه البَردُ ، وأغْلَقت عَليه من بَرًّا ، فلمَّا هاجَ الفَحمُ ، ضَعُفَت نَفسُه وعَالَجَ البَابَ لِيَفتَحه ، فامْتَنَع عليه ، فألْقَىٰ نَفسَه ، فوَجَدْناه مُوَسِّداً ذِراعَه إلى القِبلَة[5] .

وقالَ ابنُ حَزْم : كانَ سَببُ مَوتِ الخَليفَةِ الهَادي العَبَّاسيِّ ، أنَّه دَفَعَ نَديماً له من

---

(١) وقال في « تاريخ الإسلام » : (وهٰذا من مجازفة أبي المظفر) ، وقد وصف الذهبيُّ السبط بالمجازفة في غير موضع من كتبه .
(٢) تمام الخبر : والحقُّ سبحانه وتعالىٰ حاضرٌ يسمع .
(٣) انظر السير : (أبو الفَرج ابن الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٦ .
(٤) انظر السير : (العِمَاد) ٢٢/ ٤٧ـ ٥٢ ، وانظر النزهة : ٨/١٦٦٥ .
(٥) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٣/٦٨٤ .

جُرْفٍ ، علىٰ أُصُولِ قَصَبٍ قد قُطِعَ ، فتَعلَّقَ به النَّديمُ ، فوَقَعَ مَعه ، فدَخَلت قَصَبةٌ في دُبُرِه فكانَ ذلكَ سَببُ مَوْتِه ، فهَلَكا جَميعاً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ماتَ سَنةَ سَبعينَ ومئة ، وعُمرُه ثَلاثٌ وعشْرونَ سَنَةً ، وكانَت خِلافَتُه سَنةً وشَهْراً ، وقامَ بعدَه أَخُوه الرَّشيدُ .

وكانَ كَوالدِه في اسْتئصالِ الزَّنادِقَة وتَتَبُّعِهم ، فقَتلَ عدَّة منهم : يَعقوبُ بنُ الفَضلِ بن عبد الرحمَـٰن بنِ العَبَّاس بن رَبيعَة بنِ الحارث بنِ عبد الْمُطَّلِب بنِ هاشِم ، وظَهرَت بنتُه حُبْلَىٰ منه ، أَكْرَهَها[1] .

ويُقالُ سَمَّتهُ أمُّه الخَيْزُران ، لَمَّا أجمَعَ علىٰ قَتلِ أخيه الرَّشيدِ ، وكانَت مُتصرِّفَةً في الأمورِ إلى الغايَة ، وكانَت من مولَّداتِ الْمَدينَة ، فقالَ لها : لَئنْ وَقفَ ببابِكِ أميرٌ ، لأَقْتُلَنَّك ، أما لكِ مِغْزَلٌ يَشغَلُكِ ، أو مُصْحَفٌ يُذكِّرك ، أو سُبحَةٌ ، فقامَت لا تَعْقِلُ غَضَباً[2] .

وسَببُ مَوْتِ عُلَيَّة بنتِ الْمَهْدِي أنَّ الْمَأمُونَ ضَمَّها إليه فقَبَّلها ، وهي عَمَّتُه ، وكانَ وَجْهُها مُغطًّىٰ فشَرِقَت وسَعَلَت ، ثم حُمَّتْ أيّاماً ، وماتت[3] .

وكانَ سَببُ وَفاةِ الزُّبَيْرِ بنِ بَكار أنَّه وَقَعَ من فَوقِ سَطحِه ، فمَكثَ يومَين لا يَتكلَّمُ وماتَ انْكَسرَتْ تَرقُوَتَه وَوِرْكُه[4] .

* * *

---

(١) انظر السير : (الهَادي) ٧/ ٤٤١ـ ٤٤٤ ، وانظر النزهة : ٦/٧١٣ .

(٢) انظر السير : (الهَادي) ٧/ ٤٤١ـ ٤٤٤ ، وانظر النزهة : ١/٧١٤ .

(٣) انظر السير : (عُلَيَّة بنتُ الْمَهْدِي) ١٠/ ١٨٧ـ ١٨٨ ، وانظر النزهة : ١/٨٦٦ .

(٤) انظر السير : (الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار) ١٢/ ٣١١ـ ٣١٥ ، وانظر النزهة : ٥/١٠٠٤ .

التَّعزِيَةُ والتَّأبين

١ـ صُورٌ من التَّعْزِيَة :

عن مَنصُورِ بنِ صَفيَّة ، عن أُمِّه ، قالَت : قيلَ لابنِ عُمَرَ : إنَّ أَسْماءَ في ناحِيَة الْمَسْجِدِ ـ وذلكَ حينَ صُلبَ ابنُ الزُّبَيْر ـ فمالَ إليها ، فقالَ : إنَّ هـٰذه الجُثَثَ لَيسَتْ بشَيءٍ ، وإنَّما الأَرْوَاحُ عندَ الله ، فاتَّقِي الله واصْبري .

فقالَت : وما يَمنَعُني ، وقد أُهْدِيَ رَأسُ يَحيَىٰ بنُ زكريّا إلىٰ بَغِيٍّ من بَغايَا بَني إسْرائيل .

قالَ ابنُ سَعْد : ماتَت بعدَ ابنِها بلَيالٍ وكانَ قَتلُه لِسَبع عَشرَة خَلَت من جُمادَى الأولَىٰ سَنةَ ثَلاثٍ وسَبعينَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : كانَت خاتِمَة الْمُهاجِرين والْمُهاجِراتِ[(١)] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْر ـ وذلك بعدَ ما قُطعَتْ سَاقُه ، وماتَ أَحَدُ أَبْنائه ـ قالَ ابن خلكان : كانَ أَحْسَن مَنْ عَزَّاهُ إبْراهيمُ بنُ محمَّد بنِ طَلحَة ، فقالَ : واللهِ ما بكَ حاجَةٌ إلى الْمَشي ولا أَرَبٌ في السَّعْي ، وقد تَقدَّمَكَ عُضوٌ من أَعْضاءِكَ ، وابْنٌ من أَبْنائِكَ إلى الجَنَّة ، والكُلُّ تَبَعٌ للبَعضِ إنْ شاءَ الله وقد أَبْقَى اللهُ لنا مِنكَ ما كُنَّا إليه فُقَراء ، من عِلْمِك ورَأيِكَ ، واللهُ وَليُّ ثَوابِكَ والضَّمينُ بِحِسَابِك[(٢)] .

وقالَ الأَصْمَعيُّ : شَهِدتُ صالِحاً الْمُريَّ ، عَزَّىٰ رَجُلاً ، فقالَ : لَئنْ كانَت مُصيبَتُك بابنِك لَمْ تُحْدِثْ لكَ مَوْعِظَةً في نَفسِك ، فهي هَيِّنَةٌ في جَنبِ مُصيبَتِك بنَفسِك فإيَّاها فابْكِ[(٣)] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أَبي عُثمانَ الصَّابونيِّ : وأَطْنَبَ عبدُ الغافِرِ في وَصْفِه

---

(١) انظر السير : (أَسْماءُ بنتُ أبي بَكر) ٢/ ٢٨٧ـ ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٢ .

(٢) انظر السير : (عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْر) ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٨ .

(٣) انظر السير : (صالحُ الْمُرِّي) ٨/ ٤٦ـ ٤٨ ، وانظر النزهة : ٧/٧٢٥ .

وأسْهَب ، إلىٰ أنْ قالَ : وقرأتُ في كتابِ كتَبه زَينُ الإسْلام من طُوسَ في التَّعْزيَة لشَيخ الإسْلامِ : أَلَيسَ لَمْ يَجسِرْ مُفترٍ أنْ يَكذِبَ علىٰ رَسُولِ الله في وَقتِه ؟ أَلَيسَتْ السُّنَّة كانَت بمَكانِه مَنْصُورَة ، والبدعَةُ لفَرطِ حِشْمَتِه مَقْهورَة ؟ أَلَيسَ كانَ داعياً إلى الله هادياً عبادَ الله ، شاباً لا صَبْوَةَ له ، كهْلاً لا كَبْوَةَ له ، شَيْخاً لا هَفْوَةَ له ؟ يا أَصْحابَ الْمَحابِر ، وَطِّؤوا رِحالَكم ، قد غُيِّبَ مَنْ كانَ عَليه إلْمَامُكم ويا أرْبابَ الْمَنابِر ، أعْظَمَ اللهُ أُجُورَكم ، فقَد مَضَىٰ سَيِّدُكم وإمَامُكم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ولقد كانَ من أئمَّةِ الأثَر ، له مُصنَّفٌ في السُّنَّة واعتِقادِ السَّلَف ، ما رآه مُنْصِفٌ إلاَّ واعْترَفَ له[1] .

وكتَبَ القاضِي الفاضِلُ تَعْزِيَةً إلىٰ صاحِبِ حَلَب : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[3] ، كتَبْتُ إلىٰ مَولانا المَلِكِ الظَّاهِرِ أحْسَنَ اللهُ عَزاءَه ، وجَبرَ مُصَابَه وجَعَلَ فيه الخَلَفَ من السَّلَفِ في السَّاعةِ المَذْكُورة ، ولقَدْ زُلْزِلَ المُسْلِمُونَ زِلزالاً شَدِيداً ، وقد حَضَرَت الدُّموعُ المَحاجِرَ وبلَغَت القُلوبُ الحَناجِرَ ، وقد ودَّعتُ أبَاكَ ومَخْدُومي وَدَاعاً لا تَلاقِيَ بعدَه ، وقبَّلتُ وجهَه عنِّي وعَنْكَ ، وأسْلَمْتُه إلى اللهِ وَحْدَه مَغْلُوبَ الحِيلَةِ ضَعِيفَ القُوَّةِ راضِياً عن اللهِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ وبالبابِ من الجُنُودِ المُجَنَّدَةِ والأسْلِحَةِ المُعَمَّدَةِ ما لَمْ يَدْفَعِ البَلاءَ ولا ما يَرُدُّ القَضَاءَ ، تَدْمَعُ العَينُ ويَخْشَعُ القَلبَ ، ولا نقولُ إلاَّ ما يُرضِي الرَّبَ ، وإنَّا بك يا يُوسُفُ لمَحْزُونُون .

ولِلْعَلَمِ الشَّاتانيِّ فيه قَصِيدةٌ مَطلَعُها[4] :

أَرَى النَّصْرَ مَقْرُوناً بِرَايَتِكَ الصَّفْرَا ... فسِرْ وامْلُكِ الدُّنْيا فأنْتَ بها أحْرَى

---

(١) انظر السير : (الصَّابونيُّ) ١٨/ ٤٠ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٨٥ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .
(٣) سورة الحج ، الآية : ١ .
(٤) انظر السير : (صلاح الدين وبنوه) ٢١/٢٧٨ـ ٢٩١ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٢٣ .

٢ـ التَّأبين :

قالَ أبو عَمْرُو بنُ العَلاء : تُوفِّيَ الأحْنَفُ بنُ قَيس في دار عُبَيدِ الله بنِ أبي غَضَنْفَر ، فلمَّا دُلِّيَ في حُفرَتِه ، أقبلَتْ بنتٌ لأوْسٍ السَّعْديِّ وهي علىٰ رَاحِلَتِها عَجوزٌ ، فوَقفَت عليه ، وقالَت : مَن الْمُوافَىٰ به حُفرَتَه لِوَقتِ حِمَامِه ؟ قيلَ لها : الأحْنَفُ بنُ قَيْس قالَت : والله لَئِنْ كُنتُم سَبَقتُمونا إلى الاسْتِمْتَاعِ به في حَياتِه لا تَسْبِقُونا إلى الثَّناءِ عَليه بَعدَ وَفاتِه ثم قالَت : لله دَرُّك من مَجَنٍّ في جَنَنٍ ، ومُدْرَجٍ في كَفَن ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُونَ نَسألُ مَنْ ابْتَلانا بِمَوْتِك ، وفَجَعَنا بِفَقْدِك أنْ يُوَسِّعَ لكَ في قَبرِك ، وأنْ يَغفِرَ لكَ يَومَ حَشْرِك أيُّها النَّاسُ ، إنَّ أوْلياءَ اللهِ في بلادِه هم شُهودُه علىٰ عِبادِه ، وإنَّا لَقائلون حَقًّاً ، ومُثْنُونَ صِدْقاً ، وهو أهْلٌ لِحُسنِ الثَّناءِ ، أمَا والذي كُنتَ من أجْلِه في عِدَّة ، ومن الحَياة في مُدَّة ، ومن الْمِضْمارِ إلىٰ غَايَة ، ومن الآثارِ إلىٰ نِهايَة ، الذي رَفعَ عَمَلَك عند انْقِضاءِ أجَلِك ، لقد عِشْتَ مَوْدُوداً حَميداً ، ومُتَّ سَعيداً فَقيداً ، ولَقد كُنتَ عَظيمَ الحِلْمِ ، فَاضِلَ السِّلمِ ، رَفيعَ العِمادِ ، وَارِيَ الزِّنادِ ، مَنيعَ الحَريمِ ، سَليمَ الأديمِ ، عَظيمَ الرَّماد ، قَريبَ البَيتِ منَ النَّادِ[١] .

ماتَ الأحْنَفُ سَنةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ[٢] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي عُثمانَ الصَّابونيِّ : وأطْنَبَ عبدُ الغافِرِ في وَصْفِه وأسْهَب ، إلىٰ أنْ قالَ : وقَرأتُ في كتابٍ كتَبه زَينُ الإسْلامِ من طُوسَ في التَّعْزيَة لشَيخِ الإسْلامِ : ألَيسَ لَمْ يَجسِرْ مُفترٍ أنْ يَكذِبَ علىٰ رَسُولِ الله في وَقتِه ؟ ألَيسَتْ السُّنَّة كانَت بمَكانِه مَنْصُورَة ، والبِدعَةُ لفَرطِ حِشْمَتِه مَقْهورَة ؟ ألَيسَ كانَ داعياً إلى الله هادياً عبادَ الله ، شاباً لا صَبْوَةَ له ، كهْلاً لا كَبْوَةَ له ، شَيْخاً لا هَفْوَةَ له ؟ يا أصْحابَ الْمَحابِر ، وَطِّؤوا رِحالَكم ، قد غُيِّبَ مَنْ كانَ عَليه إلْمَامُكم ويا أرْبابَ الْمَنابِر ،

---

(١) الخبر في « تاريخ ابن عساكر » (٨/ ١٢٢٥) ، وزاد فيه : ولقد كنت في الْمَحافل شَريفاً ، وعلى الأرامِلِ عَطوفاً ، ومن النَّاسِ قَريباً وفيهم غريباً ، وإنْ كُنتَ فيهم مُسوَّداً ، وإلى الخُلَفاء لَمُوفَداً ، وإنْ كانوا لقَولِك لَمُستَمعين ، ولرَأيك لَمُتَّبعين ، رَحمَنا اللهُ وإيَّاك .

(٢) انظر السير : (الأحْنَفُ بنُ قَيْس) ٤/ ٨٦ـ٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/٤٥٤ .

أَعْظَمَ اللهُ أُجورَكم ، فقد مَضَىٰ سَيِّدُكم وإمَامُكم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ولقد كانَ من أئمَّةِ الأثَر ، له مُصنَّفٌ في السُّنَّة واعتِقادِ السَّلَف ، ما رآه مُنْصِفٌ إلاَّ واعْترَفَ له[1] .

٣ـ شِعْرٌ في الرِّثَاء :

ولِكُثَيِّرِ عزَّة يَرثي عُمرَ بنَ عبد العَزيز :

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ هَلاَكُهُ ... فَالنَّاسُ فيه كُلُّهم مَأجُورُ

والنَّاسُ مَأْتَمُهُم عَليهِ وَاحِدٌ ... في كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ

يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ ... خَيْراً لأنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ

رَدَّتْ صَنَائِعُه عَلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

وكان أسْمرَ دَقيقَ الوَجْهِ ، حَسَنه ، نَحيفَ الجِسْم ، حَسَنَ اللِّحْيَة ، بجَبْهَته شَجَّةٌ .

وكانت خِلافَتُه سَنتَين وخَمسَةَ أشْهُر وأيّاماً[2] .

ودِيوانُ أبي تَمَّام كبيرٌ سائرٌ ، ولَمَّا ماتَ ، رَثاهُ مُحمَّدُ بنُ عبدِ المَلِك الوَزير ، فقال :

نَبَأٌ أَلَمَّ مُقَلْقِلَ الأَحْشَاءِ ... لَمَّا أَتَىٰ من أَعْظَمِ الأَنْبَاءِ

قالُوا : حَبِيبٌ قَدْ ثَوَىٰ فأجبْتُهُم ... نَاشَدْتُكُم لا تَجْعَلُوهُ الطَّائي

مات سنة اثنتين وثلاثين ومئتين[3] .

ولأبي مُحمَّدِ الإياديِّ الشَّاعرِ مَرْثيَّة طَويلَةٌ في أبي حاتمِ الرَّازي ، رَواها عنه ابنُ أبي حاتم ، أوَّلها :[4] .

أَنَفْسِي مَا لَكِ لاَ تَجْزِعينا ... وَعَيْنَيَّ مَا لَكِ لاَ تَدْمَعِينَا

---

(١) انظر السير : (الصَّابونيُّ) ١٨/ ٤٠ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٨٥ .
(٢) انظر السير : (عُمرُ بن عبد العَزيز) ٥/ ١١٤ـ١٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٥٩٢ .
(٣) انظر السير : (أبو تمّام) ١١/ ٦٣ـ٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٠٩ .
(٤) انظر السير : (أبو حاتِم الرَّازي) ١٣/ ٢٤٧ـ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٨ .

أَلَـمْ تَسْمَعِـي بِكُسُـوفِ العُلُـو ... م مِـنْ شَهْـرِ شَعْبَـانَ مَحْقـاً مَـدِينـا
أَلَـمْ تَسْمَعِـي خَبَـرَ المُـرْتَضَـى ... أَبِـي حَـاتِـم أَعْلَـم الْعَـالَمِينـا

ويَقُولُ أبو سَعيدِ الأعْرابيُّ في رِثاء ابنِ جَرير[1] :

حَـدَثٌ مُفَظَّـعٌ وَخَطْـبٌ جَلِيـلُ ... دَقَّ عَـنْ مِثْلِـهِ اصْطِبَـارُ الصَّبُـور
قَـامَ نَـاعِـي العُلُـومِ أَجْمَـعَ لَمَّـا ... قَـامَ نَـاعِـي مُحَمَّـدِ بْـنِ جَـرِيـرِ

وعَمِلَ بعضُهُم في مَوْتِ القاضي ابنِ الباقِلاَّني :

انْظُرْ إِلَىٰ جَبَلٍ تَمْشي الرِّجَالُ بِهِ ... وانْظُرْ إِلَى القَبْرِ ما يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ
وانْظُرْ إِلَىٰ صَارِمِ الإِسْلاَمِ مُنْغمِداً ... وانْظُرْ إِلَىٰ دُرَّةِ الإِسْلاَمِ في الصَّدَفِ

ماتَ سَنةَ ثلاثٍ وأربعِ مِئَة ، وصلَّىٰ عليه ابنهُ حَسَنٌ وكانت جِنازَتُه مَشْهودَة ، وكان سَيفاً على المُعْتَزِلَة والرَّافِضَة والمُشَبِّهَة ، وغالبُ قَواعِدِه على السُّنَّة ، وقد أمَرَ شَيخُ الحَنابِلَة أبُو الفَضْل التَّميميُّ مُنادياً يَقولُ بينَ يَديّ جِنازَتِه : هـٰذا ناصِرُ السُّنَّة والدين ، والذَّابُّ عن الشَّريعَةِ ، هـٰذا الذي صَنَّفَ ألفَ وَرَقَة ثم كان يَزورُ قَبرَه كُلَّ جُمُعَة[2] .

* * *

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/٢٦٧ـ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٥٤ .
(٢) انظر السير : (ابن الباقِلاَّنيّ) ١٧/ ١٩٠ـ١٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٣٥ .

الرُّؤى

١ـ مِنْ فَوائد الرُّؤى الصَّالحة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الإمامِ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : ولقد جَمعَ ابنُ الجَوْزيِّ فأوْعَىٰ من الْمَنامَاتِ في نَحوٍ من ثَلاثينَ وَرَقةً ولَيسَ أبو عبدِ الله مِمَّنْ يَحتَاجُ تَقريرُ وِلايَتِه إلىٰ مَنامَاتٍ ، ولَكنَّها جُندٌ من جُندِ الله ، تَسُرُّ الْمُؤمنَ ولا سِيَّما إذا تَواتَرَت[1] .

٢ـ مُتفرِّقَات :

(أ) مَنْ كان يَتمَنَّىٰ رُؤيَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ رآه :

عن بكَّار بنِ محمدٍ قال : كان ابنُ عَون قد أوصىٰ إلىٰ أبي وصحبته دهراً ، فما سَمعتُه حالِفاً علىٰ يَمينٍ بَرَّةٍ ولا فاجِرَةٍ ، كان طَيِّبَ الرِّيح ، لَيِّنَ الكُسوة ، وكان يَتمنَّىٰ أنْ يَرَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ فلَمْ يَرَهُ إلاَّ قَبْلَ مَوتِه بيَسِير ، فسُرَّ بذلك سُروراً شديداً قال : فنَزَلَ من درجتِه إلى المسجِدِ فسَقَطَ فأُصِيبَتْ رِجلُه ، فلَمْ يَزَلْ يُعالجُها حتّىٰ ماتَ رحمَه الله[2] .

(ب) رؤيا تدُلُّ علىٰ قُوَّة الاتِّباع للمُصْطَفىٰ صلى الله عليه وسلم :

قال محمدُ البُخَاريُّ : سَمعتُ النَّجْمَ بنَ الفُضَيل يقولُ : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كأنَّه يَمشِي ، ومحمدُ بنُ إسْماعِيلَ يَمشِي خَلْفَه فكُلَّما رَفَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قَدَمَه وَضَعَ محمدُ بنُ إسْماعِيلَ قَدَمَه في المكانِ الذي رَفَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قَدَمَه[3] .

---

(١) انظر السير : (أحمدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/ ٩٥١ .

(٢) انظر السير : (عبد الله بن عون) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٤/ ٦٥٧ .

(٣) انظر السير : (أبو عبد الله البخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/ ١٠١٢ .

(ج) رُؤيا تُفيد في قُوَّة الرَّجَاء في رَحْمَة الله :

عن إسْحاقَ الحَربيِّ ، قالَ : حدَّثني أبو حَسَّانَ الزِّياديُّ ، أنَّه رَأىٰ رَبَّ العِزَّة في الْمَنامِ : فقالَ : رَأيتُ نُوراً عَظيماً لا أُحْسِنُ أَصِفُه ، ورَأيتُ فيه رَجلاً خُيِّلَ إليَّ أنَّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وكأنَّه يَشْفَعُ إلىٰ رَبِّه في رَجُلٍ من أُمَّتِه ، وسَمعتُ قائلاً يَقولُ : أَلَمْ يَكفِكَ أنِّي أَنْزِلُ عَليكَ في سُورَةِ الرَّعْدِ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾[1] ثم انتبَهتُ .

قالَ الخَطيبُ : كانَ أبو حَسَّان أحدَ العُلَماء الأفاضِل الثِّقاتِ ، وَلِيَ قَضاءَ الشَّرقيَّة ، وكان كَريماً مِفْضالاً[2] .

(د) رُؤىٰ فيها إخْبَارٌ عن أُمُورٍ سَتَحْصُل :

قالَ ابنُ أبي كامِل : سَمعتُ خَيْثَمَةَ بنَ سُليْمانَ يَقُولُ : رَكبتُ البَحرَ وقَصَدتُ جَبلَة لأسْمَعَ من يُوسُفَ بنِ بَحْر ، ثم خَرَجتُ إلىٰ أنْطاكيَة ، فلَقِينا مَركبٌ ـ يَعني للعَدُوِّ ـ قالَ : فقاتَلنَاه ، ثم سَلَّمَ مَركَبَنا قَومٌ من مقدَّمه ، قالَ : فأخَذُوني ، ثم ضَرَبُوني ، وكَتَبوا أسْماءَنا ، فقالَ : ما اسْمُك ؟ قُلتُ : خَيْثَمَة ، فقالوا : اكْتُبْ حِمَارُ بنُ حِمَار ولَمَّا ضُربتُ نِمتُ ، فرَأيتُ كأنِّي أنْظُرُ إلى الجَنَّة ، وعلىٰ بابِها جَماعَةٌ من الحُورِ العين ، فقالَت إحْداهُنَّ : يا شَقيُّ ، أيشٍ فاتَك ؟ فقالَت أُخْرَىٰ : أيشٍ فاتَه ؟ قالَتْ : لَوْ قُتلَ لَكانَ في الجَنَّة مع الحُورِ ، قالَت لها : لأنْ يَرْزُقَه اللهُ الشَّهادَةَ في عِزٍّ من الإسْلامِ وذُلٍّ من الشِّرْكِ خَيرٌ له ثم انتُبهتُ قالَ : ورَأيتُ كأنَّ مَنْ يَقُولُ لي : اقْرَأ لي : اقْرَأ بَراءَة فقَرأتُ إلىٰ ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾[3] قالَ فعَدَدتُ من لَيلَةِ الرُّؤيَا أرْبَعَةَ أشْهُر ففَكَّ اللهُ أسْري .

تُوفِّيَ سَنةَ ثَلاثٍ وأرْبَعينَ وثَلاثِ مئة[4] .

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٦

(٢) انظر السير : (أبو حَسَّان الزِّياديّ) ١١/ ٤٩٦ـ٤٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٢ .

(٤) انظر السير : (خَيْثَمَة) ١٥/ ٤١٢ـ٤١٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٤٤ .

وجاءَ في تَرجَمَةِ أميرِ الْمؤمنينَ الْمُسْتَرْشِدِ بالله ، قالَ ابنُ النَّجّار : أَخْبَرَنا زَينُ الأَمَناء عن محمَّدِ بنِ محمَّدِ الإِسْكافي إمامِ الوَزير قالَ : لَمَّا كنا مع الْمُسْتَرْشِدِ بباب هَمَذان ، كانَ مَعنا إنْسانٌ يُعرَفُ بفارسِ الإِسْلام ، وكانَ يَقْرُبُ من خِدمَةِ الخَليفَة ، فدَخلَ على الوَزيرِ ابنِ طراد ، فقالَ رَأيتُ السَّاعَةَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ما تَقُولُ في هٰذا الجَيشِ ؟ قالَ : مَكْسُورٌ مَقْهورٌ ، فأُريدُ أنْ تُطالِعَ الخَليفَةَ بهٰذا ، فقالَ : يا فَارسَ الإِسْلام ، أنا أَشَرتُ على الخَليفَةِ أنْ لا يَخرُجَ من بَغدادَ فقالَ : يا عَليُّ ، أنتَ عاجزٌ رُدَّ إلىٰ بَيتِك ، فلا أُبلِغُه هٰذا ، لكن قَلْ لابنِ طَلْحَة صاحِبِ الْمَخْزن ، فذَهبَ إلى ابنِ طَلحَة ، فأَخْبَرَه ، فقالَ : لا أُنْهي إليه ما يَتَطيَّرُ به ، فاكتُبْ هٰذا إليه واعْرِضْها ، وأَخلِ مَوْضِعَ مَقْهُورٌ فكَتَبتُها ، وجِئتُ إلى السُّرادِقِ ، فوَجدتُ نجا في الدِّهْليزِ ، وقد صَلَّى الخَليفَةُ الفَجرَ ، وبينَ يَدَيه مُصْحفٌ ، ومُقابِلُه ابنُ سُكَينة إمامُه فدَخلَ نجا الخادِمُ ، فسَلَّمَ الرُّقعَةَ إليه ، وأنا أَنْظُرُه ، فقَرأَها غَيرَ مَرَّة وقالَ مَنْ كَتَبَ هٰذه ؟ فقالَ : فارِسُ الإِسْلام ، قالَ : أَحْضِرْه ، فجاءَ فقَبَضَ علىٰ يَدَيَّ فأُرْعِدتُ ، وقَبَّلتُ الأرضَ ، فقالَ : وعَليكُم السَّلامُ ثم قَرأ الرُّقعَةَ مَرَّاتٍ ، ثم قالَ مَنْ كَتَبَ هٰذه ؟ قُلتُ أنا ، قال : وَيْلَك ، لِمَ أَخْلَيتَ مَوْضِعَ الكَلمةِ الأُخرَى ؟ قُلتُ : هو ما رَأيتَ يا أميرَ الْمُؤمنينَ ، قالَ : وَيْلَك ، هٰذا الْمَنام أُريتُه أنا في هٰذه السَّاعة ، فقُلتُ : يا مَوْلانا ، لا يَكُونُ أَصْدَق من رُؤيَاكَ ، تَرجِعُ من حَيثُ جِئتَ ، قالَ : وَيْلكَ ويُكَذِّبُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟! لا واللهِ ما بَقِيَ لَنَا رَجعَةٌ ويَقْضِي اللهُ ما يَشاءُ ، فلمَّا كانَ اليَومُ الثاني ، أو الثالِث ، وَقَعَ الْمَصافُّ وتَمَّ ما تَمَّ وكُسِرَ وأُسِرَ ، وقُتِلَ رَحِمَهُ الله[١] .

(هـ) مَنْ بايَعَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الرُّؤْيا علىٰ أداء بَعض شَعائر الإِسْلام :

قالَ أبو سَهْل بنُ زِياد : سَمعتُ أحمَدَ الأبَّار يَقولُ : بايَعتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ علىٰ إقَامِ الصَّلاةِ ، وإيْتاءِ الزَّكاة ، والأمْرِ بالْمَعرُوفِ ، والنَّهي عن الْمُنكَر[٢] .

---

(١) انظر السير : (الْمُسْتَرْشِدُ بالله) ١٩/ ٥٦١ـ٥٦٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥١٤ .

(٢) انظر السير : (الأبَّار) ١٣/٤٤٣ـ٤٤٤ ، وانظر النزهة : ٣/١١٠١ .

(و) رُؤىٰ فيها دِفَاعٌ عن مُؤمِنٍ صَالح :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحافِظِ عبدِ الغَنيِّ : وقالَ الضِّياءُ : سَمعتُ الشَّيخَ الصَّالحَ غشيم بن ناصر الْمِصري قالَ : لَمَّا ماتَ الحافِظُ كُنتُ بمَكة ، فلمَّا قَدمتُ قُلتُ : أينَ دُفنَ ؟ قيلَ : شَرقِي قَبرِ الشَّافِعيِّ ، فخَرجتُ ، فلَقيتُ رَجُلاً ، فقُلتُ : أينَ قَبرُ عبدِ الغَني ؟ قالَ : لا تَسألْني عَنه ، ما أنا علىٰ مَذهَبه ولا أُحبُّه ، فتَركتُه ، ومَشيتُ ، وأَتَيتُ قبرَ الحافِظِ ، وتَردَّدتُ إليه ، فأنا بَعضُ الأيَّام في الطَّريقِ فإذا الرَّجُلُ فسَلَّمَ عَليَّ وقالَ : أما تَعرِفُني ؟ أنا الذي لَقيتُكَ من مُدَّة وقُلتُ لكَ كَذا وكَذا ، مَضَيتُ تلكَ اللَّيلَةَ فرَأيتُ قائلاً يَقُولُ لي : يَقولُ لكَ فُلانٌ ، وسَمَّاني : أينَ قَبرُ عبدِ الغَني ؟ فتَقُول ما قُلتَ ؟! وكرَّرَ القَولَ عَليَّ ، وقالَ : إنْ أرادَ اللهُ بكَ خَيْراً فأنت تَكونُ علىٰ ما هُو عَليه ، ثم قالَ : لَوْ كُنتُ أعْرِفُ مَنْزِلَكَ لأتَيتُك[١] .

٣ـ تَعْبيرُ الرُّؤْيَا :

قالَ ابنُ عُمَر : سَمعتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « بَيْنَا أنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ إنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَخرُجُ فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ » قالوا : فمَا أوَّلتَ ذلك ؟ قالَ : « الْعِلْم »[٢] .

وقالَ أبو سَعيد : قالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَليَّ وعَلَيْهِم قُمُصٌ ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ ، ومِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلك ، ومَرَّ عَليَّ عُمَرُ عَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ » قالوا : مَا أوَّلتَ ذَلك يا رَسولَ الله ؟ قالَ : « الدِّين »[٣] .

قالَ حَميدٌ : قالَ صِلَةُ : رَأيتُ كأنِّي أرَىٰ أبا رِفاعَة العَدَويَّ علىٰ ناقَةٍ سَريعَةٍ ، وأنا عَلىٰ جَمَلٍ قَطُوفٍ ، فأنَا علىٰ أثَره ، فأوَّلتُ أنِّي عَلىٰ طَريقِه وأنا أكُدُّ العَملَ بعدَه كَدّاً[٤] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٥٣ .
(٢) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٨/٤٥ .
(٣) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٤٦ .
(٤) انظر السير : (أبو رِفاعَة العَدَوِيّ) ٣/ ١٤ـ ١٥ ، وانظر النزهة : ٢/٣٢١ .

ورَوَىٰ سالِمُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ، عن أبيه ، قالَ : كانَ الرجُلُ في حَياةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا رَأىٰ رُؤيا ، قَصَّها علىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وكُنتُ غُلاماً عَزَباً شَاباً فكُنتُ أنامُ في الْمَسجِدِ ، فرَأيتُ كأنَّ مَلَكينِ أتيَاني ، فذَهبَا بي إلى النَّارِ فإذا هي مَطويَّة كَطَيِّ البئرِ ، ولَهَا قُرونٌ كقُرونِ البئرِ ، فرَأيتُ فيها نَاساً قد عَرَفتُهم ، فجَعلتُ أقُولُ : أعُوذُ باللهِ من النَّارِ ، فلَقِيَنا مَلكٌ فقالَ : لَنْ تُراعَ فذَكرْتُها لِحَفْصَةَ ، فقَصَّتها حَفْصَةُ علىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيلِ » قالَ : فكانَ لا يَنامُ من اللَّيلِ إلاَّ القَليل[1] .

وقالَ الوَاقِديُّ : كانَ سَعيدُ بنُ الْمُسَيِّب من أعْبَرِ النَّاسِ للرُّؤيا ، أخَذَ ذلكَ عن أسْماءَ بنتِ أبي بَكر الصِّدِّيق ، وأخَذَتهُ أسْماءُ عن أبيها ، ثم سَاقَ الوَاقِديُّ عدَّةَ مَنامَاتٍ ومنها :

حدَّثنا مُوسَىٰ بنُ يَعْقوبَ ، عن الوَليدِ بنِ عَمْرُو بنِ مُسافع ، عن عُمَرَ بنِ حَبيب بنِ قُلَيع قالَ : كُنتُ جالِساً عندَ سَعيدِ بنِ الْمُسَيِّب يَوماً ، وقد ضاقَت بيَ الأشْياءُ ، ورَهَقَني دَينٌ ، فجاءَه رَجلٌ ، فقالَ : رَأيتُ كأنِّي أخَذتُ عبدَ الْمَلكِ بنَ مَرْوانَ ، فأضْجَعتُه إلى الأرضِ ، وبَطَحتُه فأوْتَدتُ في ظَهرِه أرْبَعةَ أوْتادٍ قالَ : ما أنْتَ رَأيتَها قالَ : بَلَىٰ قالَ : لا أُخبِرُكَ أوْ تُخبِرُني قالَ : ابنُ الزُّبَيْرِ رآها ، وهوَ بَعثَني إليكَ قالَ : لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤياهُ قَتَلَهُ عبدُ الْمَلكِ ، وخَرجَ من صُلبِ عبدِ الْمَلكِ أرْبَعةٌ كُلُّهم يَكونُ خَليفةً قالَ : فرَحَلتُ إلىٰ عبدِ الْمَلكِ بالشَّام فأخبَرتُه ، فسُرَّ ، وسَألَني عن سَعيدٍ وعن حَالِه فأخْبَرتُه وأمَرَ بقَضاءِ دَيْني وأصَبتُ منه خَيراً .

وحدَّثنا ابنُ أبي ذِئب ، عن مُسلِمِ الحَنَّاطِ ، قالَ رَجلٌ لابنِ الْمُسَيِّبِ : رَأيتُ أنِّي أبُولُ في يَدِي ، فقالَ : اتَّقِ الله ، فإنَّ تَحتَكَ ذَاتَ مَحرَمٍ ، فنَظَرَ ، فإذا امْرأةٌ بَينَهما رَضَاعٌ .

وقالَ له رَجلٌ : إنِّي رَأيتُ كأنَّ حَمامَةً وَقَعَت على الْمَنارَة ، فقالَ : يَتزوَّجُ الحَجَّاجُ ابنَةَ عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَر .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عُمَر) ٣/٢٠٣ـ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٦/٣٦٦ .

وبه عن ابنِ الْمُسَيِّبِ قالَ : الكَبْلُ في النَّومِ ثَبَاتٌ في الدِّين .

وقيلَ له : يا أبَا مُحمَّد ، رَأيتُ كأنِّي في الظِّلِّ ، فقُمتُ إلى الشَّمسِ فقالَ : إنْ صَدقَتْ رُؤيَاكَ ، لَتَخْرُجَنَّ من الإسْلام قالَ : يا أبَا مُحمَّد ، إنِّي أرَانِي أُخْرِجتُ حتَّىٰ أُدخِلتُ في الشَّمسِ ، فجَلَستُ قالَ : تُكرَهُ على الكُفْرِ قالَ : فأُسِرَ وأُكرِهَ على الكُفرِ ، ثم رَجَعَ ، فكانَ يُخبِرُ بهـٰذا بالْمَدينَة .

وحدَّثنا عبدُ الله بنُ جَعْفَر عن عُبَيدِ الله بن عبدِ الرحمَـٰن بنِ السَّائبِ ، قالَ رَجلٌ لابنِ الْمُسَيِّبِ : إنَّه رَأىٰ كأنَّه يَخُوضُ النَّارَ قالَ : لا تَمُوتُ حتَّىٰ تركَبَ البَحْرَ ، وتَمُوتَ قَتيلاً فرَكِبَ البَحْرَ ، وأشْفَىٰ على الهَلَكَة ، وقُتلَ يَوم قُدَيد[1] .

رَوَىٰ هـٰذا الفَصْلَ ابنُ سَعْد في « الطَّبَقاتِ » عن الوَاقِديِّ .

وعن عِمْرانَ بنِ عبدِ الله ، قالَ : رَأى الحَسَنُ بنُ عَليٍّ كأنَّ بَينَ عَيْنَيْه مَكْتُوبٌ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾[2] فاسْتَبشَرَ به ، وأهلُ بَيتِه ، فقَصُّوها علىٰ سَعيدِ بنِ الْمُسَيِّبِ ، فقالَ : إنْ صَدَقَتْ رُؤيَاهُ فقَلَّما بَقِيَ من أجَلِه ، فمَاتَ بعدَ أيّامٍ[3] .

وعن خارِجَةَ بنِ زَيْدِ بنِ ثابِت ، قالَ : رَأيتُ في الْمَنام كأنِّي بَنَيتُ سَبعينَ دَرجَةً ، فلمَّا فَرَغتُ منها ، تهوَّرَت : هَـٰذه السَّنَةُ لي سَبعُونَ سَنةً قدْ أكْمَلتُها فمات عَنها[4] .

وقالَ مَعْمَرُ : جاءَ رَجلٌ إلى ابنِ سِيرينَ فقالَ : رَأيتُ كأنَّ حَمامَةَ الْتَقمَتْ لُؤلُؤةً ، فخَرَجَت منها أعْظَمَ ما كانَت ، ورَأيتُ حَمامَةً أُخرَى الْتَقمَتْ لُؤلُؤةً ، فخَرَجَت أصْغَر مِمَّا دَخلَت، ورأيت أخرى الْتَقمَتْ لُؤلُؤةً ، فخَرَجَت كمَا دَخلَت. فقالَ ابنُ سِيرينَ: أمَّا الأولَىٰ فذَاكَ الحَسَنُ ، يَسْمَعُ الحَديثَ فيُجَوِّدُه بمَنْطِقِه ويَصِلُ فيه من مَواعِظِه وأمَّا التي

---

(١) قُدَيْد : موضع بين مكة والمدينة ، فيه كانت الوقعة سنة ثلاثين ومئة بين أهل المدينة وبين أبي حمزة الخارجي فقتل منهم مقتلة عظيمة .

(٢) سورة الإخلاص ، الآية : ١

(٣) انظر السير : (سَعيدُ بنُ الْمُسَيِّب) ٤/ ٢١٧ـ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .

(٤) انظر السير : (خارِجَةُ بنُ زَيْد) ٤/ ٤٣٧ـ٤٤١ ، وانظر النزهة : ٥/٥٢٩ .

صَغُرَت فأنا ، أَسْمَعُ الحَديثَ فأُسْقِطُ منه ، وأمَّا التي خَرَجَت كمَا دَخَلَت فقَتادَة ، فهُوَ أحْفَظُ النَّاسِ[1] .

وعن عبدِ الله بنِ مُسْلم الْمَرُّوزيِّ ، قالَ : كُنتُ أُجالِسُ ابنَ سِيرينَ ، فتَركتُه وجالَستُ الإبَاضِيَّة ، فرَأيتُ كأنِّي مع قَومٍ يَحمِلُونَ جِنازَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأتَيتُ ابنَ سِيرينَ فذَكَرتُ له ، فقالَ : مَا لَكَ جالَستَ أقْواماً يُريدُونَ أنْ يَدفِنُوا ما جاءَ به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم[2] .

وعن هِشامِ بنِ حَسَّانَ ، قالَ : قَصَّ رَجلٌ على ابنِ سِرينَ فقالَ : رَأيتُ كأنَّ بيَدي قَدَحاً من زُجاجٍ فيه مَاءٌ ، فانْكَسَرَ وبَقِيَ الْمَاءُ فقالَ له : اتَّقِ اللهَ فإنَّكَ لَمْ تَرَ شَيئاً ، فقالَ : سُبحانَ الله قالَ ابنُ سِيرينَ : فمَنْ كَذَبَ فمَا عَليَّ ، سَتلِدُ امْرأتُكَ وتَمُوتُ ، ويَبْقَىٰ وَلَدُها فلمَّا خَرجَ الرَّجُلُ قالَ : والله ما رَأيتُ شَيئاً فمَا لَبِثَ أنْ وُلِدَ لَه ومَاتَت امْرأتُه[3] .

قالَ : ودَخَلَ آخَرُ فقالَ : رَأيتُ كأنِّي وجارِيَةٌ سَوْداءُ نَأكُلُ في قَصْعَة سَمَكَةً ، قالَ : أتُهَيِّءُ لي طَعَاماً وتَدعُوني ؟ قالَ : نَعَم ، ففَعلَ ، فلمَّا وُضِعَت الْمائدَةُ ، إذا جارِيَةٌ سَوْداءُ فقالَ له ابنُ سِيرينَ : هَلْ أصَبْتَ هَـٰذهِ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فادْخُلْ بها الْمَخْدَع ، فدَخلَ ، وصَاحَ : يا أبا بَكْر ، رَجُلٌ والله ، فقالَ : هـٰذا الذي شَارَكَكَ في أهْلِكَ[4] .

عن مُغيرَةَ بنِ حَفْصٍ ، قالَ : سُئِلَ ابنُ سِيرينَ ، فقالَ : رَأيتُ كأنَّ الجَوْزاءَ تَقدَّمَت الثُّرَيّا قالَ : هَـٰذا الحَسَنُ يَمُوتُ قَبْلي ثم أتْبَعُه ، وهو أرْفَعُ منِّي[5] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : قد جاءَ عن ابنِ سِيرينَ في التَّعْبيرِ عَجائبُ يَطُولُ الكِتابُ بذِكرِها ، وكانَ له في ذَلكَ تَأييدٌ إلَـٰهِيٌّ[6] .

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٦٩/٩ .
(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٦٩/١٠ .
(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٧٠/١ .
(٤) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٧٠/٢ .
(٥) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٧٠/٣ .
(٦) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرينَ) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٧٠/٤ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ القاسِمِ : وعن سُحْنُونَ قالَ : لَمَّا حَجَجْنا كنُت أُزَامِلُ ابنَ وَهْب ، وكانَ أشْهَبُ يُزامِلُه يَتيمُه ، وكانَ ابنُ القاسِمِ يُزامِلُه ابنُه مُوسَىٰ ، ونزَلنَا بمَسْجِدٍ ببَعضِ مَدائنِ الحِجَازِ ، فنِمْنَا ، فانْتَبَهَ ابنُ القاسِمِ مَذْعوراً ، فقالَ لي : يا أبَا سَعيد ، رَأيتُ السَّاعَةَ كأنَّ رَجُلاً دَخلَ عَلينا من بابِ هـٰذا الْمَسجِدِ ، ومَعَه طَبقٌ مُغطًّىٰ وفيه رَأسُ خِنزيرٍ أسْألُ اللهَ خَيرَها فمَا لَبِثْنا حتَّىٰ أقْبَلَ رجُلٌ مَعه طَبقٌ مُغَطًّىٰ بِمِنْديلٍ ، وفيه رُطَبٌ من تَمْر تِلكَ القَريَة ، فجَعلَه بينَ يَدَي ابنِ القاسِم ، وقالَ : كُلْ ، قالَ : ما إلىٰ ذَلكَ من سَبيلٍ فقالَ لي ابنُ القاسِم : هَـٰذا تأويلُ الرُّؤيا وكانَ يُقالُ : إنَّ تِلكَ القَريَةَ أكْثَرُها وَقْفٌ غُصِبَت .

قالَ الحارِثُ بنُ مِسْكين : كانَ ابنُ القاسِم في الوَرَعِ والزُّهْدِ شَيْئاً عَجيباً .

وُلِدَ ابنُ القاسِم سَنَةَ اثنتَينِ وثَلاثينَ ومئة ، وتُوفِّيَ في سَنَةِ إحْدَىٰ وتِسْعينَ ومئة ، رَحِمَهُ اللهُ ، عاشَ تِسْعاً وخَمسينَ سَنةً[1] .

وقالَ أبو قُدَامَة السَّرْخَسيُّ : سَمعتُ علياً ابنَ الْمَديني يَقولُ : رَأيتُ كأنَّ الثُّرَيَّا تَدَلَّتْ حتَّىٰ تَناوَلتُها .

قالَ أبو قُدَامَة : صَدَقَ الله رُؤياه ، بَلغَ في الحَديثِ مَبْلغاً لَمْ يَبلُغْه أحَدٌ .

قالَ إبْراهيمُ بنُ مَعْقِل : سَمعتُ البُخاريَّ ، يَقُولُ : ما اسْتَصْغَرتُ نَفسِي عندَ أحَدٍ إلاَّ عندَ عَليٍّ بنِ الْمَديني[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الخَبيثِ : رُئيَ أبوه أنَّه بالَ في مَسجِد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بَوْلَةً أحرَقت نصفَ الدنيا .

وكانت أمُّ الخَبيث تقولُ : لمْ يدَعْ ابني أحَداً عندَه علمٌ بالرأيِّ حتىٰ خالَطَهم ، ثم خرجَ إلىٰ خُراسان ، فغابَ عنِّي سَنتين ، وجاءَ ثم غابَ عنِّي غَيبتَه التي خَرجَ فيها ، فوَرَدَ عليَّ كتابُه من البَصْرَة ، وبَعثَ إليَّ بمالٍ ، فلمْ أقْبلْه ، لِمَا صَحَّ عندي من سَفْكِه للدِّماء ، وخَرابِه للمُدُن .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بنُ القاسم) ٩/ ١٢٠ ـ ١٢٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٦ .

(٢) انظر السير : (عَليُّ بنُ الْمَدينيِّ) ١١/ ٤١ ـ ٦٠ ، وانظر النزهة : ٤/٩٠٧ .

قال الذهبيُّ : وكان أبوهُ داهيةً شَيطاناً كوَلدِه فقال عليٌّ : مَرِضتُ وأنا غُلام ، فجلسَ أبي يَعودُني ، وقال لأُمِّي : ما خَبرُه ؟ قالت : يَموتُ قال : فإذا ماتَ ، مَنْ يُخْربُ البَصْرَة ؟ قال : فبقيَ ذاكَ في قَلبي[1] .

وقالَ أبو عَليٍّ بنُ خَيْرانَ : سَمعتُ أبا العَبَّاسِ بنَ سُرَيج يَقُولُ : رَأيتُ كأنَّما مُطِرْنا كِبْريتاً أحْمَر ، فمَلأتُ أكْمامي وحِجْري ، فعُبِّرَ لي : أنْ أُرْزَقَ عِلماً عَزيزاً كعِزَّةِ الكِبريتِ الأحْمَر[2] .

وحَكَىٰ أبو بِشْر القَطَّان قالَ : رَأىٰ جارٌ لابنِ خُزَيْمَة - من أهْلِ العِلمِ كأنَّ لَوْحاً عليه صُورَةُ نَبيِّنَا صلى الله عليه وسلم وابنُ خُزَيْمَة يصْقلُه فقالَ الْمُعَبِّرُ : هـٰذا رَجلٌ يُحْيي سُنَّةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم[3] .

وقالَ أبو العَبَّاس بنُ حمْدانَ شَيخُ خوارِزْم : سَمعتُ السَّرَّاجَ يَقُولُ : رَأيتُ في الْمَنامِ كأنِّي أرْقَىٰ في سُلمٍ طَويلٍ ، فصَعدتُ تِسْعاً وتِسْعينَ دَرَجَةً فكُلُّ مَنْ أقُصُّها عَليه يَقولُ : تَعيشُ تِسْعاً وتِسْعينَ سَنةً قالَ ابنُ حمْدانَ فكانَ كَذَلك .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : بَلْ بَلغَ سَبْعاً أو خَمْساً وتِسْعينَ سَنةً ، فقد قالَ أبو إسْحاقَ الْمُزَكِّي عنه : وُلدتُ سَنةَ ثَمانيَ عَشرَة ومِئتَينِ ، وخَتمتُ عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم اثنَي عَشرَ ألفَ خَتمَةً ، وضَحَّيتُ عنه اثنَي عَشرَ ألفَ أُضْحِيَةً .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ : دَليلُه حَديثُ شَريك ، عن أبي الحَسْناءِ ، عن الحَكَمِ ، عن حَنَش قالَ : رَأيتُ عَليّاً رضي الله عنه يُضَحِّي بكَبْشَينِ ، فقُلتُ له : ما هَـٰذا ؟ قالَ : « أوْصَانِي رِسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ أُضَحِّيَ عَنه »[4] ، زَادَ التِّرمِذيُّ : واحِدٌ

---

(١) انظر السير : (الخَبيث) ١٣/ ١٢٩-١٣٦ ، وانظر النزهة : ١/١٠٦٤ .

(٢) انظر السير : (ابنُ سُرَيْج) ١٤/ ٢٠١-٢٠٤ ، وانظر النزهة : ١/١١٤٣ .

(٣) انظر السير : (ابنُ خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥-٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٦١ .

(٤) أخْرَجَهُ أبو دَاوُد (٢٧٩٠) والتِّرْمذيُّ (١٤٩٥) كلاهُما في الأضَاحي : باب الأُضْحِيَة عن الْمَيِّت ، وأحمدُ (١/١٠٧) ، (١٤٩) ، (١٥٠) ، وشَريك : هو ابنُ عبد الله النَّخَعي ، سَيِءُ الحفظ وأبو الحَسْناء : مَجهولٌ ، وحَنَش : هو ابنُ الْمُعتَمِر ، مُختلَفٌ فيه .

عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ووَاحِدٌ عن نَفسِه[1] .

قالَ ابنُ خَلِّكان : أخْبرَني عالِمٌ أنَّ العاضِدَ رَأىٰ في نَومِه كأنَّ عَقرَباً خَرجَت إليه من مَسْجدٍ عُرِفَ بها فلَدَغتْه ، فلمَّا اسْتَيقَظَ طَلبَ مُعبِّراً ، فقالَ : يَنالُك مَكرُوهٌ من رَجلٍ مُقيمٍ بالمَسْجدِ ، فسَألَ عن المَسْجدِ ، وقالَ للوَالي عنه ، فأُتي بفَقيرٍ ، فسَألَه من أينَ هُو ؟ وفيمَ قَدِمَ ، فرَأىٰ منه صِدْقاً وديناً فقالَ : ادْعُ لنا يا شَيخُ ، وخَلَّىٰ سَبيلَه ، ورَجعَ إلى المَسْجدِ ، فلمَّا غَلبَ صَلاحُ الدِّين علىٰ مِصْرَ ، عَزمَ علىٰ خَلعِ العاضِدِ ، فقالَ ابنُ خَلِّكان : اسْتَفْتىٰ الفُقَهاءَ ، فأفْتُوا بجَوازِ خَلعِه لما هو من انْحِلالِ العَقيدَةِ والاسْتهتارِ ، فكانَ أكثَرُهم مُبالَغةً في الفُتيا ذاكَ ، وهو الشَّيخُ نَجْمُ الدِّينِ الخُبُوشانيُّ ، فإنَّه عَدَّد مَساوِىء هَؤلاءِ ، وسَلبَ عَنهم الإيمَانَ[2] .

وقالَ الحُسَينُ بنُ يَوْحن البَاورّي : كُنتُ في مَدينَةِ الخان[3] فسَألَني سَائلٌ عن رُؤيا ، فقالَ : رَأيتُ كأنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوفِّيَ ، فقالَ : إنْ صَدَقَتْ رُؤياكَ ، يَمُوتُ إمامٌ لا نَظيرَ له في زَمانِه ، فإنَّ مثلَ هـٰذا الْمَنام رُئيَ حالَ وَفاةِ الشَّافِعيِّ والثَّوْريِّ وأحمَدَ بنِ حَنْبَل ، قالَ : فمَا أمْسَيْنا حتَّىٰ جاءَنا الخَبرُ بوَفاةِ الحافِظِ أبي مُوسَى الْمَدينيِّ[4] .

٤ـ رُؤَىٰ فيها تَوْجِيه :

عن حُسَيْنِ بنِ خارِجَة الأشْجَعيِّ قال : لمَّا قُتِلَ عُثمانُ رضي الله عنه ، أُشْكِلَتْ عَليَّ الفِتْنَةُ ، فقُلتُ : اللَّهُمَّ أرِني من الحَقِّ أمراً أتَمَسَّكُ به ، فرَأيتُ في النَّوم الدُّنيا والآخِرةَ بينَهُما حائِطٌ ، فهَبَطتُ الحائِطَ ، فإذا بنَفَرٍ ، فقالوا : نَحنُ المَلائِكَةُ ، قُلتُ : فأيْنَ الشُّهَداءُ ؟ قالوا : اصْعَد الدَّرَجاتِ ، فصَعَدتُ دَرَجَةً ثمَّ أُخرَىٰ ، فإذا مُحمَّدٌ وإبْراهيمُ ، صَلَّى اللهُ عَليهِمَا ، وإذا مُحمَّدٌ يقُولُ لإبْراهيمَ : اسْتَغْفِرْ لأُمَّتي ، قال : إنَّكَ لا تَدْري

---

(١) انظر السير : (السَّرَّاج) ١٤/٣٨٨ـ٣٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٣ .

(٢) انظر السير : (العاضد) ١٥/٢٠٧ـ٢١٥ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٢٠ .

(٣) الخَان : موضع بأصبهان .

(٤) انظر السير : (أبو مُوسَى الْمَدينيّ) ٢١/١٥٢ـ١٥٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٠٤ .

ما أَحْدَثوا بَعْدَك ، إنَّهم أَهْرَقُوا دماءَهم ، وقَتَلُوا إمَامَهُم ، ألا فَعَلُوا كمَا فَعَلَ خليلي سَعدٌ ؟ (يَعني ابنَ أبي وَقَّاص) .

قال : قُلتُ : لقَد رَأيتُ رُؤْيا ، فأتَيْتُ سَعداً فقَصَصْتُها عليه ، فمَا أكْثَرَ فَرَحاً ، وقال رضي الله عنه : قد خَابَ مَنْ لَمْ يَكنْ إبْراهيمُ عليه السلام خَليلَه ، قُلتُ : مع أيِّ الطَّائِفتَينِ أنْتَ ؟ قال رضي الله عنه : ما أنا مع واحِدٍ منْهُما ، قُلتُ : فما تَأمُرُني ؟ قال : هَلْ لكَ من غَنَمٍ ؟ قُلتُ : لا ، قال : فاشْتَرِ غَنَماً ، فكُنْ فيها حتىٰ تَنْجَلي[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ثابتِ بنِ قَيْس : ولَمَّا اسْتُشهِدَ رآهُ رَجلٌ : فقالَ : إنِّي لَمَّا قُتلتُ ، انْتَزعَ دِرْعي رَجلٌ من الْمُسلِمينَ ، وخبَّأه ، فأكَبَّ عليه بُرمةً ، وجَعلَ عَليها رَحْلاً ، فأتِ الأميرَ ، فأخبِرْهُ ، وإيَّاك أنْ تَقُولَ : هـٰذا حُلمٌ ، فتُضَيِّعَه ، وإذا أَتيتَ الْمَدينَةَ ، فقُلْ لِخَليفَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ عَليَّ من الدَّينِ كَذا وكَذا ، وغُلامي فُلانٌ عَتيقٌ ، وإيَّاكَ أنْ تَقُولَ : هـٰذا حُلمٌ ، فتُضَيِّعَه ، فأتَاهُ ، فأخْبَرَه الخَبَرَ ، فنَفَّذَ وَصِيَّتَه ، فلا نَعلَمُ أحَداً بعدَ ما ماتَ أُنْفِذَتْ وَصيَّتُه غيرَ ثابتِ بنِ قَيْس رضي الله عنه[2] .

عن العَلاءِ بنِ زِياد قالَ : رَأيتُ النَّاسَ في النَّوْم ، يَتْبَعونَ شَيئاً فتَبِعْتُه ، فإذا عَجُوزٌ كَبيرَةٌ هَتْماءُ عَوْراءُ ، عَليها من كُلِّ حِلْيَة وزِينَة فقُلتُ : ما أنْتِ ؟ قالَت : أنا الدُّنيا قُلتُ : أسْألُ اللهَ أنْ يُبَغِّضَكِ إليَّ ، قالَت : نَعَم ، إنْ أبْغَضْتَ الدَّراهِمَ[3] .

وقالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيْمانَ الضُّبعي : حدَّثنا هِشامُ بنُ زِياد أخُو العَلاءِ ، أنَّ العَلاءَ كانَ يُحْيِي لَيلَةَ الجُمُعَة ، فنَامَ لَيلَةَ جُمُعَةٍ ، فأتَاهُ مَنْ أخَذَ بنَاصِيَتِه ، فقالَ : قُمْ يا ابنَ زِيادٍ ، فاذْكُر اللهَ يَذْكُرْكَ فقامَ ، فمَا زَالَتْ تِلكَ الشَّعراتُ التي أَخَذَها منه قائمَة حتَّىٰ ماتَ .

تُوفِّيَ في أخِرَةِ وِلايَة الحَجَّاج سَنةَ أرْبَع وتِسْعينَ[4] .

---

(١) انظر السير : (سعد بن أبي وقّاص) ١/ ٩٢ـ ١٢٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٦ .
(٢) انظر السير : (ثابتُ بنُ قَيْس) ١/ ٣٠٨ـ ٣١٤ ، وانظر النزهة : ٤/١٦٨ .
(٣) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٧٨ .
(٤) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٧٨ .

قالَ أبو صالح كاتِبُ اللَّيث : حدَّثني يَحْيَىٰ بنُ أيُّوبَ أنَّ رَجُلَين تَآخَيا فتَعاهَدا : إنْ ماتَ أحَدُهما قبلَ الآخَر أنْ يُخبِرَه ما وَجدَ ، فماتَ أحَدُهما ، فرآه الآخَرُ في النَّومِ ، فسَأَلَه عن الحَسَنِ البَصْريِّ ؟ قالَ : ذاكَ مَلكٌ في الجَنَّة لا يُعْصَىٰ ، قالَ : فابنُ سِيرينَ ؟ قالَ : ذاكَ فيما شاءَ اشْتَهَىٰ ، شَتَّان ما بَينهما ، قالَ : فبأيِّ شَيءٍ أدْرَكَ الحَسَنُ ؟ قالَ : بشِدَّة الخَوفِ والحُزْن[1] .

وكانَ الحَكمُ بنُ حَجْل ، صَديقاً لابنِ سِيرينَ ، فحَزن على ابنِ سِيرينَ حتَّىٰ كان يُعادُ ، ثم قالَ : رَأيتُه في الْمَنامِ في حالِ كَذا وكَذا ، فسَألْتُه لَمَّا سَرَّني : ما فَعلَ الحَسَنُ ؟ قال : رُفِعَ فَوْقي سَبعينَ دَرَجَةً ، قُلتُ : بمَ ؟ فقد كُنَّا نَرَىٰ أنَّك فَوقَه قالَ : بطُولِ الحُزْن .

وقد كانَ الأوْزاعيُّ أشارَ عليه يَحْيَىٰ بنُ أبي كَثير ، أنْ يَرتَحلَ إلى البَصْرَة لِلُقِيِّ محمَّدِ بنِ سِيرينَ ، فأتىٰ فوَجدَه في مَرضِ الْمَوتِ ، فعادَه ولَمْ يَسمَعْ منه ، رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ ، وبَلغَني أنَّ اسمَ أُمِّه صَفيَّةُ ، مَوْلاةٌ لأبي بَكر الصِّدِّيق[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مَنْصورِ بنِ الْمُعْتَمِر : وحكايَةُ أبي بَكر الباغندي الحافظ مَشهُورَة ، سَمعناها في مُعجَم الغَسَّاني ، أنَّه كانَ ينتخبُ علىٰ شَيخٍ ، فكانَ يَقُولُ له : كَمْ تُضْجِرُني ؟ أنتَ أكثرُ حَديثاً منِّي وأحفَظُ ، فقالَ : إنِّي قد جِئتُ إلى الحَديثِ ، بحَسْبِكَ أنِّي رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّوم ، فلَمْ أسْألْه الدُّعاءَ ، وإنَّما قُلتُ : يا رَسُولَ الله أيُّما أثْبَتُ في الحَديثِ مَنْصُورٌ أو الأعْمَش فقالَ : مَنْصُورٌ مَنْصُورٌ[3] .

وعن محمَّدِ بنِ فَضَاء ، قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ فقالَ : زُورُوا ابنَ عون فإنَّه يُحبُّ اللهَ ورَسُولَه أو إنَّ اللهَ يُحبُّه ورَسُولَه[4] .

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٧١/٣ .
(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ سِيرين) ٤/٦٠٦ـ ٦٢٢ ، وانظر النزهة : ٥٧١/٤ .
(٣) انظر السير : (مَنْصورُ بنُ الْمُعتَمِر) ٥/٤٠٢ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٦١٨/١ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عون) ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ ، وانظر النزهة : ٦٥٨/٣ .

وقالَ الحَكَمُ بنُ مُوسَىٰ : حدَّثنا الوَليدُ بنُ مُسلِم قالَ : ما كُنتُ أحْرِصُ على السَّماعِ من الأوْزاعيِّ حتَّىٰ رَأيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ والأوْزاعيُّ إلىٰ جَنبه فقُلتُ : يا رَسُولَ الله! عَمَّنْ أحْمِلُ العِلمَ ؟ قالَ : عن هَـٰذا وأشارَ إلى الأوْزاعيِّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : كان الأوْزاعيُّ كَبيرَ الشَّأنِ[١] .

قالَ ابنُ السَّمَّاك : رَأيتُ مِسْعَراً في النَّوم ، فقُلتُ : أيُّ العَمَل وَجَدتَ أنْفَع ؟ قالَ : ذِكْرُ الله ، تُوفِّيَ سَنَةَ خَمسٍ وخَمسينَ ومِئة[٢] .

ورُويَ عن عبدِ القُدُّوسِ بنِ مُحمَّد الحبحابي : سَمعتُ أبي يَقُولُ : لَمَّا ماتَ شُعْبَة أُريتُه بعدَ سَبعَةِ أيَّام ، وهو آخِذٌ بيَدِ مِسْعَر ، وعَليهما قَميصا نُور ، فقُلتُ : يا أبا بِسْطَام! ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : غَفرَ لي قُلتُ : بماذا ؟ قالَ : بِصِدْقي في رِوَايَةِ الحَديثِ ، ونَشْري له ، وأدَائي الأمَانَةَ فيه ، ثم أنْشَأ يَقُولُ[٣] :

حَبَـانِـي إلَـٰهِـي فِـي الجِنَـانِ بِقُبَّـةٍ	لَهَا أَلْفُ بَابٍ من لُجَيْنٍ وَجَوْهَر
شَرَابِي رَحِيقٌ فِي الجِنَانِ وَحِلْيَتِي	مِنَ الذَّهَبِ الإبْرِيزِ وَالتَّاجُ أَزْهَر
وَنَقْلِي[٤] لِثَامُ الحُورِ وَاللهُ خَصَّنِي	بِقَصْـرٍ عَقِيـقٍ تُـرْبَـةُ القَصْـرِ عَنْبَـرُ
وَقَالَ لِيَ الرَّحْمَـٰنُ يَا شُعْبَةُ الَّذِي	تَبَحَّـرَ فِـي جَمْـعِ العُلُـومِ فَـأَكْثَـر
تَنَعَّـمْ بِقُـرْبِـي إِنَّنِـي عَنْـكَ رَاضِـي	وَعَنْ عَبْدِي القَوَّامِ بِاللَّيلِ مِسْعَر
كَفَـىٰ مِسْعَـراً عِـزّاً بِـأَنْ سَيَـزُورُنِـي	فَأَكْشِفُ حُجْبِي ثُمَّ أُدْنيهِ يَنْظُر[٥]

وقالَ حَمَّادُ بنُ سَلمَة : ما كانَ من نِيَّتي أنْ أُحدِّثَ ، حتَّىٰ قالَ لي أيُّوبُ السَّخْتيانيُّ في النَّوْم : حَدِّثْ[٦] .

---

(١) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ١/٦٨٣ .

(٢) انظر السير : (مِسْعَر) ٧/ ١٦٣ـ ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٠ .

(٣) انظر السير : (شُعْبَة) ٧/ ٢٠٢ـ ٢٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/٦٩٤ .

(٤) النقل : ما يُتنقَّلُ به مثل الفستق وما إليهما على الشراب .

(٥) في القصيدة إقواءٌ ظاهرٌ ، وضرورة في قوله : « راضي » .

(٦) انظر السير : (حَمَّادُ بنُ سَلمَة) ٧/ ٤٤٤ـ ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٨/٧١٥ .

وقالَ محمَّدُ بنُ رُمْح : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقُلتُ : يا رسُولَ اللهِ ، إنَّ مَالكاً واللَّيثَ يَختَلِفانِ ، فبأيِّهما آخُذُ ؟ قالَ : مَالِكٌ ، مَالِكٌ[1] .

قال نَصرُ بنُ عليّ الجَهضمي : رأيتُ يَزِيدَ بنَ زُرَيْع في المَنَام ، فقلتُ : ما فَعَلَ الله بك ؟ قال أُدخِلتُ الجَنَّةَ قلتُ : بماذا ؟ قال : بكثرَةِ الصَّلاة .

مَوْلدُه في سَنةِ إحْدَىٰ ومئة ، وماتَ في سَنةِ اثنتَينِ وثَمانينَ ومئة .

وكان من أوْرَعِ أهلِ زَمانِه[2] .

قال مُحمَّدُ بنُ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاض : رَأيتُ ابنَ الْمُبارَك في النَّوم ، فقُلتُ : أيُّ العَمَلِ أَفْضَل ؟ قال : الأمْرُ الذِي كُنْتُ فيه قُلتُ : الرِّبَاطُ والجِهَادُ ؟ قال : نَعَم قُلتُ : فمَا صَنَعَ بك رَبُّك ؟ قال : غَفَرَ لِي مَغْفِرَةً ما بَعْدَها مَغْفِرَة رَوَاها رَجُلانِ عن مُحمَّد[3] .

وعن نَوْفَل قال : رَأيتُ ابنَ المُبارَك في النَّوم ، فقلتُ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قال : غَفرَ لي برِحْلَتي في الحَديث عَليكَ بالقُرآنِ عَليكَ بالقُرآن .

ماتَ سنةَ إحْدىٰ وثمانينَ ومئة[4] .

عن عليِّ بنِ مَعْبَدٍ قال : رَأيْتُ ابنَ القَاسِم في النَّومِ فقُلتُ : كيفَ وجَدتَ المَسَائلَ ؟ فقال : أُفٍّ أُفٍّ قلتُ : فما أَحْسَنُ ما وجَدْتَ ؟ قال : الرِّباطُ بالثَّغْرِ قال : ورَأَيتُ ابنَ وَهْبٍ أَحْسَنَ حالاً منْه[5] .

وعن سُحْنُونَ قالَ : لَمَّا حَجَجْنا كنُت أُزَامِلُ ابنَ وَهْب ، وكانَ أَشْهَبُ يُزامِلُه يَتيمُه ، وكانَ ابنُ القاسِمِ يُزامِلُه ابنُه مُوسَىٰ ، ونَزَلْنا بمَسْجِدٍ ببَعضِ مَدائنِ الحِجَازِ ، فنِمْنَا ، فانتُبَهَ ابنُ القاسِمِ مَذْعوراً ، فقالَ لي : يا أَبَا سَعيد ، رَأيتُ السَّاعَةَ كأنَّ رَجُلاً دَخلَ علينا من بابِ هـٰذا الْمَسجِدِ ، ومَعَه طَبَقٌ مُغَطًّىٰ وفيه رَأسُ خِنْزِيرٍ أَسْأَلُ اللهَ خَيرَها فمَا لَبِثنا

---

(١) انظر السير : (مالكُ الإمام) ٨/ ٤٨-١٣٥ ، وانظر النزهة : ٦/٧٢٩ .

(٢) انظر السير : (يزيد بن زُرَيع) ٨/ ٢٩٦-٢٩٩ ، وانظر النزهة : ٥/٧٥٩ .

(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٧٧١ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٣٧٨-٤٢١ ، وانظر النزهة : ١/٧٧٢ .

(٥) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن القاسم) ٩/ ١٢٠-١٢٥ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٥ .

حتَّىٰ أقْبَلَ رجُلٌ مَعَه طَبقٌ مُغَطَّىٰ بِمِنْديلٍ ، وفيه رُطَبٌ من تَمْر تِلكَ القَريَة ، فجَعلَه بينَ يَدَي ابنِ القاسِم ، وقالَ : كُلْ ، قالَ : ما إلىٰ ذَلكَ من سَبيلٍ فقالَ لي ابنُ القاسِم : هَـٰذا تأويلُ الرُّؤيا وكانَ يُقالُ : إنَّ تِلكَ القَريَةَ أكْثَرُها وَقْفٌ غُصِبَت .

قالَ الحارِثُ بنُ مِسْكين : كانَ ابنُ القاسِم في الوَرَعِ والزُّهْدِ شَيْئاً عَجيباً .

وُلِدَ ابنُ القاسِم سَنَةَ اثنَتَينِ وثَلاثينَ ومئة ، وتُوفِّيَ في سَنَةِ إحْدَىٰ وتِسْعينَ ومئة ، رَحِمَهُ اللهُ ، عاشَ تِسْعاً وخَمسينَ سَنَةً[1] .

قال حُميدُ بنُ الرَّبيع : رَأىٰ حُسينٌ الجُعفيُّ كأنَّ القيامَة قد قامَت وكأنَّ مُنادياً يُنادي : لِيَقُم العُلماءُ ، فيَدخلوا الجَنَّة ، قال : فقاموا وقُمتُ معَهم قِيلَ لي : اجْلِسْ ، لَستَ منهم ، أنتَ لا تُحدِّث ، قال : فلَمْ يزَلْ بعدُ يُحدِّث بعد أنْ كان لا يُحدِّث حتىٰ كَتبنا عنه أكثرَ من عَشرَة آلافِ حَديث .

قال أحمدُ بنُ عبد الله العِجْليّ : حُسَينٌ الجُعفيُّ ثِقَةٌ ، كان يُقرِىءُ القُرآنَ ، رأسٌ فيه ، وكان رجلاً صالحاً ، لمْ أرَ رجلاً قَطُّ أفضَلَ منه .

قال : كان جَميلاً لبَّاساً يَخضبُ وخضابُه إلى الصُّفْرة .

قيلَ : إنَّ مَولَده في سَنة تسع عَشرة ومئة وتُوفي في سنة ثلاثٍ ومئتين ، وله بِضْعٌ وثمانوَن سَنة[2] .

عن أبي عُثمانَ المازِنيِّ قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، فقَرأتُ عليه سُورةَ طَهَ فقُلتُ : ﴿مَكَاناً سِوَىٰ﴾[3] ، فقالَ : اقرأ ﴿سُوى﴾ قِراءَةَ يَعْقوبَ ، (يَعني الحَضْرَميَّ)[4] .

ويُروَىٰ عن أبي سَبرة المَديني قال : قلتُ للقَعْنَبيِّ : حَدَّثتَ ولمْ تَكن تُحدِّث! قال : إنِّي رأيت كأنَّ القيامَة قد قامت ، فصِيحَ بأهْلِ العِلمِ ، فقاموا ، وقُمتُ معهم

---

(١) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بن القاسِم) ٩/ ١٢٠ـ ١٢٥ ، وانظر النزهة : ١/٨٠٦ .

(٢) انظر السير : (الحُسَينُ بن عليّ الجُعفيّ) ٩/ ٣٩٧ـ ٤٠١ ، وانظر النزهة : ٥/٨٣٣ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٥٨

(٤) انظر السير : (يَعقوب) ١٠/ ١٦٩ـ ١٧٤ ، وانظر النزهة : ٢/٨٦٣ .

فنودي بي : فقلتُ : إلٰهي أَلَمْ أَكُنْ أَطْلبُ ؟ قال : بلَىٰ ، ولكنَّهم نَشَروا وأَخْفَيته قال : فحدَّثتُ .

وقال إسماعيلُ القاضي : كان القَعْنَبيُّ من المُجتَهدين في العِبادَة[1] .

وقالَ أبو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ : سَمعتُ الحُسَينَ بنَ عبدش وكانَ ثقَةً ، سَمعتُ محمَّدَ بنَ أَسْلم يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ ، فقُلتُ : عَمَّنْ أكتُبُ ؟ فقالَ : عن يَحْيَىٰ بنِ يَحْيَىٰ .

قالَ خُشْنَامُ بنُ سَعيد : سَمعتُ أحمدَ بنَ حَنْبَل يَقُولُ : كانَ يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ عندي إماماً ، ولَوْ كانَت عندي نَفَقةٌ ، لَرَحلتُ إليه[2] .

قالَ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ أبي الوَرْد : قالَ لي مُؤذِّنُ بِشْرِ بنِ الحارث : رَأيتُ بِشْراً رَحمَهُ اللهُ في الْمَنامِ ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : غَفَرَ لي .

قُلتُ : ما فُعِلَ بأحمَدَ بنِ حَنْبَل ؟ قالَ : غُفِرَ له فقُلتُ : ما فُعِلَ بأبي نَصْر التَّمَّار ؟ قالَ : هَيْهاتَ ، ذاكَ في عِلِّيينَ ، فقُلتُ : بمَاذا نالَ ما لَمْ تَنالاهُ ؟ فقالَ : بِفقْرِهِ وصَبرِهِ علىٰ بُنَيَّاتِه[3] .

قال عبدُ الله بنُ أحمد بنِ حَنْبَل : حَدَّثِني ثابتُ بنُ أحمد بنِ شَبُّويَة قال : كان يُخَيَّلُ إليَّ أنَّ لأبي فَضِيلَةً علىٰ أحمَدَ بنِ حَنْبَل لجِهَادِهِ ، وفِكَاكِ الأسْرَىٰ ، فسَألْتُ أخي عبدَ اللهِ ، فقال : أحمَدُ بنُ حَنْبَل أرْجَحُ ، فلَمْ أقْنَعْ ، فأُريتُ شَيْخاً حَوْلَهُ النَّاسُ ، يَسْألُونَه ، ويَسْمَعُونَ منه ، فسَألتُهُ عنهُما ، فقال : سُبْحانَ اللهِ ! ! ، إنَّ أحمَدَ بنَ حَنْبَلٍ ابتُلِيَ فصَبَر ، وإنَّ ابن شبُّوية عُوفِي ، المُبتَلَى الصَّابرُ كالمُعَافَى ؟ ! ! هَيْهَات[4] .

قال إبراهيمُ الحَربي : حَدَّثنا داودُ بنُ رشيد قال : قمتُ ليلةً أُصَلّي ، فأخَذَنِي البَرْدُ لِمَا أنا فيه من العُريّ ، فأخَذَني النَّومُ ، فرأيتُ كأنَّ قائلاً يقولُ : يا داود ، أنَمْناهم

(١) انظر السير : (القَعْنبيُّ) ١٠/ ٢٥٧ـ ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٥ .
(٢) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ) ١٠/ ٥١٢ـ ٥١٩ ، وانظر النزهة : ٢/٨٨٩ .
(٣) انظر السير : (أبو نَصْر التَّمَّار) ١٠/ ٥٧١ـ ٥٧٤ ، وانظر النزهة : ٦/٨٩٤ .
(٤) انظر السير : (ابن شَبُّوية) ١١/ ٧ـ ٩ ، وانظر النزهة : ٣/٩٠٥ .

وأقْمَناكَ فتبكي علينا ؟ قال الحَربيُّ : فأظُنُّ داودَ ما نامَ بعدها ، يَعنِي : ما تركَ تَهَجُّد الليل[١] .

وعن عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ حَنْبَل ، سَمعتُ أبي ، يقولُ : رَأيتُ رَبَّ العِزَّة في المَنام ، فقُلتُ : يا رَبِّ ، ما أفْضَل ما تَقرَّبَ به إليكَ المُتقرِّبون ؟ قال : بكَلامي يا أحمَد قلتُ يا رَبِّ ، بفَهْمٍ ، أوْ بِغَير فَهْم ؟ قال : بفَهْم وبغَير فَهْم[٢] .

وذَكرَ شَيخُ الإسْلامِ بإسنادٍ طَويلٍ عن محمَّد بنِ يَحْيَى الرَّملي قاضي دِمَشْقَ قالَ : دَخلتُ العِراقَ والحِجازَ ، وكَتَبتُ ، فمن كَثرَة الاخْتلافِ لَمْ أدرِ بأيِّها آخُذ ، فقُلتُ : اللَّهُمَّ اهْدِني ، فنِمتُ ، فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وقد أسْنَدَ ظَهرَه إلى الكَعبَةِ ، وعن يَمينِه الشَّافِعيُّ ، وأحمَدُ بنُ حَنْبَل ، وهو يَتَبسَّمُ إليهما فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ، بم آخُذ ؟ فأوْمَأ إلى الشَّافِعيِّ وأحمَد وقالَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾[٣] ،[٤] .

قال البغويُّ : سَمعتُ عُبيدَ الله القواريري يقول : لم تكنْ تَفُوتُني صلاةُ العَتَمَة في جماعة فنزل بي ضيفٌ ، فشُغلتُ به فخرجتُ أطلبُ الصَّلاةَ في قبائلِ البَصْرَة ، فإذا النَّاسُ قد صَلَّوا فقلتُ في نفسي يُروَىٰ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاةُ الجَميع تَفْضُلُ صَلاةَ الفَذِّ إحْدَىٰ وعشرين دَرَجَةً » ، ورُويَ « خَمْساً وعشرين دَرَجَةً » ، ورُويَ « سَبْعَاً وعشرين » فانقلبتُ إلىٰ مَنزِلي ، فصَلَّيْتُ العَتَمَةَ سَبْعَاً وعشرين مرةً ، ثم رقدتُ فرأيتُنِي مع قومٍ راكبي أفراسٍ ، وأنا راكبٌ ونحن نَتَجَارىٰ وأفراسُهم تَسْبقُ فَرَسي ، فجعلتُ أضربُه لألحَقَهُم ، فالتفَتَ إليَّ آخرُهم فقال : لا تُجْهِد فَرَسَك فلسْتَ بلاحِقِنا قال : فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : لأنَّا صَلَّينا العَتَمَةَ في جماعة[٥] .

قالَ الحُسَينُ بنُ مُصْعَب : حدَّثنا محمَّدُ بنُ مَنْصُور الطُّوسيُّ ، قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ

---

(١) انظر السير : (داود بن رشيد) ١/١٣٣ـ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٩١٦ .
(٢) انظر السير : (أحمد بن حَنبَل) ١١/١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥١ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٨٩ .
(٤) انظر السير : (أحمد بن حَنبَل) ١١/١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٥١ .
(٥) انظر السير : (القواريري) ١١/٤٤٢ـ٤٤٦ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٩ .

صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، فقُلتُ : مُرني بشَيء حتَّىٰ أَلْزَمَه قالَ : عَليكَ باليَقينِ[1] .

قال خالدُ بنُ عبدِ الله المَرْوَزِيُّ ، سَمعتُ أبا سَهْل محمَّدَ بنَ أحمَدَ المَرْوَزِيَّ ، سَمعتُ أبا زَيْد المَرْوَزِيَّ الفَقيهَ يقولُ : كُنتُ نائماً بين الرُّكنِ والمَقام فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا أبا زَيْد ، إلىٰ مَتىٰ تَدْرُسُ كتابَ الشَّافعي ، ولا تَدرُسُ كتابي ؟ فقُلتُ : يا رسُولَ الله ، وما كتابُك ؟ قال : « جامِعُ » مُحمَّد بن إسْماعيل[2] .

تُوفِّيَ أبو زُرْعَةَ الرَّازي ، في آخِرِ يَومٍ من سَنةِ أرْبَعٍ وستِّينَ ومئَتين ، ومَوْلِدُه كان في سَنةِ مئتَين وذَكرَ إبْراهيمُ بنُ حَرْب العَسْكري أنَّه رَأىٰ أبا زُرْعَةَ الرَّازي ، وهو يَؤمُّ الْمَلائكَةَ في السَّماءِ الرَّابِعَة ، فقُلتُ : بِمَ نِلتَ هـٰذه الْمَنزِلَة ؟ قالَ : برَفْعِ اليَدَينِ في الصَّلاة عندَ الرُّكوعِ ، وعندَ الرَّفْعِ منه[3] .

وقالَ محمَّدُ بنُ عَليِّ بنِ الهَيْثم الفَسَويُّ : لَمَّا قَدِمَ حَمدُونُ البَرْذَعيُّ علىٰ أبي زُرْعَة ، لِكتابَة الحَديثِ ، دَخلَ ، فرَأىٰ في دَارِه أوَانيَ وفُرُشاً كَثيرَة ، وكان ذلك لأخيه ، قالَ : فهَمَّ أنْ يَرجِعَ ولا يَكتُب ، فلمَّا كانَ من اللَّيلِ ، رَأى كأنَّه علىٰ شَطِّ بِرْكَة ، ورَأىٰ ظِلَّ شَخصٍ في الْمَاءِ ، فقالَ : أنتَ الذي زَهدتَ في أبي زُرْعَة ؟ أمَا عَلمْتَ أنَّ أحمَدَ بنَ حَنْبَل كانَ من الأبْدالِ ، فلمَّا مَاتَ أبْدلَ اللهُ مَكانَه أبا زُرْعَة[4] .

عن مُحمَّد بنِ عليٍّ المادَرائي قالَ : كُنتُ أجْتازُ بقَبْرِ ابنِ طُولونَ فأرَىٰ شَيخاً مُلازِماً له ، ثمَّ لمْ أرَه مُدَّة ، ثم رَأيتُه فسَألتُه ، فقالَ : كان له عليَّ أيادٍ ، فأحْبَبتُ أنْ أصِلَه بالتِّلاوَة قالَ : فرَأيتُه في النَّومِ يقولُ : أحبُّ أنْ لا تَقرأَ عندي ، فما تَمرُّ بي آية إلاَّ قُرِّعْتُ بها ، ويُقالُ لي : أما سَمعتَ هـٰذه ؟

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ مَنْصُور) ١٢/ ٢١٢ـ ٢١٤ ، وانظر النزهة : ٩٩٤/ ٥ .
(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٥ .
(٣) انظر السير : (أبو زُرْعَة الرَّازي) ١٣/ ٦٥ـ ٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٣ .
(٤) انظر السير : (أبو زُرْعَة الرَّازي) ١٣/ ٦٥ـ ٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٣ .

تُوفِّي أحمدُ بمِصْرَ سَنةَ سَبعينَ ومِئتين .

وقامَ بعدَه ابنُه خُمارَوَيْه ، ثمَّ جَيْشُ بنُ خُمارَوَيْه ، ثم أخُوهُ هارُون[1] .

ورُويَ عن محمَّدِ بنِ نَصْر الْمَرْوزيِّ أنَّه قالَ : لَمْ يَكُنْ لي حُسْنُ رَأيٍ في الشَّافعيِّ ، فبَينا أنا قاعِدٌ في مَسجِدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، أغْفَيتُ ، فرَأيتُ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم ، في الْمَنام فقُلتُ : يا رَسُولَ الله! أكتبُ رأيَ الشَّافعيِّ ؟ فطَأطَأ رَأسَه شِبهَ الغَضْبانِ وقالَ : تَقُولُ رَأي ؟ لَيسَ هو بالرَّأي ، هو رَدٌّ علىٰ مَنْ خالَف سُنَّتي فخَرجتُ في أثرِ هٰذه الرُّؤيا إلىٰ مِصْرَ ، فكَتَبتُ كُتبَ الشَّافعيِّ[2] .

قالَ الوَزيرُ أبو الفَضْل محمَّدُ بنُ عُبَيدِ الله البَلعَمِيّ : سَمعتُ الأميرَ إسْماعيلَ بنَ أحمَدَ يَقولُ : كُنتُ بسَمَرْقَندَ ، فجَلستُ يوماً للمَظالِم ، وجَلسَ أخي إسْحاقُ إلىٰ جَنبي ، إذْ دَخلَ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ نَصْر ، فقُمتُ له إجْلالاً للعِلمِ ، فلمَّا خَرجَ عَاتَبَني أخي وقالَ : أنتَ وَالِي خُراسانَ تَقومُ لرَجلٍ من الرَّعيَّة ؟ هٰذا ذَهَابُ السِّياسَة ، قالَ : فبتُّ تلكَ الليلةَ وأنا مُتَقسِّمُ القَلبِ ، فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنام ، كأنِّي وَاقفٌ مع أخي إسْحاقَ ، إذْ أقبلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فأخَذَ بعَضُدي فقالَ لي : ثَبَتَ مُلْكُكَ ومُلكُ بَنيكَ بإجْلالِكَ محمَّدَ بنَ نَصْر ، ثم التَفتَ إلىٰ إسْحاقَ ، فقالَ : ذَهبَ مُلكُ إسْحاقَ ، ومُلكُ بَنيه باسْتِخْفافِه بمحمَّد بنِ نَصْر .

وماتَ بعدَ أيَّام قَلائل من مَوْتِ صالِح بنِ محمَّد جَزَرَة ، وذلك سَنةَ أرْبَعٍ وتِسْعينَ ومِئتين[3] .

وقال الخلديّ : رأيتُ أحمدَ بنَ محمد البغَويّ الزَّاهد في النَّوم ، فقلتُ : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : طاحَت تلكَ الإشارات وغابَت تلكَ العِبَارات ، وفَنِيَت تلكَ العُلوم ، ونَفِدَت تلكَ الرُّسُوم ، وما نَفَعَنا إلاَّ رَكَعاتٌ كُنَّا نَركَعُها في الأَسحار[4] .

---

(١) انظر السير : (أحمد بن طُولون) ١٣/ ٩٤ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٥٦ .
(٢) انظر السير : (محمَّد بن نَصْر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٦ .
(٣) انظر السير : (محمَّد بن نَصْر) ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ ، وانظر النزهة : ٥/١١٢٦ .
(٤) انظر السير : (البغوي) ١٤/ ٧٠ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣٥ .

وجاء في تَرجمة عليِّ بنِ أبي طاهِر قال الذَّهبيُّ : وثَّقَه الخَليليُّ ، قال : سَمعتُ الحَسنَ بنَ أحمد بنِ صالح يَحْكي عن سُليمانَ بنِ يَزيد : أنَّ عليَّ بنَ أبي طاهر لمَّا رَحلَ إلى الشَّام ، وكَتبَ الحَديثَ جَعلَ كُتبَه في صُندوقٍ ، وقَيَّرَه ورَكبَ البَحرَ ، فاضْطَربَت السَّفينةُ وماجت ، فألْقَى الصُّندوقَ في البَحرِ ، ثم سَكنَتِ السَّفينَةُ ، فلمَّا خَرجَ منها أقامَ على السَّاحلِ ثلاثاً يَدعُو اللهَ ، ثم سَجدَ في اللَّيلَة الثَّالِثَة ، وقال : إنْ كان طَلَبي ذلك لوَجْهك وحبِّ رسُولِك ، فأغِثْني بردِّ ذلك ، فرفَعَ رأسَه ، فإذا بالصُّندوقِ مُلقَىٰ عندَه ، فقَدمَ ، وأقامَ بُرْهَة ، ثم قَصَدوه لسَماع الحَديثِ فامْتَنَع منه وقال فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، في مَنامي ، ومَعه عليٌّ رضي الله عنه ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يا عَليُّ مَنْ عامَلَ الله بما عامَلَكَ به علىٰ شَطِّ البَحْر ؟!! ، لا تَمتَنِعْ من رِوايَة أحاديثي » قال : فقُلتُ : قد تُبتُ إلى الله ، فدَعا لي وحَثَّني على الرِّوايَة .

ماتَ عليُّ بنُ أبي طاهِر سنة نيِّف وتسعين ومئتين ، رَحمَه الله[1] .

قال ابنُ قانِع : سَمعتُ عيسىٰ بنَ محمّد الطَّهمانيَّ ، سَمعتُ الأميرَ إسْماعيلَ يقولُ : جاءَنا أبُونا بمؤدِّبٍ ، فعلَّمنا الرَّفْضَ ، فنِمتُ ، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ومَعه أبو بَكر وعُمر ، رَضي الله عَنهما ، فقال لي : « لِمَ تَسُبُّ صَاحِبَيَّ ؟ » فوقَفتُ ، فقال لي بيَدِه فنَفَضَها في وَجْهي فانتُبهتُ فَزِعاً أرْتَعدُ من الحُمَّىٰ ، فكُنتُ على الفِراشِ سَبعَة أشْهُر ، وسَقطَ شَعْري ، فدخَلَ أخي ، فقال : أيش قِصَّتُك ؟ فأخْبَرتُه ، فقال : اعْتَذِرْ إلىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فاعتذَرتُ وتُبتُ ، فما مَرَّ لي إلاَّ جُمُعَة حتىٰ نَبَتَ شَعْري .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ : كان هو وآباؤُه مُلوكَ بُخارَىٰ وسَمَرْقَند ، وله غَزَواتٌ في التُّرْك ، وهو الذي ظَفِرَ بعَمرو بنِ اللَّيثِ وأسَره ، فجاءَه من المُعْتضِد التَّقليدُ بولاية خُراسان وما يَليها ، وكانت سَلطَنتُه مدّة سَبع سِنين .

تُوفِّيَ ببُخارَىٰ سنة خمس وتسعين ومئتين ، فتملَّكَ بعدَه ابنُه أحمد .

---

(١) انظر السير : (عليُّ بن أبي طاهر) ١٤/ ٨٧ـ ٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/١١٣٥ .

وماتَ ابنُه السُّلطانُ أبو نَصْر أحمدُ سنةَ إحْدىٰ وثلاثِ مئَة ، قَتَلَه مَماليكُه ، ثم مَلَّكُوا وَلَدَه نصراً ، فدامَ ثلاثينَ عاماً ، فأحْسَنَ السِّيرَة ، وعَظُمَتْ هَيبَتُه[1] .

قال الحاكمُ : سَمعتُ الشيخَ أبا بكر الصّبغيّ يقولُ : رأيتُ في مَنَامي كأنِّي في دارٍ فيها عُمَرُ بنُ الخطَّاب ، وقد اجتمَعَ النَّاسُ عليه يَسألونَه المَسَائلَ ، فأشَارَ إليَّ : أنْ أُجيبَهم ، فما زِلتُ أُسأَلُ وأُجيبُ وهو يقولُ لي : أَصَبتَ امضِ ، أَصَبتَ امضِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، ما النَّجَاةُ من الدُّنيا أو المَخرَجُ منها ؟ فقال لي بإصْبعه : الدعاء ، فأعدتُ عليه السُّؤالَ فجمَعَ نفسَه كأنَّه ساجِدٌ لخُضُوعِه ثم قال : الدعاء[2] .

قال عبدُ الله بنُ محمّد بنِ أسد ، سَمعتُ حَمزةَ الكِناني يقولُ : خَرَّجتُ حَديثاً واحداً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم من نحو مِئتَي طَريق ، فداخَلَني لذلك من الفَرَح غيرُ قليل ، وأُعْجِبتُ بذلك ، فرَأيتُ يَحيَىٰ بنَ مَعين في المَنام ، فقُلتُ : يا أبا زكريّا ، خرَّجتُ حَديثاً من مِئتَي طَريق ، فسَكتَ عنِّي ساعَةً ، ثم قالَ : أَخْشَىٰ أنْ تَدخُلَ هٰذه تحتَ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[3] ،[4] .

قالَ أبو عبدِ الله بنُ مَنْدَة : سَمعتُ حَمزَةَ بنَ مُحمَّد الحافِظَ يَقُولُ : كُنتُ أَكْتُبُ الحَديثَ ، فلا أَكْتُبُ (وسَلَّمَ) بعدَ (صَلَّى اللهُ عليه) فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ ، فقالَ لي : أمَا تَختِمُ عليَّ في كتابِك !! ؟[5] .

قالَ الحاكِمُ : وسَمعتُ أبا الفَضْلِ السُّليْمانيَّ ـ وكان صالحاً ـ يَقُولُ : رَأيتُ أبا مُحمَّدٍ الْمُزَنِيَّ في الْمَنام بعدَ وَفاتِه بلَيْلَتَينِ ، وهو يَتَبَخْتَرُ في مِشيَتِه ويَقُولُ بصَوتٍ عالٍ : ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[6] ،[7] .

---

(١) انظر السير : (صاحب خُراسان) ١٤/ ١٥٤ـ ١٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/١١٣٩ .
(٢) انظر السير : (الصبغيّ) ١٥/ ٤٨٣ـ ٤٨٨ ، وانظر النزهة : ٦/١٢٥٠ .
(٣) سورة التكاثر ، الآية : ١ .
(٤) انظر السير : (حَمزَة بن محمّد الكِنانيّ) ١٦/ ١٧٩ـ ١٨١ ، وانظر النزهة : ٣/١٢٨٠ .
(٥) انظر السير : (حَمزَة بن محمّد الكِنانيّ) ١٦/ ١٧٩ـ ١٨١ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٨٠ .
(٦) سورة القصص ، الآية : ٦٠ .
(٧) انظر السير : (المْغفَّليُّ) ١٦/ ١٨١ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٨٢ .

وقيلَ للصَّاحِبِ إسْماعيلَ بنِ عَبَّاد : أنتَ رَجلٌ مُعتَزليٌّ وابنُ الْمُقرِىء مُحدِّثٌ ، وأنتَ تُحبُّه! قالَ : لأنَّه كانَ صَديقَ وَالِدي ، وقد قيلَ : مَوَدَّة الآباءِ قَرابَةُ الأبْناءِ ، ولأنِّي كُنتُ نائماً فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ يَقُولُ لي : أنتَ نائمٌ ووَليٌّ من أوْلياءِ اللهِ علىٰ بابِك ؟! فانتَبهتُ ودَعَوتُ وقُلتُ : مَنْ بالبَابِ ؟ فقالَ : أبو بَكر بنُ الْمُقرِىء[1] .

وكانَ ابنُ سَمْعُونَ في أوَّلِ أمْرِه يَنْسَخُ بالأُجرَة ، ويُنفِقُ علىٰ نَفسِه وأُمِّه ، فقال لها يَوماً : أُحِبُّ أنْ أحُجَّ ، قالَت : وكَيفَ يُمكنُك ؟ فغلَبَ عليها النَّومُ ، فنامَت وانتَبَهت بعد ساعَة ، وقالَت : يا وَلَدي حُجَّ ، رَأيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في النَّومِ يَقُولُ : دَعيه يَحُجُّ فإنَّ الخيرَ له في حَجِّه ، ففَرِحَ وباعَ دَفاتِرَه ، ودَفَع إليها من ثَمنِها ، وخَرجَ مع الوَفدِ ، فأخَذَت العَرَب الوَفدَ ، قالَ : فبَقيتُ عُرياناً ، فجَعلتُ إذا غَلَبَ عليَّ الجُوعُ ووَجَدتُ قَوماً من الحُجَّاجِ يَأكُلونَ وَقفتُ ، فيَدفَعُونَ إليَّ كِسْرَةً فأقْتَنعُ بها ، ووَجَدتُ مع رَجُلٍ عَباءَةً فقُلتُ : هَبْهَا لي اسْتَترُ بها ، فأعْطَانيها وأحْرَمتُ فيه ، ورَجعتُ وكانَ الخَليفَةُ قد حَرَّمَ جاريَةً وأرادَ إخْراجَها من الدَّارِ قالَ السُّنيُّ : فقالَ الخَليفَةُ : اطْلُبوا رَجُلاً مَسْتُوراً يَصلُحُ أنْ تُزَوَّجَ هـٰذه الجاريَةُ به فقيلَ : قد جاءَ ابنُ سَمعونَ ، فاستَصْوَبَ الخَليفَةُ ذلك ، وزَوَّجَه بها ، فكانَ يَعِظُ ويَقُولُ : خَرجتُ حَاجّاً ، ويَشرَحُ حالَه ويَقُولُ : ها أنا اليَومَ عليَّ من الثِّيابِ ما تَرَوْن ! !

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : كانَ فاخِرَ الْمَلبُوس[2] .

وقال أبو محمد الجَوْهَريّ : سَمعتُ أخي الحُسَين يقول : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المَنام ، فقلتُ : يا رسولَ الله قد اختلفَتْ عليَّ المَذاهِب ، فقال : عليكَ بابن بطَّة فأصْبَحتُ ولبستُ ثيابي ، ثم أصعدتُ إلىٰ عُكبراً ، فدخلتُ وابنُ بطَّة في المسجدِ فلمّا رآني قال لي : صَدقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، صَدقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر السير : (ابنُ المُقْرىء) ١٦/ ٣٩٨ـ ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ١/١٣٠١ .
(٢) انظر السير : (ابنُ سَمْعُون) ١٦/ ٥٠٥ـ ٥١١ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٠٩ .

وكان مُسْتجابَ الدَّعْوَة .

قال الذهبيُّ : لابنِ بَطَّة مع فَضلِه أوْهامٌ وغلط[1] .

وقالَ الحَسَنُ بنُ أشْعَث القُرَشيُّ : رَأيتُ الحاكِمُ في الْمَنامِ على فَرَسٍ في هَيئَةٍ حَسَنة وهو يَقُولُ : النَّجاة ، فقُلتُ له : أيُّها الحاكِمُ! في ماذا ؟ قالَ : في كِتْبَةِ الحَديثِ[2] .

وقالَ غَيرُ واحد : سَمعْنا أبا الطَّيِّبِ الطَّبَريَّ يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، فقُلتُ : يا رَسُولَ الله : أرَأيتَ مَنْ رَوَىٰ أنَّكَ قُلتَ : « نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي ، فوَعَاهَا » أحَقٌّ هو ؟ قالَ : نَعَم[3] .

وقال شَيخُ القُضاةِ أبو عليٍّ إسْماعيلُ بنُ البَيْهَقيّ : حدَّثنا أبي قال : حين ابْتدأتُ بتَصنيفِ هٰذا الكتاب ـ يَعني كتابَ « المَعْرِفَة في السُّنَن والآثار » ـ وفَرغْتُ من تَهْذيبِ أجْزاءٍ منه ، سَمعتُ الفَقيهَ محمّدَ بنَ أحمد ـ وهو من صالِحي أصْحابي وأكثرِهم تِلاوَةً وأصْدَقِهم لَهْجَةً ـ يقولُ : رأيتُ الشَّافعيَّ ـ رَحمَه اللهُ ـ في النَّومِ ، وبيَدِهِ أجْزاءٌ من هٰذا الكتابِ وهو يقولُ : قد كَتَبتُ اليومَ من كتابِ الفقيه أحمدَ سَبعةَ أجْزاء ـ أو قال : قَرأتُها ـ ورآه يَعْتدُّ بذلك قال : وفي صَباح ذلك اليوم رأىٰ فَقيهٌ آخَر من إخْواني الشَّافعيَّ قاعداً في الجامع علىٰ سَرير وهو يَقولُ : قد اسْتَفدتُ اليومَ من كتابِ الفَقيه حَديثَ كذا وكذا[4] .

وأخْبَرنا أبي قال : سَمعتُ الفَقيهَ أبا محمّد الحَسَنَ بنَ أحمد السَّمَرْقَنديَّ الحافِظَ يقولُ : سَمعتُ الفَقيهَ محمّدَ بنَ عبد العَزيز المَرْوَزِيَّ يقولُ : رَأيتُ في المَنام كأنَّ تابُوتاً عَلا في السَّماء يَعْلُوه نورٌ ، فقُلتُ : ما هٰذا ؟ قال : هَٰذه تَصانيفُ أحمَدَ البَيْهَقيّ .

قال الإمامُ الذهبيُّ : هٰذه رُؤيا حَقٌّ ، فتَصانيفُ البَيْهَقيِّ عَظيمةُ القَدْرِ ، غَزيرةُ

---

(١) انظر السير : (ابن بَطَّة) ١٦/ ٥٢٩ـ٥٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١٣١٤ .

(٢) انظر السير : (الحاكم) ١٧/ ١٦٢ـ ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٣٢ .

(٣) انظر السير : (أبو الطيِّب الطَّبَري) ١٧/٦٦٨ـ ٦٧١ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٧٣ .

(٤) انظر السير : (البَيْهَقيّ) ١٨/ ١٦٣ـ ١٧٠ ، وانظر النزهة : ١/١٣٩٤ .

الفَوائد ، قَلَّ من جَوَّدَ تَواليفَهُ مثلُ الإمام أبي بَكر ، فيَنْبَغي للعالِمِ أنْ يَعْتَني بهَؤلاء سيَّما « سُنَنَه الكبير » .

وقال الإمامُ الذهبيُّ : وبَلَغَنا عن إمام الحَرَمَينِ أبي المَعالي الجُوينيّ قال : ما من فَقيهٍ شَافعيٍّ إلاَّ وللشَّافعيِّ عليه مِنَّةٌ إلاَّ أَبا بَكر البَيْهَقيِّ ، فإنَّ المِنَّةَ له على الشَّافعيِّ لتَصانيفِه في نُصْرَةِ مَذْهَبه .

قال الإمامُ الذهبيُّ : أصابَ أبو المَعالي هكذا هو ، ولوْ شاءَ البَيْهَقيُّ أنْ يَعمَلَ لنفسِه مَذهَباً يَجتهدُ فيه ، لكان قادراً علىٰ ذلك ، لسِعَة عُلومِه ، ومَعرفَتِه بالاخْتلافِ ، ولهذا تَراهُ يُلَوِّحُ بنَصر مَسائلَ ممَّا صَحَّ فيها الحَديثُ ولمَّا سَمعوا منه ما أَحَبُّوا في قَدْمَتِه الأخيرة ، مَرِضَ ، وحَضرت المَنيَّةُ ، فتُوفِّي سَنة ثمانٍ وخَمسينَ وأَرْبع مئة ، فغُسِّلَ وكُفِّنَ وعُملَ له تابُوتٌ ، فنُقِلَ ودُفِنَ ببَيْهَق عاشَ أربعاً وسَبعينَ سنةً[1] .

وقال السَّمْعانيُّ : سَمعتُ الحَسَنَ بنَ محمد بنِ الرِّضى العَلويّ يقول : سَمعتُ خالي أبا طالب بنَ طَباطبا يقولُ : كنتُ أَشْتُمُ أبداً عبدَ الرحمَـٰن بنَ مَنْدَه ، فسافرتُ إلىٰ جَرْباذَقان[2] ، فرأيتُ أميرَ المؤمنين عُمرَ في النَّومِ ويدُه في يد رجلٍ عليه جُبَّةٌ زَرْقاء ، وفي عَيْنَيه نكتةٌ ، فسلمتُ عليه فلم يرُدَّ عليَّ ، وقال تَشتُمُ هـٰذا فقيلَ لي في المَنام : هـٰذا عُمرُ وهـٰذا عبدُ الرحمَـٰن بنُ مَنده فانتبَهتُ ، ثم رجعتُ إلىٰ أصْبَهان ، وقَصَدتُ عبدَ الرحمـٰن ، فلمَّا دخَلتُ عليه ، صادَفتُه كما رأيتُه في النَّوم ، فلمَّا سَلَّمتُ عليه قال : وعليكَ السَّلامُ يا أبا طالب وقَبلَها ما رآني ، ولا رأيتُه ، فقال لي قبلَ أن أُكلِّمَه : شيءٌ حَرَّمَه الله ورسُوله يَجوزُ لنا أن نُحِلَّه ؟ فقلتُ : اجْعَلني في حِلٍّ ، وناشَدْتُه اللهَ وقَبَّلتُ عَيْنَيْه ، فقال : جعلتُكَ في حِلٍّ فيما يَرجعُ إليَّ .

وعن صاعد بنِ سيّار ، سَمعتُ الإمام أبا إسماعيلَ الأنصاريَّ يقولُ في عبدِ الرحمَـٰن بنِ مَنده : كانت مَضرَّته أكثرَ من مَنْفَعَته في الإسْلام .

وقال الذهبيُّ : أَطْلَقَ عِباراتٍ بَدَّعَه بَعضُهم بها ، اللهُ يُسامحُه ، وكان زَاعِراً علىٰ

---

(١) انظر السير : (البَيْهَقيّ) ١٨/ ١٦٣ـ ١٧٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٣٩٤ .

(٢) بلدة قريبة من هَمَذان.

مَنْ خالَفَه ، فيه خارجيَّةٌ ، وله مَحاسِنُ ، وهو في تَواليفِه حاطِبُ ليلٍ ، يَرْوي الغَثَّ والسَّمين ، ويَنظِمُ رَديءِ الخَرَزِ مع الدُّرِّ الثمين .

ماتَ سَنة سبعين وأربع مئة ، وشَيَّعَه عالَمٌ لا يُحْصَوْن[1] .

وعن ثابتِ بنِ أحمَد قال : رَأيتُ أبا القاسِم الزَّنْجانيّ في النَّومِ يقولُ لي مرَّةً بعد أُخرىٰ : إنَّ الله يَبني لأهْلِ الحَديث بكلِّ مَجلِسٍ يَجْلِسونَه بَيْتاً في الجَنَّة[2] .

وحُكِيَ عن أبي إسْحاقَ الشِّيرازيِّ أنَّه قالَ : كُنتُ نائماً ببَغْدادَ ، فرَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ومَعَه أبو بَكر وعُمَر ، فقُلتُ : يا رَسُولَ الله! بَلَغني عَنكَ أحَاديثُ كَثيرَة عن ناقِلي الأخْبَارِ ، فأُريدُ أنْ أسْمَعَ مِنكَ حَديثاً أتَشرَّفُ به في الدُّنيا ، وأجْعَلَه ذُخراً للآخِرَة ، فقالَ لي : يا شَيخُ! - وسَمَّاني شَيْخاً ، وخاطَبَني به ، وكانَ يَفرَحُ بهٰذا - قُلْ عَنِّي : « مَنْ أرَادَ السَّلامَةَ ، فَلْيَطْلُبْهَا في سَلامَةِ غَيرِه »[3] .

وقالَ الحافِظُ ابنُ عَساكِر : كانَ الحُمَيديُّ أوْصَىٰ إلى الأجَلِّ مُظَفَّرِ ابنِ رَئيسِ الرُّؤساء أنْ يَدفِنَه عندَ بِشْرٍ ، فخالَفَ ، فرآهُ بعدَ مُدَّة في النَّومِ يُعاتِبُه ، فنَقَلَه في صَفَرَ سَنَةَ إحْدَىٰ وتِسْعينَ ، وكانَ كَفَنُه جَديداً ، وبَدَنُه طَرِيّاً يَفوحُ منه رَائحَةُ الطِّيبِ ، رَحِمَهُ اللهُ ووَقَفَ كُتُبَه[4] .

قال السَّمْعانيُّ : رُؤيَ أبو مَنْصور الخيَّاط بعدَ مَوْتِه ، فقال : غَفَرَ اللهُ لي بتَعْليمي الصِّبْيانَ الفاتِحَة .

ماتَ سنةَ تسع وتسعين وأربع مئة[5] .

وقالَ القاضي عِياض في « الْمَدارِك » : الْمَازِرِيُّ يُعرَفُ بالإمام ، نَزيلُ الْمَهدِيَّة قيلَ : إنَّه رَأىٰ رُؤيا ، فقالَ : يا رَسُولَ الله ، أحَقٌّ ما يَدعُونَني به ؟ إنَّهم يَدعُونَني

---

(١) انظر السير : (ابنُ مَندَه) ١٨/ ٣٤٩ـ ٣٥٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٢٠ .

(٢) انظر السير : (الزَّنْجانيّ) ١٨/ ٣٨٥ـ ٣٨٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٢٣ .

(٣) انظر السير : (أبو إسْحاق الشِّيرازيُّ) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٢٩ .

(٤) انظر السير : (الحُمَيْديُّ) ١٩/ ١٢٠ـ ١٢٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٦٩ .

(٥) انظر السير : (الخيَّاط) ١٩/ ٢٢٢ـ ٢٢٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٧٣ .

بالإمامِ ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : وَسِّعْ صَدرَكَ لِلْفُتيا .

ثم قالَ : هو آخِرُ الْمُتكَلِّمينَ من شُيوخِ إفْريقيَة بتَحْقيق الفِقْه ورُتْبَة الاجْتِهادِ ودِقَّة النَّظَر ، وإليه كان يُفزَعُ في الفُتيا في الفِقْه ، وكانَ حَسَنَ الخُلُق ، مَليحَ الْمُجالَسَة ، كَثيرَ الحِكايَة والإنْشادِ ، وكانَ قَلمُه أبْلَغَ من لِسَانِه .

ولِصاحِبِ الترجَمَة تأليفٌ في الرَّدِّ علىٰ « الإحْياء » وتَبيينِ ما فيه من الوَاهي والتَّفَلسُف ، أنْصَفَ فيه ، رَحمَهُ الله(١) .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ ناصِر : أنبَؤونا عن ابنِ النَّجّار قالَ : قَرأتُ بخَطِّ ابنِ ناصِر السَّلاميِّ وأخبَرنيه عنه سَماعاً يَحيَىٰ بنُ الحُسَين قالَ : بَقيتُ سِنينَ لا أدخُلُ مَسجِدَ أبي مَنْصُور الخَيَّاط ، واشْتَغلتُ بالأدَبِ على التَّبْريزيِّ ، فجِئتُ يوماً لأقْرأ الحَديثَ على الخَيَّاطِ ، فقالَ : يا بُنيَّ ، تَركتَ قراءَةَ القُرآن ، واشْتَغلتَ بغَيرِه ؟! عُدْ ، واقْرأ عليَّ لِيَكُونَ لكَ إسْنادٌ ، فصَعدتُ إليه في سَنة اثنَتَين وتِسْعينَ ، وكُنتُ أقُولُ كَثيراً : اللَّهُمَّ بيِّن لي أيُّ الْمَذاهِبِ خَيرٌ ، وكُنتُ مِراراً قد مَضَيتُ إلى القَيْروانيِّ الْمُتكلِّم في كتابِ « التَّمْهيد » للباقِلاّني وكأنَّ مَنْ يَردُّني عن ذلك قالَ : فرَأيتُ في الْمَنامِ كأنِّي قد دَخلتُ الْمَسجدَ إلى الشَّيخِ أبي مَنْصُور ، وبجَنبِه رَجلٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ورِدَاءٌ علىٰ عَمامَتِه يُشبِهُ الثِّيابَ الرِّيفيَّة ، دُريُّ اللَّونِ ، عليه نُورٌ وبَهاءٌ ، فسَلَّمتُ وجَلَستُ بين أيْديهِما ، ووَقَع في نَفسي للرَّجُلِ هَيبَة وأنَّه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا جَلستُ الْتَفتَ إليَّ ، فقالَ لي : عَليكَ بمَذهَبِ هـٰذا الشَّيخ ، عَليكَ بمَذهَبِ هـٰذا الشَّيخ ثَلاثَ مرَّاتٍ ، فانتَبَهتُ مَرْعُوباً ، وجِسْمي يَرجُفُ ، فقَصَصْتُ ذلكَ علىٰ وَالِدَتي ، وبكَّرتُ إلى الشَّيخِ لأقْرأ عَليه ، فقَصَصْتُ عليه الرُّؤيا ، فقالَ : يا وَلَدي ، ما مَذْهَبُ الشَّافعي إلاَّ حَسَنٌ ، ولا أقُولُ لك : اترُكْه ، ولكنْ لا تَعتَقِدِ اعتِقَادَ الأشْعَريِّ فقُلتُ : ما أُريدُ أنْ أكُونَ نِصْفَين ، وأنا أُشْهِدُكَ ، وأُشهِدُ الجَماعَةَ أنَّني منذُ اليَومَ علىٰ مَذهَبِ أحمَد بنِ حَنبَل في الأصُولِ والفُروع فقالَ لي : وفقَّك الله ثم أخَذتُ في سَماع كُتب أحمَدَ ومَسائله والتَّفقُّه علىٰ مَذْهَبِه .

---

(١) انظر السير : (المازريُّ) ٢٠/ ١٠٤ـ١٠٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٤ .

قالَ ابنُ الجَوْزيِّ وغَيرُه : تُوفِّيَ ابنُ ناصِر سَنَةَ خَمسين وخَمسِ مئة[1] .

وعن ابنِ الجَوْزيِّ قالَ : قَرأتُ بخَطِّ أبي الفَرَج الحَدَّاد قالَ : حدَّثني مَنْ أَثِقُ به أنَّ الْمُقْتَفِي رَأىٰ في مَنامِه قَبلَ أنْ يُسْتَخلَف بسِتَّة أيَّام رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقولُ له : سَيصِلُ هـٰذا الأمْرُ إليكَ فاقْتَفِ بي فلِذا لُقِّبَ الْمُقْتَفي لأمرالله[2] .

ويقولُ الإمامُ الذهَبيُّ : نبَّأني جَماعَةٌ عن ابنِ الجَوْزيِّ ، حدَّثني الوَزيرُ ابنُ هُبَيْرَة ، حدَّثني الْمُسْتَنْجِدُ قالَ : رَأيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في النَّوْمِ منذُ خَمسَ عَشرَة سَنة ، فقالَ لي : يَبْقَىٰ أَبُوكَ في الخِلافَة خَمْساً وعِشرينَ سَنةً فكانَ كما قالَ فرَأيتُه قبلَ مَوْتِ أبي بأرْبَعةِ أشْهُر ، فدَخلَ بي من باب كَبيرٍ ، ثم ارْتَفَعْنا إلىٰ رَأسِ جَبلٍ ، وصَلَّىٰ بي رَكعَتَين ، وألْبَسَني قَميصاً ثم قالَ لي : قُلْ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ » .

ونقلَ صاحِبُ « الرَّوْضَتَينِ » أنَّه كانَ مَوْصُوفاً بالعَدلِ والرِّفْقِ ، وأَطْلَقَ الْمُكُوسَ بحَيثُ إنَّه لَمْ يَترُك بالعِراقِ مَكْساً ، وكانَ شَديداً على الْمُفسِدينَ سَجَنَ عَوانياً كانَ يَسْعَىٰ بالنَّاسِ مُدَّة ، فبَذَلَ رَجلٌ فيه عَشرَةَ آلافِ دينارٍ قالَ الْمُسْتَنْجِدُ : فأنا أَبْذُلُ عَشرَةَ آلافِ دينارٍ لتَأتِيَني بآخَرَ مثلِه أحْبِسُه[3] .

وقال ابنُ النَّجَّار : سَمعتُ المُبارك النَّحْويَّ يقولُ : كان ابنُ الخَشَّاب إذا نُوديَ علىٰ كتابٍ أخَذَه وطالَعَه ، وغَلَّ ورَقَه ، ثم يقولُ : هو مَقطوعٌ ، فيَشْتَريه برخْصٍ[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَعلَّه تابَ ، فقَد قالَ عبدُ الله بنُ أبي الفَرَج الجُبَّائي : رأيتُ ابنَ الخشَّاب وعليه ثيابٌ بيضٌ ، وعلىٰ وَجْهه نورٌ ، فقلتُ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قال : غَفرَ لي ، ودَخلتُ الجَنَّة ، إلاَّ أنَّ اللهَ أعْرضَ عنِّي وعن كَثيرٍ من العُلماء ممَّن لا يَعملُ .

---

(١) انظر السير : (ابنُ ناصِر) ٢٠/ ٢٦٥ـ ٢٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٥٥١ .
(٢) انظر السير : (الْمُقْتَفي لأمر الله) ٢٠/ ٣٩٩ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٦٨ .
(٣) انظر السير : (الْمُسْتَنْجِدُ بالله) ٢٠/ ٤١٢ـ ٤١٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٦٩ .
(٤) انظر السير : (ابن الخَشَّاب) ٢٠/ ٥٢٣ـ ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٩ .

ماتَ سَنةَ سَبعٍ وستِّينَ وخَمسِ مِئَة[1] .

قال سِبطُ الجُوزِيّ : حَكَىٰ لي نَجْمُ الدِّين بنُ سلام عن وَالِدِه أنَّ الفِرنْجَ لمَّا نزَلَت علىٰ دِمْياطَ ، ما زالَ نورُ الدِّين عِشرِين يوماً يَصُومُ ، ولا يُفطِرُ إلاَّ على المَاءِ ، فضَعُفَ وكادَ يَتْلَفُ ، وكان مَهِيباً ، ما يَجْسُرُ أحدٌ يُخاطِبُه في ذلك ، فقال إمامُه يَحْيَىٰ : إنَّه رَأَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّوم يقولُ : يا يَحْيَىٰ ، بَشِّرْ نورَ الدِّينِ برَحِيلِ الفِرنْجِ عن دِمْياطَ ، فقلتُ : يا رسُولَ الله ، رُبَّما لا يُصَدِّقُني قال : قُلْ لَهُ : بعَلامَةِ يوم حارِمِ وانْتَبَهَ يَحْيَىٰ ، فلمَّا صَلَّىٰ نورُ الدِّين الصُّبحَ ، وشَرَعَ يَدْعُو ، هَابَه يَحْيَىٰ فقال له : يا يَحْيَىٰ تُحَدِّثُني أوْ أُحَدِّثُكَ ؟ فارْتَعَدَ يَحْيَىٰ ، وخَرُسَ ، فقال نورُ الدين : أنا أُحَدِّثُكَ ، رَأَيْتَ النَبيَّ صلى الله عليه وسلم هٰذهِ الليلَةَ ، وقال لكَ كَذَا وكَذَا ، قال : نَعَم فبالله يا مَوْلانا ما مَعْنَىٰ قولِه بعَلامَةِ يوم حارِمٍ ؟ فقال : لمَّا الْتَقَيْنَا العَدُوَّ ، خِفْتُ على الإسْلامِ ، فانْفَرَدْتُ ونزَلْتُ ، ومَرَّغْتُ وَجْهِيَ على التُّرابِ ، وقُلتُ : يا سَيِّدِي مَنْ مَحمُودٌ في البَيْن ، الدِّينُ دِينُك ، والجُنْدُ جُنْدُك ، وهٰذا اليَوْم افْعَلْ ما يَلِيقُ بكَرَمِكْ ، قال : فنَصرَنا اللهُ عَليهِم .

وتَمَلَّكَ بعدَهُ ابنُه المَلِكُ الصَّالِحُ أشْهُراً ، وسَلَّمَ دِمَشْقَ إلى السُّلطانِ صَلاحِ الدِّين وتَحَوَّلَ إلىٰ حَلَبَ فدامَ صَاحِبُها تِسْعَ سِنينٍ وماتَ بالقُولَنْج ، وله عِشْرُونَ سنةً ، وكان شاباً دَيِّناً رَحِمَهُ الله[2] .

ورَوَىٰ زَينُ الأُمَناء ، حدَّثنا ابنُ القَزْوينيِّ عن وَالِدِه مُدَرِّس النِّظاميَّة قالَ : حَكَىٰ لنَا الفَراويُّ قالَ : قدِمَ عَلينا ابنُ عَساكِر ، فقَرأ عليَّ في ثَلاثَة أيّام فأكثر ، فأضْجَرَني ، وآلَيتُ أنْ أُغلِقَ بابي ، وأمْتَنِع ، جرَىٰ هٰذا الخَاطِرُ لي باللَّيلِ ، فقَدِمَ من الغَدِ شَخْصٌ ، فقالَ : أنا رَسُولُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلَيكَ ، رَأيتُه في النَّوم ، فقالَ : امْضِ إلى الفَراويِّ ، وقُلْ له : إنْ قَدِمَ بَلَدَكُم رَجُلٌ من أهْلِ الشَّام أسْمَرُ يَطلُبُ حَديثي ، فلا يَأخُذْكَ منه ضَجَرٌ ولا مَلَلٌ ، قالَ : فما كانَ الفَراويُّ يَقُومُ حتَّىٰ يَقُومَ الحافِظُ أوَّلاً[3] .

---

(١) انظر السير : (ابن الخَشَّاب) ٢٠/ ٥٢٣ـ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٩ .

(٢) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/ ٥٣١ـ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٨٢ .

(٣) انظر السير : (ابنُ عَساكِر) ٢٠/ ٥٥٤ـ٥٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٨٤ .

٥ـ رُؤَىٰ مُنَوَّعَة :

قالَ أبو هُرَيْرَة ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَا أنَا نائمٌ رَأيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَىٰ جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَـٰذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً » .

قالَ : فبَكَىٰ عُمَرُ وقالَ : بأبي أنتَ وأُمِّي يا رَسُولَ الله أعَليكَ أغار ؟!![1] .

وقالَ مَعْدانُ بنُ أبي طَلْحَة اليَعْمُريّ : خَطَبَ عُمَرُ يومَ الجُمُعَة وذَكَرَ نبيَّ اللهِ وأبا بَكر ثم قالَ : رأيتُ كأنَّ دِيكاً نَقَرَني نَقْرَةً أوْ نَقْرَتَينِ ، وإنِّي واللهِ لا أراه إلاَّ حُضورُ أجَلي ، وإنَّ قَوْماً يأمُروني أنْ أسْتَخْلِفَ ، وإنَّ الله لَمْ يَكنْ لِيُضيعَ دينَه ولا خِلافَتَه فإنْ عَجِّل بي أمرٌ فالخِلافَة شُورَىٰ بين هَؤلاء السِّتَّة الذين تُوفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ .

وقالَ الزُّهْريُّ : كانَ عُمَرُ لا يأذَنُ لسَبيٍ قد احْتَلمَ في دُخولِ المَدينَة حتَّىٰ كتبَ المُغيرَةُ بنُ شُعْبَة ، وهو على الكُوفَة ، يَذْكُرُ غُلاماً عندَه صَنِعاً[2] ، ويَستأذنُه أن يَدخُلَ المدينَة ويقولُ : إنَّ عنده أعْمالاً كثيرة فيها منافعُ للنَّاسِ : إنَّه حدَّادٌ ، نَقَّاشٌ ، نَجَّارٌ ، فأذِنَ له أن يُرسلَ به ، وضرَبَ عليه المُغيرَةُ مائة دِرهَم في الشَّهرِ ، فجاء إلىٰ عُمَرَ يَشْتكي شِدَّةَ الخَراجِ ، قالَ : ما خَراجُك بكَثير ، فانْصَرفَ ساخِطاً يَتذَمَّرُ ، فلَبثَ عُمَرُ لَيالِيَ ثم دَعاه فقالَ : ألَمْ أُخبَر أنَّك تقولُ : لَوْ شاءَ لَصَنعتُ رَحىً تَطحَنُ بالرِّيحِ ؟ فالْتَفَتَ إلىٰ عُمَرَ عابِساً وقالَ : لأصْنعَنَّ لك رَحَىٰ يَتحدَّثُ النَّاسُ بها ، فلمَّا وَلَّىٰ قالَ عُمَرُ لأصْحابِه : أوْعَدَني العَبْدُ آنِفاً ، ثم اشْتَمَلَ أبو لُؤلُؤة علىٰ خِنْجَر ذي رأسَين نِصابُه في وَسَطه ، فكَمنَ في زاويَة من زَوايا المَسْجد في الغَلَسِ .

وقالَ عَمْرو بنُ مَيْمون الأودي : إنَّ أبا لُؤلُؤةَ عبدَ المُغيرَة طَعَنَ عُمَرَ بخِنْجَر له رأسان ، وطَعَنَ معه اثني عَشرَ رَجُلاً ، ماتَ منهم سِتَّةٌ فألْقَىٰ عليه رَجلٌ من أهْلِ العِراقِ ثَوْباً ، فلمَّا اغْتمَّ فيه قَتلَ نَفسَه .

---

(١) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٣/٤٦ .

(٢) صَنِعاً : حاذق .

وقالَ عامِرُ بنُ عبد الله بنِ الزُّبَيْر ، عن أبيه قالَ : جِئتُ من السُّوقِ وعُمَرُ يَتَوَكَّأُ عليَّ ، فمرَّ بنا أبو لُؤلُؤة ، فنظَرَ إلىٰ عُمَرَ نَظْرَةً ظَنَنْتُ أنَّه لَوْلا مَكاني لبَطَشَ به ، فجئتُ بعد ذلك إلى المَسْجِدِ الفَجْرَ فإنِّي لَبينَ النَّائمِ واليَقْظانِ ، إذ سَمعتُ عُمرَ يَقولُ : قَتلَني الكَلبُ ، فماجَ النَّاسُ ساعَةً ، ثم إذا قِراءَةُ عبد الرَّحْمَـٰنِ بنِ عَوْفٍ .

وعن أبي رافِع : كانَ أبو لُؤلُؤةَ عَبداً للمُغيرَة يَصْنَعُ الأرْحاءَ ، وكان الْمُغيرَةُ يَسْتغِلُّه كلَّ يَومٍ أرْبَعَةَ دَراهِم ، فلَقيَ عُمَرَ فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ الْمُغيرَةَ قد أثْقَلَ عليَّ فكَلِّمْه ، فقالَ : أَحْسِنْ إلىٰ مَوْلاكَ ، ومن نيَّةِ عُمَرَ أنْ يكلِّمَ الْمُغيرَةَ فيه ، فغَضبَ وقالَ : يَسَعُ النَّاسَ كُلَّهم عَدْلُه غَيري ، وأضْمَرَ قَتلَه ، واتَّخَذَ خِنْجَراً وشحذه وسمه ، وكان عُمَرُ يَقُولُ : « أَقِيمُوا صُفُوفَكُم » قَبْلَ أنْ يُكَبِّرْ ، فجَاءَ فقامَ حِذاءَه في الصَّفِّ وضَربَه في كَتِفِه وفي خاصِرَتِه ، فسَقَطَ عُمَرُ ، وطَعَنَ ثَلاثَ عَشَرَ رَجُلاً معه ، فماتَ منهم سِتَّةٌ ، وحُملَ عُمَرُ إلىٰ أهْلِه وكادَت الشَّمسُ أنْ تَطلُعَ ، فصَلَّى ابنُ عَوْفٍ بالنَّاسِ بأقْصَرِ سُورَتَين ، وأُتيَ عُمَرُ بنَبيذٍ فشَربَه فخَرَجَ من جُرْحِه فلَمْ يُتَبيَّن ، فسَقَوْه لَبَناً فخَرجَ من جُرْحِه فقالُوا : لا بَأسَ عَليكَ ، فقالَ : إنْ يَكُنْ بالقَتلِ بأسٌ فقد قُتلتُ ، فجَعلَ النَّاسُ يُثنونَ عليه ويَقولُون : كُنتَ وكُنتَ ، فقالَ : أمَا والله ودِدْتُ أنِّي خَرجْتُ منها كِفافاً لا عَليَّ ولا لِي ، وأنَّ صُحبَةَ رَسُولِ الله سَلِمَت لي(١) .

وعن إبْراهيمَ بنِ عبدِ الرحمَـٰن بن عَوْفٍ ، قالَ : غُشِيَ علىٰ عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ عَوْف في وَجَعِه حتَّىٰ ظَنُّوا أنَّه قد فاضَتْ نَفسُه ، حتَّىٰ قامُوا من عندِه ، وجَلَّلوه ، فأفاقَ يُكَبِّر ، فكَبَّرَ أهْلُ البَيتِ ، ثم قالَ لَهُم : غُشِيَ عليَّ آنِفاً ؟ قالوا : نَعَم قالَ : صَدَقتُم! انْطَلَقَ بي في غَشيَتي رَجُلانِ أجدُ فيهما شِدَّة وفَظاظَة ، فقالَ : انْطَلِقْ نُحاكِمُك إلى العَزيزِ الأمينِ ، فانْطَلَقَا بي حتَّىٰ لَقِيَا رَجُلاً ، قالَ : أينَ تَذهَبان بهـٰذا ؟ قالا : نُحاكِمُه إلى العَزيزِ الأمينِ فقالَ : ارْجِعَا فإنَّه من الذين كُتِبَ لَهُم السَّعادَةُ والْمَغْفِرَة وهم في بُطُونِ أُمَّهاتِهم ، وإنَّه سَيُمَتَّعُ به بَنُوهُ إلىٰ ما شاءَ الله ، فعاشَ بعدَ ذَلكَ شَهْراً .

---

(١) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخطَّاب) ، وانظر النزهة : ٣/٥٣ .

قالَ إبْراهيمُ بنُ سَعْد : عن أبيه ، عن جَدِّه ، سَمِعَ عَليّاً يَقُولُ يَومَ ماتَ عبدُ الرحمَـٰنِ بنُ عَوْف : اذْهَبْ يا بنَ عَوْفٍ! فقد أدْرَكتَ صَفْوَها وسَبَقْتَ رَنْقَها[1] ،[2] .

وعن ابنِ عَبَّاسٍ ، قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « رَأيْتُ جَعْفَرَ بنَ أبي طَالِب مَلِكاً في الْجَنَّةِ ، مُضَرَّجَةً قَوَادِمُهُ بِالدِّمَاءِ ، يَطِيرُ في الْجَنَّةِ »[3] .

قالَ الْمُثَنَّىٰ بنُ سَعيد : سَمعتُ أنَسَ بنَ مَالِك رضي الله عنه يَقُولُ : ما مِنْ لَيلَةٍ إلاَّ وأنا أرَىٰ فيها حَبِيبي ثمَّ يَبْكِي[4] .

قالَ أبو التيَّاح : كانَ مُطَرِّفٌ بنُ عبدِ الله يَبدُو ، فإذا كانَ لَيلَةَ الجُمُعَة ، أدْلَجَ علىٰ فَرَسِه ، فرُبَّما نَوَّرَ له سَوْطُه ، فأدْلَجَ لَيلَةً حتَّىٰ إذا كانَ عندَ القُبُورِ ، هوَّمَ[5] علىٰ فَرَسِه ، قالَ : فرَأيتُ أهْلَ القُبورِ ، صاحِبَ كُلِّ قَبرٍ جَالِساً علىٰ قَبرِه ، فلمَّا رَأوْني ، قالوا : هـٰذا مُطَرِّفٌ يَأتي الجُمُعَة : قُلتُ أتَعْلَمُونَ عندَكم يَومَ الجُمُعَة!! ؟ قالُوا : نَعَم ، نَعلَمُ ما تَقُولُ الطَّيرُ فيه .

قُلتُ : ومَا تَقُولُ الطَّيرُ ؟ قالوا تَقُولُ : سَلامٌ سَلامٌ من يَوْمٍ صَالِحٍ[6] .

أتَىٰ رجلٌ العَلاءَ بنَ زِياد ، فقالَ : أتاني آتٍ في مَنامي فقالَ : ائْتِ العَلاءَ بنَ زِياد ، فقُلْ له : لِمَ تَبْكي!! ؟ قد غُفِرَ لك .

قالَ : فبَكىٰ ، وقالَ : الآنَ حين لا أهْدَأ[7] .

وعن ابنِ أبي نُجَيح قالَ : قالَ مُجاهِدٌ لِطَاوُوسَ : رَأيتُكَ يا أبا عبدِ الرحمَـٰن تُصلِّي في الكَعْبَة ، والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم علىٰ بابِها يَقُولُ لكَ : اكْشِفْ قِناعَكَ ، وبَيِّن

---

(١) الرَّنْقُ : الكَدَر.
(٢) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بنُ عَوْف) ١/ ٦٨ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ١٣١/ ٥ .
(٣) انظر السير : (جَعْفَرُ بنُ أبي طالب) ١/ ٢٠٦ـ ٢١٧ ، وانظر النزهة : ١٥٠/ ٢ .
(٤) انظر السير : (أنَسُ بنُ مَالك) ٣/ ٣٩٥ـ ٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٤٠١/ ٦ .
(٥) هَوَّمَ : أي هزَّ رَأسَه من النُّعاس أو نام نَوْماً خَفيفاً .
(٦) انظر السير : (مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله) ٤/ ١٨٧ـ ١٩٥ ، وانظر النزهة : ٤٧٦/ ٤ .
(٧) انظر السير : (العَلاءُ بنُ زِياد) ٤/ ١٩٧ـ ١٩٨ ، وانظر النزهة : ٤٧٧/ ٧ .

قِراءَتَك قالَ طاوُوسُ : اسْكُتْ لا يَسمَعُ هـٰذا منك أحَدٌ ، قالَ : ثم خُيِّلَ إليَّ أنَّه انبَسَطَ في الكَلامِ ، يَعني فَرحاً بالْمَنامِ[1] .

وعن سُلَيْمانَ بنِ مُسْلِم ، قالَ : رَأيتُ أبا جَعْفَرٍ القارىء على الكَعْبَة ، فقالَ : أقْرىء إخْواني السَّلامَ وخَبِّرهم أنَّ اللهَ جعلَني من الشُّهَداءِ الأحْياءِ الْمَرْزوقينَ[2] .

عن جَريرِ بنِ حازِم قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كأنَّه مُتَسانِدٌ إلىٰ خَشَبَةِ زَيْدِ بنِ عَليٍّ بنِ الحُسَينِ وهو يَقُولُ : هَكَذا تَفْعَلونَ بِوَلَدي ؟[3] .

وعن سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة ، قالَ : رَأيتُ مَنْصُورَ بنَ الْمُعْتَمِر ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : كِدتُ أنْ ألْقَى اللهَ تَعالَىٰ بعَمَلِ نَبيٍّ[4] .

قيلَ : إنَّ حَوْشَباً قالَ لِمَالكِ بنِ دِينار : رَأيتُ ، كأنَّ مُنادياً يُنادي الرَّحيلَ ، الرَّحيلَ ، فمَا ارْتَحَلَ إلاَّ مُحمَّدُ بنُ وَاسِع فبَكَىٰ مَالكٌ ، وخَرَّ مَغْشياً عَليه[5] .

وعن رَقَبَةَ بنِ مَصْقَلَة قالَ : رَأيتُ رَبَّ العِزَّةِ في الْمَنامِ فقالَ : لأُكْرِمَنَّ مَثوَىٰ سُلَيْمانَ التَّيْميَّ صَلَّىٰ ليَ الفَجرَ بوُضُوءِ العِشاءِ أرْبَعينَ سَنةً[6] .

وقالَ ابنُ عُيَيْنَة ، سَمعتُ داوُدَ بنَ أبي هِنْد يَقُولُ : أصَابَني الطَّاعُونُ فأُغْميَ عليَّ ، فكأنَّ آتيَيْنِ أتيَانِي فغَمَزَ أحدُهما علوةَ لِسَاني ، وغَمَزَ الآخَرُ أخْمَصَ قَدَمي ، فقالَ : أيُّ شَيءٍ تَجِدُ ؟ قالَ : أجِدُ تَسْبيحاً وتَكْبيراً وشَيئاً من خَطْوٍ إلى الْمَسجِدِ وشَيئاً من قِراءَةِ القُرآنِ قالَ : ولَمْ أكُنْ أخذتُ القُرآنَ حينئذ ، قالَ : فكُنتُ أذهَبُ في الحَاجَةِ فأقُولُ : لَوْ ذَكَرتُ اللهَ حتَّىٰ آتيَ حاجَتِي ، قالَ : فعُوفيتُ ، فأقْبَلتُ على القُرآنِ فتعلَّمتُه[7] .

وقالَ عَمْرُو بنُ أبي سَلَمَةَ التِّنِّيسيُّ : حدَّثنا الأوْزاعيُّ قالَ : رَأيتُ كأنَّ مَلكَينِ عَرَجا

---

(١) انظر السير : (طاوُوسُ) ٥/ ٣٨ـ٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٥٧٧ .
(٢) انظر السير : (أبو جَعْفَر القَارىء) ٥/ ٢٨٧ـ٢٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٤ .
(٣) انظر السير : (زَيْدُ بنُ عَليّ) ٥/ ٣٨٩ـ ٣٩١ ، وانظر النزهة : ٢/٦١٥ .
(٤) انظر السير : (مَنْصُورُ بنُ الْمُعْتَمِر) ٥/ ٤٠٢ـ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٢/٦١٨ .
(٥) انظر السير : (محمَّد بن واسع) ٦/ ١١٩ـ ١٢٣ ، وانظر النزهة : ٩/٦٣٨ .
(٦) انظر السير : (سُلَيْمانُ بنُ طَرْخان) ٦/ ١٩٥ـ٢٠٢ ، وانظر النزهة : ٢/٦٤١ .
(٧) انظر السير : (داوُدُ بنُ أبي هِنْد) ٦/ ٣٧٦ـ ٣٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٩ .

بي ، وأوْقَفَاني بَينَ يَدَي رَبِّ العِزَّة ، فقالَ لي : أنتَ عَبدي عبدُ الرحمَـٰن الذي تأمُرُ بالْمَعرُوفِ ؟ فقُلتُ : بعِزَّتك أنْتَ أعْلَمُ قالَ : فهَبَطا بي حتَّىٰ رَدَّاني إلىٰ مَكَاني[1] .

وقالَ سُعيرُ بنُ الخِمسِ : رَأيتُ سُفْيانَ الثَّوريَّ في الْمَنامِ يَطيرُ من نَخلَةٍ إلىٰ نَخلَةٍ وهو يَقرَأُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾[2] ،[3] .

وعن إبْراهيمَ بنِ أعين ، قالَ : رَأيتُ سُفْيانَ بنَ سَعيد ، فقُلتُ : ما صَنَعتَ ؟ قالَ : أنا مع السَّفَرَة الكِرامِ البَرَرَة[4] .

وقالَ خَلَف : ودَخَلتُ على الإمامِ مَالِك بنِ أنَس ، فقالَ : ما تَرَى ؟[5] فإذا رُؤيا بَعثَها بَعضُ إخْوانِه ، يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ ، في مَسجِدٍ قد اجْتَمَعَ النَّاسُ عَليه ، فقالَ لهم : إنِّي قد خَبَّأتُ تَحتَ مِنْبَري طِيباً أو عِلْماً ، وأمَرتُ مَالِكاً أنْ يُفرِّقَه على النَّاسِ ، فانْصَرفَ النَّاسُ وهم يَقُولونَ : إذاً يُنَفِّذُ مَالِكٌ ما أمَرَهُ به رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بَكَىٰ ، فقُمتُ عَنهُ[6] .

ونَقلَ القاضي عِياضٌ أنَّ أسَدَ بنَ مُوسَىٰ قالَ : رَأيتُ مَالِكاً بعدَ مَوْتِه ، وعَليه طَويلَة ، وثِيابٌ خُضْرٌ وهو علىٰ ناقَةٍ ، يَطيرُ بينَ السَّماءِ والأرْضِ فقُلتُ : يا أبا عَبدِ الله ، ألَيسَ قد مِتَّ ؟ قالَ : بلَىٰ فقُلتُ : فإلامَ صِرْتَ ؟ فقالَ : قَدِمتُ علىٰ رَبِّي وكَلَّمَني كِفَاحاً[7] وقالَ : سَلْني أُعْطِكَ ، وتَمَنَّ عَليَّ أُرْضِكْ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ودُفِنَ بالبَقيعِ اتِّفاقاً وقَبرُه مَشْهورٌ يُزارُ ، رَحِمَهُ اللهُ[8] .

---

(١) انظر السير : (الأوْزاعيُّ) ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/٦٨٣ .
(٢) سورة الزُّمَر ، الآية : ٧٤ .
(٣) انظر السير : (سُفْيانُ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٨/٧٠٠ .
(٤) انظر السير : (سُفْيانُ) ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٩/٧٠٠ .
(٥) نصُّ الحِليَة : فقال لي : انظر ما ترىٰ تحت مُصلاَّيَ أو حَصيري ، فنَظرتُ ، فإذا أنا بكتاب ، فقال : اقرأه .
(٦) انظر السير : (مالِكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٢٧ .
(٧) أي مُواجَهة دون واسطة
(٨) انظر السير : (مالِكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ٥/٧٣٧ .

ويُقالُ : إنَّه في اللَّيلَةِ التي ماتَ فيها ، رَأىٰ رَجلٌ من الأنْصارِ قائلاً يُنشِدُ :

لَقَـدْ أَصْبَـحَ الإِسْـلاَمُ زُعْـزِعَ رُكْنُـهُ   غَدَاةَ ثَوَى الهَادِي لَدَىٰ مَلْحَدِ القَبْرِ

إمامُ الهُدَىٰ مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِناً   عَلَيْـهِ سَـلاَمُ اللهِ فـي آخِـرِ الـدَّهْـرِ

قالَ : فانتُبهتُ ، فإذا الصَّارِخَةُ علىٰ مالِك(1) .

وقالَ إسْماعيلُ بنُ مَسْلَمَة القَعْنَبيُّ : رَأيتُ كأنَّ القِيامَةَ قد قامَتْ ، وكأنَّ مُنادياً يُنادِي : ألا لِيَقُمِ السَّابِقُونَ ، فقامَ سُفْيانُ الثَّوريُّ ، ثم نادَىٰ : ألا لِيَقُمِ السَّابِقُونَ فقامَ سَلْمٌ الخَوَّاصُ ، ثم قامَ إبْراهيمُ بنُ أدْهَم(2) .

وقالَ يَحْيَىٰ بنُ أيوُّبَ العابِدُ : سَمعتُ نَصْرَ بنَ بَسَّام وغَيرَه من أصْحابِنا ، قالوا : أتَيْنا مَعْروفاً الكَرْخيَّ ، فقالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ وهو يَقُولُ لِهُشَيم بنِ بَشير : جَزاكَ اللهُ عن أُمَّتي خَيراً ، فقُلتُ لِمَعْروفٍ : أنتَ رَأيتَ ؟ قالَ : نَعَم ، هُشَيمٌ خَيرٌ مِمَّا نَظُنُّ(3) .

وقالَ بِشْرُ بنُ المفضل : رَأيتُ بِشْرَ بنَ مَنْصُور في الْمَنامِ ، فقُلتُ : ما صَنعَ اللهُ بِك ؟ قالَ : وَجَدتُ الأمْرَ أهْوَنَ مِمَّا كُنتُ أحْمِلُ علىٰ نَفسِي .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : تُوفِّيَ هـٰذا الإمامُ رحمَةُ الله عليه في سَنَةِ ثَمانينَ ومئة ، وله نيِّف وسَبعونَ سَنةً(4) .

وقالَ العَبَّاسُ بنُ مُحمَّد النَّسَفيُّ : سَمعتُ أبا حاتم الفِرَبريَّ يَقُولُ : رَأيتُ ابنَ الْمُبارَك واقِفاً عل بابِ الجَنَّة بيَدِه مِفْتاحٌ ، فقُلتُ : ما يُوقِفُكَ ها هنا ؟ قالَ : هـٰذا مِفْتَاحُ الجَنَّة ، دَفعَه إليَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقالَ : حتَّىٰ أزُورَ الرَّبَّ ، فكُنْ أمِينِي في السَّماءِ ، كمَا كُنتَ أمِينِي في الأرْضِ(5) .

---

(1) انظر السير : (مالكُ الإمام) ٨/ ٤٨ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ١/٧٣٨ .

(2) انظر السير : (سلْمُ بنُ مَيْمون) ٨/ ١٧٩ـ ١٨٠ ، وانظر النزهة : ٧/٧٤٢ .

(3) انظر السير : (هُشَيم) ٨/ ٢٨٧ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٣/٧٥٩ .

(4) انظر السير : (بِشْرُ بنُ مَنْصور) ٨/ ٣٥٩ـ ٣٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٧٦٤ .

(5) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٥/٧٧١ .

وقالَ إسْماعيلُ بنُ إبْراهيمَ الْمصِّيصيُّ : رَأيتُ الحارِثَ بنَ عَطيَّة في النَّوم ، فسَألتُه ، فقالَ : غُفِرَ لي قُلتُ : فابنُ الْمُبارَك ، قالَ : بَخٍ بَخٍ ذَاكَ في عِلِّيينَ مِمَّنْ يَلِجُ على الله كُلَّ يومٍ مرَّتَينِ[1] .

وقالَ أبو أُسَامَة : سَمعتُ الفُضَيْلَ بنَ عِياض يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، وإلىٰ جَنْبِه فُرْجَة ، فذَهَبتُ لأجْلِسَ ، فقالَ : هَـٰذا مَجلِسُ أبي إسْحاقَ الفَزاري[2] .

وقالَ أحمَدُ بنُ أبي الحَواري : سَمعتُ عبدَ الرحمَـٰن بنَ مُطَرِّف يَقُولُ : رُؤيَ مَنْصُورُ بنُ عَمَّار بعدَ مَوْتِه ، فقيلَ : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : غَفرَ لي ، وقالَ لي : يا مَنْصورُ ، غفَرتُ لَكَ علىٰ تَخْليطٍ فيكَ كَثير ، إلاَّ أنَّكَ كُنتَ تَحُوشُ[3] النَّاسَ إلىٰ ذِكْرِي[4] .

وعن زُهَيرٍ البابيِّ ، قالَ : رَأيتُ يَحيَى القَطَّانَ في النَّومِ عَليه قَميصٌ بينَ كَتِفَيه مَكتُوبٌ : بِسْمِ اللهِ الرحمَـٰنِ الرَّحيم ، كتابٌ من اللهِ العَزيزِ العَليم بَراءَةٌ لِيَحْيىٰ بنِ سَعيدِ القَطَّانِ مِنْ النَّار[5] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ عَمْرُو بنِ عُبَيدَة العُصْفُري : سَمعتُ عليَّ بنَ الْمَدينيَّ قالَ : رَأيتُ خالِدَ بنَ الحارِث في النَّومِ ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : غَفَرَ لي عَلىٰ أنَّ الأمْرَ شَديدٌ قُلتُ : فمَا فعلَ يَحْيَى القَطَّان ؟ قالَ : نَراهُ كمَا يُرَى الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ في أُفُقِ السَّماءِ .

تُوفِّيَ يَحْيَىٰ بنُ سَعيد سَنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ ومئة[6] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٦/٧٧١ .
(٢) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الفَزاري) ٨/ ٥٣٩ـ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٧/٧٩٠ .
(٣) أي تَسوقُهم وتَجمَعُهم.
(٤) انظر السير : (مَنْصُورُ بنُ عَمَّار) ٩/ ٩٣ـ٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨٠١ .
(٥) انظر السير : (يَحْيَى القَطَّان) ٩/ ١٧٥ـ ١٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/٨١٦ .
(٦) انظر السير : (يَحْيَى القَطَّان) ٩/ ١٧٥ـ ١٨٨ ، وانظر النزهة : ٥/٨١٦ .

وقالَ أبو نافعِ سِبطُ يَزيدَ بن هَارُون : كُنتُ عندَ أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، وعندَهُ رَجُلانِ فقالَ أحَدُهما : رَأيتُ يَزيدَ بنَ هارُونَ في الْمَنام ، فقُلتُ له : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : غَفرَ لي ، وشَفَّعَني ، وعَاتَبَني ، وقالَ : أتُحَدِّثُ عن حَريزِ بنِ عُثْمانَ ؟ فقُلتُ : يا رَبِّ ما عَلِمْتُ إلاَّ خيراً ، قالَ : إنَّه يَبغَضُ عَليّاً رضي الله عنه وقال الرجُلُ الآخَرُ : رَأيتُهُ في الْمَنامِ فقُلتُ له : هَلْ أتاكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ؟ قال : إي والله ، وسَألاني : مَنْ رَبُّك ؟ ومَا دِينُكَ ؟ فقُلتُ : ألِمِثْلي يُقالُ هـٰذا ؟!! ، وأنا كُنتُ أعْلَمَ النَّاسِ بهـٰذا في الدُّنيا ؟ فقالا لي صَدَقتَ .

تُوفِّيَ يَزيدُ بوَاسِط سَنةَ سِتٍّ ومئتَين[1] .

وقالَ النَّقَّاشُ : قالَ يَحْيَى الفَحَّامُ : رَأيتُ خَلفَ بنَ هشام في النَّومِ ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ غَفَرَ لي[2] .

وقالَ حُبَيْشُ بنُ مُبَشِّر الفَقيهُ ـ وهو ثِقَةٌ ـ : رَأيتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين في النَّوم ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : أعْطَاني وحَبَاني وزَوَّجَني ثَلاثَ مئةِ حَوْراء ، ومَهَّدَ لي بينَ البَابَيْنِ ، أو قالَ : بينَ النَّاسِ . سَمِعَها جَعْفَرُ بنُ أبي عُثْمانَ من حُبَيْش[3] .

ورَواهَا الحُسَينُ بنُ الخَصيب ، عن حُبَيْش ، قالَ : رَأيتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين في النَّومِ ، فقُلتُ : ما فَعَلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : أدْخلَني عَليه في دَارِه وزَوَّجَني ثَلاثَ مئة حَوْراءَ ثم قالَ لِلمَلائِكَة : انْظُرُوا إلىٰ عَبْدي كَيفَ تَطَرَّىٰ وحَسُنَ[4] .

وقالَ الإمامُ الذهبيُّ في تَرجَمَةِ الشَّهيدِ أحمَدَ بنِ نَصْر الخُزاعِيِّ : وقيلَ رُئِيَ في النَّومِ ، فقيل : ما فَعَلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : ما كانَت إلاَّ غَفوَةً حتَّىٰ لَقيتُ اللهَ ، فضَحِكَ إليَّ وقيل : إنَّه قالَ : غَضِبتُ له فأباحَني النَّظرَ إلىٰ وَجْهِه .

---

(١) انظر السير : (يَزيدُ بنُ هارُون) ٩/ ٣٥٨ـ ٣٧١ ، وانظر النزهة : ٨٢٩/ ٦ .
(٢) انظر السير : (خَلفُ بنُ هِشام) ١٠/ ٥٧٦ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٨٩٦/ ٤ .
(٣) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٩١٣/ ١ .
(٤) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٩١٣/ ٢ .

بَقِيَ رَأسُهُ مَنصُوباً ببَغْدادَ ، والبَدَنُ مَصْلوباً بسَامرَّاءَ سِتَّ سِنينَ إلىٰ أنْ أُنزِلَ ، وجُمِعَ في سَنَةِ سَبعٍ وثَلاثينَ ، فدُفِنَ رَحمَةُ اللهِ عليه[1] .

وعن أخي أبي عَقيل ، قالَ : رَأيتُ شاباً ، تُوفِّيَ بقَزْوينَ ، فقُلتُ : ما فَعلَ بِكَ رَبُّك ؟ قالَ : غَفرَ لي، ورَأيتُه مُسْتَعجلاً ، فسَألتُه ، فقالَ : لأنَّ أهْلَ السَّماواتِ قد اشْتَغَلوا بعَقْدِ الألْويَةِ لاستِقبالِ أحمَدَ بنِ حَنْبَل ، وأنا أُريدُ اسْتِقبالَه وكانَ أحمَدُ تُوفِّيَ تلكَ الأيَّام[2] .

وعن الهَيثَمِ بنِ خَالويه ، قالَ : رَأيتُ السِّنْديَّ في النَّومِ ، فقُلتُ : ما حَالُك ؟ قالَ : أنا بخَيرٍ لكنْ اشْتَغلوا عَنِّي بِمَجِيءِ أحمَدَ بنِ حَنْبَل[3] .

وعن زَكريَّا بنِ يَحيَى السِّمْسَار ، يَقُولُ : رَأيتُ أحمَدَ بنَ حَنْبَل في الْمَنامِ عَلىٰ رَأسِه تَاجٌ مُرَصَّعٌ بالجَوْهَر ، في رِجلَيه نَعلانِ ، وهو يَخْطِرُ بهما قُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : غَفرَ لي وأدْناني ، وتَوَّجَني بيَدِه بهَـٰذا التَّاج وقالَ لي : هَـٰذا بقَوْلِكَ : القُرآنُ كَلامُ اللهِ غَيرُ مَخْلوقٍ قُلتُ : ما هَـٰذه الخَطرَة التي لَمْ أعْرِفْها لكَ في دَارِ الدُّنيا ؟ قالَ : هَـٰذه مِشْيَةُ الخُدَّام في دَارِ السَّلام[4] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ الْمُؤمَّلِ بنِ الحَسَن : سَمعتُ أبا يَحْيَى البزَّاز يَقُولُ لأبي رَجاءَ القاضي : كُنتُ فيمَنْ حَجَّ مع الحَسَنِ بنِ عِيسَىٰ وَقتَ مَوْتِه ، فاشْتَغلتُ بحِفظِ جَمَلي عن شُهودِه ، فأُريتُه في النَّومِ ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : غَفَرَ لي ولِكُلِّ مَنْ صَلَّىٰ عَليَّ قُلتُ : فإنِّي فاتَتْني الصَّلاةُ عَليكَ لِغَيبَةِ عَديلي ، فقالَ : لا تَجْزَعْ ، وغَفَرَ لِكُلِّ مَنْ يَتَرحَّمُ عَليَّ رَحِمَهُ اللهُ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وفي ذُرِّيَّتِه وأقَاربِه مُحَدِّثُونَ وفُضَلاء[5] .

---

(١) انظر السير : (الخُزاعِيُّ) ١١/١٦٦-١٦٩ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٠ .
(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنبَل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥٠ .
(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنبَل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٥١ .
(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنبَل) ١١/١٧٧-٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥١ .
(٥) انظر السير : (الحَسَنُ بنُ عِيسَىٰ بنِ ماسَرْجس) ١٢/٢٧-٣٠ ، وانظر النزهة : ٢/٩٧٧ .

وعن مُحمَّدِ بنِ نُعيم يَقُولُ : رَأيتُ محمَّدَ بنَ رَافِع في الْمَنام بعدَ مَوتِه بثلاث في حِجْرِه مُصحَفٌ يَقرأ ، فقُلتُ له : أَلَيسَ قد مُتَّ ؟ فنَظَرَ إليَّ نَظرَةً مُنكَرَة فقُلتُ : سَألتُكَ باللهِ إلاَّ ما حادَثتَني ، ما فَعلَ بكَ رَبُّك ؟ قالَ : بشَّرَني بالرَّوْحِ والرَّاحَة[1] .

وقالَ أبو عَمْرٍو أحمَدُ بنُ نَصْر الخَفَّافُ : رَأيتُ محمَّدَ بنَ يَحْيَى الذُّهليَّ بعدَ وَفاتِه ، فقُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : غَفَرَ لي ، قُلتُ فما فَعلَ بحَديثِك ؟ قالَ : كُتبَ بماءِ الذَّهَب ، ورُفِعَ في عِلِيِّينَ[2] .

وقالَ الحاكِمُ : سَمعتُ أبا الفَضْل الحَسَنَ بنَ يَعْقوب العَدل ، سَمعتُ أبا عُمَرَ الْمُسْتَملي يَقُولُ : رَأيتُ يَحيَىٰ بنَ مُحمَّدٍ رضي الله عنه في الْمَنامِ ، فقُلتُ : ما فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قالَ : غَفرَ لي قُلتُ : فما فَعلَ الخُجُسْتانيُّ ؟ قالَ : هو في تَابُوتٍ من نَارٍ ، والْمفْتاحُ بيَدِي[3] .

وعنِ الفِرَبْرَيِّ ، قالَ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، فقالَ لي : أينَ تُريدُ ؟ فقُلتُ أُريدُ مُحمَّدَ بنَ إسْماعيلَ البُخَارِيَّ ، فقالَ : أقْرِئهُ مِنِّي السَّلام[4] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ مُحمَّد بنِ مَكِّيٍّ الجُرْجَانيُّ : سَمعتُ عبدَ الوَاحِدِ بنَ آدَمَ الطَّواويسيَّ يَقُولُ : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّومِ ، ومَعه جَماعَةٌ من أصْحابِه ، وهو وَاقِفٌ في مَوْضِعٍ ، فسَلَّمتُ عَليه ، فرَدَّ عَليَّ السَّلامَ فقُلتُ : ما وُقُوفُكَ يا رَسُولَ الله ؟ قالَ أنتَظِرُ مُحمَّدَ بنَ إسْماعيلَ البُخاريَّ فلمَّا كانَ بعدَ أيّام بَلغَني مَوتُه ، فنَظَرتُ فإذا قد ماتَ في السَّاعَةِ التي رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فيها[5] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ أبي حاتم : سَمعتُ أبا ذَرٍّ يَقُولُ : رَأيتُ مُحمَّدِ بنِ حاتم الخَلْقَانيَّ في الْمَنامِ ، وكانَ من أصْحابِ مُحمَّدِ بنِ حَفْصٍ ، فسَألْته ـ وأنا أعرِفُ أنَّه ميِّتٌ ـ عن

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ رافع) ١٢/ ٢١٤ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٦ .
(٢) انظر السير : (الذُّهليُّ وابنه) ١٢/ ٢٧٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٠٠٠ .
(٣) انظر السير : (يَحيَىٰ بنُ محمَّد بن يَحْيَى الذُّهْليُّ) ١٢/ ٢٨٥ـ ٢٩٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠١ .
(٤) انظر السير : (أبو عبدِ الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٠١٦ .
(٥) انظر السير : (أبو عبدِ الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٢١ .

شَيخي رَحمَهُ اللهُ ، هلْ رَأيته ؟ قالَ : نَعَم رأَيتُه وهو ذَاكَ ، يُشيرُ إلىٰ ناحيَة سَطْحٍ من سُطوحِ الْمَنزلِ ثم سَألتُه عن أبي عبدِ الله مُحمَّدِ بنِ إسْماعيلَ ، فقالَ : رَأيتُه ، وأشارَ إلى السَّماءِ إشارَةً كادَ أنْ يَسقُطَ منها لِعُلوِّ ما يُشيرُ[1] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ إسْحاقَ السَّرَّاج ، سَمعتُ مُحمَّدَ بنَ مُسلِم بنِ وَارَة يَقُولُ : رَأيتُ أبا زُرْعَةَ في الْمَنام ، فقُلتُ له : ما حَالُك يا أبا زُرْعَة ؟ قالَ : أحْمَدُ اللهَ علىٰ أحْوالِه كُلِّها ، إنِّي حَضَرتُ ، فوَقفتُ بينَ يَدَي اللهِ تَعالَىٰ ، فقالَ : يا عُبَيدَ الله! لِمَ تَذَرَّعتَ القَولَ في عِبادي ؟ قُلتُ : يا رَبِّ إنَّهم حاوَلوا دينك قالَ : صَدقتَ ثم أُتِيَ بطَاهِر الخُلقاني ، فاسْتَعدَيتُ عليه إلىٰ رَبِّي تَعالَىٰ ، فضُربَ الحَدَّ مئةً ، ثم أُمِرَ به إلى الحَبْسِ ، ثم قالَ : ألْحِقُوا عُبَيْدَ الله بأصْحابِه : أبي عبدِ الله ، وأبي عبدِ الله ، وأبي عبدِ الله : سُفْيانَ الثَّوري ، ومَالِكِ بنِ أنَس ، وأحمَدَ بنِ حَنْبَل .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : إسْنادُها كالشَّمسِ[2] .

وقالَ الْمُحدِّثُ يَحْيَىٰ بنُ أحمَدَ بنِ زِيادٍ الهَرَويُّ ، صاحِبُ ابنِ مَعين : رَأيتُ في النَّومِ كأنَّ قائلاً يَقُولُ : إنَّ عُثْمانَ ـ يَعني الدَّارميَّ ـ لَذُو حَظٍّ عَظيم[3] .

وقالَ أبو الشَّيخِ : سَمعتُ ابني عبدَ الرَّزَّاق يَحكي عن أبي عبدِ الله الكِسَائيِّ ، قالَ : رَأيتُ ابنَ أبي عاصِم فيما يَرَى النَّائمُ كأنَّه كانَ جالِساً في مَسجِدِ الجَامِع ، وهو يُصلِّي من قُعودٍ ، فسَلَّمتُ عَليه ، فرَدَّ عَليَّ ، وقُلتُ له : أنتَ أحمَدُ بنُ أبي عاصِم ؟ قالَ : نَعَم قُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : يُؤنِسُني رَبِّي قُلتُ : يُؤنِسُكَ رَبُّك ؟ قالَ : نَعَم فشَهِقْتُ شَهقَةً ، وانتَبهْتُ[4] .

وقالَ ابنُ مُجاهِد : رَأيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في الْمَنامِ فقالَ لي : أقْرِىء أبا العَبَّاسِ[5] السَّلامَ ، وقُلْ له : إنَّك صاحِبُ العِلْمِ الْمُسْتَطيلِ .

---

(١) انظر السير : (أبو عبدِ الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٢١ .
(٢) انظر السير : (أبو زُرْعَة الرَّازي) ١٣/ ٦٥ـ ٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٠٥٤ .
(٣) انظر السير : (الدَّارميُّ) ١٣/ ٣١٩ـ ٣٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩٢ .
(٤) انظر السير : (ابنُ أبي عاصِم) ١٣/ ٤٣٠ـ ٤٣٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٩٩ .
(٥) يَعني ثَعْلبَ الْمُحدِّث.

وله كتابُ : « اخْتِلافِ النَّحْويِّينَ » ، وكتابُ « القِراءات » ، وكتابُ « مَعَاني القُرآن » وأشْياء .

وعُمِّرَ ، وأَصَمَّ ، صدَمَته دابَّةٌ ، فوَقَع في حُفرَة ، وماتَ منها في جُمادَى الأولىٰ سَنةَ إحْدَىٰ وتِسْعينَ ومئتَين[١] .

وعن أبي إسْحاقَ إبْراهيمَ بنِ محمَّدِ بنِ الْمُضارب قالَ : رَأيتُ ابنَ خُزَيْمَة في النَّومِ ، فقُلتُ : جَزاكَ اللهُ عن الإسْلامِ خيراً ، فقالَ : كَذَا قالَ لي جِبريلُ في السَّمَاءِ .

وَفاتُه في سَنةِ إحْدَىٰ عَشرَةَ وثَلاث مئة ، عاشَ تِسْعاً وثَمانينَ سَنةً[٢] .

وحَكى ابنُ السَّعْساع المِصْريّ ، أنَّه رأَىَ في النَّومِ أبا بَكْر بن النَّابُلسي بعدما صُلِبَ وهو في أحْسَنِ هَيْئَة ، فقال : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ فقال :

حَبَـانِـي مَـالِكِـي بِـدَوام عِـزٍّ ... وَوَاعَـدَنِـي بِقُـرْبِ الإنْتِصَـارِ
وَقَـرَّبَنِـي وَأَدْنَـانِـي إلَيْـهِ ... وَقَـالَ انعَـمْ بِعَيْـشٍ فِـي جِـوَارِي[٣]

وقالَ أبو بَكر بنُ الخاضِبَة : رَأيتُ كأنَّ القِيامَةَ قد قامَت ، وكأنَّ مَنْ يَقُولُ : أينَ ابنُ الخاضِبَة ؟ فقيلَ لي : ادْخُلِ الجَنَّةَ ، فلمَّا دَخلتُ اسْتَلقَيتُ علىٰ قَفايَ ، ووَضَعتُ إحْدَىٰ رِجلَيَّ على الأُخْرَىٰ ، وقُلتُ : آهٍ! اسْتَرحْتُ والله من النَّسْخِ فرَفَعتُ رَأسي ، فإذا ببَغلَةٍ مُسْرَجَةٍ مُلجَمَةٍ في يَدِ غُلامٍ فقُلتُ : لِمَنْ هـٰذه ؟ فقالَ : للشَّريفِ أبي الحُسَينِ بنِ الغَريقِ فلمَّا كانَ في صَبيحَةِ تِلكَ اللَّيلَة ، نُعِيَ إلَينَا أبو الحُسَين رَحمَهُ اللهُ[٤] .

وقالَ أبو الفَضْلِ بنُ خَيْرُونَ : جاءَني بَعضُ الصَّالِحينَ وأخْبَرَني لَمَّا ماتَ الخَطيبُ أنَّه رآه في النَّومِ ، فقالَ له : كَيفَ حَالُك ؟ قالَ : أنا في رَوْحٍ ورَيْحانٍ وجَنَّةِ نَعيم[٥] .

---

(١) انظر السير : (ثَعْلَب) ١٤/ ٥ـ ٧ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢١ .
(٢) انظر السير : (ابنُ خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٤/١١٦٢ .
(٣) انظر السير : (الشَّهيد) ١٦/١٤٨ـ ١٥٠ ، وانظر النزهة : ٤/١٢٧٦ .
(٤) انظر السير : (ابنُ الْمُهْتَدي بالله) ١٨/ ٢٤١ـ ٢٤٤ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٠٨ .
(٥) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ١/١٤١٥ .

وقالَ أبو الحَسَن عَليُّ بنُ الحُسَين بنِ جَدّا : رَأيتُ بعدَ مَوتِ الخَطيبِ كأنَّ شَخْصاً قَائماً بحِذائي ، فأَرَدتُ أنْ أسْألَه عن أبي بَكر الخَطيبِ ، فقالَ لي ابْتداءً : أُنْزِلَ وَسَطَ الجَنَّة حَيثُ يَتعارَفُ الأبْرار[1] .

وقالَ الفَقيهُ الصَّالِحُ حَسَنُ بنُ أحمَدَ البَصْريُّ : رَأيتُ الخَطيبَ في الْمَنام وعليه ثِيابٌ بِيضٌ حِسَانٌ وعَمَامَةٌ بَيْضاءُ ، وهو فَرْحَانُ يَتبَسَّمُ ، فلا أدْري قُلتُ : ما فَعلَ اللهُ بكَ ؟ أو هو بَدأني ، فقالَ : غَفَرَ اللهُ لي ، أو رَحِمَني ، وكُلُّ مَنْ يَجيءُ ـ فوَقعَ لي أنَّه يَعني بالتَّوْحيدِ ـ إليه يَرحَمُه ، أو يَغفِرُ له فأبْشِرُوا ، وذلكَ بعدَ وَفاتِه بأيَّام .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : تَناكَدَ ابنُ الجَوْزي رَحمَه الله وغَضَّ من الخَطيبِ ، ونَسبَه إلىٰ أنَّه يَتعصَّبُ علىٰ أصْحابِنا الحَنابِلَة .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ : لَيتَ الخَطيبَ تَركَ بَعضَ الحَطِّ على الكِبارِ فلَمْ يَروِه .

قالَ أبو السَّمْعانيِّ : للخَطيبِ سِتَّةٌ وخَمسونَ مُصنَّفاً[2] .

ثمَّ قالَ ابنُ الجَوْزيِّ : حدَّثني الفَقيهُ أبو بَكر بنُ الحُصَري ، قالَ : رَأيتُ ابنَ ناصِر في النَّومِ ، فقُلتُ له : ما فَعلَ اللهُ بك ؟ قالَ : غَفرَ لي ، وقالَ لي : قد غَفرتُ لِعَشرَة من أصْحَابِ الحَديثِ في زَمانِك لأنَّكَ رَئيسُهم وسَيِّدُهم[3] .

وأوْرَدَ الحافِظُ الضِّياءُ لِلحافِظِ عبدِ الغَنيِّ الْمَقْدِسيِّ عِدَّةَ مَنامَاتٍ ، منها قَولُه :

سَمعتُ الرَّضِيَّ عبدَ الرحمَـٰن بنِ محمَّد يَقُولُ : رَأيتُ كأنَّ قائلاً يَقُولُ : جاءَ الحافِظُ من مِصْرَ ، فمَضَيتُ أنا والشَّيخُ أبو عَمْرِو العِزُّ بنُ الحافِظِ إليه ، فجِئْنا إلىٰ دَارِ ففُتِحَ البابُ : فإذا الحافِظُ وعلىٰ وَجهِه عَمودٌ من نُورٍ إلى السَّماءِ ، وإذا وَالِدَتُه في تِلكَ الدَّار[4] .

---

(١) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١٥ .

(٢) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٣/١٤١٥ .

(٣) انظر السير : (ابنُ ناصِر) ٢٠/ ٢٦٥ـ ٢٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٥١ .

(٤) انظر السير : (عبدُ الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٥٢ .

وسَمعتُ أبا مُوسَىٰ بنَ الحافِظِ ، حدَّثني صَنيعَةُ الْمُلكِ هِبَةُ اللهِ بنُ حَيْدَرَة قالَ : لَمَّا خَرَجتُ للصَّلاةِ على الحافِظِ لَقيَني هٰذا الْمَغرِبيُّ[1] ، فقالَ : أنا غَريبٌ ، رَأيتُ البَارِحَةَ كأنِّي في أرْضٍ بها قَومٌ عَليهِم ثِيابٌ بِيضٌ ، فقُلتُ : ما هَؤلاء ؟ قيلَ : مَلائكَةُ السَّماءِ نَزَلُوا لِمَوْتِ الحافِظِ عبدِ الغَنيِّ ، فقُلتُ : وأينَ هُو ؟ فقيلَ لي : اقْعُدْ عندَ الجامِع حتَّىٰ يَخرُجَ صَنيعَةُ الْمُلكِ فامْضِ مَعَه ، قالَ : فلَقيتُه وَاقِفاً عندَ الجَامِع[2] .

وسَمعتُ الفَقيهَ أحمَدَ بنَ محمَّد بنِ عبدِ الغَنيِّ سَنةَ اثنَتَي عَشرَةَ يَقُولُ : رَأيتُ البارِحَةَ أخَاكَ الكَمالَ عبدَ الرَّحيم ـ وكانَ تُوفِّيَ تِلكَ السَّنَة ـ في النَّوم ، فقُلتُ : يا فُلانُ أينَ أنتَ ؟ قالَ : في جَنَّةِ عَدن ، فقُلتُ : أيُّما أفْضَل الحافِظُ أو الشَّيخُ أبو عُمَر ؟ فقالَ : ما أدري ، وأمَّا الحافِظُ فكُلُّ لَيلَةِ جُمُعَة يُنصَبُ له كُرسيٌّ تَحتَ العَرشِ ، ويقرأُ عليه الحَديث ، ويُنثَرُ عليه الدُّرُّ والجَوْهَرُ ، وهٰذا نَصيبي منهُ ، وكانَ في كُمِّه شَيءٌ[3] .

وسَمعتُ القاضيَ الإمامَ عُمَرَ بنَ عَليٍّ الهَكَّاريَّ بنابُلُسَ يَقُولُ : رَأيتُ الحافِظَ عبدَ الغَنيِّ كأنَّه قد جاءَ إلىٰ بَيتِ الْمَقدِس ، فقُلتُ : جِئتَ غَيرَ رَاكِبٍ ، فَعلَ اللهُ بمَنْ جِئتَ من عندِهم! قالَ : أنا حَمَلَني النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم[4] .

وحدَّثني[5] الشَّيخُ الْمُقرىءُ عبدُ الله بنُ حَسَن الهَكَّاريُّ بِحَرَّانَ قالَ : رَأيتُ في النَّومِ قائلاً يَقُولُ لي : العِمَادُ من الأبْدالِ ، فرَأيتُ خَمسَ لَيالٍ كَذلك[6] .

وسَمعتُ التَّقيَّ أحمَدَ بنَ محمَّد بنِ الحافِظِ يَقُولُ : رَأيتُ الشَّيخَ العِمَادَ في النَّومِ علىٰ حِصَانٍ ، فقُلتُ : يا سَيِّدي الشَّيخ ، إلىٰ أينَ ؟ قالَ : أَزُورُ الجَبَّارَ عَزَّ وجَلَّ[7] .

---

(١) كانَ رَجُلاً مَغربياً مَعه فهو يُشيرُ إليه.
(٢) انظر السير : (عبدُ الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٥٣ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٥٣ .
(٤) انظر السير : (عبدُ الغَنيّ) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٥٤ .
(٥) القَولُ للحافِظ الضِّياء .
(٦) انظر السير : (العِمَاد) ٢٢/ ٤٧ـ ٥٢ ، وانظر النزهة : ٦/١٦٦٥ .
(٧) انظر السير : (العِمَاد) ٢٢/ ٤٧ـ ٥٢ ، وانظر النزهة : ٧/١٦٦٥ .

وقالَ الحافِظُ الضِّياءُ ، رَأيتُ أحمَدَ بنَ حَنْبَل في النَّوم فألْقَىٰ عليَّ مَسألَةً فقُلتُ : هٰذه في الخِرَقي ، فقالَ : ما قَصَّرَ صاحِبُكم الْمُوَفَّقُ في شَرْح الخِرَقي .

قالَ الضِّياءُ : كانَ رَحمَهُ اللهُ إماماً في التَّفْسيرِ وفي الحَديثِ ومُشْكِلاتِه ، إمَاماً في الفِقْه ، بلْ أوْحَدَ زَمانِه فيه ، إمَاماً في عِلمِ الخِلافِ ، أوْحَدَ في الفَرائضِ ، إمَاماً في أُصُولِ الفِقهِ ، إمَاماً في النَّحْوِ والحِسَابِ والأنْجُمِ السَّيَّارَة ، والْمَنازِل[1] .

* * *

(١) انظر السير : (ابنُ قُدامَة) ٢٢/ ١٦٥ـ١٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٨١ .

مُتفَرِّقات

(١) الإنْشَادُ والغِنَاء

١ـ الإنْشَاد :

عن محمَّدِ بنِ سِيرينَ ، عن أنَسٍ أنَّه دَخلَ علىٰ أخيه البَرَاء وهو يَتَغنَّىٰ فقالَ : تَتَغنَّى ؟ قالَ : أتَخْشَىٰ عليَّ أنْ أمُوتَ علىٰ فِراشي وقد قَتلتُ تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْساً من الْمُشرِكينَ مُبارَزَةً ، سِوَىٰ ما شَارَكتُ فيه الْمُسلِمينَ ؟ .

وفي رِوايَة : يا أخِي! تتَغَنَّىٰ بالشِّعرِ وقد أبْدَلكَ اللهُ به القُرآن ؟[١] .

قالَ ابنُ النَّجَّار : سَمعتُ مَنْ يَذكرُ أنَّ عَددَ شُيوخِ أبي سَعْد سَبعَةُ آلافِ شَيخ قالَ : وهٰذا شَيءٌ لَمْ يَبلُغْه أحَدٌ ، وكانَ مَليحَ التَّصانيفِ كَثيرَ النشوارِ والأناشِيدِ ، لَطيفَ الْمِزاجِ ، ظَريفاً ، حافِظاً ، واسِعَ الرِّحْلَة ، ثِقةً صَدوقاً دَيِّناً ، سَمعَ منه مَشايخُه وأقرانُه .

ماتَ الحافِظُ أبو سَعْد سَنةَ اثنَتَينِ وسِتِّينَ وخَمسٍ مئة بمَرْو وله سِتٌّ وخَمسُونَ سَنةً[٢] .

٢ـ الغِنَاء :

(أ) التَّحْذيرُ من الغِنَاء :

عن أبي عُثْمانَ اللَّيْثي ، أنَّ يَزيدَ بنَ الوَليدِ بنِ عبدِ الْمَلِك النَّاقصَ ، قالَ : يا بَني أُمَيَّة إيَّاكم والغِناء فإنَّه يُنقِصُ الحَياءَ ، ويزيدُ في الشَّهْوَة ، ويَهْدمُ الْمَروءَةَ ، ويَنُوبُ عن الخَمرِ ، فإنْ كُنتُم لا بُدَّ فاعِلينَ ، فجَنِّبوهُ النِّساءَ فإنَّ الغِناءَ دَاعِيَةُ الزِّنَا[٣] .

---

(١) انظر السير : (البَرَاءُ بنُ مَالِك) ١/ ١٩٥ـ١٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٤٧ .

(٢) انظر السير : (السَّمْعَانيُّ) ٢٠/٤٥٦ـ٤٦٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٧٧ .

(٣) انظر السير : (يَزيدُ بنُ الوَليد) ٥/ ٣٧٤ـ٣٧٦ ، وانظر النزهة : ١/٦١٤ .

(ب) مَنْ اشْتغَلَ بالعِلْمِ من المُغَنِّين :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ إسْحاقَ النَّديم : الإمامُ العَلاَّمَةُ الحافِظُ ذُو الفُنون ، أبو محمَّد إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ بنِ مَيْمُونَ التَّميمِيُّ الْمَوْصِليُّ الأخْبَاريُّ ، صاحِبُ الْمُوسيقَىٰ ، والشِّعرِ الرَّائق ، والتَّصانيفِ الأدَبيَّة مع الفِقْه واللُّغَة ، وأيَّامِ النَّاسِ ، والبَصَرِ بالحَديثِ ، وعُلُوِّ الْمَرتَبَة .

وُلدَ سَنةَ بضْعٍ وخَمسينَ ومئة[١] .

وسَمعَ من : مَالِكِ بنِ أَنَس ، وهُشَيْمِ بنِ بَشير ، وسُفْيانَ بنِ عُيَيْنَة وبَقيَّةَ بنِ الوَليدِ ، وأبي مُعاويَةَ الضَّرير ، والأصْمَعيِّ ، وعَددٍ كَثير[٢] .

حدَّثَ عَنه وَلَدُه حَمَّادُ الرَّاوِيَة ، وشَيخُهُ الأصْمَعيُّ ، والزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار أبو العَيْناء ، ويَزيدُ بنُ مُحمَّد الْمُهَلَّبيُّ ، وآخَرون .

ولَمْ يُكثِرْ عنه الحُفَّاظُ لاشْتِغالِه عَنهُم بالدَّولَة ، وقيلَ : وُلدَ سَنةَ خَمسينَ ومئة صَنَّفَ كتابَ « الأغَاني » الذي يَرويهِ عَنه ابنُهُ[٣] .

وعن إسْحاقَ الْمَوْصِليِّ قالَ : بَقيتُ دَهْراً من عُمْري أغَلِّسُ كُلَّ يومٍ إلىٰ هُشَيْمٍ أو غَيرِه من الْمُحدِّثينَ ، ثم أصيرُ إلى الكِسائيِّ ، أو الفَرَّاءِ ، أو ابنِ غَزال ، فأقْرأُ جُزءاً من القُرآنِ ، ثم إلىٰ أبي مَنْصُور زلزَل[٤] فيُضارِبُني طَرْقَين أو ثَلاثَة ، ثم آتِي عاتِكَةَ بنتَ شَهْدَة ، فآخُذُ منها صَوْتاً أوْ صَوْتَينِ ثم آتِي الأصْمَعيَّ ، وأبا عُبَيْدَة فأسْتَفيدُ منهما ، وآتِي مَجلِسَ الرَّشيدِ بالعَشيِّ[٥] .

(ج) مَنْ كرهَ من المُغَنِّين أن يُنْسَبَ إلى الغِنَاء :

عن إسْحاقَ النَّديم أنَّه كانَ يَكرَه أنْ يُنسَبَ إلى الغِناءِ ، ويَقُولُ : لأنْ أُضرَبَ علىٰ

---

(١) انظر السير : (إسْحاقُ النَّديم) ١١/١٨ـ ١٢١ ، وانظر النزهة : ٩١٥/١ .
(٢) انظر السير : (إسْحاقُ النَّديم) ١١/١٨ـ ١٢١ ، وانظر النزهة : ٩١٥/٢ .
(٣) انظر السير : (إسْحاقُ النَّديم) ١١/١٨ـ ١٢١ ، وانظر النزهة : ٩١٥/٣ .
(٤) وهو الذي علَّم إسْحاقَ الْمَوْصِليّ ضَربَ العُود .
(٥) انظر السير : (إسْحاقُ النَّديم) ١١/١٨ـ ١٢١ ، وانظر النزهة : ٩١٥/٤ .

رَأسي بالْمَقارعِ أحَبُّ إليَّ من أنْ يُقَالَ عَنِّي : مُغَنِّي .

وقالَ الْمَأمُونُ : لَوْلا شُهرَةُ إسْحاقَ بالغِناءِ ، لَوَليتُه القَضاءَ[1] .

(ج) مُغَنُّون ومُغَنِّيات :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عُلَيَّة بنتِ الْمَهْديِّ أُختِ الرَّشيدِ : الهَاشِميَّةُ العَبَّاسيَّةُ ، أديبَةٌ ، شَاعِرَةٌ ، عارِفَةٌ بالغِناءِ والْمُوسيقىٰ ، رَخيمَةُ الصَّوتِ ، ذَاتُ عِفَّةٍ وتَقْوَىٰ ومَناقِب .

وكانت عُلَيَّةُ من مِلاحِ زَمانِها ، وأظْرَفِ بَناتِ الخُلَفاء[2] .

ورَوَىٰ إبْراهيمُ بنُ إسْماعيل الكاتِب أنَّها لا تُغَنِّي إلاَّ زَمَنَ حَيْضِها ، فإذا طَهُرَت أقْبَلَت على التِّلاوَة والعِلمِ ، إلاَّ أنْ يَدعُوها الخَليفَةُ ، ولا تَقدِرُ تُخالِفُه[3] .

وعن مَنْصُورِ بنِ الْمَهْديِّ قالَ : كانَ أخي إبْراهيمُ إذا تَنَحْنَحَ ، طَرِبَ مَنْ يَسمَعُه ، فإذا غَنَّىٰ ، أصْغَت الوُحُوشُ حتَّىٰ تَضَعَ رُؤوسَها في حِجْرِه ، فإذا سَكتَ ، هَرَبَت وكانَ إذا غَنَّىٰ لَمْ يَبْقَ أحَدٌ إلاَّ ذهِلَ[4] .

وقالَ ابنُ الفَضْل بنِ الرَّبيع : ما اجْتَمعَ أخٌ وأخْتٌ أحْسَن غِناءً من إبْراهيمَ بنِ الْمَهْديِّ وأُختِه عُلَيَّة[5] .

* * *

---

(١) انظر السير : (إسْحاقُ النَّديم) ١١/ ١٨ـ ١٢١ ، وانظر النزهة : ٩١٥/ ٥ .

(٢) انظر السير : (عُلَيَّة بنتُ المَهْدي) ١٠/ ١٨٧ـ ١٨٨ ، وانظر النزهة : ٨٦٥/ ٧ .

(٣) انظر السير : (عُلَيَّة بنتُ المَهْدي) ١٠/ ١٨٧ـ ١٨٨ ، وانظر النزهة : ٨٦٥/ ٨ .

(٤) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ الْمَهْدي) ١٠/ ٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ٨٩٣/ ٢ .

(٥) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ الْمَهْدي) ١٠/ ٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ٨٩٣/ ٣ .

(٢) الأوائِل

١ـ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ المُصافَحَة :

عن أنَسٍ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « يَقْدُمُ عَلَيْكم غَداً قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوباً لِلإِسْلامِ مِنْكم » فقَدِمَ الأشْعَرِيُّونَ ، فلمَّا دَنَوا جَعَلوا يَرتَجِزُونَ :

غـــداً نلقـــى الأحبـــة محمـــداً وحـــزبـــه

فلمَّا أنْ قَدِمُوا تَصافَحُوا ، فكَانُوا أوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمُصافَحَة[١] .

٢ـ أَوَّلُ مَنْ سُلِّمَ عليه بالإمْرَة عندَ خُروجِ الإمَامِ إلى الصَّلاة :

عن سمَّاكِ بنِ سَلمَة قالَ : أوَّلُ مَنْ سُلِّمَ عليه بالإمْرَة الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة .

يَعني : قَولَ الْمُؤذِّن عندَ خُروجِ الإمَامِ إلى الصَّلاةِ : السَّلامُ عَليكَ أيُّها الأَمِيرُ ورَحمَةُ الله وبَرَكاتُه[٢] .

٣ـ أشْياءُ مُتعَدِّدَة أحْدَثَها مُعاوِيَة :

عن الشَّعْبيِّ ، قالَ : أوَّلُ مَنْ خَطَبَ جَالِساً مُعاوِيَةُ حينَ سَمن[٣] .

وقال الزُّبَيرُ بنُ بَكار : كانَ مُعاويَةُ أوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الدِّيوانَ للخَتمِ وأمَرَ بالنَّيْروزِ والْمهْرَجان ، واتَّخَذَ الْمَقاصِيرَ في الجَامِعِ ، وأوَّلَ مَنْ قَتلَ مُسْلِماً صَبْراً[٤] ، وأوَّلَ مَنْ قامَ علىٰ رَأسِه حَرَسٌ ، وأوَّلَ مَنْ قُيِّدَتْ بينَ يَدَيه الجَنائبَ ، وأوَّلَ مَنْ اتَّخذَ الخُدَّامَ الخِصْيانَ في الإسْلامِ ، وأوَّلَ مَنْ بَلغَ دَرَجاتِ الْمِنْبَرِ خَمسَ عَشرةَ مرْقاةً ، وكانَ يَقُولُ : أنا أوَّلُ الْمُلوكِ[٥] .

---

(١) انظر السير : (أبو مُوسَى الأشْعَريُّ) ٢/ ٣٨٠ـ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ٢٧٨/ ٤ .

(٢) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١ـ٣٢ ، وانظر النزهة : ٣٢٤/ ٣ .

(٣) انظر السير : (مُعاويَةُ بنُ أبي سُفْيان) ٣/ ١١٩ـ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣٥٦/ ٣ .

(٤) يريد حجرَ بنَ عَدي وأصْحابَه.

(٥) انظر السير : (مُعاويَةُ بنُ أبي سُفْيان) ٣/ ١١٩ـ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٣٥٦/ ٤ .

٤ـ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ النَّحْو :

قالَ أحمَدُ العِجليُّ : أبو الأسْوَدِ الدُّؤَلِي ثِقَةٌ ، كانَ أوَّلَ مَنْ تَكلَّمَ في النَّحْوِ(١) .

وقالَ الوَاقِديُّ : أسْلمَ في حَياةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وقالَ غَيرُه : قَاتَلَ أبو الأسْوَد يومَ الجَمَل مع عَليِّ بنِ أبي طالب ، وكانَ من وُجوه الشِّيعَة ومن أكْمَلِهم عَقْلاً ورَأياً وقد أمَرَه عَليٌّ رضي الله عنه بوَضْع شَيءٍ في النَّحْوِ لَمَّا سَمعَ اللَّحنَ ، قالَ : فأرَاهُ أبو الأسْوَد ما وَضَعَ ، فقالَ عَليٌّ : ما أحْسَنَ هـٰذا النَّحْوَ الذي نَحَوْتَ ، فمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ النَّحْوُ نَحْواً(٢) .

قالَ محمَّدُ بنُ سَلاَّم الجُمَحيُّ : أبو الأسْوَد هو أوَّلُ مَنْ وَضَعَ بابَ الفَاعِلِ والْمَفعُولِ والْمُضاف ، وحَرْفَ الرَّفْعِ والنَّصْبِ والجَرِّ والجَزْمِ ، فأخَذَ ذلكَ عَنه يَحْيَىٰ بنُ يَعْمُر(٣) .

وقالَ الْمُبَرِّدُ : حدَّثنا الْمَازِنيُّ قالَ : السَّببُ الذي وُضِعَت له أبْوابُ النَّحْوِ أنَّ بِنْتَ أبي الأسْوَد قالَت له : ما أشَدُّ الحَرِّ فقالَ : الحَصْباءُ بالرَّمْضاءِ ، قالَت : إنَّما تَعجَّبتُ من شِدَّتِه فقالَ : أوَقد لَحنَ النَّاسُ ؟ فأخْبَرَ بذلك عَلياً رضي الله عنه فأعْطَاهُ أُصُولاً بَنَىٰ منها ، وعَملَ بَعدَه عَليها وهو أوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِفَ(٤) .

٥ـ أَوَّلُ مَنْ قَصَّ القَصَصَ :

عن ثابِت قالَ : أوَّلُ مَنْ قَصَّ عُبَيْدُ بنُ عُمَير علىٰ عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه(٥) .

---

(١) انظر السير : (أبو الأسْوَد) ٤/ ٨١ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٤٤٨/ ٤ .
(٢) انظر السير : (أبو الأسْوَد) ٤/ ٨١ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٤٤٨/ ٥ .
(٣) انظر السير : (أبو الأسْوَد) ٤/ ٨١ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٤٤٨/ ٦ .
(٤) انظر السير : (أبو الأسْوَد) ٤/ ٨١ـ ٨٦ ، وانظر النزهة : ٤٤٨/ ٧ .
(٥) انظر السير : (عُبَيْدُ بنُ عُمَير) ٤/ ١٥٦ـ ١٥٧ ، وانظر النزهة : ٤٦٧/ ٢ .

٦ـ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّنانِيرَ وكتبَ عليها بالقُرآنِ :

قالَ مَالكٌ : أَوَّلُ مُنْ ضَربَ الدَّنانيرَ عبدُ الْمَلكِ بنُ مَرْوانَ ، وكَتبَ عليها بالقُرآن[١] .

٧ـ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الكتُب :

قالَ عبدُ الله بنُ أحمَد : قُلتُ لأبي : مَنْ أوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الكُتُبَ ؟ قالَ : ابنُ جُرَيْج ، وابنُ أبي عَروبَة[٢] .

٨ـ أَوَّلُ مَنْ شَغَلَ المُلُوكَ بكتُبِ العِلْم :

وقالَ ابنُ عَدي : ولوْ لمْ يكن لابنِ إسْحاقَ من الفَضلِ إلاَّ أنَّه صَرفَ الْمُلوكَ عن الاشتغالِ بكُتبٍ لا يَحصُلُ منها شَيءٌ إلى الاشتغالِ بمَغَازي رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ومَبعَثِه ومُبتَدأ الخَلقِ ، لكانَت هٰذه فَضيلَةٌ سَبقَ بها ، ثم مِن بَعده صَنَّفَها قَومٌ آخَرون فلَمْ يَبلُغوا مَبلَغَ ابنِ إسْحاقَ منها ، وقد فتَّشْتُ أحاديثَه كَثيراً فلَمْ أجد من أحاديثِه ما يَتهيَّأ أنْ يُقطَعَ عليه بالضَّعفِ ورُبَّما أخْطأ ، أو يَهِمُ في الشَيء بعد الشَيء كما يُخطيءُ غَيرُه ولمْ يَتخلَّف في الرِّوايَة عنه الثِّقاتُ والأئمَّةُ وهو لا بَأسَ به .

ماتَ ابنُ إسْحاقَ سَنةَ خَمسينَ ومئة[٣] .

٩ـ أَوَّلُ مَنْ جَرَّحَ الرِّجَالَ وعَدَّلَهُم :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي بِسْطام ، شُعْبَةَ بنِ الحَجَّاج : وكانَ أبو بِسْطام إماماً ثَبْتاً حُجَّةً ، ناقِداً ، جِهْبَذاً ، صالِحاً ، زَاهِداً قانِعاً بالقُوتِ ، رَأساً في العِلمِ والعَمَلِ ، مُنْقَطِعَ القَرينِ ، وهو أوَّلُ مَنْ جرَحَ وعَدَّل ، أخَذَ عنه هٰذا الشَّأنَ يَحْيَىٰ بنُ

---

(١) انظر السير : (عبد الملك بن مَرْوان) ٤/٢٤٦ـ٢٤٩ ، وانظر النزهة : ٣/٤٩٠ .

(٢) انظر السير : (ابنُ جُرَيْج) ٦/٣٢٥ـ٣٣٦ ، وانظر النزهة : ٣/٦٥٤ .

(٣) انظر السير : (ابنُ إسْحاق) ٧/٣٣ـ٥٥ ، وانظر النزهة : ٣/٦٧٥ .

سَعيد القَطَّان ، وابنُ مَهْدي وطَائفَةٌ ، وكانَ سُفْيانُ الثَّوريُّ يَخضَعُ له ويُجِلُّه ، ويَقُولُ : شُعْبَةُ أميرُ الْمُؤمنينَ في الحَديث .

وقالَ الشَّافِعيُّ : لَوْلا شُعْبَة لَمَا عُرِفَ الحَديثُ بالعِراقِ[1] .

١٠ـ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ مُسْنَداً :

عن أحمَدَ قالَ : أوَّلُ مَنْ عَرَفْنَاهُ يَكتُبُ الْمُسْنَدَ نُعَيمُ بنُ حَمَّاد[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (شُعْبَةُ) ٧/ ٢٠٢ـ ٢٢٨ ، وانظر النزهة : ١/٦٩٣ .

(٢) انظر السير : (نُعَيمُ بنُ حَمَّاد) ١٠/ ٥٩٥ـ ٦١٢ ، وانظر النزهة : ٥/٨٩٧ .

(٣) البَرَكة

١ـ صُوَرٌ من البَرَكة :

عن عائشَةَ ، قالَت : لَمَّا قَسَّمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم سَبايَا بَني الْمُصْطَلِق ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ في سَهْمِ رَجُلٍ ، فكاتَبَتْهُ ، وكانَت حُلوَةً مُلاَّحَةً ، لا يَراهَا أَحَدٌ إلاَّ أَخَذَتْ بنَفسِه .

فأَتَتْ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم تَستَعينُه ، فكَرِهْتُها ـ يَعني لِحُسْنِها ـ فقالَت : يا رَسُولَ الله ، أنا جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارِث ، سَيِّد قَومِه ، وقد أَصَابَني من البَلاءِ ما لَمْ يَخفَ عَليكَ ، وقد كاتَبتُ ، فأَعِنِّي فقالَ صلى الله عليه وسلم : « أَوَخَيْرٌ مِنْ ذَلكَ ، أُؤَدِّي عَنْكِ ، وَأَتَزَوَّجُك » ؟ فقالَت : نَعَم ففَعلَ فبَلَغَ النَّاسُ ، فقالوا : أَصْهَارُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم! فأَرْسَلوا ما كَانَ في أَيْدِيهِم من بَني الْمُصْطَلِق فلَقَد أُعْتِقَ بها مئةُ أَهْلِ بَيتٍ فمَا أَعْلَمُ امْرأَةً كانَتْ أَعْظَمَ بَركةً علىٰ قَومِها منها[1] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ ، قالَ : أَتَيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بتَمراتٍ ، فقُلتُ : ادْعُ لي فِيهِنَّ يا رَسُولَ الله بالبَرَكَة فقَبَضَهُنَّ ، ثم دَعَا فيهِنَّ بالبَرَكَة ، ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « خُذْهُنَّ فَاجعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدٍ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُنَّ ، فَأَدْخِلْ يَدَكَ ، فَخُذْ ، وَلا تَنْثُرْهُنَّ نَثْراً » .

فقالَ : فحَملتُ من ذلكَ التَّمر كَذا وكَذا وَسَقاً[2] في سَبيلِ الله ، وكُنَّا نَأكُلُ ونُطعِمُ ، وكانَ الْمِزْوَد مُعلَّقاً بحَقْوي[3] ، لا يُفارِقُ حَقْوي ، فلمَّا قُتلَ عُثْمانُ ، انْقَطَع .

---

(١) انظر السير : (جُوَيْرِيَةُ أُمُّ الْمُؤمنينَ) ٢/ ٢٦١ـ٢٦٥ ، وانظر النزهة : ١/٢٥٦ .

(٢) الوَسَق : مكيلة معلومة عندهم ، يُقال : هو حِملُ بَعير ، وهو ستُّونَ صَاعاً بصَاعِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

(٣) الحِقْوُ : معقد الإزار.

قالَ التِّرْمِذيُّ حَسَنٌ غريبٌ .

مُسنَدُه : خَمسَةُ آلافٍ وثَلاثُ مئةٍ وأرْبَعَةٌ وسَبْعونَ حَديثاً[1] .

وعن ابنِ عَبَّاس ، قالَ : مَسحَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم رَأسِي ، ودَعا لي بالحِكْمَة[2] .

وعن سَعيدِ بنِ جُبَير ، عن عبدِ الله ، قالَ : بِتُّ في بَيتِ خَالَتي مَيْمُونَة فوَضَعتُ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم غسْلاً ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَضَعَ هَـٰذا ؟ » قالوا : عبدُ الله فقالَ صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأوِيلَ وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »[3] .

وعن إسْحاقَ بنِ عبد الله بنِ أبي طَلْحَة ، حدَّثنا أنَسٌ قالَ : جاءَت بي أمُّ سُلَيم إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قد أزَّرَتْني بنِصْفِ خِمارِها ، ورَدَّتْني ببَعضِه فقالَت : يا رَسُولَ الله! هـٰذا أُنَيسٌ ابْني أتَيْتُكَ به يَخْدِمُك ، فادْعُ اللهَ له فقالَ صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أَكثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ » فوالله إنَّ مالي لكَثيرٌ ، وإنَّ وَلَدي ووَلَدَ وَلَدي يتَعادُّونَ علىٰ نَحوٍ من مئة اليَومَ[4] .

وعن أنَسٍ ، قالَ : دَعَا لي رُسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وأَطِلْ حَيَاتَه » فاللهُ أكثرَ مالي حتَّىٰ إنَّ كَرْماً لي لَتَحملُ في السَّنَةِ مَرَّتَينِ ، ووُلِدَ لِصُلبي مِئةٌ وسِتَّة[5] .

٢ـ مَاءُ زَمْزَمْ مُبَارَكٌ :

قالَ القاسِمُ بنُ محمَّد بنِ عبَّاد : سَمعتُ سُوَيدَ بنَ سَعيد يَقُولُ : رَأيتُ ابنَ الْمُبارَك بمَكة أتَىٰ زَمْزَمَ ، فاسْتَقَىٰ شَرْبةً ، ثم اسْتَقبَلَ القِبلَةَ ، فقالَ « اللَّهُمَّ إنَّ ابنَ أبي الْمَوال ،

---

(١) انظر السير : (أبو هُرَيْرَةَ) ٢/ ٥٧٨ـ ٦٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٣١٦ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَبَّاس البَحْر) ٣/ ٣٣١ـ ٣٥٩ ، وانظر النزهة : ٣/٣٨٩ .
(٣) انظر السير : (عبدُ الله بنُ عَبَّاس البَحْر) ٣/ ٣٣١ـ ٣٥٩ ، وانظر النزهة : ٥/٣٨٩ .
(٤) انظر السير : (أنَسُ بنُ مَالك) ٣/ ٣٩٥ـ ٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٠٠ .
(٥) انظر السير : (أنَسُ بنُ مَالك) ٣/ ٣٩٥ـ ٤٠٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٠٠ .

حدَّثنا عن محمَّدِ بنِ الْمُنْكَدِر عن جابرٍ ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قالَ : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَه » وهـٰذا أشْرَبُه لِعَطَشِ القِيامَة ، ثم شَرِبَه[1] .

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : رَأيتُ أبي أخَذَ قَصْعَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فغَسَلها في حُبِّ الْمَاءِ ثم شَربَ فيها ، ورَأيتُه يَشْرَبُ من مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتشفي به ، وَيمسَحُ به يَدَيه ووَجْهَه[2] .

وقالَ الحاكِمُ : أخْبَرنا أبو بَكر مُحمَّدُ بنُ جَعْفَر ، سَمعتُ ابنَ خُزَيْمَةَ وسُئِلَ : مِنْ أينَ أُوتِيتَ العِلمَ ؟ فقالَ : قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَه » وإنِّي لَمَّا شَربتُ سَألتُ اللهَ عِلماً نَافِعاً[3] .

وقالَ أبو حازِم عُمَرُ بنُ أحمَد العَبْدويُّ الحافِظُ : سَمعتُ الحاكِمَ أبا عبدِ الله إمامَ أهْلِ الحَديثِ في عَصرِه يَقُولُ : شَربتُ مَاءَ زَمْزَمَ ، وسَألتُ اللهَ أنْ يَرزُقَني حُسْنَ التَّصْنيفِ[4] .

وقالَ الحافِظُ ابنُ عَساكِر : سَمعتُ الحُسَينَ بنَ مُحمَّد يَحْكي ، عن ابنِ خَيْرُونَ أو غَيرِه ، أنَّ الخَطيبَ ذَكَرَ أنَّه لَمَّا حَجَّ شَربَ من مَاءِ زَمْزَمَ ثَلاثَ شَرباتٍ ، وسَألَ اللهَ ثَلاثَ حَاجَاتٍ : أنْ يُحَدِّثَ بـ « تَاريخِ بَغْدَادَ » بها ، وأنْ يُمْلِيَ الحَديثَ بجَامعِ الْمَنْصُورِ ، وأنْ يُدفَنَ عندَ بِشْرِ الحَافي فقُضِيَتْ له الثَّلاثُ[5] .

* * *

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٦٧ .
(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٩ .
(٣) انظر السير : (ابنُ خُزَيْمَة) ١٤/ ٣٦٥ـ ٣٨٢ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٠ .
(٤) انظر السير : (الحاكمُ) ١٧/ ١٦٢ـ ١٧٧ ، وانظر النزهة : ١/١٣٣٢ .
(٥) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١٢ .

(٤) التَّبَرُّك بآثارِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم والصَّالحين

١ـ صُوَرٌ من التَّبَرُّك بآثارِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم :

عن عبدِ الحَميدِ بنِ جَعْفَر ، عن أبيه ، أنَّ خالدَ بنَ الوَليد فقدَ قَلَنْسُوةً لَه يَومَ اليَرْمُوك ، فقالَ : اطْلُبوها ، فلَمْ يَجدُوها ، ثم وُجدَت فإذا هي قَلنسُوة خَلِقَة فقالَ خالدٌ : اعْتَمرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحَلقَ رَأسَه ، فابْتَدرَ النَّاسُ شَعرَه ، فسَبَقتُهم إلىٰ ناصِيَتِه ، فجَعلتُها في هٰذه القَلَنْسوَة ، فلَمْ أشْهَدْ قِتالاً وهي مَعي إلاَّ رُزِقتُ النَّصْرَ[١] .

وقالَ لنا الحافِظُ أبو محمَّد : حَلقَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم شِقَّ رَأسِه فوَزَّعَه على النَّاسِ ، ثم حَلقَ شِقَّه الآخَر ، فأعْطاهُ أبا طَلْحَة[٢] .

عن أمِّ عَطيَّة ، قالت : لمَّا ماتَت زَيْنَبُ بنتُ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اغْسِلْنَهَا وِتْرَاً ، ثَلاثاً ، أوْ خَمْسَاً ، واجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كافُوراً أوْ شَيْئاً مِنْ كافُورٍ ، فإذَا غَسَلْتُنَّهَا فَأعْلِمْنَنِي » فلمَّا غَسَّلْناها ، أعْطانا حَقْوَهُ[٣] ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أَشْعِرْنَهَا إيَّاه »[٤] .

وعن أمِّ سُلَيم ، قالَت : كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقيلُ في بَيْتِي ، وكُنتُ أبْسُطُ له نَطْعاً فيَقيلُ عَليه ، فيَعْرَقُ ، فكُنتُ آخُذُ سُكَّاً فأعْجِنُهُ بعَرقِه .

قالَ ابنُ سِيرينَ : فاسْتُوهبتُ من أمِّ سُلَيم من ذلكَ السُّكِّ ، فوَهَبَتْ لي منه .

---

(١) انظر السير : (خالدُ بنُ الوَليد) ١/ ٣٦٦ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٣/ ١٧٩ .

(٢) انظر السير : (أبو طَلْحَة الأنْصاري) ٢/ ٢٧ـ ٣٤ ، وانظر النزهة : ٥/ ٢١٤ .

(٣) والحقو : الإزار ، وجمعها : حِقيٌّ وأَحْقٍ وأحْقاء ، والأصل في الحقو : معقد الإزار ، وسُمي الإزار حقواً لأنه يُشَدُّ على الحقو ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أشْعِرْنها إيّاه » يريد اجعلنه شعاراً لها ، وهو الثوب الذي يلي جسدها ، فالشعار الثوب الذي يلي الجسد ، والدثارُ فوق الشعار .

(٤) انظر السير : (زَينَب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٢/ ٢٤٦ـ ٢٥٠ ، وانظر النزهة : ٦/ ٢٥٣ .

قالَ أيُّوبُ : فاسْتَوهَبتُ من محمَّد من ذلكَ السُّكِّ فوَهبَ لي منه ، فإنَّه عندي الآنَ .

قالَ : ولَمَّا ماتَ محمَّدٌ حُنِّطَ بذَلكَ السُّكِّ[1] .

وعن أنَسٍ : أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، دَخلَ علىٰ أمِّ سُلَيمٍ ، وقِربَةٌ مُعلَّقَةٌ ، فشَربَ منها قائماً ، فقامَت إلىٰ فِيِّ السِّقاءِ ، فقَطعَته[2] .

رَواهُ عُبَيدُ الله بنُ عَمرُو ، فزادَ : وأمْسَكَتْه عندَها[3] .

وعن أنَسٍ : أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، لَمَّا أرادَ أنْ يَحْلِقَ رَأسَه بمِنَىٰ ، أخذَ أبو طَلْحَة شِقَّ شَعْرِه ، فجاءَ به إلىٰ أُمِّ سُلَيم ، فكانَتْ تَجعَلُه في سُكِّها[4] .

وقالَت : وكانَ يَقيلُ عِندي علىٰ نَطْعٍ ، وكانَ صلى الله عليه وسلم مِعْراقاً[5] ، فجَعَلتُ أسْلِتُ العَرقَ في قارُورَة ، فاسْتَيقَظَ صلى الله عليه وسلم ، فقالَ : « مَا تَجْعَلينَ ؟ » قُلتُ : أُريد أنْ أدُوفَ[6] بعرَقِكَ طِيبي[7] .

وعن أبي مُوسَىٰ ، قالَ : كُنتُ عندَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بالجِعرَّانَة ، فأتَىٰ أعْرابيٌّ فقالَ : ألا تُنْجز لي ما وَعَدتَني ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « أبْشِرْ » قالَ : قد أكثَرتَ من البُشْرَىٰ فأقبلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عليَّ وعلىٰ بِلال ، فقالَ : « إنَّ هَـٰذا قَد رَدَّ البُشْرَىٰ فَاقْبَلا أنتُمَا » : فقَالا : قَبلنَا يا رَسُولَ الله فدَعَا بقَدَح ، فغَسَلَ يَدَيه ووَجْهَه فيه ، ومَجَّ فيه ، ثم قالَ : « اشْرَبَا مِنْهُ ، وَأَفْرِغَا عَلَىٰ رُؤوسِكمَا

---

(١) انظر السير : (أمُّ سُلَيم الغُمَيْصَاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ١/٢٦٥ .

(٢) قال النووي في « رياضه » (ص٣٣٩) : (وإنما قَطعَتها لتَحفَظَ مَوضِعَ فَمِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وتَتبَرَّكَ به وتَصُونَه عن الابْتِذال) .

(٣) انظر السير : (أمُّ سُلَيم الغُمَيْصَاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٦٥ .

(٤) انظر السير : (أمُّ سُلَيم الغُمَيْصَاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ٣/٢٦٥ .

(٥) المعراق : كثير العرق .

(٦) وأدوفُ : أخلطُ .

(٧) انظر السير : (أمُّ سُلَيم الغُمَيْصَاء) ٢/ ٣٠٤ـ ٣١١ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٥ .

وَنُحُورِكمَا » ففعَلا! فنَادَت أمُّ سَلمَة مِنْ وَراءِ السِّترِ أنْ فَضِّلا لأمِّكُما ، فأفْضَلا لَهَا منه[1] .

وعن أبي رُهم : أنَّ أبا أيُّوبَ الأنْصَارِيّ حَدَّثَه : أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَزَلَ في بَيتِنا الأسْفَل وكُنتُ في الغُرفَةِ ، فأُهْرِيقَ ماءٌ في الغُرفَةِ ، فقُمتُ أنا وأُمُّ أيُّوبَ بقَطِيفَةٍ لنا نَتَتَبَّعُ الماءَ ، ونزَلتُ فقلتُ : يا رسولَ اللهِ لا يَنْبَغِي أن نَكونَ فَوْقَكَ ، انتَقِلْ إلى الغُرفَة فأَمَرَ بمَتَاعِهِ فنُقِلَ - ومَتَاعُهُ قليل - قلتُ : يا رسولَ الله ، كنتُ تُرسِلُ بالطَّعامِ ، فأنظُرُ فإذا رأيتُ أثَرَ أصابِعِكَ ، وضَعتُ فيه يَدِي[2] .

وعن الْمُغيرَة بنِ شُعْبَة ، قالَ : أنا آخِرُ النَّاسِ عَهْداً برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لَمَّا دُفِنَ خَرجَ عَليُّ بنُ أبي طَالِب من القَبرِ ، فألْقَيتُ خَاتِمِي ، فقُلتُ : يا أبَا الحَسَن خَاتَمي! قالَ : انْزِلْ فَخُذْه ، قالَ : فمَسَحتُ يَدي على الكَفَنِ ، ثمَّ خَرَجتُ[3] .

وعن عبدِ الأعْلَىٰ بنِ مَيْمونَ بنِ مِهْرانَ : عن أبيه ، أنَّ مُعاويَةَ أوْصَىٰ فقالَ : كُنتُ أُوَضِّىءُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فنَزعَ قَميصَه وكَسَانيه ، فرَفَعتُه وخَبَّأتُ قُلامَةَ أظْفَارِه ، فإذَا مِتُّ فألْبِسُوني القَميصَ علىٰ جِلْدي ، واجْعَلوا القُلامَةَ مَسْحُوقَةً في عَيْنَيَّ ، فعَسَى الله أنْ يَرحَمَني ببَرَكتِها[4] .

قال محمدُ بنُ سِيرين : قلتُ لعَبيدَة بن عَمرو : إنَّ عِندَنا من شَعرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من قِبَلِ أنسِ بنِ مالك ، فقال : لأَنْ يَكونَ عِندي مِنْهُ شَعرَةٌ أَحَبُّ إليَّ من كُلِّ صَفْراءَ وبيْضَاءَ علىٰ ظَهرِ الأرض .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : هـٰذا القَولُ من عُبَيْدَة هو مِعْيارُ كَمَالِ الحُبّ ، وهو يُؤثِرُ شَعرَةً نَبَويَّةً علىٰ كُلِّ ذهبٍ وفِضَّةٍ بأَيْدِي النَّاس .

---

(١) انظر السير : (أبو مُوسَى الأشْعَريّ) ٢/ ٣٨٠- ٤٠٢ ، وانظر النزهة : ١/٢٧٩ .

(٢) انظر السير : (أبو أيوب الأنصاري) ٢/ ٤٠٢- ٤١٣ ، وانظر النزهة : ١/٣٨٢ .

(٣) انظر السير : (الْمُغيرَةُ بنُ شُعْبَة) ٣/ ٢١- ٣٢ ، وانظر النزهة : ١/٣٢٤ .

(٤) انظر السير : (مُعاويَةُ بنُ أبي سُفيان) ٣/ ١١٩- ١٦٢ ، وانظر النزهة : ٧/٣٥٦ .

ومِثلُ هـٰذا يقُولُه الإمامُ بعدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بخَمسينَ سنةً ، فما الذي نَقُولُه نحنُ في وقتِنا لو وَجَدْنا بعضَ شَعرِه بإسْنادٍ ثابت ، أو شِسْعَ نعلٍ كان له ، أو قُلامَةَ ظُفرٍ أو شَقْفَةً من إناءٍ شَرِبَ فيه صلى الله عليه وسلم فلَو بَذَلَ الغَنيُّ مُعظَمَ مالِه في تحْصيلِ شيء من ذلك عِندَه أكُنتَ تَعُدُّه مُبَذِّراً أو سَفِيهاً ؟ كلاً فابذُل مالَكَ في زَورَةِ مسجِدِه الذي بنى فيه بيَدِه والسَّلامِ عليه عندَ حُجرَتِه في بَلَدِه ، والتَذَّ بالنَظَرِ إلىٰ أُحُدِه وأحِبَّه ، فقد كان نبيُّكَ صلى الله عليه وسلم يُحِبُّه وتَمَلأْ بالحُلُولِ في رَوضَتِه ومقعَدِه ، فلَنْ تكونَ مُؤمِناً حتّىٰ يكونَ هـٰذا السيِّدُ أحبَّ إليكَ من نفسِك وولَدِك وأموالِك والنَّاسِ كلِّهم وقَبِّلْ حَجَراً مُكَرَّماً نَزَلَ من الجَنَّة ، وضَعْ فَمَكَ لاثِماً مكاناً قَبَّلَه سَيِّدُ البَشَر بيَقِين ، فهنَّأكَ الله بما أعطاك ، فما فوقَ ذلك مَفْخَر ولو ظَفِرنا بالمِحجَن الذي أشَارَ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم إلى الحَجَرِ ثمَّ قَبَّلَ مِحْجَنَه ، لحُقَّ لنا أنْ نَزدَحِمَ علىٰ ذلك المِحْجَن بالتَّقْبيل والتَّبْجيل ، ونحن نَدْري بالضَّرُورة أنَّ تَقبيلَ الحَجَرِ أرْفَعُ وأفْضَلُ من تَقْبيل مِحْجَنِه ونَعْلِه صلى الله عليه وسلم .

وقد كان ثابتٌ البُنَانيُّ إذا رَأىٰ أنَسَ بنَ مالك أخَذَ يَدَه فقَبَّلَها ويقولُ يدٌ مَسَّتْ يَدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فنقولُ نَحنُ إذْ فاتَنا ذلك : حَجَرٌ مُعَظَّمٌ بمَنزِلَةِ يَمِينِ اللهِ في الأرضِ مَسَّته شَفَتَا نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم لاثِماً له ، فإذا فاتَكَ الحَجُّ وتَلَقَّيتَ الوَفْدَ فالْتَزِم الحَاجَّ وقَبِّل فَمَه ، وقُلْ : فمٌ مَسَّ بالتَّقبِيل حَجَراً قَبَّلَه خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم[1] .

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : رَأيتُ أبي يأخُذُ شَعْرةً من شَعْرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فيَضَعُها علىٰ فِيه يُقبِّلُها وأحْسَبُ أنِّي رأيتُه يَضَعُها علىٰ عَيْنَيْه ، ويَغْمِسُها في الْماءِ ويَشْرَبُه يَسْتَشفي به[2] .

ورَأيتُه أخَذَ قَصْعَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فغَسَلها في حُبِّ الْمَاءِ ثم شَرِبَ فيها ،

---

(١) انظر السير : (عَبيدة بن عَمرو) ٤/ ٤٠ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٤/٤٣٩ .
(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٨ .

ورأيتُه يَشْرَبُ من مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتشفي به ، وَيمسَحُ به يَدَيه ووَجْهَه[1] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : أينَ الْمُتَنطِّعُ الْمُنكِرُ علىٰ أحمَدَ ، وقد ثَبتَ أنَّ عبدَ اللهِ سَألَ أباه عَمَّن يَلمَسُ رُمَّانَةَ مِنْبَرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ويَمَسُّ الحُجْرَةَ النَّبويَّةَ ، فقالَ : لا أرىٰ لِذَلكَ بَأساً أعَاذَنا اللهُ وإيَّاكم من رَأيِ الخَوارجِ ومن البِدَعِ[2] .

قال : وقد صار إليَّ شَعْرٌ من شَعْرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في كُمِّ قَميصي ، فوَجَّه إليَّ إسْحاقُ بنُ إبراهيم ، يقول : ما هـٰذا المَصْرورُ ؟ قلتُ : شَعْرٌ من شَعرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وسَعَىٰ بعضُهم ليَخْرقَ القَميصَ عنِّي ، فقال المُعْتَصمُ : لا تَخْرقوه ، فنُزِعَ ، فظَنَنْتُ أنَه إنَّما دُرِىءَ عن القَميص الخَرق بالشَّعْر قال : وجَلَسَ المُعْتَصمُ علىٰ كُرسيٍّ ثم قال : العُقابَيْن والسِّياط ، فجِيءَ بالعُقابَين ، فمُدَّت يَدايَ ، فقال : بعضُ مَنْ حَضَرَ خَلفي : خُذْ ناتِىءَ الخَشَبتَين بيَدَيك ، وشُدَّ عليهما ، فلمْ أفْهَم ما قال ، فتخَلَّعَتْ يَداي[3] .

وقال الخَلاَّلُ : أخْبَرني عِصْمَةُ بنُ عِصَام ، حدَّثنا حَنْبَل ، قالَ : أعْطَىٰ بَعضُ وَلَدِ الفَضْلِ بنِ الرَّبيع أبا عبدِ الله أحمدَ بنَ حَنْبَل ، وهو في الحَبسِ ثَلاثَ شَعْراتٍ ، فقالَ : هـٰذه من شَعْرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأوْصَىٰ أبو عبد الله عند مَوتِه أنْ يُجعَلَ علىٰ كُلِّ عَينٍ شَعرَةً ، وشَعرَةً علىٰ لِسَانِه ففُعلَ ذلكَ به عند مَوتِه .

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَد ومُطيِّنٌ وغَيرُهما : ماتَ لاثنَتَي عَشرَةَ خَلتْ من رَبيع الأوَّل ، يَومَ الجُمُعَة .

قالَ صالحُ بنُ أحمَد : واشْتَرينَا له حَنُوطاً ، وفُرِغَ من غُسْلِه ، وكفَّنّاه وحضَر نَحوُ مئة من بَني هاشِم ، ونَحنُ نُكفِّنُه وجَعلوا يُقبِّلُونَ جَبهَتَه حتَّىٰ رَفعْناهُ على السَّريرِ .

قالَ عبدُ الله : صَلَّىٰ علىٰ أبي مُحمَّدُ بنُ عبد الله بنِ طاهِر ، غَلبَنا على الصَّلاةِ عَليه ، وقد كُنَّا صَلَّينا عليه نَحنُ والهاشِميُّونَ في الدَّار ، ولَمْ يَعلَم النَّاسُ بذلكَ ،

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٩ .

(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٩٢٩ .

(٣) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٣٨ .

فلمَّا كانَ في الغَدِ عَلِموا ، فجَعلوا يَجيؤُونَ ، ويُصَلُّونَ على القَبرِ ومَكثَ النَّاسُ ما شَاءَ الله ، يَأتُونَ ، فيُصلُّونَ على القَبرِ[١] .

قالَ محمَّدٌ الورَّاقُ : دَخلَ أبو عبد الله محمَّدُ بنُ إسْماعيلَ البُخاريُّ بِفِرَبْر الحمَّامَ ، وكنتُ أنا في مَسْلَح الحمَّام ، أتَعاهَدُ عليه ثيابَه ، فلمَّا خَرجَ ناوَلتُه ثيابَه ، فلَبسَها ثم ناوَلتُه الخُفَّ ، فقالَ : مَسَسْتَ شَيئاً فيه شَعرُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقُلتُ : في أيِّ مَوْضِعٍ هو من الخُفِّ ؟ فلَمْ يُخبِرْني ، فتَوَهَّمتُ أنَّه في سَاقِه بينَ الظِّهارَة والبِطَانَة[٢] .

وقالَ الْمُسبِّحيُّ : لَمَّا غُسِّلَ الوَزيرُ ابنُ حِنْزابَة جُعلَ فيه ثَلاثُ شَعراتٍ من شَعرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كانَ أخَذَها بمَالٍ عَظيم .

وحِنْزابَة : جاريَةٌ هي وَالِدَةُ الفَضْلِ الوَزير ، وفي اللُّغَة : الحِنْزابَة هي القَصيرَة السَّمينَة[٣] .

٢ـ صُوَرٌ من التَّبَرُّك بالصَّالحين وآثارِهم :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يَحْيَى بن يَحْيَىٰ : وبَلغَنا أنَّ يَحْيَىٰ أوْصَىٰ بثيابِ بَدَنِه لأحمَدَ بنِ حَنْبَل ، فلمَّا قَدِمَتْ علىٰ أحمَد ، أخَذَ منها ثَوباً واحداً للبَرَكَة ، ورَدَّ الباقي ، وقالَ : إنَّه لَيسَ تَفصيلُ ثيابِه من زِيِّ بَلدِنا[٤] .

وقالت فاطمةُ بنتُ أحمدَ بن حَنْبَل : وقع الحَريقُ في بيتِ أخي صالح ، وكان قد تزَوَّجَ بفَتيَّة ، فحَملوا إليه جهَازاً شَبيهاً بأربعة آلاف دينار فأكلَتْهُ النَّارُ ، فجَعلَ صالحٌ يقولُ : ما غَمَّني ما ذهب إلاَّ ثوبٌ لأبي كان يُصَلِّي فيه أتَبَرَّكُ به وأصَلِّي فيه قالت : فطُفِيءَ الحَريقُ ، ودَخلوا فوَجَدوا الثَّوبَ علىٰ سَريره قد أكلَت النَّارُ ما حَوْلَه وسَلِمَ[٥] .

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٤٩ .
(٢) انظر السير : (أبو عبد الله البُخاريُّ) ١٢/ ٣٩١ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٠١٧ .
(٣) انظر السير : (ابنُ حِنْزابَة) ١٦/ ٤٨٤ـ٤٨٨ ، وانظر النزهة : ٤/١٣٠٧ .
(٤) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ يَحْيَىٰ) ١٠/ ٥١٢ـ٥١٩ ، وانظر النزهة : ٤/٨٨٩ .
(٥) انظر السير : (أحمدُ بن حَنبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٣١ .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ يَحْيَىٰ بنِ مُجاهِد: ذكرَه ابنُ بَشكوال في غير « الصِّلَة » ، فقال : زاهِدُ عَصرِه ، وناسِكُ مِصْرِه ، الذي به يَتبرَّكونَ ، وإلىٰ دُعائِه يَفزَعُون .

كانَ مُنقطِعَ القَرين ، مُجابَ الدَّعوَة ، جُرِّبَت دَعوَتُه في أشْياءَ ظَهَرَت ، حَجَّ وعُنِيَ بالقِراءاتِ والتَّفسيرِ ، وله حَظٌّ من الفِقْه ، لكنْ غَلبَتْ عليه العِبادَة[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي إسْحاقَ الشِّيرازيِّ : قالَ محمَّدُ بنُ عبدِ الْمَلكِ الهَمَذانيُّ : نَدبَ الْمُقْتَدي بالله أبا إسْحاقَ للرسْليَّة إلى الْمُعَسكَرِ ، فتَوجَّه في آخِرِ سَنَةِ خَمسٍ وسَبعينَ ، فكانَ يَخرُجُ إليه أهْلُ البَلدِ بنِسائهم وأوْلادِهم يَمْسَحونَ أرْدانَه[2] ، ويأخُذُونَ تُرابَ نَعلَيْه يَسْتَشفُونَ به ، وخَرجَ الخَبّازُونَ ، ونَثَروا الخُبز ، وهو يَنْهاهُم ولا يَنتَهُونَ ، وخَرجَ أصْحابُ الفَاكِهَة والحَلْواءِ ، ونَثَروا علىٰ (أبي إسْحاقَ وصَحْبه ، ومَرُّوا علىٰ)[3] الأسَاكِفَة وعَملوا مَداسَاتٍ صِغَاراً ، ونَثَرُوها ، وهي تَقَعُ علىٰ رُؤوسِ النَّاسِ ، والشَّيْخُ يُعجَبُ ، وقالَ لنَا : رَأيتُم النُّثَّارَ ، ما وَصلَ إلَيكُم منه ؟ فقالُوا : يا سَيِّدي! وأنتَ أيُّ شَيءٍ كانَ حَظُّكَ منه ؟ قالَ : أنا غَطَّيتُ نَفسِي بالْمِحَفَّة .

وكان أهل سبتة يتغالون فيه ، ويتبركون برؤيته رحمه الله[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحَجْريِّ : وكانَ أهلُ سَبْتَة يَتَغالونَ فيه ، ويتَبَرَّكونَ برُؤيَتِه ، رَحمَهُ الله[5] .

---

(١) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مُجاهِد) ١٦/ ٢٤٤ـ٢٤٦ ، وانظر النزهة : ٦/١٢٩١ .

(٢) الأرْدان : جَمع ردن ، وهو أصْلُ الكُمِّ .

(٣) قالَ صاحبُ « النُّزهَة » : ما بينَ القَوسين زيادة متعينة ليُفهَم السياق ، وانظر الخبرَ بسياقٍ أحسن في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للسُّبكي (٤/ ٢٢٠) .

(٤) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازي) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٤٣٠ .

(٥) انظر السير : (الحَجْريُّ) ٢١/ ٢٥١ـ ٢٥٤ ، وانظر النزهة : ١/١٦١٧ .

٣ـ الاسْتشْفاء بآثارِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم :

وقالَ عبدُ الله بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : رَأيتُ أبي يأخُذُ شَعْرةً من شَعْرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فيَضَعُها علىٰ فِيه يُقبِّلُها وأحْسَبُ أنِّي رأيتُه يَضَعُها علىٰ عَيْنَيْه ، ويَغْمِسُها في الْماءِ ويَشْرَبُه يَسْتَشفي به[١] .

٤ـ التَبَرُّك بمُصافَحَةِ الصَّالحين :

وقال أبو عَمرو بنُ نُجَيد : سَمعتُ أبا عُثمانَ سَعيدَ بنَ إسْماعيلَ يقولُ : تَقدَّمتُ لأُصافحَ أبا عبدِ الله البُوشَنْجي تبرُّكاً ، فقَبَضَ عَنِّي يَدَه ، ثم قال : يا أبا عُثمان! لَستُ هُناك[٢] .

٥ـ التَبَرُّك بالدَّفْنِ بجِوار الصَّالحين :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ عبدِ الله بنِ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : ماتَ ودُفِنَ في مَقابِر التِّبْن[٣] ، وكان الجَمعُ فَوقَ الْمِقْدار .

وقيلَ : إنَّه أمَرَهم أنْ يَدفِنُوهُ هُناكَ ، وقالَ : بَلَغَني أنَّ هُناكَ قَبرَ نَبيٍّ ، ولأنْ أكُونَ في جِوارِ نَبيٍّ أحَبُّ إليَّ أنْ أكُونَ في جِوارِ أبي[٤] .

وقالَ الحافِظُ ابنُ عَساكِر : سَمعتُ الحُسَينَ بنَ مُحمَّد يَحْكي ، عن ابنِ خَيْرُونَ أو غَيرِه ، أنَّ الخَطيبَ ذَكَرَ أنَّه لَمَّا حَجَّ شَربَ من مَاءِ زَمْزَمَ ثَلاثَ شَرباتٍ ، وسَألَ الله ثَلاثَ حَاجَاتٍ : أنْ يُحدِّثَ بـ « تَاريخِ بَغْدَادَ » بها ، وأنْ يُمْلِيَ الحَديثَ بجَامعِ الْمَنْصُورِ ، وأنْ يُدفَنَ عندَ بِشْرِ الحَافي فقُضيَتْ له الثَّلاثُ[٥] .

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٥/٩٢٨ .

(٢) انظر السير : (البُوشَنْجي) ١٣/ ٥٨١ـ٥٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١١١٨ .

(٣) باب التِّبْن : محلَة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاءه قطيعة أم جعفر .

(٤) انظر السير : (عبدُ الله بنُ أحمَد) ١٣/ ٥١٦ـ٥٢٦ ، وانظر النزهة : ١/١١١٤ .

(٥) انظر السير : (الخَطيبُ) ١٨/ ٢٧٠ـ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١٢ .

وقال أبو البَرَكَات إسْماعيلُ بنُ أبي سَعْد الصُّوفيُّ : كانَ الشَّيخُ أبو بَكْر بنُ زَهْراء الصُّوفيُّ بِرباطِنا ، قد أعدَّ لنَفسه قَبراً إلىٰ جانبِ قَبرِ بِشْر الحافي ، وكان يَمضي إليه كلَّ أُسبوع مرةً ، ويَنامُ فيه ، ويَتلُو فيه القُرآنَ كُلَّه ، فلمَّا ماتَ أبو بَكْر الخَطيبُ ، كانَ قد أوْصَىٰ أنْ يُدفَن إلىٰ جَنبِ قَبرِ بِشْر ، فجاءَ أَصْحابُ الحَديثِ إلى ابنِ زَهْراءَ ، وسَألوهُ أنْ يَدفِنُوا الخَطيبَ في قَبرِه ، وأن يُؤثِرَه به ، فامْتَنعَ ، وقالَ : مَوْضعٌ قد أعْدَدتُه لِنَفْسي يُؤخَذُ منِّي! فجَاؤُوا إلىٰ وَالِدي ، وذَكروا له ذلك فأَحْضرَ ابنَ زَهْراء وهو أبو بَكر أحمَدُ بنُ عَليّ الطُّرَيْثِيثِيُّ فقالَ : أنا لا أقولُ لكَ أعْطِهم القَبرَ ، ولكن أقُولُ لكَ : لَوْ أنَّ بِشْراً الحَافِي في الأحْياءِ وأنتَ إلىٰ جانبه ، فجاءَ أبو بَكر الخَطيبُ ليَقْعُدَ دُونَك ، أكانَ يَحسُنُ بكَ أنْ تَقعُدَ أعْلَىٰ منه ؟ قالَ لا ، بل كُنتُ أُجْلِسُه مَكاني قالَ : فهَكَذا يَنبَغي أنْ تَكُونَ السَّاعَة قالَ : فطَابَ قَلبُه ، وأَذِنَ[1] .

* * *

---

(١) انظر السير : (الخَطيب) ١٨/ ٢٧٠ـ٢٩٧ ، وانظر النزهة : ١٤١٤/٤ .

(٥) الجِنّ

١ـ قِراءتُهم القُرآنَ على الإنْسِ :

عن أبي الفَضْل الجَوْهَريِّ الوَاعِظِ ، قالَ : كُنتُ أتَردَّدُ إلى الخِلَعِيِّ فقُمتُ في لَيلَةٍ مُقمِرَةٍ ظَنَنتُ الصُّبحَ ، فإذا علَىٰ بابِ مَسْجِدِه فَرَسٌ حسَنَةٌ فصَعَدتُ ، فوَجَدتُ بينَ يَدَيه شَاباً لَمْ أرَ أحْسَنَ منه يَقرأُ القُرآنَ ، فجَلستُ أسْمَعُ إلىٰ أنْ قَرأ جُزءاً ، ثم قالَ لِلشَّيْخِ : آجَرَكَ اللهُ قالَ : نَفَعَكَ اللهُ ، ثم نَزلَ ، فنَزلتُ خَلفَه ، فلمَّا اسْتَوَىٰ على الفَرَسِ ، طارَتْ به فغُشيَ عليَّ ، والقاضي يَصيحُ بي : اصْعَدْ يا أبا الفَضْل ، فصَعدتُ ، فقالَ : هـٰذا من مُؤمِنِي الجِنِّ ، يَأتي في الأسبُوعِ مرَّة يَقرأ جُزءاً ويَمضي[1] .

وحكَى ابنُ عَقيل عن نَفسِه قالَ : كانَ عِندَنا بالظَّفَريَّة دَارٌ ، كلَّما سَكنَها نَاسٌ أصْبَحُوا مَوْتَىٰ فجَاءَ مرَّة رَجلٌ مُقرِىءٌ ، فاكْتَراها ، وارْتَضىٰ بها ، فبَاتَ بها وأصْبحَ سالِماً ، فعَجِبَ الجِيرانُ ، وأقامَ مُدَّة ، ثم انتَقلَ ، فسُئِلَ فقالَ : لَمَّا بِتُّ بها ، صَلَّيتُ العِشاءَ ، وقَرأتُ شَيئاً ، وإذا شَابٌّ قد صَعدَ من البئْر ، فسَلَّمَ عليَّ ، فبُهِتُّ ، فقالَ : لا بَأسَ عَليكَ ، عَلِّمْني شَيئاً من القُرآنِ ، فشَرَعتُ أُعلِّمُه ، ثم قُلتُ : هـٰذه الدَّارُ كيفَ حَديثُها ؟ قالَ : نحنُ جِنٌّ مُسْلمونَ ، نَقرأُ ونُصَلِّي ، وهـٰذه الدَّارُ ما يكتَريها إلاَّ الفُسَّاقُ فيَجتَمِعونَ على الخَمرِ ، فنَخنُقُهم ، قُلتُ : ففي اللَّيلِ أخَافُك ، فَجِىءْ نَهاراً ، قالَ : نَعَم ، فكانَ يَصْعَدُ من البِئرِ في النَّهارِ ، وألِفْتُه فبَينَما هو يَقرَأ ، إذا بِمُعَزِّمٍ في الدَّربِ يَقُولُ : الْمُرْقِي من الدَّبيبِ ، ومنَ العَينِ ومن الجِنِّ ، فقالَ : أيشٍ هـٰذا ؟ قُلتُ : مُعَزِّمٌ ، قالَ : اطْلُبهُ ، فقُمتُ وأدْخَلتُه ، فإذا بالجِنِّيِّ قد صارَ ثُعباناً في السَّقفِ ، فعَزَّمَ الرَّجُلُ ، فمَا زَالَ الثُّعْبانُ يَتدلَّىٰ حتَّىٰ سَقطَ في وَسَطِ المِندَل ، فقامَ ليَأخُذَه ويَضَعه في الزِّنْبيلِ ، فمَنَعتُه ، فقالَ : أتَمنَعُني من صَيْدي ؟! فأعْطَيتُه ديناراً ورَاحَ ، فانتُفضَ الثُّعْبانُ ، وخَرَجَ الجِنِّيُّ ، وقد ضَعُفَ واصْفَرَّ وذَابَ ، فقُلتُ : مالَك ؟ قالَ : قَتَلَني

---

(١) انظر السير : (الخِلَعِيُّ) ١٩/ ٧٤ـ ٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٦١ .

هـٰذا بهـٰذه الأسَامي ، وما أظُنُّني أُفلح ، فاجْعَلْ بالَكَ اللَّيلَةَ مَتَىٰ سَمعتَ في البِئرِ صُراخاً ، فانْهَزِمْ ، قالَ : فسَمعتُ تِلكَ اللَّيلَةَ النَّعْيَ فانْهَزَمتُ قالَ ابنُ عَقيل : وامْتَنعَ أحَدٌ أنْ يَسكُنَ تِلكَ الدَّارَ بَعدَها[1] .

٢ـ رُقْيَةٌ تَرْقِي من الجِنِّ :

عن أبي العالِيَة : أنَّ خالِد بنَ الوَليد قالَ يا رَسُولَ الله إنَّ كائداً من الجنِّ يَكيدُني قال صلى الله عليه وسلم : « قُلْ : أعُوذُ بِكلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأرْضِ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْها ، ومِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِي السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ كلِّ طَارِقٍ إلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَـٰنُ » ففَعلتُ فأذْهَبَه اللهُ عنِّي[2] .

٣ـ مَنْ سَاءَه منهم قِراءةُ آية الكرْسيِّ :

قالَ عَبَّاسٌ الدُّوريُّ : سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين ، يَقُولُ : كُنتُ إذا دَخلتُ مَنْزِلي باللَّيلِ ، قَرأتُ آيَةَ الكُرسيِّ علىٰ دَاري وعِيالِي خَمسَ مَرَّاتٍ ، فبَيْنا أنا أقْرَأ ، إذا شَيءٌ يُكلِّمُني : كَمْ تَقرَأ هَـٰذا ؟ كَأنْ لَيسَ إنْسانٌ يُحْسِنُ يَقرَأُ غَيرُك ؟ فقُلتُ : أرَىٰ هَـٰذا يَسُوءُكَ ؟ والله لأزيدَنَّك فصِرتُ أقْرَؤُها في اللَّيلَة خَمسينَ سِتِّينَ مَرَّة[3] .

٤ـ عَالمٌ أحَدُ أبَوَيْه جِنِّيٌّ :

قالَ أبو بَكر الخَلاَّل : سَمعتُ أبا بَكر الْمَرُّوذيَّ يَقُولُ : قالَ الأثْرَمُ : كُنتُ أحفَظُ ـ يَعني الفِقْهَ والاختِلاف ـ فلمَّا صَحبتُ أحمدَ بنَ حَنْبَل تَركتُ ذلكَ كلَّه . وكانَ مَعه تَيقُّظٌ عَجيبٌ ، حتَّىٰ نَسبَه يَحْيَىٰ بنُ مَعين ، ويَحْيَىٰ بنُ أيُّوبَ الْمُقابريُّ ، فقالَ : كانَ أحَدُ أبَوَي الأثْرَم جِنِّياً[4] .

---

(١) انظر السير : (ابنُ عَقيل) ١٩/ ٤٤٣ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٩٩ .

(٢) انظر السير : (خالِدُ بنُ الوَليد) ١/ ٣٦٦ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٨ .

(٣) انظر السير : (يَحْيَىٰ بنُ مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٩١٢ .

(٤) انظر السير : (الأثْرَم) ١٢/ ٦٢٣ـ ٦٢٨ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤١ .

٥ـ مِنْ أَخْبَارِ الجِنّ :

عن عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها : أنَّها قَتَلت جَاناً ، فأُتِيَتْ في مَنامِها : واللهِ لَقدْ قَتَلتِ مُسْلِماً .

قالَت : لَوْ كانَ مُسْلِماً لَمْ يَدخُلْ علىٰ أَزْوَاجِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم .

فقيلَ : أوَكانَ يَدخُلُ عَليكِ إلاَّ وعَليك ثِيابُكِ .

فأَصْبَحَت فَزِعَةً ، فأمَرَتْ باثنَيْ عَشرَ ألفَ دِرْهَم فجَعَلتهَا في سَبيلِ الله .

وعن عائشَةَ بنتِ طَلْحَة ، قالَت : كانَ جانٌّ يَطلُعُ علىٰ عائشَةَ ، فحَرَّجَتْ عليه مَرَّةً ، بعدَ مَرَّة ، بَعدَ مَرَّة ، فأَبَىٰ إلاَّ أنْ يَظهَر ، فعَدَت عليه بحَديدَة ، فقَتَلَته فأُتِيَت في مَنامِها ، فقيلَ لهَا ، أقَتَلتِ فُلاناً ، وقد شَهِدَ بَدْراً ، وكانَ لا يَطلُعُ عَليكِ ، لا حاسِراً ولا مُتَجَرِّدَة ، إلاَّ أنَّه كانَ يَسمَعُ حَديثَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخَذَها ما تَقدَّم وما تَأَخَّر فذَكرَت ذلكَ لأبيها فقالَ : تَصدَّقي باثنَي عَشرَ ألفاً دِيَتِه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : الإسنادُ الأوَّلُ أصَحُّ وما أعْلمُ أحَداً اليومَ يَقُولُ بوُجُوبِ دِيَة في مثل هـٰذا[1] .

وقالَ عاصِمُ بنُ كُلَيب الجَرميُّ : حدَّثني أبي : أَنه أبْطَأَ علىٰ عُمَرَ خَبرُ نَهاوَنْد وابنِ مُقَرِّن ، وأنَّه كانَ يَستَنصِرُ ، وأنَّ النَّاسَ كانُوا ، مِمَّا يَرونَ من اسْتِنْصارِه ، لَيسَ هَمُّهم إلاَّ نَهاوَنْد وابنِ مُقَرِّن ، فجاءَ إليهم أعْرابيٌّ مُهاجِرٌ ، فلمَّا بَلغَ البَقيعَ ، قالَ : ما أَتاكُم عن نَهاوَنْد ؟ قالوا : وما ذَاكَ ؟ قالَ : لا شَيء فأرْسَلَ إليه عُمَرُ ، فأتاه ، فقالَ : أقْبَلتُ بأهْلِي مُهاجِراً حتَّىٰ وَرَدْنا مكانَ كَذا وكَذا ، فلمَّا صَدَرْنا إذا نَحنُ براكبٍ علىٰ جَمَلٍ أحْمَر ، ما رَأيتُ مثلَه ، فقُلتُ : يا عبدَ الله ، من أينَ أقْلبتَ ؟ قالَ من العِراقِ ، قُلتُ : ما خَبرُ النَّاسِ ؟ قالَ : اقْتَتلَ النَّاسُ بنَهاوَنْد ، ففَتَحَها اللهُ ، وقُتلَ ابنُ مُقَرِّن ، واللهِ ما أَدْري أيُّ النَّاسِ هُوَ ؟ ولا ما نَهاوَنْد ؟

فقالَ: أتَدري أيَّ يَومٍ ذاكَ من الجُمُعَة ؟ قالَ : لا قالَ عُمَرُ : لكنِّي أدْري! عُدَّ مَنَازِلَك .

---

(١) انظر السير : (عائشَةُ أمُّ المؤمنين) ٢/١٣٥ـ٢٠١ ، وانظر النزهة : ٢/٢٤٥ .

قالَ : نزلنا مَكانَ كَذا ، ثم ارْتَحلْنا ، فنَزلنا مَنزِلَ كَذا ، حتَّىٰ عَدَّ فقالَ عُمَرُ : ذاكَ يَومُ كَذا وكَذا من الجُمُعَة ، لَعلَّكَ تكونُ لَقيتَ بَريداً من بُرُدِ الجِنِّ ، فإنَّ لَهُم بُرُداً فلَبثَ ما لَبثَ ، ثم جاءَ البَشيرُ : بأنَّهم الْتَقوا ذَلكَ اليَومَ[1] .

وعن حَميدِ بنِ هِلال عن رَجُلٍ كأنَّه أبو رِفَاعَة ، قالَ : كانَ لي رئيٌّ[2] من الجِنِّ ، فأَسْلَمتُ ففَقَدتُه ، فوَقَفتُ بعَرَفَة فسَمعتُ حِسَّه ، فقالَ : أشَعرتَ أنِّي أَسْلَمتُ ؟ قالَ : فلمَّا سَمِعَ أصْوَاتَ النَّاسِ يَرْفعُونَها ، قالَ عَليكَ الخُلُقَ الأسَدَّ ، فإنَّ الخيرَ لَيسَ بالصَّوْتِ الأشَدِّ[3] .

وعن عَمَّارَ بنِ أبي عَمَّار ، سَمعتُ أمَّ سَلمَة تَقولُ : سَمعتُ الجِنَّ يَبكينَ علىٰ حُسَين ، وتَنُوحُ عَليه[4] .

وعن مُجَاهِد بنِ جَبْر : بَيْنا أنا أُصَلِّي إذ قامَ مثلُ الغُلامِ ذاتَ لَيلَة ، فشَدَدتُ عليه لآخُذَه ، فوَثَبَ فوَقَعَ خَلفَ الحائطِ حتَّىٰ سَمعتُ وَجْبَتَه ، ثم قالَ : إنَّهم يَهابُونَكُم كَمَا تَهَابُونَهم من أجلِ مُلكِ سُلَيْمان .

وقالَ حميدٌ الأعْرَج: كانَ مُجاهِدُ بنُ جَبْر رَحمَهُ اللهُ يُكبِّرُ من سُورةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[5]، [6].

لمَّا هَمَّ المُسلِمون بالهَزيمَةِ كَشَفَ مُوسَىٰ بنُ نُصَيْر سُرادِقَه عن بَنَاتِه وحَرَمِه ، وبَرَزَ ورَفَعَ يَدَيْه بالدُّعاءِ والتَّضرُّعِ والبُكاءِ ، فكُسِرَتْ بينَ يَدَيْه جُفُونِ السُّيوفِ وصَدَقُوا اللِّقاءَ ونَزَلَ النَّصرُ ، وغَنِمُوا ما لا يُعَبَّرُ عَنه ، من ذلك مائِدَةُ سُلَيْمانَ عليه السلام من ذَهَبٍ وجَوَاهِر ، وقِيلَ : ظَفَرَ بسِتَّةَ عَشَرَ قُمْقُماً عليها ختمُ سُلَيْمانُ عليه السلام ففتَحَ أربَعَةً ونَقَبَ منْها واحِداً فإذا شَيْطانٌ يقولُ : يا نَبيَ الله لا أَعُودُ أُفْسِدُ في الأَرضِ ثمَّ نَظَرَ فقال :

---

(١) انظر السير : (النُّعْمانُ بنُ مُقَرِّن) ٢/ ٣٥٦ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/٢٧٤ .

(٢) يُقالُ للتابع من الجن : رئي ، سُمي به لأنه يتراءىٰ لمتبوعه ، أو هو من الرأي ، من قولهم : فلان رئيُّ قومه إن كان صاحب رأيهم.

(٣) انظر السير : (أبو رفاعَة العَدَويّ) ٣/ ١٤ـ ١٥ ، وانظر النزهة : ٤/٣٢٠ .

(٤) انظر السير : (الحُسَينُ الشَّهيد) ٣/ ٢٨٠ـ ٣٢١ ، وانظر النزهة : ١/٣٨٥ .

(٥) أي عند ختم القرآن .

(٦) انظر السير : (مُجَاهِدُ بنُ جَبْر) ٤/٤٤٩ـ ٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٦/٥٣٠ .

والله ما أَرَىٰ سُلَيْمانَ ولا مُلْكه ، وذَهَبَ ، فطُمِرَت البَوَاقِي[1] .

وقالَ مَالِكٌ : اسْتُعمِلَ زَيدُ بنُ أَسْلَم علىٰ مَعدن بَني سُلَيم ، وكان معذراً لا يَزالُ يُصابُ فيه النَّاسُ من قِبَل الجِنِّ فلمَّا وَلِيَهُم شَكَوا ذلك إليه ، فأَمَرَهم بالأذَانِ أَنْ يؤَذِّنوا ويَرفَعُوا أَصْواتَهم ، ففعلوا ، فارْتَفَعَ عَنهم ذلك حتَّى اليومَ .

قالَ مَالكٌ : أَعْجَبَني ذلكَ من مَشُورَة زَيْدِ بنِ أَسْلَم[2] .

وقالَ عُمَرُ بنُ بَحْر : سَمعتُ أَحمَدَ بنَ أَبي الحَوَاريِّ يَقُولُ : بَيْنا أنا في قُبَّة بالْمَقابِر بلا بابٍ إلاَّ كسَاءً أَسْبَلتُه ، فإذا أنا بامْرأةٍ تَدُقُّ على الحائطِ فقُلتُ : مَنْ هٰذا ؟ قالَت : ضَالَّةٌ ، فدُلَّني على الطَّريقِ فقُلتُ : رَحِمَكِ اللهُ ، أيُّ الطَّريقِ تَسْلُكينَ ، فبَكَت ، ثم قالَت : علىٰ طَريقِ النَّجاةِ يا أَحمَدُ ، قُلتُ : هَيْهاتَ! إنَّ بَيْنَنا وبينَها عقاباً ، وتلكَ العقابُ لا تُقطَعُ إلاَّ بالسَّيرِ الحَثيثِ ، وتَصْحيحِ الْمُعامَلَة ، وحَذفِ العَلائق الشَّاغِلَة ، فبَكَتْ ، ثم قالَت : سُبحانَ مَنْ أَمْسَكَ عَليكَ جَوارِحَك فلَمْ تَتَقَطَّعْ ، وفُؤادَكَ فلَمْ يَتصَدَّعْ ثم خَرَّتْ مَغشِياً عَليها فقُلتُ لِبَعضِ النِّساءِ : أيُّ شَيءٍ حالُهَا ؟ فقُمنَ ، ففَتَّشْنَها ، فإذا وَصيَّتُها في جَيْبِها : كَفِّنُوني في أَثْوابي هٰذه ، فإنْ كانَ لي عندَ اللهِ خَيرٌ فهو أَسْعَدُ لي ، وإنْ كانَ غَيرَ ذلكَ فبُعداً لِنَفسِي ، قُلتُ : ما هيَ ؟ فحَرَّكوها ، فإذا هي مَيِّتَة فقُلتُ : لِمَنْ هٰذه الجارِيَة ؟ قالوا : جاريَةٌ قُرَشيَّة مُصابَةٌ ، وكانَ قَرينُها يَمنَعُها من الطَّعامِ ، وكانَتْ تَشْكُو إلَيْنا وَجَعاً بجَوْفِها ، فكُنَّا نَصِفُها للأَطِبَّاء ، فتَقُولُ : خَلُّوا بَيني وبَينَ الطَّبيبِ الرَّاهِب ، تَعنِي أَحمَدَ بنَ أَبي الحَوَاريّ ، أَشْكُو إليه بَعضَ ما أَجِدُ من بَلائي ، لَعلَّه أَنْ يَكونَ عندَه شِفَائي[3] .

وكانَ القَاضِي الخِلَعِيُّ يَحكُمُ بينَ الجِنِّ ، وإنَّهم أَبْطَؤوا عليه قَدرَ جُمُعَة ثم أَتَوه ، وقَالوا : كانَ في بَيتِكَ أُتْرُجٌّ ، ونَحنُ لا نَدخُلُ مَكاناً يَكونُ فيه[4] .

---

(١) انظر السير : (موسى بن نُصير) ٤/٤٩٦ـ ٥٠٠ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٠ .
(٢) انظر السير : (زَيْدُ بنُ أَسْلَم) ٥/٣١٦ـ٣١٧ ، وانظر النزهة : ١/٦٠٦ .
(٣) انظر السير : (أَحمَدُ بنُ أَبي الحَوَاريّ) ١٢/ ٨٥ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٧ .
(٤) انظر السير : (الخِلَعِيُّ) ١٩/ ٧٤ـ٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٦١ .

(٦) الحَظُّ والنَّصِيب

عن أبي حَنيفَة قالَ : قَدِمتُ الْمَدينَةَ فأتَيتُ أبا الزِّنادِ ، ورَأيتُ رَبيعَة فإذا النَّاسُ علىٰ رَبيعَة ، وأبو الزِّنادِ أفْقَهُ الرَّجُلَين ، فقُلتُ له : أنتَ أفْقَهُ أهْلِ بَلدِك والعَملُ علىٰ رَبيعَة ؟ فقالَ : وَيْحك كَفٌّ من حَظٍّ خَيرٌ من جِرابٍ من عِلم(١) .

قالَ عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله : الحَظُّ يَأتِي مَنْ لا يَأتِيه(٢) .

ولَمَّا تَملَّكَ شِيرازَ ، طالَبَه قُوَّادُه بالأمْوالِ ، وثارُوا عَليه ، فاغْتَمَّ لذلك ، واسْتَلقَىٰ ، فرَأىٰ حَيَّةً في السَّقْفِ ، ففَزِعَ ودَعا الفرَّاشينَ فنَصَبُوا سُلَّماً ، فوَجَدوا غُرفَةً يُدخَلُ إليها ، فأمَرَهُم بفَتْحِها ففُتِحَت ، فوَجَدوا فيها صَناديقَ فيها قَدرُ خَمسِ مِئَة ألفِ دِينارٍ ، فأُنْزِلَت ، ففَرِحَ ، وأنْفَقَ في الجَيشِ(٣) .

ثم إنَّه طَلبَ خَيَّاطاً ليُفَصِّلَ له ، وكان أُطْرُوشاً ، ففَزِعَ وجاوَبَه عمَّا لم يُسألَ عنه ، وحَلفَ أنَّه لَيسَ عندَه سِوَى اثنَيْ عشرَ صُندوقاً وَديعَة فتَعجَّبَ عِمَادُ الدَّولَة ، وأُحْضِرَت إليه ، فإذا فيها أمْوالٌ وثيابٌ وديباجٌ فكانَ ذلكَ من سَعادَتِه المقبِلَة ، ولا عَقِبَ له(٤) .

* * *

---

(١) انظر السير : (أبو الزِّناد) ٥/ ٤٤٥ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٦٢٠/ ٤ .

(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُعْتَزِّ بالله) ١٤/ ٤٢ـ ٤٤ ، وانظر النزهة : ٦/١١٢٨ .

(٣) انظر السير : (عِمادُ الدَّولة) ١٥/ ٤٠٢ـ ٤٠٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٤٢ .

(٤) انظر السير : (عِمادُ الدَّولة) ١٥/ ٤٠٢ـ ٤٠٣ ، وانظر النزهة : ١/١٢٤٢ .

(٧) الحَنينُ إلى الأوْطَان

١ـ الحَنينُ إلى الوَطَن :

كانَ بِلالٌ إذا أقْلَعَ عنه وَجَعُ الحُمَّىٰ يَرفَعُ عَقيرَتَه ويَقُولُ :

ألا ليتَ شِعري هلْ أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

وهلْ أرِدَنْ يوماً مياهَ مِجنَّةٍ وهلْ يبدوَنْ لي شامةٌ وطفيلُ[١]

اللَّهُمَّ الْعَنْ عُتبَةَ وشَيبَةَ وأُمَيَّةَ بنَ خَلَف كمَا أخرَجُونا من أرْضِنَا إلىٰ أرضِ الوَباء[٢] ، [٣] .

٢ـ الحَنينُ إلى الغُرْبَة :

قالَ أبو الوَليد حَسَّانُ بنُ مُحمَّد : سَمعتُ أبا العَبَّاسِ السَّرَّاج يَقُولُ : وا أسَفي علىٰ بَغْدادَ! فقيلَ له : ما حَمَلَكَ علىٰ فِراقِها ؟ قالَ : أقامَ بها أخي إسْماعيلُ خَمسينَ سَنَةً ، فلمَّا تُوفِّيَ ورُفعَت جَنازَتُه سَمعتُ رَجُلاً علىٰ بابِ الدَّرْبِ يَقُولُ لآخَرَ : مَنْ هـٰذا الْمَيِّت ؟ قالَ : غَريبٌ كانَ ها هُنا فقُلتُ : إنَّا لله ، بَعدَ طُولِ مُقامِ أخي بها واشْتِهارِه بالعِلمِ والتِّجارَة يُقالُ له : غَريبٌ كانَ هُنا ، فحَمَلتني هـٰذه الكَلمَةُ على الانْصِرافِ إلى الوَطَن[٤] .

---

(١) يَرفَعُ عَقيرَتَه : أي يرفع صَوتَه بغناء أو بُكاء . ومَجنَّة : مَوضِعٌ علىٰ أميالٍ من مَكَّة وكانَ به سُوقٌ . شامَة وطَفيلُ : جَبَلانِ بقُرب مَكَّة وقالَ الخطَّابيُّ كُنتُ أحسَبُهما جَبَلَين حتَّىٰ ثَبتَ عندي أنَّهما عَيْنانِ .

(٢) وتمامه : ثم قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا الْمَدينَةَ كَحُبِّنَا مَكةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا ، وفي مُدِّنَا ، وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانقُلْ حُمَّاهَا إلَى الجُحْفَةَ » قالَت عائشَةُ : وقَدمتُ الْمَدينَة وهي أوْبأ أرضِ الله .

(٣) انظر السير : (بِلالُ بنُ رَباح) ١/٣٤٧ـ٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٥ .

(٤) انظر السير : (السَّرَّاج) ١٤/٣٨٨ـ٣٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٤ .

٣ـ مَنْ حَملتْهُ كلمَةٌ علىٰ مُفارَقَة الغُربَة والعَوْدَة إلى الوَطَن :

قالَ أبو الوَليد حَسَّانُ بنُ مُحمَّد : سَمعتُ أبا العَبَّاسِ السَّرَّاج يَقُولُ : وا أسَفي علىٰ بَغْدادَ! فقيلَ له : ما حَمَلَكَ علىٰ فِراقِها ؟ قالَ : أقامَ بها أخي إسْماعيلُ خَمسينَ سَنةً ، فلمَّا تُوفِّيَ ورُفعَت جَنازَتُه سَمعتُ رَجُلاً علىٰ بابِ الدَّرْبِ يَقُولُ لآخَرَ : مَنْ هـٰذا الْمَيِّت ؟ قالَ : غَريبٌ كانَ ها هُنا فقُلتُ : إنَّا لله ، بَعدَ طُولِ مُقامِ أخي بها واشْتِهارِه بالعِلمِ والتِّجارَة يُقالُ له : غَريبٌ كانَ هُنا ، فحَمَلتني هـٰذه الكَلمَةُ على الانْصِرافِ إلى الوَطَن[١] .

٤ـ شِعرٌ في الحَنين إلى الأوْطان :

كانَ بِلالُ إذا أقْلَعَ عنه وَجعُ الحُمَّىٰ يَرفَعُ عَقيرَتَه ويَقُولُ :

ألا ليتَ شِعري هلْ أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

وهلْ أرِدَنْ يوماً مياهَ مِجنَّةٍ ... وهلْ يبدوَنْ لي شامةٌ وطفيلُ[٢]

اللَّهُمَّ الْعَنْ عُتبَةَ وشَيبَةَ وأُمَيَّةَ بنَ خَلَف كمَا أخرَجُونا من أرْضِنَا إلىٰ أرضِ الوَباء[٣] ،[٤] .

* * *

---

(١) انظر السير : (السَّرَّاج) ١٤/٣٨٨ـ٣٩٨ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٤ .

(٢) يَرفَعُ عَقيرَتَه : أي يرفع صَوتَه بغِناء أو بُكاء . ومَجنَّة : مَوضعٌ علىٰ أميالٍ من مَكَّة وكانَ به سُوقٌ . شامَة وطَفيلُ : جَبَلانِ بقُرب مَكَّة وقالَ الخطَّابيُّ كُنتُ أحسَبُهما جَبَلَين حتَّىٰ ثَبتَ عندي أنَّهما عَيْنان .

(٣) وتمامه : ثم قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في صَاعِنَا ، وفي مُدِّنَا ، وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةَ » قالَت عائشَةُ : وقَدمتُ الْمَدينَةَ وهي أوْبأ أرضِ الله .

(٤) انظر السير : (بِلالُ بنُ رَباح) ١/٣٤٧ـ٣٦٠ ، وانظر النزهة : ٦/١٧٥ .

(٨) الرِّزْق

١ـ رِزْقُ الله آتٍ :

كانَ ابُن الْمنْكَدِرِ يَقُولُ : كَمْ من عَينٍ ساهِرَة في رِزقِي في ظُلمَاتِ البَرِّ والبَحْر[١] .

٢ـ الثِّقَةُ بالله في الرِّزْق :

قالَ أبو تُرابٍ سَمعتُ حاتماً الأصَمّ يَقُولُ : لي أرْبَعَةُ نِسْوَة ، وتِسْعَةُ أوْلادٍ ، ما طَمِعَ شَيطانٌ أنْ يُوَسْوِسَ إليَّ في أرْزَاقِهِم[٢] .

٣ـ فَضْلُ الثِّقَةُ بالله في الرِّزْق :

قالَ ابنُ بَحر الأسَديُّ : سَمعتُ أحمَدَ بَن أبي الحَوَاريِّ ، سَمعتُ أبا سُليْمانَ الدَّارانيَّ يَقُولُ : مَنْ وَثِقَ باللهِ في رِزْقِه زَادَ في حُسنِ خُلُقِه ، وأعْقَبَه الحِلمَ ، وسَخَتْ نَفسُه ، وقلَّتْ وَسَاوِسُه في صَلاتِه[٣] .

٤ـ الكفافُ في الرِّزْق :

سُئلَ سَعيدُ بنُ عبدِ العَزيزِ عن الكَفَافِ من الرِّزْقِ ما هُوَ ؟ قالَ : شِبَعُ يَومٍ وجُوعُ يَومٍ[٤] .

٥ـ الرِّزْقُ مَحْضُ فَضْلِ الله :

قال يوسُفُ بنُ الحُسين الرَّازيّ : حَضرْتُ ذا النُّونِ فقيل له : يا أبا الفيض ، ما كان سَببُ تَوبَتِكَ ؟ قال : نِمتُ في الصحراء ، ففتحت عَينَيَّ فإذا قُنْبُرَةٌ[٥] عَمياءُ سقطتْ من

---

(١) انظر السير : (محمَّدُ بنُ الْمنْكَدِر) ٥/ ٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٥/٦٠٨ .

(٢) انظر السير : (حاتِمُ الأصَمُّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ٥/٩٦٠ .

(٣) انظر السير : (أبو سُليْمان الدَّاراني) ١٠/ ١٨٢ـ ١٨٦ ، وانظر النزهة : ٥/٨٦٥ .

(٤) انظر السير : (سَعيدُ بنُ عبد العَزيز) ٨/ ٣٢ـ ٣٨ ، وانظر النزهة : ٤/٧٢٤ .

(٥) القُنْبُرة والقُنبَرة والقُبَّرَة والقُنْبُراء والقُنْبَراء : عصفورة من فصيلة القُبَّريات ، ورتبة الجواثم المخروطية=

وكْر ، فانشقت الأرضُ ، فخرجَ سُكُرُّجَتان فأكَلَت وشَرِبَت فقلتُ : حَسبي ، فتُبتُ ولَزِمتُ البابَ إلىٰ أن قَبِلَني[1] .

٦ـ سُؤالُ الله الرِّزْقَ الحَسَن :

قال أبو الأشهب : سمعتُ بكرَ المزنيّ يقول : اللَّهُمَّ ارزُقنا رزقاً يَزيدُنا لك شُكراً ، وإليكَ فاقَةً وفَقْراً ، وبكَ عمَّن سِواكَ غِنَىً .

قال حُمَيدٌ الطَّويل : كان بكرُ بنُ عبد الله مُجَابَ الدَّعوة[2] .

٧ـ شِعْرٌ في الرِّزْق :

قالَ أبو تَمَّام[3] :

ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحِجا ... هلكْـنَ إذاً مـن جهلهِـنَّ البهـائـمُ

ولم يجتمع شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ... ولا المجدُ في كفِّ امرىءٍ والدراهمُ

* * *

= المناقير ، سُمر في أعلاها ضاربة إلىٰ بياض في أسفلها ، وعلىٰ صدرها بقعة سوداء ، دائمة التغريد .

(١) انظر السير : (ذو النون المصري) ١١/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٧ .

(٢) انظر السير : (بكر بن عبد الله) ٤/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ١/٥٥١ .

(٣) انظر السير : (أبو تمّام) ١١/ ٦٣ـ ٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٩٠٩ .

(٩) الشَّرَفُ والمَكارِم

١ـ مِيزانُ الشَّرفُ الحَقيقيّ :

قالَ محمَّدُ بنُ عبد الله الأنْصاريُّ : رَأيتُ سُليْمانَ وعبدَ الله ابنَي عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ عَبَّاس ، وابنَي سُليْمانَ يَحمِلُونَ سَريرَ يُونُسَ بنِ عبيد علىٰ أعْناقِهم فقالَ عبدُ الله بنُ عَليّ : هـٰذا والله الشَّرفُ[١] .

وعن أشْعَثَ بنِ شُعْبَةَ الْمَصِّيصي ، قالَ : قَدِمَ الرَّشيدُ الرَّقَّةَ ، فانْجَفَلَ النَّاسُ خَلفَ ابنِ الْمُبارَك ، وتَقَطَّعَت النِّعالُ ، وارْتَفعَت الغَبرَةُ ، فأشْرَفَتْ أُمُّ وَلَدٍ لأمِيرِ الْمُؤمنينَ من بُرجٍ من قَصْرِ الخشب ، فقالَت : ما هَـٰذا ؟ قالوا : عَالِمٌ من أهْلِ خُراسَانَ ، قَدِمَ قَالَت : هَـٰذا والله الْمُلكُ ، لا مُلكُ هَارُونَ الذي لا يَجمَعُ النَّاسَ إلاَّ بشُرَطٍ وأعْوانٍ[٢] .

وقالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة : (قالَ أبو إسْحاقَ الفَزاريُّ[٣] دَخلتُ علىٰ هَارُونَ ، فقالَ : يا أبا إسْحَاقَ ، إنَّكَ في مَوْضِعٍ ، وفي شَرَفٍ قُلتُ : يا أميرَ الْمُؤمنينَ ، ذاكَ لا يُغني عَنِّي في الآخِرَةِ شَيئاً[٤] .

٢ـ مِيزانُ المَكارِم :

قيلَ : إنَّ حَكيمَ بنَ حِزامَ بَاعَ دَارَ النَّدْوَة من مُعاويَةَ بِمئةِ ألفٍ فقالَ له ابنُ الزُّبَير : بِعتَ مَكْرُمَةَ قُرَيشٍ ، فقالَ : ذَهَبَت الْمَكَارِمُ يا ابنَ أخِي إلاَّ التَّقْوَىٰ ، إنِّي اشْتَريتُ بها داراً في الجَنَّة ، أُشْهِدُكُم أنِّي قد جَعلتُها لله[٥] .

* * *

---

(١) انظر السير : (يُونُسُ بنُ عبيد) ٦/ ٢٨٨ـ٢٩٦ ، وانظر النزهة : ٧/٦٥٢ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الله بنُ الْمُبارَك) ٨/ ٣٧٨ـ ٤٢١ ، وانظر النزهة : ٣/٧٦٦ .
(٣) قال صاحبُ النُّزهَة : ما بينَ القَوْسين زيادةٌ لازمة من كتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الذهَبي .
(٤) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الفَزاري) ٨/ ٥٣٩ـ ٥٤٣ ، وانظر النزهة : ٦/٧٩٠ .
(٥) انظر السير : (حَكيمُ بنُ حِزام) ٣/ ٤٤ـ ٥١ ، وانظر النزهة : ٥/٣٣٠ .

(١٠) الضَّيْف

١ـ حَقُّ الضَّيْف :

عن مُعاذِ بنِ خالِد : سَمعتُ أبا حَمْزَة السُّكَّريَّ يَقولُ : ما شَبعتُ منذ ثَلاثينَ سَنةً ، إلاَّ أنْ يَكونَ لي ضَيفٌ[١] .

٢ـ رِزْقُ الضَّيْف على الله :

عن شَقيقِ بنِ إبْراهيمَ : لَيسَ شَيءٌ أحَبَّ إليَّ من الضَّيفِ لأنَّ رِزْقَهُ على الله ، وأجْرُه لي[٢] .

٣ـ الشِّبَعُ مع الضَّيْفِ جَائزٌ :

عن مُعاذِ بنِ خالِد : سَمعتُ أبا حَمْزَة السُّكَّريَّ يَقولُ : ما شَبعتُ منذ ثَلاثينَ سَنةً ، إلاَّ أنْ يَكونَ لي ضَيفٌ[٣] .

٤ـ شِعْرٌ في إكرامِ الضَّيْف :

قالَ أبو بَكر البَيْهَقيُّ في « شُعَبِ الإيمَان » أنْشَدَنا أبو نَصْر بنُ قَتادَة ، أنْشَدَنا أبو بَكر القَفَّال :

أوسِّعُ رحلي على من نزلْ ... وزادي مباحٌ على مَنْ أكلْ
نقدِّمُ حاضرَ ما عندنا ... وإنْ لم يكن غيرُ خبز وخلْ
فأما الكريمُ فيرضى به ... وأما اللئيمُ فمن لم أبلْ[٤]

* * *

---

(١) انظر السير : (أبو حَمْزَة السُّكَري) ٧/ ٣٨٥ـ ٣٨٧ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٧ .
(٢) انظر السير : (شَقيق) ٩/ ٣١٣ـ ٣١٦ ، وانظر النزهة : ٨/٨٢٣ .
(٣) انظر السير : (أبو حَمْزَة السُّكَري) ٧/ ٣٨٥ـ ٣٨٧ ، وانظر النزهة : ١/٧٠٧ .
(٤) انظر السير : (القَفَّالُ الشَّاسِي) ١٦/ ٢٨٣ـ ٢٨٥ ، وانظر النزهة : ١/١٢٩٦ .

(١١) عَجائبُ وغَرائبُ من عُصُورٍ مُتفَرِّقَة

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أميرِ الْمؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه : وكانَ لِكِسْرَىٰ وقَيْصَرَ ومَنْ قَبْلَهما من الْمُلوك في دَولَتِهم دَهرٌ طَويلٌ ، فأمّا الأكاسِرَةُ والفُرس ، وهم الْمَجُوسُ فمَلَكوا العِراقَ والعَجَمَ نَحْواً من خَمسمائة سَنة ، فأوَّلُ مُلوكِهم « دارا » ، وطَالَ عُمرُه فيُقالُ: إنَّه بَقِيَ في الْمُلكِ مائتي سَنة ، وعِدَّةُ مُلوكِهم خَمسَةٌ وعشرون نَفساً ، منهم امْرأتانِ ، وكان آخرُ القَوْمِ « يَزْدَجِرد » الذي هَلكَ في زَمَنِ عُثْمانَ رضي الله عنه ، ومِمَّنْ مَلَكَ منهم ذُو الأكْتافِ « سابور » ، عُقدَ له بالأمْرِ وهو في بَطْنِ أُمِّه ، لأنَّه ماتَ أبُوه وهو حَملٌ في بَطْنِ أُمِّه ، فقالَ الكُهَّانُ : هـٰذا يملِكُ الأرْضَ فوُضِعَ التَّاجُ علىٰ بَطْنِ أُمِّه ، وكَتَب منه إلى الآفاقِ وهو بعدُ جَنينٌ ، وهـٰذا شَيءٌ لَمْ يُسمَع بمثلِه قَطُّ ، وإنَّما لُقِّبَ بِذي الأكْتافِ لأنَّه كانَ يَنْزِعُ أكْتافَ مَنْ غَضِبَ عليه ، وهو الذي بَنَى الإيوانَ الأعْظَم ، وبَنَىٰ نِيسَابُورَ ، وبَنَىٰ سِجِسْتانَ[١] .

ومن مُتَأخِّري مُلوكِهم « أنوشروان » ، وكان حازماً عاقِلاً ، كان له اثنا عَشَرَ ألفَ امْرأةٍ وسَرِيَّة ، وخَمسونَ ألفَ دابَّة ، وألفُ فيلٍ إلاَّ واحداً ، ووُلِدَ نَبينا صلى الله عليه وسلم في زَمانِه ، ثم مات « أنوشروان » وقْتَ مَوْتِ عبدِ الْمُطَّلِب ، ولَمَّا اسْتَوْلَى الصَّحابَةُ على الإيوانِ أحْرَقوا سُتُرَه ، فطلَعَ منه ألفُ ألفِ مثْقالٍ ذَهَباً[٢] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أميرِ الْمؤمنينَ عُثْمانَ بنِ عَفَّان : قال سُليمانُ بنُ بلال ، عن يَحْيىٰ بنِ سَعيد ، عن سَعيدِ بنِ المسَيِّب ، أنَّ زَيدَ بنَ خارجَة تُوفِّي زَمنَ عُثمان رضي الله عنه ، فسُجِّيَ بثوبٍ ، ثم إنَّهم سَمعوا جَلْجَلَةً في صَدرِه ، ثم تكلَّم فقالَ : أحمدُ أحمدُ في الكتاب الأوّل ، صَدَقَ صَدَقَ أبو بَكر الضَّعيفُ في نَفسِه القَويُّ في أمرِ الله في الكتاب الأوّل ، صَدَقَ صَدَقَ عُمرُ القَويُّ الأمينُ في الكتاب الأوّل ،

---

(١) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ٣/٦٧ .

(٢) انظر السير : (عُمَرُ بنُ الخَطَّاب) ، وانظر النزهة : ١/٦٨ .

صَدَقَ صَدَقَ عُثمانُ علىٰ مِنْهاجِهم ، مَضتْ أربعُ سنين وبَقِيَتْ سَنتان ، أَتَتِ الفِتنُ وأكلَ الشَّديدُ الضَعيفَ ، وقامت السَّاعةُ ، وسيأتيكم خَبرُ بِئْرِ أريس ، وما بِئْرُ أريس .

قال ابنُ المُسَيِّب : ثم هَلكَ رجلٌ من بَني خطمة ، فسُجِّيَ بثوب فسَمعوا جَلْجَلَةً في صَدرِه ، ثم تكلَّم فقال : إنَّ أخا بَني الحارث بنِ الخَزْرَج صَدَقَ صَدَقَ .

قال ابنُ عبد البَر : هـٰذا هو الذي تكلَّم بعدَ المَوتِ ، لا يَختلفون في ذلك ، وذلكَ أنَّه غُشيَ عليه وأُسريَ بروحه ، ثم راجَعته نفسُه فتكلَّم بكلامٍ في أبي بَكر ، وعُمرَ ، وعُثمانَ ، ثم مات لوَقْته[١] .

عن ابنِ سِيرينَ أنَّ سَعْدَ بنَ عُبادَة بالَ قائماً ، فمَاتَ ، فسُمعَ قائلٌ يَقُولُ :

قـــد قتلنـــا سيـــد الـ   خـــزرج سعـــد بـــن عبـــادة
ورمينـــــــــاه بسهـــم   فلـــم نخطـــىء فـــؤاده[٢]

وقالَ ابنُ سَعْد : أنْبَأنا عبدُ الله بنُ مُحمَّد بنِ مُرَّة الشَّعْبانيُّ ، حدَّثني أشْياخٌ من شَعْبانَ ، منهم محمَّدُ بنُ أبي أُمَيَّة وكانَ عَالِماً ، أنَّ مَطَراً أصابَ اليَمنَ ، فجَحفَ السَّيلُ مَوْضِعاً فأبْدَىٰ عن أزَجٍ[٣] عَليه بابٌ من حِجَارَة ، فكُسِرَ الغَلَقُ ودُخِلَ فإذا بَهْوٌ عَظيمٌ فيه سَريرٌ من ذَهَب ، فإذا عليه رَجلٌ شَبَرنَاهُ فإذا طُولُه اثْنا عَشرَ شِبْراً ، وإذا عَليه جِبابٌ من وَشْي مَنسوجَة بالذَّهَب ، وإلىٰ جَنبه مِحْجَنٌ من ذَهَبٍ علىٰ رَأسِه ياقُوتَةٌ حَمْراءُ ، وإذا رَجُلٌ أبْيَضَ الرَّأسِ واللِّحْيَة ، لَه ضفْران وإلىٰ جَنبه لَوحٌ مَكتوبٌ فيه بالحِمْيَريَّة : باسْمِكَ اللَّهُمَّ رَبِّ حِمْيَر أنا حَسَّانُ بنُ عَمْرو القيْل[٤] إذ لا قيْلَ إلاَّ الله ، عِشْتُ بأمَلٍ ومِتُّ بأجَلٍ ، أيامَ وَخزِهَيد[٥] ، وما وَخزِهَيد ؟ هَلكَ فيه اثْنا عَشرَ ألفَ قَيْل ، فكُنتُ أخرَهُم

---

(١) انظر السير : (عثمان بن عفان) ، وانظر النزهة : ٨٢ .

(٢) انظر السير : (سَعْدُ بنُ عُبادَة) ١/ ٢٧٠ـ ٢٧٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٢ .

(٣) الأزج : بناء مستطيل مقوس السقف.

(٤) القَيْل : الملك من ملوك حِميَر يتقيّل مَنْ قَبلَه من مُلوكِهم (يُشبهه) .

(٥) الوخز : الطَّعنُ النافذ ، أو هو الطاعون ، و« هيد » قال ياقوتُ الحَموي في « مُعجَم البُلدان » : وأيام هيد أيام موتان كانت في الجاهلية في الدهر الأول ، قيل مات فيها اثنا عشر ألفاً ، هـٰكذا ذكره العمرانيُّ في « أسماء الأماكن » ، ولا أدري ما معناه . اهـ =

قَيْلاً ، فأتيتُ جَبلَ ذي شعبَين ليُجيرَني من الْمَوْتِ فأخفَرَني وإلىٰ جَنبه سَيفٌ مَكتُوبٌ فيه : أنا قَيْلٌ بي يُدرَكُ الثَّأرُ .

عن الشَّعْبيِّ ، قالَ : أدْرَكتُ خَمسَ مئة من أصْحابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم .

عن مَكْحُولٍ ، قالَ : مَا رَأيتُ أحَداً أعْلَمَ من الشَّعْبيِّ .

عن أبي مِجْلَز ، قالَ : مَا رَأيتُ أحَداً أفْقَهَ من الشَّعْبيِّ ، لا سَعيدَ بنَ الْمُسَيِّبِ ، ولا طَاوُوسَ ، ولا عَطَاءَ ، ولا الحَسَنَ ، ولا ابنَ سِيرينَ ، فقد رَأيتُ كُلَّهم[١] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي الجَوْزاء : وكان أبو الجَوْزاء قَويّاً بالْمَرَّة .

عن سُلَيْمانَ الرَّبعيّ ، قالَ : كانَ أبو الجَوْزاء يُواصِلُ أُسْبوعاً ، ويَقبِضُ علىٰ ذِراعِ الشَّابِّ فيَكادُ يُحَطِّمُها[٢] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ هَارُونَ بنِ رِئاب : قالَ أبو مُحمَّد بنُ حَزْمٍ الفَقيهُ : يَمَانٌ ، وهَارُون ، وعَليٌّ بَنُو رِئاب ، فهَارُونُ من أئمَّةِ السُّنَّة ، ويَمَانٌ من أئمَّةِ الخَوَارِج ، وعَليٌّ من أئمَّةِ الرَّوافِض ، وكانوا مُتَعادينَ[٣] .

عن البطال ، قالَ : اتَّفقَ لي أنَّا أتَينا قَريةً لنُغِيرَ ، فإذا بيتٌ فيه سِراجٌ وصَغيرٌ يَبكي ، فقالت أمُّه : اسْكُتْ ، أو لأدْفعَنَّك إلى البطالِ فبَكَىٰ فأخَذَتْه من سَريرِه ، وقالت : خُذْهُ يا بطالُ فقلتُ : هاتِه[٤] .

وقالَ نِفطَوَيه : يُقالُ للمُعْتَصِم : الْمُثَمَّن ، فإنَّه ثامِنُ بَني العَبَّاس ، وتَملَّكَ ثَمانيَ سِنينَ ، وثَمانيَةَ أشْهُر ، ولَه فُتُوحَاتٌ ثَمانيَة .

وقَتلَ ثَمانيَة : بَابَك ، والأفشينَ ، ومازَيار ، وباطِيسَ ، ورَئيسَ الزَّنادِقَة ، وعُجَيفاً ، وقارُونَ ، وأميرَ الرَّافِضَة[٥] .

---

(١) انظر السير : (الشَّعْبيُّ) ٤/ ٢٩٤ـ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٧/٥٠٠ .
(٢) انظر السير : (أبو الجَوْزاء) ٤/ ٣٧١ـ٣٧٢ ، وانظر النزهة : ٦/٥١٢ .
(٣) انظر السير : (هارُونُ بنُ رئاب) ٥/ ٢٦٣ـ٢٦٤ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٠ .
(٤) انظر السير : (البطال) ٥/ ٢٦٨ـ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ١/٦٠١ .
(٥) انظر السير : (الْمُعْتَصِم) ١٠/ ٢٩٠ـ٣٠٦ ، وانظر النزهة : ٥/٨٧٩ .

وقالَ غَيرُ نِفْطَوَيه : خَلَّفَ من الذهَبِ ثَمانيَةَ آلافِ دينار ، وثَمانيَةَ عَشرَ ألفَ ألفِ دِرْهَم ، وثَمانينَ ألفَ فَرَسٍ ، وثَمانيَةَ آلافِ مَمْلوكٍ ، وثَمانيَةَ آلافِ جاريَة ، وبَنَىٰ ثَمانيَةَ قُصُور وقيلَ بَلغَ مَماليكُه ثَمانيَةَ عَشرَ ألفاً ، وكانَ ذَا سَطوَةٍ إذا غَضِبَ لا يُبالي مَنْ قَتَل .

قالَ الخَطيبُ : كَثُرَ عَسْكَرُ الْمُعْتَصِم ، وضاقَت عَليهم بَغْدادُ ، فبَنَىٰ مَدينَةَ « سُرَّ مَنْ رَأىٰ » وتَحوَّلَ إليهَا وتُسمَّىٰ أيضاً العَسْكَر .

ماتَ الْمُعْتَصِمُ سَنَةَ سَبع وعِشْرين ومئتين ، وله سَبعٌ وأرْبَعونَ سَنَةً وسَبعَةَ أشْهُر ، ودُفِنَ بـ « سُرَّ مَنْ رَأىٰ » وصلَّىٰ عليه ابنُه الوَاثِق[1] .

وقالَ عُثْمانُ بنُ جَعْفَرِ اللَّبَّان : حدَّثنا عَليُّ بنُ إسْحاقَ بنِ رَاهَوَيْه قالَ : وُلِدَ أبي من بَطنِ أُمِّه مَثْقُوبَ الأذُنَين ، فمَضَىٰ جَدِّي رَاهَوَيْه إلى الفَضْلِ بنِ مُوسَىٰ فسَألَه ، فقالَ : يَكونُ ابنُكَ رَأساً إمَّا في الخَيرِ ، وإمَّا في الشَّرِّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه الحِكايَةُ رَواهَا الخَطيبُ في « تاريخِه » عن الجَوْهَريِّ ، أخْبَرَنا محمَّدُ بنُ العَبَّاس الخَزَّاز ، حدَّثنا عُثْمانُ فذَكَرَها وهـٰذا إسْنَادٌ جَيِّدٌ وحِكايَةٌ عَجيبَة[2] .

وقالَ الحاكمُ : سَمعتُ أبا النَّضْرِ الفَقيهَ ، سَمعتُ إبْراهيمَ بنَ إسْماعيلَ العَنْبَريَّ يَقُولُ : كُنتُ بمِصْرَ ، وأنا أكْتبُ باللَّيلِ كُتُبَ ابنِ وَهْب ، وذَلكَ لخَمسٍ بَقينَ من الْمُحرَّم سَنةَ اثنتَين وأرْبَعينَ ، فهَتَفَ بي هاتفٌ ، يا إبْراهيمُ ماتَ العَبدُ الصَّالحُ محمَّدُ بنُ أسْلَم ، فتَعجَّبتُ من ذَلك ، وكَتَبتُه علىٰ ظَهْرِ كِتابي ، فإذا به قد مَاتَ في تِلكَ السَّاعَة[3] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ رَافِع ، سَمعتُ عبدَ الرَّزَّاق ، سَمعتُ مَعْمَراً يَقُولُ : رَأيتُ باليَمَنِ عُنْقودَ عِنَب وِقْرَ[4] بَغْلٍ تَامٍّ .

---

(١) انظر السير : (الْمُعْتَصِم) ١٠/ ٢٩٠ـ٣٠٦ ، وانظر النزهة : ١/٨٨٠ .
(٢) انظر السير : (إسْحاقُ بنُ رَاهَوَيْه) ١١/ ٣٥٨ـ٣٨٣ ، وانظر النزهة : ١/٩٥٤ .
(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ أسْلَم) ١٢/ ١٩٥ـ٢٠٧ ، وانظر النزهة : ٣/٩٩٣ .
(٤) الوِقْر : بكسر الواو ، وسكون القاف : الحملُ الثقيل.

ماتَ مُحمَّدُ بنُ رافِع سَنةَ خَمسٍ وأرْبَعينَ ومئتَين[1] .

وقال أبو داود في « سُنَنِه » : شَبَرْتُ قِثَّاءَةً بمصر ثلاثةَ عشرَ شِبراً ، ورَأيتُ أُتْرُجَّةً علىٰ بَعير ، وقد قُطعَتْ قطعَتَين ، وعُملَتْ مثلَ عِدْلَين .

تُوفِّي أبو داودَ سَنةَ خَمسٍ وسَبعين ومئتَين[2] .

وعن محمَّدِ بنِ خَفيف ، يَقُولُ : سَمعتُ الحَكيميَّ يَقُولُ : ذَكَروا عند لَيلَى الدَّيلَمي أنَّ أبا بَكر بنَ أبي عاصِم ناصِبيٌّ[3] ، فبَعثَ غُلاماً له ومخلاةً وسَيفاً ، وأمَرَه أنْ يَأتيَه برَأسِه ، فجاءَ الغُلامُ ، وأبو بَكر يَقرأ الحَديثَ ، والكتابُ في يدِه ، فقالَ : أمَرَني أنْ أحمِلَ إليه رَأسَك فنَامَ علىٰ قَفَاهُ ، ووَضعَ الكتابَ الذي كان في يَدِه علىٰ وَجْهِه ، وقالَ : افْعَلْ ما شِئتَ فلَحِقَه إنْسانٌ ، وقالَ : لا تَفْعل ، فإنَّ الأميرَ قد نَهاكَ فقامَ أبُو بَكر وأخَذَ الجُزءَ ، ورَجَعَ إلى الحَديثِ الذي قَطَعَه ، فتَعجَّبَ النَّاسُ .

ماتَ أحمَدُ بنُ عَمْرو سَنةَ سَبعٍ وثَمانينَ[4] .

وعن ابنِ الجَصَّاصِ قالَ : كُنتُ يَوماً في الدِّهْليز ، فخَرَجَتْ قَهْرَمانَة مَعها مئة حبَّة جَوْهَر ، تُساوي الحَبَّة ألف دينار ، فقالَت : نُريدُ أنْ تَخرُطَ هـٰذا الحَبَّ حتَّىٰ يَصغُر ، فأخَذتُه منها مُسرِعاً ، وجَمَعتُ سائرَ نَهاري من الحَبِّ بمئة ألفِ دِرْهَم ، الواحدَة بألف ، وأتَيتُ به القَهْرمانَة ، وقُلتُ : قد خَرَطْنا هـٰذا[5] .

يَعني : فرَبحَ فيه ـ في يوم ـ بضعَةً وتسعينَ ألفَ دينار .

ولَمَّا تَزوَّجَ الْمُعْتَضدُ بالله بقَطرِ النَّدَىٰ بنتِ خُمَارَوَيه صاحِبِ مِصْرَ ، نَفَّذَها أبُوها مع ابنِ الجَصَّاص في جَهَازٍ عَظيمٍ وتُحَفٍ وجَوَاهرَ تَتَجَاوَزُ الوَصْفَ ، فنَصَحها ابنُ الجَصَّاص وقالَ : هـٰذا شَيءٌ كَثيرٌ ، والأوْقَاتُ تَتغيَّر ، فلَوْ أوْدَعتِ من هـٰذا ؟ فقالَت :

---

(١) انظر السير : (مُحمَّدُ بنُ رافع) ١٢/ ٢١٤ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ١/٩٩٦ .

(٢) انظر السير : (أبو دَاوُد) ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٢ .

(٣) ناصبي : أي مُبغِضٌ لعَليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) انظر السير : (ابنُ أبي عاصِم) ١٣/ ٤٣٠ـ ٤٣٩ ، وانظر النزهة : ١/١٠٩٩ .

(٥) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٥ .

نَعَم يا عَمُّ وأوْدَعَته نَفَائسَ ثَمينَة ، فاتَّفقَ أنَّها أُدخِلَت على الْمُعْتَضد ، وكَرُمَت عليه ، وحَمَلت منه ، ثم ماتَت في النِّفَاسِ بَغتَةً ، وزَادَت أمْوالُ ابنِ الجَصَّاص إلى الغَايَة ، ونَظَرَت إليه الأعْينُ ، فلمَّا كانَ في سَنةِ اثنتَين وثَلاثِ مئة قَبضَ عليه الْمُقْتَدِرُ ، وكُبِسَت دارُه ، وأخَذوا له من الذَّهَب والجَوْهَر ما قُوِّمَ بأرْبَعةِ آلافِ ألفِ دينار[١] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحَاكِم بأمْرِ اللهِ العُبَيْديِّ : وكان شَيْطاناً مَريداً جَبَّاراً عَنيداً ، كَثيرَ التَّلَوُّن ، سَفَّاكاً للدِّماءِ ، خَبيثَ النِّحْلَةِ ، عَظيمَ المَكْرِ ، جَوَاداً مُمَدَّحاً ، له شَأنٌ عَجيبٌ ونبأٌ غَريبٌ ، كانَ فِرْعَونَ زَمانِه ، يَخْترعُ كُلَّ وَقْت أحْكَاماً يُلْزِمُ الرَّعيَّةَ بها أمَرَ بسَبِّ الصَّحابَة رَضِيَ اللهُ عَنهم ، وبكتَابَة ذلكَ علىٰ أبْوابِ المَسَاجِدِ والشَّوارِع وأمَرَ عُمَّالَه بالسَّبِّ ، وبقَتلِ الكِلابِ في سَنةِ خَمسٍ وتسْعينَ وثلاث مئَة وأبْطَلَ الفُقَّاع[٢] والمُلوخيا ، وحرَّمَ السَّمكَ الذي لا فُلُوسَ عليه[٣] ، ووَقعَ ببائعٍ لشيءٍ من ذلكَ فقتَلَهم[٤] .

وفي سَنة اثنتَين وأربَع مئَة ، حرَّمَ بَيعَ الرُّطَبِ ، وجَمعَ منه شَيئاً عَظيماً ، فأحْرَقَه ، ومَنعَ من بَيْع العنب ، وأبادَ الكُرومَ ، وأمَرَ النَّصارَىٰ بتَعْليقِ صَليبٍ في رِقابِهم زِنَتُه رَطلٌ ورُبْع بالدِّمَشْقيِّ وألْزَمَ اليَهودَ أنْ يُعَلِّقوا في أعْناقِهم قُرميَّة في زِنَة الصَّليبِ إشارَةً إلى رَأس العِجْلِ الذي عَبدُوه ، وأنْ تكونَ عَمائمُهم سُوداً ، وأنْ يَدخُلُوا الحَمَّامَ بالصَّليبِ وبالقُرْميَّة ثم أفْرَدَ لهم حَمَّاماتٍ وأمَرَ في العَام بهَدْمِ كَنيسةِ قُمامة[٥] ، وبهَدم كَنائسِ مِصْرَ ، فأسلمَ عدَّةٌ ، ثم إنَّه نَهَىٰ عن تَقبيلِ الأرْضِ ، وعن الدُّعاءِ له في الخُطَب وفي الكُتُب وجَعلَ بدَله السَّلامَ عَليه[٦] .

وقيلَ : إنَّ ابنَ باديسَ أميرَ المَغْرب بَعثَ يَنْقمُ عليه أمُوراً ، فأرادَ أنْ يَستميلَه ،

---

(١) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٥ .

(٢) شراب يُتخذ من الشعير .

(٣) الفلس : القشرة علىٰ ظهر السمكة .

(٤) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٢٠٨ .

(٥) في بيت المقدس .

(٦) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٠٨ .

فأظْهَرَ التَّفَقُّه ، وحَملَ في كُمِّه الدَّفاتِرَ ، وطَلبَ إلىٰ عندِه فَقيهَين ، وأمَرَهما بتَدْريسِ فِقْهِ مالِك في الجامِعِ ، ثم تَغيرَّ فقَتلَهما صَبْراً[1] .

وأَذِنَ للنَّصارَى الذين أَكْرَهَهُم في العَوْدِ إلى الكُفْر[2] .

ومَنعَ النِّساءَ من الخُروجِ من البُيوتِ ، فأحْسَنَ ، وأبْطَلَ عَملَ الخِفافِ لهُنَّ جُملَة ، وما زِلْنَ مَمْنوعاتٍ من الخُروجِ سَبعَ سِنينَ وسَبعَةَ أشْهُر[3] .

قد حُبِّبَ في الآخرِ إلىٰ صاحبِ مِصْرَ الحاكمِ بأمْرِ الله العُزْلَةُ ، وبَقِيَ يَرْكَبُ وَحْدَه في الأسْواقِ علىٰ حِمارٍ ، ويُقِيمُ الحِسْبَةَ بنفسِه ، وبَيْنَ يدَيْه عبدٌ ضَخْمٌ فاجرٌ ، فمَنْ وَجَبَ عليه تأديبٌ ، أَمَرَ العَبدَ أنْ يُولِجَ فيه ، والمَفعُولُ به يَصِيحُ .

وقِيلَ : إنَّه أَرَادَ ادِّعاءَ الإلَهِيَةِ ، وشَرَعَ في ذلك ، فَكَلَّمَهُ الكُبَرَاءُ وخَوَّفُوهُ من وُثُوبِ النَّاسِ ، فتَوَقَّفَ .

وفي الأربع مئة وبعدَها كانت الأنْدَلُس تَغْلي بالحُروبِ والقِتالِ على المُلْك[4] .

وأنْشأ داراً كبيرةً ملأها قُيوداً وأغْلالاً ، وجَعَلَ لها سَبْعَةَ أبْوابٍ ، وسمَّاها جَهَنَّمَ ، فكان مَنْ سَخِطَ عليه أسْكنَه فيها .

ولمَّا أمرَ بحَريقِ مِصْرَ ، واسْتَباحَها ، بَعَثَ خادمَه ليُشاهِدَ الحالَ ، فلمَّا رَجعَ قال : كَيفَ رأيتَ ؟ قال : لوْ اسْتَباحَها طاغيةُ الرُّوم ما زاد علىٰ ما رأيتُ ، فضَرَب عُنُقَه .

وفي سَنة ثَلاث وأربع مئة ، أُخِذَ الوفْدُ العراقيُّ ، وغُوِّرَت المياهُ وهَلكَ بضعة عَشرَ ألفَ مُسْلم ، ثم أُخِذَ من العَرَب ببَعْض الثَّأرِ ، وقُتلَ عِدَّةٌ .

وبَعثَ الملكُ مَحمُودُ بنُ سُبُكْتكينَ كتاباً إلى الخَليفَة بأنَّه ورَدَ إليه من الحاكمِ كتابٌ يَدعُوهُ فيه إلىٰ بَيْعَتِه ، وقد خَرَّقَ الكتاب ، وبَصَقَ عَليه[5] .

---

(١) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١٢٠٨/٣ .
(٢) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١٢٠٨/٤ .
(٣) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١٢٠٨/٥ .
(٤) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١٢٠٨/٧ .
(٥) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١٢٠٩/١ .

وقال محمّدُ بنُ عليّ السُّلَميُّ : قُمتُ ليلةً سَحراً لآخُذَ النَّوْبَة على ابنِ الأخْرَم ، فوَجدتُ قد سَبقَني ثلاثونَ قارئاً ، وقال : لمْ تُدْرِكْني النَّوبَةُ إلى العَصْر .

تُوفِّي ابنُ الأخْرَم في سنة إحدىٰ وأربعين وثلاث مئة وعاشَ إحدَىٰ وثمانين سنة[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الصَّابىء : الأديبُ ، البَليغُ ، صاحِبُ التَّرسُّلِ البَديع ، أبو إسْحاقَ ، إبْراهيمُ بنُ هِلال ، الصَّابىءُ الحَرَّانيُّ ، الْمُشْرك[2] .

حَرِصُوا عليه أنْ يُسلِمَ فأبَىٰ ، وكانَ يَصُومُ رَمَضانَ ، ويَحفَظُ القُرآنَ ، ويَحْتاجُ إليه في الإنْشَاء وله نَظمٌ رائقٌ .

ولَمَّا تَملَّكَ عَضُد الدَّولَةَ هَمَّ بقَتلِه وسَجَنَه ، ثم أطْلقَه في سَنَةِ إحْدَىٰ وسَبعينَ وثَلاثِ مئة ، فألَّفَ له كتابَ : « التَّاجي في أخْبارِ بَني بُوَيه » .

ماتَ في سَنَةِ أرْبَع وثَمانينَ وثَلاثِ مئة ، وله إحْدَىٰ وسَبعونَ سَنَةً ، ويُقالُ : قَتلَه لأنَّه أمَرَه بعَمَلِ التَّاريخ التَّاجي ، فدَخلَ عليه رَجلٌ فسَألَه ما تُؤلِّفُ ؟ فقالَ : أبَاطيلَ أُلَفِّقُها ، وأكَاذيبَ أُنَمِّقُها فتحرَّكَ عليه عَضُدُ الدَّولَةَ وطَرده ، وماتَ ، فرَثاهُ الشَّريفُ الرَّضِي ، فلِيمَ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّما رَثَيتُ فَضلَه ، وهـٰذا عُذرٌ باردٌ .

وكانَ مُكثِراً من الآدَابِ .

وكذلكَ ماتَ علىٰ كُفرِه ابنُه الْمُحسنُ ، وكانَ مُحتَشِماً أديباً ، ثم خَلَفَه ابنُه الصَّدرُ الأوْحَدُ هِلالُ بنُ الْمُحسِنُ ، الصَّابىء ، الذي أسْلَمَ وعاشَ كَثيراً ، وبَقِيَ إلىٰ سَنَةِ ثَمانٍ وأرْبَعينَ وأرْبَع مئة[3] .

أُحضر إلىٰ محمود بغزنَة شَخصان من النَّسْناس من بادية بلاصيغون وهي مَملكة قدرخان ، وعَدْوُ النَّسْناسِ في شِدَّةِ عَدْوِ الفَرَس ، وهو في صُورة آدَميّ ، لكنَّه بدنه

---

(١) انظر السير : (ابنُ الأخْرَم) ١٥/ ٥٦٤ـ٥٦٦ ، وانظر النزهة : ١٢٥٩/ ٤ .

(٢) انظر السير : (الصَّابىءُ) ١٦/ ٥٢٣ـ٥٢٤ ، وانظر النزهة : ١٣١٢/ ٤ .

(٣) انظر السير : (الصَّابىءُ) ١٦/ ٥٢٣ـ٥٢٤ ، وانظر النزهة : ١٣١٣/ ١ .

مُلبَّس بالشَّعْر ، وكلامُه صَفيرٌ ، ويأكُلُ حَشيشاً ، وأهلُ تلكَ البلادِ يَصطادُونَهم ، ويَأكُلونَهم فسَألَ مَحْمود الفُقَهاءَ عن أكل لحْمِهم ، فنَهَوا عنه[1] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ ابنِ سينا : وقال الرئيسُ : قد صَحَّ عندي بالتَّواتُر ما كان بجَوْزجان في زَمانِنا من أمر حديد ـ لعلَّه زِنَة مئة وخمسين مَنّاً ـ نزلَ من الهَواءِ ، فنشَبَ في الأرض ، ثم نَبا نَبْوَة الكُرة ، ثم عادَ ، فَنشَبَ في الأرض ، وسُمع له صوتٌ عظيمٌ هائلٌ ، فلمَّا تَفقَّدوا أمرَه ، ظَفِروا به ، وحُملَ إلىٰ والي جوزجان فحاوَلوا كَسْرَ قِطعَة منه ، فما عَملت فيه الآلاتُ إلاَّ بجَهدٍ ، فراموا عَمل سَيفٍ منه ، فتَعذَّر . نقَله في « الشِّفاء »[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الحُطَيْئة : وحَكَىٰ لنا شُجاعٌ أنَّ أبا العَبَّاسِ ابنَ الحُطَيّة وُلِدَت له بِنتٌ ، فلمَّا كَبرَت أقْرَأها بالسَّبْع ، وقَرَأتْ عَليه « الصَّحيحَين » وغَيرَ ذلك ، وكَتبَت الكَثيرَ وتَعلَّمَت عَليه كَثيراً من العِلمِ ، ولَمْ يَنظُرْ إليها قَطُّ ، فسَألتُ شُجاعاً : أكانَ ذلكَ عن قَصْدٍ ؟ فقالَ : كانَ في أوَّلِ العُمرِ اتِّفاقاً ، لأنَّه كانَ يَشتَغلُ بالإقْراءِ إلى الْمَغرِبِ ، ثم يَدخُلُ بَيتَه وهي في مَهْدِها ، وتَمادَى الحَالُ إلىٰ أن كَبرَت ، فصارَت عادَةً ، وزَوَّجَها ودَخَلت بَيتَها والأمْرُ علىٰ ذلك ، ولَمْ يَنظُرْ إليها قَطُّ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لا مَدْحَ في مثل هَـٰذا ، بَلْ السُّنَّةُ بخِلافِه ، فقد كانَ سَيِّدُ البَشَرِ صلى الله عليه وسلم يَحملُ أُمَامَةَ بنتَ ابْنَتِه وهو في الصَّلاةِ .

تُوفِّيَ ابنُ الحُطَيْئة رَحمَه الله سَنةَ ستِّينَ وخَمسِ مئة ، وقَبرُه بالقَرافَة ظاهرٌ يُزارُ[3] .

وقالَ ابنُ النَّجّار : وكانَ لابنِ الدَّهَّانِ النَّظمُ والنَّثرُ ويُنشيءُ الخُطَبَ والرَّسائلَ بلا كُلفَة ولا رَويَّة ، ويَتكلَّمُ بالتُّركيَّة والفارسيَّة والرُّوميَّة والحَبَشيَّة والهِنْديَّة والزِّنْجيَّة بكَلامٍ فَصيحٍ عندَ أهْلِ ذَلكَ اللِّسان وكانَ حَليماً بَطيءَ الغَضَب ، مُتَواضِعاً دَيِّناً صالِحاً ، كَثيرَ الصَّدَقَة ، مُتفَقِّداً للفُقَراء والطَّلبَة ، تَفَقَّه أولاً لأبي حَنيفَة ، ثم تَحوَّلَ شَافِعيّاً بعدَ عُلُوِّ

---

(١) انظر السير : (السُّلطان) ١٧/ ٤٨٣ـ ٤٩٥ ، وانظر النزهة : ١/١٣٥٥ .
(٢) انظر السير : (ابنُ سينا) ١٧/ ٥٣١ـ ٥٣٧ ، وانظر النزهة : ١/١٣٥٩ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الحُطَيئة) ٢٠/ ٣٤٤ـ٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٦٠ .

سِنِّه ، ووَلِيَ تَدريسَ النَّحْوِ بالنِّظامِيَّة إلىٰ أنْ ماتَ ، قَرأتُ عليه كَثيراً ، وهو أوَّلُ مَنْ فَتح فَمِي بالعِلمِ ، لأنّ أُمِّي أسْلمَتني إليه ولِيَ عَشرُ سِنينَ ، فكُنتُ أقْرأُ عليه القُرآنَ والفِقْهَ والنَّحْوَ وأُطالِعُ له لَيلاً ونَهاراً ، وإذا مَشَىٰ ، كُنتُ آخِذاً بيَدِه[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الأبَّار : ومن تَواليفِه « الأرْبَعونَ » عن أرْبَعينَ شَيْخاً من أرْبَعينَ تَصْنيفاً لأرْبَعينَ عَالِماً من أرْبَعينَ طَريقاً إلىٰ أرْبَعينَ تَابِعِيّاً عن أرْبَعينَ صَحابِيّاً لهم أرْبَعُونَ اسْماً من أرْبَعينَ قَبيلَة في أرْبَعينَ بَاباً .

وقد رَأيتُ لأبي عبدِ الله الأبَّار جُزءاً سَمَّاه « دُرَرَ السِّمطِ في خَبَرِ السِّبطِ عليه السلام » يَعني الحُسَين بإنْشاءٍ بَديعٍ يَدلُّ علىٰ تَشَيُّع فيه ظاهِر ، لأنَّه يَصِفُ عَليّاً رضي الله عنه بالوَصِيِّ ، ويَنالُ من مُعاويَة رضي الله عنه .

وكانَ مَصْرَعُه عامَ ثَمانيَةٍ وخَمسينَ وسِتِّ مئة بتُونُسَ[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (ابنُ الدَّهَّان) ٢٢/٨٦ـ٨٩ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٦٧ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الأبَّار) ٢٣/٣٣٦ـ٣٣٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٧٣٩ .

(١٢) مِنْ العُقُوبات

١ـ الإقَامَةُ الجَبْرِيَّة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الوَزيرِ ظَهيرِ الدِّينِ أبي شُجاع : وَزرَ سَبعَ سِنينَ وسَبعَةَ أشْهُر ، ثم عُزلَ ثم خَرجَ إلى الجُمُعَة ، فضَجَّت العَامَّةُ يَدعُونَ له ، ويُصافِحُونَه ، فأُلزِمَ لذلك بأنْ لا يَخرُجَ من دَارِه ، فاتَّخَذَ في دِهْليزِهِ مَسْجِداً ، ثم حَجَّ لِعامِهِ ، ورَجَعَ ، فمُنعَ من دُخُولِ بَغدَادَ ، وبُعثَ إلىٰ رُوذْرارَ ، فبَقِيَ فيها سَنَتَينِ ، ثم حَجَّ بعد مَوْتِ الخَليفَة ، ونَزَلَ الْمَدينَة وتزَهَّد ، فمَاتَ خادِمٌ ، فأعْطَى الخُدَّامَ ذَهَباً حتَّىٰ جُعِلَ مَوْضِعَ الخَادِمِ ، فكانَ يَكنِسُ ويُوقِدُ ، وحَفظَ القُرآنَ هناك .

دُفِنَ بالبَقيعِ سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانينَ وأرْبَع مئة عن إحْدَىٰ وخَمسينَ سَنَةً ، رَحمَهُ اللهُ تَعالَىٰ[1] .

٢ـ حَلْقُ اللِّحْيَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الخَليفَة العَبَّاسيِّ الْمُتَوَكل عَلى الله ابنِ الْمعْتَصِم : بَعثَ إلىٰ نائبه بمِصْرَ ، فحَلقَ لِحْيَةَ قَاضي القُضَاة محمَّدِ بنِ أبي اللَّيثِ ، وضَربَه ، وطَوَّفَ به علىٰ حِمَارٍ في رَمَضَانَ ، وسُجنَ ، وكان ظَلُوماً جَهْمياً ، ثم وَلِيَ القَضاءَ الحارِثُ بنُ مَسكين ، فكانَ يَضرِبُه كُلَّ حين عِشرينَ سَوْطاً لِيُؤدِّي ما وَجَبَ عَليه ، فإنَّا لله[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (ظَهيرُ الدِّين) ١٩/ ٢٧ـ ٣١ ، وانظر النزهة : ٥/١٤٥٤ .

(٢) انظر السير : (الْمُتَوَكلُ على الله) ١٢/ ٣٠ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٢/٩٧٨ .

(١٣) العَمَلُ والكسْبُ عندَ السَّلَف

١ـ حَثُّ السَّلَف على العَمَلِ :

عن عُتْبَةَ الغُلام قالَ : لا يُعْجِبُني رَجلٌ ألاَّ يَحْتَرِف[١] .

٢ـ غَالِبُ عُلَماء السَّلَف يُنْفِقُونَ مِنْ كسْبِهِم :

كانَ أبو نُعَيم شَريكاً لعبدِ السَّلام بنِ حَرْب الْمُلائي ، كانَا في حَانُوتٍ بالكُوفَة يَبيعَانِ الْمُلاءَ وغَيرَ ذَلكَ ، وكانَ كَذلكَ غَالِبُ عُلَمَاءِ السَّلَف إنَّما يُنفِقُونَ من كَسْبِهِم[٢] .

٣ـ صُوَرٌ على العَمَلِ والكسْب :

قالَ أبو عُمَر البَصْريُّ : كانَ رَأسُ مَالِ عُتبَة الغُلام فِلْساً يَشْتَري به خُوصاً يَعمَلُ ويَبيعُه بثَلاثَةِ فُلوس ، فيَتَصَدَّقُ بفِلْسٍ ، ويَتَعَشَّىٰ بفِلْسٍ ، وفِلسٌ رَأسُ مَاله[٣] .

وكانَ حَمْزَةُ بنُ حَبيب يَجلِبُ الزَّيتَ من الكُوفَة إلىٰ حُلوَانَ ، ثم يَجلِبُ منها الجُبنَ والجَوْزَ ، وكانَ إماماً قَيِّماً لِكتَابِ الله ، قَانِتاً لله ، ثَخينَ الوَرَع ، رَفيعَ الذِّكْر ، عَالِماً بالحَديثِ والفَرائض أصْلُه فَارِسيٌّ[٤] .

وكانَ هِشامُ الدَّسْتُوائيُّ يَتَّجِرُ في القماش الذي يُجلَبُ من دَسْتُوا ولذا قيلَ له : صاحِبُ الدَّسْتُوائيُّ ، ودَسْتُوا بُلَيْدَة من أعْمَالِ الأهْوَاز[٥] .

وقالَ سَوَّارُ بنُ عبد الله : حدَّثنا أبي : كُنتُ آتي حَمَّادَ بنَ سَلَمَة في سُوقِه ، فإذا ربحَ

---

(١) انظر السير : (عُتْبَةُ الغُلام) ٧/ ٦٢ـ ٦٣ ، وانظر النزهة : ٧/ ٦٧٦ .

(٢) انظر السير : (أبو نُعَيم) ١٠/ ١٤٢ـ ١٥٧ ، وانظر النزهة : ٨٥٩/ ٤ .

(٣) انظر السير : (عُتْبَةُ الغُلام) ٧/ ٦٢ـ ٦٣ ، وانظر النزهة : ٦٧٦/ ٥ .

(٤) انظر السير : (حَمْزَةُ بنُ حَبيب) ٧/ ٩٠ـ ٩٢ ، وانظر النزهة : ٦٧٩/ ٤ .

(٥) انظر السير : (هِشامُ الدَّسْتُوائيُّ) ٧/ ١٤٩ـ ١٥٦ ، وانظر النزهة : ٦٨٧/ ٢ .

في ثَوبٍ حَبَّة أو حَبَّتَين ، شَدَّ جَوْنتَه[1] ولَمْ يَبِعْ شَيئاً ، فكُنتُ أظُنُّ ذَلكَ يَقُوتُه[2] .

كانَ أبو نُعَيم شَريكاً لعبدِ السَّلام بنِ حَرْب الْمُلائي ، كانَا في حَانُوتٍ بالكُوفَة يَبيعَانِ الْمُلاءَ وغَيرَ ذَلكَ ، وكانَ كَذلكَ غَالِبُ عُلماءِ السَّلَف إنَّما يُنفِقُونَ من كَسْبِهِم[3] .

وقالَ صالِحُ بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبَل : قالَ لي وَالِدِي : كانَت وَالِدَتُك في الظَّلام تَغْزِلُ غَزْلاً دَقيقاً ، فتَبيعُ الأسْتَارَ بدِرْهَمَين أقَلَّ أو أكْثَر ، فكَانَ ذَلكَ قُوتَنا ، وكُنَّا إذا اشْتَرَيْنا الشَّيءَ نَسْتُرُه عَنه كَيْلا يَراهُ ، فيُوَبِّخُنا ، وكانَ رُبَّما خُبِزَ له ، فيَجعَلُ في فَخَّارَة عَدَساً وشَحْماً وتَمَراتٍ ، وكانَ يَأتَدِمُ بالخَلِّ كَثيراً[4] .

وكانَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل رُبَّما أخَذَ القَدُّومَ ، وخَرجَ إلىٰ دَارِ السكان ، يَعمَلُ الشَّيءَ بيَدِه واعْتَلَّ فتَعالَج[5] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي إسْحاقَ الشِّيرازيِّ : كانَ الفَقيهُ رَافِعٌ الحَمَّالُ رَفيقَه في الاشْتِغال ، فيَحمِلُ شَطرَ نَهارِه بالأُجرَة ، ويُنفِقُ علىٰ نَفسِه وعلىٰ أبي إسْحاق الشِّيرازيِّ ، ثم إنَّ رَافِعاً حَجَّ وجَاوَرَ ، وصَارَ فَقيهَ الحَرَم .

وماتَ أبو إسْحاقَ ولَمْ يُخَلِّف دِرْهَماً ، ولا عَليه دِرْهَم ، وكَذَا فلْيَكُنِ الزُّهْدُ ، وما تَزَوَّجَ فيما أعْلَم ، وبحُسنِ نيَّتِه في العِلمِ اشْتَهرَت تَصانيفُه في الدُّنيا كـ« الْمُهذَّب » و« التَّنْبيه » و« اللُّمَع في أصُولِ الفِقْه »[6] .

وجاءَ في تَرجَمَةِ سبطِ الخَيَّاط ، أبي عبدِ الله ، الحُسَينِ بنِ عليٍّ بنِ أحمَدَ البَغْداديِّ ، قالَ السَّمْعانيُّ : صَالِحٌ ، حَسَنُ الإقْراء ، دَيِّنٌ ، يَأكُلُ من كَدِّ يَدِه .

وقالَ أبو الفَرَج بنُ الجَوْزي : قَرأتُ عليه القُرآنَ .

---

(١) الجَوْنَة : سُلَيلَة مُستَديرَة مُغشَّاةٌ بالجلدِ ، يَحفَظُ العَطَّارُ فيها الطِّيبَ .

(٢) انظر السير : (حَمَّادُ بنُ سَلمَة) ٧/ ٤٤٤ـ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٥/٧١٥ .

(٣) انظر السير : (أبو نُعَيم) ١٠/ ١٤٢ـ١٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٥٩ .

(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٧ .

(٥) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٢٧ .

(٦) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازيُّ) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٣١ .

ماتَ سَنةَ سَبعٍ وثلاثينَ وخَمسٍ مئة[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الحُطَيْئة : وقد دَخلَ الشَّامَ وزَارَ ، وسَكنَ مِصْرَ ، وتَزوَّجَ ، وكانَ يَعيشُ من الوَرَّاقَة ، وعلَّمَ زَوجَتَه وبِنتَه الكِتابَة ، فكَتَبَتا مثلَه ، فكانَ يَأخُذُ الكِتابَ ويُقَسِّمُه بَينَه وبَينَهُما ، فيَنسَخُ كُلٌّ منهُما طائفَةً من الكِتابِ فلا يُفرَّقُ بين الخُطُوطِ إلاَّ في شَيء نادر ، وكانَ مُقيماً بجَامعِ رَاشِدَة خارجَ الفُسْطاط ، ولأَهْلِ مِصْرَ حتَّىٰ أَمَرائها العُبَيديَّة فيه اعتِقادٌ كَبير ، كانَ لا يَقبَلُ من أَحَد شَيئاً ، مع العِلمِ والعَمَلِ والخَوفِ والإخْلاص .

وأَحْكمَ العَربيَّةَ والفِقهَ ، وخَطُّه مَرغُوبٌ فيه لإتْقانِه وبَرَكَتِه[2] .

* * *

---

(١) انظر السير : (سبطُ الخَيَّاط) ٢٠/ ١٢٩ـ ١٣٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٣٦ .

(٢) انظر السير : (ابنُ الحُطَيْئة) ٢٠/ ٣٤٤ـ ٣٤٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٥٩ .

(١٤) العَيْن

العَيْنُ حَقٌّ :

عن أبي أُمامَةَ بنِ سَهْل ، قالَ : رَأىٰ عَامِرُ بنُ رَبيعَة سَهْلَ بنَ حَنيف ، فقالَ : والله ما رَأيتُ كاليَومَ ولا جِلدَ مُخبَّأة[١]! فلُبِطَ[٢] بسَهْل ، فأُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقيلَ : يا رَسُولَ الله ، هلْ لكَ في سَهْل ؟ والله ما يَرفَعُ رَأسَه! قالَ صلى الله عليه وسلم : « هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهِ أَحداً ؟ » قالوا : نَتَّهِمُ عامِرَ بنَ رَبيعَة فدَعَاه فتَغَيَّظَ عليه ، وقالَ صلى الله عليه وسلم : « عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكمْ أَخَاهُ! أَلا بَرَّكتَ! اغْتَسِلْ لَه » .

فغَسلَ وَجهَه ، ويَدَيه ، ومِرْفَقَيه ، ورُكْبَتَيه ، وأطْرافَ رِجْلَيه ، ودَاخِلَةَ إزَارِه[٣] ، في قَدَحٍ ، ثم صُبَّ عليه فرَاحَ سَهلٌ مع النَّاسِ ما به بَأسٌ[٤] .

* * *

---

(١) المُخَبَّأة : الجارية التي في خِدرها لم تتزوج بعد ، لأنَّ صيانتَها أبلَغ مِمَّن قد تَزوَّجت .

(٢) لُبِطَ : صُرِع .

(٣) دَاخِلَة الإزار : طَرفُه الداخل الذي يلي الجسد ، ويلي الجانب الأيمن من الرجل إذا اتتزر ، لأن المؤتزر إنما يبدأ بجانبه الأيمَن ، فذلك الطرف يُباشر جسده ، وهو الذي يغسل ، وقيل : هو الورك ، وقيل : أراد به مذاكيره ، فكني بالداخلة ، كما كني عن الفرج بالسراويل .

(٤) انظر السير : (سَهلُ بنُ حَنيف) ٢/ ٣٢٥-٣٢٩ ، وانظر النزهة : ٢/٢٦٨ .

(١٥) الفُرْصَة

الفُرْصَةُ إنْ لَمْ تُنْتَهَزْ فَهي غُصَّةٌ :

عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، قالَ : إذا فَتحَ أحَدُكم بابَ خَيرٍ فَليُسرِعْ إليه ، فإنَّه لا يَدري مَتَىٰ يُغلَقُ عنه[١] .

وقالَ عَفَّانُ بنُ مُسلم : حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلمَة قالَ : قَدمتُ مَكةَ وعَطاءُ بنُ أبي رَباح حَيٌّ ـ في شَهرِ رَمَضَانَ ، فقُلتُ : إذا أفْطَرتُ دَخلتُ عَليه ، فمَاتَ في رَمَضَانَ .

مات حَمَّادُ بنُ سَلمَة سَنةَ سَبعٍ وسِتِّينَ ومئة[٢] .

* * *

(١) انظر السير : (خالدُ بنُ مَعْدان) ٤/ ٥٣٦ـ ٥٤١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٥٢ .

(٢) انظر السير : (حَمَّادُ بنُ سَلمَة) ٧/ ٤٤٤ـ ٤٥٦ ، وانظر النزهة : ٢/٧١٦ .

(١٦) فُكاهَاتٌ ونَوَادِر

قالَ عبدُ العَزيز ابنُ أخي الْمَاجِشُونَ : بلَغَنا أنَّه كانت لعَبدِ اللهِ بنِ رَوَاحَة جاريَةٌ يَسْتَسِرُّها عن أهْلِه ، فبَصُرَت به امْرأتُه يَوماً قد خَلا بها ، فقالَت : لقد اخْتَرتَ أمَتَك علىٰ حُرَّتِك ؟ فجاحَدَها ذلكَ ، قالَت : فإنْ كُنتَ صَادِقاً ، فاقْرأ آيَةً من القُرآنِ قال :

شهـــدتُ بــأن وعـــدَ اللهِ حـــقٌّ وأن النـــارَ مثـوى الكـــافـــرينـــا

قالَت : فزِدْني آيَةً ، فقالَ :

وأن العـــرشَ فـــوقَ المـــاءِ طـــافٍ وفـــوقَ العـــرشِ ربُّ العـــالمينـــا

وتحملـــــه مـــلائكـــــة كـــرام مـــلائكـــــة الإلـــه مقـــرَّبينـــا

فقالَت : أمَنتُ باللهِ ، وكذَّبتُ البَصَرَ ، فأتَىٰ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فحدَّثه ، فضَحِكَ صلى الله عليه وسلم ولَمْ يُغَيِّر عليه[١] .

وعن إبْراهيمَ ، قالَتْ أمُّ الْمُؤمنين سَوْدَةُ : يا رَسُولَ اللهِ ، صَلَّيتُ خَلفَكَ البَارِحَة ، فرَكَعتَ بي ، حتَّىٰ أمْسَكتُ بأنفِي مَخافَةَ أنْ يَقطُرَ الدَّمُ فضَحِكَ صلى الله عليه وسلم وكانَت رَضيَ اللهُ عَنها تُضحِكُه الأحْيانَ بالشَّيءِ[٢] .

وقالَ عَليٌّ رضي الله عنه : كَذَبَتكم[٣] من النِّسَاءِ الحارِقَة[٤] ، فما ثَبَتَتْ منهُنَّ امْرأةٌ إلاَّ أسْماءُ بنتُ عُمَيْس[٥] .

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ رَوَاحَة) ١/ ٢٣٠ـ ٢٤٠ ، وانظر النزهة : ١/١٥٤ .

(٢) انظر السير : (سَوْدَةُ أمُّ الْمُؤمنين) ٢/ ٢٦٥ـ ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٥/٢٥٦ .

(٣) كذب ها هنا إغراءٌ ، أي : عَليكُم بالحارِقَة ، وهي كلمة نادرة جاءت علىٰ غير القِياس .

(٤) الحارِقَة : المرأة التي تَغلبُها شَهوَتُها ، وقيلَ : الضيِّقَة الفَرْج ، وقيل : النِّكَاحُ على الجَنْبِ من حارِقَة الوِرْكَ : وهي عصبة فيها ، والمعنىٰ : عَليكم من مُباشَرة النساء بهَـٰذا النَّوع ، انظر « الفائق » ، و« النهاية » ، و« اللسان » (حرق) .

(٥) انظر السير : (أسْماءُ بنتُ عُمَيْس) ٢/ ٢٨٢ـ ٢٨٧ ، وانظر النزهة : ٤/٢٦٠ .

ويُروَىٰ أنَّ شاعِراً جاءَ الىٰ عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَر فأنْشدَه :

رأيـتُ أبـا جعفـرٍ فـي المنـامْ ... كسـانـي مـن الخـزِّ دراعـةْ

شكـوتُ إلـىٰ صـاحبـي أمـرَهـا ... فقـال ستـؤتـىٰ بهـا السـاعـةْ

سيكسـوكهـا المـاجـدُ الجعفـرُ ... ومـن كفِّـه الـدهـرَ نفـاعـةْ

فمـن قـال للجـود لا تعْـدُنـي ... فقـال لـه السمـعُ والطـاعـةْ

فقالَ عبدُ الله لغُلامِه : أعْطِه جُبَّتي الخزَّ ثم قالَ له وَيْحَكَ كَيفَ لَمْ تَرَ جُبَّتي الوَشْيَ ؟ اشْتَريتُها بثَلاثِ مئَة دِينَار مَنْسُوجَةً بالذَّهَبِ فقالَ أنامُ فلَعلِّي أرَاهَا فضَحِكَ عبدُ الله وقالَ ادْفَعُوها لَه[1] .

وقالَ الأعْمَشُ ، عن إبْراهيمَ ، قالَ : كانَ زَيْدُ بنُ صُوحانَ يُحدّثُ ، فقالَ أعْرابيٌّ : إنَّ حَديثَكَ يُعجبُني ، وإنَّ يَدَكَ لَتُريبُني قالَ : أومَا تَراها الشِّمالَ ؟ قالَ : والله مَا أدْري اليَمينَ يَقْطَعونَ أم الشِّمَال ؟ فقالَ زَيدٌ : صَدقَ اللهُ ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] فذَكرَ الأعْمَشُ أنَّ يَده قُطِعت يومَ نَهَاوَنْد[3] .

وعن إبْراهيمَ ، قالَ : أقرَّ رجلٌ عند شُرَيح ، ثم ذَهب يُنْكِر ، فقال : قد شَهدَ عَليكَ ابنُ أخْتِ خالَتِك[4] .

عن ابنِ سيرينَ ، قال : تَزوَّجَ عِمْرانُ خارِجيَّةً وقالَ : سأرُدُّها ، قالَ فصَرفَتْه إلىٰ مَذْهَبِها[5] .

فذَكَرَ المَدائِنيُّ أنَّها كانت ذاتَ جَمالٍ ، وكان دَميماً فأعْجَبَتْه يوماً فقالَت : أنا وأنْتَ

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بن جَعْفَر) ٣/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ ، وانظر النزهة : ٥/٤٠٨ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٩٧ .
(٣) انظر السير : (زَيدُ بنُ صُوحان) ٣/ ٥٢٥ـ ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/٤١٩ .
(٤) انظر السير : (شُرَيح القاضي) ٤/ ١٠٠ـ ١٠١ ، وانظر النزهة : ١/٤٥٧ .
(٥) انظر السير : (عِمْران بن حِطّان) ٤/ ٢١٤ـ ٢١٦ ، وانظر النزهة : ٣/٤٨١ .

في الجَنَّةِ ، لأنَّكَ أُعْطيتَ فشَكَرْتَ ، وابتُليتَ فصَبَرْتَ[1] .

وقالَ عَمرُو بنُ دينار ، قالَ أبو سَلَمَة : أنا أفْقَهُ مَنْ بالَ ، فقالَ ابن عَبَّاس : في الْمُبارَك[2] .

وعن أبي الأسْوَد ، قالَ : كانَ أبو سَلَمَة بنُ عبد الرحمَـٰن مع قَوم ، فرَأوا قَطيعاً من غَنَم ، فقالَ أبو سَلَمَة : اللَّهُمَّ إنْ كانَ في سَابِقِ عِلمِكَ أنْ أكُونَ خَليفَةً فاسْقِنا من لَبَنِها ، فانتَهىٰ إليها فإذا هي تيُوسٌ كُلُّها[3] .

ورَوىٰ مُجالدٌ وغَيرُه ، أنَّ رَجُلاً مُغفَّلاً لَقِيَ الشَّعْبيَّ ومَعه امْرأةٌ تَمشي ، فقالَ : أيُّكُما الشَّعْبيُّ ؟ قالَ : هـٰذه[4] .

وعن عامِرِ بنِ يَسَاف ، قالَ لي الشَّعْبيُّ : امْضِ بنا نَفرٌ من أصْحابِ الحَديث ، فخَرَجْنا ، قالَ : فمَرَّ بنا شَيخٌ ، فقالَ له الشَّعْبيُّ : ما صنْعَتُك ؟ قالَ : رَفَّاء قالَ : عندَنا دِنٌّ مَكسُورٌ تَرْفُوهُ لنا ؟ قالَ : إنْ هيَّأتَ لي سُلوكاً من رَمْل ، رَفَوْتُه فضَحِكَ الشَّعْبيُّ حتَّى اسْتَلقىٰ[5] .

وعن الأعْمَش : قالَ : أتىٰ رَجلٌ الشَّعْبيَّ ، فقالَ : ما اسْمُ امْرأةِ إبْليس ؟ فقالَ ذلك عُرسٌ ما شَهدتُه[6] .

وكانَ يُقالُ أشْأمُ من طُوَيْس ، قيلَ : لأنَّه وُلِدَ يومَ وَفَاةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وفُطِمَ يومَ مَوْتِ أبي بَكر ، وبَلَغَ يومَ مَقْتَل عُمَرَ ، وتَزوَّجَ يومَ مَقْتَل عُثْمانَ ، ووُلِدَ له يَومَ مَقْتَل عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهم .

ماتَ سَنةَ اثنَتينِ وتِسْعينَ[7] .

---

(١) انظر السير : (عِمْران بن حِطَّان) ٤/ ٢١٤ـ٢١٦ ، وانظر النزهة : ٤/٤٨١ .
(٢) انظر السير : (أبو سَلَمَة بنُ عبد الرحمـٰن) ٤/ ٢٨٧ـ ٢٩٢ ، وانظر النزهة : ٤/٤٩٩ .
(٣) انظر السير : (أبو سَلَمَة بنُ عبد الرحمـٰن) ٤/ ٢٨٧ـ ٢٩٢ ، وانظر النزهة : ١/٥٠٠ .
(٤) انظر السير : (الشَّعْبيُّ) ٤/ ٢٩٤ـ ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٣/٥٠٤ .
(٥) انظر السير : (الشَّعْبيُّ) ٤/ ٢٩٤ـ ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٠٤ .
(٦) انظر السير : (الشَّعْبيُّ) ٤/ ٢٩٤ـ ٣١٩ ، وانظر النزهة : ٧/٥٠٤ .
(٧) انظر السير : (طُوَيْس) ٤/ ٣٦٤ ، وانظر النزهة : ٢/٥١١ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ قُتَيبَةَ بنِ مُسْلِم : وباهِلَةُ قَبيلَةٌ مُنحطَّةٌ بينَ العَرب ، قالَ الشَّاعرُ :

ولـو قيـل للكلـبِ يـا بـاهلـي عوى الكلبُ من لُؤمِ هـٰذا النسبْ[1]

وقالَ آخَرُ :

ومـا ينفـعُ الأصـلُ مـن هـاشـمٍ إذا كـانـت النفـسُ مـن بـاهلـةْ

وقيلَ : إنَّ قُتَيبَةَ بنَ مُسلِم قالَ لِهُبَيرَةَ : أيُّ رَجُلٍ أنتَ لَوْلا أنَّ أخْوالَك من سَلُول ، فلَوْ بادَلتَ بهم ، قالَ : أيُّها الأميرُ ، بادِلْ بهم مَنْ شِئتَ ، وجَنِّبْني باهِلَة وقيلَ لأعْرابيٍّ : أيَسُرُّكَ أنَّك باهِليٌّ وتَدخُلُ الجَنَّة ؟ قالَ : إي والله ، بشَرطِ أنْ لا يَعلمَ أهلُ الجَنَّة أنِّي باهِليٌّ[2] .

ولَقيَ أعْرابيٌّ آخَرَ فقالَ : مِمَّنْ أنتَ ؟ قالَ : من بَاهِلَة ، فرَثَىٰ له فقالَ : أزيدُك : إنِّي لَستُ من أنْفَسِهم ، بلْ من مَواليهِم ، فأخَذَ الأعْرابيُّ يُقبِّلُ يَدَيه ويَقُولُ : ما ابْتَلاكَ اللهُ بهـٰذه الرَّزيَّة إلاَّ وأنتَ من أهْلِ الجَنَّة[3] .

وعن مُجاهِدٍ ، قالَ : كُنتُ في جِنازَة رَجُلٍ ، فسَمعتُ رَجُلاً يَقُولُ لامْرأةِ الْمَيِّتِ : لا تَسْبِقيني بنَفسِك قالَت : قَد سُبِقتَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : ولِمُجاهِد أقْوالٌ وغَرائبُ في العِلمِ والتَّفسيرِ تُسْتَنكَر .

ماتَ مُجاهِدٌ ساجِداً سَنَةَ اثنَتَين ومئة[4] .

وعن أشْعَبَ ، قالَ : دَخَلتُ علىٰ سَالِمِ بنِ عبدِ الله فقالَ : حُملَ إلَيْنا هَريسَةٌ وأنا صَائمٌ ، فاقْعُد كُلْ ، قالَ : فأمْعَنتُ ، فقالَ : ارْفُقْ فما بَقيَ يُحملُ معك ، قالَ : فرَجَعتُ ، فقَالَت الْمَرأةُ : يا مَشْؤومُ بَعثَ عبدُ الله بنُ عَمرو بنِ عُثْمانَ يَطلبُك ،

---

(١) انظر السير : (قُتَيبَةُ بنُ مُسْلِم) ٤/ ٤١٠ـ ٤١١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٢٤

(٢) انظر السير : (قُتَيبَةُ بنُ مُسْلِم) ٤/ ٤١٠ـ ٤١١ ، وانظر النزهة : ٣/٥٢٤ .

(٣) انظر السير : (قُتَيبَةُ بنُ مُسْلِم) ٤/ ٤١٠ـ ٤١١ ، وانظر النزهة : ٤/٥٢٤ .

(٤) انظر السير : (مُجاهِدُ بنُ جَبْر) ٤/ ٤٤٩ـ ٤٥٧ ، وانظر النزهة : ٧/٥٣٠ .

وقُلتُ : إنَّكَ مَريضٌ قالَ : أحْسَنتِ ، فدَخلَ حَمَّاماً وتَمرَّجَ بدُهْنٍ وصُفْرَة ، قالَ : وعَصبتُ رَأسي ، وأخَذتُ قَصَبةً أتوكأُ عَليها وأتيتُه ، فقالَ : أشْعَبُ ؟ قُلتُ : نَعم جُعلتُ فِداكَ ما قُمتُ مُنذُ شَهْرَين ، قالَ : وعندَه سَالِمٌ ولَمْ أشْعُر ، فقالَ : وَيْحَك يا أشْعَبُ ، وغَضبَ وخَرجَ فقال : عبدُ الله ، ما غَضبَ خَالي سَالِمٌ إلاَّ من شَيءٍ فاعْتَرفْتُ له ، فضَحكَ هو وجُلسَاؤه ، ووَهَبَ لي ، فخَرجْتُ فإذا أشْعَبُ قد لَقِيَ سَالِماً فقالَ : وَيْحَك ، ألَمْ تأكُلْ عِندِي الهَريسَةَ ؟ قُلتُ : بَلَىٰ ، فقالَ : والله لقد شَكَّكْتَني[1] .

وحَكَى الأصْمَعيُّ ، أنَّ أشْعَبَ مَرَّ في طَريقٍ ، فعَبَثَ به الصِّبْيانُ فقالَ : وَيْحَكُم ، سَالِمٌ يَقْسمُ جَوْزاً أو تَمْراً ، فمَرُّوا يَعدُونَ فعَدَا أشْعَبُ مَعَهم ، وقالَ : ما يُدرِيني لَعلَّه حَقٌّ[2] .

وقالَ حَمَّادٌ ، عن أيُّوبَ : سَمعتُ رَجُلاً قالَ لِعِكْرِمَة : فُلانٌ قَذفَني في النَّومِ ، قالَ : اضْرِبْ ظِلَّه ثَمانين[3] .

وقالَ عليُّ بنُ الْمَديني : كانَ عِكْرِمَةُ يَرَىٰ رَأيَ نَجدَةَ الحَروريِّ .

قالَ ابنُ عُليَّة : ذَكرَ أيُّوبُ عِكْرِمَةَ فقالَ : كانَ قَليلَ العَقلِ ، أتَيْنا ، يَوماً فقالَ : والله لأُحَدِّثنَّكم ، فمَكثَ ، فجَعلَ يُحدِّثنا ، ثم قالَ : أيُحْسِنُ حَسَنُكم مثلَ هـٰذا ؟ وبَينا أنا عِندَه إذ رَأىٰ أعْرابيّاً فقالَ : هَاه[4] ، ألَمْ أرَكَ بأرْضِ الجَزيرَة أو غَيرِها ، فأقْبلَ عَليه وتَركَنا[5] .

وعن ابنِ إدْريسَ ، قالَ لِيَ الأعْمَشُ : أمَا تَعجَبُ من عبدِ الْمَلِكِ بنِ أَبْجَر قالَ : جاءَني رَجُلٌ فقالَ : إنِّي لَمْ أمْرَضْ وأنا أشْتَهِي أنْ أمْرَضَ ، قالَ : فقُلتُ : احْمَد الله

---

(١) انظر السير : (سالِمُ بنُ عبد الله) ٤/ ٤٥٧ـ ٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٥٣٢/ ٢ .
(٢) انظر السير : (سالِمُ بنُ عبد الله) ٤/ ٤٥٧ـ ٤٦٧ ، وانظر النزهة : ٥٣٢/ ٣ .
(٣) انظر السير : (عِكرِمَة) ٥/ ١٢ـ ٣٦ ، وانظر النزهة : ٥٧٦/ ٧ .
(٤) كلمَةٌ تُقالُ للتَّذكُّر ، وتُقالُ أيضاً عند التَّوجُّع والتَّلهُّف .
(٥) انظر السير : (عِكرِمَة) ٥/ ١٢ـ ٣٦ ، وانظر النزهة : ٥٧٦/ ٨ .

على العافيَة ، قالَ : أنا أشْتَهي أنْ أمْرَضَ قالَ كل سَمَكاً مَالِحاً ، واشْرَبْ نَبيذاً مَريساً ، واقْعُدْ في الشَّمسِ ، واسْتَمرِضْ اللهَ فجَعلَ الأعْمَشُ يَضحَكُ ويَقُولُ : كأنَّما قالَ له : واسْتَشْفِ اللهَ عَزَّ وجَلَّ[1] .

وقالَ وَكيعٌ : جَاؤوا إلى الأعْمَشِ يَوماً ، فخَرجَ ، وقالَ لَوْلا أنَّ في مَنزِلي مَنْ هُوَ أبْغَضُ إليَّ مِنكُم ما خَرَجتُ إلَيكُم .

قيلَ : إنَّ أبا دَاوُد الحائكَ سَألَ الأعْمَشَ : ما تَقُولُ يا أبا مُحمَّد في الصَّلاةِ خَلفَ الحَائكِ ؟ فقالَ : لا بأسَ بها علىٰ غَيرِ وُضوءٍ قالَ : وما تَقُولُ في شَهادَتِه ؟ قالَ : يُقبَلُ مع عَدلَينِ[2] .

وقالَ عِيسَىٰ بنُ يُونُسَ : أتَى الأعْمَشَ أضْيافٌ ، فأخْرجَ إليهم رَغيفَينِ فأكَلُوهُما .

فدَخَلَ فأخْرجَ لهم نِصفَ حَبلِ قَتٍّ ، فوَضَعَه على الخِوَانِ ، وقالَ : أكَلتُم قُوتَ عيالي فهَـٰذا قُوتُ شَاتِي فكُلُوه[3] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ إدْريسَ ، قُلتُ للأعْمَشِ : يا أبا مُحمَّد ، ما يَمنَعُك من أخْذِ شَعْرِك ؟ قالَ : كَثرَةُ فُضُولِ الحَجَّامينَ قُلتُ : فأنا أجيئُكَ بحَجَّامٍ لا يُكلِّمُكَ حتَّىٰ تَفرَغَ فأتيتُ جُنَيْداً الحَجَّامَ ، وكانَ مُحدِّثاً ، فأوْصَيتُه فقالَ : نَعَم فلَمَّا أخَذَ نِصْفَ شَعرِه قالَ : يا أبا مُحمَّد ، كَيفَ حَديثُ حَبيبِ بنِ أبي ثابت في الْمُسْتَحاضَة ؟ فصَاحَ صَيْحَةً ، وقَامَ يَعدُو ، وبَقِيَ نِصفُ شَعرِه بَعدَ شَهرٍ غَير مَجْزُوز[4] .

وقالَ عيسَىٰ بنُ يُونُس : خَرجَ الأعْمَشُ فإذا بجُندي ، فسَخَّرَه لِيَخُوضَ به نَهْراً فلمَّا رَكبَ الأعْمَشُ قالَ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾[5] فلمَّا تَوسَّطَ به الأعْمَشُ قال :

---

(١) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٦٤٤/ ٣ .
(٢) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٦٤٤/ ٥ .
(٣) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٦٤٥/ ٢ .
(٤) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٦٤٥/ ٤ .
(٥) سورة الزخرف ، الآية : ١٣ .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[١] ثم رَمَىٰ به[٢] .

وعن حُسَينِ بنِ وَاقِد قالَ : قَرأتُ على الأعْمَشِ ، فقُلتُ له : كَيفَ رَأيتَ قِراءَتي ؟ قالَ : ما قَرأَ عَليَّ عِلْجٌ أقْرأ مِنكَ[٣] .

وجاءَ رَجلٌ نَبيلٌ كَبيرُ اللِّحْيَة إلى الأعْمَشِ ، فسَألَه عن مَسألَةٍ خَفيفَةٍ في الصَّلاةِ فالْتَفتَ إلينا الأعْمَشُ فقالَ : انْظُروا إليه! لِحيَتُه تَحتَمِلُ حِفظَ أرْبَعةِ آلافِ حَديثٍ ، ومَسألَتُه مَسألَةُ صِبْيانِ الكُتَّاب[٤] .

وعن أبي بَكر بنِ عَيَّاش قالَ : رَأيتُ الأعْمَشَ يَلبَسُ قَميصاً مَقْلُوباً ويَقُولُ : النَّاسُ مَجانينَ يَجْعَلونَ الخَشِنَ مُقابِلَ جُلودِهم[٥] .

وقيلَ : إنَّ الأعْمَشَ كانَ لَهُ وَلَدٌ مُغفَّلٌ فقالَ له : اذْهَبْ فاشْتَرِ لنا حَبْلاً للغَسيل فقالَ : يا أبَتِ طُولُ كَمْ ؟ قالَ : عَشرَة أذْرُع قالَ : في عَرضِ كَمْ ؟ قالَ : في عَرضِ مُصيبَتي فيكَ[٦] .

ويُقالُ : إنَّه لَبِسَ مرَّةً فَرواً مَقلُوباً ، فقالَ له قائلٌ : يا أبا مُحمَّد لَوْ لَبستَها وصُوفُها إلىٰ داخِل كانَ أدْفَأ لك قالَ : كُنتَ أشَرتَ علىَ الكَبشِ بهٰذه الْمَشُورَة[٧] .

وقالَ الأصْمَعيُّ : عَبثَ بأشْعَبَ صِبْيانٌ فقالَ : وَيْحكُم ، اذْهَبُوا ، سَالِمٌ يُفرِّقُ تَمراً فعَدُوا فعَدَا مَعَهم وقالَ : لَعلَّه حَقٌّ[٨] .

وقالَ الزُّبَيرُ : قيلَ لأشْعَب : نُزَوِّجُك ؟ قالَ : ابْغُوني امْرأةً أتَجَشَّىٰ في وَجْهِهَا

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٩ .
(٢) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٦٤٥ .
(٣) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٦/٦٤٥ .
(٤) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ١/٦٤٦ .
(٥) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٦ .
(٦) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٤/٦٤٦ .
(٧) انظر السير : (الأعْمَش) ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٨ ، وانظر النزهة : ٥/٦٤٦ .
(٨) انظر السير : (أشْعَبُ الطَّمع) ٧/ ٦٦ـ٦٨ ، وانظر النزهة : ١/٦٧٧ .

تَشبَع ، وتأكُلُ فَخِذَ جَرادَة تَنتَخِم[1] .

ويُقالُ : دَعاهُ رَجلٌ فقالَ : أنا خَبيرٌ بكَثرَة جُمُوعِك قالَ : لا أدْعُو أحَداً ، فجاء ، إذْ طَلَعَ صَبيٌّ ، فقالَ أشْعَبُ : أينَ الشَّرطُ ؟ قالَ : يا أبا العَلاء!! هو ابْني وفيه عَشرُ خِصَالٍ : أحَدُها : أنَّه لَمْ يَأكُلْ مع ضَيفٍ ، قالَ : كَفَىٰ ، التِّسْعُ لَكَ أدْخِلْه[2] .

وقالَ أبو عاصِم : أوْقَفَني ابنُ جُرَيج علىٰ أشْعَب فقالَ : ما بَلَغَ من طَمَعِك ؟ قالَ : ما زُفَّتِ امْرأةٌ إلاَّ كَنَستُ بَيتي رَجاءَ أنْ تُهْدَىٰ إليَّ[3] .

وعن أبي عاصِم أنَّ أشْعَبَ مَرَّ بمَنْ يَعمَلُ طَبقاً فقالَ : وَسِّعْه لَعلَّهم يُهْدونَ لَنَا فيه ومَرَرْتُ يَوماً فإذا هو وَرائي ، قُلتُ : ما بِكَ ؟ قالَ : رَأيتُ قَلَنْسُوتَك مائلَةً فقُلتُ : لَعلَّها تَقَعُ فآخُذَها قالَ : فأعْطَيتُه إيَّاها[4] .

قالَ أبو عبدِ الرحمَـٰن الْمُقرىء : قالَ أشْعَبُ : ما خَرَجتُ في جِنازَةٍ ، فرَأيتُ اثنَينِ يَتَسارَّانِ ، إلاَّ ظَنَنتُ أنَّ الْمَيِّتَ أوْصَىٰ لي بشَيءٍ[5] .

وقالَ سليْمانُ بنُ أبي شَيخ : حَكَىٰ لي عبدُ الله بنُ صالِح بنِ مُسلِم ، قالَ : كانَ شَريكٌ علىٰ قَضاءِ الكُوفَة ، فخَرجَ يَتلقَّى الخَيزُرانَ ، فبَلَغَ شاهي[6] ، وأبْطَأت الخَيْزُران ، فأقامَ يَنتَظرُها ثَلاثاً ، ويَبِسَ خُبزُه ، فجَعلَ يَبلُّه بالْمَاءِ ويَأكُله ، فقالَ العَلاءُ بنُ الْمِنْهَال الغَنَويُّ[7] :

فــإنْ كــانَ الَّــذِي قُلــتَ حقّــاً ... بــأنْ قَـدْ أكْـرَهُـوكَ علـى القَضـاءِ
فمـا لـكَ مـوْضِعـاً فـي كُـلِّ يَـوم ... تلَقَّــىٰ مَــنْ يَحُـجُّ مِــن النِّســاءِ
مُقيمـاً فـي قُـرَىٰ شَـاهِـي ثَـلاثـاً ... بِــلا زادٍ ســوَىٰ كِسَــرٍ وَمَــاءِ

---

(١) انظر السير : (أشْعَبُ الطَّمَع) ٧/ ٦٦ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ٦٧٧/ ٢ .
(٢) انظر السير : (أشْعَبُ الطَّمَع) ٧/ ٦٦ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ٦٧٧/ ٣ .
(٣) انظر السير : (أشْعَبُ الطَّمَع) ٧/ ٦٦ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ٦٧٧/ ٤ .
(٤) انظر السير : (أشْعَبُ الطَّمَع) ٧/ ٦٦ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ٦٧٧/ ٥ .
(٥) انظر السير : (أشْعَبُ الطَّمَع) ٧/ ٦٦ـ ٦٨ ، وانظر النزهة : ٦٧٧/ ٦ .
(٦) مَوضع قُرب القادسيّة .
(٧) انظر السير : (شَريك) ٨/ ٢٠٠ـ ٢١٦ ، وانظر النزهة : ٦/٧٤٣

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمةِ أبي عَوَانَة : قالَ الحافِظُ ابنُ عَدي : كانَ مَوْلاهُ يَزيدُ قد خَيَّرَه بينَ الحُريَّة ، وكتَابَةِ الحَديثِ ، فاختار كتَابَةَ الحَديثِ وفَوَّضَ إليه مَوْلاهُ التِّجارَة ، فجاءَه سَائلٌ ، فقالَ : أعْطِني دِرْهَمَين ، فإنِّي أنْفَعُك ، فأعْطَاهُ ، فدارَ السَّائلُ علىٰ رُؤسَاءِ البَصْرَة ، وقالَ : بَكِّروا علىٰ يَزيدِ بنِ عَطَاء ، فإنَّه قد أعْتَقَ أبا عَوانَة قالَ : فاجْتَمعُوا إلىٰ يَزيدَ ، وهَنَّؤوهُ ، فأنِفَ من أنْ يُنكِرَ ذلك ، فأعْتَقَه حَقيقَةً[1] .

وعن يَحْيَىٰ بنِ مَعين : كان غُنْدَر يجلس علىٰ رأس المنارة يُفرِّقُ زكاتَه ، فقيلَ له : لِمَ تَفعلُ هـٰذا ؟ قالَ : أُرَغِّبُ النَّاسَ في إخْراج الزَّكاة[2] .

واشْتَرَىٰ غُنْدَرُ سَمَكاً ، وقالَ لأهلِه : أصْلِحُوه ، ونامَ ، فأكَلَ عيالُه السَّمكَ ، ولَطَّخُوا يدَه فلمَّا انتَبَه ، قالَ : هاتُوا السَّمكَ ، قالوا : قد أكَلتَ ، فقالَ : لا قالُوا : فشُمَّ يَدَكَ ففَعلَ ، ثم قالَ : صَدَقتُم ولكنْ ما شَبعتُ[3] .

ونقلَ ابنُ مَرْوانَ في الْمُجالَسَة قالَ : حدَّثنا جَعْفَرُ بنُ أبي عُثْمانَ ، سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين يَقُولُ : دَخَلنا عَلىٰ غُنْدَر ، فقالَ : لا أُحدِّثكم بشَيءٍ حتَّىٰ تَجيئوا مَعي إلى السُّوقِ وتَمْشُونَ ، فيَراكُم النَّاسُ ، فيُكْرِمُوني ، قالَ : فمَشَيْنا خَلفَه إلى السُّوقِ .

فجَعلَ النَّاسُ يَقُولونَ له : مَنْ هَؤلاء يا أبا عَبدِ الله ؟ فيَقُولُ : هَؤلاء أصْحابُ الحَديثِ ، جاؤُوني من بَغْدادَ يَكتُبُونَ عَنِّي .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : اتَّفَقَ أرْبابُ الصِّحاحِ على الاحْتِجاجِ بغُنْدَر .

وكانَت وَفاتُه في سَنةِ ثَلاثٍ وتِسْعينَ ومئة ، وهو في عَشْر الثَّمانين ، رَحمَهُ الله[4] .

ورَوَىٰ أبو عُبَيد الآجُرِّيُّ عن أبي داوُدَ قالَ : كانَ أبو عاصِم الضَّحَّاك يَحفَظُ قَدرَ ألفِ حَديث من جَيِّد حَديثِه ، وكانَ فيه مِزاحٌ ، ويُقالُ : إنَّما قيلَ له النَّبيل ، لأنَّ فيلاً قَدِمَ البَصْرَة ، فذَهبَ النَّاسُ يَنظُرُونَ إليه ، فقالَ له ابنُ جُرَيج : مَا لَكَ لا تَنظُر ؟ قالَ :

---

(١) انظر السير : (أبو عَوَانَة) ٨/ ٢١٧ـ ٢٢٢ ، وانظر النزهة : ٣/٧٤٥ .
(٢) انظر السير : (غُنْدَر) ٩/ ٩٨ـ ١٠٢ ، وانظر النزهة : ٦/٨٠٢ .
(٣) انظر السير : (غُنْدَر) ٩/ ٩٨ـ ١٠٢ ، وانظر النزهة : ٧/٨٠٢ .
(٤) انظر السير : (غُنْدَر) ٩/ ٩٨ـ ١٠٢ ، وانظر النزهة : ٨/٨٠٢ .

لا أجدُ منكَ عِوَضاً ، قالَ : أنتَ نبيلٌ وبَعضُهم نَقلَ أنَّ أبا عاصِم كانَ ضَخمَ الأنْفِ ، فتَزوَّجَ امْرأةً ، فلمَّا خَلا بها دَنا منها لِيُقبِّلَها ، فقالَت : نَحِّ رُكبَتَكَ عن وَجْهي قالَ : لَيسَ ذَا رُكبَة ، إنَّما هو أنْفٌ .

وقيلَ : لأنَّه كانَ يَلبَسُ الخزَّ وجَيِّدَ الثِّيابِ ، وكانَ إذا أقْبلَ ، قالَ ابنُ جُرَيج : جاءَ النَّبيلُ .

وقيلَ لأنَّ شُعبَة حَلفَ ألاَّ يُحدِّثَ أصْحابَ الحَديثِ شَهْراً ، فقَصَدَه أبو عاصِم فدَخلَ مَجلِسَه ، وقالَ : حَدِّث وغُلامي العَطَّارُ حُرٌّ لِوَجْه الله كفَّارةً عن يَمينِك فأعْجَبَه ذلك[1] .

وقالَ الحَسَنُ بنُ سُفْيانَ : سَمعتُ فَيَّاضَ بنَ زُهَير النَّسائيَّ ، يَقُولُ : تَشَفَّعنا بامْرأةِ عبدِ الرَّزَّاق عَليه ، فدَخَلنا ، فقالَ : هاتوا ، تَشَفَّعْتُم إليَّ بمَنْ يَنقَلِبُ مَعي علىٰ فِراشِي ؟ ثم قالَ :

ليْسَ الشفيعُ الّذي يَأْتيكَ متَّزِراً	مِثلُ الشَّفِيعِ الَّذي يَأتيكَ عُرْيَانا[2]

وقالَ الأصَمُّ : سَمعتُ الرَّبيعَ يَقُولُ : سَألَ رَجلٌ الشَّافِعيَّ عن قاتِلِ الوَزَغ هلْ عَليه غُسلٌ ؟ فقالَ : هٰذا فُتيا العَجائز[3] .

وقد كانَ أبو نُعَيم ذا دُعابَة ، فرَوَىٰ عَليُّ بنُ العَبَّاس الْمَقَانِعِي ، سَمعتُ الحُسَين بنَ عَمْرُو العَنْقَزيَّ يَقُولُ : دَقَّ رَجلٌ علىٰ أبي نُعَيم البابَ ، فقالَ : مَنْ ذَا ؟ قالَ : أنا ، قالَ : مَنْ أنا ؟ قالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، فخَرجَ إليه أبو نُعَيم ، وقَبَّله ، وقالَ : مَرْحَباً وأهْلاً ، ما ظَنَنتُ أنَّه بَقِيَ من هٰذا النَّسلِ أحَدٌ[4] .

وقالَ مُحمَّدُ بنُ سَلاَّم : كُنَّا مع أبي عُبَيدَة بقُربِ دارِ الأصْمَعيِّ ، فسَمِعنا منها ضَجَّة

---

(١) انظر السير : (أبو عاصم) ٩/ ٤٨٠ـ ٤٨٥ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣٦ .
(٢) انظر السير : (عبدُ الرَّزَّاق بنُ هَمَّام) ٩/ ٥٦٣ـ ٥٨٠ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣٩
(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ ٩٩ ، وانظر النزهة : ٣/٨٥٠ .
(٤) انظر السير : (أبو نُعيم) ١٠/ ١٤٢ـ ١٥٧ ، وانظر النزهة : ٤/٨٦١ .

فبَادَرَ النَّاسُ لِيَعرِفُوا ذلكَ ، فقالَ أبو عُبَيدَة : إنَّما يَفعَلُونَ هَـٰذا عندَ الخُبزِ ، كذا يَفعَلون إذَا فقَدوا رَغيفاً[1] .

وقال الجاحظُ : حدَّثني ثُمامَةُ ، قال : شَهِدتُ رجُلاً قدَّم خَصْمَه إلىٰ والٍ ، فقال : أصْلَحكَ الله ، هـٰذا ناصِبيٌّ ، رافِضيٌّ ، جَهْمِيٌّ ، مُشَبِّهٌ ، يَشْتمُ الحجَّاجَ بنَ الزُّبَيرِ الذي هدمَ الكَعْبَةَ علىٰ عليٍّ ، ويَلْعَنُ مُعاويَةَ بنَ أبي طالب[2] .

قال جعفرُ بنُ أبي عُثْمان : كنَّا عندَ يَحيَىٰ بن مَعين ، فجاءه رجلٌ مُسْتَعجلٌ ، فقال : يا أبا زكَريّا ، حَدِّثْني بشيء أَذْكُرك به ، فقال يَحْيَىٰ : اذكُرني أنَّك سألتَني أنْ أُحدِّثك فلمْ أفعلْ[3] .

وقالَ الحُسَينُ بنُ فَهْم : سَمعتُ يَحيَىٰ بنَ مَعين ، يَقُولُ : كُنتُ بمِصْرَ ، فرَأيتُ جاريَةً بِيعَتْ بألفِ دِينارٍ ، ما رَأيتُ أحْسَنَ منها ، صَلَّى اللهُ عَليها فقُلتُ : يا أبا زكريّا ، مثلُكَ يَقُولُ هَـٰذا ؟ قالَ : نعَم ، صَلَّى اللهُ عَليها وعَلَىٰ كُلِّ مَليح .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذه الحِكايَةُ مَحمُولَة على الدُّعابَة من أبي زَكريّا وتُروَىٰ عَنه بإسْناد آخَر[4] .

وقالَ خَيْثَمَة : سَمعتُ محمَّدَ بنَ عَوْف ، يَقُولُ : أتَينا هِشَامَ بنَ عَمَّار في مَزْرَعَة له ، وهو قاعِدٌ علىٰ مُروجٍ له ، وقد انْكَشفَتْ سَوْءَتُه ، فقُلنا : يا شَيخُ غطِّ عَليكَ فقالَ : رَأيتُمُوه ؟! لَنْ تَرْمَدَ عَينُكُم أبَداً ، يَعني يَمْزَح[5] .

وقالَ محمَّدُ بنُ الفَيْضِ جاءَ رَجلٌ من قَريَة الحُرْجُلَّة[6] يَطلُبُ لِعُرسِ أخيه لَعَّابينَ ، فوَجدَ الوَالي قد مَنَعَهم ، فجاءَ يَطلُبُ مُغبِّرينَ ، يَعني : مُزَمْزِمينَ يُغَبِّرُونَ بالقَضيبِ ، قالَ : فلَقِيَه صُوفيٌّ مَاجِنٌ ، فأرْشَدَه إلى ابنِ ذَكْوانَ ، وهو خَلفَ الْمِنْبَر ، فجاءَه ،

---

(١) انظر السير : (الأَصْمَعيُّ) ١٠/ ١٧٥ـ ١٨١ ، وانظر النزهة : ٨٦٤/ ٤ .
(٢) انظر السير : (ثُمامَة بنُ أشْرَس) ١٠/ ٢٠٣ـ ٢٠٦ ، وانظر النزهة : ٨٦٨/ ٥ .
(٣) انظر السير : (يَحْيَى بن مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٩١١/ ٣ .
(٤) انظر السير : (يَحْيَى بن مَعين) ١١/ ٧١ـ ٩٦ ، وانظر النزهة : ٩١١/ ٤ .
(٥) انظر السير : (هِشامُ بنُ عَمَّار) ١١/ ٤٢٠ـ ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ٩٥٧/ ٢ .
(٦) قرية من قرىٰ دمشق .

وقالَ : إنَّ السُّلطانَ قد مَنعَ الْمُغَنِّينَ فقالَ : أحْسَنَ واللهِ ، فقالَ : فنعمَلُ العُرسَ بالْمُغَبِّرينَ ، وقد دُلِلتُ عَليكَ فقالَ : لنا رَفيقٌ ، فإنْ جاءَ ، جِئتُ ، وهو ذاكَ ، وأشارَ إلىٰ هِشامِ بنِ عمَّار فقامَ الرجُلُ إليه ، وهو عندَ الْمِحرابِ مُتكِّىءٌ ، فقالَ الرجلُ لِهشامٍ : أبو مَنْ أنتَ ، فردَّ عَليه رَداً ضَعيفاً ، فقالَ : أبو الوَليد ، فقالَ : يا أبا الوَليد : أنا من الحُرْجُلَّة ، قالَ : ما أُبالي من أينَ كُنتَ قالَ إنَّ أخي يَعملُ عُرسَه ، فقالَ : فمَاذا أصْنَعُ ؟ قالَ : قد أرْسَلني أطلُبُ له الْمُخَنَّثينَ قالَ : لا باركَ اللهُ فيهم ولا فيكَ قالَ : وقد طَلَبَ الْمُغَبِّرينَ فأُرشِدتُ إليكَ قالَ : ومَنْ بَعثَك ؟ قالَ : هٰذا الرجلُ ، فرَفَعَ هِشامٌ رِجلَه ورَفسَه ، وقالَ : قُمْ، وصَاحَ بابنِ ذَكْوانَ : أقَد تفرَّغتَ لهٰذا ؟ قالَ : إي واللهِ أنتَ رَئيسُنا ، لَوْ مَضَيتَ مَضَينا[1] .

ورَوَىٰ يَمُوتُ بنُ الْمُزَرَّع ، عن الْمُبَرِّد ، عن أحمَدَ بنِ الْمُعَذَّل ، قالَ : كُنتُ عندَ ابنِ الماجِشُونَ ، فجاءَه بَعضُ جُلَسَائه ، فقالَ : يا أبا مَرْوانَ أُعْجُوبَة ، خَرجتُ إلىٰ حائطِي بالغابَة ، فعَرضَ لي رَجلٌ ، فقالَ : اخْلَع ثِيابَك قُلتُ : لِمَ ؟ قالَ : لأنِّي أخُوكَ ، وأنا عُرْيانٌ قُلتُ فالْمُواسَاةُ ؟ قالَ : قد لَبستها بُرهَة قُلتُ فتُعَريني ؟ قالَ : قد رَوَيْنا عن مَالِك أنَّه قالَ : لا بَأسَ للرجُلِ أنْ يَغتَسِلَ عُرياناً قُلتُ : تَرَىٰ عَوْرَتي قالَ : لَوْ كانَ أَحدٌ يَلقَاكَ هُنا ، ما تَعرَّضتُ لك قُلتُ : دَعْني أدْخُلُ حائِطِي ، وأبْعَثُ بها إليكَ ، قالَ : كَلاَّ ، أَردتَ أنْ تُوجِّهَ عَبيدَكَ ، فأُمْسَكُ قُلتُ : أحْلِفُ لك قالَ : لا تَلزَمُ يَمينُك لِلصِّ فحَلَفتُ له : لأبْعَثنَّ بها طَيِّبَةً بها نَفسِي فأطْرَقَ ثم قالَ : تَصَفَّحتُ أمْرَ اللُّصُوصِ من عَهدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ وَقتِنا ، فلَمْ أجِدْ لِصَّاً أخَذَ بنَسيئَة ، فأكْرَهُ أنْ أبْتَدعَ ، فخَلَعتُ ثِيابي لَه[2] .

وقال محمدُ بنُ مُظفَّر الحافظُ ، حدَّثنا القاسِمُ المُطرِّز ، قال : دَخلتُ علىٰ عبَّاد بالكُوفَة ، وكان يَمتحِنُ الطَّلَبَة ، فقال : مَنْ حَفرَ البَحرَ ؟ قلتُ : اللهُ قال : هو كَذاك ، ولكن مَنْ حَفرَه ؟ قلتُ يَذكُر الشَّيخُ ، قال حَفرَه عليٌّ ، فمَنْ أجْراهُ ؟ قلتُ : اللهُ قال :

---

(١) انظر السير : (هِشامُ بنُ عَمَّار) ١١/ ٤٢٠ـ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ٢/٩٥٨ .
(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ الْمُعَذَّل) ١١/ ٥١٩ـ٥٢١ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٤ .

هو كَذلك ، ولكن مَنْ أجْراهُ ؟ قلتُ : يُفيدني الشَّيخُ قال : أجراهُ الحُسَينُ ، وكان ضَريراً ، فرأيتُ سَيفاً وحَجَفَةً[1] فقلتُ : لمنْ هـٰذا ؟ قال : أعْدَدتُه لأقاتل به مع المَهدي ، فلمَّا فَرغتُ من سَماع ما أردْتُ ، دَخلتُ عليه ، فقال : مَنْ حَفرَ البَحرَ ؟ قلتُ حفرَهُ مُعاويةُ رَضيَ اللهُ عنه ، وأجْراهُ عَمرو بنُ العاص ، ثم وَثَبتُ وعَدَوْتُ فجعلَ يَصيحُ : أدْركوا الفاسِقَ عَدوَّ الله ، فاقْتُلوه . إسْنادُه صَحيح ، وما أدْري كيف تَسَمَّحوا في الأخْذِ عمَّن هـٰذا حالُه ؟ وإنَّما وَثِقوا بصِدْقِه .

قال البُخاريُّ : ماتَ عبَّادُ بنُ يَعقُوب في سنة خمسين ومئتين .

ورأيتُ له جُزءاً من كتاب « المَناقِب » ، جَمعَ فيها أشياءَ ساقِطَة قد أغْنَى اللهُ أهلَ البَيتِ عنها ، وما أعتَقده يَتعمَّدُ الكَذبَ أبداً[2] .

وقالَ إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ القَزَّاز : كُنَّا عندَ بُنْدار ، فقالَ في حَديثٍ عن عائشَةَ : قالَ : قالَت رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ له رَجلٌ يَسْخَرُ منه : أُعيذُكَ بالله ، ما أفْصَحَك ! ! فقالَ : كُنَّا إذا خَرَجنا من عندِ رَوْح دَخَلنا إلىٰ أبي عُبَيدَة ، فقالَ : قد بانَ ذلكَ عَليكَ[3] .

وقالَ عبدُ الله الدَّرامِيُّ ، حدَّثنا يَحيَىٰ بنُ حَسَّان ، حدَّثنا سُليْمانُ بنُ بِلال ، عن هِشام بنِ عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشَةَ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ : « نِعْمَ الإدَامُ الْخَلُّ » .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا حَديثٌ صَحيحٌ غَريبٌ فرَدٌ علىٰ شَرطِ الشَّيْخين ، وانفَردَ مُسلمٌ به ، ورَواهُ أيضاً أبو عيسَىٰ في « جامِعِه » كِلاهُما عن أبي محمَّد الدَّارِميِّ .

وقد كانَ الدَّرامِيُّ يَقصِدُ في رِوايَة هـٰذا الحَديثِ لتَفَرُّده به ، قالَ : فكانَ يَدقُّ علي

---

(١) الحجفة : هي الترس .

(٢) انظر السير : (الرَّواجنيّ) ١١/ ٥٣٦ـ٥٣٨ ، وانظر النزهة : ٣/٩٧٠ .

(٣) انظر السير : (بُنْدار) ١٢/ ١٤٤ـ١٤٩ ، وانظر النزهة : ٥/٩٨٩ .

الباب وأنا ببغْدادَ ، فأقُولُ : مَنْ ذا ؟ فيُقالُ : يَحْيَىٰ بنُ حَسَّان : « نِعْمَ الإدَامُ الْخَلُّ »[1] .

وقال الْمُبَرِّدُ : لَمْ يَكنْ أحَدٌ بعدَ سِيبَوَيه أعْلمَ بالنَّحْوِ من الْمَازِنِيِّ ، قالَ : وذَكرَ لنا الْمَازِنيُّ أنَّ رَجُلاً قَرأَ عليه « كتابَ » سِيبَوَيه في مُدَّة طَويلَة فلمَّا بَلغَ آخِرَه قالَ : أما إنِّي ما فَهِمتُ منه حَرْفاً ، وأمَّا أنتَ فجَزاكَ اللهُ خَيراً .

وقالَ الْمَازِنيُّ : قَرأتُ القُرآنَ علىٰ يَعقُوبَ ، فلمَّا خَتمتُ رَمَىٰ إليَّ بخَاتَمِه ، وقالَ : خُذهُ ، لَيسَ لكَ مِثلٌ[2] .

وعن الزُّبَير بنِ بَكار ، قالَ : قالت بنتُ أخْتي لأهلنا : خالي خَيرُ رجلٍ لأهْلِه ، لا يَتَّخذُ ضرَّةً وسريَّة ، قال : تَقولُ المَرأةُ : والله هـٰذه الكُتبُ أشَدُّ عليَّ من ثلاثِ ضَرائِر[3] .

وقالَ محمَّدُ بنُ إسْحاقَ الصَّيْرَفيُّ : سَألتُ الزُّبَيْر : مُنذُ كَمْ زَوجَتُك مَعَك ؟ قالَ : لا تَسْألني ، لَيسَ تَرِدُ القيامَة أكثر كِباشاً منها ، ضحَّيتُ عنها سَبعينَ كَبْشاً[4] .

وقالَ الحاكمُ : حدَّثنا محمَّدُ بنُ صالح بنِ هانىء ، سَمعتُ أحمَدَ بنَ سَلمَة يَقُولُ : بَكَّرتُ يَوماً علىٰ عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ بِشْر في تَزويجِ أُخْتِ امْرأةِ مُسْلم بنِ الحَجَّاج ، فرَأيتُه في الْمَسجِدِ ، فقالَ : ما بَكَّرَ بك اليَومَ ؟ قُلتُ : عبدُ الواحدِ الصَّفَّار سَألَني أنْ أجيئَكَ لِتُزَوِّجَ ابنَتَه فقالَ : ما حَضَرتُ تَزويجاً قَطُّ إذا كانَ في وَقتِ قَولِهم للخَاطِب : قَبلتَ هـٰذا النِّكاحَ ولَهَا من الْمَهْرِ عَليكَ كَذا وكَذا فإذا قالَ : نَعَم ، قُلتُ في نَفسِي : شَقيتَ شَقاءً لا تَسعَدُ بعدَه أبداً[5] .

قال عُثمانُ بنُ خُرَّزاد : سَمعتُ الشَّاذَكُونيَّ يقولُ : جاءَني محمَّدُ بنُ مُسْلم فقعَدَ

---

(١) انظر السير : (الدَّارميُّ) ١٢/ ٢٢٤ـ ٢٣٢ ، وانظر النزهة : ٢/٩٩٧ .
(٢) انظر السير : (الْمَازِنيُّ) ١٢/ ٢٧٠ـ ٢٧٢ ، وانظر النزهة : ٤/٩٩٧ .
(٣) انظر السير : (الزُّبَير بن بكَّار) ١٢/ ٣١١ـ ٣١٥ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٠٤ .
(٤) انظر السير : (الزُّبَيْر بن بَكار) ١٢/ ٣١١ـ ٣١٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٠٤ .
(٥) انظر السير : (عبدُ الرحمَـٰن بنُ بِشْر) ١٢/ ٣٤٠ـ ٣٤٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٠٠٦ .

يَتقعَّرُ[1] في كَلامِه ، فقلتُ له : مِنْ أيِّ بلدٍ أنتَ ؟ قال : مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، أَلَمْ يأتِكَ خَبري ؟ أَلَمْ تَسمَعْ بنَبَئي ؟ أنا ذُو الرِّحْلَتين قُلتُ : مَنْ رَوَىٰ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكمَةً » فقالَ : حدَّثَني بعضُ أَصْحابِنا قلتُ : مَنْ ؟ قال : أبو نُعَيم وقَبيْصَة قلتُ : يا غُلامُ! ائتِنِي بالدِّرَّة ، فأتاني بها ، فأمَرتُه ، فضَربَه بها خَمسينَ ، قلتُ : أنتَ تَخرُجُ من عِندي ، ما آمَنُ أن تقولَ : حَدَّثني بَعضُ غِلْمانِنا[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ محمَّدِ بنِ داوُدَ : قالَ أبو الطَّيِّبِ الطَّبَريُّ : سَمِعتُ أبا العَبَّاسِ الخُضَريَّ قالَ : كُنتُ جالِساً عندَ أبي بَكر محمَّدِ بنِ داوُد ، فجاءَته امْرأةٌ ، فقالَت : ما تَقُولُ في رَجُلٍ له زَوجَةٌ ، لا هو يُمسِكُها ، ولا هو يُطَلِّقُها ؟ فقالَ أبو بَكر : اخْتَلفَ في ذَلكَ أَهْلُ العِلمِ ، فقالَ قائلون : تُؤمَرُ بالصَّبرِ والاحْتِسابِ ، وتَبعَثُ على الطَّلبِ والاكْتِساب وقالَ قائلونَ : يُؤمَرُ بالإنْفَاقِ ، وإلاَّ حُملَ على الطَّلاقِ فلَمْ تَفهَمِ الْمَرأةُ قَولَه ، فأعادَت سُؤالَها عَليه ، فقالَ : يا هٰذه أَجَبتُك ولَستُ بسُلطَانٍ فأُمْضِي ، ولا قَاضٍ فأَقْضِي ، ولا زَوْجٍ فأُرضي فانْصَرِفي[3] .

وقالَ ابنُ أبي حاتم الرَّازي : وسَمعتُ أبي يَقُولُ : خَرَجنا من الْمَدينَة ، من عندِ دَاوُدَ الجَعْفَريِّ ، وصِرْنا إلى الجَارِ ورَكِبنا البَحرَ ، فكانَت الرِّيحُ في وُجُوهِنا ، فبَقينا في البَحرِ ثَلاثَةَ أَشْهُر ، وضاقَت صُدُورُنا ، وفَنِيَ ما كانَ مَعَنا ، وخَرَجنا إلى البَرِّ نَمْشي أيَّاماً ، حتَّىٰ فَنِيَ ما تَبَقَّىٰ مَعَنا من الزَّادِ والْمَاءِ ، فمَشينا يَوماً لَمْ نأكُلْ ولَمْ نَشرَبْ ، ويَومُ الثاني ، ويومُ الثالث ، فلمَّا كانَ يَكونُ الْمَساءُ صَلَّينا ، وكُنَّا نُلقِي بأنْفُسِنا حَيثُ كُنَّا ، فلمَّا أَصْبَحنا في اليَوم الثَّالثِ ، جعلَنا نَمشي علىٰ قَدرِ طَاقَتِنا ، وكُنَّا ثَلاثَةَ أَنْفُس : شَيخٌ نِيسَابُوريٌّ ، وأبو زُهَير الْمَرْوَرُّوذيُّ ، فسَقطَ الشَّيْخُ مَغشياً عَليه ، فجِئنَا نُحرِّكُه وهو لا يَعقِلُ ، فتَركنَاه ، ومَشَينا قَدرَ فَرْسَخ ، فضَعُفتُ ، وسَقطتُ مَغْشيّاً عَليَّ ، ومَضَىٰ صَاحِبي يَمشِي فبَصُرَ من بُعدٍ قَوْماً ، قَرَّبوا سَفينَتَهم من البَرِّ ، ونَزَلُوا عَلىٰ بِئرِ مُوسَىٰ ،

---

(١) التقعير : أن يتكلم بأقصىٰ قعر فمه .

(٢) انظر السير : (ابن وارَة) ١٣/٢٨ـ٣٢ ، وانظر النزهة : ١/١٠٤٨ .

(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ داوُد) ١٣/١٠٩ـ١١٦ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٦١ .

فلمَّا عايَنَهم ، لَوَّحَ بثَوبه إلَيهم ، فجَاؤُوهُ مَعَهُم مَاءٌ وإدَاوَةٌ[1] ، فسَقُوهُ وأخَذُوا بيَدِه ، فقالَ لهم : الْحَقُوا رَفيقَيْنِ لي ، فمَا شَعُرتُ إلاَّ برَجُلٍ يَصُبُّ الْمَاءَ علىٰ وَجْهي ، ففَتَحتُ عَينَيَّ ، فقُلتُ : اسْقِني ، فصَبَّ من الْمَاءِ في مَشرَبَة قَليلاً ، فشَربتُ ، ورَجَعَتْ إليَّ نَفْسي ، ثم سَقاني قَليلاً ، وأخَذَ بيَدي ، فقُلتُ : وَرائي شَيخٌ مُلْقَىٰ ، فذَهبَ جَماعَةٌ إليه ، وأخَذَ بيَدي ، وأنا أمْشي وأجُرُّ رجلِي ، حتَّىٰ إذا بَلَغْتُ إلىٰ عندِ سَفينَتِهم ، وأتَوا بالشَّيْخِ ، وأحْسَنُوا إلَيْنا ، فبَقِينَا أيّاماً حتَّىٰ رَجَعَتْ إلَينا أنفُسُنا ، ثم كَتَبوا لَنَا كِتاباً إلىٰ مَدينَةٍ يُقالُ لها : رَايَة[2] إلىٰ وَاليهم ، وزَوَّدونا من الكَعْكِ والسَّويقِ والْمَاءِ فلَمْ نزَلْ نَمْشي حتَّىٰ نَفِذَ ما كانَ مَعنا من الْمَاءِ والقُوتِ ، فجَعلنا نَمشي جِياعاً علىٰ شَطِّ البَحْرِ ، حتَّىٰ دَفَعَنا إلىٰ سُلَحْفاةٍ مثلُ التُّرْسِ ، فعَمَدنا إلىٰ حَجَرٍ كَبيرٍ ، فضَرَبْنا علىٰ ظَهْرِها ، فانْفَلَقَ ، فإذا فيها مثلُ صُفْرَةِ البَيْضِ ، فتَحسَّيْناهُ حتَّىٰ سَكنَ عَنَّا الجُوعُ ، ثم وَصَلْنا إلىٰ مَدينَةِ الرَّايَة ، وأوْصَلْنا الكتابَ إلىٰ عامِلِها ، فأنْزَلَنا في داره ، فكانَ يُقدِّمُ لَنَا كُلَّ يومِ القَرْعَ ، ويَقُولُ لِخَادِمِه : هاتِ لَهم اليَقْطينَ الْمُبارَك ، فيُقَدِّمُه مع الخُبزِ أيّاماً ، فقالَ واحدٌ منَّا : ألا تَدعُو باللَّحْمِ الْمَشؤُومِ ؟! فسَمعَ صاحِبُ الدَّارِ ، وأتَانا بعدَ ذَلكَ باللَّحمِ ثم زَوَّدَنا إلىٰ مِصْرَ[3] .

وقالَ ابنُ عَبدُوسَ الطَّرائفيُّ : لَمَّا أَرَدتُ الخُروجَ إلىٰ عُثْمانَ بنِ سَعيد - يَعني إلىٰ هَرَاةَ - أتيتُ ابنَ خُزَيْمَة ، فسَألتُه أنْ يَكتُبَ لي إلَيه ، فكَتَبَ إلَيه ، فدَخلتُ هَرَاةَ في رَبيعِ الأوَّل ، سَنةَ ثَمانينَ ومئتَين ، فأوْصَلتُه الكتَابَ ، فقرَأَه ، ورَحَّبَ بي ، وسَألَ عن ابنِ خُزَيْمَة ، ثم قالَ : يا فَتَى! متَىٰ قَدِمتَ ؟ قُلتُ : غداً قالَ : يا بنَيَّ! فارْجِعْ اليَومَ ، فإنَّكَ لَمْ تَقدُمْ بَعدُ ، حتَّىٰ تَقدمَ غداً[4] .

وقيلَ : جاءَه رجلٌ ، فقالَ : قد عَشِقتُ جاريَةً ، وثَمنُها خَمسونَ ديناراً ، وما مَعي إلاَّ ثلاثون فوَهَبَه مئةَ دينار ، فسَمعَ به آخَرُ ، فجاءَه وقال : إنِّي عاشقٌ قال : فما تَجدُ ؟

---

(١) الإداوَة : الْمِطْهَرَة ، وهي إناءٌ صَغيرٌ يُحمَلُ فيه الْمَاءُ .
(٢) رايَة : مَحِلَّة عَظيمَةٌ بفُسْطاطِ مِصْرَ وهي المحلة التي في وَسَطِها جامعُ عَمْرو بن العَاص .
(٣) انظر السير : (أبو حاتم الرَّازي) ١٣/ ٢٤٧-٢٦٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٦ .
(٤) انظر السير : (الدَّارميُّ) ١٣/٣١٩-٣٢٦ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٩١ .

قال : لَهيباً قال : اغْمِسُوهُ في الماء ، فغَمَسوهُ مَرَّات ، وهو يَصيحُ : ذَهبَ العِشْقُ فضَحكَ ، وأمَرَ له بثَلاثينَ ديناراً .

ثم إنَّه تَسَوْدَنَ ، وقَتلَ إخْوَتَه ، ثم عُوفِيَ ، وتابَ ، وتَصدَّق .

ثم ظَهرَ عليه الشِّيعيُّ داعي عُبَيدِ الله المَهْدي ، وحارَبه ، وجَرَتْ أُمُورٌ طويلة ، بَعضُها في « تاريخ الإسلام »[1] .

وقيلَ : إنَّ القاسِمَ بنَ عُبَيد الله الوَزيرَ كانَ يَخافُ من هُجُومِ ابنِ الرُّوميِّ ، فدَسَّ عَليه مَنْ أطْعَمَه خُشْكُنانَةً[2] مَسمُومَة ، فأحَسَّ بالسُّمِّ ، فوَثبَ ، فقالَ الوَزيرُ : إلىٰ أين ؟ قالَ : إلىٰ مَوضِعِ بَعثتَني إليه قالَ : سَلِّم علىٰ أبي ، قال : ما طَريقي إلى النَّار فبَقيَ أيّاماً وماتَ[3] .

قال الصُّوليُّ : كنتُ أقرأُ علىٰ أبي خَليفة كتابَ : « طَبَقات الشُّعَراء » وغيرَ ذلك ، قال : فوَاعَدَنا يوماً وقال : لا تُخْلِفوني فإنِّي أتَّخِذُ لكم خَبيصةً فتأخَّرْتُ لشُغلٍ عَرضَ لي ، ثم جئتُ والهاشِميُّون عندَه ، فلمْ يَعرفْني الغُلامُ ، وحَجَبَني ، فكَتبتُ إليه :

أبـا خليفـةَ تجفـو مَـنْ لـهُ أدبٌ ... وتـؤثِـرُ الغُـرَّ مِـن أولادِ عبـاسِ
وأنتَ رأسُ الورىٰ في كلِّ مَكرُمةٍ ... وفي العلومِ وما الأذنابُ كالراسِ
ما كانَ قدرُ خبيص لو أذِنتَ لنا ... فيـه فيختلـطُ الأشـرافُ بـالنـاسِ

فلمَّا قَرأها صاحَ على الغُلام ، ثم دَخلتُ ، فقالَ : أسَأتَ إلينا بتَغَيُّبِكَ ، فظلَمْتَنا في تَعَتُّبك ، وإنَّما عُقِدَ المجلسُ بك ، ونَحنُ فيما فاتَنا بتأخيرك كما أنْشَدني التوزيُّ لِمَنْ طلَّقَ امرأتَه ثم نَدِمَ فتَزَوَّجَت رجلاً ، فماتَ حين دَخلَ بها ، فتَزَوَّجها الأولُ فقال :

فعادتْ لنا كالشمسِ بعد ظلامها ... علىٰ خير أحوال كأنْ لم تُطلَّقِ

---

(١) انظر السير : (ابن الأغْلَب) ١٣/ ٤٨٧ـ٤٨٩ ، وانظر النزهة : ١/١١١١ .

(٢) في الوَفيات : « خُشْكُنانجَة » ، والخُشْكُنان : خُبزَةٌ تُصنَع من خالص دَقيق الحِنطَة وُتملأ بالسُّكر واللَّوز أو الفُستُق وتُغلَىٰ (فارسي) .

(٣) انظر السير : (ابنُ الرُّوميّ) ١٣/ ٤٩٥ـ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/١١١١ .

ثم صَاحَ : يا غُلام! أعدَّ لنا مثلَ طَعامِنا ، فأقَمْنا عندَه يومَنا[١] .

وقالَ خَلفُ بنُ محمَّد الخَيَّام : حدَّثنا سَهلُ بنُ شَاذوَيه : أنَّه سَمعَ الأميرَ خالدَ بنَ أحمدَ يَسألُ أبا عَليٍّ صالحَ بنَ محمَّد الأسَديَّ : لِمَ لُقِّبتَ جَزرَة ؟ قالَ : قَدمَ عَلينا عُمَرُ بنُ زُرارَة ، فحدَّثهم بحَديثٍ عن عبدِ اللهِ بنِ بُسر : أنَّه كانَ له خَرَزَة للمَريضِ ، فجئتُ وقد تَقدَّمَ هـٰذا الحَديثُ ، فرَأيتُ في كتابِ بَعضِهم وصِحْتُ بالشَّيْخِ : يا أبا حَفْص! يا أبا حَفْص! كَيفَ حَديثُ عبدِ اللهِ بنِ بُسر : أنَّه كانَت له جَزرَةٌ يُداوي بها الْمَرْضَىٰ ، فصاحَ الْمُحدِّثونَ الْمُجَّان ، فبَقيَ عليَّ حتَّى السَّاعَة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : قد كانَ صالحٌ صاحِبَ دُعابَة ، ولا يَغضَبُ إذا وَاجَهَهُ أَحَدٌ بهـٰذا اللَّقَب[٢] .

وقالَ بَكرُ بنُ محمَّد الصَّيْرَفيُّ : سَمعتُ صالحَ بنَ محمَّد قالَ : كُنتُ أُسايرُ الجَملَ الشَّاعِرَ بمِصْرَ ، فاسْتَقبَلَنا جَملٌ عَليه جَزرٌ ، فقالَ : ما هـٰذا يا أبا عَليّ ؟ قُلتُ : أنا عَليكَ[٣] .

وقالَ ابنُ أبي حاتم : سَمعتُ أبي يَقُولُ لأبي زُرْعَة : حَفظَ اللهُ أخانا صالحَ بنَ مُحمَّد ، لا يَزالُ يُضْحِكنا شاهِداً وغائباً ، كَتَبَ إليَّ يَذكُرُ أنَّه مَاتَ محمَّدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْليُّ ، وجَلسَ للتَّحديثِ شَيخٌ يُعرَفُ بمحمَّد بنِ يَزيد محمش فحدَّث أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ « يَا أبَا عُمَيْر ، مَا فَعَلَ الْبَعيرُ ؟ »[٤] .

وأن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : « لا تَصْحَبُ الْمَلائِكةُ رِفْقَةً فيها خُرْس »[٥] فأحْسَنَ اللهُ عَزاءَكم في الْمَاضي ، وأعْظَمَ أجْرَكُم في البَاقي[٦] .

(١) انظر السير : (أبو خَليفَة) ١٤/٧ـ١١ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٢ .
(٢) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/٢٣ـ٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٣ .
(٣) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/٢٣ـ٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٣ .
(٤) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/٢٣ـ٣٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٢٤ .
(٥) هـٰذه اللفظة محرَّفة عن « جَرَس » وهو ما يُعلَّقُ في رَقَبَةِ الدَّوابِّ .
(٦) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/٢٣ـ٣٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٢٤ .

ورُويَ عن صالحِ بنِ محمَّد قالَ : الأحْوَلُ في البيتِ مُباركٌ ، يَرَى الشَّيءَ شَيئَين[1] .

وقالَ بَكرُ بنُ محمَّد الصَّيرَفي : سَمعتُ صالح بنَ محمَّد يَقُولُ : كانَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ بنَ أبَان يَمتحِنُ أصْحابَ الحَديثِ ، وكانَ غالياً في التَّشيُّع ، فقالَ لي : مَنْ حَفرَ بئرَ زَمْزَم ؟ قُلتُ : مُعاويَةُ ، قالَ : فمَنْ نَقَلَ تُرابَها ؟ قُلتُ : عَمرُو بنُ العَاص ، فصَاح فيَّ وقامَ[2] .

وقالَ أبو النَّضْرِ الفَقيهُ : كُنَّا نَسمَعُ من صالحِ بنِ مُحمَّد وهو عَليلٌ فبَدَتْ عَورَتُه ، فأشَارَ إليه بَعضُنا بأنْ يَتغطَّىٰ ، فقالَ : رَأيتَه ؟ لا تَرمَدُ أبَداً[3] .

وقالَ بَكرُ بنُ محمَّد الصَّيرَفي : سَمعتُ أبا عَليٍّ صالحَ بنَ مُحمَّد قالَ : دَخلتُ مِصْرَ فإذا حَلقَةٌ ضَخمَةٌ ، فقُلتُ : مَنْ هـٰذا ؟ قالُوا : صاحِبُ نَحْو فقَربتُ منه ، فسَمعتُه يَقُولُ : ما كانَ بصادٍ ، جازَ بالسِّينِ فدَخَلتُ بينَ النَّاسِ وقُلتُ : صَلامٌ عَليكُم يا أبَا سَالِح ، سَلَّيْتم بَعدُ ؟ فقالَ لي : يا رَقيعُ! أيُّ كَلام هـٰذا ؟ قُلتُ : هـٰذا من قَولِكَ الآنَ ، قالَ : أظُنُّكَ من عيَّاري بَغْدادَ قُلتُ : هو ما تَرىٰ[4] .

ويُحكَىٰ عن ابنِ الجَصَّاصِ بَلَهٌ وتَغفيلٌ ، مَرَّ به صَديقٌ فقالَ له : كَيفَ أنتَ ؟ فقالَ ابنُ الجَصَّاص : الدُّنيا كُلُّها مَحْمُومَة ، وكانَ قد حُمَّ[5] .

ونَظَر مَرَّةً في الْمِرآةِ فقالَ لِصَاحِبه : تَرىٰ لِحْيَتي طَالَت ؟ فقالَ : الْمِرآةُ في يَدِك قالَ الشَّاهدُ يَرىٰ ما لا يَرَى الغَائبُ[6] .

ودَخلَ يَوماً عَلى الوَزيرِ ابنِ الفُرات فقالَ : عندَنا كِلابٌ يَحرِمونَنا نَنام فقالَ الوَزيرُ :

---

(١) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/ ٢٣ـ ٣٣ ، وانظر النزهة : ٤/١١٢٤ .
(٢) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/ ٢٣ـ ٣٣ ، وانظر النزهة : ٥/١١٢٤ .
(٣) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/ ٢٣ـ ٣٣ ، وانظر النزهة : ٦/١١٢٤ .
(٤) انظر السير : (صالحُ بنُ محمَّد) ١٤/ ٢٣ـ ٣٣ ، وانظر النزهة : ٨/١١٢٤ .
(٥) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٤/١١٦٥ .
(٦) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/١١٦٥ .

لَعلَّهم جِراء ؟ قالَ : بَلْ كُلُّ واحِدٍ في قَدِّي وقَدِّك[1] .

ودَعَا ابنُ الجَصَّاصِ فقالَ : حَسْبيَ اللهُ وأنْبياؤه ومَلائكَتُه ، اللَّهُمَّ ، أعد من بَركَة دعائنا علىٰ أهْلِ القُصُورِ في قُصُورِهم ، وعلىٰ أهْلِ الكَنائسِ في كَنائسِهم[2] .

وفَرغَ من الأكلِ فقالَ : الحَمدُ لله الذي لا يُحلَفُ بأعظَمَ منه[3] .

وكانَ مع الخاقاني في مَركب وبيَدِه كرة كافور ، فبَصقَ في وَجْهِ الوَزير وألْقى الكافُورَة في دِجلَة ، ثم أفاقَ واعْتَذرَ ، وقالَ : إنَّما أردتُ أنْ أبصُق في وَجهِك وأُلْقِيَها في الْمَاء فغَلطتُ فقالَ : كانَ كَذلكَ يا جاهِلُ[4] .

وقالَ التَّنُوخيُّ : اجْتَمعتُ بأبي عَليٍّ ـ وَلدِ ابنِ الجَصَّاص ـ فسَألْتُه عمَّا يُحْكَىٰ عن أبيه من أنَّ الإمامَ قَرأ : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقالَ : « إي لَعَمري » بَدلاً من « آمين »[5] .

وأنَّه أرادَ أنْ يُقبِّلَ رَأسَ الوَزيرِ ، فقالَ : إنَّ فيه دُهْناً فقالَ : أُقَبِّلُه ولَوْ كانَ فيه خرا ، فقالَ : ما كانَت فيه سَلامَةٌ[6] تُخرجُه إلىٰ هـٰذا ، وكانَ من أدْهَى النَّاسِ ، ولكنْ كانَ يَفعَلُ بحضْرَة الوَزيرِ ، وكانَ يُحبُّ أنْ يُصوِّرَ نَفسَه ببَلَهٍ لِيَأمَنَه الوُزَراءُ لكَثْرَةِ خَلوَته بالخُلَفاء[7] .

وقالَ أبو الفَتْح يُوسُفُ القَوَّاس : سَمعتُ أبا بَكر النَّيسابُوريَّ يَقُولُ : تَعرِفُ مَنْ أقَامَ أرْبَعينَ سَنةً لَمْ يَنَمِ اللَّيلَ ، ويَتَقوَّتُ كُلَّ يَوم بخَمسِ حبَّاتٍ ، ويُصلِّي صَلاةَ الغَداةِ علىٰ طَهَارَةِ عِشَاءِ الآخِرَة ؟ ثم قالَ : أنا هُوَ ، وهـٰذا كلُّه قبلَ أنْ أعْرِفَ أُمَّ عبدِ الرحمَـٰن ، أيشٍ أقُولُ لِمَنْ زَوَّجَني ؟ ثم قالَ : ما أرادَ إلاَّ الخَيرَ .

---

(١) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/١١٦٥ .
(٢) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ١/١١٦٦ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٢/١١٦٦ .
(٤) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٣/١١٦٦ .
(٥) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٥/١١٦٦ .
(٦) أي : غَفلَة .
(٧) انظر السير : (ابنُ الجَصَّاص) ١٤/ ٤٦٩ـ ٤٧٣ ، وانظر النزهة : ٦/١١٦٦ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : قد كانَ أبو بَكر من الحُفَّاظ الْمُجوِّدين[١] .

وكان محمَّدُ بنُ زَيْد الوَاسِطيُّ المُتكلِّمُ يُؤذِي نِفْطَوَيْه ، وهَجاهُ ، فقالَ :

مـن سـرَّهُ ألا يـرىٰ فـاسقـاً — فليجتنبْ مِنْ أن يـرىٰ نِفْطَـوَيْـهْ

أحـرقَـه اللهُ بنصـفِ اسمـهِ — وصيـر البـاقـي صراخـاً عليـه

وقال أيضاً : مَنْ أرادَ أنْ يَتناهَىٰ في الجهْل ، فليَعْرِفِ الكَلامَ علىٰ مَذْهَبِ النَّاشِيء[٢] ، والفِقْهَ علىٰ مَذْهَبِ داوُدَ ، والنَّحْوَ علىٰ مَذْهَب سِيبَوَيْه ثم يقولُ : وقد جَمعَ هٰذه المَذاهِبَ نِفْطَوَيْه ، فإليه المُنْتَهَىٰ[٣] .

وقالَ ابنُ زُوْلاق : وحدَّثني عليُّ بنُ حَسَن ، قالَ : سَمعتُ ابنَ الحَدَّاد يَقُولُ : كُنتُ في مَجلِسِ ابنِ الإخْشيذِ ، يَعني : مَلكَ مِصْرَ ، فلمَّا قُمنا أمْسَكَني وَحْدي ، فقالَ : أيُّما أفْضَلُ أبو بَكر ، وعُمَر ، أو عَليٌّ ؟ فقُلْتُ : اثنَينِ حِذاءَ واحِد ، قالَ : فأيُّما أفْضَلُ أبو بَكر ، أو عَليٌّ ؟ قُلتُ : إنْ كانَ عندَك فعَليٌّ ، وإنْ كانَ برّا[٤] فأبو بَكر ، فضَحكَ[٥] .

وقالَ أبو عبدِ الله الحاكِم : حَضَرتُ أبا العَبَّاس الأصَمَّ يَوماً في مَسجِدِه ، فخَرجَ لِيُؤَذِّنَ لِصَلاةِ العَصْر ، فوَقَفَ مَوضِعَ المِئذَنَة ، ثم قالَ بصَوتٍ عالٍ : أخْبَرَنا الرَّبيعُ بنُ سُلَيْمانَ ، أخْبَرَنا الشَّافِعيُّ ، ثم ضَحِكَ ، وضَحِكَ النَّاسُ ، ثم أذَّنَ[٦] .

وقالَ ابنُ مَندَه : وبَلَغني أنَّ الطَّبَرانيَّ كانَ حَسَنَ الْمُشاهَدَة طَيِّبَ الْمُحاضَرَة ، قرأَ

---

(١) انظر السير : (ابنُ زِياد النَّسابوريُّ) ١٥/ ٦٥ـ٦٦ ، وانظر النزهة : ٣/١١٨١ .

(٢) هو عبد الله بن محمد ، أبو العبَّاس ، المعروف بابن شرشير الناشيء ، شاعرٌ متكلِّمٌ يُعَدُّ في طبقة ابن الرُّومي والبُحْتري ، أصله من الأنبار ، وأقام ببغداد مدة طويلة ، وخرج إلىٰ مصر فسكنها ، وتُوفِّيَ بها سنة ٢٩٣ هـ .

(٣) انظر السير : (نِفْطَوَيْه) ١٥/ ٧٥ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٣/١١٨٢ .

(٤) برّا : كلمة مولدة بمعنىٰ عَلانية ، ومنه : « مَنْ أصْلحَ جوانيه أصْلحَ الله برّانيه » أي : مَنْ أصْلحَ سَريرته أصلح الله علانيته .

(٥) انظر السير : (ابنُ الحَدَّاد) ١٥/ ٤٤٥ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٤٧ .

(٦) انظر السير : (الأصَمُّ) ١٥/ ٤٥٢ـ ٤٦٠ ، وانظر النزهة : ١/١٢٤٩ .

عَليه يَوماً أبو طاهِر بنُ لُوقا حَديثَ : كانَ يَغسِلُ جِمارَه[1] فصَحَّفَه ، وقالَ : خِصيَّ حِمَاره ، فقالَ : ما أرادَ بذلكَ يا أبا طاهِر قالَ : التَّواضُع ، وكانَ هـٰذا كالْمُغفَّل ، قالَ له الطَّبَرانيُّ يَوماً : أنتَ وَلَدي ، قالَ : وإيَّاكَ يا أبا القاسِم ، يَعني وأنتَ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ صاحِبِ الأغَاني ، أبي الفَرَجِ الأصْبَهانيِّ : ولَه حِكايَةٌ مع الجُهَنيِّ الْمُحتَسِب : كانَ يُجازِفُ ، فقالَ مرَّة : بالبَلَدِ الفُلاني نَعْنَعٌ يَطُولُ حتَّىٰ يُعمَل منه سَلالم فبَدرَ أبو الفَرَج وقالَ : عَجائبُ الدُّنيا ألْوان ، والقُدرَةُ صالِحةٌ ، فعِندَنا ما هو أعْجَبُ من هـٰذا ، زَوجُ حَمامٍ ، يَبيضُ بَيضَتَين ، فنأخُذهُما ، ونَضعُ بَدَلَهُما سِنْجَتينِ[3] نُحاساً ، فتَفقِسُ عن طَسْتٍ ومسينَه ، فتَضاحَكُوا وخَجِلَ الجُهَنيُّ[4] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ قِرْواش بنِ مُقلَّد : وكان أديباً شاعراً ، جَواداً مُمَدَّحاً ، نهَّاباً وَهَّاباً ، فيه جاهليَّة وطَبعُ الأعْرابِ ، يُقالُ إنَّه جَمعَ بين أُختَين ، فلامُوهُ ، فقالَ : حَدِّثوني ما الذي نَعمَلُ بالشَّرعِ حتَّىٰ تَذكُروا هـٰذا ؟ وقالَ مَرَّة ما في عُنُقي غَيرُ دمِ خَمسَةٍ سِتةٍ من العَرَب ، فأمَّا الحاضِرَةُ ، فمَا يَعبأ الله بهم[5] .

وقيلَ : إنَّ أبا الطَّيِّبِ الطَّبَريّ دَفعَ خُفّاً له إلىٰ مَنْ يُصلِحُه ، فمَطَلَه وبَقِيَ كُلَّما جاءَ ، نَقَعَه في الْمَاءِ ، وقالَ : الآنَ أُصْلِحُه ، فلمَّا طَالَ ذلك عَليه قالَ : إنَّما دَفَعتُه إليكَ لِتُصلِّحَه لا لِتُعلِّمَه السِّباحَة[6] .

وقال خَطيبُ الْمَوْصِلِ أبو الْمُفَضَّل : حدَّثني أبي قالَ : تَوجَّهتُ من الْمَوْصِلِ سَنَةَ

---

(١) في « مُصنَّف ابنِ أبي شَيْبَة » (٤/ ٢٧) : حدَّثنا وَكيعٌ عن زَمعَة عن ابنِ طاوُوسَ ، عن أبيه أنه كان يَغسِلُ حصى الجمار .

(٢) انظر السير : (الطَّبَرانيُّ) ١٦/ ١١٩ـ ١٣٠ ، وانظر النزهة : ٣/ ١٢٧٢ .

(٣) ما يُوزَنُ به .

(٤) انظر السير : (صاحِبُ الأغاني) ١٦/ ٢٠١ـ ٢٠٣ ، وانظر النزهة : ٢/ ١٢٨٧ .

(٥) انظر السير : (قِرواش) ١٧/ ٦٣٣ـ ٦٣٤ ، وانظر النزهة : ٢/ ١٣٧٠ .

(٦) انظر السير : (أبو الطَّيِّب الطَّبَريّ) ١٧/ ٦٦٨ـ ٦٧١ ، وانظر النزهة : ٢/ ١٣٧٣ .

تِسْع وخَمْسينَ وأرْبع مئة إلىٰ أبي إسْحاقَ الشِّيرازي فلمَّا حَضرتُ عندَه رَحَّبَ بي ، وقالَ : مِنْ أين أنْتَ ؟ فقُلتُ : من الْمَوْصِلِ قالَ : مَرْحباً أنتَ بَلدِيَّ ، قُلتُ : يا سَيدنا! أنتَ مِنْ فَيْرُوزَاباد قالَ : أمَا جَمعَتنا سَفينَةُ نُوحٍ ؟ فشاهَدتُ من حُسْنِ أخْلاقِه ولَطافَتِه وزُهدِه ما حَبَّبَ إليَّ لُزومَه فصَحبتُه إلىٰ أنْ ماتَ .

تُوفِّيَ سنة ستٍّ وسَبعين وأربع مئة ببغداد ، وأُحضِرَ إلىٰ دارِ أمير المؤمنينَ الْمُقْتَدي بالله فصلَّىٰ عليه[1] .

وقالَ الحافِظُ محمَّدُ بنُ طاهِر : سَمعتُ أبا إسْحاقَ الحَبَّالَ يَقُولُ : كُنَّا يَوماً نَقرأ علىٰ شَيخٍ ، فقَرأنا قَولَه عليه السلام : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ » وكانَ في الجَماعَة رَجُلٌ يَبيعُ القَتَّ ـ وهو عَلفُ الدَّوابِّ ـ فقامَ وبَكَىٰ ، وقالَ : أَتُوبُ إلى الله فقيلَ له : لَيسَ هو ذَاكَ ، لكنَّه النَّمَّامُ الذي يَنقُلُ الحَديثَ من قَومٍ إلىٰ قَومٍ يُؤذيهم قالَ : فسَكَنَ وطابَت نَفسُه[2] .

وقيلَ : دخلَ الغَزاليُّ إليه ، وجلسَ بينَ يَديه ، فقال : من أين أنتَ ؟ قال : من المدرسة ببغداد قال الغَزاليُّ : لو قُلتُ : إنِّي من طوس لذكَر تَغْفيلَ أهلِ طوس ، ومن أنَّهم سألوا المأمونَ ، وتَوسَّلوا إليه بقبرِ أبيه عندهم ، وطلَبوا أن يُحوِّلَ الكعبَةَ إلىٰ بلدِهم ، وأنَّه جاء عن بعضِهم أنَّه سُئلَ عن نَجْمِهِ ، فقال : بالتَّيْسِ ، فقِيلَ له ، فقال : كان من سنتينِ بالجَديِ ، والساعةَ قد كَبِرَ .

وقال ابنُ ناصر : مات سنةَ ثمانٍ وثمانين وأربعِ مئة[3] .

وقالَ أحمَدُ بنُ ثابت الطَّرْقيُّ : سَمعتُ جَماعَةً أنَّ عبدَ الوَهَّابِ الفَامِيَّ أمْلَىٰ عَليهم بَبغْدادَ : « صَلاةٌ في أَثَرِ صَلاةٍ كتَابٌ في عِلِّيِّين » فصَحَّفَها « كنَارٍ فِي غَلَس » فكلَّمُوهُ ، فقالَ : النَّارُ في الغَلَس تَكونُ أضْوَأ .

---

(١) انظر السير : (أبو إسْحاقَ الشِّيرازي) ١٨/ ٤٥٢ـ ٤٦٤ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣١ .

(٢) انظر السير : (الحَبَّال) ١٨/ ٤٩٥ـ٥٠٣ ، وانظر النزهة : ١/١٤٣٦ .

(٣) انظر السير : (أبو يوسُف القَزْوينيّ) ١٨/٦١٦ـ ٦٢٠ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٤٩ .

قالَ الطَّرْقيُّ : وسَأَله صَديقٌ لي : هَلْ سَمعتَ « جَامعَ أبي عِيَسىٰ » ؟ فقالَ : ما الجَامعُ ؟ ومَنْ أبو عيسَى ؟ ثم سَمعتُه بَعدُ يَعُدُّه في مَسْمُوعاتِه[1] .

ولَمَّا أرَادَ أنْ يمُليَ بجامعِ القَصرِ ، قُلتُ له : لَوْ اسْتَعنْتَ بحَافِظٍ ؟ فقالَ : إنَّما يَفعَلُ ذا مَنْ قَلَّتْ معرفَتُه ، وأنا فحِفظي يُغْنيني ، فامْتُحنتُ بالاسْتِملاءِ عَليه ، فرَأيتُه يُسقِطُ من الإسْنادِ رَجُلاً ، ويزيدُ رَجُلاً ، ويَجعَلُ الرجُلَ اثنَين ، فرَأيتُ فَضيحَةً ، فمِنْ ذلكَ : الحَسَنُ بنُ سُفْيانَ ، حدَّثنا يَزيدُ بنُ زريع ، فأمْسَكَ الجَماعَةُ ، ونَظَرَ إليَّ وتكلَّمُوا ، فقُلتُ : قد سَقطَ إمَّا محمَّدُ بنُ مِنْهَال ، أو أُميَّةُ بنُ بسْطَام ، فقالَ : اكْتُبوا كَمَا في أصْلِي وجاءَ : أخبَرنا سَهلُ بنُ بَحر ، أنا سَألتُه ، فصَحَّفَها ، فقالَ : أنا سالِبُه ، وقالَ : سَعيدُ بنُ عَمْروٍ الأشْعَثيُّ ، فقالَ : والأشْعَثيُّ ، جعلَ وَاو « عَمرو » للعَطْف ، فرَدَدتُه ، فأبَىٰ ، فقُلتُ : فمَنْ الأشْعَثيُّ ؟ قال : فُضُولٌ منكَ ، وجاءَ وَرْقاءُ بنُ قَيس بنِ الرَّبيع ، فقُلتُ : هو « عَنْ » بدَلَ « ابنْ » وقالَ في حَديثِ حُمَيْلِ بنِ بَصْرَةَ : لَقيتُ أبا هُرَيْرَة وهُوَ يَجيءُ من الطُّورِ ، فقَالَ : « الطَّوْدِ » وفَسَّرَ مرَّة « الخِشفَ »[2] ، فقالَ : طَائرٌ ، وقالَ في : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾[3] انتَصَبَ على الحَالِ[4] .

وقالَ أبو سَعْد بنُ أبي عمامة : كُنتُ لَيلةً جالِساً في بَيتي ، وقد نامَ النَّاسُ ، فدُقَّ البابُ ، فإذا بفَرَّاشٍ وخادِمٍ مَعَه شَمعَةٌ ، فقالَ : بِسْمِ الله فأُدخِلتُ على الْمُسْتَظهِرِ ، وعَليه أثَرُ غَمٍّ ، فأخَذتُ في الحِكَاياتِ والْمَواعِظ وتَصغيرِ الدُّنيا وهو لا يَتغيَّرُ ، وأخَذتُ في حِكَايات الكِرامِ وغَيرِ ذلكَ ، فقُلتُ : هـٰذا لا يَنامُ ، ولا يَدَعُني أنَامُ ، فُقلتُ : يا أميرَ الْمُؤمنينَ ، لي مَسألَةٌ قالَ : قُلْ قُلتُ : ولا تَكْتُمني ؟ قالَ : لا ، قُلتُ : بالله حَلَّ عَليكَ نقدةٌ للبائع ، أو انْكَسَر زَوْرَقُك ، أو وَقَعوا علىٰ قَافلَةٍ لَكَ ، وضَاقَ وَقتُك ؟ عندي طَبَقُ خِلافٍ أنا أُقرِضُه لَك ، وتبَقَىٰ بارِزياً في الدُّروبِ وما يُخلي اللهُ من رِزْقٍ ،

---

(١) انظر السير : (الفَامِيُّ) ١٩/٢٤٨ـ ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ١/١٤٧٤ .

(٢) الخشف : هو الظبي أوَّلَ ما يُولَد .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٤) انظر السير : (الفَامِيُّ) ١٩/٢٤٨ـ ٢٥٢ ، وانظر النزهة : ٢/١٤٧٤ .

فهٰذا هَمٌّ عَظيمٌ ، وقد مَرسْتَني اللَّيلَةَ ، فضَحِكَ حتَّى اسْتَلقَىٰ ، وقالَ : قُمْ ، فَعلَ اللهُ بِكَ وصَنعَ فقُمتُ ، وتَبِعَني الخادِمُ بدَنانيرَ وتَختِ ثياب[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أبي الحُسَينِ الزَّاهِد : قالَ الضِّياءُ : وبَلَغَني عنه أنَّه كانَ يُلبِسُ سَراويلَه حِمَارَه ، ويَقُولُ : نُواري عَوْرَتَه ، فيَضحَكُ النَّاسُ[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ ابنِ الخَشَّابِ : قيلَ : عَرضَ اثنَانِ عليه شِعراً لَهُما ، فسَمعَ للأوَّلِ ، ثم قالَ : أنتَ أرْدأُ شِعْراً منه ، قالَ : كَيفَ تَقُولُ هٰذا ولَمْ تَسمَعْ قَولَ الآخَرِ ؟ قالَ : لأنَّ هٰذا لا يَكُونُ أرْدَأَ منه[3] .

وقالَ لرَجُلٍ : ما بِكَ ؟ قالَ : فُؤادِي قالَ : لَوْ لَمْ تَهْمِزْهُ لَمْ يُوجِعْكَ .

قالَ حَمزَةُ بنُ القُبَّيطي : كانَ ابنُ الخَشَّابِ يَتعَمَّمُ بالعِمَامَة ، وتَبقَىٰ مُدَّة حتَّىٰ تَسْوَدَّ وتَتقَطَّعَ من الوَسَخِ وعَليها ذَرَقُ العَصافير .

وقالَ ابنُ الأخْضَر : ما تَزَوَّجَ ابنُ الخَشَّاب ولا تَسَرَّىٰ ، وكانَ قَذِراً يَستَقِي بجَرَّةٍ مَكْسُورَة ، عُدناهُ في مَرَضِه ، فوَجَدناهُ بأسْوَء حَالٍ ، فنَقَلَه القاضي أبو القاسِم بنُ الفَرَّاء إلىٰ دَاره ، وألْبَسَه ثَوباً نَظيفاً ، وأحْضَرَ الأشرِبَةَ والْمَاوَردَ ، فأشْهَدَنا بوَقفِ كُتُبه ، فتَفرَّقَتْ ، وباعَ أكثَرَها أوْلادُ العَطَّارِ حتَّىٰ بَقِيَ عُشْرُها ، فتُرِكَ برِباطِ الْمَأمُونيَّة .

قالَ ابنُ النَّجَّارِ : كانَ بَخيلاً مُتَبذِّلاً ، يَلعَبُ بالشَّطرَنجِ على الطَّريقِ ، ويَقفُ على الْمُشَعوذِ ، ويَمزَحُ ، ألَّفَ في الرَّدِّ عَلى الحَريريِّ في « مَقامَاتِه » ، وشَرحَ « اللُّمَعَ » وصَنَّفَ في الرَّدِّ علىٰ أبي زَكريَّا التَّبْريزي .

وقالَ القِفْطيُّ : عِبارَتُه أجْوَدُ من قَلمِه ، وكانَ ضَيِّقَ العَطَن ما كَمَّلَ تَصْنيفاً[4] .

---

(١) انظر السير : (الْمُسْتَظهِرُ بالله) ١٩/ ٣٩٦ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ١/١٤٨٩ .
(٢) انظر السير : (أبو الحُسَينِ الزَّاهِد) ٢٠/ ٣٨٠ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٦/١٥٦٧ .
(٣) انظر السير : (ابنُ الخَشَّاب) ٢٠/ ٥٢٣ـ ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ١/١٥٧٨ .
(٤) انظر السير : (ابنُ الخَشَّاب) ٢٠/ ٥٢٣ـ ٥٢٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٥٧٨ .

الأكَلَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ سُليْمانَ بنِ عبدِ الْمَلِك : كانَ من الأكَلَة ، حتَّىٰ قيلَ : إنَّه أكلَ مرَّةً أرْبَعينَ دَجَاجَةً ، وقيلَ : أكَلَ مَرَّة خَرُوفاً وسِتَّ دَجاجَاتٍ وسَبعينَ رُمَّانَةً ، ثم أُتِيَ بمَكُّوكٍ[1] زَبيبٍ طائِفِيٍّ فأكَله[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ مَيْسَرَة الترَّاس : قالَ الأصْمَعيُّ : قالَ ليَ الرَّشيدُ : كَمْ أكثَر ما أكَلَ مَيْسَرَةُ ؟ قُلتُ : مئة رَغيفٍ ونِصْف مكُّوك مِلْح ، فأمَرَ الرَّشيدُ فطُرِحَ للفِيلِ مئةُ رَغيفٍ ، ففَضَّلَ منها رَغيفاً[3] .

وقيلَ : إنَّ بَعضَ الْمُجَّانِ قالوا له : هَلْ لكَ في كَبشٍ مَشويٍّ ؟ قالَ : ما أكْرَهُ ذلكَ ، ونزَلَ عن حِمارِه فأخَذُوا الحِمَارَ ، وأتوهُ ـ وقد جَاعَ ـ بالشِّواءِ ، فأقبَلَ يَأكُلُ ، ويَقُولُ : أهَـٰذا لَحمُ فيلٍ ؟! بلْ لَحمُ شَيطان ، حتَّىٰ فرغَه ، ثم طَلَبَ حِمارَه ، فتَضاحَكُوا ، وقالُوا : هو والله في جَوْفِك وجَمَعوا له ثَمَنَه[4] .

وقيلَ : نَذَرَت امْرأَةٌ أنْ تُشبِعَه ، فرَفَقَ بها ، وأكلَ ما يَكفِي سَبعينَ رَجُلاً[5] .

* * *

(١) الْمَكُّوكُ : مِكيالٌ يَختلف مقداره باختلاف اصْطلاحِ النَّاس عليه في البِلادِ يُقالُ إنه يَسعُ صاعاً ونصفاً .
(٢) انظر السير : (سُلَيْمانُ بنُ عبد الْمَلك) ٥/ ١١١ـ١١٣ ، وانظر النزهة : ٧/٥٨٥ .
(٣) انظر السير : (مَيْسَرَةُ الترَّاس) ٨/ ١٦٤ـ ١٦٥ ، وانظر النزهة : ٤/٧٤٠ .
(٤) انظر السير : (مَيْسَرَةُ الترَّاس) ٨/ ١٦٤ـ ١٦٥ ، وانظر النزهة : ١/٧٤١ .
(٥) انظر السير : (مَيْسَرَةُ الترَّاس) ٨/ ١٦٤ـ ١٦٥ ، وانظر النزهة : ٢/٧٤١ .

(١٧) قَصَص

١ـ قِصَّةُ النَّجَاشيّ :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : اسْمُه أصْحَمَة مَلكُ الحَبَشَة مَعدُودٌ في الصَّحابَة رَضيَ الله عنهم ، وكانَ ممَّن حَسُنَ إسْلامُه ولم يُهاجِر ، ولا لَه رُؤيَة ، فهو تابعيٌّ من وَجْه ، صاحِبٌ من وَجْه ، وقد تُوفِّيَ في حياة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فصلَّىٰ عليه بالنَّاسِ صَلاةَ الغائب ، ولم يَثبُت أنَّه صلى الله عليه وسلم صلَّىٰ علىٰ غائبٍ سِواه ، وسَبَبُ ذلك أنَّه مَاتَ بَينَ قَومٍ نَصارَىٰ ، ولَمْ يَكنْ عندَه مَنْ يُصلِّي عليه ، لأنَّ الصَّحابَةَ الذين كانوا مُهاجِرينَ عندَه خَرجُوا من عندِه مُهاجِرينَ إلى الْمَدينَة عامَ خَيْبَر[(١)] .

عن أُمِّ سَلمَة زَوج النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قالَت : لَمَّا نَزلتُ أرْضَ الحَبَشَة جاوَرْنا بها خَيرَ جَارٍ النَّجاشِيَّ ، أَمِنَّا علىٰ دِينِنا ، وعَبَدْنا اللهَ تَعالَىٰ لا نُؤذَىٰ ولا نَسمَعُ شَيئاً نَكرَهُه ، فلمَّا بَلغَ ذلكَ قُرَيْشاً ، ائتَمَروا أنْ يَبْعَثوا إلى النَّجاشيِّ فينا رَجُلين جَلدين ، وأنْ يُهْدُوا للنَّجاشيِّ هَدايَا مِمَّا يُستَطرَف من مَتَاع مَكة ، وكانَ من أعْجَب ما يَأتيه منها إليه الأدمُ ، فجَمَعوا له أدماً كَثيراً ، ولَمْ يَترُكوا من بَطارِقَتِه بِطْريقاً إلاَّ أهْدوا إليه هَديَّة ، ثم بَعثوا بذلكَ عبدَ الله بنَ أبي رَبيعَة بنَ الْمُغيرَة الْمَخْزوميّ ، وعَمرَو بنَ العاصِ السَّهميّ ، وأمَرُوهُما أمْرَهم ، وقالوا لهما : ادْفَعوا إلىٰ كُلِّ بِطْريقٍ هَديتَه قَبلَ أنْ تُكلِّمُوا النَّجاشي فيهم ، ثم قدِّموا له هداياه ، ثم سَلُوهُ أنْ يُسلِّمَهم إليكم قبلَ أنْ يُكلِّمَهم قالَت : فخَرَجا ، فقَدِما على النَّجاشيِّ ، ونَحنُ عندَه بخَيرِ دارٍ عندَ خَيرِ جارٍ فلَمْ يَبقَ من بَطارِقَتِه بِطْريقٌ إلاَّ دَفَعا إليه هَديتَه ، وقالا له : إنَّه قد ضَوَىٰ[(٢)] إلىٰ بَلدِ الْمَلِك منَّا غِلْمانٌ سُفَهاءُ ، فارَقوا دينَ قَومِهم ، ولَمْ يَدخُلوا في دِينِكم ، وجَاؤُوا بدينٍ مُبتَدَع لا نَعرِفُه نَحنُ ولا أنتم ، وقد بَعَثَنا إلى الْمَلِك فيهم أشْرافُ قَومِهم لِيَرُدَّهم إليهم ، فإذا كلَّمنا

---

(١) انظر السير : (أخبارُ النَّجاشي) ١/٤٢٨ـ٤٤٣ ، وانظر النزهة : ١/١٨٦ .

(٢) وقال السُّهَيليُّ في « الرَّوْضِ الأنُف » : ضَوَىٰ إليك فِتيَةٌ : أي أووا إليك ولاذوا بك .

الْمَلِكَ فيهم ، فأشِيروا عَليه بأنْ يُسلِّمَهم إلينا ولا يُكلِّمَهم ، فإنَّ قَومَهُم أعلَىٰ بهم عَيناً[١] وأعلَمُ بما عَابُوا عَليهم ، فقالُوا لهم : نَعَم ثم إنَّهما قَرَّبا هَدايا النَّجاشيِّ ، فقبلَها منهم ، ثم كلَّماه ، فقالا له : أيُّها الْمَلِكُ إنَّه ضَوَىٰ إلىٰ بَلدِك منَّا غِلْمانٌ سُفَهاءُ ، فارَقوا دينَ قَومِهم ، ولَمْ يَدخُلوا في دينِك ، وجَاؤُوا بدينٍ مُبتَدَع لا نَعرِفُه نَحنُ ولا أنتَ ، وقد بَعثَنا إليكَ أشْرافُ قَومِهم من آبائهم وأعْمَامِهم وعَشائرِهم لِتَرُدَّهم إليهم ، فهم أعلَىٰ بهم عَيناً ، وأعلَمُ بما عَابُوا عَليهم فيه ، قالَت[٢] : ولَمْ يَكنْ شَيءٌ أبغَضَ إلىٰ عبدِ الله ، وعَمرو منْ أنْ يَسمَعَ النَّجاشيُّ كلامَهم فقالَ بَطارِقَتُه حَولَه : صَدَقوا أيُّها الْمَلِكُ فأسْلِمْهم إلَيْهما فغَضبَ النَّجاشيُّ ، ثم قالَ : لا ها الله[٣] إذاً لا أُسْلِمُهم إلَيهما ، ولا أُكادُ[٤] ، قَومٌ جاوَرُوني ، ونزَلوا بلادي واخْتَارُوني علىٰ مَنْ سِوايَ حتَّىٰ أدْعُوَهم فأسْألَهم ثم أرْسَلَ إلىٰ أصْحابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فدَعاهم ، فلمَّا جاءَهم رَسُولُه اجْتَمَعوا ، ثم قالَ بَعضُهم لبَعضٍ : ما تَقُولُونَ للرَّجُلِ إذا جِئتُمُوه ؟ قالوا : نَقُولُ والله ما عَلِمْنا ، وما أمَرَنا به نَبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، كائناً في ذلكَ ما كانَ فلمَّا جاؤُوهُ ، وقد دَعَا النَّجاشيُّ أساقِفَتَه ، فنَشَروا مَصَاحِفَهم حَولَه ، سَألَهم فقالَ : ما هَـٰذا الدينُ الذي فارَقْتُم فيه قَومَكم ولَمْ تَدخُلوا في دِيني ولا في دِينِ أحَدٍ من هَـٰذه الأُمَم ؟ قالَت : وكانَ الذي يُكلِّمُه جَعْفَرُ بنُ أبي طَالِب ، فقالَ له : أيُّها الْمَلِكُ ، إنَّا كُنَّا قَوماً أهلَ جَاهِليَّة : نَعبُدُ الأصْنَامَ ، ونأكُلُ الْمَيْتَةَ ، ونأتي الفَوَاحِشَ ، ونَقطَعُ الأرْحَامَ ، ونُسيءُ الجِوَارَ ، ويَأكُلُ القَويُّ مِنَّا الضَّعيفَ ، فكُنَّا علىٰ ذلكَ حتَّىٰ بَعثَ اللهُ إلَينا رَسُولاً مِنَّا ، نَعرِفُ نَسَبَه وصِدقَه وأمانَتَه وعَفافَه ، فدَعَانا إلى الله لِنُوَحِّدَه ونَعبُدَه ، ونَخلَعَ ما كُنَّا نَعبُدُ وآباؤنا من دُونِه من الحِجَارَة والأوْثانِ ، وأمَرَنا بصِدقِ الحَديثِ ، وأداءِ

---

(١) قال السُّهَيليُّ : أي أبصَرُ بهم ، أي عينهم وإبصارهم فوق عيون غيرهم في أمرهم .

(٢) أي أُمُّ سَلمَة رَضيَ اللهُ عنها .

(٣) لاها الله : قَسَم ، وأهل العربية يقولون : لاها الله ذا والهاء بدل من واو القسم ، أي : والله لا يكون ذا .

(٤) ولا أُكادُ : بضَم الهمزَة ، فعل مبني للمجهول ، أي ولا يَكيدُني أحد قال في « اللِّسان » : يقولون ـ إذا حُملَ أحدُهم علىٰ ما يَكرَه : لا والله لا كيداً ولا هَمَّاً : يُريدُ : لا أُكادُ ولا أُهَمُّ .

الأمانَة ، وصِلَةِ الرَّحِم ، وحُسنِ الجِوَارِ ، والكَفِّ عن الْمَحارِمِ والدِّماءِ ، ونَهانا عن الفَوَاحِشِ ، وقَولِ الزُّورِ ، وأَكْلِ مَالِ اليَتيمِ ، وقَذفِ الْمُحْصَنَة ، وأمَرَنا أنْ نَعبُدَ اللهَ لا نُشْرِكَ به شَيئاً ، وأمَرَنا بالصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيام ـ قالَت : فعَدَّدَ له أمُورَ الإسْلام ـ فصَدَّقناهُ وآمَنَّا به واتَّبَعْناه ، فعَدا عَلينا قومُنا فعَذَّبونا وفتَنونا عن دِينِنا لِيَرُدُّونا إلىٰ عِبادَةِ الأوْثانِ ، وأنْ نَسْتَحِلَّ ما كُنَّا نَستَحِلُّ من الخَبَائثِ ، فلمَّا قَهَرونا وظَلَمُونا وشَقُّوا عَلينا ، وحَالُوا بَينَنا وبينَ دِينِنا ، خَرَجْنا إلىٰ بَلَدِك ، واخْتَرْناكَ علىٰ مَنْ سِواكَ ، ورَغِبْنا في جِوارِك ، ورَجَوْنا أنْ لا نُظلَمَ عِندَكَ أيُّها الْمَلِك .

قالَت : فقالَ : هَلْ مَعكَ مِمَّا جاءَ به عن الله من شَيء ؟ قالَ : نَعَم ؟ قالَ : فاقْرَأه عليَّ ، فقَرَأ عَليه صَدْراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] فبَكَىٰ واللهِ النَّجاشيُّ حتىٰ أخضَلَ لِحْيَته ، وبَكَتْ أساقِفَتُه حتَّىٰ أخْضَلوا مَصَاحِفَهم حينَ سَمعوا ما تُليَ عَليهم ، ثم قالَ النَّجاشيُّ : إنَّ هَـٰذا والذي جاءَ به مُوسَىٰ لَيَخرُجُ من مِشْكاةٍ واحِدَةٍ انْطَلِقَا ، فوالله لا أُسْلِمُهم إلَيكُم أبَداً ولا أكادُ[2] .

فلمَّا خَرجَا قالَ عَمرٌو : والله لأنَبِئَنَّه غَداً عَيبَهم ثم أسْتأصِلُ خَضراءَهم ، فقالَ عبدُ الله بنُ أبي رَبيعَة ، وكانَ أتْقَى الرَّجُلَينِ فينا : لا تَفعَلْ ، فإنَّ لهم أرْحاماً وإنْ كانوا قد خالَفُونا قالَ : والله لأُخبِرَنَّه أنَّهم يَزعُمون أنَّ عِيسَىٰ عَبدٌ ثم غَدا عَليه ، فقالَ : أيُّها الْمَلِكُ! إنَّهم يَقولُونَ في عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ قَولاً عَظيماً ، فأرْسِلْ إلَيهم فسَلْهم عمَّا يَقولُونَ فيه فأرْسَلَ يَسألُهم .

قالَت : ولَمْ يَنزِلْ بنا مثلُها ، فاجْتَمعَ القَومُ ، ثم قالوا : نَقُولُ والله فيه ما قالَ اللهُ تَعالَىٰ كائناً ما كانَ فلمَّا دَخلوا عَليه قالَ لهم : ما تَقولُونَ في عِيسَى ؟ فقالَ له جَعْفَرٌ : نَقُولُ فيه الذي جاءَ به نَبيُّنا هو عَبدُ اللهِ ورَسُولُه ورُوحُه وكَلمَتُه ألْقَاهَا إلىٰ مَرْيَمَ العَذْراءَ البَتُول فضَربَ النَّجاشيُّ يدَه إلى الأرضِ ، فأخَذَ عُوداً ، ثم قالَ : ما عَدا عِيسَىٰ ما قُلتَ هـٰذا العُودَ فتَناخَرَت بَطارِقَتُه حَولَه ، فقالَ : وإنْ نَخَرْتُم واللهِ ، اذْهَبُوا فأنْتُم

---

(١) أول سورة مريم .

(٢) انظر السير : (أخْبارُ النَّجاشي) ١/٤٢٨ـ٤٤٣ ، وانظر النزهة : ٢/١٨٦ .

سُيومٌ[1] بأرضي مَنْ سَبَّكم غُرِّمَ ، ثم مَنْ سَبَّكم غُرِّمَ ، ما أُحِبُّ أنَّ لي دَبرىٰ[2] ذَهباً وأنِّي آذَيتُ رَجُلاً منكم - والدَبر بلِسَانهم الجَبَل - رُدُّوا عليهِما هَداياهُما ، فواللهِ ما أخَذَ اللهُ منِّي الرِّشْوَةَ حينَ رَدَّ عليَّ مُلكِي ، فآخُذُ الرِّشْوَةَ فيه ، وما أطَاعَ النَّاسَ فيَّ ، فأُطِيعُهم فيه فخَرجَا مَقبُوحَين ، مَردُوداً عَليهِما ما جاءا به ، وأقَمْنا عندَه بخَيرِ دَارٍ مع خَيرِ جَار فوالله إنَّا علىٰ ذلك ، إذ نَزَل به ، يَعني مَنْ يُنازِعُه في مُلكِه ، فوالله ما عَلمْنا حَرْباً قَطُّ كانَ أشَدَّ من حَربِ حَربْناه[3] ، تَخوُّفاً أنْ يَظهَرَ ذلكَ على النَّجاشيِّ ، فيَأتيَ رَجلٌ لا يَعرفُ مِنْ حَقِّنا ما كَانَ النَّجاشيُّ يَعرفُ منه ، وسَارَ النَّجاشيُّ وبَينَهما عَرضُ النِّيلِ ، فقالَ أصْحابُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، مَنْ رَجلٌ يَخرُجُ حتَّىٰ يَحضُرَ وَقعَةَ القَومِ ثم يَأتِيَنا بالخَبَر ؟ فقالَ الزُّبَيْرُ : أنا ، وكانَ من أحْدَثِ القَومِ سِناً ، فنَفَخُوا له قِربَةً ، فجَعَلَها في صَدرِه ، ثم سَبحَ عَليها حتَّىٰ خَرجَ إلىٰ مَكانِ الْمُلتَقىٰ ، وحَضَرَ ، فدَعَوْنا اللهَ للنَّجاشيِّ بالظُّهورِ علىٰ عَدُوِّه والتَّمْكينِ له في بِلادِه واسْتَوسَقَ[4] له أمْرُ الحَبَشَة ، فكُنَّا عندَه في خَيرِ مَنزِل حتَّىٰ قَدِمنا علىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمَكة .

وقولها : (حتىٰ قدمنا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمَكة) عنت نفسها وزوجَها[5] .

ومن مَحاسِن النَّجاشيِّ أنَّ أُمَّ حَبيبَة رَمْلَةَ بنتَ أبي سُفْيانَ بن حَرْب الأُمَويَّة أُمَّ الْمُؤمنينَ أسْلَمَت مع زَوجِها عُبَيد الله بنِ جَحْش الأسَدي قَديماً ، فهاجَرَ بها زَوجُها ، فانْمَلَسَ بها إلىٰ أرضِ الحَبَشَة ، فوَلَدَتْ له حَبيبَة رَبيبَةَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثم إنَّه أدرَكَه الشَّقاءُ فأعْجَبَه دينُ النَّصْرانيَّة فتَنَصَّرَ ، فلَمْ يَنْشَبْ أنْ ماتَ بالحَبَشَة ، فلمَّا وَفَتِ العِدَّة ، بَعثَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يَخطِبُها ، فأجابَت ، فنَهضَ في

---

(١) السيوم : الآمنون .
(٢) قالَ ابنُ الأثير : هو بالقَصر : اسمُ جَبل .
(٣) الحَربُ : الغضَبُ والنِّزاع ، والخُصومة .
(٤) استوسق له أمرُ الحَبَشَة : أي اجتمَعوا علىٰ طاعَته ، فاستقرَّ له الْمُلك فيهم .
(٥) انظر السير : (أخبارُ النَّجاشي) ١/ ٤٢٨-٤٤٣ ، وانظر النزهة : ١/ ١٨٨ .

ذلكَ النَّجاشيُّ ، وشَهِدَ زَواجَها بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وأعْطَاهَا الصَّدَاقَ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، من عندِه أرْبَع مئة دينار ، فحَصلَ لها شَيءٌ لَمْ يَحصُلْ لِغَيْرِها من أُمَّهاتِ الْمُؤمنينَ ، ثم جَهَّزَها النَّجاشيُّ[1] .

وأصْحَمَة بالعَربي : عَطيَّة ولَمَّا تُوفِّيَ ، قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ، للنَّاسِ : « إنَّ أخاً لَكمْ قَدْ مَاتَ بِأرْضِ الْحَبَشَةِ » فخَرجَ بهم إلى الصَّحراءِ وصَفَّهم صُفوفاً ، ثم صلَّىٰ عَليه فنَقلَ بَعضُ العُلماءِ أنَّ ذلكَ كانَ في شَهرِ رَجَبَ سَنةَ تِسعٍ من الهِجرَةِ[2] .

٢ـ قِصَّةُ سَلْمَان :

قصَّةُ سَلْمان الفارسيّ رضي الله عنه :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : قالَ الحافِظُ أبو القاسِمِ بنُ عَسَاكِر : وهو سَلْمانُ ابنُ الإسْلام ، أبو عبدِ الله الفَارسيُّ سابِقُ الفُرسِ إلى الإسْلام ، صَحِبَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وخَدمَه وحدَّثَ عنه .

وكانَ لَبيباً حازِماً من عُقَلاءِ الرِّجالِ وعُبَّادِهم ونُبَلائهم[3] .

عن عُرْوَةَ بن رُويم ، عن القاسِم أبي عبدِ الرحمَـٰن حدَّثه قالَ : زارَنا سَلمانُ الفارسيُّ فصلَّى الإمامُ الظُهرَ ، ثم خَرجَ وخَرجَ النَّاسُ ، يَتلقَّوْنَه كما يُتلَقَّى الخَليفَةُ ، فلَقيناهُ وقد صلَّىٰ بأصْحابِه العَصرَ ، وهو يَمشي فوَقَفْنا نُسلِّمُ عليه ، فلَمْ يَبقَ فينا شَريفٌ إلاَّ عَرضَ عَليه أنْ يَنزِلَ به ، فقالَ : جَعلتُ علىٰ نَفسِي مرَّتي هـٰذه أنْ أنزلَ علىٰ بَشيرِ بنِ سَعْد فلمَّا قَدمَ ، سَألَ عن أبي الدَّرْداء ، فقالوا : هو مُرابطٌ ، فقالَ : أينَ مُرابَطُكم ؟ قالوا : بيرُوت ، فتَوجَّه قِبَلَه ، قالَ : فقالَ سَلمانُ : يا أهلَ بَيرُوتَ : ألا أُحدِّثُكم حَديثاً يُذهِبُ الله به عَنكم عَرضَ الرِّباط سَمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقولُ : « رِباطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطَاً أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ،

---

(١) انظر السير : (أخْبارُ النَّجاشي) ١/ ٤٢٨ـ٤٤٣ ، وانظر النزهة : ١/١٨٩ .

(٢) انظر السير : (أخْبارُ النَّجاشي) ١/ ٤٢٨ـ٤٤٣ ، وانظر النزهة : ١/١٩٠ .

(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٩٨ .

وَجَرَىٰ لَهُ صَالِحُ عَمَلِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[1] .

عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ : حدَّثني سَلْمانُ الفَارِسيُّ قالَ : كُنتُ رَجلاً فارسياً من أهلِ أصْبَهانَ ، من أهلِ قَريَةٍ منها يُقالُ لها : جيّ ، وكانَ أبي دِهْقانَها وكنتُ أحبَّ خَلقِ الله إليه ، فلَمْ يَزلْ بي حبُّه إيَّاي حتَّىٰ حَبسَني في بَيتِه كما تُحبَسُ الجارِيَةُ ، فاجْتَهدتُ في الْمَجوسيَّة حتَّىٰ كنتُ قاطِنَ النَّارِ الذي يُوقِدُها لا يَترُكُها تَخبُو ساعةً وكانت لأبي ضَيْعَةٌ عَظيمَةٌ ، فشُغلَ في بُنيَانٍ له يَوماً ، فقالَ لي : يا بُنَيَّ إنِّي قد شُغلتُ في بُنيَاني هـٰذا اليومَ عن ضَيْعَتي ، فاذْهَب فاطَّلعْها ، وأمَرَني ببَعض ما يُريدُ فخَرجتُ ، ثم قالَ : لا تَحْتَبسْ عليَّ ، فإنَّك إنْ احْتَبستَ عليَّ كُنتَ أهَمَّ إليَّ من ضَيْعَتي ، وشَغلْتَني عن كُلِّ شَيءٍ من أمْري فخَرجتُ أريدُ ضَيعَتَه ، فمَرَرتُ بكَنيسَةٍ من كَنَائسِ النَّصارَىٰ ، فسَمعتُ أصْواتَهم فيها وهم يُصلُّونَ ، وكُنتُ لا أدْري ما أمْرُ النَّاسِ بحَبْسِ أبي إيَّايَ في بَيتِه ، فلمَّا مَرَرْتُ بهم ، وسَمعتُ أصْواتَهم ، دَخلتُ إليهم أنْظُرُ ما يَصْنَعونَ ، فلمَّا رَأيتُهم أعْجَبَني صَلوَاتُهم ، ورَغِبتُ في أمْرِهم ، وقُلتُ : هـٰذا واللهِ خَيرٌ من الدِّينِ الذي نَحنُ عليه ، فواللهِ ما تَركتُهم حتَّىٰ غَربَت الشَّمسُ ، وتَركتُ ضَيْعَةَ أبي ولَمْ آتِهَا ، فقُلتُ لهم : أينَ أصْلُ هـٰذا الدِّينِ ؟ قالوا بالشَّامِ .

قالَ : ثم رَجعتُ إلىٰ أبي وقد بَعثَ في طَلَبي وشَغَلتُه عن عَملِه كُلِّه ، فلمَّا جِئتُه قالَ : أي بُنَيَّ أينَ كُنتَ ؟ ألَمْ أكُنْ عَهدتُ إليكَ ما عَهدتُ ؟ قُلتُ : يا أبَتِ مَرَرتُ بناسٍ يُصَلُّونَ في كَنيسَةٍ لَهم ، فأعْجَبَني ما رَأيتُ من دِينِهم ، فواللهِ ما زِلتُ عندَهم حتَّىٰ غَربَت الشَّمسُ قالَ أي بُنَيَّ لَيسَ في ذلكَ الدِّينِ خَيرٌ ، دينُكَ ودينُ آبائك خَيرٌ منه قُلتُ : كلاَّ واللهِ! إنَّه لَخَيرٌ من دِينِنا قالَ : فخَافَني ، فجَعلَ في رِجْلي قَيداً ، ثم حَبَسَني في بَيتِه ، قالَ : وبَعَثتُ إلى النَّصارَىٰ فقُلتُ : إذا قَدِمَ عَلَيكُم رَكبٌ مِن الشَّام تُجَّارٌ من النَّصارَىٰ ، فأخْبرُوني بهم فقَدِمَ عَليهم رَكبٌ من الشَّام قالَ : ففَعَلوا فألْقَيتُ الحَديدَ من رِجْلي ، ثم خَرجْتُ مَعهم حتَّىٰ قَدِمْتُ الشَّامَ فلمَّا قَدمْتُها ، قُلتُ : مَنْ أفضَلُ أهْلِ هـٰذا الدِّينِ ، قالوا الأُسْقُفُ في الكَنيسَة فجئتُه ، فقُلتُ : إنِّي قد رَغِبتُ في هـٰذا الدِّينِ ،

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٩٨ .

وأحْبَبتُ أنْ أكُونَ مَعكَ أخْدُمُكَ في كَنيسَتِك ، وأتَعلَّمُ منكَ ، وأُصلِّي مَعكَ قالَ : فادْخُلْ ، فدَخَلتُ مَعه ، فكانَ رَجُلَ سُوءٍ يَأمُرُهم بالصَّدَقَةِ ويُرَغِّبُهم فيها ، فإذا جَمَعوا منها شَيئاً ، اكْتَنزَه لنَفسِه ، ولَمْ يُعطِه الْمَساكينَ حتَّىٰ جمعَ سَبعَ قِلالٍ من ذَهَبٍ ووَرِق ، فأبْغَضتُه بُغضاً شَديداً لِمَا رَأيتُه يَصنَعُ ثم ماتَ ، فاجْتَمَعَت إليه النَّصارَىٰ لِيَدفِنُوه ، فقُلتُ لهم : إنَّ هَـٰذا رَجُلَ سُوءٍ ، يَأمُرُكُم بالصَّدَقَةِ ، ويُرَغِّبُكم فيها ، فإذا جئتُم بها ، كَنزَها لنَفسِه ، ولَمْ يُعْطِ الْمَساكينَ ، وأَرَيتُهم مَوْضِعَ كَنزِهِ سَبعَ قِلالٍ مَمْلوءَة ، فلمَّا رَأوْها قالوا : والله لا نَدفِنُه أبَداً .

فصَلَبُوهُ ثم رَمَوْه بالحِجَارَة ثم جاؤوا برَجُلٍ جَعلُوه مَكانَه ، فما رَأيتُ رَجُلاً ـ يَعني لا يُصَلِّي الخَمسَ ـ أرَىَ أنَّه أفْضَلَ منه ، أزْهَدَ في الدُّنيا ، ولا أرْغَبَ في الآخِرَة ، ولا أدْأبَ لَيلاً ونَهاراً ، ما أَعْلَمُني أحْبَبتُ شَيئاً قطُّ قَبلَه حُبَّه ، فلَمْ أزَلْ مَعَه حتَّىٰ حَضَرَتْهُ الوَفاةُ ، فقُلتُ : يا فُلانُ! قد حَضَرَكَ ما تَرَىٰ من أمْرِ الله ، وإنِّي والله ما أحْبَبتُ شَيئاً قطُّ حُبَّك ، فمَاذا تَأمُرُني وإلىٰ مَنْ تُوصِيني ؟

قالَ لي : يا بُنَيَّ والله ما أعْلَمُه إلاَّ رَجُلاً بالْمَوْصِلِ ، فائتِه ، فإنَّكَ سَتجدُه علىٰ مثلِ حالي .

فلمَّا ماتَ وغُيِّبَ ، لَحِقتُ بالْمَوْصِلِ ، فأتَيتُ صاحِبَها ، فوَجدتُه علىٰ مثلِ حالِه من الاجْتِهادِ والزُّهْدِ فقُلتُ له : إنَّ فُلاناً أوْصَاني إليكَ أنْ آتيكَ وأكُونَ مَعَك قالَ فأقِمْ أي بُنَيَّ ، فأقَمتُ عندَه علىٰ مثلِ أمْرِ صاحِبه حتَّىٰ حَضَرَتْهُ الوَفاةُ فقُلتُ له : إنَّ فُلاناً أوْصَىٰ بي إليكَ وقد حَضَرَكَ من أمْرِ اللهِ ما تَرَىٰ ، فإلىٰ مَنْ تُوصِي بي ؟ وما تَأمُرُني به ؟ قالَ : واللهِ ما أعْلَمُ ، أي بُنَيَّ ، إلاَّ رَجُلاً بنَصِيبينَ .

فلمَّا دَفنَّاه ، لَحِقتُ بالآخَرِ ، فأقَمتُ عندَه علىٰ مثلِ حالِهم حتَّىٰ حَضَرَه الْمَوتُ ، فأوْصَىٰ بي إلىٰ رَجُلٍ من أهْلِ عَمُّوريَة بالرُّومِ ، فأتَيتُه فوَجَدتُه مثلَ حالِهم ، واكْتَسَبتُ حتَّىٰ كانَ لي غُنيمَةٌ وبُقَيْرات .

ثم احْتُضِرَ فكلَّمتُه إلىٰ مَنْ يُوصي بي ؟ قالَ : أي بُنَيَّ! والله ما أعْلَمُه بَقِيَ أحَدٌ علىٰ مثلِ ما كُنَّا عليه آمُرُكَ أنْ تَأتيَه ، ولكِنْ قد أظَلَّكَ زَمَانُ نَبيٍّ يُبعَثُ من الحَرَمِ ، مُهَاجَرُه

بَينَ حَرَّتَينِ إلىٰ أرْضٍ سَبخَة ذاتِ نَخْلٍ ، وإنَّ فيه عَلامَاتٌ لا تَخْفَىٰ ، بَينَ كَتفَيْه خَاتَمُ النُّبوَّة ، يَأكُلُ الهَديَّة ولا يَأكُلُ الصَّدَقَة ، فإنِ اسْتَطعْتَ أنْ تَخلُصَ إلىٰ تِلكَ البِلادِ فافْعَلْ ، فإنَّه قد أظلَّكَ زَمانُه .

فلمَّا وَارَيْناهُ ، أقَمتُ حتَّىٰ مَرَّ بي رِجالٌ من تُجَّارِ العَرَبِ من كَلبٍ ، فقُلتُ لهم : تَحْمِلُوني إلىٰ أرْضِ العَرَبِ ، وأُعْطِيكُم غُنَيْمَتي وبَقَراتي هـٰذه ؟ قالوا : نَعَم فأعْطَيتُهم إيَّاها وحَمَلُوني ، حتَّىٰ إذا جاؤُوا بي وَادي القُرَىٰ ، ظَلَمُوني ، فبَاعُوني عَبْداً من رَجُلٍ يَهُوديٍّ بوَادي القُرَىٰ فواللهِ لَقَدْ رَأيتُ النَّخلَ ، وطَمِعتُ أنْ يَكُونَ البَلَدَ الذي نَعتَ لي صاحِبي .

وما حقَّت عندي حتَّىٰ قَدِمَ رَجلٌ من بَني قُرَيْظَة وادي القُرَىٰ ، فابْتَاعَني من صاحِبي ، فخَرَجَ بي حتَّىٰ قَدِمْنا الْمَدينَةَ فواللهِ ما هُو إلاَّ أنْ رَأيتُها ، فعَرفْتُ نَعْتَها .

فأقَمتُ في رِقِّي ، وبَعثَ اللهُ نَبيَّه صلى الله عليه وسلم بمَكةَ لا يُذكَرُ لي شَيءٌ من أمْرِه مع ما أنا فيه من الرقِّ ، حتَّىٰ قَدِمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قُبَاءَ ، وأنا أعمَلُ لِصَاحِبي في نَخلَةٍ له ، فواللهِ إنِّي لفيها إذ جاءَه ابنُ عَمٍّ له ، فقالَ : يا فُلانُ قاتَلَ اللهُ بَني قَيلة ، واللهِ إنَّهم الآنَ لَفِي قُباءَ مُجتَمِعُونَ علىٰ رَجُلٍ جاءَ من مَكةَ يَزعُمُونَ أنَّه نَبيٌّ .

فواللهِ ما هو إلاَّ أنْ سَمعتُها فأخَذَتني العُرَواءُ ـ يَقولُ الرِّعْدَة ـ حتَّىٰ ظَنَنْتُ لأسْقُطَنَّ علىٰ صَاحِبي ونزَلتُ أقُولُ : ما هـٰذا الخَبرُ ؟

فرَفعَ مَوْلايَ يَدَه فلَكمَني لَكمَةً شَديدَةً ، وقالَ : ما لَكَ ولهـٰذا ؟! أقْبِلْ علىٰ عَمَلِك فقُلتُ : لا شَيءَ ، إنَّما سَمعتُ خَبراً ، فأحْبَبتُ أنْ أعْلمَه .

فلمَّا أمْسَيتُ ، وكانَ عندي شَيءٌ من طَعَامٍ ، فحَمَلتُه وذَهَبتُ إلىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بقُبَاءَ ، فقُلتُ له : بَلَغَني أنَّك رَجلٌ صالحٌ ، وأنَّ مَعكَ أصْحاباً لَكَ غُرَباءَ ، وقد كانَ عندي شَيءٌ من الصَّدَقَة فرَأيتُكم أحَقَّ مَنْ بهـٰذه البِلادِ ، فهَاكَ هـٰذا ، فكُلْ مِنهُ .

قالَ : فأمْسَكَ ، وقالَ لأصْحابِه : « كلُوا » فقُلتُ في نَفسِي : هـٰذه خَلَّةٌ مِمَّا وَصَفَ لي صَاحِبي .

ثم رَجَعتُ ، وتَحوَّلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الْمَدينَة ، فجَمَعتُ شَيئاً كانَ عندي ثم جِئتُه به فقلْتُ : إنِّي قد رَأيتُكَ لا تَأكُلُ الصَّدَقَة ، وهـٰذه هَديَّةٌ فأكَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأكَلَ أصْحَابُه ، فقُلتُ هـٰذه خَلَّتان .

ثم جِئتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يَتبَعُ جنازَةً وعليَّ شمْلتان لي وهو في أصْحابِه ، فاسْتَدَرتُ أنْظُرُ إلىٰ ظَهرِه هَلْ أرَى الخَاتَم الذي وُصِفَ فلمَّا رآني اسْتَدبَرْتُه عَرفَ أنِّي أتَثبَّتُ في شَيءٍ وُصِفَ لي ، فألْقَىٰ رِداءَه عن ظَهرِه فنَظَرتُ إلى الخَاتَم فعَرفتُه ، فانْكَبَبْتُ عليه أُقبِّلُه وأبْكي .

فقالَ لي : تَحوَّلْ : فتَحَوَّلتُ ، فقَصَصْتُ عَليه حَديثي كَما حدَّثتُكَ يا ابنَ عَبَّاس ، فأَعْجَبَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَسمَعَ ذلكَ أصْحابُه[١] .

ثم شَغلَ سَلمَانُ الرِّقَّ حتَّىٰ فاتَه مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بَدْر وأُحُد ثم قالَ رَسُولُ الله : « كاتِبْ يَا سَلْمانُ » فكاتَبتُ صاحِبي علىٰ ثَلاثِ مئة نَخْلة أُحْييها له بالفَقير وبأرْبَعينَ أُوقيَة فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصْحابِه : « أَعِينُوا أَخَاكمْ » فأعانُوني بالنْخل ، الرَّجُلُ بثَلاثينَ وَدِيَّة[٢] ، والرَّجُلُ بعِشرينَ ، والرَّجُلُ بخَمسَ عَشرَة ، حتَّى اجتَمعَت ثَلاثُ مئة وَدِيَّة فقال صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإذَا فَرَغْتَ فَائْتِنِي أَكونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ » ففَقَّرتُ لها وأعَانَني أصْحابي ، حتَّىٰ إذا فَرَغتُ منها ، جئتُه وأخْبَرتُه ، فخَرَجَ مَعي إليها نُقَرِّبُ له الوَدِيَّ ، ويَضَعُه بيَدِه ، فوالذي نَفسُ سَلمانَ بيَدِه ما ماتَت منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ فأدَّيتُ النَّخْلَ ، وبَقِيَ عليَّ المالُ ، فأُتِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بمثلِ بَيْضَة دَجاجَة من ذَهَب من بَعضِ الْمَغازِي فقالَ صلى الله عليه وسلم : « مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكاتَبُ ؟ » فدُعيتُ له ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « خُذْهَا فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ » قُلتُ : وأينَ تَقعُ هـٰذه يا رَسُولَ الله ممَّا عليَّ ؟ قالَ : خُذْها فإنَّ اللهَ سَيؤدِّي بها عَنكَ فأخَذتُها فوَزَنتُ لهم منها أرْبَعينَ

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ١٩٨/ ٤ .

(٢) الودية : جمع ودي : صِغار الفسيل .

أُوقِيَة ، وأَوْفَيتُهم حَقَّهم وعَتقتُ ، فشَهدتُ مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الخَنْدَقَ حُرّاً ، ثم لَمْ يَفُتْني معه مَشهَدٌ[1] .

عن عائذِ بنِ عَمرو أنَّ أبا سُفْيانَ مَرَّ علىٰ سَلمانَ وبِلال وصُهَيب في نَفَر فقالوا : ما أخَذَت سُيوفُ الله من عُنُق عَدو الله مأخَذَها فقالَ أبو بَكر : تَقولون هـٰذا لشَيخ قُريش وسَيِّدِها! ثم أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخْبرَه ، فقالَ : « يَا أَبَا بَكرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ » فأتاهُم أبو بَكر فقالَ : يا إخْوَتاهُ أغْضَبتُكم ؟ قالُوا : لا يا أبا بَكر ، يَغفِرُ اللهُ لك[2] .

عن أبي البَخْتَريِّ قالَ : قيلَ لعَليٍّ : أخْبرنا عن أصْحَابِ محمَّد صلى الله عليه وسلم قالَ : عن أيِّهم تَسألُون ؟ قيلَ : عن عبدِ الله بنِ مَسْعود ، قالَ : عَلِمَ القُرآنَ والسُّنَّةَ ، ثم انتُهىٰ وكَفَىٰ به عِلماً قَالُوا : عَمَّار ؟ قالَ : مُؤمنٌ نَسيٌّ فإنْ ذَكَّرتَه ذَكَرَ ، قالوا : أبو ذَر ؟ قالَ : وَعَىٰ عِلماً عَجزَ عنه ، قَالُوا : أبو مُوسَى ؟ قالَ صُبغَ في العِلمِ صِبْغَةً ، ثم خَرجَ منه قالوا : حُذَيْفَة ؟ قالَ : أعْلمُ أصْحابِ مُحمَّد بالْمُنافِقينَ قَالُوا : سَلْمانُ ؟ قالَ : أدْرَكَ العلمَ الأوَّلَ ، والعِلمَ الآخِر ، بَحْرٌ لا يُدرَكُ قَعْرُه ، وهو منَّا أهلَ البيتِ قَالُوا : فأنتَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ : كُنتُ إذا سَألتُ أُعطِيتُ ، وإذا سَكتُّ ابتُديتُ[3] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم تَلا هـٰذه الآيَة ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[4] قالوا : يا رَسولَ الله! مَنْ هَؤلاء ؟ قالَ رضي الله عنه : فضَرَبَ عَلىٰ فَخِذِ سَلْمانَ الفَارِسِيِّ ، ثم قالَ صلى الله عليه وسلم : « هَـٰذا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ الفُرْسِ »[5] .

عن أبي البَخْتَريِّ قالَ : جاءَ الأشْعَثُ بنُ قَيسٍ وجَريرُ بنُ عبدِ الله ، فدَخَلا علىٰ

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٢/ ١ .
(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٢/ ٢ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٣/ ١ .
(٤) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .
(٥) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٣/ ٢ .

سَلمَانَ في خُصٍّ فسَلَّما وحَيَّياه ، ثم قَالا : أنتَ صاحِبُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : لا أدْري فارْتابا قالَ : إنَّما صاحِبُه مَنْ دَخَلَ مَعه الجَنَّةَ قالا : جئنا من عندِ أبي الدَّرْداء ، قالَ : فأينَ هَديَّتُه ؟ قالا : ما مَعنا هَديَّة قالَ : اتَّقيا الله ، وأدِّيا الأمانَة ، ما أتاني أحَدٌ من عندِه إلاَّ بهَديَّة ، قالا : لا تَرفَع عَلينا هَـٰذا ، إنَّ لنا أمْوالاً فاحْتَكِم ، قالَ : ما أُريدُ إلاَّ الهَديَّة ، قالا : والله ما بَعثَ مَعنا بشَيءٍ إلاَّ أنَّه قالَ : إنَّ فيكُم رَجُلاً كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خَلا به لَمْ يَبغِ غَيرَه ، فإذا أتَيْتُمَاهُ ، فأقْرِئاهُ منِّي السَّلامَ قالَ : فأيُّ هَديَّة كُنتُ أُريدُ مِنْكُما غَيرَ هـٰذه ؟ وأيُّ هَديَّة أفْضَلُ منها ؟[1] .

عن طارِقِ بنِ شِهابٍ عن سَلْمانَ قالَ : إذا كانَ اللَّيلُ ، كانَ النَّاسُ منه علىٰ ثَلاثِ مَنازِلَ : فمنهم مَنْ لَه ولا عَليه ، ومنهم مَنْ عَليه ولا لَه ، ومنهم مَنْ لا عَليه ولا لَه! فقُلتُ : وكَيفَ ذَاكَ ؟ قالَ : أمَّا مَنْ لَه ولا عَليه ، فرَجلٌ اغْتَنَمَ غَفلَةَ النَّاسِ وظُلمَةَ اللَّيلِ ، فَتَوضَّأ وصَلَّىٰ ، فذاكَ لَه ولا عَليه ، ورَجُلٌ اغْتَنَمَ غَفلَةَ النَّاسِ وظُلمَةَ اللَّيلِ فمَشَىٰ في مَعاصي الله ، فذَاكَ عَليه ولا لَه ، ورَجُلٌ نامَ حتَّىٰ أصْبَحَ ، فذَاكَ لا لَه ولا عَليه[2] .

قالَ طارِقٌ : فقُلتُ : لأصْحَبنَّ هـٰذا فضُربَ على النَّاسِ بَعثٌ ، فخَرجَ فيهم ، فصَحبتُه وكُنتُ لا أفْضُلهُ في عَمَلٍ ، إنْ أنا عَجنتُ خَبزَ وإنْ خَبزتُ طَبخَ ، فنزَلنَا مَنْزِلاً فبتْنا فيه ، وكانت لِطَارِق سَاعَةٌ من اللَّيلِ يَقُومُها ، فكُنتُ أتَيَقَّظُ لها فأجِدُه نائماً ، فأَقُولُ : صاحِبُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، خَيرٌ منِّي نائمٌ ، فأنامُ ثم أَقُومُ فأجِدُهُ نائماً فأنامُ ، إلاَّ أنَّه كانَ إذا تَعارَّ من اللَّيلِ قالَ وهو مُضطَجعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، والْحَمْدُ للهِ ، ولا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ ، واللهُ أكبَرُ ، لا إلَـٰهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلكُ ولَهُ الْحَمْدُ ، وهو علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ حتَّىٰ إذا كانَ قُبيلَ الصُّبحِ قامَ فتَوضَّأ ثم رَكَعَ أرْبَعَ رَكَعاتٍ فلمَّا صَلَّيْنا الفَجْرَ قُلتُ : يا أبا عبدِ الله! كانَت ليَ سَاعَةٌ من اللَّيلِ أقُومُها وكُنتُ أتيَقَّظُ لها فأجِدُكَ نائماً ، قالَ : يا ابنَ أخي! فإيش كُنتَ تَسْمَعُني أقُولُ ؟ فأخْبَرتُه ،

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٣/٣ .

(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٤/١ .

فقالَ : يا ابنَ أخي تِلكَ الصَّلاةُ ، إنَّ الصَّلوَاتِ الخَمسَ كَفَّاراتٌ لِمَا بَينَهُنَّ ما اجْتُنِبَت الْمَقتَلَة ، يا ابنَ أخي عَليكَ بالقَصْدِ فإنَّه أبْلَغُ[1] .

عن أبي وَائلٍ قالَ : ذَهبتُ أنا وصاحبٍ لي إلىٰ سَلْمانَ ، فقالَ : لَوْلا أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهانا عن التَّكلُّفِ ، لتكلَّفْتُ لكم ، فجاءَنا بخُبزٍ ومِلْحٍ فقُلتُ لصاحِبي : لَوْ كانَ في مِلْحِنا صَعْتَرٌ فبَعَثَ سَلْمانُ بمِطْهَرَتِه ، فرَهَنَها ، فجاء بصَعْتَر ، فلمَّا أكَلْنا قالَ صاحبي : الحَمْدُ لله الذي قَنَّعَنا بما رَزَقَنا ، فقالَ سَلْمانُ : لَوْ قَنَعْتَ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتي مَرْهونَةً[2] .

وعن أَنَس قالَ : دَخلَ سَعدٌ وابنُ مَسْعُود عَلىٰ سَلْمانَ عندَ الْمَوتِ ، فبَكَىٰ فقيلَ له : ما يُبكيكَ ؟ قالَ : عَهدٌ عَهِدَه إلينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لَمْ نَحْفَظْه قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنْ الدُّنْيا كزَادِ الرَّاكبِ » وأمَّا أنتَ يا سَعدُ فاتَّقِ اللهَ في حُكمِكَ إذا حَكمتَ ، وفي قَسْمِكَ إذا قَسَمْتَ ، وعندَ هَمِّكَ إذا هَمَمتَ .

قالَ ثابتٌ : فبَلَغني أنَّه ما تَركَ إلاَّ بضعَةً وعِشرينَ دِرْهَماً نُفَيْقَة كانت عندَه[3] .

عن سَلمانَ ، قالَ : فَترَةُ ما بَينَ عِيسَىٰ ومُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سِتُّ مئة سَنةً[4] .

ماتَ سَلمانُ في خِلافَة عُثْمانَ بالْمَدائنِ .

قالَ العَبَّاسُ بنُ يَزيد البَحْراني : يَقولُ أَهْلُ العِلمِ : عَاشَ سَلمانُ ثَلاثَ مئةٍ وخَمسينَ سَنةً ، فأمَّا مِئتانِ وخَمسُونَ ، فلا يَشُكُّونَ فيه .

ومَجْموعُ أمْره وأحْوَالِه ، وغَزْوه ، وهِمَّته ، وتَصَرُّفه ، وسَفِّه للجَريد ، وأشياء مِمَّا تَقدَّمَ يُنبِىءُ بأنَّه لَيسَ بمُعمَّر ولا هَرِم فقد فارَقَ وَطنَه وهو حَدَثٌ ، ولَعلَّه قَدِمَ الحِجَازَ وله أرْبَعُونَ سَنةً أو أقلُّ ، فلَمْ يَنْشَبْ أنْ سَمعَ بمَبْعَثِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثم

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٤/ ٢ .
(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٤/ ٣ .
(٣) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٥/ ١ .
(٤) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارِسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٥/ ٢ .

هاجَرَ ، فلَعلَّه عاشَ بِضْعاً وسَبعينَ سَنةً وما أَرَاهُ بَلغَ الْمِئَةَ فمَنْ كانَ عندَه عِلمٌ ، فليُفِدْنا .

وقد نَقلَ طُولَ عُمرِه أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزي وغَيرُه وما عَلمتُ في ذلكَ شَيئاً يُركَنُ إليه[1] .

عن ثابتٍ البُنانيِّ قالَ : لَمَّا مَرضَ سَلمانُ ، خَرجَ سَعدٌ من الكُوفةِ يَعُودُه ، فقَدِمَ ، فوَافَقَه وهو في الْمَوتِ يَبْكي ، فسَلَّمَ وجَلسَ ، وقالَ : ما يُبكيكَ يا أخي ؟ ألا تَذكُرُ صُحْبَةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تَذكُرُ الْمَشَاهِدَ الصَّالِحَة ؟

قالَ : والله ما يُبْكيني وَاحِدَةٌ من اثنَتين : ما أبْكي حُبّاً بالدُّنيا ولا كَراهيَةً لِلقاءِ الله قالَ سَعدٌ : فما يُبْكيكَ بعدَ ثَمانينَ ؟ قالَ : يُبْكيني أنَّ خَليلي صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إليَّ عَهْداً قالَ : « لِيَكنْ بَلاغُ أَحَدِكمْ مِنْ الدُّنْيا كزَادِ الرَّاكبِ » وإنَّا قد خَشينا أنَّا قد تَعدَّينا .

رَواهُ بَعضُهم عن ثابت ، فقالَ : عن أبي عُثْمانَ ، وإرْسَالُه أشْبَه قالَه أبو حاتم ، وهـٰذا يُوضِّحُ لكَ أنَّه من أبْناء الثَّمانينَ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : وقد ذَكرتُ في تاريخي الكَبير أنَّه عاشَ مِئتَين وخَمسينَ سَنةً ، وأنا السَّاعَةَ لا أرْتَضي ذلكَ ولا أُصَحِّحُه[2] .

٣ـ قِصَّةُ عبدُ الله بن حُذافَة مع مَلكِ الرُّوم :

عن أبي رافِع ، قالَ : وَجَّه عُمَرُ جَيشاً إلى الرُّوم ، فأسَروا عبدَ الله بنَ حُذافَة ، فذَهبوا به إلىٰ مَلكِهم ، فقالوا : إنَّ هـٰذا من أصْحابِ محمَّد فقالَ : هَلْ لكَ أنْ تتنصَّرَ وأُعطيكَ نِصفَ مُلكي ؟ قالَ : لَوْ أَعْطَيتَني جَميعَ ما تَملِك ، وجَميعَ مُلكِ العَرب ، ما رَجَعتُ عن دينِ محمَّد طَرفَةَ عَين ، قالَ : إذاً أقتُلك قالَ : أنتَ وذَاكَ فأمَرَ به فصُلبَ وقالَ للرُّماة : ارْمُوه قَريباً من بَدَنِه ، وهو يَعرضُ عليه ، ويَأبَىٰ ، فأنزَلَه ودَعا بِقدرٍ ،

---

(١) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٥/ ٣ .

(٢) انظر السير : (سَلْمانُ الفَارسيُّ) ١/ ٥٠٥ـ ٥٥٨ ، وانظر النزهة : ٢٠٥/ ٤ .

فصَبَّ فيها ماءً حتى احترَقَت ، ودَعا بأسيرَينِ من الْمُسلِمينَ ، فأمَرَ بأحَدِهما ، فأُلقِيَ فيها ، وهو يَعرِضُ عليه النَّصْرانيَّة ، وهو يَأبَىٰ ثم بَكَىٰ فقيلَ للمَلِك : إنَّه بَكَىٰ ، فظَنَّ أنَّه قد جَزِعَ ، فقالَ : رُدُّوه ما أبْكاكَ ؟ قالَ : قُلتُ : هي نَفسٌ واحدةٌ تُلقَى السَّاعَة فتَذهَبُ ، فكُنتُ أشْتَهي أنْ يَكونَ بعَدَدِ شَعري أنْفسٌ تُلقَىٰ في النَّارِ في الله .

فقالَ له الطَّاغيَةُ : هل لك أنْ تُقبِّلَ رَأسي وأُخلِّي عَنكَ ؟

فقالَ له عبدُ الله : وعنْ جَميعِ الأُسارَى ؟ قالَ : نَعَم فقَبَّلَ رَأسَه .

وقَدمَ بالأُسَارَىٰ علىٰ عُمَرَ ، فأخْبَرَه خَبرَه فقالَ عُمَرُ : حَقٌّ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ أنْ يُقبِّلَ رَأسَ ابنِ حُذافَة ، وأنا أبدأُ ، فقَبَّلَ رَأسَه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : ولعلَّ هـٰذا الْمَلك قد أسْلَمَ سِراً ، ويَدلُّ علىٰ ذَلك مُبالَغتُه في إكْرامِ ابنِ حُذافَة وكذا القَولُ في هِرَقْل إذ عَرضَ علىٰ قَومِه الدُّخُولَ في الدِّين ، فلمَّا خافَهم قالَ : إنَّما كُنتُ أخْتَبرُ شِدَّتكُم في دينِكم .

فمَنْ أسْلمَ في باطِنِه هَكذا ، فيُرجَىٰ له الخَلاصُ من خُلودِ النَّار ، إذ قد حَصَّل في باطِنِه إيماناً ما ، وإنَّما يُخافُ أنْ يَكُونَ قد خَضَعَ للإسْلامِ وللرَّسُولِ ، واعْتَقدَ أنَّهما حَقٌّ ، مع كَونِ أنَّه علىٰ دينٍ صَحيحٍ ، فتَراه يُعَظِّمُ للدِّينَينِ ، كما قد فَعلَه كَثيرٌ من الْمُسلِمانيَّة الدَّواوين ، فهَـٰذا لا يَنفَعُه الإسْلامُ حتَّىٰ يَتَبرَّأ من الشِّرْك .

ماتَ ابنُ حُذافَة في خِلافَة عُثمانَ رَضيَ اللهُ عَنهم(١) .

٤ـ قِصَّةُ إسْلام أبي ذَرّ :

عن عبدِ الله بنِ الصَّامِت ، قالَ : قالَ أبو ذَرْ : خَرَجنا مع قَومِنا غِفَار ، وكانوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الحَرامَ ، فخَرَجتُ أنا وأخي أُنَيْس وأُمُّنا ، فنزَلنا علىٰ خَالٍ لَنَا ، فأكْرَمَنا وأَحْسَنَ فحَسَدَنا قَومُه ، فقَالُوا : إنَّك إذا خَرَجتَ عن أهْلِك يُخالِفُكَ إليهم أُنَيْسٌ ، فجاءَ خَالُنا ، فذَكرَ لَنا ما قيلَ له : فقُلتُ : أمَّا ما مَضَىٰ من مَعْروفِك ، فقد كَدَّرْتَه ،

---

(١) انظر السير : (عبدُ الله بنُ حُذافَة) ٢/١١ـ١٦ ، وانظر النزهة : ١/٢١١ .

ولا جِمَاعَ لك فيما بَعدُ فقدَّمْنا صِرْمَتَنا[1] فاحْتَمَلنا عَليها ، وجَعلَ خَالُنا يَبْكِي ، فانْطَلقْنا حتَّىٰ نزَلنا بحضرَةِ مَكة ، فنَافَر[2] أُنَيْسٌ عن صِرْمَتِنا وعن مِثلِها ، فأتَيا الكاهِنَ فخَيَّرَ أُنَيْساً ، فأتَانا أُنَيْسٌ بصِرْمَتِنا ومثلِها مَعَها .

قالَ : وقد صَلَّيتُ يا ابنَ أخي قبلَ أنْ ألْقَىٰ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بثَلاثِ سِنينَ قُلتُ : لِمَنْ ؟ قالَ لله قُلتُ : أينَ تَوجَّهُ ؟ قالَ : حَيثُ وجَّهَني اللهُ ، أُصَلِّي عِشاءً حتَّىٰ إذا كانَ من آخِرِ اللَّيلِ أُلْقِيتُ كأنِّي خِفَاءٌ[3] حتَّىٰ تعلُوني الشَّمسُ .

فقالَ أُنَيْس : إنَّ لي حاجَة بمَكة ، فاكْفِني فانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حتَّىٰ أتَىٰ مَكةَ فرَاثَ عليَّ[4] ، ثم جاءَ فقُلتُ : ما صَنعتَ ؟ قالَ لَقيتُ رَجُلاً بمَكة علىٰ دِينِكَ يَزعُمُ أنَّه مُرْسَل قُلتُ : فمَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ قالَ : يَقُولُونَ : شَاعِرٌ ، كَاهِنٌ ، سَاحِرٌ قالَ : وكانَ أُنَيْسٌ أحَدَ الشُّعَراء : فقالَ : لقَد سَمعتُ قَولَ الكَهَنَة ، وما هو بقَولِهم ، ولقد وَضَعتُ قَولَه علىٰ أقْوَالِ الشُّعَراءِ ، فمَا يَلتَئمُ علىٰ لِسَانِ أحَدٍ أنَّه شِعْرٌ ، والله إنَّه لَصَادقٌ ، وإنَّهم لَكَاذِبُونَ! قُلتُ : فاكْفِنِي حتَّىٰ أذْهَبَ فأنْظُر .

فأتَيتُ مَكةَ ، فتَضَعَّفتُ[5] رَجُلاً منهم ، فقُلتُ : مَنْ هـٰذا الذي تَدعُونَه الصَّابىءَ ؟ فأشَارَ إليَّ فقالَ : الصَّابىءُ قالَ : فمَالَ عَليَّ أهلُ الوَادي بكُلِّ مَدَرة ، وعَظْمٍ ، حتَّىٰ خَرَرتُ مَغْشياً عليَّ فارْتَفعتُ حينَ ارْتَفعتُ كأنِّي نُصُبٌ أحْمَر[6] ، فأتَيتُ زَمْزَمَ ، فغَسَلتُ عنِّي الدِّمَاءَ ، وشَربتُ من مائها .

ولقد لَبثتُ ـ يا ابنَ أخي ـ ثَلاثينَ ، بينَ لَيلٍ ويَومٍ ، ما لي طَعامٌ إلاَّ ماءُ زَمْزَم ،

---

(١) في « صحيح مسلم » : فقربنا صِرْمَتنا ، والصِّرْمَة : القطعة من الإبل .

(٢) نافَرَ : حاكَم ، يُقالُ : نافَرتُ الرجلَ منافرَة إذا قاضيته ، والمنافَرة : المحاكمة تكون في تفضيل أحد الشيئين على الآخر .

(٣) الخِفاء : كساءٌ يُطرَح على السِّقاء .

(٤) يُقالُ : راثَ فُلانٌ علينا إذا أبطأ .

(٥) أي نَظرتُ إلىٰ أضعَفِهم .

(٦) النُّصُب : الحجر أو الصنم الذي كانوا ينصبونه في الجاهلية ويذبحون عليه ، فيحمَرُّ من كثرة دم القُربان والذبائح ، أراد أنهم ضربوه حتىٰ أدموه .

فَسَمِنتُ حتَّىٰ تَكسَّرَت عُكَنِي ، وما وَجَدتُ علىٰ كَبدي سَخْفَةَ[1] جُوعٍ .

فبَينا أهلُ مَكة في لَيلَةٍ قَمْراء إضْحِيان[2] ، جاءَت امْرأتانِ تَطُوفانِ ، وتَدعُوانِ إسافاً ونائلة[3] ، فأتَتَا عليَّ في طَوافِهِما فقُلتُ : أنكحا أحدَهما الآخَر فما تَناهَتا عن قولِهما ، فأتَتَا عليَّ فقُلتُ : هَنٌ[4] مثلُ الخَشَبَة ، غيرَ أنِّي لا أَكْني فانْطَلَقَتا تُوَلوِلانِ ، تَقُولانِ : لَوْ كانَ هَا هُنا أحَدٌ من أنْفارِنَا! ، فاسْتَقبَلَهُما رَسُولُ الله ، وأبو بَكر ، وهُما هابِطَتان ، فقالَ : ما لَكُما ؟ قَالَتا : الصَّابِىءُ بينَ الكَعبَة وأَسْتارِهَا قالَ : فما قالَ لَكُما ؟ قَالَتَا : إنَّه قالَ كَلِمَةً تَملأُ الفَم .

قالَ : وجاءَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حتَّى اسْتَلَمَ الحَجَرَ ، ثم طَافَ بالبَيتِ ، هو وصَاحِبُه ، ثم صَلَّىٰ وكُنتُ أَوَّلَ مَنْ حيَّاه بتَحيَّة الإسْلامِ قالَ : عَليكَ ورَحمَة الله! من أين أنتَ ؟ قُلتُ : من غِفَار فأهْوَىٰ بيَدِه ، ووَضَعَ أَصَابعَه علىٰ جَبهَتِه .

فقُلتُ في نَفسِي : كَرِهَ أنِّي انتَمَيتُ إلىٰ غِفَارَ فذَهَبتُ آخُذُ بيَدِه فدَفَعَني صَاحِبُه ، وكانَ أعْلَمَ به منِّي قالَ : ثم رَفَعَ رَأسَه ، فقالَ : مَتىٰ كُنتَ هَا هُنا ؟ قُلتُ : مُنذُ ثَلاثينَ من بَينِ لَيلَةٍ ويَومٍ قالَ : فمَنْ كانَ يُطْعِمُك ؟ قُلتُ : ما كانَ لي طَعامٌ إلاَّ ماءُ زَمْزَم فسَمِنتُ ، وما أجِدُ علىٰ بَطْني سَخفَةَ جُوعٍ قالَ صلى الله عليه وسلم : « إنَّهَا مُبَارَكَةٌ إنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ » .

فقالَ أبو بَكر : يا رَسُولَ الله ، ائذَنْ لي في طَعامِه اللَّيلَةَ ، فانْطَلَقنا ، ففَتَحَ أبو بَكر باباً ، فجَعلَ يَقبِضُ لنَا من زَبيبِ الطَّائفِ فكانَ أَوَّلَ طَعامٍ أكلتُه بها .

وأَتيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ : « إنَّه قَدْ وُجِّهَتْ لي أَرضٌ ذَاتُ نَخْلٍ ، لا أرَاهَا إلاَّ يَثرِبَ ، فَهَلْ أنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ ، لَعَلَّ الله أنْ يَنْفَعَهُم بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِم ؟ » قالَ : فانطَلَقتُ ، فلَقِيتُ أُنَيْساً ، فقالَ : ما صَنعتَ ؟ قُلتُ : صَنَعتُ أنِّي

---

(١) سخفة الجوع : رقته وهزاله .

(٢) يُقالُ : ليلة إضحيان وإضحيانة ، أي : مضيئة ، لا غيم فيها ، فقمرها ظاهر يضيئها .

(٣) إساف ونائلة : صَنمان تزعم العربُ أنهما كانا لرجل وامرأة زَنيا في الكعبة فمُسخا .

(٤) عنىٰ به الذَّكرَ ، وقوله : لا أكْني : أراد أنه أفصح باسمه ولم يُكنِّ عنه .

أَسْلَمتُ وصَدَّقتُ قالَ : ما بي رَغبَةٌ عن دِينِك ، فإنِّي قد أَسْلَمتُ وصَدَّقتُ فأَسْلَمَتْ أُمُّنا ، فاحتَمَلنا حتَّىٰ أَتينَا قَوْمَنا غِفَار ، فأَسْلمَ نِصْفُهم ، وكانَ يَؤُمُّهم إيْمَاءُ بنُ رَحَضَة ، وكانَ سَيِّدَهم وقالَ نِصْفُهم : إذا قَدِمَ رَسُولُ الله الْمَدينَةَ أَسْلَمْنا فقَدِمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الْمَدينَةَ ، فأَسْلمَ نِصْفُهم الباقي .

وجاءَتْ أَسْلَمُ فقَالُوا : يا رَسُولَ الله ، إخْوَانُنا ، نُسْلِمُ عَلى الذي أَسْلَمُوا عَليه فأَسْلَمُوا فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « غِفَارُ غفَرَ اللهُ لَهَا! وَأَسْلَمُ سَالَمَها اللهُ »[1] .

٥ـ قِصَّةُ كعْب بن مَالك :

عن عبدِ الرحمَـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ كَعْبٍ ، عن أبيه : سَمعتُ كعْباً يقولُ : لَمْ أَتخلَّفْ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوةٍ ، حتىٰ كانت تَبُوك إلاَّ بَدْراً ، وما أُحِبُّ أنِّي شَهِدتُها ، وفاتَتْنِي بَيْعَتي ليلةَ العَقَبَة[2] وقَلَّما أرَادَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم غَزْوةً إلاَّ وَرَّىٰ عنها بغيرها ، فأَرَادَ في غَزْوَةِ تبُوك أنْ يَتَأهَبَ النَّاسُ أُهبةً وكنتُ أَيْسَرَ ما كنتُ ، وأنا في ذلك أَصْغُو[3] إلى الظِّلالِ وطَيِّبِ الثِّمَارِ ، فلَمْ أَزَلْ كذلك حتىٰ خَرَجَ فقلتُ : أَنْطَلِقُ غداً ، فأَشْتَري جَهَازِي ، ثم أَلْحَقُ بهِم فانْطَلَقْتُ إلى السُّوقِ ، فعَسُرَ عليَّ ، فرَجَعتُ ، فقُلتُ : أرْجِعُ غداً فلَمْ أَزَلْ حتى الْتَبسَ بي الذنْبُ ، وتَخلَّيْتُ ، فجعَلتُ أمشِي في أَسْواقِ المدِينَةِ ، فيُحْزِنُني أنِّي لا أَرَىٰ إلاَّ مَغْمُوصاً[4] عليه في النِّفاقِ ، أو ضَعِيفاً وكان جَميعُ مَنْ تَخَلَّفَ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بِضْعَةً وثَمانِينَ رَجُلاً[5] .

---

(١) انظر السير : (أبو ذَر الغِفاريُّ) ٢/٤٦ـ٧٨ ، وانظر النزهة : ٢١٧/ ٥ـ٢١٩ .

(٢) في البخاري ومسلم : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

(٣) أصغو : أميل .

(٤) أي مطعوناً عليه في دينه ، متهماً بالنفاق ، وقيل : معناه مستحقراً ، فتقول غمصتُ فلاناً إذا استحقرته .

(٥) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣٠٠/٣ .

ولمَّا بَلَغَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم تَبُوكَ ذَكَرَنِي ، وقال : « ما فَعَلَ كعْبٌ ؟ » فقال رجُلٌ من قَوْمِي : خَلَّفَهُ يا نَبيَّ اللهِ بُرداه ، والنَّظَرُ في عِطْفَيْه ، فقال مُعاذٌ : بِئْسَ ما قُلتَ : واللهِ ما نَعْلَمُ إلاَّ خَيْراً .

إلىٰ أنْ قال : فلَمَّا رَآنِي صلى الله عليه وسلم تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَب وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ تَكن ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » قُلتُ : بلَىٰ قال : « فمَا خَلَّفَكَ ؟ » قُلتُ : واللهِ لَوْ بَينَ يَدَي أَحَدٍ غيرِكَ جَلَسْتُ لخَرَجْتُ من سُخْطِهِ عليَّ بعذُ ، لقد أُوتيتُ جَدَلاً ، ولكنْ قد عَلِمتُ يا نَبيَّ الله أنِّي أُخْبِرُكَ اليومَ بقَولٍ تَجِدُ عليَّ فيه وهُوَ حَقٌّ فإنِّي أَرْجُو فيه عُقْبَى الله .

إلىٰ أنْ قالَ : والله ما كُنتُ قَطُّ أَيْسَرَ ولا أَخَفَّ حاذاً[1] منِّي حين تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فقَالَ صلى الله عليه وسلم : « أمَّا هـٰذا فَقَدْ صَدَقَكم ، قُمْ حتىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » فقُمتُ .

إلىٰ أن قال : ونَهىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ عن كلامنا أَيُّها الثلاثةُ[2] .

فجعلتُ أخرجُ إلى السوق ، فلا يُكلِّمني أحدٌ ، وتَنَكَّرَ لنا الناسُ ، حتىٰ ما هُم بالذين نعرفُ ، وتَنكَّرَت لنا الحيطانُ والأرضُ ، وكنتُ أطوفُ وآتي المسْجدَ ، فأدخلُ وآتي النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسَلِّمُ عليه ، فأقولُ هل حَرَّكَ شَفَتَيه بالسلامِ ! ؟[3] .

واسْتَكانَ صاحِبايَ[4] ، فجَعَلا يَبكيانِ اللَّيلَ والنَّهَارَ لا يُطْلِعانِ رُؤوسَهما ! فبَيْنا أنا أَطُوفُ بالسُّوقِ إذا بنَصْرانيٍّ جاءَ بطَعامٍ ، يَقولُ : مَنْ يَدلُّ علىٰ كعْب ؟ فدَلُّوهُ عَلَيَّ ! ، فأتَاني بصَحيفَةٍ من مَلِكِ غسَّانَ ، فإذا فيها : أمَّا بَعدُ فإنَّه بَلَغَني أنَّ صاحِبَك قد جَفَاكَ ، وأقْصَاكَ ، ولَسْتَ بدَارِ مَضْيَعَة ولا هَوَانٍ ، فالْحَقْ بنا نُواسِكْ فسَجَّرتُ لها التَّنُّورَ وأحْرَقتُها .

---

(١) الحاذ : الحال .

(٢) أَيُّها الثلاثةُ : مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص ، أي : مختصين بذلك دون بقية الناس .

(٣) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ٣٠٠/ ٤ .

(٤) وهما : مِرارَةُ بنُ الرَّبيع العمريّ ، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقفيّ .

إلىٰ أنْ قالَ : إذ سَمعتُ نداءً من ذِرْوَة سَلْع[1] : أبْشِرْ يا كعْبُ بنُ مالِك فخَرَرْتُ ساجِداً ، ثم جاءَ رَجلٌ علىٰ فَرَس يُبَشِّرُني ، فكانَ الصَّوتُ أسْرَعَ من فَرسِه ، فأعْطَيتُه ثَوْبَيَّ بِشارَةً ، ولَبِستُ غيرَهُما .

ونَزَلَتْ تَوبَتُنا على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ثُلثَ اللَّيلِ ، فقالَت أمُّ سَلَمَة : يا نَبيَّ الله ، ألا نُبَشِّرُ كعْباً ؟ قالَ : « إذاً يَحْطِمُكمُ النَّاسُ وَيَمْنَعُونَكمُ النَّوْمَ » قالَ : فانْطَلقتُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو جالِسٌ في المسجِدِ ، وحولَه المسلمونَ ، وهو يَسْتَنيرُ كاسْتِنارَةِ القَمَرِ ، فقالَ : « أبْشِرْ يا كعْبُ بِخَيْرِ يَوْمٍ أتىٰ عَلَيْكَ » ، ثُمَّ تَلا عَلَيْهِمْ : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية[2] .

وفينا نَزَلت أيْضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[3] .

فقُلتُ : يا نَبيَّ الله إنَّ مِنْ تَوْبَتي ألاَّ أُحَدِّثَ إلاَّ صِدْقاً ، وأنْ أنْخَلِعَ من مَالي كُلِّه صَدقَةً ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » الحديث[4] .

وفي لَفظٍ ، فقَامَ إليَّ طَلحَةُ يُهَرْوِلُ ، حتَّىٰ صافَحَني وهَنَّأني . فكانَ لا يَنْسَاها لِطَلْحَة[5] .

٦ـ قِصَّةُ إسْلام عَمرو بن العَاص :

عن رَاشِد مَوْلَىٰ حَبيب ، عن حَبيبِ بنِ أَوْس ، قالَ : حدَّثني عَمرُو بنُ العاص قالَ : لَمَّا انْصَرَفْنا من الخَندَقِ ، جَمعتُ رِجالاً من قُرَيش ، فقُلتُ : والله إنَّ أمْرَ مُحمَّدٍ يَعلُو عُلواً مُنْكَراً ، والله ما يَقومُ له شَيءٌ ، وقد رَأيتُ رَأياً ، قَالُوا : وما هو ؟ قُلتُ : أنْ نَلحَقَ بالنَّجَاشِيِّ علىٰ حامِيَتِنا ، فإنْ ظَفرَ قَومُنا ، فنَحنُ مَنْ قد عَرَفوا ، نَرجِعُ إلَيهِم ،

---

(١) سلع : جبل بالمدينة .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٧ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١٩ .
(٤) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠١ .
(٥) انظر السير : (كعب بن مالك) ٢/ ٥٢٣ـ ٥٣٠ ، وانظر النزهة : ١/٣٠٢ .

وإنْ يَظهرْ مُحمَّدٌ ، فنكُونُ تحتَ يَدَي النَّجَاشِيِّ أَحَبَّ إلَينا من أنْ نكُونَ تحتَ يَدَي مُحمَّدٍ قالوا : أصَبتَ قُلتُ : فابْتَاعُوا له هَدايا ، وكانَ من أعْجَب ما يُهدَىٰ إليه من أرضِنا الأدَمُ ، فجَمَعَنا له أدَماً كَثيراً ، وقدِمنا عَليه ، فوافَقْنا عندَه عَمرَو بنَ أُمَيَّة الضَّمْريّ قد بَعثَه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في أمْرِ جَعْفَرٍ وأصْحابِه ، فلمَّا رَأيتُه قُلتُ لَعلِّي أقْتُله وأدخَلتُ الهَدايا ، فقالَ : مَرْحباً وأهْلاً بصَديقي وعَجِبَ بالهَديَّة ، فقُلتُ : أيُّها الْمَلكُ! إنِّي رَأيتُ رَسُولَ مُحمَّد عندَك وهو رَجلٌ قد وَترَنا ، وقَتلَ أشْرافَنا ، فأعْطِنيهِ أضْربُ عُنُقَه ، فغَضِبَ وضَربَ أنفَه ضَربةً ظَنَنتُ أنَّه قد كَسرَه ، فلَوْ أنْشقَّت لي الأرضُ دَخلتُ فيها وقُلتُ : لَوْ ظَنَنتُ أنَّك تكرَهُ هـٰذا لَمْ أسْألْكه فقالَ : سَألتَني أنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأتيهِ النَّامُوسُ[1] الذي كان يَأتي مُوسَى الأكبر تَقتُلُه ؟! فقُلتُ : وإنَّ ذَاكَ لكَذلك ؟ قالَ نَعَم والله إنِّي لكَ ناصحٌ فاتَّبِعْه ، فوالله لَيَظْهَرنَّ كَمَا ظَهرَ مُوسَىٰ وجُنودُه ، قُلتُ : أيُّها الْمَلكُ ، فبايِعْنِي أنتَ لَه على الإسْلامِ ، فقالَ : نَعَم فبَسَطَ يدَه ، فبايَعتُه لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، على الإسْلام ، وخَرَجتُ علىٰ أصْحابي وقد حالَ رأيي ، فقالوا : ما وَراءَك ؟ فقُلتُ : خَيراً ، فلَمَّا أمْسَيتُ ، جَلَستُ علىٰ رَاحِلَتي ، وانْطَلقتُ ، وتَركتُهم ، فوالله إنِّي لأهْوي إذ لَقِيتُ خالدَ بنَ الوَليد ، فقُلتُ : إلىٰ أينَ يا أبا سُليْمان ؟ قالَ : أذْهَبُ والله أُسْلِمُ ، إنَّه والله قد اسْتَقامَ الْمَيْسَمُ ، إنَّ الرَّجُلَ لَنبيٌّ ما أشُكُّ فيه فقُلتُ : وأنا والله ، فقَدِمْنا الْمَدينَةَ ، فقُلتُ : يا رَسُولَ الله ، أُبايعُكَ علىٰ أنْ يُغفَرَ لي ما تَقدَّم من ذَنبي ، ولَمْ أذْكُرْ ما تَأخَّرَ فقالَ لي : « يَا عَمْرُو بَايِعْ فَإنَّ الإسْلامَ يَجُبُّ مَا كانَ قَبْلَه »[2] ، [3] .

---

(١) النامُوسُ : جبريلُ عليه السلام ، وكذا يُسمِّيه أهلُ الكتاب ، وفي حديث ورَقَة بن نَوْفَل لخَديجَة رَضيَ اللهُ عنها ، إنْ كان ما تَقولين حَقاً ، فإنَّه لَيَأتيه النامُوسُ الذي كان يَأتي مُوسَىٰ عليه السلام .

(٢) رجاله ثقاتٌ خَلا راشد مَولَىٰ حَبيب ، فلَم يوثقه غيرُ ابن حبَّان وأخرَجَه من طَريق ابنِ إسحاق بنَحوه ابنُ هشام في السيرة (٢/ ٢٧٦ ، ٢٧٧) ، وأحمد في « الْمُسنَد » (٤/ ١٩٨ ، ١٩٩) ، وهو في تاريخ ابن عَساكر ، ومَغازي الواقدي .

(٣) انظر السير : (عَمرُو بنُ العاص) ٣/ ٥٤ـ ٧٧ ، وانظر النزهة : ٣٣٣/ ٧ .

٧ـ قِصَّةُ إسْلام أَحَد الرُّوم :

عن ابنِ جابرٍ ، حدَّثنا القاسِمُ أبو عبد الرحمَـٰن ، قالَ : غَزَونا مع فَضَالَةَ بنِ عُبَيْد ، ولَمْ يَغزُ فَضَالَةُ في البَرِّ غَيرَها ـ فبَينَما نَحنُ نُسرِعُ في السَّيرِ ، وهو أميرُ الجَيشِ ، وكانَت الوُلاةُ إذ ذَاكَ يَسمَعُونَ مِمَّن اسْتَرعاهُم اللهُ عَليه ، فقالَ قائلٌ : أيُّها الأميرُ! إنَّ النَّاسَ قد تَقطَّعوا ، قِفْ حتَّىٰ يَلحَقُوا بك فوَقَفَ في مَرجٍ عَليهِ قَلعَةٌ ، فإذا نَحنُ برَجُلٍ أحْمَر ذي شَوارب فأتَينا به فَضَالَةَ ، فقُلنا : إنَّه هَبَطَ من الحِصْنِ بِلا عَهدٍ ، فسَألَه ، فقالَ : إنِّي البَارِحَةَ أكَلتُ الخِنْزيرَ ، وشَرِبتُ الخمرَ ، فأتَاني في النَّومِ رَجُلانِ ، فغَسَلا بَطْني وجَاءَتني امْرأتَانِ ، فقَالَتَا : أسْلِمْ ، فأنا مُسلِمٌ ، فمَا كانَت كلمَتُه أسْرَعَ من أنْ رُمِينا بالزِّبَارِ[1] فأصَابَه ، فدَقَّ عُنقَه ، فقالَ فَضَالَةُ : اللهُ أكبَر عَمِلَ قَليلاً ، وأُجِرَ كَثيراً فصَلَّينا عَليه ، ثم دَفنَّاه[2] .

٨ـ قِصَّةُ إسْلام عَديٍّ بنِ حَاتِم :

عن ابنِ سِيرينَ ، عن أبي عُبَيْدَة بنِ حُذَيْفَة ، قالَ : كُنتُ أسْأَلُ النَّاسَ عن حَديثِ عَديِّ بنِ حاتم وهو إلىٰ جَنبي لا آتيه ، ثم أتَيتُه فسَألتهُ فقالَ : بُعثَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فكَرِهْتُه ، ثم كُنتُ بأرْضِ الرُّوم ، فقُلتُ : لَوْ أتَيتُ هـٰذا الرَّجُلَ ، فإنْ كانَ صَادِقاً تَبِعْتُه ، فلمَّا قَدمْتُ الْمَدينَةَ ، اسْتَشْرَفَني النَّاسُ فقالَ لي صلى الله عليه وسلم : « يا عَديُّ! أسْلِمْ تَسْلَمْ » ، قُلتُ : إنَّ لي دِيناً ، قالَ صلى الله عليه وسلم : « أنَا أعْلَمُ بدِينِكَ مِنْكَ ، ألَسْتَ تَرْأَسُ قَوْمَكَ ؟ » قُلتُ : بَلَىٰ قال : « ألَسْتَ رَكوسِيّاً[3] تأكُلُ الْمِرْبَاعَ[4] » قُلتُ : بلىٰ قالَ : « فَإنَّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ » ، فتَضَعْضَعْتُ لذلك ثم قالَ : « يا عَدِيُّ! أسْلِمْ تَسْلَم فَأظُنُّ مِمَّا يَمْنَعُكَ أنْ تُسْلِمْ خَصَاصَةَ تَرَاهَا بِمَنْ حَوْلِي ،

---

(١) الزِّبار : كأنها الحجارة ، من قولهم : زبر الرجل إذا رَماه بالحجارة ، والزبر : الحجارة .

(٢) انظر السير : (فَضَالَةُ بنُ عُبَيْد) ٣/ ١١٣ـ ١١٧ ، وانظر النزهة : ٣/٣٤٦ .

(٣) قال في النهاية : الرَّكوسية : هو دينٌ بين النصارىٰ والصابئين .

(٤) كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً ، وغنموا ، أخذ الرئيسُ رُبع الغنيمة خالصاً دون أصحابه ، ويسمَّىٰ ذلك المرباع .

وَأَنَّكَ تَرَى النَّاسَ عَلَيْنَا إِلْباً وَاحِداً هَلْ أَتَيْتَ الْحِيرَةَ ؟ » قُلتُ : لمْ آتِها ، وقد عَلمتُ مَكانَها قال : « تُوشِكُ الظَّعِينَةُ أَنْ تَرْتَحِلَ مِنْ الْحِيرَة بِغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّىٰ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَلَتُفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كنوزُ كِسْرَىٰ » قُلتُ : كِسْرَىٰ بنُ هُرْمُز! قالَ : « كِسْرَىٰ بنُ هُرْمُز ، وَلَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّىٰ يُهِمَّ الرَّجُلُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ مَالَهُ صَدَقَةً » .

قالَ عَدِيٌّ : فلقد رَأيتُ اثنتَين ، وأحلِفُ بالله لَتجيئنَّ الثالثةُ ، يَعني : فَيضَ الْمَال[١] .

٩ـ قِصَّةُ جُنْدُب رضي الله عنه مع السَّاحِر :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَتِه : قَدِمَ دِمَشْقَ ، ويُقالُ له : جُندُب الخَير ، وهو الذي قَتلَ الْمُشَعْوِذَ .

عن أبي عُثْمانَ النَّهْدي : أنَّ ساحِراً كانَ يَلعَبُ عندَ الوَليدِ بن عُقْبَة الأمير ، فكانَ يَأخُذُ سَيفَه ، فيَذبَحُ نَفسَه ولا يَضُرُّه ، فقامَ جُنْدُبُ إلى السَّيفِ فأخَذَه ، فضَرَبَ عُنقَه ، ثم قرأ : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[٢] ،[٣] .

وعن أبي الأسْوَد أنَّ الوَليدَ كانَ بالعِراقِ ، فلَعِبَ بَينَ يَدَيه سَاحِرٌ ، فكَانَ يَضرِبُ رَأسَ الرجُل ، ثم يَصيحُ به ، فيَقُومُ خارِجاً ، فيَرتَدُّ إليه رَأسُه ، فقالَ النَّاسُ : سُبْحانَ الله سُبْحانَ الله ، ورآهُ رَجلٌ من صالِحي الْمُهاجِرينَ ، فلمَّا كانَ من الغَد اشْتَملَ علىٰ سَيفِه ، فذَهبَ لِيَلعَبَ ، فاخْتَرطَ الرجُلُ سَيفَه ، فضَربَ عُنقَه ، وقالَ : إنْ كانَ صَادِقاً ، فليُحْيِ نَفسَه ، فسَجَنَه الوَليدُ ، فهَرَّبَه السَّجَّانُ لِصَلاحِه[٤] .

١٠ـ قِصَّةُ إسْلام أبي رَجَاء العطارديّ :

عن يُوسُفَ بنِ عَطيَّة ، ن أبيه : دَخلتُ علىٰ أبي رَجَاء فقالَ : بُعثَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وكانَ لنَا صَنمٌ مُدَوَّر ، فحَملنَاهُ علىٰ قَتَب ، وتَحوَّلنا ففَقَدنا الحَجَر انسَلَّ

---

(١) انظر السير : (عَديُّ بنُ حاتِم) ٣/ ١٦٢ـ ١٦٥ ، وانظر النزهة : ٥/٣٥٧ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣ .
(٣) انظر السير : (جُنْدُب الأزدي) ٣/ ١٧٥ـ ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٥/٣٦١ .
(٤) انظر السير : (جُنْدُب الأزدي) ٣/ ١٧٥ـ ١٧٧ ، وانظر النزهة : ٢/٣٦٢ .

فوَقعَ في رَملٍ ، فرَجَعْنا في طَلبه فإذا هو في رَملٍ قد غَابَ فيه ، فاسْتَخرَجتُه فكانَ ذلك أوَّلَ إسْلامي ، فقُلتُ : إنَّ إلَـٰهاً لَمْ يَمْتَنعْ من تُرابٍ يَغيبُ فيه لإلَهُ سُوء وإنَّ العَنْزَ لَتمنعُ حَيَاها بذَنَبِها .

فكانَ أوَّلَ إسْلامي ، فرَجَعتُ إلى الْمَدينَةِ وقد تُوفِّيَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم[1] .

١١ـ قِصَّةُ محمَّد بن المُنْكدِر مع أحد الصَّالحين :

وقالَ ابنُ الْمُنْكَدِر : إنِّي لَلَيلَةٌ مُواجهٌ هـٰذا الْمِنبَرَ في جَوفِ اللَّيلِ أدْعُو ، إذا إنْسَانٌ عندَ أسْطُوانَة مُقَنِّعٌ رَأسَه ، فأسْمَعُه يَقولُ : أي رَبِّ إنَّ القَحْطَ قد اشْتدَّ علىٰ عِبادِك ، وإنِّي مُقسِمٌ عَليكَ يارَبِّ إلاَّ سَقَيْتَهم ، قالَ : فما كانَ إلاَّ ساعَةً إذا سَحابَةٌ قد أقْبَلت ، ثم أرْسَلَها اللهُ ، وكانَ عَزيزاً على ابنِ الْمُنْكَدِرِ أنْ يَخْفَىٰ عليه أحَدٌ من أهِلِ الخَيرِ ، فقالَ : هـٰذا بالْمَدينَةِ ولا أعْرِفُه!! فلمَّا سَلَّمَ الإمامُ ، تَقنَّعَ وانْصَرَف ، وأتْبَعَه ، ولَمْ يَجلِسْ للقَاص حتَّىٰ أتَىٰ دَارَ أنَسٍ ، فدَخلَ مَوْضِعاً ، ففَتَحَ ودَخلَ قالَ : ورَجَعتُ ، فلمَّا سَبَّحتُ أتَيتُه فقلتُ : أدْخُلُ ؟ قالَ : ادْخُل فإذا هو يَنجرُ أقْداحاً ، فقُلتُ : كَيفَ أصْبَحتَ ؟ أصْلَحَكَ اللهُ ، قالَ : فاستَشْهرَهَا وأعْظَمَهَا مِنِّي ، فلمَّا رَأيتُ ذلكَ ، قُلتُ : إنِّي سَمعتُ إقْسَامَكَ البَارحَة على الله ، يا أخي هَلْ لكَ في نَفَقَةٍ تُغنيكَ عن هـٰذا ، وتُفرِّغُكَ لِمَا تُريدُ من الآخِرَة ، قالَ : لا ، ولَكِنْ غيرُ ذلكَ ، لا تَذْكُرْني لأحَدٍ ، ولا تَذْكُرْ هـٰذا لأحَدٍ حتَّىٰ أمُوتَ ، ولا تَأتِني يا ابنَ الْمُنْكَدِر ، فإنَّك إنْ تَأتِني شَهَرْتَنِي للنَّاسِ ، فقُلتُ : إنِّي أُحِبُّ أنْ ألْقَاكَ ، قالَ : الْقَنِي في الْمَسجِدِ ، قالَ : وكانَ فارِسياً ، فمَا ذَكرَ ذلكَ ابنُ الْمُنْكَدِر لأحَدٍ حتَّىٰ ماتَ الرَّجُلُ قالَ ابنُ وَهْبٍ : بَلغَني أنَّه انتَقلَ من تِلكَ الدَّارِ ، فلَمْ يُرَ ، ولَمْ يُدْرَ أينَ ذَهَبَ فقالَ أهْلُ تِلكَ الدَّار : اللهُ بَينَنا وبينَ ابنِ الْمُنْكَدِر ، أخْرَجَ عنَّا الرجُلَ الصَّالح[2] .

---

(١) انظر السير : (أبو رَجاء العَطارديّ) ٤/٢٥٣ـ ٢٥٧ ، وانظر النزهة : ١/٤٩٢ .
(٢) انظر السير : (محمَّدُ بنُ الْمُنْكدِر) ٥/٣٥٣ـ ٣٦١ ، وانظر النزهة : ٤/٦٠٨ .

١٢ـ قِصَّةُ تَوْبَةِ إبْراهيم بن أدْهَم :

قالَ السَّرَّاجُ : سَمعتُ إبْراهيمَ بنَ بَشَار يَقُولُ : قُلتُ لإبْراهيمَ بنِ أدْهَمَ : كَيفَ كانَ بَدءُ أمْرِك ؟ قالَ : غيرُ ذا أوْلَىٰ بك قالَ : قُلتُ : أخْبرْني لَعلَّ اللهَ أنَ يَنْفعَنا به يَوماً قالَ : كانَ أبي من الْمُلوكِ الْمَياسير ، وحُبِّبَ إلينا الصَّيدُ فرَكبتُ ، فثارَ أرْنَبٌ أو ثَعلَبٌ فحَرَّكتُ فَرَسي ، فسَمعتُ نِداءً من وَرَائي : لَيسَ لِذَا خُلِقْتَ ، ولا بِذَا أُمِرْتَ فوَقَفتُ أنْظُرُ يَمْنَةً ويَسْرَةً ، فلَمْ أرَ أحداً ، فقُلتُ : لَعَنَ اللهُ إبْليسَ ، ثم حَرَّكتُ فَرَسي ، فأسْمَعُ نِداءً أجْهَر من ذلك : يا إبْراهيمُ! لَيسَ لِذَا خُلِقتَ ولا بِذَا أُمِرْتَ ، فوَقَفتُ أنْظُرُ فلا أرَىٰ أحَداً فقُلتُ : لَعَنَ اللهُ إبْليسَ ، فأسْمَعُ نِداءً من قَرَبُوس[(١)] سِرْجي بذَاكَ ، فقُلتُ : أُنْبِهْتُ ، أُنْبِهْتُ ، جاءَني نَذيرٌ ، واللهِ لا عَصَيتُ اللهَ بعدَ يَومي ما عَصَمَني اللهُ ، فرَجَعتُ إلىٰ أهْلي ، فخَلَّيتُ فَرَسي ، ثم جِئتُ إلىٰ رُعاةٍ لأبي ، فأخَذتُ جُبَّةً وكِساءً ، وألْقَيتُ ثيابي إليه ثم أقْبَلتُ إلى العِراقِ ، فعَمِلتُ بها أيّاماً ، فلَمْ يَصْفُ لي منها الحَلالُ فقيلَ لي : عَليكَ بالشَّامِ فذَكرَ حِكايَةَ نِظارَتِه الرُّمَّانَ ، وقالَ الخادِمُ له : أنْتَ تأكُلُ فاكِهَتَنا ، ولا تَعرفُ الحُلوَ من الحَامِضِ ؟ قُلتُ : والله ما ذُقتُها فقالَ : أتُراكَ لَوْ أنَّك إبْراهيمُ بنُ أدْهَم ، فانْصَرفَ ، فلمَّا كانَ من الغَدِ ذَكَر صِفَتي في الْمَسجِدِ ، فعَرَفَني بَعضُ النَّاسِ ، فجاءَ الخَادِمُ ومَعه عُنقٌ[(٢)] من النَّاسِ فاخْتَفَيتُ خَلفَ الشَّجَرِ والنَّاسُ دَاخِلُونَ ، فاخْتَلَطتُ مَعَهم وأنا هَاربٌ .

تُوفِّيَ سَنةَ اثنتَينِ وسِتِّينَ ومئة ، وقَبرُه يُزار[(٣)] .

١٣ـ قِصَّةُ تَوْبَةِ الفُضَيْلِ بن عِياض :

وعن الفَضْلِ بنِ مُوسَىٰ ، قالَ : كانَ الفُضَيْلُ بنُ عِياض شاطِراً يَقطَعُ الطَّريقَ بينَ أبيوَرْدَ وسَرْخَس ، وكانَ سَببُ تَوبَتِه أنَّه عَشِقَ جاريَةً ، فبَينا هو يَرْتَقي الجُدْرانَ إليها ،

---

(١) القربوس : هو حنو السرج ، قال الأزهَريُّ : وللسرج قربوسان ، فأما القربوس المقدَّم ، ففيه العضدان ، وهما رجلا السرج ، ويُقالُ لهما حنواه والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة ، وهما حنواه .

(٢) العنقُ من الناس : الجماعة من الناس والرؤساء .

(٣) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ أدْهَم) ٧/ ٣٨٧ـ٣٩٦ ، وانظر النزهة : ٢/٧٠٩ .

إذْ سَمعَ تالياً يتلُو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾[1] فلمَّا سَمعَها ، قالَ : بَلَىٰ ، يا رَبِّ ، قد آنَ ، فرَجَعَ ، فآواهُ اللَّيلُ إلىٰ خَرِبَة ، فإذا فيها سَابِلَةٌ ، فقالَ بَعضُهم : نَرْحَلُ ، وقالَ بَعضُهم : حتَّىٰ نُصْبحَ فإنَّ فُضَيلاً عَلى الطَّريقِ يَقْطَعُ عَلينا .

قالَ : ففكَّرتُ ، وقُلتُ : أنا أسْعَىٰ باللَّيلِ في الْمَعاصي ، وقَومٌ من الْمُسْلِمينَ ها هُنا ، يَخافُوني ، وما أرى اللهَ ساقَني إليهم إلاَّ لأرْتَدِعَ ، اللَّهُمَّ إنِّي قد تُبتُ إليكَ ، وجَعلتُ تَوْبَتي مُجاوَرَةَ البَيتِ الحَرام[2] .

١٤ـ قِصَّةُ إبْراهيم بن المَهْدي مع يَهوديٍّ قاطِع طَريق :

قالَ عَليُّ بنُ الْمُغيرَة الأثْرَمُ : حدَّثنا إبْراهيمُ : أنَّه وَلِيَ إمْرةَ دِمَشْقَ أعْواماً لَمْ يُقْطَع فيها علىٰ أحَدٍ طَريقٌ ، وحُدِّثتُ أنَّ الآفَةَ في قَطعِ الطَّريقِ من دُعامَة ونُعْمان ويَحْيَى بن أُرميا اليَهوديّ البلقاوي ، وأنَّهم لَمْ يَضَعوا يَدَهُم في يَدِ عاملٍ ، فكاتَبتُهم فتَابَ دُعامَة وحَلفَ النُّعْمانُ بالأيْمانِ أنَّه لا يُؤذي مَهْما وَليتُ ، وطَلبَ ابنُ أُرميا أمَاناً ليَأتي ، ويُناظِرَ ، فأجَبتُه ، فقَدِمَ شابٌّ أشْعرُ أمْعَرُ في أقْبيَة ديباجٍ ، ومِنطَقَةٍ وسَيفٍ مُحلًّىٰ ، فدَخلَ على الخَضْراءِ ، فسَلَّمَ دُونَ البسَاط ، فقُلتُ : اصْعَدْ قال : إنَّ للبساطِ ذماماً ، أخافُ أنْ يلزمني جُلوسِي عَليه ، وما أدْري ما تَسُومني ، قُلتُ : أسْلِمْ ، وأَطِعْ قالَ : أمَّا الطَّاعَةُ فأرْجُو ، ولا سَبيلَ إلى الإسْلامِ ، فما عِندَكَ إنْ لَمْ أُسْلِمْ ؟ قُلتُ : لا بُدَّ من جزْيَة قالَ : اعْفِنِي قُلتُ : كلاَّ قالَ : فأنا مُنْصَرفٌ علىٰ أمَاني فأذِنتُ له ، وأمَرتُهم أنْ يَسْقُوا فَرَسَه ، فلمَّا رَأىٰ ذلكَ ، دَعا بدَابَّةِ غُلامِه ، وتَرَكَ فَرَسَه ، وقالَ : لَنْ آخُذَ شيئاً ارْتَفَقَ منكُم ، فأُحاربُكُم عليه ، فاسْتَحيَيْتُ وطَلَبْتُه ، فلمَّا دَخَلَ ، قُلتُ : الحَمدُ لله ، ظَفرتُ بكَ بِلا عَهْد قالَ : وكَيفَ ؟ قُلتُ : لأنَّك انْصَرفْتَ من عِنديِ ، وقد عُدتَ ، قالَ : شَرطُك أنْ تَصرِفَني إلىٰ مَأمَني ، فإنْ كانَ دَارُك مَأمَني ، فلَستُ بخائف ، وإنْ كانَ مَأمَني أرْضِي ، فرُدَّني ، فجَهِدتُ به أنْ يُؤدِّي جِزْيَة عَلَىٰ أنْ أهَبَه في السَّنَة ألْفَي دينار ، فأبَىٰ ، وذَهَبَ فأسْعَرَ الدُّنيا شَرّاً ، وحُملَ مَالٌ من مِصْرَ ، فتَعرَّضَ له ، فكَتَبَ

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

(٢) انظر السير : (الفُضَيلُ بنُ عِياض) ٨/ ٤٢١ـ٤٤٢ ، وانظر النزهة : ٧٧٢/ ٥ .

النُّعْمَانُ إليَّ ، فأمَرتُه بمُحارَبتِه ، فسَارَ النُّعْمَانُ ، ووَافَاهُ اليَهودِيُّ في جَماعَتِه ، فسَألَه النُّعْمَانُ الانْصِرافَ ، فأبَىٰ ، وقالَ : بارِزْني ، وإنْ شِئتَ ، بَرَزتُ وَحْدي إليكَ وإلىٰ جُندِكَ فقالَ نُعمانُ : يا يَحيىٰ ، وَيْحَك أنتَ حَدَثٌ قد بُليتَ بالعُجبِ ، ولَوْ كُنتَ من أنفَسِ قُرَيش لَمَا أمْكَنكَ معارَّة السُّلطان ، وهـٰذا الأميرُ هو أخُو الخَليفَة ، وأنا ـ وإنْ افْتَرَقنا في الدين ـ أُحِبُّ أنْ لا يُقتَل علىٰ يَدَيَّ فارسٌ ، فإنْ كُنتَ تُحبُّ السَّلامَةَ ، فابْرُزْ إليَّ ولا يُبتَلَىٰ بنا غَيرُنا ، فبرَزَ له العَصْر ، فما زَالا في مُبارَزَةٍ إلى اللَّيلِ ، فوَقَفَ كُلٌّ منهما علىٰ فَرَسِه مُتَّكِئاً علىٰ رُمْحِه ، فنَعسَ النُّعْمَانُ ، فطَعَنَه اليَهُوديُّ ، فيَقعُ سِنانُ رُمحِه في الْمِنْطَقَة ، فدَارَت ، وصَارَت السِّنانُ يَدورُ مَعها ، فاعْتَنقَهُ النُّعْمَانُ ، وقالَ : أغَدْراً يا بنَ اليَهُوديَّة ؟ فقالَ : أوَمُحاربٌ يَنامُ يا بنَ الأمَة ؟! فاتَّكَأ عليه النُّعْمَانُ ، فسَقَطَ فَوقَه ، وكانَ النُّعْمَانُ ضَخْماً ، فصارَ فَوقَه ، فذَبَحَ اليَهوديَّ ، وبَعثَ إليَّ برَأسِه ، فاطْمأنَّت البِلادُ ، ثم وَلِيَ بَعْدي عَمِّي سُليْمانُ ، فانتُهبَهُ أهلُ دِمَشْقَ ، وسَبَوا حُرَمَه[1] .

١٥ـ قِصَّةُ هِشام بن عمَّار مع الإمامِ مالك :

قالَ أبو بَكر محمَّدُ بنُ سُليْمانَ الرَّبَعي : حدَّثنا محمَّدُ بنُ الفَيْض الغَسَّانيُّ ، سَمعتُ هِشامَ بنَ عَمَّار ، يَقُولُ : بَاعَ أبي بَيْتاً له بعِشرينَ دِيناراً وجَهَّزَني للحَجِّ فلمَّا صِرتُ إلى الْمَدينَةِ ، أتَيتُ مَجلِسَ مَالك ، ومَعي مَسائلُ أريدُ أنْ أسألَه عنها فأتَيتُه ، وهو جَالسٌ في هَيئَةِ الْمُلوكِ ، وغِلْمانٌ قِيامٌ ، والنَّاسُ يَسألُونَه ، وهو يُجيبُهم ، فلمَّا انْقَضَى الْمَجلِسُ ، قالَ لي بَعضُ أصْحابِ الحَديثِ : سَلْ عن ما مَعكَ ؟ فقُلتُ له : يا أبا عبدِ الله ما تَقُولُ في كَذا وكَذا ؟ فقالَ : حَصلنا على الصِّبْيانِ ، يا غُلامُ ، احْمِلهُ فحَمَلَني كمَا يُحْمَلُ الصَّبيُّ ، وأنا يَومَئذ غُلامٌ مُدْرِكٌ ، فضَرَبَني بدِرَّةٍ مثل دِرَّةِ الْمُعلِّمينَ سَبعَ عَشرَةَ دِرَّةً ، فوَقَفتُ أبْكي ، فقالَ لي : ما يُبْكِيكَ ؟ أَوَجَعَتْكَ هـٰذه الدِّرَّة ؟ قُلتُ : إنَّ أبي بَاعَ مَنزِلَه ، ووَجَّهَ بي أتَشرَّفُ بكَ وبالسَّمَاعِ مِنكَ ، فضَرَبتَني ؟ فقالَ : اكْتُبْ ،

---

(١) انظر السير : (إبْراهيمُ بنُ الْمَهْدي) ١٠/٥٥٧ـ٥٦١ ، وانظر النزهة : ٢/٨٩٢ .

قالَ : فحدَّثني سَبعَةَ عَشرَ حَديثاً ، وسَأَلْتُه عمَّا كانَ مَعي من الْمَسائلِ فأجَابَني[1] .

١٦ـ قِصَّةٌ في الإيثَار :

قالَ يُوسُفُ بنُ البُهْلول الأزرق : حدَّثنا يَعقُوبُ بنُ شَيبَة ، قالَ : أظلَّ العيدُ رَجلاً ، وعنده مئةُ دينار لا يَملكُ سِوَاها ، فكَتبَ إليه صَديقٌ يَستَرْعي منه نَفقَة فأنْفَذَ إليه بالمئة دينار ، فلَمْ يَنْشَبْ أنْ وَرَدَ عليه رُقْعَةٌ من بَعضِ إخْوَانِه يَذكُرُ أنَّه أيْضاً في هـٰذا العيدِ في إضاقَة ، فوَجَّهَ إليه بالصُّرَّةِ بعَيْنِها قالَ : فبَقِيَ الأول لا شَيءَ عندَه ، فاتَّفَقَ أنَّه كتبَ إلى الثالث وهو صَديقُه يَذكُرُ حالَه ، فبَعثَ إليه الصُّرَّةَ بِخَتْمِها قال فعرَفَها ، ورَكِبَ إليه ، وقالَ : خَبِّرْني ما شَأنُ هـٰذه الصُّرَّة ؟ فأخْبَرَه الخَبرَ ، فرَكبا معاً إلى الذي أرْسَلَها ، وشَرحُوا القِصَّةَ ، ثم فَتَحوها واقْتَسَمُوها .

قالَ ابنُ البُهْلول : الثَّلاثَة ، يَعْقوبُ بنُ شَيْبَة ، وأبو حَسَّان الزِّيادي ، وآخَرُ نَسيتُه إسْنادُها صَحيح .

وقيلَ عاشَ الزِّياديُّ تِسْعاً وثَمانينَ سَنةً ، ماتَ في سَنةِ اثْنَتَينِ وأرْبَعينَ ومئتين[2] .

١٧ـ قِصَّةُ اللِّصِّ الفَقِيه :

ورَوَىٰ يَمُوتُ بنُ الْمُزَرَّع ، عن الْمُبَرِّد ، عن أحمَدَ بنِ الْمُعَذَّل ، قالَ : كُنتُ عندَ ابنِ الماجِشُونَ ، فجاءَه بَعضُ جُلسَائه ، فقالَ : يا أبا مَرْوانَ أُعْجُوبَة ، خَرجتُ إلىٰ حائطي بالغابَة ، فعَرَضَ لي رَجلٌ ، فقالَ : اخْلَعْ ثِيابَك قُلتُ : لِمَ ؟ قالَ : لأنِّي أخُوكَ ، وأنا عُرْيانٌ قُلتُ فالْمُواسَاةُ ؟ قالَ : قد لَبستَها بُرهَة قُلتُ فتُعَريني ؟ قالَ : قد رَوَيْنا عن مَالِك أنَّه قالَ : لا بَأسَ للرجُلِ أنْ يَغتَسِلَ عُرياناً قُلتُ : تَرَىٰ عَوْرَتي قالَ : لَوْ كانَ أحَدٌ يَلقَاكَ هُنا ، ما تَعرَّضتُ لك قُلتُ : دَعْني أدْخُلُ حائِطِي ، وأبْعَثُ بها إليكَ ، قالَ : كَلاَّ ، أرَدتَ أنْ تُوجِّهَ عَبيدَكَ فأُمْسَكُ ، قُلتُ : أحْلِفُ لك قالَ : لا تَلزَمُ يَمينُك لِلصِّ فحَلَفتُ له : لأبْعَثَنَّ بها طَيِّبَةً بها نَفسِي فأطْرَقَ ثم قالَ : تَصَفَّحتُ أمْرَ اللُّصوصِ

---

(١) انظر السير : (هِشامُ بنُ عَمَّار) ١١/ ٤٢٠ـ٤٣٥ ، وانظر النزهة : ٣/٩٥٧ .

(٢) انظر السير : (أبو حَسَّان الزِّياديّ) ١١/ ٤٩٦ـ٤٩٨ ، وانظر النزهة : ٤/٩٦٢ .

من عَهدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ وَقتِنا ، فلَمْ أجِدْ لِصَّاً أخَذَ بنَسيئَة ، فأكْرَهُ أنْ أبْتَدعَ ، فخَلَعتُ ثِيابي لَه[1] .

١٨ـ قِصَّةُ تُقَوِّي الإيْمَان :

قال يوسُفُ بنُ الحُسين الرَّازيّ : حَضرْتُ ذا النُّونِ فقيل له : يا أبا الفيض ، ما كان سَببُ تَوبَتِكَ ؟ قال : نِمتُ في الصحراء ، ففتحت عَينَيَّ فإذا قُنْبُرَةٌ[2] عَمياءُ سقطتْ من وكْر ، فانشقت الأرضُ ، فخرجَ سُكُرُّجَتان فأكَلَت وشَربَت فقلتُ : حَسبي ، فتُبتُ ولَزِمتُ البابَ إلىٰ أن قَبلَني[3] .

١٩ـ قِصَّةُ المَرْأة المُصَابَة بالجِنِّ :

وقالَ عُمَرُ بنُ بَحْر : سَمعتُ أحمَدَ بنَ أبي الحَوَاريِّ يَقُولُ : بَيْنا أنا في قُبَّة بالْمَقابِر بلا بابٍ إلاَّ كسَاءً أسْبَلتُه ، فإذا أنا بامْرأةٍ تَدُقُّ على الحائطِ فقُلتُ : مَنْ هٰذا ؟ قالَت : ضَالَّةٌ ، فدُلَّني على الطَّريقِ فقُلتُ : رَحِمَكِ الله ، أيُّ الطَّريقِ تَسْلُكينَ ، فبكَت ، ثم قالَت : علىٰ طَريقِ النَّجاةِ ، يا أحمَدُ قُلتُ : هَيْهاتَ! إنَّ بَيْننا وبينَها عقاباً ، وتلكَ العقابُ لا تُقطَعُ إلاَّ بالسَّيرِ الحَثيثِ ، وتَصْحيحِ الْمُعامَلَة ، وحَذفِ العَلائق الشَّاغِلَة ، فبَكَتْ ، ثم قالَت : سُبحانَ مَنْ أمْسَكَ عَليكَ جَوارِحَك فلَمْ تَتقَطَّعْ ، وفُؤادَكَ فلَمْ يَتصَدَّعْ ثم خَرَّتْ مَغشِياً عَليها فقُلتُ لِبَعضِ النِّساءِ : أيُّ شَيءٍ حالُهَا ؟ فقُمنَ ، ففتَّشْنَها ، فإذا وَصيَّتُها في جَيْبها : كَفِّنُوني في أثْوابي هٰذه ، فإنْ كانَ لي عندَ اللهِ خَيرٌ فهو أسْعَدُ لي ، وإنْ كانَ غَيرَ ذلكَ فبُعداً لِنَفسِي ، قُلتُ : ما هيَ ؟ فحَرَّكوها ، فإذا هي مَيِّتَة فقُلتُ : لِمَنْ هٰذه الجاريَة ؟ قالوا : جاريَةٌ قُرَشيَّة مُصابَةٌ ، وكانَ قَرينُها يَمنَعُها من الطَّعامِ ، وكانَتْ تَشْكُو إلَيْنا وَجَعاً بجَوْفِها ، فكُنَّا نَصِفُها للأطِبَّاء ، فتَقُولُ : خَلُّوا بَيني

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ الْمُعَذَّل) ١١/ ٥١٩ـ ٥٢١ ، وانظر النزهة : ٩٦٤/٤ .

(٢) القُنْبُرة والقُنْبَرة والقُبَّرَة والقُنْبُراء والقُنْبَراء : عصفورة من فصيلة القُبَّريات ، ورتبة الجواثم المخروطية المناقير ، سُمر في أعلاها ضاربة إلىٰ بياض في أسفلها ، وعلىٰ صدرها بقعة سوداء ، دائمة التغريد .

(٣) انظر السير : (ذو النون المصري) ١١/ ٥٣٢ـ ٥٣٦ ، وانظر النزهة : ٣/٩٦٧ .

وبَينَ الطَّبيبِ الرَّاهِب ـ تَعنِي أحمَدَ بنَ أبي الحَواريّ ـ أشْكُو إليه بَعضَ ما أجِدُ من بَلائي ، لَعلَّه أنْ يَكونَ عندَه شِفَائي[1] .

٢٠ـ قِصَّةٌ تَدُلُّ على المَرُوءَة :

قال أحْمَدُ بنُ مَهْدي : جاءَتني امرأةٌ ببَغْدادَ ليلةً ، فذَكرَت أنَّها من بَناتِ النَّاس وأنَّها امتُحنَت بمِحْنَة ، وأسْألُكَ بالله أنْ تَسْتُرَني فقَد أكْرِهْتُ علىٰ نَفسِي وأنا حُبْلَىٰ ، وقُلتُ إنَّكَ زَوْجي فلا تَفْضَحْني فنَكَّبتُ عنها ومَضَيْت فلَمْ أشْعُر حتَّىٰ جاءَ إمَامُ الْمَحِلَّة والجيران يُهَنِّئوني بالوَلَدِ الْمَيْمُونِ فأظْهَرتُ التَّهْليلَ ووَزَنتُ في اليَومِ الثاني للإمام دينارَين ، وقُلتُ : أعْطِها نفقَة فقَد فارَقْتُها وكنتُ أُعْطيها في كُلِّ شَهرٍ دينارَين حتَّىٰ أتَىٰ علىٰ ذَلكَ سَنتانِ فمَاتَ الطِّفْلُ وجاءَني النَّاسُ يُعَزُّونَني فكُنتُ أُظهِرُ لهم التَّسْليمَ والرِّضا فجاءَتني بعدَ أيَّام بالدَّنانيرِ فرَدَّتها ودَعَتْ لي ، فقُلتُ : هذا الذَّهَبُ كان صِلَةً للوَلَدِ وقد ورِثْتِيه وهو لك[2] .

٢١ـ قِصَّةُ أبي حاتِم الرَّازي وانْقِطاعِه في رِحْلَتِه :

وقالَ ابنُ أبي حاتم الرَّازي : وسَمعتُ أبي يَقُولُ : خَرَجنا من الْمَدينَة ، من عندِ دَاوُدَ الجَعْفَريِّ ، وصِرْنا إلى الجَارِ ورَكِبنا البَحرَ ، فكانَت الرِّيحُ في وُجُوهِنا ، فبَقينا في البَحرِ ثَلاثَةَ أشْهُر ، وضاقَت صُدُورُنا ، وفَنِيَ ما كانَ مَعَنا ، وخَرَجنا إلى البَرِّ نَمْشي أيَّاماً ، حتَّىٰ فَنِيَ ما تَبقَّىٰ مَعَنا من الزَّادِ والْمَاءِ ، فمَشينا يَوماً لَمْ نأكُلْ ولَمْ نَشرَبْ ، ويَومَ الثاني ، ويومَ الثالث ، فلمَّا كانَ يَكونُ الْمَساءُ صَلَّينا ، وكُنَّا نُلقِي بأنْفُسِنا حَيثُ كُنَّا ، فلمَّا أصْبَحنا في اليَومِ الثَّالثِ ، جعَلنَا نَمشي علىٰ قَدرِ طَاقَتِنا ، وكُنَّا ثَلاثَةَ أنْفُس : شَيخٌ نِيسَابُوريٌّ ، وأبو زُهَير الْمَرْوَرُّوذيُّ ، فسَقطَ الشَّيْخُ مَغشِياً عَليه ، فجِئنَا نُحرِّكُه وهو لا يَعقِلُ ، فتَركنَاه ، ومَشَينا قَدرَ فَرْسَخ ، فضَعُفتُ ، وسَقَطتُ مَغْشيّاً عَليَّ ، ومَضَىٰ صَاحِبي يَمشِي فبَصُرَ من بُعدٍ قَوْماً ، قَرَّبوا سَفينَتَهم من البَرِّ ، ونزَلُوا علىٰ بِئرِ مُوسَىٰ ،

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ أبي الحَواريّ) ١٢/ ٨٥ـ ٩٤ ، وانظر النزهة : ١/٩٨٧ .

(٢) انظر السير : (أحْمَدُ بنُ مَهْدي) ١٢/ ٥٩٧ـ٥٩٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٠٣٨ .

فلمَّا عايَنَهم ، لَوَّحَ بثَوبِه إلَيهِم ، فجَاؤُوهُ مَعَهُم مَاءٌ وإدَاوَةٌ[1] ، فسَقَوهُ وأخَذُوا بيَدِه ، فقالَ لهم : الْحَقُوا رَفيقَيْنِ لي ، فمَا شَعُرتُ إلاَّ برَجُلٍ يَصُبُّ الْمَاءَ علىٰ وَجْهي ، ففَتَحتُ عَينَيَّ ، فقُلتُ : اسْقِني ، فصَبَّ من الْمَاءِ في مَشرَبَة قَليلاً ، فشَرِبتُ ، ورَجَعَتْ إليَّ نَفْسِي ، ثم سَقاني قَليلاً ، وأخَذَ بيَدي ، فقُلتُ : وَرائي شَيخٌ مُلْقَىٰ ، فذَهبَ جَماعَةٌ إليه ، وأخَذَ بيَدي ، وأنا أمْشي وأجُرُّ رجلِي ، حتَّىٰ إذا بَلَغْتُ إلىٰ عندِ سَفينَتِهم ، وأتَوا بالشَّيْخِ ، وأحْسَنُوا إلَيْنا ، فبَقِينَا أيَّاماً حتَّىٰ رَجَعَتْ إلَينا أنْفُسُنا ، ثم كَتَبوا لَنَا كِتاباً إلىٰ مَدينَةٍ يُقالُ لها : رَايَة[2] إلىٰ وَاليهِم ، وزَوَّدونا من الكَعْكِ والسَّويقِ والْمَاءِ فلَمْ نزَلْ نَمْشي حتَّىٰ نفَذَ ما كانَ مَعنا من الْمَاءِ والقُوتِ ، فجَعلنا نَمشي جياعاً علىٰ شَطِّ البَحْرِ ، حتَّىٰ دَفَعَنا إلىٰ سُلَحْفاةٍ مثلِ التُّرْسِ ، فعَمَدنا إلىٰ حَجَرٍ كَبيرٍ ، فضَرَبْنا علىٰ ظَهْرِها ، فانْفَلَقَ ، فإذا فيها مثلُ صُفْرَةِ البَيْضِ ، فتَحسَّيْناهُ حتَّىٰ سَكنَ عَنَّا الجُوعُ ، ثم وَصَلْنا إلىٰ مَدينَةِ الرَّايَة ، وأوْصَلْنا الكتابَ إلىٰ عامِلِها ، فأنْزَلَنا في داره ، فكانَ يُقدِّمُ لَنَا كُلَّ يوم القَرْعَ ، ويَقُولُ لِخَادِمِه : هاتِ لَهم اليَقْطينَ الْمُبارَك ، فيُقَدِّمُه مع الخُبزِ أيّاماً ، فقالَ واحدٌ منَّا : ألا تَدعُو باللَّحْمِ الْمَشؤُومِ ؟! فسَمعَ صاحِبُ الدَّارِ ، وأتَانا بعدَ ذَلكَ باللَّحمِ ثم زَوَّدَنا إلىٰ مِصْرَ[3] .

٢٢ـ قِصَّةٌ عَجيبَة لابنِ أبي حَاتِم :

وقال الحُسَينُ بنُ أحمد الصفَّار : سَمعتُ عبد الرحمَـٰن بنَ أبي حاتم يقولُ : وقعَ عندنا الغَلاءُ ، فأنفَذَ بعضُ أصْدقائي حُبوباً من أصْبهان ، فبعْتُه بعشْرينَ ألفاً ، وسألَني أنْ أشْتَريَ له دَاراً عندَنا ، فإذا جاءَ ينزلُ فيها ، فأنفقْتُها في الفُقَراء ، وكَتبتُ إليه : اشْتَريتُ لك بها قَصْراً في الجَنَّة ، فبعَثَ يقولُ : رَضيتُ ، فاكتُبْ علىٰ نفسِكَ صَكّاً ، ففَعَلتُ ، فأُريتُ في المَنامِ : قد وفَّيْنا بما ضَمِنْتَ ، ولا تَعُدْ لمثلِ هـٰذا[4] .

---

(١) الإداوَة : الْمِطْهَرَة ، وهي إناءٌ صَغيرٌ يُحملُ فيه الْمَاءُ .

(٢) رايَة : مَحِلَّة عَظيمَةٌ بفُسْطاطِ مِصْرَ وهي المحلة التي في وَسَطِها جامعُ عَمْرو بن العَاص .

(٣) انظر السير : (أبو حاتم الرَّازي) ١٣/ ٢٤٧ـ ٢٦٣ ، وانظر النزهة : ١/١٠٧٦ .

(٤) انظر السير : (عبد الرحمـٰن بن أبي حاتم الرازي) ١٣/ ٢٦٣ـ ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ١/١٠٨٠ .

٢٣ـ قَصَصٌ من سِيرَةِ الخَليفَة المُعْتَضِد :

جاءَ في تَرجَمَتِه الْمُعْتَضِدِ بالله العَبَّاسيِّ ، قال أبو علي الْمُحْسن التَّنُوخيُّ : بَلَغني عن الْمُعْتَضِدِ أنه كان جالساً في بَيتٍ يُبنَىٰ له فرأىٰ فيهم أسْوَدَ مُنكَرَ الخِلقَة يَصْعَدُ السَّلالِمَ دَرجَتين دَرجَتينِ ، ويَحمِلُ ضِعْفَ ما يَحْمله غَيرُه ، فأنْكرَ ذلك ، وطلَبَه ، وسَأَلَه عن سَبَبِ ذلك ، فتَلَجْلَجَ فكلَّمه ابنُ حَمْدونَ فيه ، وقالَ : مَنْ هـٰذا حتىٰ صَرَفْتَ فِكْرَكَ إليه ؟ قالَ : قد وَقَعَ في خَلَدي أمْرٌ ما أَحْسَبُه باطِلاً ، ثم أمَرَ به ، فضُربَ مئةً ، وتهدَّدَه بالقَتلِ ودَعَا بالنَّطَع[1] والسَّيْفِ ، فقالَ : الأمانَ ، أنا أعْمَلُ في أَتونِ الآجُرِّ ، فدَخلَ من شُهورٍ رَجلٌ في وَسَطِه هِمْيَانٌ[2] ، فأخْرَجَ دَنانيرَ فوَثبتُ عليه ، وسَدَدتُ فاه ، وكَتَّفتُه وألْقيتُه في الأتُونِ ، والذَّهَبُ مَعي يَقْوَىٰ به قَلبي ، فاسْتَحْضَرَها ، فإذا عَلى الهِمْيانِ اسْمُ صاحِبه ، فنُودِيَ في البَلدِ ، فجاءَت امْرأةٌ ، فقالَت : هو زَوْجي ولِيَ منه طِفلٌ ، فسَلَّمَ الذَّهَبَ إليها ، وقَتلَه[3] .

وقالَ أبو عَليّ الْمُحْسن التَّنُوخيُّ : وبَلغَني عنه أيضاً أنَّ خادِماً أتاه فأخْبَرَه أنَّ صيَّاداً أخْرَجَ شَبكتَه ، فثَقُلت ، فجذَبها ، فإذا فيها جِرابٌ ، فظَنَّه مالاً ، فإذا فيه آجُرٌّ بينَه كَفٌّ مَخضُوبَة ، فهَالَ ذاكَ الْمُعْتَضِدَ وأمَرَ الصَّيَّادَ ، فعاوَدَ الشَّبَكَة ، فخَرجَ جِرابٌ آخَرُ فيه رِجْلٌ ، فقالَ : مَعي في بَلَدِي مَنْ يَفعَلُ هـٰذا ؟ ما هـٰذا بمُلكٍ! فلَمْ يُفطِرْ يومَه ، ثم أَحْضَرَ ثقةً له ، وأعْطاهُ الجِرابَ ، وقالَ : طُفْ به علىٰ مَنْ يَعمَلُ الجُرُبَ : لِمَنْ باعَه ؟ فغَابَ الرجلُ ، وجاءَ وقد عَرفَ بائِعَه ، وأنَّه اشْتَرَىٰ منه عَطَّارٌ جِراباً ، فذَهبَ إليه ، فقالَ : نَعَم ، اشْتَرىٰ مني فُلانٌ الهاشِميُّ عَشرَةَ جُرُبٍ ، وهو ظالِمٌ إلىٰ أنْ قالَ : يَكفيكَ أنَّه كان يَعْشَقُ مُغَنِّيَةً ، فاكْتَراها من مَوْلاها ، وادَّعَىٰ أنَّها هَرَبَت! فلَمَّا سَمعَ الْمُعْتَضِدُ ذلك سَجدَ ، وأَحْضَرَ الهاشِميَّ ، فأخْرَجَ له اليَدَ والرِّجْلَ ، فاصْفَرَّ واعْتَرفَ ، فدَفَعَ إلىٰ

---

(١) النَّطَع : بفَتح النُّونِ وكَسْرِها ، وفَتْح الطَّاءِ وكَسْرِها وسُكونِها : بساطٌ من جلد ، كثيراً ما كان يُقتَلُ فوقه المحكوم عليه بالقَتل .

(٢) الهِمْيان : كيسٌ للنَّفَقَة يُشدُّ في الوَسَط .

(٣) انظر السير : (الْمُعْتَضد بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١٠٣ .

صاحِبِ الجاريَةِ ثمَنها ، وسَجنَ الهاشِميَّ ، فيُقالُ : قَتلَه[1] .

قِيلَ : كان لتاجرٍ علىٰ أميرٍ مالٌ ، فماطَلَه ، ثمَّ جَحدَه ، فقال له صاحبٌ له : قُمْ معي ، فأتىٰ بي خَيَّاطاً في مَسْجِدٍ ، فقامَ مَعَنا إلى الأميرِ ، فلمَّا رآه ، هابَه ، ووَفَّاني المالَ ، فقلْتُ للخَيَّاطِ : خُذْ مِنِّي ما تُريدُ ، فغَضِبَ ، فقُلْتُ له : فحَدِّثني عن سَبَبِ خَوفه مِنْكَ ، قال : خَرجتُ ليلةً ، فإذا بتُرْكيٍّ قد صادَ امرأةً مَليحَةً وهي تَتَمَنَّعُ منه وتَسْتَغِيثُ ، فأنْكَرْتُ عليه فضَربَني ، فلمَّا صَلَّيْتُ العِشاءَ جَمَعْتُ أَصْحَابِي وجِئْتُ بابَه ، فخَرَجَ في غِلْمَانِه وعَرَفَني ، فضَرَبَني وشَجَّني ، وحُمِلتُ إلىٰ بَيْتِي ، فلمَّا تَنَصَّفَ الليلُ ، قُمتُ فأذَّنتُ في المَنَارَةِ ، لكي يَظُنَّ أنَّ الفَجْرَ طَلَعَ فيُخَلِّيَ المرأةَ ، لأنَّها قالت زَوْجي حالِفٌ عليَّ بالطَّلاقِ أنِّي لا أَبيتُ عن بَيْتِي ، فما نَزَلتُ حتىٰ أحاطَ بي بدرٌ وأعْوانُه ، فأُدْخِلتُ على المُعْتَضِد ، فقال : ما هٰذا الأذانُ ؟!! ، فحَدَّثْتُه بالقِصَّةِ ، فطَلَبَ التُّركِيَّ ، وجَهَّزَ المرأةَ إلىٰ بَيْتِها ، وضَرَبَ التُّركِيَّ في جوالق حتىٰ ماتَ ، ثم قال لي : أَنْكِر الْمُنْكَرَ ، وما جَرَىٰ علَيْكَ فأذِّن كما أذَّنتَ ، فدَعَوْتُ له ، وشَاعَ الخَبَرُ ، فما خاطَبْتُ أحداً في خَصْمِه إلاَّ أطاعَنِي وخَاف[2] .

٢٤ـ قِصَّةٌ جَميلَةٌ للقاضِي أبي خَازم :

عن مُكْرم بنِ بَكْر ، قالَ : كُنتُ في مَجلسِ أبي خازِمٍ القاضي ، فتَقدَّمَ شَيخٌ مَعه غُلامٌ ، فادَّعَىٰ عَليه بألفِ دِينارٍ ، فأقَرَّ الحَدَثُ ، فقالَ القاضي للشَّيخِ : ما تَشاءُ ؟ قالَ : حَبسُه فقالَ للحَدَثِ : قد سَمعتَ فهلْ تُوفِّيه البَعضَ ؟ قالَ : لا ففَكَّر ساعَةً ، ثم قالَ : تَلازَما حتَّىٰ أنْظُرَ فقُلْتُ : لِمَ أخرَّ القاضي الحَبسَ ؟ قالَ : وَيْحك! إنِّي أعْرفُ في أكثرِ الأحْوالِ وَجْهَ الْمُحِقِّ من الْمُبْطِلِ ، وقد وَقَعَ لي أنَّ سَماحَتَه بالإقْرارِ شَيءٌ بَعيدٌ من الحَقِّ ، أمَا رَأيتَ قِلَّة تَغاضُبهما في الْمُحاوَرَة مع عِظَمِ الْمَالِ ؟ فبَينا نَحنُ كذلك ، إذْ اسْتَبَانَ الأمرُ ، فأسْتأذَنَ تاجرٌ مُوسِرٌ ، فأذنَ له القاضي ، فدَخلَ ، وقالَ : قد بُليتُ بابنٍ

---

(١) انظر السير : (الْمُعْتَضد بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ١/١١٠٤ .
(٢) انظر السير : (المعتضد بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٤/١١٠٦ .

لي حَدَثٍ ، يُتلِفُ مالي عند فُلانٍ الْمُقبِّن ، فإذا مَنعتُه مالي احْتَالَ بحِيَلٍ يُلجِئُني إلى الْتِزام غُرْم ، وأقْرَبُه أنَّه نَصبَ الْمُقبِّنَ اليومَ لِمُطالَبَتِه بألفِ دينارٍ وأَقَعُ مع أمِّه - إنْ حُبسَ - في نَكَدٍ فتَبسَّمَ القاضي ، وطَلَبَ الغُلامَ والشَّيخَ ، فأُدخِلا ، فوَعَظَ الغُلامَ ، فأقَرَّ الشَّيخُ ، وأخَذَ التَّاجِرُ بيدِ ابنِه ، وانْصَرَفَ .

قالَ الإمامُ الذهبيُّ : قد كانَ الْمُعتَضِدُ يَحترِمُ أبا خازِمٍ ويُجلُّه ، قيلَ : إنَّ أبا خازم لَمَّا احْتُضرَ بَكَىٰ ، وجَعلَ يَقولُ : يا رَبِّ! من القَضاءِ إلى القَبرِ . وله شِعرٌ رَقيقٌ .

ماتَ ببَغْدادَ سَنةَ اثنَتينِ وتِسْعينَ ومئتين[١] .

٢٥ـ قِصَّةُ ابنِ جَرير وابنِ خُزَيْمَة في مِصْرَ :

قالَ محمَّدُ بنُ أحمَدَ الصَّحَّافُ السِّجِسْتانيُّ ، سَمعتُ أبا العَبَّاس البَكْريَّ يَقُولُ : جَمعَت الرِّحلَةُ بينَ ابنِ جَرير ، وابنِ خُزَيْمَة ، ومحمَّدِ بنِ نَصْر الْمَرُّوزيِّ ، ومحمَّدِ بن هَارُونَ الرُّويانيِّ بمِصْرَ ، فأرْمَلوا ولَمْ يَبْقَ عندَهم ما يَقُوتُهم ، وأضَرَّ بهم الجُوعُ فاجْتَمَعوا لَيلَةً في مَنزِلٍ كانُوا يَأوُونَ إليه ، فاتَّفقَ رَأيُهم علىٰ أنْ يَسْتَهِمُوا ويَضْرِبُوا القُرعَةَ ، فمَنْ خرجَتْ عليه القُرعَةُ سَألَ لأصْحابِه الطَّعامَ فخَرَجَتِ القُرعَةُ على ابنِ خُزَيْمَة ، فقالَ لأصْحابِه أمْهِلُوني حتَّىٰ أُصَلِّي صَلاةَ الخِيرَة ، قالَ : فانْدَفعَ في الصَّلاةِ ، فإذا هم بالشُّمُوعِ وخَصِيٍّ من قِبَلِ وَالي مِصْرَ يَدُقُّ البَابَ ، ففَتَحُوا ، فقَالَ : أيُّكم مُحمَّدُ بنُ نَصْر ؟ فقيلَ : هُو ذَا ، فأخْرَجَ صُرَّةً فيها خَمسُونَ ديناراً ، فدَفَعَها إليه ، ثم قالَ : وأيُّكُم مُحمَّدُ بنُ جَرير ؟ فأعْطَاهُ خَمسينَ ديناراً ، وكَذلكَ للرُّويانيِّ ، وابنِ خُزَيْمَة ، ثم قالَ : إنَّ الأميرَ كانَ قائلاً[٢] بالأمسِ ، فرَأىٰ في الْمَنام أنَّ الْمَحامِدَ جِيَاعٌ قد طَوَوْا كَشْحَهُم ، فأنْفَذَ إلَيكُم هـٰذه الصُّرَرَ ، وأقْسَمَ عَليكُم : إذا نَفِذَت فابْعَثُوا إليَّ أحَدَكُم[٣] .

---

(١) انظر السير : (القاضي أبو خازم) ١٣/ ٥٣٩ـ ٥٤١ ، وانظر النزهة : ١١١٤/ ٤ .

(٢) قائلاً : أي نائماً في القائلة ، وهي نصف النهار ، وفعلُه : قالَ ، يَقيلُ .

(٣) انظر السير : (محمَّدُ بنُ جَرير) ١٤/ ٢٦٧ـ ٢٨٢ ، وانظر النزهة : ١١٥٠/ ٢ .

٢٦ـ قِصَّةُ قاضٍ مع امرأةٍ فاسِقَة :

وفي سَنةِ خَمسٍ وأربع مئة ظَفرَ الحاكمُ بنساءٍ علىٰ فَسادٍ ، فغرَّقَهُنَّ ، وكانت الغاسِلَةُ لا تَخرُجُ إلى المَرأةِ إلاَّ مع عَدْلين ، ومَرَّ القاضي مَالكُ بنُ سَعيد الفارقيُّ ، فنادَتْه صَبيَّة من رَوْزَنَةٍ : أقسَمتُ عليكَ بالحاكمِ أنْ تَقفَ ، فوَقَفَ ، فبكَتْ ، وقالَت : لي أخٌ يَموتُ ، فبالله إلاَّ ما حَمَلتَني إليه لأراهُ ، فرَقَّ لها وبَعثَ معها عَدْلَين ، فأتَتْ بَيْتاً ، فدَخلَت ، والبيتُ لعاشِقِها ، فجاءَ الزَّوْجُ ، فسألَ الجيرانَ ، فحدَّثوه ، فجاءَ إلى القاضي وصاحَ ، وقالَ : لا أخَ لها ، وما أفارقُكَ حتىٰ تَرُدَّها إليَّ ، فحارَ القاضي وطلع بالرجُلِ إلى الحاكم ، ونادَى العَفْوَ ، فأمرَه أنْ يَركَبَ مع الشَّاهِدين ، فوجدوا المرأةَ والشَّابَّ في إزارٍ واحد علىٰ خُمار ، فحُمِلا علىٰ هَيْئَتِهِما فسألها الحاكمُ فأحالَت على الشَّابِّ ، وقالَ : بلْ هَجَمَتْ عليَّ ، وزَعَمت أنَّها بلا زَوْجٍ ، فلُفَّت في باريَّةٍ ، وأُحْرِقَت ، وضُربَ الشَّابُّ ألفَ سَوْطٍ .

ووَليَ دِمَشْقَ للحاكم عدَّةُ أُمَراء ما كان يَدَعُ النَّائبَ يَسْتقرُّ حتىٰ يَعزلَه(١) .

٢٧ـ قِصَّةُ دَعْلَج المُحَدِّثِ الغَنيِّ :

وقال أحمدُ بنُ الحُسَين الوَاعِظُ : أَوْدَعَ أبو عبد الله بنُ أبي مُوسَى الهاشِميُّ عَشرةَ آلافِ دينارٍ ليتيم ، فضاقَت يَدُه فأنْفَقَها وكَبرَ الصَّبيُّ ، وأُذنَ له في قَبضِ مالِه ، قال ابنُ أبي موسىٰ : فضاقَت عليَّ الأرضُ ، وتَحيَّرتُ ، فبَكرتُ علىٰ بَغْلَتي ، وقَصدتُ الكَرْخَ فانتُهتْ بي البَغْلةُ إلىٰ دَرْبِ السلولي ووَقفَتْ بي علىٰ بابِ مَسجِدِ دَعْلَج ، فدَخلتُ فصَلَّيتُ خلفَه الفَجرَ ، فلمَّا انفَتَلَ رَحَّبَ بي ، وقُمنا فدَخلنا دارَه ، فقُدِّمَت لنا هَريسَةٌ ، فأكَلتُ وقَصَّرتُ ، فقالَ : أراكَ مُنقَبضاً ، فأخْبَرتُه ، فقالَ : كُلْ فإنَّ حاجَتَك تُقْضَىٰ ، فلمَّا فَرَغْنا ، اسْتَدعَىٰ بالذَّهَبِ والمِيزانِ ، فوَزَنَ لي عَشرةَ آلافِ دينارٍ وقُمتُ أطيرُ فَرحاً ، ثم سَلَّمتُ المالَ إلى الصَّبيِّ بحَضرةِ قاضي القُضاة ، وعَظُمَ الثَّناءُ عليَّ ، فلمَّا عُدتُ إلىٰ مَنزِلي اسْتدعاني أميرٌ من أولادِ الخَليفَة فقال : قد رَغبتُ في مُعامَلَتِك

---

(١) انظر السير : (الحاكم) ١٥/ ١٧٣ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٢٠٩ .

وتَضْمينِك أمْلاكي ، فضَمنتُها فربحتُ في سَنَتي رِبحاً عَظيماً وكَسبتُ في ثلاث سنين ثلاثينَ ألفَ دينار ، وحَملتُ لدَعْلَج المالَ ، فقالَ : سُبحانَ الله ، والله ما نَوَيتُ أخْذَها ، حَلٌ بها الصِّبْيانَ ، فقلتُ : أيُّها الشَّيخُ ، أيش أصْلُ هٰذا المال حتىٰ تَهبَ لي عشرةَ آلافِ دينار ؟ فقال : نَشأتُ ، وحَفظتُ القُرآنَ ، وطَلبتُ الحَديثَ ، وكُنتُ أتبَزَّزُ ، فوافاني تاجرٌ من البَحْرِ فقال : أنْتَ دَعْلَج ؟ قلتُ : نَعَم قال : قد رَغبتُ في تَسليمِ مالي إليك مُضارَبةً ، فسلَّمَ إليَّ برنامجات بألفِ درهم ، وقال لي : ابْسُطْ يَدكَ فيه ولا تَعلمْ مَكاناً يُنفَقُ فيه المَتاعُ إلاَّ حَملْتَه ، ولمْ يَزلْ يَتردَّدُ إليَّ سَنةً بعدَ سَنةٍ يَحملُ إليَّ مثلَ هٰذا والبضاعَةُ تَنمَىٰ ثم قال : أنا كثيرُ الأسْفارِ في البَحرِ ، فإنْ هَلكتُ فهٰذا المالُ لكَ علىٰ أنْ تَصدَّقَ منه ، وتَبني المَساجدَ ، فأنا أفعلُ مثل هٰذا ، وقد ثمَّرَ اللهُ تعالى المالَ في يَدي ، فاكْتُم عليَّ ما عِشتُ .

قال الحاكمُ : كان السُّلطانُ لا يَتعرَّضُ لتَركَةِ ، ثم لمْ يَصْبرْ عن أموالِ دَعْلَج ، وقيلَ : لمْ يكنْ في الدُّنيا أيْسَرُ منه من التُّجَّار ، وتَركوا أوْقافَه ، رَحمَه الله .

ماتَ سنةَ إحْدَىٰ وخَمسينَ وثلاثِ ومئة[1] .

٢٨ـ قِصَّةُ محمود بن سُبُكتكين مع صَنَم سُومَنات :

وبَلَغَ السُّلطانَ أنَّ الهُنودَ قالوا : أَخرَبَ أكثرَ بلادِ الهِنْدِ غَضَبُ الصَّنَمِ الكبيرِ سُومَنات علىٰ سائِرِ الأصْنامِ ومَنْ حَولَها ، فعَزَمَ علىٰ غَزْوِ هٰذا الوَثَنِ ، وسَارَ يَطوِي القِفَارَ في جَيشِه إليه ، وكانوا يقُولونَ : إنَّه يَرْزُقُ ويُحْيِي ويُميتُ ويَسْمَعُ ويَعِي ، يَحُجُّون إليه ويُتْحِفُونَه بالنَّفائِس ، ويَتَغَازَلُون فيه كثيراً ، فتَجَمَّعَ عند هٰذا مالٌ يَتجاوَزُ الوَصْفَ ، وكانوا يَغْسِلُونَه كلَّ يوم بماءٍ وعَسَلٍ ولَبَن ، ويَنْقُلُونَ إليه الماءَ من نَهْرِ حيل مَسيرَةَ شَهرٍ ، وثلاثُ مِئَةٍ يَحْلِقُونَ رُؤُوسَ حُجَّاجِه ولِحَاهُم ، وثلاثُ مِئَةٍ يُغَنُّونَ فسَارَ الجَيشُ من غَزْنة ، وقَطَعُوا مَفَازَةً صَعبَةً وكانوا ثلاثينَ ألفَ فارسٍ وخَلْقاً من الرَّجَّالَةِ والمُطَّوِّعَة ، وقَوَّى المُطَّوِّعَةَ بخَمْسينَ ألفَ دينارٍ ، وأَنْفَقَ في الجَيْشِ فَوقَ الكِفَايةِ ،

---

(١) انظر السير : (دَعْلَج)١٦/ ٣٠ـ٣٥ ، وانظر النزهة : ١٢٦٦/ ٤ .

وارْتَحَلَ من المُليا ثانِيَ يوم الفِطْرِ سنةَ أرْبَعمائة وستَّةَ عَشَر ، وقاسُوا مَشَاقَّ وبَقُوا لا يَجِدُونَ الماءَ إلاَّ بعدَ ثلاثٍ ، غَطَّاهُم في يومٍ ضَبَابٌ عظيمٌ ، فقالت الكَفَرَةُ : هـٰذا من فِعْلِ الإلَهِ سُومَنات .

ثمَّ نازَلَ مدينةَ أَنْهَلْوَارَة ، وهَرَبَ ملِكُها إلىٰ جَزيرَةٍ ، فأَخْرَبَ المُسلمُونَ بلَدَه ، ودكُّوها ، وبينَها وبَيْنَ الصَّنَمِ مَسيرَةُ شَهرٍ في مَفَاوِزَ ، فسَارُوا حتىٰ نَازَلُوا مدينةَ دَبُولوارة ، وهي قَبْلَ الصَّنَمِ بيَوْمَيْن ، فأُخِذَت عُنْوَةً ، وكُسِرَتْ أَصْنَامُهَا ، وهي كثيرةُ الفَوَاكِه ، ثمَّ نَازَلُوا سُومَنات في رابعِ عَشَرَ ذي القِعدَة ، ولها قَلْعَةٌ مَنِيعَةٌ على البحرِ ، فوَقَعَ الحِصَارُ فنُصِبَت السَّلالِمُ عليها ، فهَرَبَ المُقاتِلَةُ إلى الصَّنَمِ وتَضَرَّعُوا له ، واشْتَدَّ الحالُ وهم يَظُنُّون أنَّ الصَّنَمَ قد غَضِبَ عليهم ، وكان في بيتٍ عظِيمٍ مَنِيعٍ علىٰ أبْوَابه السُّتُورُ الدِّيبَاجُ وعلى الصَّنَمِ من الحُليِّ والجَوَاهِر ما لا يُوصَف والقَنَادِيلُ تُضِيءُ ليلاً ونهاراً ، علىٰ رَأسِه تاجٌ لا يُقَوَّمُ ، يَنْدَهِشُ منه النَّاظِرُ ويَجْتَمِعُ عندَه في عِيدِهم نَحْوُ مِئَةِ ألفِ كافِرٍ ، وهو علىٰ عَرْشٍ بَدِيعِ الزَّخْرَفَةِ عُلُوَّ خَمسةِ أَذْرُعٍ ، وطُولُ الصَّنَمِ عَشرَةُ أَذْرُعٍ ، وله بَيْتُ مالٍ فيه من النَّفَائِسِ والذَّهَبِ ما لا يُحْصَىٰ ، فَفَرَّقَ مَحمُودٌ في الجُنْدِ مُعْظَمَ ذلك ، وزَعْزَعَ الصَّنَمَ بالمَعَاوِلِ ، فخَرَّ صَرِيعاً ، وكانت فِرقَةٌ تَعْتَقِدُ أنَّه مَنَات ، وأنَّه تَحَوَّلَ بنفسِه في أيَّام النُّبُوَةِ من سَاحِلِ جُدَّة ، وحَصَلَ بهـٰذا المَكَان ليُقْصَدَ ويُحَجَّ إليه مُعَارَضَةً للكَعْبَةِ ، فلمَّا رَآهُ الكُفَّارُ صَرِيعاً مَهيناً ، تَحَسَّرُوا وسُقِطَ في أيدِيهِم ، ثمَّ أُحْرِقَ حتىٰ صَارَ كلساً ، وأُلقِيَت النِّيرَانُ في قُصُورِ القَلْعَة ، وقُتِلَ بها خَمسُونَ ألفاً ، ثمَّ سارَ مَحمُودٌ لأَسْرِ المَلِكِ بهيم ، ودَخَلُوا بالمَرَاكِبِ ، فهَرَبَ ، وافْتَتَحَ مَحمُودٌ عِدَّةَ حُصُونٍ ومَدَائِنَ ، وعادَ إلىٰ غَزْنَة فدَخَلَها في ثامِنِ صَفَر سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، ودَانَتْ له المُلُوكُ ، فكانت مُدَّةُ الغَيْبَةِ مِئَةً وثلاثَةً وستِّينَ يوماً .

وقد خُطِبَ له بالغُورِ وبخُرَاسَان والسِّنْدِ والهِنْدِ وناحِيَةِ خَوَارِزْم وبَلْخ ، وهي من خُرَاسَان ، وبجُرجان وطَبَرِستان والرَّيِّ والجِبَال ، وأَصْبَهَان وأَذْرَبِيجان وهَمَذَان وأرْمِينيَة .

وكان مُكْرِماً لأُمَرَائِه وأَصْحابِه ، وإذا نَقَمَ عَاجَل ، وكان لا يَفْتُرُ ولا يَكَادُ يَقِرُّ وكان

يَعْتَقِدُ في الخَلِيفَةِ ، ويَخْضَعُ لجَلالِه ، ويَحْمِلُ إليه قَنَاطِيرَ من الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، وكان إلْباً على القَرَامِطَة والإسْمَاعيليّة وعلى المُتَكَلِّمين ، علىٰ بِدْعَةٍ فيه فيما قَبْل ، ويَغْضَبُ للكرّاميّة ، وتَصَرُّفه على الأخْلاقِ الزَّكيَّة ، وكان فيه شِدَّةُ وَطْأةٍ على الرَّعِيَّة ، ولكن كانوا في أَمْنٍ وإقامَة سِياسَة .

وقال مَحمُودٌ يوماً للأميرِ أبي طاهِر السَّامانيّ : كَمْ جَمَعَ آباؤُك من الجَوْهَرِ ؟ قال : سَمعتُ أنَّه كان عند الأميرِ الرَّضي سَبْعَةُ أرْطالٍ فسَجَدَ شُكراً وقال : أنا في خِزَانَتِي سَبْعُون رَطْلاً[1] .

٢٩ـ قِصَّةُ ابن عَقيل وعُقْدِ اللُّؤْلُؤ :

قالَ أبو الْمُظَفَّر سِبطُ ابنِ الجَوْزيِّ : حَكَى ابنُ عَقيل عن نَفسِه قالَ : حَجَجْتُ فالتَقَطتُ عُقدَ لُؤلُؤ في خَيطٍ أحْمَر ، فإذا شَيخٌ أعْمَىٰ يَنشُدُه ، ويَبذُلُ لِمُلتَقِطِه مئةَ دينار ، فرَدَدتُه عَليه ، فقالَ : خُذْ الدَّنانيرَ ، فامْتَنعتُ وخَرجْتُ إلى الشَّامِ ، وزُرتُ القُدسَ ، وقَصَدتُ بَغْدادَ ، فأوَيتُ بحَلَبَ إلىٰ مَسجِدٍ وأنا بَرْدانُ جائعٌ ، فقَدَّموني ، فصَلَّيتُ بهم ، فأطْعَمُوني ، وكانَ أوَّلُ رَمَضانَ فقالوا : إمامُنا تُوفِّيَ فَصَلِّ بنا هـٰذا الشَّهْرَ ، ففَعلتُ : فقالُوا : لإمَامِنَا بِنتٌ ، فزُوِّجْتُ بها ، فأَقَمتُ مَعَها سَنةً ، وأوْلَدتُها وَلَداً ذَكَراً فمَرِضَتْ في نِفَاسِهَا ، فتَأَمَّلتُها يَوماً فإذا في عُنُقِها العُقْدُ بعَيْنِه بخَيْطِه الأحْمَر فقُلتُ لها : لِهـٰذا قِصَّةٌ وحَكَيتُ لها ، فبَكَتْ ، وقالَت : أنتَ هُوَ ، والله لَقَدْ كانَ أبي يَبْكِي ، ويَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْ بِنْتي مثلَ الذي رَدَّ العُقدَ عَليَّ وقد اسْتَجابَ اللهُ منه ، ثم ماتَتْ ، فأخَذتُ العُقدَ والْمِيراثَ ، وعُدتُ إلىٰ بَغْدادَ[2] .

٣٠ـ قِصَّةُ الرَّجُل الصَّالح والجِنِّيِّ :

وحكَى ابنُ عَقيل عن نَفسِه قالَ : كانَ عِندَنا بالظَّفَرِيَّة دَارٌ ، كلَّما سَكَنَها نَاسٌ أصْبَحُوا مَوْتَىٰ فجاءَ مرَّة رَجلٌ مُقرِىءٌ ، فاكْتَراها ، وارْتَضىٰ بها ، فبَاتَ بها وأصْبحَ

---

(١) انظر السير : (السُّلطان) ١٧/ ٤٨٣ـ ٤٩٥ ، وانظر النزهة : ٣/١٣٥٣ .

(٢) انظر السير : (ابنُ عَقيل) ١٩/ ٤٤٣ـ ٤٥١ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٩٨ .

سالِماً ، فعَجبَ الجيرانُ ، وأقامَ مُدَّة ، ثم انتَقلَ ، فسُئلَ فقالَ : لَمَّا بِتُّ بها ، صَلَّيتُ العِشاءَ ، وقَرأتُ شَيئاً ، وإذا شَابٌّ قد صَعدَ من البئْر ، فسَلَّمَ عليَّ ، فبُهِتُّ ، فقالَ : لا بَأسَ عَليكَ ، عَلِّمْني شَيئاً من القُرآنِ ، فشَرَعتُ أُعلِّمُه ، ثم قُلتُ : هـٰذه الدَّارُ كيفَ حَديثُها ؟ قالَ : نحنُ جِنٌّ مُسْلمونَ ، نَقرأُ ونُصَلِّي ، وهـٰذه الدَّارُ ما يكتَريها إلاَّ الفُسَّاقُ فيَجتَمِعونَ على الخَمرِ ، فنَخنُقُهم ، قُلتُ : ففي اللَّيلِ أخَافُك ، فَجِيءْ نَهاراً ، قالَ : نَعَم ، فكانَ يَصْعَدُ من البئرِ في النَّهارِ ، وألِفْتُه فبَينَما هو يَقرَأ ، إذا بِمُعَزِّمٍ في الدَّربِ يَقُولُ : الْمُرْقِي من الدَّبيبِ ، ومنَ العَينِ ومن الجنِّ ، فقالَ : أيشٍ هـٰذا ؟ قُلتُ : مُعَزِّمٌ ، قالَ : اطْلُبهُ ، فقُمتُ وأدْخَلتُه ، فإذا بالجِنِّيِّ قد صارَ ثُعباناً في السَّقفِ ، فعَزَّمَ الرَّجُلُ ، فمَا زَالَ الثُّعْبانُ يَتدَلَّىٰ حتَّىٰ سَقطَ في وَسَطِ الْمِندَل ، فقامَ ليَأخُذَه ويَضَعَه في الزِّنْبيلِ ، فمَنَعتُه ، فقالَ : أتَمنَعُني من صَيْدي ؟! فأعْطَيتُه ديناراً ورَاحَ ، فانتُفَضَ الثُّعْبانُ ، وخَرَجَ الجِنِّيُّ ، وقد ضَعُفَ واصْفَرَّ وذَابَ ، فقُلتُ : مَا لَك ؟ قالَ : قَتَلَني هـٰذا بهـٰذه الأسَامي ، وما أظُنُّني أُفلِح ، فاجْعَلْ بالَكَ اللَّيلَةَ مَتَىٰ سَمعتَ في البئرِ صُراخاً ، فانْهَزِمْ ، قالَ : فسَمعتُ تِلكَ اللَّيلَة النَّعْيَ فانْهَزَمتُ قالَ ابنُ عَقيل : وامْتَنعَ أحَدٌ أنْ يَسكُنَ تِلكَ الدَّارَ بَعدَها[1] .

* * *

---

(١) انظر السير : (ابنُ عَقيل) ١٩/ ٤٤٣ـ٤٥١ ، وانظر النزهة : ١/١٤٩٩ .

(١٨) كوارثُ حَدَثَتْ في بَعضِ الأقْطَار

١ـ كوارثُ كوْنيّة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الخَليفَة العَبّاسيِّ الْمُتَوَكل على الله : وفي سَنة أرْبَعين ومئتَين فيها سَمعَ أهْلُ خِلاط(١) صَيْحَةً من السَّماءِ ماتَ منها جَماعَةٌ كثيرَةٌ(٢) .

وفي سَنةِ إحْدَىٰ وأرْبَعينَ ومئتَين ماجَت النُّجُومُ ، وتَناثَرَت شِبْهَ الجَرادِ أكثرَ اللَّيلِ فكَانَ ذَلكَ آيَةً مُزعِجَةً(٣) .

ودَخلَ الإمامُ أبو بَكر الطُّرْطُوشِيُّ بَغدادَ في حَياةِ أبي نَصْر الزَّيْنَبيِّ ، وأظنُّه سَمعَ منه ، وقالَ : رَأيتُ بها آيَةً في سَنةِ ثَمانٍ وسَبعينَ بعدَ العَصرِ ، فسَمِعنا دَوِياً عَظيماً وأقْبلَ ظَلامٌ ، فإذا رِيحٌ لَمْ أرَ مِثلَها ، سَوْداءُ ثَخينَةٌ ، فاسْوَدَّ النَّهارُ ، وذَهَبَت آثارُه ، وذَهَبَ أثرُ الشَّمسِ ، وبَقينا كأنَّنا في أشَدِّ ظُلمَة ، لا يُبصرُ أحَدٌ يَدَهُ ، ومَاجَ النَّاسُ ، ولَمْ نَشُكَّ أنَّها القِيامَةُ أوْ خَسْفٌ ، أوْ عَذابٌ قد نَزَلَ ، وبَقيَ الأمْرُ كَذلكَ قَدْرَ ما يَنضُجُ الخُبزُ ، ورَجَعَ السَّوادُ حُمْرةً كلَهَبِ النَّارِ ، أوْ جَمْراً يَتوقَّدُ ، فلَمْ نَشُكَّ حينَئذ أنَّها نارٌ أرْسَلَها اللهُ عَلَى العِبادِ ، وَأيسْنَا مِنْ النَّجاةِ ، ثمَّ مَكَثتْ أقَلَّ مِنْ مُكْثِ الظَّلام ، وتَجَلَّتْ بِحَمدِ اللهِ عَنْ سَلامَةٍ ، ونَهَبَ النَّاسُ بَعضُهُم بَعْضاً في الأسْوَاقِ ، وخَطَفُوا العَمَائمَ والْمَتاعَ ، ثمَّ طَلعَتِ الشَّمسُ ، وبَقيَتْ سَاعَةً إلى الغُرُوبِ .

وللطُّرْطُوشِيِّ مُؤلَّفٌ في تَحْريمِ الغِناءِ ، وكتابٌ في الزُّهْدِ ، وتَعليقة في الخِلافِ ، ومؤلَّفٌ في البِدَع ، والحَوادِث ، وبرِّ الوَالِدَينِ ، والرَّدِّ على اليَهُودِ ، والعمد في الأُصُولِ ، وأشياءَ .

---

(١) هي قصبة أرمينية الوسطىٰ .

(٢) انظر السير : (الْمُتَوَكلُ على الله) ١٢/ ٣٠ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٩٧٨/ ٤ .

(٣) انظر السير : (الْمُتَوَكلُ على الله) ١٢/ ٣٠ـ ٤١ ، وانظر النزهة : ٩٧٨/ ٥ .

تُوفِّيَ بالإِسْكَندَرِيَّة سَنةَ عِشْرينَ وخَمسِ مئة ، رَحِمَهُ الله[١] .

وفي سَنةِ ثَلاثٍ وعشْرينَ وسِتٍّ مئة زُلْزِلَت الْمَوْصِلُ وشَهْرزور ، وتَرَدَّدَت الزَّلْزَلَةُ عَليهم نيِّفاً وثَلاثين يَوماً ، وخَربَ أكثَرُ قُرَىٰ تلكَ النَّاحيَة ، وانْخَسَفَ القَمَرُ في السَّنَةِ مرَّتَينِ ، وجاءَ بالْمَوْصِلِ بَرَدٌ عَظيمٌ زِنَةُ الوَاحِدَة مِئتَا دِرْهَم وأقَل فأَهْلَكَ الدَّوابَّ .

وفي رَجَبَ منها تُوفِّيَ أميرُ الْمُؤمنينَ الظَّاهِرُ ، فكانَت خِلافَتُه تِسْعَة أشْهُر ونِصْفاً ، رَحِمَهُ الله ، وعاشَ اثنَتَينِ وخَمسينَ سَنةً ، وبايَعوا وَلَدَه الْمُسْتَنْصِرَ بالله أبا جَعْفَر[٢] .

٢ـ زَلازِل :

وفي سَنةِ اثنَتَينِ وأرْبَعينَ ومئتَين كانَت الزَّلْزَلَةُ بقُومِس ، والدَّامَغَانِ ، والرِّيِّ ، وطَبَرِسْتانَ ، ونيسَابُورَ ، وأَصْبَهَانَ ، وهَلكَ منها بِضعَةٌ وأرْبَعونَ ألفاً ، وانْهَدَّ نِصفُ مَدينَة الدَّامَغَان[٣] .

وفي سَنةِ خَمْسٍ وأرْبَعينَ ومئتَين عَمَّت الزَّلْزَلَةُ الدُّنيا ، وماتَ منها خَلائقُ وبَنَى الْمُتَوكلُ الْمَاحوزَةَ ، وسَمَّاها الجَعْفَريَّ ، وأنْفَقَ عَليها بَعدَ مُعَاوَنَة الجَيشِ له أَلْفَي ألف دينارٍ ، وتَحوَّلَ إليها ، وفيها[٤] وقعَ بناحِيَة بَلْخ مَطَرٌ كالدَّم العبيط[٥] .

وفي سَنةِ ثَلاثٍ وعشْرينَ وسِتٍّ مئة زُلْزِلَت الْمَوْصِلُ وشَهْرزور ، وتَرَدَّدَت الزَّلْزَلَةُ عَليهم نيِّفاً وثَلاثين يَوماً ، وخَربَ أكثَرُ قُرَىٰ تلكَ النَّاحيَة ، وانْخَسَفَ القَمَرُ في السَّنَةِ مرَّتَينِ ، وجاءَ بالْمَوْصِلِ بَرَدٌ عَظيمٌ زِنَةُ الوَاحِدَة مِئتَا دِرْهَم وأقَل فأَهْلَكَ الدَّوابَّ .

وفي رَجَبَ منها تُوفِّيَ أميرُ الْمُؤمنينَ الظَّاهِرُ ، فكانَت خِلافَتُه تِسْعَة أشْهُر ونِصْفاً ، رَحِمَهُ الله ، وعاشَ اثنَتَينِ وخَمسينَ سَنةً ، وبايَعوا وَلَدَه الْمُسْتَنْصِرَ بالله أبا جَعْفَر[٦] .

---

(١) انظر السير : (الطُّرْطُوشيُّ) ١٩/ ٤٩٠ـ٤٩٦ ، وانظر النزهة : ١/١٥٠١ .

(٢) انظر السير : (الظَّاهِرُ بأمْرِ الله) ٢٢/ ٢٦٤ـ٢٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٩١ .

(٣) انظر السير : (الْمُتَوَكلُ على الله) ١٢/ ٣٠ـ٤١ ، وانظر النزهة : ٦/٩٧٨ .

(٤) أي في سَنَةِ خَمْسٍ وأرْبَعينَ ومئتَين .

(٥) انظر السير : (الْمُتَوَكلُ على الله) ١٢/ ٣٠ـ٤١ ، وانظر النزهة : ٧/٩٧٨ .

(٦) انظر السير : (الظَّاهِرُ بأمْرِ الله) ٢٢/ ٢٦٤ـ٢٦٨ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٩١ .

٣ـ حَرائق :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أميرِ الْمؤمنينَ الْمأمون : وفي سَنةِ سَبعَ عَشْرَةَ ومئتَينِ وَقَعَ حَريقٌ عَظيمٌ بالبَصْرَةِ أذْهَبَ أكثَرَها[١] .

٤ـ غَرَق :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ أميرِ الْمؤمنينَ القائمِ العَبَّاسيّ : وفي سَنَةِ أرْبع وخَمسينَ وأرْبَع مئة زَوَّجَ أميرُ الْمُؤمنينَ القائمُ بِنتَه بطُغْرُلْبَك بعدَ اسْتِعْفاءٍ وكُرْهٍ ، وغَرِقَتْ بَغدَادُ ، وبَلَغَ الْمَاءُ أحَداً وعِشْرينَ ذِراعاً[٢] .

وفي سَنةِ سِتٍّ وستِّينَ وأرْبَع مئة غَرِقَتْ بَغدَادُ ، وأُقيمَت الجُمُعَة في السُّفُن مرَّتَينِ ، وهَلكَ خَلقٌ لا يُحْصَوْنَ ، حتَّىٰ لقِيلَ : إنَّ الْمَاءَ بَلغَ ثَلاثينَ ذراعاً ، حتَّىٰ لَقالَ سِبْطُ ابنُ الجَوْزيّ : وانْهَدَمت مئةُ ألف دارٍ[٣] .

٥ـ مَجاعَاتٌ وأَوْبِئَة :

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الْمُعْتَصِم : وفي سَنَةِ ثَمانِ عَشْرَة ومئتَين كانَ الوَباءُ الْمُفرِطُ والقَحْطُ بمِصْر ، وماتَ أكثَرُهم[٤] .

وفي سَنَةِ إحْدَىٰ وثَمانينَ ومئتَين : غارَت مياهُ طَبَرِسْتانَ ، حتَّىٰ لأبُيعَ الْمَاءُ ثَلاثَةُ أرْطَال بدِرهَم ، وجاعُوا ، وأكَلوا الْمَيتَة[٥] .

وفي سَنة ثَمانٍ وأرْبَعينَ وأرْبَع مئَة كانَ بالأنْدَلُسِ القَحْطُ ما سُمعَ بمثِله ، ويُسمُّونَه الجُوعَ الكَبير ، وكان بمِصْرَ القَحْطُ والفَناءُ[٦] .

---

(١) انظر السير : (الْمَأمون) ١٠/ ٢٧٢ـ ٢٩٠ ، وانظر النزهة : ٣/٨٧٨ .

(٢) انظر السير : (القَائم) ١٨/ ٣٠٧ـ ٣١٨ ، وانظر النزهة : ١/١٤١٨ .

(٣) انظر السير : (القَائم) ١٨/ ٣٠٧ـ ٣١٨ ، وانظر النزهة : ٢/١٤١٨ .

(٤) انظر السير : (الْمُعْتَصِم) ١٠/ ٢٩٠ـ ٣٠٦ ، وانظر النزهة : ٧/٨٧٨ .

(٥) انظر السير : (الْمُعْتَضِدُ بالله) ١٣/ ٤٦٣ـ ٤٧٩ ، وانظر النزهة : ٣/١١٠٧ .

(٦) انظر السير : (الْمُسْتَنصِر بالله) ١٥/ ١٨٦ـ ١٩٦ ، وانظر النزهة : ١/١٢١٢ .

وكان غَلاءٌ مُفْرطٌ ببَغْدادَ وفَناءٌ ، وأمَّا بما وَراءَ النَّهْرِ فتَجاوَزَ الوَصْفَ .

وفي سَنةِ إحْدَىٰ وستِّينَ وأرْبَع مئَة كان حَريقُ جامعِ دِمَشْقَ ، ودُثِرَت مَحاسِنُه واحْتَرقَتِ الخَضْراءُ مَعَه ـ وكانَت دَارَ المُلْك ـ من حَربٍ وَقعَ بينَ عَسْكَرِ العِراقِ ، وعَسْكَرِ مِصْرَ .

وفي سَنة اثنتَين وستِّينَ وأرْبَع مئَة ، قُطِعَت من مَكَّة الدَّعْوَة المُسْتَنصِريَّة وخُطِبَ للقَائمِ بأمْرِ الله ، وتُرِكَ الأذَانُ بـ « حَيَّ عَلي خَيْرِ العَمَل » وذلكَ لذِلَّة المِصْريِّينَ بالقَحْطِ الأكْبَر وفَنائِهم وأكَلَ بَعضُهم بَعضاً وتَمزَّقُوا في البلادِ من الجُوعِ ، وتَمَحَّقَتْ خَزائنُ المُسْتَنصِر ، وافْتَقَرَ ، وتَعثَّر[1] .

وفي هٰذه النَّوْبَة نَقلَ صاحبُ « المِرْآة » أنَّ امْرأةً خَرجَتْ وبيَدِها مُدُّ لؤلؤ لتَشْتَري به مُدَّ قَمْح ، فلَمْ يَلتَفِتْ إليها أحد ، فرَمَتهُ فما كانَ له مَنْ يَلتَقطُه ، فكادَ الخَرابُ أنْ يَسْتَولي علىٰ سائِر الأَقَاليمِ ، حتىٰ لأُبيعَ الكلبُ بسِتَّة دَنانيرَ والقِطُّ بثَلاثة دَنانيرَ ، حتىٰ أُبيعَ الإرْدَبُّ بمئَة دينار[2] .

قال ابنُ الأثير : اشْتدَّ الغَلاءُ حتىٰ حُكيَ أنَّ امْرأةً أكَلَت رَغيفاً بألفِ دِينار ، باعَت عروضاً تُساوي ألفَ دِينار بثَلاثِ مئَة دِينَار ، فاشْتَرَت به جُوالِقَ[3] قَمْح ، فانْتَهَبَهُ النَّاسُ ، فنَهَبَت هيَ منه فحَصَلَ لهَا ما خُبِزَ رَغيفاً[4] .

وفي دَولة المُسْتَنصِر وَقعَ القَحْطُ المَذْكورُ لاحْتراقِ النِّيلِ الذي ما عُهِدَ مثله بمِصْرَ من زَمَنِ يُوسُفَ عليه السلام ، ودامَ سَنواتٍ بحَيثُ إنَّ والدَةَ المُسْتَنصِر وبنَاتِه سَافَرْنَ من مِصْرَ خَوفاً من الجُوعِ ، وآلَ أمْرُهُ إلىٰ عَدمِ كُلِّ الدَّوابِّ ببلادِ مِصْرَ ، بحَيثُ بَقيَ له فَرسٌ يَركَبُها ، واحْتاجَ إلىٰ دابَّة يَركَبُها حَاملُ الجِتْر[5] يومَ العِيدِ وَراءَهم ، فمَا وَجَدوا سِوَىٰ

---

(١) انظر السير : (المُسْتَنصِر بالله) ١٥/ ١٨٦ـ ١٩٦ ، وانظر النزهة : ١٢١٢/ ٢ .

(٢) انظر السير : (المُسْتَنصِر بالله) ١٥/ ١٨٦ـ ١٩٦ ، وانظر النزهة : ١٢١٢/ ٣ .

(٣) وعاء من صوف أو غيره ، جمعُه : جَوالق ـ بفتح الجيم ، وهو عند العامَّة (شِوال)

(٤) انظر السير : (المُسْتَنصِر بالله) ١٥/ ١٨٦ـ ١٩٦ ، وانظر النزهة : ١٢١٢/ ٤ .

(٥) الجِتْر : بكسر الجيم ، المظلَّة .

بَغْلَة ابنِ هِبَة كاتبِ السِّرِّ فوَقَفَتْ علىٰ بابِ القَصْر ، فازْدَحَمَ عَليهَا الحَراشِفَةُ[1] وذَبَحُوها وأكَلُوها في الحَالِ ، فأخَذَهُم الأعْوَانُ وشُنِقُوا ، فأصْبَحَتْ عِظامُهم على الجُذُوعِ قَد أُكِلُوا تَحْتَ اللَّيلِ .

ماتَ المُسْتَنصِرُ سَنةَ سَبع وثَمانين وأرْبَع مئَة ، وقد قَارَبَ السَّبْعينَ ، وكانَ سَبُّ الصَّحابَة فاشِياً في أيَّامِه ، والسُّنَّةُ غَريبَةٌ مَكتومَةٌ ، حتىٰ إنَّهم مَنَعوا الحَافظَ أبا إسْحاقَ الحبَّالَ من رِوايَة الحَديث ، وهَدَّدُوه فامْتَنَعَ ، ثم قامَ بعدَ المُسْتَنصِرِ ابنُه أحمَدُ[2] .

وفي سَنةِ ثَمانٍ وأرْبَعينَ وأرْبَع مئة ، كانَ القَحْطُ عَظيماً بمِصْرَ وبالأنْدَلُسِ ، وما عُهِدَ قَحطٌ ولا وَباءٌ مثلُه بقُرْطُبَةَ ، حتَّىٰ بَقيَتِ الْمَساجِدُ مُغلَقَةً بِلا مُصَلٍّ وسُمِّيَ عَامَ الجُوعِ الكَبيرِ[3] .

وفي سَنةِ تِسْعٍ وأرْبَعينَ وأرْبَع مئة أخَذَ طُغْرُلْبَك الْمَوْصِلَ ، وسَلَّمَها إلىٰ أخيه يَنَالَ وكَتبَ في ألْقَابه : مَلِكُ الْمَشْرقِ والْمَغرِبِ ، وفيها كانَ الجُوعُ الْمُفرِطُ ببَغْدادَ والفَنَاءُ ، وكَذلكَ ببُخَارَىٰ وسَمَرْقَنْدَ حتَّىٰ يُقَالُ : هَلكَ بما وَراءَ النَّهرِ ألفُ ألفٍ وسِتُّ مئةِ ألْفٍ[4] .

واشْتَدَّ بإفْريقيَّةَ القَحْطُ ، لا بَلْ كانَ القَحْطُ عامّاً ، فقالَ الْمُؤيَّدُ عِمادُ الدِّين : فيها كانَ الغَلاءُ العامُّ من خُراسَانَ إلى العِراقِ إلى الشَّامِ إلىٰ بلادِ الْمَغرِب[5] .

* * *

---

(١) كالشُّطار والعيارين في بغداد .

(٢) انظر السير : (المُسْتَنصِر بالله) ١٥/ ١٨٦ـ ١٩٦ ، وانظر النزهة : ٥/١٢١٢ .

(٣) انظر السير : (القَائم) ١٨/ ٣٠٧ـ ٣١٨ ، وانظر النزهة : ٥/١٤١٧ .

(٤) انظر السير : (القَائم) ١٨/ ٣٠٧ـ ٣١٨ ، وانظر النزهة : ٦/١٤١٧ .

(٥) انظر السير : (الْمُقْتَفي لأمْرِ الله) ٢٠/ ٣٩٩ـ ٤١٢ ، وانظر النزهة : ٥/١٥٦٨ .

(١٩) عُيُونُ السُّلْطَان

١ـ شِدَّةُ تَحَرُّزِ الإِنْسَان في الكلامِ أمامَهم :

عن حاتِمِ الأَصَمِّ قالَ : لَوْ أَنَّ صاحِبَ خَبَرٍ جَلسَ إِلَيكَ ، لَكُنتَ تَتَحَرَّزُ منه ، وكَلامُكَ يُعرَضُ على الله فلا تَحْتَرِزْ!!(١) .

٢ـ الحَذَرُ منهُم :

قالَ ابنُ الأثيرِ في أوَّل « جامعِ الأُصُولِ » وكانَ الإمامُ النَّسائيُّ شافِعياً ، له مَناسِك علىٰ مَذهَب الشَّافِعيِّ ، وكانَ وَرِعاً مُتَحرِّياً ، قيلَ : إنَّه أَتى الحَارِثَ بنَ مِسْكينَ في زِيٍّ أنْكَرَه ، عليه قَلنْسُوة وقَباء ، وكان الحارِثُ خائفاً من أُمُورٍ تَتَعلَّقُ بالسُّلطانِ فخَافَ أنْ يَكُونَ عَيْناً عَليه ، فمَنَعَه ، فكانَ يَجيءُ فيَقعُدُ خَلفَ البَابِ ويَسمَع ، ولِذلكَ ما قالَ : حدَّثنا الحارِثُ ، وإِنَّما يَقُولُ : قالَ الحارِثُ بنُ مَسْكين قِراءَةً عَليه وأنا أَسْمَعُ .

قالَ ابنُ الأثيرِ : وسَأَلَ أميرٌ أبا عبدِ الرحمَـٰن عن سُنَنِه : أَصَحيحٌ كلُّه ؟ قالَ : لا قالَ : فاكْتُبْ لنا منه الصَّحيحَ ، فجرَّدَ الْمُجْتَنىٰ(٢) .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هَـٰذا لَمْ يَصِحَّ ، بَلِ « الْمُجْتَنَىٰ » اخْتيارُ ابنُ السنِّي .

قالَ الحافِظُ ابنُ طاهِر : سَأَلتُ سَعدَ بنَ عَليٍّ الزَّنْجَانيَّ عن رَجلٍ ، فوَثَّقَه فقُلتُ : قد ضَعَّفَه النَّسائيُّ ، فقالَ : يا بُنيَّ! إنَّ لأبي عبدِ الرحمَـٰن شَرطاً في الرِّجالِ أشَدُّ من شَرطِ البُخَاريِّ ومُسْلِم .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : صَدقَ ، فإنَّه لَيَّنَ جَماعَةً من رِجالِ صَحيحَي البُخاريِّ ومُسْلِم .

قالَ محمَّدُ بنُ الْمُظَفَّر الحافِظُ : سَمعتُ مَشايخَنا بمِصْرَ يَصِفُونَ اجْتهَادَ النَّسائيِّ في

---

(١) انظر السير : (حاتمُ الأصَمُّ) ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ ، وانظر النزهة : ١/٩٦١ .

(٢) كذا الأَصْلُ « الْمُجتَنَىٰ » بالنون ، وهو في « جامع الأصول » الْمُجتَبىٰ بالباء ، وكلاهما صحيح .

العِبَادَة بالليلِ والنهارِ ، وأنَّه خَرَجَ إلى الفِداءِ مع أميرِ مِصْرَ فوُصِفَ من شَهامَتِه وإقَامَتِه السُّنَنَ الْمَأثورَةَ في فِدَاءِ الْمُسلِمينَ ، واحْتِرازِه عن مَجَالِسِ السُّلطَانِ الذي خَرجَ مَعه ، والانْبساطِ في الْمَأكَلِ ، وأنَّه لَمْ يَزَلْ ذَلكَ دَأبُه إلىٰ أنْ استُشهِدَ بدِمَشْقَ من جهَة الخَوارِجِ[1] .

٣ـ صُوَرٌ على انْبِثاثِهم بين النَّاس :

حدَّثنا عبدُ الرحمَـٰن بنُ يَزيد بن جابرٍ ، قالَ : كُنَّا مع رَجاءَ بنِ حَيْوَة فتَذاكَرْنا شُكرَ النِّعَم فقالَ : ما أحَدٌ يَقُومُ بشُكرِ نِعْمَة ، وخَلفَنا رَجلٌ علىٰ رَأسِه كِسَاءٌ ، فقالَ : ولا أميرُ الْمُؤمنينَ ؟ فقُلنَا : وما ذِكْرُ أميرِ الْمُؤمنينَ هنا وإنَّما هو رَجُلٌ من النَّاسِ قالَ فغَفَلنا عنه ، فالْتَفتَ رَجاءُ فلَمْ يَرَه فقالَ : أُتيتُم من صَاحِبِ الكِسَاءِ فإنْ دُعيتُم فاستُحلِفتُم فاحْلِفُوا ، قالَ : فما عَلمْنا إلاَّ بحَرَسيٍّ قد أقبَلَ عَليه ، قالَ : هيه يا رَجَاءُ ، يُذكَرُ أميرُ الْمُؤمنينَ ، فلا تَحتَجُّ له ؟ قالَ : فقُلتُ : وما ذَاكَ يا أميرَ الْمُؤمنينَ ؟ قالَ : ذَكرُتم شُكرَ النِّعَم ، فقُلتُم : ما أحَدٌ يَقُومُ بشُكرِ نِعْمَةٍ ، قيلَ لَكُم : ولا أميرُ الْمُؤمنينَ ، فقُلتَ : أميرُ الْمُؤمنينَ رَجُلٌ من النَّاسِ فقُلتُ : لَمْ يَكُنْ ذَلكَ ، قالَ : آللهِ ؟ قُلتُ آللهِ قالَ : فأمَرَ بذَلكَ الرَّجُل السَّاعي ، فضُربَ سَبعينَ سَوْطاً فخَرَجتُ وهو مُتلوِّثٌ بدَمِه فقالَ : هَـٰذا وأنْتَ رَجاءُ بنُ حَيْوَة!! ؟ قُلتُ : سَبعينَ سَوْطاً في ظَهرِكَ خَيرٌ من دَم مُؤمنٍ قالَ ابنُ جابرٍ : فكانَ رَجاءُ بنُ حَيوَةَ بَعدَ ذَلكَ إذا جَلسَ في مَجلِسٍ يَقُولُ ويَتَلَفَّتُ : احْذَرُوا صَاحِبَ الكِسَاء[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الحَكمِ بن هِشام بنِ عبدِ الرحمَـٰن الدَّاخِل الأمَويّ الأنْدَلُسيّ : وكَثُرت العُلماءُ بالأنْدَلُسِ في دَولتِه ، حتَّىٰ قيلَ : إنَّه كانَ بقُرْطُبَةَ أربعة آلاف مُتَقلِّس مُتَزَيِّين بزيِّ العُلماءِ ، فلمَّا أرادَ الله فناءَهم ، عَزَّ عليهم انْتِهاكُ الحَكَم للحُرُماتِ ، واتَمَروا ليَخْلَعوه ، ثم جَيَّشوا لقِتاله ، وجَرَت بالأنْدَلُسِ فِتنَةٌ عَظيمَةٌ على الإسْلامِ وأهْلِه ، فلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، فذَكرَ ابنُ مُزين في تاريخه طَالوتَ بنَ عبدِ الجَبَّارِ

---

(١) انظر السير : (النَّسَائيُّ) ١٤/ ١٢٥ـ ١٣٥ ، وانظر النزهة : ١/١١٣٨ .

(٢) انظر السير : (رَجاءُ بنُ حَيْوَة) ٤/ ٥٥٧ـ ٥٦١ ، وانظر النزهة : ١/٥٥٩ .

الْمُعَافريَّ ، وأنَّه أحَدُ العُلماءِ العَامِلينَ الشُّهَداء الذين هَمُّوا بخَلع الحَكَم ، وقالوا : إنَّه غَيرُ عَدلٍ ونَكثُوه في نُفوسِ العَوَامِّ ، وزَعَموا أنَّه لا يَحِلُّ الْمُكْثُ ولا الصَّبْرُ علىٰ هٰذه السِّيرَة الذَّميمَة ، وعَوَّلوا علىٰ تَقديمِ أحَدِ أهْلِ الشُّورَىٰ بقُرْطُبَةَ ، وهو أبو الشَّمَّاسِ أحمَدُ بنُ الْمُنْذِر بنِ الدَّاخِل الأُمَويُّ ابنُ عَمِّ الحَكَم لِمَا عَرَفوا من صَلاحِه ، وعَقلِه ، ودِينِه ، فقَصَدوه وعَرَّفوه بالأمْرِ ، فأبْدَى الْمَيْلَ إليهم ، والبُشْرَىٰ بهم ، وقالَ لهم : أنتم أضْيَافي اللَّيلَة ، فإنَّ اللَّيلَ ، أسْتَر ، وناموُا ، وقامَ هو إلى ابنِ عمِّه بجَهلٍ ، فأخْبَرَه بشأنِهم ، فاغْتاظَ لذلك ، وقالَ : جئتَ لسَفك دَمي أو دِمائِهم ، وهم أعْلامٌ ، فمن أين نَتوصَّلُ إلىٰ ما ذَكرتَ ؟ فقالَ : أرْسِلْ معي مَنْ تَثقُ به ليَتحقَّق ، فوَجَّهَ مَنْ أحَبَّ ، فأدْخَلَهم أحمَدُ في بَيتِه تَحتَ سِتْر ، ودَخلَ اللَّيلُ ، وجاءَ القَومُ ، فقالَ : خَبِّرُوني مَنْ مَعَكُم ؟ فقالوا : فُلانٌ الفَقيهُ ، وفُلانٌ الوَزيرُ ، وعدُّوا كباراً والكاتِبُ يَكتُبُ حتَّى امْتلأ الرَّقُّ ، فمَدَّ أحَدُهم يدَه وَراءَ السِّتْرِ ، فرَأى القَومَ ، فقامَ وقامُوا ، وقالُوا : فعَلتَها يا عَدُوَّ اللهِ ، فمَنْ فَرَّ لِحينه ، نَجا ومَنْ لا ، قُبِضَ عليه ، فكانَ مِمَّنْ فَرَّ عيسَىٰ بنُ دينار الفَقيه ، ويَحْيَىٰ بنُ يَحْيَى الفَقيهُ صاحِبُ مَالِك ، وقُرْعُوسُ بنُ العَبَّاسِ الثَّقَفيُّ .

وقُبِضَ علىٰ ناسٍ كأبي كَعْب ، وأخيه ، ومَالِكِ بنِ يَزيد القاضي ، وموسَىٰ بنِ سَالِم الخَوْلاني ، ويَحْيَىٰ بنِ مُضَر الفَقيه ، وأمثالهم من أهْلِ العِلمِ والدِّين ، في سَبعَةٍ وسَبعينَ رَجُلاً ، فضُربَت أعْناقُهم ، وصُلِبُوا .

وأضاف إليهم عَمَّيه كُلَيْباً ، وأمية ، فصُلبا ، وأَحْرَقَ القُلوبَ عليهم ، وسارَ بأمرِهم الرِّفاقُ ، وعَلمَ الحَكَمُ أنَّه مَحْقودٌ من النَّاسِ كُلِّهم ، فأخَذَ في جَمع الجُنودِ والحَشَم وتَهيَّأ ، وأخَذَت العامَّةُ في الهَيَج ، واسْتأسَدَ النَّاسُ ، وتَنمَّروا ، وتأهَّبوا ، فاتَّفقَ أنَّ مَمْلوكاً خَرجَ من القَصرِ بسَيفٍ دَفعَه إلى الصَّيْقَل ، فمَاطَله ، فسَبَّه ، فجاوَبَه الصَّيْقَلُ فتَضارَبا ونالَ منه الْمَملوكُ ، حتىٰ كادَ أنْ يُتْلِفَه ، فلمَّا تركَه ، أخذَ الصَّيْقَلُ السيفَ فقتلَ به الْمَمْلوكَ ، فتألَّبَ إلى الْمَقتُولِ جَماعَةٌ ، وإلى القاتِلِ جَماعَةٌ أُخْرَىٰ ، واسْتَفحَلَ الشَّرُّ ، وذلك في رَمضانَ سَنةَ اثنتَين ومئتَين ، وتَداعَىٰ أهْلُ قُرطُبَة من أرْباضِهم ، وتألَّبوا بالسِّلاحِ ، وقَصَدوا القَصرَ ، فرَكبَ الجَيشُ والإمامُ الحَكَمُ ، فهَزَموا العامَّةَ ،

وجاءَهم عَسكَرٌ من خَلفِهم ، فوَضَعوا فيهم السَّيفَ ، وكانَت وَقعةً هائلَةً شَنيعَةً ، مَضىٰ فيها عَددٌ كَثيرٌ زُهاءَ عن أربَعينَ ألفاً من أهْلِ الرَّبَض ، وعايَنوا البَلاءَ من قُدَّامِهم ومن خَلفِهم فتَداعُوا بالطَّاعَة ، وأذْعَنوا ولا ذُوا بالعَفْوِ ، فعَفا عَنهم علىٰ أنْ يَخرُجوا من قُرطُبَة ، ففعَلوا وهُدِّمَت ديارُهم ومَساجِدُهم .

ماتَ الحَكَمُ سَنةَ سِتٍّ ومئتين ، وله ثَلاثٌ وخَمسونَ سَنةً ، وَوَلِيَ الأنْدَلُسَ بَعْدَه ابنُه أبو الْمُطَرِّف عبدُ الرحمَـٰن[1] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرْجَمَة أبي مُسْهِر : قالَ عليُّ بنُ عُثمانَ النُّفَيليُّ : كُنَّا علىٰ بابِ أبي مُسْهِر جَماعَةً من أصْحابِ الحَديثِ ، فمَرِضَ ، فعُدْناه ، وقُلنا : كيفَ أصْبَحتَ ؟ قالَ : في عافيَةٍ ، راضِياً عن اللهِ ، ساخِطاً علىٰ ذي القَرْنَين ، كيف لَمْ يَجعلْ سَداً بيننا وبين أهلِ العِراقِ ، كما جَعلَه بين أهْلِ خُراسانَ وبينَ يأجُوجَ ومَأجُوجَ ، فما كانَ بعد هـٰذا إلاَّ يَسيراً حتىٰ وَافى الْمَأمُونُ دِمَشْقَ ، ونَزلَ بدَيرِ مُرَّان وبَنى القُبَّةَ فَوقَ الجَبَل ، فكانَ باللَّيلِ يَأمُرُ بجَمْرٍ عَظيمٍ ، فيُوقَد ويُجعَلُ في طُسوتٍ كبار ، تُدَلَّىٰ من عند القُبَيْبَة بسَلاسِلَ وحِبال ، فتُضيءُ لها الغُوطَةُ ، فيُبصِرُها باللَّيلِ .

وكان لأبي مُسْهِر حَلقةٌ في الجامِع بين العِشاءَين عند حائطِ الشَّرقيِّ ، فبَينما هو لَيلةً ، إذ قد دَخَل الجامِعَ ضَوءٌ عَظيمٌ ، فقالَ أبو مُسْهِر : ما هـٰذا ؟ قالوا : النَّارُ التي تُدَلَّىٰ من الجَبلِ لأميرِ المؤمنينَ حتىٰ تُضيءَ له الغُوطَةَ فقالَ ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴾[2] ، وكان في الحلقة صاحِبُ خَبرٍ للمَأمُونِ ، فرَفعَ ذلك إلى الْمَأمُونِ ، فحَقَدَها عليه .

فلمَّا رَحلَ الْمَأمُونُ ، أمَرَ بحَمْلِ أبي مُسْهِر إليه ، فامْتَحنَه بالرِّقَّة في القُرآنِ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : قد كانَ الْمَأمُونُ بأساً وبلاءً على الإسْلام[3] .

---

(١) انظر السير : (الحَكَم بن هشام) ٨/ ٢٥٣ـ ٢٦٠ ، وانظر النزهة : ٢/٧٥١ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتين : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر السير : (أبو مُسْهِر) ١٠/ ٢٢٨ـ٢٣٨ ، وانظر النزهة : ٢/٨٧٢ .

قالَ القاضي ابنُ وَاصِل : كانَ النَّاصِرُ لدين الله شَهْماً شُجاعاً ذا فِكرَةٍ صائبة وعَقلٍ رَصينٍ ومَكْرٍ ودَهاءٍ ، وكانَت هَيبَتُه عَظيمَةٌ جداً ، وله أصْحابُ أخْبار بالعِراقِ وسائر الأطْراف يُطالِعُونَه بجُزئياتِ الأمُور .

قالَ : وكانَ رَديء السِّيرَة في الرَّعيّة ، مَائِلاً إلى الظُّلمِ والعَسْفِ فخَربَت في أيَّامه العِراقُ وتَفرَّقَ أهلُها وأخَذَ أمْلاكَهم ، وكانَ يَفعَلُ أفْعَالاً مُتضادَّةً ، ويَتشَيَّعُ بخِلافِ آبائه[1] .

* * *

(١) انظر السير : (النَّاصِرُ لِدينِ الله) ٢٢/ ١٩٢ـ٢٤٢ ، وانظر النزهة : ٣/١٦٨٥ .

(٢٠) المُبَالَغَة

١ـ مُبالَغَاتٌ قِيلَت للتَّحْذيرِ من الوَاقِع والتَّحسُّر على الماضي :

قالَ فُراتٌ : سَمعتُ مَيْمُونَ بنَ مِهْرانَ يَقُولُ : لَوْ نُشِرَ فيكُم رَجُلٌ من السَّلفِ ما عَرَفَ إلاَّ قِبلَتَكم[١] .

وعن مُعاوِيَةَ بنِ قُرَّة قالَ : أدْرَكتُ سَبعينَ من الصَّحابَة ، لَوْ خَرَجُوا فيكُم اليَومَ ، ما عَرفُوا شَيئاً مِمَّا أنتم فيه إلاَّ الأذَان[٢] .

٢ـ مُبالَغَةٌ قِيلَت وخُطِّىءَ قائلُها :

عن مُغيرَةَ قالَ : حَجَّ حَمَّادُ بنُ أبي سُليْمانَ ، فلمَّا قَدِمَ أتَيناهُ نُسلِّمُ عَليه فقالَ : أبْشِرُوا يا أهْلَ الكُوفَة ، فإنِّي قَدِمتُ علىٰ أهْلِ الحِجَازِ ، فَرَأيتُ عَطَاءً وطَاوُوساً ومُجاهِداً ، فصِبْيانُكُم ، بَلْ صِبْيانُ صِبْيانِكُم أفْقَهُ منهم .

قالَ مُغيرَة : فرَأينا أنَّ ذَاكَ بَغيٌ منه[٣] .

٣ـ رَدُّ الذهبيِّ مُبالَغَاتِ سِبْطِ ابنِ الجَوزِيِّ في كتابه « مِرْآةُ الزَّمَان » :

جاء في ترجمة ابن الجَوْزيِّ ، قال الذهبيُّ : قال سِبْطُه أبو المُظفَّر : تُوفِّيَ أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي ليلة الثالث عَشرَ من رَمضانَ سنة سَبعٍ وتسعين وخَمسِ مئة ، وغُلِّقَت الأسْواقُ ، وجاءَ الخَلقُ ، وصَلَّىٰ عليه ابنُه أبو القاسم عليٌّ اتِّفاقاً ، لأنَّ الأعْيانَ لمْ يَقدِروا من الوُصولِ إليه ، ثم ذَهبوا به إلىٰ جامع المَنْصُور ، فصلُّوا عليه ، وضاقَ بالنَّاس ، وكان يوماً مَشْهوداً ، فلمْ يَصلْ إلىٰ حُفْرَته بمَقْبَرَةِ أحمَدَ إلىٰ وَقتِ صَلاةِ الجُمُعَة ، وكان في تمُّوز ، وأفْطَرَ الخَلقُ ، ورَمَوا نُفوسَهم في الماء إلىٰ أن قال :

---

(١) انظر السير : (مَيْمُونُ بنُ مِهْران) ٥/ ٧١ـ ٧٨ ، وانظر النزهة : ٥/٥٨٢ .

(٢) انظر السير : (مُعاوِيَةُ بنُ أبي قُرَّة) ٥/ ١٥٣ـ ١٥٥ ، وانظر النزهة : ٢/٥٩٤ .

(٣) انظر السير : (حَمَّادُ بنُ أبي سُليْمانَ) ٥/ ٢٣١ـ ٢٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/٥٩٨ .

وما وَصلَ إلىٰ حُفْرتِه من الكَفَنِ إلاَّ قَليلٌ ، كذا قال ، والعُهْدةُ عليه ، وأُنزِلَ في الحُفرَةِ ، والمُؤذِّنُ يقولُ : اللهُ أكبَر ، وحَزنَ عليه الخَلقُ ، وباتوا عند قَبرِه طُولَ شَهرِ رَمضانَ يَختِمونَ الخَتَمات ، بالشَّمْعِ والقَناديلِ ، ورآهُ في تلك اللَّيلَةِ المُحَدِّثُ أحمدُ بنُ سَلمان السُّكَّر في النَّومِ ، وهو علىٰ مِنْبَرٍ من ياقُوت ، وهو جالسٌ في مَقْعَد صِدْقٍ والمَلائكَةُ بين يَديْه[1] وأصْبَحنا يومَ السَّبت عملنا العزاء ، وتكلَّمْتُ فيه ، وحَضرَ خَلقٌ عَظيمٌ ، وعُمِلَتْ فيه المَراثي[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في « تاريخ الإسلام » مُعقِّباً علىٰ قولِ سِبطِ ابنِ الجَوْزيِّ : وهـٰذا من مجازفة أبي المظفر .

وذَكَرَ أبُو المُظفَّر الواعِظُ في « مِرْآةِ الزَّمانِ » : وفي ذِي القِعْدَة سَنَةَ سِتٍ وتِسْعينَ وخَمسِ مِئَة كان ما اشْتُهرَ من أمْرِ الحافظِ عبد الغَنيّ وإصْراره علىٰ ما ظَهَرَ من اعْتِقادِه وإجْمَاعِ الفُقَهاءِ على الفُتْيَا بتَكْفِيرِه ، وأنَّه مُبْتَدِعٌ لا يَجُوزُ أنْ يُتْرَكَ بينَ المُسلمينَ ، فسَألَ أنْ يُمْهَلَ ثلاثَةَ أيّامٍ لِيَنْفَصِلَ عن البَلَدِ فأُجِيب[3] .

قال الذهبيُّ : قد بَلَوْتُ علىٰ أبي المُظَفَّر المُجازَفَةَ وقِلَّةَ الوَرَعِ فيما يُؤرِّخُه واللهُ المَوعِدُ ، وكان يَتَرَفَّضُ ، رأيتُ له مُصَنَّفاً في ذلكَ فيه دَواهٍ ، ولَوْ أجْمَعَتِ الفُقَهاءُ علىٰ تَكْفيرِه كما زَعَمَ لمَا وَسِعَهُم إبْقَاؤهُ حيّاً ، فقَد كان علىٰ مَقالَتِه بدِمَشْقَ أخُوهُ الشَّيخُ العِمَادُ والشَّيخُ مُوَفَّقُ الدّين ، وأخُوهُ القُدوَةُ الشَّيخُ أبُو عُمَرَ ، والعَلاَّمَة شَمسُ الدّين البُخاريّ ، وسائِرُ الحَنابلَة ، وعِدّةٌ من أهْلِ الأثَر ، وكان بالبَلَدِ أيْضاً خَلْقٌ من العُلَماء لا يُكَفِّرُونَه ، نَعَمْ ولا يُصَرِّحُون بمَا أطْلَقَهُ من العِبارَةِ لمَّا ضايَقُوهُ ، ولَوْ كَفَّ عن تِلك العِبَاراتِ ، وقال بمَا وَرَدَتْ به النُّصُوصُ لأجَادَ ولَسَلِمَ ، فهُو الأوْلَىٰ ، فما في تَوْسِيعِ العِباراتِ المُوهِمَةِ خَيرٌ ، وأسْوأُ شَيءٍ قالَه أنْ ضَلَّلَ العُلَماءَ الحاضِرين ، وأنَّه على الحَقِّ ، فقَالَ كَلِمَةً فيها شَرٌّ وفَسادٌ وإثارَةٌ للبَلاءِ ، رَحِمَ اللهُ الجَميعَ وغَفَرَ لَهُم ، فمَا

---

(١) تمام الخبر : والحقُّ سبحانه وتعالىٰ حاضرٌ يسمع .

(٢) انظر السير : (أبو الفَرج ابن الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٦ .

(٣) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ١/١٦٥٠ .

قَصْدُهُم إلاَّ تَعْظيمُ البَارِي عَزَّ وجَلَّ من الطَّرَفَيْن ، ولكنَّ الأكْمَلَ في التَّعْظيمِ والتَّنْزيه الوُقُوفُ معَ أَلْفاظِ الكِتابِ والسُّنَّةِ ، وهَـٰذا هو مَذْهَبُ السَّلَفِ رَضي اللهُ عنهم .

وبكُلِّ حالٍ فالحَافِظُ عبدُ الغَنيِّ من أهْلِ الدِّينِ والعِلْمِ والتَّألُّهِ والصَّدْعِ بالحَقِّ ، ومَحَاسِنُهُ كَثيرةٌ ، فنَعُوذُ باللهِ من الهَوَىٰ والمِراءِ والعَصَبيّةِ والافْتِراءِ ، ونَبْرأُ من كُلِّ مُجَسِّمٍ ومُعَطِّلٍ[1] .

٤ـ ضَبْطُ الذهبيِّ ما جاءَ عن السَّلَف مُبالَغاً فيه :

قال مَسْروقٌ : مَنْ سَرَّهُ أنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الأوَّلينَ والآخِرينَ وعِلْمَ الدُّنيا والآخِرَة فلْيَقْرأ سُورَةَ الواقِعَةِ[2] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا قالَه مَسْروقٌ على المُبالَغَةِ ، لِعِظَمِ ما في السُّورَةِ من جُمَلِ أمُورِ الدَّارَيْنِ ومَعنىٰ قَولِهُ : (فلْيَقْرأ الواقِعَةَ) أي بِتدَبُّرٍ وتَفَكُّرٍ وحُضورٍ ولا يَكُنْ كمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أسْفاراً .

عن الشّعبيِّ ، قال : كان مَسْروقٌ إذا قِيلَ له : أبْطَأتَ عن عَليٍّ وعن مَشَاهِدِه ، فيَقُولُ : أرَأيْتُم لَوْ أنَّه حين صَفَّ بَعضُكُم لبَعضٍ فنَزَلَ بَيْنَكُم مَلَكٌ فقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[3] أكانَ ذلكَ حَاجِزاً لكُم ؟

قالوا : نَعَم قال : فوَاللهِ لقَدْ نَزَلَ بها مَلَكٌ كَريمٌ علىٰ لِسانِ نَبيِّكُم ، وإنَّها لمُحْكَمَةٌ ما نَسَخَها شيء[4] .

قالَ الصُّوليُّ : حدَّثنا أحمَدُ بنُ يَحيَىٰ أنَّ الشَّعْبيَّ قالَ : أفْخَرُ بَيتٍ قِيلَ قَولُ الأنْصارِ يَومَ بَدْرٍ :

وبِبئـرِ بـدرٍ إذْ يـردُّ وجـوهَهـم ⁂ جبريـلُ تحتَ لـوائنا ومحمـدُ[5]

---

(١) انظر السير : (عبد الغني) ٢١/٤٤٣ـ ٤٧١ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٥٠ .

(٢) انظر السير : (مَسْروق) ٤/٦٣ـ ٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/٤٤٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٩ .

(٤) انظر السير : (مَسروق) ٤/٦٣ـ ٦٩ ، وانظر النزهة : ٣/٦٤٤ .

(٥) انظر السير : (عَليُّ الرِّضىٰ) ٩/ ٣٨٧ـ ٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٢/٨٣١

ثم قالَ الصُّوليُّ : أفْخَرُ منه قَولُ الحَسَنِ بنِ هانِىء في عَليٍّ بنِ مُوسَى الرِّضَىٰ :

قيل لي أنتَ واحدُ الناسِ في كـلِّ كـلامٍ مِـنَ المقـالِ بـديـهِ
لـك فـي جـوهـرِ الكـلامِ بـديـعٌ يثمـرُ الـدرُّ فـي يَـدَيْ مجتنيـهِ
فعـلامَ تـركـتَ مـدحَ ابـنِ مـوسـى بـالخصـالِ التـي تجمَّعـنَ فيـه
قلـتُ لا أهتـدي لمـدحِ إمـامٍ كـانَ جبـريـلُ خـادمـاً لأبيـهِ[١]

قالَ الإمامُ الذهبيُّ مُعقِّباً : لا يَسوغُ إطْلاقُ هـٰذا الأخير إلاَّ بتَوقيف ، بلْ كانَ جِبْريلُ مُعَلِّمَ نَبيِّنا صلى الله عليه وسلم وعَليه[٢] .

وقالَ أبو عُبَيد : ما رَأيتُ أحَداً أعقَلَ من الشَّافِعيِّ ، وكَذا قالَ يُونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَىٰ ، حتَّىٰ إنَّه قالَ : لَوْ جُمعَت أُمَّةٌ لَوَسِعَهم عَقلُه .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا علىٰ سَبيلِ الْمُبالَغَة ، فإنَّ الكَامِلَ لَوْ نَقُصَ من عَقلِه نَحوُ الرُّبع ، لَبَانَ عَليه نَقصٌ ما ، ولَبَقيَ له نُظَراءُ ، فلَو ذَهبَ نِصفُ ذَلكَ العَقلِ منه ، لَظَهرَ عَليه النَّقصُ ، فكَيفَ به لَوْ ذَهبَ ثُلثَا عَقلِه! فلَوْ أنَّكَ أخَذتَ عُقولَ ثَلاثَةِ أنْفُس مَثلاً ، وصَيَّرتَها عَقلَ وَاحِد ، لَجاءَ منه كَامِلُ العَقلِ وزِيادَة[٣] .

وعن محمَّدِ بنِ مُصْعَبٍ العَابِد ، قالَ : لَسَوطٌ ضُربَه أحمَدُ بنُ حَنْبَل في الله أكبَرُ من أيَّامِ بِشْرِ بنِ الحَارِث .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : بِشْرٌ عَظيمُ القَدرِ كأحْمَدَ ، ولا نَدري وَزنَ الأعْمَال ، إنَّما اللهُ يَعلمُ ذلك .

وقالَ الحُنَيْنيُّ : سَمعتُ إسْماعيلَ بنَ الخَليلِ ، يَقُولُ : لَوْ كانَ أحمَدُ بنُ حَنْبَل في بَني إسْرائيلَ لَكَانَ آيَةً[٤] .

---

(١) انظر السير : (عَليُّ الرِّضىٰ) ٩/ ٣٨٧ـ٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٣/٨٣١
(٢) انظر السير : (عَليُّ الرِّضىٰ) ٩/ ٣٨٧ـ٣٩٣ ، وانظر النزهة : ٤/٨٣١ .
(٣) انظر السير : (الإمامُ الشَّافِعيُّ) ١٠/ ٥ـ٩٩ ، وانظر النزهة : ١/٨٤٦ .
(٤) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ١/٩٢٦ .

وعن رَجُلٍ قالَ : عِندَنا بخُراسَانَ يَظنُّونَ أنَّ أحمَدَ لا يُشبِهُ البَشَرَ يَظُنُّونَ أنَّه من الْمَلائكَة[1] .

وقالَ آخَرُ : نَظرَةٌ عندَنا من أحمَدَ تَعدِلُ عِبادَةَ سَنة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هَـٰذا غُلوٌّ لا يَنبَغي ، لكن البَاعِثَ لَه حُبُّ وَلِيٍّ اللهِ في اللهِ[2] .

ورُويَ عن الحافِظ أبي عبدِ الرحمَـٰن النَّهاوَنْديِّ ، أنَّه سَمعَ الفَسَوِيَّ يَقُولُ : كَتَبتُ عن ألفِ شَيخٍ وكَسرٍ كُلُّهم ثِقاتٌ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَيسَ في مَشيَخَتِه إلاَّ نَحوٌ من ثَلاثِ مئة شَيخٍ ، فأينَ البَاقِي ؟ ثم في الْمَذكُورينَ جَماعَةٌ قد ضُعِّفُوا[3] .

وقال أبو بكر بن دَاسَة : سَمعتُ أبا داود يقول : « كتبتُ عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم خَمسَ مئةِ ألفِ حَديثٍ ، انتَخَبتُ منها ما ضَمنتُه هـٰذا الكتاب ـ يَعني كتاب « السُّنَن » ـ جَمعتُ فيه أربعةَ آلافِ حَديث وثمانيَ مئةِ حَديث ، ذكرتُ الصَّحيحَ ، وما يُشبِهُه ويُقارِبُه ، ويَكْفي الإنسانَ لدينِه من ذلك أربعةُ أحاديث ، أحدُها : قولُه صلى الله عليه وسلم : « الأعْمَالُ بالنِّيَّات » ، والثاني : « مِنْ حُسْنِ إسْلام المَرْءِ تَرْكهُ مَا لا يَعْنِيهِ » ، والثالثُ : قولُه : « لا يَكونُ المُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتّىَ يَرْضَى لأَخِيهِ مَا يَرْضَىٰ لِنَفْسِهِ » ، والرابعُ : « الحَلالُ بَيِّنٌ » الحديث .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : وقولُه : يَكْفي الإنسانَ لدينِه ، مَمْنوعٌ ، بل يَحتاجُ المُسلمُ إلىٰ عَددٍ كثير من السُّنَن الصَّحيحَة مع القُرآن .

قال أبو بكر الخَلاَّل : أبو داود الإمام المقدَّم في زمانه ، رجل لم يسبقه إلىٰ معرفته بتخريج العلوم ، وبصرِه بمَواضِعه أحدٌ في زَمانِه ، رجلٌ وَرِعٌ مُقدَّم ، سَمعَ منه أحمدُ بن حَنبل حَديثاً واحداً .

---

(١) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٧/٩٢٧ .
(٢) انظر السير : (أحمَدُ بنُ حَنْبَل) ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨ ، وانظر النزهة : ٨/٩٢٧ .
(٣) انظر السير : (الفَسَوِيُّ) ١٣/ ١٨٠ـ ١٨٤ ، وانظر النزهة : ١/١٠٦٨ .

وقال أبو بكر محمدُ بن إسْحاق الصَّاغاني ، وإبراهيمُ الحَربي لمَّا صنَّف أبو داود كتاب « السُّنَن » أُلِينَ لأبي داودَ الحَديثَ ، كما أُلِينَ لدَاودَ عليه السلام الحديدُ[1] .

وقال عليُّ بنُ الحُسَين بنِ الجُنَيد ، سَمعتُ يَحْيَىٰ بنَ مَعين ، يقولُ : إنَّا لنَطْعنُ علىٰ أقْوامٍ ، لعلَّهم قد حَطُّوا رِحالَهم في الجنَّة من أكثر من مئتي سنة .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : لَعلَّها من مِئَة سَنة ، فإنَّ ذلك لا يَبلغُ في أيّام يَحْيَىٰ هـٰذا القَدْر[2] .

وقالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَةِ الخَيَّاط : قيلَ : كانَ إمامَ مَسْجِدِ ابنِ جَرْدَة بالحَريمِ[3] ، لَقَّنَ العُمْيانَ دَهْراً لله ، وكانَ يَسألُ لَهم ، ويُنفِقُ عَليهم ، بحَيثُ إنَّ ابنَ النَّجَّارِ نَقلَ في « تاريخه » أنَّ أبا مَنْصُورِ الخَيَّاط بَلغَ عَددَ مَنْ أقْرَأهم من العُمْيانِ سَبعينَ ألفاً .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ مُعقِّباً : هـٰذا مُستَحيلٌ ، والظَّاهِرُ أنَّه أرَادَ أنْ يَكتُبَ نَفْساً ، فسَبَقَه القَلمُ فخَطَّ ألْفاً ، ومَنْ لَقَّنَ القُرآنَ لِسَبْعينَ ضَريراً ، فقد عَملَ خَيراً كَثيراً[4] .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ في تَرجَمَة أميرِ الجُيوش ، المَلكِ الأفْضَل أبو القاسم شاهِنشاه : قالَ ابنُ خلِّكانَ في « تاريخه » : قال صاحبُ الدُّولِ الْمُنْقَطِعة : خلَّفَ الأفْضلُ سِتَّ مئَة ألفِ ألفِ دينار ، ومئتَين وخَمسين إرْدَبّاً من الدَّراهِم ، وخَمسينَ ألفَ ثَوبٍ من ديباجٍ ، وعِشرينَ ألفَ ثَوبِ حَرير ، وثَلاثينَ راحِلَة كذا وكذا ودَواةً مُجَوْهَرةً باثْنَي عَشرَ ألْفِ دينار ، وعَشرَةَ مَجالِسِ ، في الْمَجلِسِ مَضرُوب عَشرَة مَساميرِ من الذَّهَب ، على الْمِسْمارِ مِنْديلٌ مَشْدودٌ فيه بدلَة ثياب وخَمسُ مئة صُندوقٍ ، فيها كِسْوَةٌ ومَتاعٌ ، سِوَى الدَّوابِّ والْمَماليكِ والبَقرِ والغَنَمِ ، ولَبنُ مَواشيه يُباعُ في السَّنةِ بثَلاثينَ ألفِ دينار[5] .

---

(1) انظر السير : (أبو داوُد) ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٢١ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٦٩ .
(2) انظر السير : (عبد الرَّحمـٰن بن أبي حاتم) ١٣/ ٢٦٣ـ ٢٦٩ ، وانظر النزهة : ٢/١٠٨٠ .
(3) أي بحَريم دار الخِلافَة ببغداد .
(4) انظر السير : (الخَيَّاط) ١٩/ ٢٢٢ـ ٢٢٤ ، وانظر النزهة : ٣/١٤٧٣ .
(5) انظر السير : (أميرُ الجُيوش) ١٩/ ٥٠٧ـ ٥١٠ ، وانظر النزهة : ٣/١٥٠٣ .

قالَ الإمامُ الذهَبيُّ : هـٰذه الأشياءُ مُمْكنَةٌ ، سِوَى الدَّنانيرُ والدَّراهمُ ، فلا أُجَوِّزُ ذلك ، بَلْ أَسْتبعِدُ عُشْرَه ، ولا رَيبَ أنَّ جَمْعَه لهـٰذه الأمْوالِ مُوجِبٌ لضَعفِ جَيشِ مِصْرَ ، ففي أيّامِه اسْتولَت الفِرَنْجُ على القُدْسِ ، وعَكا ، وصُور ، وطَرابُلسَ ، والسَّواحِلِ فلَوْ أنْفقَ رُبْعَ مالِه ، لَجَمَعَ جَيشاً يَملأُ الفَضاءَ ، ولأبَادَ الفِرَنْجَ ، ولكن ليَقضِيَ اللهُ أمْراً كان مَفْعولاً[1] .

وكانَ ابنُ الجَوْزي ذا حَظٍّ عَظيمٍ وصِيتٍ بَعيدٍ في الوَعْظِ ، يَحضُرُ مَجالِسَه الْمُلوكُ والوُزَراءُ وبَعضُ الخُلَفاء والأئمَّةُ والكُبَراءُ ، لا يَكادُ الْمَجلِسُ يَنْقُصُ عن أُلُوفٍ كَثيرَةٍ ، حتَّىٰ قِيلَ في بَعضِ مَجالِسِه : حُزِرَ الجَمعُ بمِئةِ ألْفٍ ولا رَيبَ أنَّ هـٰذا مَا وَقَع ، ولَوْ وَقَع ، لَمَا قَدِرَ أنْ يُسمِعَهم ، ولا الْمَكانُ يَسَعُهم[2] .

* * *

(١) انظر السير : (أميرُ الجُيوش) ١٩/ ٥٠٧ـ ٥١٠ ، وانظر النزهة : ١/١٥٠٤ .

(٢) انظر السير : (أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزي) ٢١/ ٣٦٥ـ ٣٨٤ ، وانظر النزهة : ٢/١٦٣٣ .

(٢١) مَفَاهيمُ وأعْمَالٌ خاطِئَة

١ـ صُوَرٌ على المَفَاهيم الخاطِئَة :

عن عُثمانَ التَّيْميِّ ، قالَ : رَأيتُ جَريراً وما تُضَمُّ شَفتاهُ من التَّسْبيح ، قُلتُ : هـٰذا حالُك وتَقذفُ المُحْصَنات فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[1] وَعدٌ من الله حَقٌّ[2] .

٢ـ تَصْحيحُ مَفْهُومٍ يَبدُو صَحيحاً :

جاءَ في تَرجَمَةِ نورِ الدِّين محمُود : قال له القُطبُ النيسابوريُّ : بالله لا تُخاطِرْ بنفسِكَ ، فإنْ أُصِبْتَ في مَعْركَة لا يَبْقَىٰ للمُسلمينَ أحدٌ إلاَّ أخَذَه السَّيفُ ، فقالَ : ومَنْ مَحْمودٌ حتىٰ يُقالَ هـٰذا ؟!! حَفِظَ اللهُ البِلادَ قَبْلي ، لا إلـٰهَ إلاَّ هُو[3] .

* * *

(١) سورة هود ، الآية : ١١٤ .

(٢) انظر السير : (جَرير) ٤/ ٥٩٠ـ ٥٩١ ، وانظر النزهة : ٢/٥٦٥ .

(٣) انظر السير : (نور الدين) ٢٠/ ٥٣١ـ٥٣٩ ، وانظر النزهة : ٤/١٥٨١ .



محتوى الكتاب